

كِتَابُ شَرْحِ صَلَاةِ الْقَطْرِ

بِزَمَنِ مَشْرِقِ الشَّمْسِ

سِلْسِلَاتِ نُورَانِيَّةٍ فَرِيدَةٍ

مِنْ تَأْلِيفِ

سَيِّدِي أَحْمَدَ بَنِعَجِيْبَةَ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

جَمَعَ وَتَقَدَّمَ

العُمَرَانِي المَخَالِدِي عَبْدَ السَّلَامِ

دار المحدثين دار البيضا

كلية الدراسات والبحوث

دار البيضا المغرب

كتاب شرح صلاة القطب

بمن مشيش

سلسلات نورانية فريدة

من تأليف

سيدي أحمد بن عجيبة

رضي الله عنه

السلسلة الأولى

١ - شرح صلاة القطب بمن مشيش رضي الله عنه

٢ - شرح صلاة ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه

٣ - سلك الدرر، في ذكر القضاء والقدر

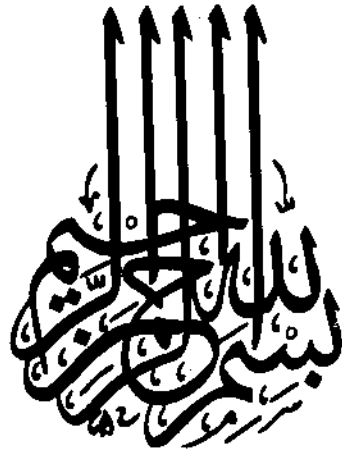
جمع وتقديم

العمراني الخالدي عبد السلام

دار الحديث دار البيضاء

دار الحديث دار البيضاء

دار الحديث دار البيضاء - المغرب



تَعْرِيفُ سَيِّدِي أَحْمَدَ بِنَعَجِيَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لِجَامِعِ مُؤَلَّفَاتِهِ، وَخَدِيمِ الطَّرِيقَةِ الْعَجِيبِيَّةِ الرَّشِيدَةِ: الْعِمْرَانِي الْخَالِدِي عَبْدَ
السَّلَامِ.

- الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيمِ الْعَفَّارِ، ذِي الطُّوْلِ الْوَاسِعِ وَالشَّعْمِ الْغِزَارِ، وَالصَّلَاةِ
وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نُورِ الْأَنْوَارِ، وَسِرِّ الْأَسْرَارِ، وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ،
وَصَحَابَتِهِ الْأَبْرَارِ. وَبَعْدُ:

فَإِنَّ سَيِّدِي أَحْمَدَ بِنَعَجِيَّةَ الْحَسَنِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ - عَارِفٌ كَبِيرٌ بِرَبِّهِ.
مُنْضَلَعٌ فِي عُلُومِ الْقَوْمِ. حَائِزٌ قَصَبِ السَّبْقِ فِي عُلُومِ الشَّرِيعَةِ وَالطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ. لَا
يَحْتَاجُ إِلَى تَعْرِيفٍ، فَقَدْ طَلَعَ نَجْمُهُ عَلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. وَوَضِعَتْ حَوْلَهُ
أَطْرُوحَاتٌ، عَالِمٌ مَغْرِبِيٌّ كَبِيرٌ، وَصُوفِيٌّ ذُوقِيٌّ شَهِيرٌ. أَشْهَرُهُ عِلْمُهُ وَمَوْلَاتُهُ النَّادِرَةُ،
الَّتِي فَاقَتْ الثَّلَاثِينَ، فِي الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ. فَكُتَابُهُ: «إِقَاطُ الْهَمَمِ»، فِي شَرْحِ
الْحِكْمِ، وَالْفُتُوحَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، فِي شَرْحِ الْمَبَاحِثِ الْأَصْلِيَّةِ الْمَطْبُوعِ فِي دَارِ الْمَعْرِفَةِ،
وَفِي بَعْضِ مَطَابِعِ مِصْرَ - مُنْذُ عَشْرَاتِ السَّنِينَ، فَقَدْ عَرَفَهُ، وَكَذَلِكَ مَنْ عَثَرَ عَلَى
فَهْرَسِهِ، أَوْ بَعْضِ كُتُبِهِ، الَّتِي عَلَى رَأْسِهَا: «الْبَحْرُ الْمُدِيدُ»، فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ
بِالْعِبَارَةِ وَالْإِشَارَةِ. أَيْ بِالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَالْبَاطِنِ الْبَاطِنِ - يُذْرِكُ مَنْ هُوَ سَيِّدِي أَحْمَدُ
بِنَعَجِيَّةَ، الَّذِي تَضَاءَلَتْ الْفُهُومُ أَمَامَ فَهْمِهِ، وَتَقَاصَرَتْ الْجُهُودُ أَمَامَ جُهُودِهِ.
فَسَيِّدِي أَحْمَدُ بِنَعَجِيَّةَ، فَرِيدٌ عَضْرُهُ وَأَوَانِيهِ. انْحَدَرَ مِنْ عَائِلَةِ نُورَانِيَّةٍ، صَالِحَةٍ
مُضْلِحَةٍ، أَفْرَادُهَا - ذُكُوراً وَإِنَاثاً، نَابِعُونَ بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَالذُّوقِ وَالْهَمَّةِ. وَلَا
تَزَالُ فِيهِمْ هَذِهِ الصَّبْغَةُ. فَهُوَ سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ سَيِّدِي مُحَمَّدِ بْنِ سَيِّدِي الْمَهْدِيِّ بْنِ
سَيِّدِي الْحُسَيْنِ، بْنِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ بِنَعَجِيَّةِ الْحَجُّوجِيِّ، بْنِ سَيِّدِي عَبْدِ اللَّهِ بِنَعَجِيَّةِ.
ثُمَّ إِلَى سَيِّدِي سَخْنُونَ، بْنِ مَوْلَايَ إِبْرَاهِيمَ، بْنِ مَوْلَايَ مُحَمَّدٍ، بْنِ مَوْلَايَ مُوسَى،
بْنِ مَوْلَايَ عَبْدِ اللَّهِ، ثُمَّ إِلَى مَوْلَايَ إِدْرِيسِ الْأَصْغَرِ، ابْنِ مَوْلَايَ إِدْرِيسِ الْأَكْبَرِ.
هَكَذَا هُوَ فِي فَهْرَسِهِ. أَمَا عَنْ تَعْبُدِهِ، فَقَدْ أَلْهَمَهُ اللَّهُ الْخُلُوعَ وَالْوَحْدَةَ وَهُوَ صَغِيرٌ.

فَقَدْ قَالَ فِي فِهْرَسِهِ: «فَكُنْتُ لَا أَلْعَبُ مَعَ الصُّبْيَانِ، وَلَا أَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ. فَقَدْ أَلْقَى اللَّهُ فِي قَلْبِي مَحَبَّةَ الْعِلْمِ فِي حَالِ الصَّبَا».

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامِهِ: «فَلَمَّا حَفِظْتُ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، سَافَرْتُ لِتَحْقِيقِ الْقِرَاءَةِ. وَتَعْلِيمِ التَّوْحِيدِ». وَقَدْ دَرَسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ، عَلَى عُلَمَاءَ أَجْلَاءَ، مُبَرِّزِينَ فِي الْعِلْمِ، وَلَهُ ثَلَاثُ إِجَازَاتٍ فِي فِهْرَسِهِ، مِنْ عُلَمَاءِ أَكْبَارِ عَصْرِهِ. الْإِجَازَةُ الْأُولَى، لِلْعَلَامَةِ شَيْخِ الْجَمَاعَةِ بِالْمَغْرِبِ، سَيِّدِي التَّوْوَيْدِي بْنِ سُودَةَ. وَالثَّانِيَةُ، لِلْعَلَامَةِ، سَيِّدِي مُحَمَّدِ بْنِسِ الْقَاسِي. وَالثَّلَاثَةُ، لِلْعَلَامَةِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ الْوَرَزَارِي. وَكُلُّهُمْ فِي إِجَازَاتِهِمْ، أَعْرَبُوا أَنَّ الْمُجَازَ فَوْقَهُمْ فِي الْعِلْمِ، وَإِنَّمَا جَرَتْ عَادَةُ الشُّيُوخِ. إِجَازَةُ الْمُتَخَرِّجِينَ عَلَى أَيْدِيهِمْ. وَبَعْدَمَا انْفَرَدَ بِعُلُومِ الظَّاهِرِ، انْتَقَلَ لِلتَّجْرِيدِ إِلَى الْعَمَلِ وَالتَّجَرُّدِ لِلْعِبَادَةِ. اسْتَعْدَادًا لِعِلْمِ الْبَاطِنِ. وَهُوَ الْعَمَلُ بِالشَّرِيعَةِ الظَّاهِرَةِ. إِذْ لَا يَتَنَقَّلُ الْعَمَلُ إِلَى الْبَوَاطِنِ، حَتَّى تَسْتَقِيمَ الظَّوَاهِرُ. إِذِ الشَّرِيعَةُ بَابٌ، وَالْحَقِيقَةُ أَبْوَابٌ. وَقَدْ أَخَذَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِلْمَ الذُّوقِ عَنِ شَيْخِهِ الْمَرِي الكَبِيرِ، الْقُطْبِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ الْبُورَيْدِي الْحَسَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَشَهِدَ لَهُ بِالْمَقَامِ الْأَسْتَى، فِي الْعُلُومِ وَالْفُهُومِ، شَيْخُهُ، وَشَيْخُ شَيْخِهِ، مَوْلَايَ الْعَرَبِيِّ الدَّرَقَاوِي الْحَسَنِيِّ. وَقَدْ فَاقَهُمَا عِلْمًا وَذُوقًا وَكُشْفًا. قَالَ فِي فِهْرَسِهِ: «أَمَّا عِلْمُ الْبَاطِنِ، فَهُوَ عِلْمِي وَمَحَطُّ قَدَمِي، وَلِي فِيهِ الْبَاعُ الطَّوِيلُ». وَقَدْ جَدَّدَ طَرِيقَ الْقَوْمِ، فِي الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ الْهَجْرِيِّ. عَلَى دَعَائِمِ قُدْسِيَّةٍ، ذُونَ الْبِقَاتِ لِغَيْرِهِ، وَطَبَعَهَا بِقَوْلِهِ: «وَهَذَا ذُوقِي لَا أَقْلُدُ فِيهِ أَحَدًا». وَذَلِكَ لَمَّا حَقَّقَ مَقَامَاتِ الْيَقِينِ كُلَّهَا، ذُوقًا وَمُشَاهَدَةً وَمُعَايَنَةً. وَلَهُ قَصَائِدُ صُوفِيَّةٌ فَرِيدَةٌ. فِي آدَابِ الصُّوفِيَّةِ، وَالخَمْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ. وَفِي تَفْسِيرِ أَطْوَارِ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ، وَفِي الْحَضْرَةِ النَّبَوِيَّةِ. ثُمَّ فِي الْحَضْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ. إِضَافَةً إِلَى مَوْلَفَاتِهِ الْعَدِيدَةِ. فِي الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ. كَمَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ الْإِشَارَةُ. وَتُوفِّيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَامَ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفِ هِجْرِيَّةٍ. «1225» عَنْ عُمَرَ يُنَاهِزُ الثَّلَاثَةَ وَالسُّتَيْنِ عَلَى الْمَشْهُورِ - حَقَّقْنَا اللَّهُ تَعَالَى بِعُلُومِهِ وَفُهُومِهِ. وَجَعَلْنَا عَلَى هَدْيِهِ وَأَثَارِهِ. آمِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. العرائش في 12 شوال عام 1414 هجرية. الموافق د: 23 مارس سنة: 1994 ميلادية.

جامعته ومُصحَّحه:

العِمْرَانِي الْخَالِدِي عَبْدُ السَّلَامِ

- لَطْفَ اللَّهِ بِهِ عَلَى الدَّوَامِ -

المقدمة

تعريف بسيدي أحمد بنعجية

تَعْرِيفُ بِالْقُطْبِ الْكَامِلِ الْأَنْوَارِ، فِي الْعُلُومِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْأَسْرَارِ، أَبِي
الْعَبَّاسِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بِنَعْجِيَّةِ الْحَسَنِيِّ الْأَعْرَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى مَوْلَانَا الْمُصْطَفَى الْكَرِيمِ،

وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ وَأَهْلِ عِزَّتِهِ الْمُنْعَمِينَ أَجْمَعِينَ

وَبَعْدُ: فَقَدْ وَقَفَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِمَخْضِ الْمَنَّةِ، وَسَاقَنِي مُنْذُ عَشْرِينَ سَنَةً، إِلَى
صُخْبَةِ أَكَابِرِ بَنِي عَجِيَّةِ، ذَوِي الْهَمِّ الْعَالِيَةِ، فِي الْعُلُومِ الذُّوقِيَّةِ اللَّذِيَّةِ، بِالْإِضَافَةِ
إِلَى كَافَّةِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَجَمَعَتْ مِنْ جِهَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، مِنْ مَوْلَفَاتِ سَيِّدِي أَحْمَدَ
بِنَعْجِيَّةِ، سِنَةً وَعِشْرِينَ مَا بَيْنَ شَرِيعَةٍ وَحَقِيقَةٍ، كُلُّهَا نَسَخْتُهَا بِيَدِي فِي نَحْوِ سِنِينَ
عَشْرَةٍ، وَشُرِّفْتُ بِأَمْرِ مِنْ شَيْخِي - فَرِيدِ زَمَانِهِ، سَيِّدِي عَبْدِ الْقَادِرِ بِنَعْجِيَّةِ، وَشَقِيقِهِ
الْعَالِمِ الْجَلِيلِ، وَالصُّوفِيِّ الْكَبِيرِ، سَيِّدِي مُحَمَّدَ بِنَعْجِيَّةِ - بِتَقْدِيمِ وَطَبْعِ شَرْحِ الصَّلَاةِ
الْمَشِيشِيَّةِ، لِجَدَّهِمَا الْعَارِفِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بِنَعْجِيَّةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَتَمَّتْ
الطَّبَعَةُ الْأُولَى عَامَ 1402هـ - 1982م.

وَالْيَوْمَ، وَقَدْ جَاءَ دَوْرُ طَبْعِ سِلْسِلَاتِ مُنَوَّرَةٍ، مِنْ مَوْلَفَاتِ هَذَا الْعَارِفِ الْأَكْبَرِ،
يَتْلُوهَا طَبْعُ الْبَحْرِ الْمَدِيدِ، فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، بِإِشَارَةِ وَإِذْنِ مِنْ شَيْخِي
الْمُنَوَّرِ، سَيِّدِي عَبْدِ الْقَادِرِ بِنَعْجِيَّةِ، لُحْبَةِ طَيِّبَةٍ صَالِحَةٍ، وَجَزِيًّا عَلَى الْعَادَةِ الْمُتَّبَعَةِ،
فِي التَّعْرِيفِ بِالْكَتُبِ النَّفِيسَةِ الْمَخْطُوطَةِ، وَأَصْحَابِهَا الْكَمَالِ الْعَبَاقِرَةِ، فَقَدْ كَلَّفْتُ
بِوَضْعِ تَعْرِيفِ شَامِلٍ لِمَوْلَفَاتِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بِنَعْجِيَّةِ، لِيَتَعَرَّفَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَعَلَى
صَاحِبِهَا، وَلِيَشْرَبُوا مِنْ فَيْضِهَا، لِيَحْضُلَ بِهَا الْإِنْتِفَاعُ، وَيَتِمَّ بِهَا الْإِتْبَاعُ، وَسَيَجِدُ
الْقَارِئُ الْكَرِيمُ، هَذَا التَّعْرِيفَ مُصَدَّرًا بِهِ السُّلْسِلَاتِ التَّوْرَانِيَّةِ الْعَجِيبِيَّةِ، وَتَفْسِيرِ
الْبَحْرِ الْمَدِيدِ الْمُتِمِّ الْأَمْنِيِّ. وَجَاءَ تَكْلِيفِي بِهَذِهِ الْمُهْمَّةِ، مِنْ أُمُورٍ عِدَّةٍ:

- 1- لِكَوْنِي أَعْرَفَ النَّاسِ بِمُؤَلَّفَاتِهِ وَعُلُومِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ .
 - 2- لِإِلَادِنِ الَّذِي لِي فِي جَمْعِهَا وَنَسْخِهَا وَنَشْرِهَا شَفِوِيًّا مِنْ شَيْخِي، وَمِنْ صَاحِبِهَا فِي عِدَّةِ رَأْيٍ صَادِقَةٍ .
 - 3- لِكَوْنِ نَسْخِهَا الْمُسْتَوْعِبَةَ لِغُنُونِهَا بِحَظِّ يَدِي وَبِخِرَاتِي مُتَوَقَّرَةً .
 - 4- وَلَاغْتِبَارَاتٍ أُخْرَى تَرَكْتُهَا هُنَا تَوَاضِعًا لِلَّهِ تَعَالَى . وَإِنَّ سَيِّدِي أَحْمَدَ بِنَعِيبَةَ، كَالشَّمْسِ الْمُشْرِقَةِ، تَعْرِفُهُ الْمَشَارِقَةُ وَالْمَغَارِبَةُ، لَا يَخْتَاجُ إِلَيَّ تَغْرِيفٍ، وَلَا إِلَى تَقْدِيمٍ، فَقَدْ أَشْهَرَهُ كِتَابُهُ النَّفِيسُ: «إِيقَاطُ الْهَمَمِ»، فِي شَرْحِ الْحِكْمِ، وَالْفُتُوحَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، فِي شَرْحِ الْمَبَاحِثِ الْأَضْلِيَّةِ»، الْمَطْبُوعِ فِي مِصْرَ، وَفِي لُبْنَانَ، مُنْذُ مَا يَقْرُبُ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ، وَيُجَدِّدُ طَبْعَهُ كُلَّمَا نَقَدَ . وَمَعَ هَذَا، فَهَذَاكَ جَوَانِبُ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا، فَلْيَعْلَمْ الْقَارِئُ الْكَرِيمُ، أَنَّ الْعَارِفَ الْمُحَقِّقَ، سَيِّدِي أَحْمَدَ بِنَعِيبَةَ، قَدْ انْحَدَرَ مِنْ عَائِلَةٍ، نَابِعَةٍ بِالْعُلُومِ وَالْحِكْمَةِ، كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا، ذَكَرَهَا وَأَنْشَأَهَا، مُنْذُ قُرُونٍ مُتَتَابِعَةٍ، وَلَا زَالَ هَذَا الْفَيْضُ الْإِلَهِيُّ بِهَا وَفِي أَتْبَاعِهَا، فَهُوَ سَيِّدِي أَحْمَدُ، بِنِ سَيِّدِي مُحَمَّدَ بِنِ سَيِّدِي الْحُسَيْنِ بِنِ مُحَمَّدَ بِنَعِيبَةَ الْحَجُّوجِيِّ، بِنِ سَيِّدِي عَبْدِ اللَّهِ بِنَعِيبَةَ الَّذِي اسْتَقَرَّ بِحَمْسِ أَنْجَرَةَ، ثُمَّ إِلَى سَيِّدِي سَخُونِ، بِنِ مَوْلَايَ إِبْرَاهِيمَ، بِنِ مَوْلَايَ مُوسَى، بِنِ مَوْلَايَ عَبْدِ اللَّهِ، ثُمَّ إِلَى مَوْلَايَ إِدْرِيسِ الْأَضْعَرِّ، بِنِ مَوْلَايَ إِدْرِيسِ الْأَكْبَرِ .
- وَكَانَ لِأَجْدَادِهِ كَرَامَاتٌ وَخَوَارِقُ عِدَّةٌ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ مَنْ هُوَ فِي الْعُوثَانِيَّةِ، كَسِيدَتْنَا فَاطِمَةُ الْعَجِيبِيَّةُ، وَمِنْ مَشَاهِيرِ أَجْدَادِهِ، فَاطِمَةُ الْعَجِيبِيَّةُ، وَسَيِّدِي عَبْدِ اللَّهِ مِغْرَاوِي، وَسَيِّدِي الْحَسَنَ الْحَجُّوجِيِّ، وَقَدْ فَاقَ رِضِيَّيَ اللَّهِ عَنْهُ أَجْدَادَهُ فِي الْكَرَامَاتِ وَالْمُكَاشَفَاتِ، وَأَكْبَرُ كَرَامَاتِهِ، الْفَهْمُ الْكَبِيرُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِشَارَةِ، عَلَى مُسْتَوَى عَالٍ فِي الْمَعْرِفَةِ، وَشَرَحَ مَعَهُ الْحُرُوفَ الْمُقَطَّعَةَ، الَّتِي أَفْتَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا بَعْضَ السُّورِ الْقُرْآنِيَّةِ . وَيَكْفِي قَوْلُهُ فِي فَهْرِسِهِ . أَمَا عِلْمُ الْبَاطِنِ فَهُوَ عِلْمِي، وَمَحَظُّ قَدَمِي، وَلِي فِيهِ الْبِنَاقُ الطَّوِيلُ . فَلَمْ يُقَلِّدْ فِي الذَّوْقِ أَحَدًا مِنَ السَّابِقِينَ، بَلْ كَانَ يَغْرِفُ فِيهِ بِمِغْرَافِ الْحَقِّ تَعَالَى . وَقَدْ تَحَدَّثَ طَوِيلًا عَنِ التَّرْبِيَةِ النَّبَوِيَّةِ الذَّوْقِيَّةِ، وَقَالَ: وَهَذَا ذَوْقِي، لَا أَقَلِّدُ فِيهِ أَحَدًا . فَقَدْ كَانَتْ لَهُ مَصَادِرُ يَكْرَعُ مِنْهَا الْعُلُومُ وَالْفُهُومُ إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ أَجْمَلُهَا فِي تَلْقِيهِ الْعُلُومَ عَنِ الْكِبَارِ، وَصُحْبَةِ شَيْخِهِ الْبُوزِيدِيِّ صَاحِبِ الْأَسْرَارِ . وَبِذَلِكَ تَرَقَّتْ فِيهِ الْفِرَاسَةُ وَالْإِنْهَامُ، وَالرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ النَّابِعَةُ مِنْ وَحْيِ الْإِعْلَامِ، فَرَّالٌ عَنِ بَصِيرَتِهِ الْغِشَاءِ، وَفَهْمٌ عَنِ اللَّهِ جَلَّ الْأَشْيَاءِ . وَقَدْ نَهَجَ رِضِيَّيَ اللَّهِ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، نَهْجًا دَقِيقًا، لَمْ يَصِلْهُ الْفُشِيرِيُّ فِي رِسَالَتِهِ،

وَلَا صَاحِبِ الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ، وَلَا صَاحِبِ التَّأْوِيلَاتِ، وَلَا صَاحِبِ رُوحِ الْمَعَانِي، وَلَا الطَّبْرِي فِي تَفْسِيرِهِ، وَلَا غَيْرَهُمْ مِمَّنْ تَكَلَّمَ فِي عِلْمِ الْإِشَارَةِ. فَقَدْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ كُلَّهُ بِالْعِبَارَةِ وَالْإِشَارَةِ، فِي مُجَلَّدَاتٍ أَرْبَعَةٍ، سَمَّاهُ بِ«الْبَحْرِ الْمَدِيدِ»، فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ وَجَعَلَ لِلْفَاتِحَةِ شَرْحاً مُسْتَفِيضاً مُسْتَقِلاً، سَمَّاهُ كَذَلِكَ، بِالْبَحْرِ الْمَدِيدِ، وَقَدْ بَلَغَتْ مُؤَلَّفَاتُهُ فِي الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ، سِتَّةً وَثَلَاثِينَ، يَتَطَّلَعُهَا الْبَحْرُ الْمَدِيدُ، فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَتَفْسِيرِ الْفَاتِحَةِ الْكَبِيرِ، وَشَرْحِ الْحَكْمِ الْعَطَائِيَّةِ، وَالْفُتُوحَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، فِي شَرْحِ الْمَبَاحِثِ الْأَضْلِيَّةِ، وَالْفُتُوحَاتِ الْقُدُوسِيَّةِ، فِي شَرْحِ الْمُقَدِّمَةِ الْأَجْرُومِيَّةِ، بِالنَّخْوِ وَالْإِشَارَةِ، وَالْأَنْوَارِ السَّنِّيَّةِ، فِي شَرْحِ الصَّلَاةِ الْمَشِيشِيَّةِ، وَالْجَامِعِ الصَّغِيرِ فِي الْفِقْهِ، وَتَسْهِيلِ الْمُدْخَلِ، لِتَنْوِيَةِ الْأَعْمَالِ، بِالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ عِنْدَ الْإِقْبَالِ، وَمِعْرَاجِ التَّشَوُّفِ إِلَى حَقَائِقِ التَّصَوُّفِ، وَسَلْكَ الدَّرَجِ، فِي ذِكْرِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ، وَشَرْحِ صَلَاةِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ الْحَاتِمِيِّ، وَالْأَبْيَاتِ الثَّلَاثَةَ الْمَسْنُونَةَ لِلْجَنِّيْدِ: «تَوَضَّأَ بِمَاءِ الْعَيْنِ إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٍّ» إِلَى آخِرِهَا. وَشَرْحِ قَصِيدَةِ الرَّفَاعِيِّ: «يَا مَنْ تَعَاظَمَ حَتَّى رَقَّ مَعْنَاهُ» إِلَى آخِرِهَا. وَشَرْحِ نُوْبِيَّةِ الشُّشْتَرِيِّ، وَبَعْضِ مُقْطَعَاتِهِ الْمُتَوَرَّةِ، وَالْأَنْوَارِ السَّنِّيَّةِ، فِي الْأَذْكَارِ النَّبَوِيَّةِ، وَشَرْحِ خَمْرِيَّةِ ابْنِ الْفَارِضِ، وَتَائِيَّةِ شَيْخِهِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ الْبُورْزَيْدِي، وَشَرْحِ تَائِيَّةِ الْقُطْبِ الْفَرْدِي، سَيِّدِي عَلِيِّ الْجَعِيدِي، وَنُبْذَةً مِنْ مَنَاقِبِ الزُّهَادِ السَّبْعَةِ، وَكَشْفُ الثَّقَابِ عَنْ سِرِّ لُبِّ الْأَلْبَابِ، وَشَرْحُ فِي دَمِ الْغَيْبَةِ وَالنُّيْمَةِ، وَشَرْحُ الْوَلِيْفَةِ الزُّرُوقِيَّةِ، وَشَرْحُ الْهَمْزِيَّةِ وَالْبُرْدَةِ، وَأَزْهَارِ الْبُسْتَانِ، فِي طَبَقَاتِ الْأَعْيَانِ، لِعُلَمَاءِ الظَّاهِرِ، ثُمَّ لِعُلَمَاءِ الْبَاطِنِ، وَفَهْرُسُهُ الَّذِي بِهِ حَيَاتُهُ وَأَعْمَالُهُ وَمَوَاهِبُهُ.

أَخَذَ طَرِيقَ التَّصَوُّفِ، عَنِ الْقُطْبِ الْكَبِيرِ الْوَاصِلِ، الْمُرَبِّي، سَيِّدِي مُحَمَّدِ الْبُورْزَيْدِي الْحَسَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَاشَرَ شَيْخَ الْمَشَايخِ، مَوْلَايَ الْعَرَبِيِّ الدَّرَقَاوِي. وَكَانَ لَهُ دَارَانِ عَامِرَتَانِ، دَارُ بَيْتِي سَعِيدِ، وَدَارُ بِالرَّمِيحِ بِأَنْجَرَةَ، وَكَانَ لَهُ فُقَرَاءٌ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، ظَهَرَ فِيهِمْ سِرُّهُ. وَهُوَ ذَيْفُنُ قَرْيَةِ الرَّمِيحِ، تُوْفِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَامَ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفِ هِجْرِيَّةٍ، هَكَذَا «1225». نَفَعْنَا اللَّهُ تَعَالَى بِعُلُومِهِ وَأَدْوَابِهِ، آمِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً.

«العرائش في يوم الأحد 26 محرم الحرام، عام 1414 هجرية»

الموافق لـ 18 يوليوز سنة 1993 ميلادية لجامعه ومصححه ومقدمه

العمرائي الخالدي عبد السلام لطف الله به على الدوام

شرح صلاة القطب ابن مشيش رضي الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ، العَالِمُ العَلَامَةُ، الولي الصَّالِح، العارف الربَّاني: سيدي أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني رضي الله عنه، وَنَفَعْنَا بِهِ آمِينَ.

تَحْمَدُكَ يَا مَنْ تَجَلَّى لِقُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ، بِكَمَالِ جَمَالِهِ وَبَهَائِهِ. فَتَنَزَّهَتْ فِي رِيَاضِ مَلَكُوتِهِ الأَفْكَارُ. وَنَشَكَرَكَ يَا مَنْ تَوَلَّى أَسْرَارَ أَنْبِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ، فَخَاضَتْ فِي بَحَارِ جَبْرُوتِهِ الأَسْرَارُ. وَنَصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَيَّ بِذَرَّةِ الوُجُودِ، وَمَطْلَعِ شَمْسِ السُّعُودِ. سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدَ، الَّذِي مِنْ سِرِّ نَاسُوتِهِ انشَقَّتِ الأَسْرَارُ. وَمِنْ لَاهُوتِ صِفَاتِهِ؛ انْفَلَقَتْ الأَنْوَارُ. صَلَاةٌ وَسَلَامًا يَلْقِيَانِ بِمَا لَهُ مِنْ عَظِيمِ جَاةٍ وَمِقْدَارِ. وَرَضِي اللهُ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِهِ الأَبْرَارِ. وَأَهْلِ بَيْتِهِ الأَطْهَارِ.

وَبَعْدُ: فَهَذَا شَرْحٌ لَطِيفٌ، عَلَيَّ تَضَلُّيَةِ القُطْبِ الجَامِعِ، سيدي عبد السلام بن مشيش نَفَعْنَا اللهُ بِذِكْرِهِ. وَأَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْ صِيبِ فَيْضِهِ آمِينَ. نَدَّبَنِي إِلَيْهِ شَيْخَنَا العَارِفُ، الربَّاني، قَدْوَةُ السَّائِرِينَ. وَمُرَبِّي الوَاصِلِينَ، سيدي مُحَمَّدُ بن أحمد البوزيدي الحسني. فَأَجَبْتُهُ إِلَى ذَلِكَ. رَجَاءَ التَّحْقِيقِ بِمَحَبَّتِهِ، وَالشُّرْبِ مِنْ فَيْضِ مَدَدِهِ. وَلِنَقْدَمُ بَيْنَ يَدَيْ الكَلَامِ، تَرْجَمَةَ الشَّيْخِ. وَذَكَرْتُ شَيْءًا مِنْ كَلَامِهِ.

1- الطبيعة. 2- علم اللاهوت، عن الحقائق المتعلقة بالله تعالى. والله هويتي: العالم بالحقائق المتعلقة بالله تعالى.

أما ترجمته: فهو الشيخ الإمام، العارف الواصل، الولي الكبير، والقطب الشهير، شمس زمانه، وفريد عصره وأوانه. سيِّدنا ومولانا عبد السلام بن مشيش بالميم. وربما قيل بالباء. وإبدال الباء بالميم، لغة مازنية، ومغناه الخادم الخفيف؛ الحاذق اللبيب، ابن أبي بكر بن علي، بن حُرْمَةَ، بن عيسى، بن سلام، بن

مِزْوَارٍ. وَمَعْنَاهُ بَلْغَةُ الْبَرْبَرِ، بَكَرَ أَبِيهِ. وَيَسْتَعْمَلُ فِي رِئِيسِ الْقَوْمِ، بِنِ عَالِي بِنِ حَيْدَرَةَ. وَهُوَ فِي الْأَصْلِ، اسْمُ الْأَسَدِ، بِنِ مُحَمَّدِ بِنِ إِدْرِيسِ الْأَزْهَرِ، بِنِ إِدْرِيسِ الْأَكْبَرِ، بِنِ عِبْدِ اللَّهِ الْكَامِلِ، بِنِ الْحَسَنِ الْمَثْنِيِّ، بِنِ الْحَسَنِ السَّبْطِيِّ، بِنِ عَالِي كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. تَوَفَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَهِيداً سَنَةَ 622 هـ، أَوْ فِيمَا بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ. قَالَ ابْنُ خَلْدُونٍ: قَتَلَهُ فِي جَبَلِ الْعَلَمِ قَوْمٌ، بَعَثَهُمْ لِقَتْلِهِ، ابْنُ أَبِي الطَّوْاجِنِ الْكِنَانِيُّ السَّاحِرُ، الْمُدَّعِي النَّبُوَّةَ. وَبَسَبَ هَذِهِ الدَّعْوَةَ، رَحَقَتْ إِلَيْهِ عَسَاكِرُ سَبْتِهِ. وَكَانَ عِنْدَ بَنِي سَعِيدٍ فُقِقْتُ. ثُمَّ قُلْتُ: أَخْبَرَنِي مَنْ أَتَقُّ بِهِ مِنْ بَنِي سَعِيدٍ، أَنَّهُ قَتَلَهُ شَابٌ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الظَّالِمَ كَانَ فَاسِقاً. يَتَعَمَّدُ بَنَاتِ النَّاسِ كَرْهاً، فَتَزِيَا شَابٌ بِزَيِّ النَّسَاءِ، فَلَمَّا اخْتَلَطَ بِهِ فِي خَلْوَتِهِ قَتَلَهُ؛ لِأَنَّ الظَّالِمَ كَانَ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ بِأَخْتِهِ، فَتَزِيَا بِزَيِّ النَّسَاءِ وَأَهْدَى لَهُ، عَلَى أَنَّهُ بِنْتُ. فَقَتَلَهُ بِخُنْجَارٍ. وَكَانَتْ وَقَاتِهِ سَنَةَ خَمْسِ وَعِشْرِينَ وَسِتْمِائَةَ 625 هـ، أَيِ الْقَطْبِ ابْنِ مَشِيْشِ، عَلَى قَوْلِ ابْنِ خَلْدُونٍ. وَوَدِّعَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قِمَّةِ الْجَبَلِ، الْمُسَمَّى بِالْعَلَمِ. قَالَ فِي الْمِيرَاثِ: وَأَثَارُهُ هُنَا كَثِيرَةٌ، مِنْ مَغَارَةِ لِلْخَلْوَةِ وَالْعِبَادَةِ، وَمَسْجِدِهِ، جُدْرَانُهُ قَصِيرَةٌ، وَمَوْضِعُ لَارْتِقَابِ الْفُجْرِ، وَتَحْتِ ضَرِيحِهِ بِنْحُو الْمَيْلِ، عَيْنٌ كَانَ يَتَوَضَّأُ فِيهَا، وَمَقْتَلُهُ فَوْقَهَا بِقَرِيبٍ يُقَالُ: إِنَّهُ تَوَضَّأَ فِيهَا عِنْدَ الْفُجْرِ. وَقَصَدَ الصُّعُودَ لِمَحَلِّ الْعِبَادَةِ، وَارْتِقَابِ الْفُجْرِ، فَقَتَلُوهُ هُنَاكَ. وَمِنْ الشَّائِعِ، أَنَّهُ أَلْقَى عَلَيْهِمُ الضَّبَابَ الْكَثِيفَ، وَوَدِّعُوا إِلَى شَوَاهِقِ الْجِبَالِ. فَتَرَدُّوا مِنْهَا فِي مَهَاوِ سَحِيقَةٍ. فَمَزَّقُوا كُلُّ مُمَزَّقٍ. وَلَمْ يَرْجِعْ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ، وَتَحْتِ هَذِهِ الْعَيْنِ، بِمَسَافَةِ أُخْرَى، رِسُومُ دَارِهِ الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا. قُلْتُ: وَقَدْ وَصَلْتُهَا، وَصَلَيْتُ فِي أَثْرِ مَسْجِدِهِ، قُرْبَ الْعَيْنِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا عَيْنَ الْقَشُورِ عَنْ يَمِينِهَا، وَلَا سَاكِنِ هُنَاكَ الْيَوْمَ، وَإِنَّمَا الْعُمَرَانُ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ، دَائِراً بِهِ، فِي مَدَاشِرِ وَعُمَرَانَ، يَسْكُنُهَا أَهْلُ هَذَا النَّسَبِ الشَّرِيفِ، وَمَعَهُمْ غَيْرُهُمْ. وَكَانَ لَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ أَرْبَعَةٌ: مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَعَبْدُ الصَّمَدِ، وَعِلَّالٌ. وَمِنْ بَنِي وَلَدِهِ مُحَمَّدٍ: بَنُو عَبْدِ الْوَهَّابِ، وَطَائِفَةٌ يَسْمُونُ الرَّحْمُونِيِّينَ، بِقَرْبِ شَفْشَاوَنٍ. وَمِنْ وَلَدِهِ عِلَّالٌ أَوْلَادُ الْفُجْفَجِ، مِنْهُمْ فِرْقَةٌ بِمَرَاكِشِ.

وَلَهُ أَخْوَانٌ: مُوسَى وَيَمْلَاحُ. وَمِنْ بَنِي مُوسَى: الشَّفْشَاوِيُّونَ الْقَاطِنُونَ بِفَاسٍ. وَمِنْ بَنِي يَمْلَاحَ: سَيِّدِي عَبْدُ اللَّهِ بِنِ إِبْرَاهِيمَ، نَزِيلُ وَرَّانٍ. وَلَهُ مِنَ الْأَعْمَامِ سِتَّةٌ: يُونُسُ، وَعَلِيٌّ، وَمَلْهَى، وَمِيمُونُ، وَالْفَتْوحُ، وَالْحَاجُّ. وَمِنْ أَوْلَادِ يُونُسَ: أَوْلَادُ بِنِ رَيْسُونَ. وَأَوْلَادُ بِنِ رَحْمُونٍ، وَأَوْلَادُ مَرِصُوعٍ وَمِنْ الْمَنْقُولِ، عَنْ سَيِّدِي عَبْدِ اللَّهِ الْغَزْوَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَوْضَةَ مَوْلَانَا عَبْدِ السَّلَامِ، مُشْتَمَلَةٌ عَلَى ثَلَاثَةِ قُبُورٍ،

الوسط منهم هُوَ قَبْرُ الشَّيْخِ، والذي خَلَفَ ظَهْرَهُ، قبر ولدِهِ، سَيِّدِي مُحَمَّدٌ، والذي بَيْنَ يَدَيْهِ، قبر خديمه بن خدامة رضي الله عَنْهُمْ. وَيُرْوَى أَنَّ الشَّيْخَ كَانَ يَوْمًا بِإِزَاءِ خَلْوَتِهِ، يَتْلُو الْقُرْآنَ، ومعه تلميذه، الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذِلِي، حتى وصل سورة الْأَنْعَامِ، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ قَدِيدٌ كَكُلِّ عَدَلٍ لَا يُؤَخِّدُ مِنْهَا﴾. فَرَدَّ عَلَيْهِ وَارِدُ إِلَهِي، اِقْطَعُهُ عَنِ حَسَبِهِ، واستغرق فيه مَدَّةً، فلَمَّا أَفَاقَ رَفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ دَاعِيًا. فَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ مِنْ سَبَقَ لَكَ الشَّقَاءَ مِنْكَ فَلَا يَصِلُ إِلَيَّ، وَمَنْ وَصَلَ إِلَيَّ أَكُونُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. اللَّهُمَّ لَا تَبْعَثْ لَنَا مَنْ حَكَمْتَ بِشَقَائِهِ، وَأَمَّا عَلَوْ قَدْرِهِ، وَجَلَالَةُ مَنْصِبِهِ، فَذَلِكَ أَمْرٌ شَهِيرٌ. وَقَدْ تَغْلَغَلَ فِي عِلْمِ الْقَوْمِ؛ الَّتِي مَدَارُهَا عِلْمُ التَّحْقِيقِ، بِأَخْلَاقِ النَّبِيِّ ﷺ، فَتَالَ مِنْ ذَلِكَ الْحِطُّ الْأَوْفَرُ، وَطَرِيقُهُ طَرِيقُ الْغَيْثِ الْأَكْبَرِ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذِلِي: دَخَلْتُ الْعِرَاقَ، وَاجْتَمَعْتُ بِالشَّيْخِ الصَّالِحِ، ابْنِ أَبِي الْفَتْحِ، فَمَا رَأَيْتُ مِثْلَهُ، وَكُنْتُ أَطْلُبُ الْقُطْبَ. فَقَالَ لِي بَعْضُ الْأَوْلِيَاءِ: تَطْلُبُ الْقُطْبَ وَهُوَ بِبِلَادِكَ. ارْجِعْ إِلَى بِلَادِكَ تَجِدْهُ. فَرَجَعْتُ إِلَى الْمَغْرِبِ، إِلَى أَنْ اجْتَمَعْتُ بِأُسْتَاذِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ أَيْضًا: كُنْتُ يَوْمًا بَيْنَ يَدَيَّ أُسْتَاذِي. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ يَعْلَمُ الشَّيْخُ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمِ. فَقَالَ وَلَدِ الشَّيْخِ: يَا أَبَا الْحَسَنِ: لَيْسَ الشَّأْنُ مَنْ يَعْلَمُ وَإِنَّمَا الشَّأْنُ مَنْ يَكُونُ هُوَ عَيْنَ الْأَسْمِ. فَقَالَ الشَّيْخُ: أَصَابَ وَتَفَرَّسَ فِيكَ وَلَدِي يَا أَبَا الْحَسَنِ. وَقِيلَ: كَانَ الْوَلَدُ الْمَذْكُورُ مِنْ ثَلَاثِ سَنِينَ. وَقَالَ أَيْضًا: كُنْتُ فِي سِيَاخَتِي فِي مَبْدَأِ أَمْرِي، حَصَلَ لِي تَرَدُّدٌ، هَلْ أُلْزِمَ الْبِرَارِي وَالْقَفَارَ لِاتْفَرُّغِ لِلطَّاعَةِ وَالْأَذْكَارَ أَوْ أَرْجِعْ إِلَى الْمُدُنِ، لِصَحْبَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَخْيَارِ، فَوُصِفَ لِي وَلِيِّ هُنَاكَ، وَكَانَ بِرَأْسِ جَبَلٍ، فَصَعَدْتُ إِلَيْهِ لَيْلًا، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَا أَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ: فَسَمِعْتَهُ وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ دَخَلَ الْمَعَارَةَ؟ اللَّهُمَّ إِنَّ قَوْمًا سَأَلُوكَ أَنْ تُسَخَّرَ لَهُمْ خَلْقَكَ فَسَخَّرْتَ لَهُمْ خَلْقَكَ فَرَضُوا بِذَلِكَ مِنْكَ، اللَّهُمَّ وَإِنِّي أَسْأَلُكَ اعْوَجَاجَ الْخَلْقِ عَلَيَّ، حَتَّى لَا يَكُونَ مِنْجَا إِلَّا إِلَيْكَ. وَالتَّفَتُّ إِلَى نَفْسِي، وَقُلْتُ: يَا نَفْسِي، انظري مِنْ أَيِّ بَحْرٍ يَغْتَرِفُ هَذَا الشَّيْخُ؟ فَلَمَّا أَصْبَحْتَ، دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَارْتَعَبْتُ مِنْ هَيْبَتِهِ. فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، كَيْفَ حَالُكَ؟ فَقَالَ: أَشْكُو إِلَى اللَّهِ مِنْ بَرْدِ الرُّضَى وَالتَّسْلِيمِ، كَمَا تَشْكُو أَنْتَ مِنْ حَرِّ التَّنْدِيرِ وَالْإِحْتِيَارِ. فَقُلْتُ: أَمَا شَكْوَايَ مِنْ حَرِّ التَّنْدِيرِ وَالْإِحْتِيَارِ، فَقَدْ ذُقْتَهُ، وَإِنِّي الْآنَ فِيهِ، وَأَمَّا شَكْوَاكَ مِنْ بَرْدِ الرُّضَى وَالتَّسْلِيمِ فَمَا ذُقْتَهُمَا. فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ تَشْغَلَنِي حَلَاوَتُهُمَا عَنِ اللَّهِ. فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي سَمِعْتُكَ الْبَارِحَةَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّ قَوْمًا... الخ... فَتَبَسَّمْتُ ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِي عَوْضٍ أَنْ تَقُولَ: سَخَّرَ لِي خَلْقَكَ، قُلْ: يَا

رَبِّ كُنْ لِي . أترى إذا كَانَ لَكَ أَيْفوتك شيء؟ فما هذه الجبانة؟ اهـ . وأمَّا كلامه في الحقائق والوصايا، فقال رضي الله عنه في بعض كَلَامِهِ: «الزَّم الطَّهَارَةَ مِنَ الشُّكُوكِ، كُلَّمَا أَحَدْتَتْ تَطَهَّرْتِ، وَمِنْ تَدَنَسِ الدُّنْيَا، كُلَّمَا مِلْتِ إِلَى شَهْوَةٍ، أَصْلَحْتَ بِالتَّوَجُّهِ، مَا أَفْسَدْتَ بِالْوَهْمِ، أَوْ كَدْتِ، وَعَلَيْكَ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ عَلَى التَّوْقِيرِ وَالتَّزَاهِيَةِ، وَأَدْمِنِ الشَّرْبَ بِكَأْسِهَا، مَعَ السُّكْرِ، كُلَّمَا أَفْقَتِ أَوْ تَيَقَّظْتَ شَرِبْتِ، حَتَّى يَكُونَ سُكْرُكَ وَصُحُوكُ بِهِ . وَحَتَّى تَغِيْبَ بِجَمَالِهِ عَنِ الْمَحَبَّةِ . وَعَنِ الشَّرَابِ، وَالتَّشْرِبِ وَالتَّكَّاسِ بِمَا يَبْدُو لَكَ مِنْ نُورِ جَمَالِهِ، وَقُدْسِ كَمَالِ جَلَالِهِ، وَلَعَلِّي أَحَدْتُ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْمَحَبَّةَ، وَلَا الشَّرْبَ، وَلَا التَّكَّاسَ، وَلَا السُّكْرَ وَلَا الصُّخُورَ» . قَالَ لَهُ الْقَائِلُ: أَجَلْ، وَكَمْ مِنْ غَرِيقٍ فِي الشَّيْءِ لَا يَعْرِفُ بِغَرِيقِهِ . فَعَرَّفَنِي وَنَبَّهَنِي عَلَى مَا أَنَا بِهِ جَاهِلٌ، أَوْ مَا مَرَّ عَلَيَّ وَأَنَا عَنْهُ غَافِلٌ . قُلْتُ: لَكَ نَعَم . الْمَحَبَّةُ أَخْذَةٌ مِنَ اللَّهِ . قُلْتُ: مَنْ أَحَبَّ بِمَا يَكْشِفُ لَهُ مِنْ نُورِ جَمَالِهِ، وَقُدْسِ كَمَالِ جَلَالِهِ . وَشَرِبَ الْمَحَبَّةَ: مَزَجَ الْأَوْصَافَ بِالْأَوْصَافِ، وَالْأَخْلَاقَ بِالْأَخْلَاقِ، وَالْأَنْوَارَ بِالْأَنْوَارِ، وَالْأَسْمَاءَ بِالْأَسْمَاءِ، وَالتَّعُوتَ بِالتَّعُوتِ، وَالْأَفْعَالَ بِالْأَفْعَالِ . وَيَتَسَّخَّرُ فِيهِ النَّظَرُ لِمَنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . وَالتَّشْرِبُ: سَقَى الْقُلُوبَ، وَالْأَوْصَالَ وَالْعُرُوقَ مِنْ هَذَا الشَّرَابِ، وَيَكُونُ الشَّرْبُ بِالتَّذْرِيْبِ بَعْدَ التَّذْرِيْبِ، وَالتَّهْدِيْبِ بَعْدَ التَّهْدِيْبِ، فَيَسْقَى كُلَّ عَلَى قَدْرِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُسْقَى بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَاللَّهُ يَتَوَلَّى ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُسْقَى مِنْ جِهَةِ الْوَسَائِطِ، كَالْمَلَائِكَةِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْأَكْبَارِ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَسْكُرُ بِشَهْوَةِ الْكَأْسِ، وَلَوْ لَمْ يَذُقْ بَعْدَ شَيْءٍ . فَمَا ظَنَّتْكَ بَعْدَ الذَّوْقِ، وَبَعْدَ الشَّرْبِ، وَبَعْدَ الرِّبِّيِّ، وَبَعْدَ السُّكْرِ، وَبَعْدَ الْمَشْرُوبِ . ثُمَّ بِالصَّحْوِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مِقَادِرِ شَيْءٍ . كَالسُّكْرِ أَيْضًا كَذَلِكَ . وَالكَأْسُ: مِعْرِفَةُ الْحَقِّ، يُعْرِفُ بِهَا مِنْ ذَلِكَ الشَّرَابِ الطَّهْوَرِ الْمَحْضِ الصَّافِي، لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُخْلِصِينَ مِنْ خَلْقِهِ . فَتَارَةً يَشْهَدُ الشَّرَابُ بِذَلِكَ الْكَأْسِ صُورَةً، وَتَارَةً يَشْهَدُهَا مَعْنَوِيَةً، وَتَارَةً يَشْهَدُهَا عِلْمِيَةً . فَالْصُّورَةُ حَظُّ الْأَبْدَانِ وَالتَّنْفُوسِ، وَالمَعْنَوِيَةُ حَظُّ الْقُلُوبِ وَالعُقُولِ، وَالعِلْمِيَةُ حَظُّ الْأَرْوَاحِ وَالأَسْرَارِ . فَيَا لَهُ مِنْ شَرَابٍ مَا أَعْدَبَهُ! . فَطَوَّبَى لِمَنْ شَرِبَ مِنْهُ وَدَامَ . وَلَمْ يُقَطِّعْ عَنْهُ . نَسَأَلُ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُوْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ . وَقَدْ تَجَمَّعَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحِبِّينَ، فَيُسْقَوْنَ مِنْ كَأْسٍ وَاحِدَةٍ، وَقَدْ يُسْقَوْنَ مِنْ كُؤُوسٍ كَثِيرَةٍ، وَقَدْ تَخْتَلَفَ الْأَشْرِبَةُ بِحَسَبِ الْكُؤُوسِ، وَقَدْ يَخْتَلَفُ الشَّرْبُ مِنْ كَأْسٍ وَاحِدَةٍ . وَإِنْ شَرِبَ مِنْهُ الْجَمُّ الْعَفِيرُ مِنَ الْأَجْبَةِ اهـ . قُلْتُ: وَقَدْ شَرَّخْتُ هَذَا الْكَلَامَ، فِي شَرْحِنَا لِحَمْرِيَةِ ابْنِ الْغَارِفِ اهـ .

«وَمِنْ وَصَايَاهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لتلميذه أَبِي الْحَسَنِ، قال له: اللهُ اللهُ، والنَّاسُ نَزَهُ لِسَانِكَ عَنْ ذِكْرِهِمْ، وَقَلْبِكَ عَنِ التَّمَائِلِ مِنْ قِبَلِهِمْ. وقل: اللَّهُمَّ اِرْحَمْنِي مِنْ ذِكْرِهِمْ، وَنَجِّنِي مِنْ شَرِّهِمْ، وَاغْنِنِي بِخَيْرِكَ عَنْ خَيْرِهِمْ، وَتَوَلَّنِي بِالْخُصُوصِيَّةِ مِنْ بَيْنِهِمْ. إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» وقال الشيخ أَبُو الْحَسَنِ رضي الله عنه: أَوْصَانِي حَبِيبِي، أَي أَسْتَاذِي مَوْلَانَا عَبْدَ السَّلَامِ بْنِ مَشِيشٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ: لَا تَتَّقُلْ قَدَمَيْكَ إِلَّا حَيْثُ تَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ، وَلَا تَجْلِسْ إِلَّا حَيْثُ تَأْمَنُ غَالِبًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ. وَلَا تَضْحَبْ إِلَّا مَنْ تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ. وَلَا تَصْطَفِي لِنَفْسِكَ إِلَّا مَنْ تَزِدَادُ بِهِ يَقِينًا، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ أَهْلٌ. وَقَالَ أَيْضًا: أَوْصَانِي أَسْتَاذِي فَقَالَ: «لَا تَضْحَبْ مَنْ يُؤَثِّرُ نَفْسَهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّهُ سَتِيمٌ، وَلَا مَنْ يُؤَثِّرُكَ عَلَى نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ قَلٌّ مَا يَدُومُ، وَاصْحَبْ مَنْ إِذَا ذَكَرَكَ، ذَكَرَ اللَّهَ، فَإِنَّهُ يُغْنِي بِهَذَا شُهَدًا، وَيَنْوِبُ عَنْهُ إِذَا فُقِدَ ذِكْرُهُ نَوْرَ الْقَلْبِ، وَمُشَاهَدَتَهُ مِفْتَاحَ الْغُيُوبِ». وَقَالَ أَيْضًا: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ «اهْرَبْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ، أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تَهْرَبَ مِنْ شَرِّهِمْ، فَإِنَّ خَيْرَهُمْ يَصِيبُكَ فِي قَلْبِكَ، وَشَرُّهُمْ يَصِيبُكَ فِي بَدَنِكَ، وَلَأَنْ تُصَابَ فِي بَدَنِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَابَ فِي قَلْبِكَ، وَلَعَدُوُّ تَصِلُ بِهِ إِلَى رَبِّكَ خَيْرٌ مِنْ حَبِيبٍ يَقْطَعُكَ عَنْ رَبِّكَ». وَقَالَ أَيْضًا: سَأَلْتُ أَسْتَاذِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ قَوْلِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشَرُوا وَلَا تُتَفَرَّوْا». فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَلُّوهُمْ عَلَى اللَّهِ، وَلَا تَدْلُوهُمْ عَلَى غَيْرِهِ، فَإِنَّ مَنْ دَلَّكَ عَلَى الدُّنْيَا فَقَدْ عَشَّكَ، وَمَنْ دَلَّكَ عَلَى الْعَمَلِ فَقَدْ أَتْعَبَكَ، وَمَنْ دَلَّكَ عَلَى اللَّهِ فَقَدْ نَصَحَكَ. وَقَالَ أَيْضًا: فَقَدْ سَأَلَنِي أَسْتَاذِي فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ: بِمَاذَا تَلَقَى اللَّهُ؟ فَقُلْتُ بِفَقْرِي، فَقَالَ: لَئِنْ لَقِيتَ اللَّهَ بِفَقْرِكَ لَتَلْقَيْتَهُ بِالصَّنْمِ الْأَعْظَمِ. وَإِنَّمَا يُلْقَى اللَّهُ بِهِ سُبْحَانَهُ، لَا بِشَيْءٍ سِوَاهُ. وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا سَيِّدِي وَطْفٌ عَلَيَّ وَظَائِفٌ وَأُورَادٌ أَعْمَلُ بِهَا. فَقَالَ لَهُ: أَرْسُولُ أَنَا؟! الفرائض مشهورة، والمحرمات معلومة، فكن للفرائض حافظًا، وللمعاصي رافضًا، واحفظ نفسك من حُبِّ الدُّنْيَا، وَحُبِّ النِّسَاءِ وَحُبِّ الْجَاهِ، وإيثار الشهوات، واقنع بما قسم الله لك. إذا أخرج لك مخرج الرُّضَى، فكن فيه شاكراً، وإذا أخرج لك مخرج السُّخْطِ، فكن عليه صابراً، وَحُبِّ اللَّهِ فَطَبِّ تَدُورَ عَلَيْهِ الْخَيْرَاتُ، وَأَصْلُ جَامِعٌ لِأَنْوَاعِ الْكِرَامَاتِ وَحَضْرُ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي أَرْبَعٍ: الْوَرَعِ، وَحُسْنِ النِّيَّةِ، وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ، وَصُحْبَةِ الْعِلْمِ؛ وَلَا تَيْمُّ لَهُ هَذِهِ الْجَمَلَةُ إِلَّا بِصُحْبَةِ أَخٍ صَالِحٍ، أَوْ شَيْخٍ نَاصِحٍ.

أَخَذَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ شَيْخِهِ أَبِي مُحَمَّدٍ، سَيِّدِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَدَنِيِّ، الْمُلَقَّبِ بِالزِّيَّاتِ، لِسُكْنَاهُ بِحَارَةِ الزِّيَّاتَيْنِ، وَكَانَ الشَّيْخُ سَيِّدِي عَبْدَ السَّلَامِ بْنِ مَشِيشٍ

في صُغُرِهِ، انقطع للعبادة في مغارة بِجَبَلِ الْعَلَمِ، بَعْدَ أَنْ أذْرَكَهُ الْجَذْبُ؛ وهو ابن سبع سنين. فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ مُدَّةٍ رَجُلٌ عَلَيْهِ سَيِّمَاتُ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، فَقَالَ: أَنَا شَيْخُكَ الَّذِي كُنْتَ أُمَدُّكَ مِنْ وَقْتِ الْجَذْبِ إِلَى الْآنِ. وَوَصَفَ لَهُ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْمُنَازَلَاتِ وَالْمَعَارِفِ، وَفَضَّلَ لَهُ ذَلِكَ مَقَامًا مَقَامًا، وَحَالًا حَالًا، وَعَيَّنَ لِكُلِّ حَالٍ زَمَنَهُ، ثُمَّ سُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ، هَلْ كَانَ يَأْتِيكَ أَوْ كُنْتَ تَأْتِيهِ؟ فَقَالَ: كُلُّ قَدِّ كَانَ. فَقِيلَ لَهُ: أَطِيًّا لِمَسَافَةِ الْمَكَانِ، أَوْ سَفْرًا. فَقَالَ: طَيًّا. وَأَخَذَ شَيْخَهُ الْمَذْكُورَ، عَنْ عَارِفٍ وَقْتِهِ: الْقَطْبُ تَقِيَّ الدِّينِ الْفَقِيرِ فِيهِمَا، وَهُوَ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ، وَهُوَ عَنِ الْقَطْبِ فَخْرُ الدِّينِ، عَنِ الْقَطْبِ نُورِ الدِّينِ أَبِي الْحُسَيْنِ، عَنِ الْقَطْبِ تَاجِ الدِّينِ، عَنِ الْقَطْبِ شَمْسِ الدِّينِ بِأَرْضِ التُّرْكِ، عَنِ الْقَطْبِ زَيْنِ الدِّينِ الْقَزْوِينِيِّ، عَنِ الْقَطْبِ أَبِي إِسْحَاقَ، إِبْرَاهِيمَ الْبَصْرِيِّ، عَنِ الْقَطْبِ مُحَمَّدَ أَبِي الْقَاسِمِ أَحْمَدَ الْمِزَوَانِيِّ. عَنِ الْقَطْبِ أَبِي مُحَمَّدَ سَعِيدٍ، عَنِ الْقَطْبِ سَعِيدٍ، عَنِ الْقَطْبِ مُحَمَّدِ فَتْحِ السَّعُودِ، عَنِ الْقَطْبِ سَعِيدِ الْغَزْوَانِيِّ، عَنِ الْقَطْبِ أَبِي مُحَمَّدِ جَابِرٍ، عَنِ أَوَّلِ الْأَقْطَابِ، سَيِّدِنَا الْحَسَنِ، عَنِ أَبِيهِ سَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيَتَّصِلُ نَسَبُنَا بِهَذَا الشَّيْخِ، مِنْ طَرِيقِ شَيْخِنَا الْعَارِفِ الْبُرَيْدِيِّ الْحَسَنِيِّ، عَنِ شَيْخِهِ الْعَارِفِ، مَوْلَايِ الْعَرَبِيِّ الدَّرَقَاوِيِّ الْحَسَنِيِّ، عَنِ شَيْخِهِ الْعَارِفِ، سَيِّدِي عَلِيِّ الْعِمْرَانِيِّ الْحَسَنِيِّ، عَنِ شَيْخِهِ الْعَارِفِ سَيِّدِي الْعَرَبِيِّ بِنِ أَحْمَدَ، بِنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ أَبِيهِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ سَيِّدِي قَاسِمِ الْخِصَاصِيِّ، عَنِ الْعَارِفِ بِنِ اللَّهِ، سَيِّدِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَاسِيِّ، عَنِ سَيِّدِي مُحَمَّدَ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَبِيرِ، وَالِدِ سَيِّدِي أَحْمَدَ، وَهُمَا عَنِ الْقَطْبِ سَيِّدِي يَوْسُفِ الْفَاسِيِّ، عَنِ الْعَارِفِ سَيِّدِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَجْدُوبِ، عَنِ شَيْخِهِ سَيِّدِي عَلِيِّ الصَّنَهَاجِيِّ؛ الْمَشْهُورِ بِالْأَدْوَارِ، عَنِ شَيْخِهِ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمِ أَفْحَامَ، عَنِ سَيِّدِي أَحْمَدَ زُرُوقَ، عَنِ شَيْخِهِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بِنِ عَقْبَةَ الْحَضْرَمِيِّ، عَنِ سَيِّدِي يَحْيَى الْقَادِرِيِّ، عَنِ الْقَطْبِ سَيِّدِي عَلِيِّ بِنِ وَفَاءَ، عَنِ وَالِدِهِ سَيِّدِي مُحَمَّدَ بِنِ الصَّفَا، عَنِ سَيِّدِي دَاوُدَ الْبَلْفِيِّ، عَنِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بِنِ عَطَاءِ اللَّهِ، عَنِ الْقَطْبِ سَيِّدِي أَبِي الْعَبَّاسِ الْمَرْسِيِّ، عَنِ الْقَطْبِ سَيِّدِي أَبِي الْحَسَنِ الشَّاذَلِيِّ، عَنِ الْقَطْبِ الْكَبِيرِ الْعَارِفِ الشَّهِيرِ صَاحِبِ التَّصْلِيَةِ؛ الَّذِي قَالَ فِي أَوَّلِهَا: «اللَّهُمَّ». أَي يَا اللَّهُ، حَذَفَتْ أَيْئًا إِزَالَةً لِلْبُعْدِ الَّذِي تَدَلَّ عَلَيْهِ، وَغَوَضَتْ عَنْهَا الْمِيمَ، دَلَالَةً عَلَى الْجَمْعِ، وَلِذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ: مَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ، كَأَنَّمَا دَعَا اللَّهَ بِأَسْمَائِهِ كُلِّهَا؛ لِأَنَّ الْمِيمَ تَدَلَّ عَلَى الْجَمْعِ، كَهُمْ «صَلَّ» أَي تَرَحَّمْ وَتَعَطَّفْ «عَلَى» سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدَ «مَنْ» أَي الَّذِي «مِنْهُ» أَي مَنْ نُورِهِ؛ الَّذِي هُوَ

بذرة الوجود، والسبب في كل موجود. ويحتمل أن تكون من تعليلية، أي من أجله
 ﷺ «انْشَقَّتْ» أي لآحَتْ وظهرت، أو نَبَعَتْ وَانْفَجَرَتْ «الأسرار» أي أسرار الذات
 العالية. وقد كانت قبل ظهور نوره محجوبة باطنية، تجلّى فيها الحق تعالى باسمه
 الباطن، فلما أراد أن يتجلّى باسمه الظاهر، أظهر قبضةً من نوره، فقال: كوني
 محمّداً، فَمِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، تَكُونُتِ الْأَكْوَانُ، مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الْفَرْشِ،
 فما ظهرت أسرار الذات، إلا من تلك القبضة التورانية، فظايرها ذات، وباطنها
 صفات، وبتلك الصفات، وقع التكثيف والتصوير، والتعبير، والتشكيل والتحبير...
 وإلى ذلك أشار بقوله: «وانْفَلَقَتْ» أي من نوره ﷺ، أي انفلقت وظهرت
 «الأنوار» أي أنوار الصفات، وأنوارها: أي آثارها؛ التي ظهرت على ظاهر
 التجليات. من تكثيف وتلطيف، وتقييد وتخصيص، وتشكيل وتمييز، وإعزاز
 وإذلال، وحفض ورُفَع، وقبض وبنسط. وغير ذلك من اختلاف الآثار، وانتقالات
 الأطوار، فهذه كلها من آثار الصفات الأزلية، التي هي القدرة، والإرادة، والعلم،
 والحياة. والصفات لا تفارق الموصوف، لكن لما كانت الصفات لطيفة لا تُدْرِكُ
 أظهرت نفسها في المحسوسات، والذات عين الصفات، والصفات عين الذات،
 أي محلّها واحد، فحيث تجلّت الذات تجلّت الصفات، وحيث ظهرت الصفات،
 ظهرت الذات، فعبّروا عن هذا الكلام بالاتحاد، والعين، فأهل الفرق وهم أهل
 الحجاب، لا يشهدون إلا الصفات، أي أثرها؛ وهم محجوبون عن شهود الذات
 فكل من دخل عالم التكوين، فهو من تلك القبضة، فظايرها الخ... وأهل
 الجمع؛ وهم أهل الجذب والفناء، لا يشهدون إلا الذات، ويعيّنون عن أثر
 الصفات، وأهل البقاء؛ وهم أهل الكمال يشهدون الذات في الصفات، والجمع في
 الفرق، لا يحجبهم جمعهم عن فرقتهم؛ ولا فرقتهم عن جمعهم، يعطون كل ذي
 حقّ حقّه، ويوفون كل ذي قسطٍ قسطه. فكلام الشيخ رضي الله عنه من باب
 الترقّي، فانشقاق الأسرار؛ لأهل الفناء في الذات؛ وهم أهل الجذب والسكر.
 وانفلاق الأنوار؛ لأهل البقاء؛ وهو الرجوع إلى شهود الأثر بالله، وهم أهل السلوك
 بعد جذب والفناء.

ويحتمل أن يريد بقوله: منه انشقت الأسرار. أي أسرار الجبروت، ومنه
 انفلقت الأنوار، أي أنوار الملكوت. أو تقول: منه انشقت الأسرار. أي أسرار
 الحقيقة، وانفلقت الأنوار، أي أنوار الشريعة. أو تقول: منه انشقت الأسرار، أي
 أسرار الإحسان، وانفلقت الأنوار، أي أنوار الإيمان والإسلام. أو تقول: منه

انشقت الأسرار: أسرار عالم الغيب، وانفقلت الأنوار: أنوار عالم الشهادة. أو تقول: منه انشقت الأسرار: أسرار القدرة. وانفقلت الأنوار، أنوار الحكمة.

ويحتمل أن يكون كلامه من باب التذلي، فيكون قدم أولاً مقام أهل الإحسان، من أهل الشهود والعيان. ثم نزل إلى مقام أهل الدليل والبُرهان، وهم أهل شهود أثر الصفات، قبل شهود الذات، فيكون قوله: انشقت الأسرار لأهل الفناء في الذات. وانفقلت الأنوار؛ لأهل الفناء في الصفات؛ قبل الفناء في الذات. فإن عامة المتوجهين، يبتدئون بشهود الأثر، ثم يرتقون إلى شهود المؤثر بالشرعية، ثم بالحقيقة وبالإسلام والإيمان، ثم بالإحسان، وبالعالم الشهادة، ثم عالم الغيب، وبالحكمة ثم القدرة، فيكون أولاً في توحيد الأفعال: لا فاعل إلا الله؛ وهو نهاية الصالحين، ثم في توحيد الصفات: لا حي ولا قادر مريد، ولا سميع، ولا بصير، ولا متكلم إلا الله، ثم في توحيد الذات: لا موجود إلا الله، ثم يزيدون إلى مقام البقاء، وإلى ذلك أشار بعضهم بقوله:

وَيْفَتْنِي ثُمَّ يَفْتِنِي ثُمَّ يَفْتِنِي فَكَانَ فَنَاءُهُ عَيْنَ الْبِقَاءِ

ولقد سمعتُ شيخنا البوزيدي رضي الله عنه يقول: طريقنا ليس فيها إلا فناء: فناء الأفعال، وفناء الذات. وأما فناء الصفات فهو مطوي في فناء الذات؛ وهو كما قال رضي الله عنه، لأن طريق الشاذلية مختصرة، صاحبها أول قدم يضعه في مقام الإحسان فيفتن أولاً في الاسم، ثم في الذات فنهاية الصالحين، بداية العارفين، وكلامنا كله مع من وجد شيخ التربية، وأما من لم يجد فلا كلام معه، إذ لا سبر له.

تنبيه: إنما خصّ تجلّي الذات بالأسرار، وتجلّي الصفات بالأنوار؛ لأن تجلّي الذات لا يدركه إلا الخواص، أو خواص الخواص. ومن شأن السر أن لا يُدركه إلا الأفراد، بخلاف تجلّي الصفات؛ وهو الأثر، فيدركه العام والخاص. كما أن النور كذلك، لا يخفى على أحد، وإنما خصّ أيضاً السر بالشق، والثور بالفلق، لأن الشق يكون أولاً، ثم يقع الفلق ثانياً. تقول: انشقت الإناء إذا لم تنفصل فاحتجبت بلا حجاب، والله درّ القائل:

وَمَا احْتَجَبَتْ إِلَّا بِرَفْعِ حِجَابِهَا وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ الظُّهُورَ تَسْتَرُ

وفي مشاهدتها على ثلاثة أقسام:

قسم يشهدونها بعد مشاهدة الأكوان؛ وهم أهل الجذب والفناء؛ فإذا انفصل، تقول انفلق، كذلك انشقت الأسرار، يكون أولاً لأهل الفناء، وانفلاق الأنوار يكون ثانياً لأهل البقاء بعد الفناء. واعلم أن الأنوار الحسية ثلاثة: نور النجوم، ونور القمر، ونور الشمس. والأنوار المعنوية كذلك: نور الإسلام، كنور النجوم، ونور الإيمان كنور القمر، ونور الإحسان كنور الشمس، أو تقول: نور الفناء في الأفعال كنور النجوم، ونور الفناء في الصفات، كنور القمر، نور الفناء في الذات، كنور الشمس فأول ما يكشف للمريد، نور ضعيف كنور النجوم، فتراه يسقط ويقوم، لخفاء الطريق، تختفي. ثم يبدو له قمر التوحيد. فيقل عتازه. ثم تطلع عليه شمس العرفان، فلا يخفى عليه مكان، وفي ذلك يقول المجذوب رضي الله عنه:

طَلَعَ النَّهَارُ عَلَى الْأَقْمَارِ وَلَا يَبْقَى إِلَّا رَبِّي النَّاسُ زَارَتْ مُحَمَّدٌ وَأَنَا سَكَنْ لِي فِي قَلْبِي
وقال أيضاً:

طَلَعَ النَّهَارُ عَلَى قَلْبِي حَتَّى نَظَرْتَهُ بِعَيْنِيَا
وقال آخر:

إِنَّ شَمْسَ النَّهَارِ تَغْرُبُ بِلَيْلٍ وَشَمْسُ الْقُلُوبِ لَيْسَتْ تَغِيبُ
وقلت في قصيدتي الرائية، في سر الروح:

لطيفة نور في كثافة ظلمة ولكن بذر الشام في ليله يجري
فإن أشرفت شمس النهار تغيبت غياهب ليل عن سما قلبك الدرّي
ألا إن شمس جس تغرب ليلها وليس لشمس الحق من أفل يجري

واعلم أن هذه الأنوار؛ التي انفلقت من نوره عليه السلام، انحجبت بسر الحكمة في حال ظهورها، إذ لا بدّ للحسناء من نقاب، والشمس من سحاب، فاحتجبت بلا حجاب، والله در القائل:

وَمَا احْتَجَبَتْ إِلَّا بِرَفْعِ حِجَابِهَا وَمِنْ عَجَبِ أَنَّ الظُّهُورَ تَسْتُرُ
والناس في مشاهدتها على ثلاثة أقسام:

قسم يشهدونها بعد مشاهدة الأكوان؛ وهم أهل الجذب والفناء، من أهل مقام الإحسان، وإليه أشار بعضهم بقوله: ما رأيت شيئاً، إلا رأيت الله قبله، ولم أره حديثاً، وإما هو من قول بعض العارفين، كالذي قبله. والله تعالى أعلم.

وَقَالَ الشَّيْخُ مَوْلَانَا عَبْدُ السَّلَامِ لِتَلْمِيذِهِ أَبِي الْحَسَنِ: «حَدِّدْ بَصَرَ الْإِيمَانِ، تَجِدِ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَعِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَحْتَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَرِيباً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَحِيطاً بِكُلِّ شَيْءٍ، بِقُرْبٍ هُوَ وَصَفُهُ، وَبِإِحَاطَةٍ هِيَ نَعْتُهُ. وَعُدَّ عَنِ الظَّرْفِيَّةِ وَالْحُدُودِ، وَعَنِ الْأَمَاكِينِ وَالْجِهَاتِ، وَعَنِ الصَّحْبَةِ، وَالْقُرْبِ فِي الْمَسَافَاتِ، وَعَنِ الدُّورِ بِالْمَخْلُوقَاتِ، وَامْتَحَقِ الْكُلَّ، بِوَضْفِهِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ، وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَهُوَ هُوَ هُوَ. كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ». وَقَوْلُهُ: حَدِّدْ بِحَاءٍ مَهْمَلَةً، أَي صِيفٍ، وَقَوْلُهُ: وَامْتَحَقِ، هُوَ بِالْمِيمِ مِنَ الْمُحَقِّ؛ وَهُوَ الْمُحَقُّ وَالْإِضْمِخْلَالُ، وَبِأَقْبِي كَلَامِهِ ظَاهِرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْأَذْوَاقِ، نَفَعَنَا اللَّهُ بِذِكْرِهِمْ، وَخَرَطْنَا فِي سِلْكِهِمْ آمِينَ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَفِيهِ»: أَي فِي سَمَاءِ قَلْبِهِ الصَّافِي «ارْتَقَتْ»: أَي ارْتَفَعَتْ وَأَشْرَقَتْ شُمُوسُ «الْحَقَائِقِ» الْعِرْفَانِيَّةِ؛ وَالْأَشْرَاقُ الرَّبَّانِيَّةِ، وَالْعُلُومُ الدُّنْيَا. شَبَّهَ قَلْبَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بِسَمَاءٍ صَاحِبِيَّةٍ. أَشْرَقَتْ فِيهَا شُمُوسٌ كَثِيرَةٌ، فَاُمْتَلَأَتْ بِالْأَنْوَارِ. وَلِذَلِكَ جَمَعَ الْحَقِيقَةَ، وَإِنْ كَانَتْ فِي الْأَصْلِ وَاحِدَةً؛ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، اجْتَمَعَ فِيهِ مِنَ الْحَقَائِقِ، مَا افْتَرَقَ فِي غَيْرِهِ. فَكَانَ بَاطِنُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مَعْمُوراً بِأَنْوَارِ الْحَقَائِقِ، وَظَاهِرُهُ مَعْمُوراً بِأَنْوَارِ الشَّرَائِعِ، فَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَعْطَاهُ اللَّهُ الْقُوَّةَ مِنَ الْجِهَتَيْنِ: ظَاهِرُهُ مَعْمُوراً بِالشَّرَائِعِ، وَبَاطِنُهُ مَعْمُوراً بِالْحَقَائِقِ. وَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَوْ لِمَنْ كَانَ عَلَى قَدَمِهِ ﷺ، مِمَّنْ أَهَلَهُ اللَّهُ لِلْإِقْتِدَاءِ بِهِ. وَيَكُونُ هَذَا بَعْدَ التَّمَكِينِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ شَيْخَ شَيْخِنَا مَوْلَايَ الْعَرَبِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: لَا تَجْتَمِعُ مَجَاهِدَةٌ وَمَشَاهِدَةٌ، إِلَّا فِي رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى قَدَمِهِ ﷺ، وَاعْتَرَضَ قَوْلَ الشَّيْخِ الْيُوسُفِيِّ فِي بَعْضِ أَدْعِيئِهِ: وَزَيْنَ الظَّاهِرِ بِالْمَجَاهِدَةِ، وَزَيْنَ الْبَاطِنِ بِالْمَشَاهِدَةِ. إِذْ لَا مَجَاهِدَةَ فِي الظَّاهِرِ، قَبْلَ مَشَاهِدَةِ الْبَاطِنِ، كَمَا تَقَدَّمَ. وَقَالَ شَيْخُ شَيْوَحْنَا سَيِّدِي عَلِيُّ الْجَمَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْوَلِيُّ الْكَامِلُ؛ هُوَ الَّذِي يَكُونُ ظَاهِرُهُ مَعْمُوراً بِالشَّرَائِعِ، وَبَاطِنُهُ مَعْمُوراً بِالْحَقَائِقِ. قُلْتُ: وَهَذَا قَلِيلٌ. وَعَلَى تَقْدِيرِ وَقُوعِهِ: تَكُونُ عِبَادَةُ اللَّهِ مَعْمُولاً فِيهَا بِالْقُدْرَةِ، فَلَا مَجَاهِدَةَ لَهُ فِيهَا الْبِتَّةِ. وَالغَالِبُ عَلَى أَهْلِ الْبَاطِنِ خِفَاءُ أَعْمَالِهِمْ؛ لِأَنَّهَا قَلْبِيَّةٌ: بَيْنَ فِكْرَةٍ وَنَظَرَةٍ، وَشَهُودٍ وَعِبْرَةٍ، لَا يَزِيدُونَ عَلَى الْفَرَائِضِ إِلَّا مَا تَيْسَّرَ. ثُمَّ يَسْتَعْرِقُونَ فِي الْفِكْرَةِ وَالنَّظَرَةِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ. سَاعَةٌ مِنْهَا تَفْضُلُ عِبَادَةِ سَنَةٍ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ. وَفِي رِوَايَةِ سَبْعِينَ سَنَةً. وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا، أَنَّ الْأَوَّلَ فِي فِكْرَةِ أَهْلِ الْحِجَابِ، وَالثَّانِي فِي فِكْرَةِ أَهْلِ الْعِرْفَانِ. وَفِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ:

كُلُّ وَفِيٍّ مِنْ حَبِيبِي قَدْرُهُ كَأَلْفِ حَجَّةٍ

أي: سنة. وقال أبو العباس المُرسي، رضي الله عنه: قَوْمٌ أَقَامَهُمُ اللهُ لخدمته، وقَوْمٌ اخْتَصَّهُمُ لِمَحَبَّتِهِ. «كُلًّا نَمِدُّ، هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ، وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا». فأهل المحبة، هم أهل الفكرة، وأهل الخدمة، هم أهل العبادة الظاهرة. أو تقول: أهل المحبة هم أهل العبادة القلبية. وأهل الخدمة؛ هم أهل العبادة الخارجية. أو تقول: أهل المحبة، هم أهل العبادة المعنوية، وأهل الخدمة هم أهل العبادة الحسية. والحاصل: أن عمل الشريعة، لا بُدَّ له أن يعتبر الحقيقة. والحقيقة لا بُدَّ أن تعتبر الشريعة. إلا ما لا بُدَّ منه. ومَنْ قال خِلافَ هذا؛ فهو جاهل بعلم الباطن. وقد رأيت في قوت القلوب؛ لأبي طالب المكي، رضي الله عنه. أن بعض العارفين قال له المَلِكُ الَّذِي يَكْتُبُ أَعْمَالَهُ: يَا سَيِّدِي، فَرَحْنَا بِشَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِكَ، أَي ظَهَرَهُ لَنَا، نَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى رَبِّنَا. فَقَالَ لَهُ: أَمَا يَكْفِيكَ الصَّلواتُ الخَمْسُ. وانظر قول الشاعر؛ وهو الحلاج:

قلوب العارفين لها عيون
والسنة بأشرار ناجي
وأجنحة تطير بغير ريش
وقد ديلناه ببينين آخزين فقلت:

وأفئدة تهيم بعشوق وجد
فإن أزدت ذلك ذي المعاني
ترى ما لا يرى للناظرين
تغيب عن الكرام الكاتبين
إلى ملكوت رب العالمين

فهذه عبادة العارفين المحققين، باطنية خفية. ولذلك اختلفوا عن كثير من الناس. فلا يعرفهم إلا من أَرَادَ اللهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ بِهِمْ، ثُمَّ أَشَارَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الْعِلْمِ الظَّاهِرِ؛ الَّذِي عَلِمَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «وَتَنَزَّلَتْ» فِي قَلْبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِالْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ «عُلُومُ آدَمَ» عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ أَي أَلْهَمَهُ اللهُ، وَاللَّيْ فِي فِطْرَتِهِ مَعْرِفَةَ الْأَشْيَاءِ كُلَّهَا، وَلِغَاتِ الْأَلْسُنِ كُلَّهَا، مِنْ عَرَبِيَّةٍ وَسِيْرِيَانِيَّةٍ وَغَيْرِهِمَا، مِمَّا تَكَلَّمَ بِهِ أَوْلَادُهُ، وَكَذَلِكَ نَبَّيْنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ، عَلِمَهُ اللهُ أَسْمَاءَ الْأَشْيَاءِ وَمَسْمِيَّاتِهَا وَزَادَ مَعْرِفَةَ خَوَاصِّهَا وَمَنَافِعِهَا. وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَعْرِفُ لُغَاتِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَغَيْرِهِمَا، فَكَانَ يُخَاطِبُ كُلَّ قَوْمٍ بِلُغَتِهِمْ، وَيَكْتُبُ إِلَيْهِمْ بِعُزْبِ كَلَامِهِمْ. وَقَدْ أَطْلَعَهُ اللهُ تَعَالَى، عَلَى عُلُومِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَشَرَائِعِهِمُ الدَّرَاسَةِ، وَأَخْبَارِهِمُ الْمَاضِيَةِ، وَعَلِمَ مَا يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْوَقَائِعِ. وَمَا

يَلْقَوْنَ مِنَ الْمَصَائِبِ وَالْفَجَائِعِ، وَحَصَّهُ اللهُ بِأَسْرَارٍ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ. وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يَخْصُ قَوْمًا بِأَسْرَارٍ لَمْ يَفْشِهَا لِغَيْرِهِمْ. حَتَّى قَالَ الْفَارُوقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعَهُ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُمَا يَتَكَلَّمَانِ فِي عِلْمِ السِّرِّ، وَفِي عِلْمِ التَّوْحِيدِ، فَأَكُونُ بَيْنَهُمَا كَالزَّنَجِيِّ، لَا أَعْرِفُ مَا يَقُولَانِ. قَالَ سَيِّدِي عَبْدُ الْوَارِثِ، فِي شَرْحِ الْمَبَاحِثِ: كَانَا أَوَّلَ مَرَّةٍ يَتَكَلَّمَانِ فِي عِلْمِ السِّرِّ، فَإِذَا دَخَلَ عَمْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَمْسَكَا. ثُمَّ أَشْرَكَاهُ فِي الْمَذَاكِرَةِ. فَإِذَا دَخَلَ عَثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَمْسَكُوا، ثُمَّ أَشْرَكَوهُ فِي الْمَذَاكِرَةِ، فَإِذَا دَخَلَ عَلِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَمْسَكُوا، ثُمَّ أَشْرَكَوهُ فِي الْمَذَاكِرَةِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: كَانَ عَلِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَفْهَمُ تِلْكَ الْأَسْرَارَ، قَبْلَ أَنْ يَشْرُكَوهُ فِي الْمَذَاكِرَةِ. وَاللهُ أَعْلَمُ. وَهَذِهِ الْأَسْرَارُ لَيْسَتْ مِنْ عِلْمِ الظَّاهِرِ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ عِلْمِ الْبَاطِنِ، فَحَقُّهَا أَنْ تُذَكَّرَ عِنْدَ قَوْلِهِ: «وَفِيهِ ارْتَقَتْ الْحَقَائِقُ». لَكِنْ انْتَجَرَ الْكَلَامَ إِلَيْهَا فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ. فَلَا مُرَّ قَرِيبٌ، إِذْ إِنَّ عِلْمَ الْبَاطِنِ، لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ الظَّاهِرِ؛ وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِإِصْلَاحِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ. فَالْعُلُومُ ثَلَاثَةٌ: عِلْمٌ يَتَعَلَّقُ بِإِصْلَاحِ الظَّاهِرِ، وَيُسَمَّى عِلْمَ الشَّرِيعَةِ، وَعِلْمُ الْحِكْمَةِ، وَعِلْمٌ يَتَعَلَّقُ بِإِصْلَاحِ الْبَاطِنِ؛ وَيُسَمَّى عِلْمَ التَّصَوُّفِ، وَعِلْمُ الطَّرِيقَةِ. وَهُمَا كَسْبِيَانِ، وَعِلْمٌ مَوْهُوبٌ، وَيُسَمَّى عِلْمَ الْحَقِيقَةِ؛ وَهُوَ الثَّمَرَةُ وَالْغَايَةُ. فَكُلَّ عِلْمٍ لَا يُلْتَمَسُ صَاحِبُهُ لِعِلْمِ الْحَقِيقَةِ؛ فَهُوَ نَاقِضٌ. إِذْ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ. وَثَمَرَةُ الْعَمَلِ الْحَالُ. وَثَمَرَةُ الْحَالِ الذُّوقُ وَالوُجُودَانُ؛ وَهُوَ نِهَآيَةُ الْعِرْفَانِ. وَلَا بُدَّ مِنْ شَيْخٍ مُرَبٍّ، يَنْقُلُ الْمُرِيدَ مِنْ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ، إِلَى عِلْمِ الطَّرِيقَةِ، مَعَ تَحْقِيقِ الشَّرِيعَةِ. وَالْأَبْقَى فِي أَحَدَهُمَا عَلَى الدَّوَامِ. وَالشَّرِيعَةُ: تَصْلِيحُ الظُّوَاهِرِ، وَالطَّرِيقَةُ تَصْلِحُ الضَّمَائِرَ. وَالْحَقِيقَةُ تَصْلِحُ السَّرَائِرَ. أَوْ تَقُولُ: الشَّرِيعَةُ أَنْ تَعْبُدَهُ. وَالطَّرِيقَةُ أَنْ تَقْصِدَهُ. وَالْحَقِيقَةُ أَنْ تَشْهَدَهُ. أَوْ تَقُولُ: الشَّرِيعَةُ لِلطَّلَابِينَ. وَالطَّرِيقَةُ لِلسَّائِرِينَ. وَالْحَقِيقَةُ لِلوَاصِلِينَ. أَوْ تَقُولُ: الشَّرِيعَةُ لِطَلَابِ الْأَجُورِ. وَالطَّرِيقَةُ لِطَلَابِ الْحُضُورِ. وَالْحَقِيقَةُ لِرَفْعِ السُّتُورِ. أَوْ تَقُولُ: الشَّرِيعَةُ لِلْعَوَامِّ. وَالطَّرِيقَةُ لِلخَوَاصِّ. وَالْحَقِيقَةُ لِخَوَاصِّ الخَوَاصِّ. وَمَرْجِعُ الشَّرِيعَةِ إِلَى امْتِثَالِ الْأَمْرِ، وَاجْتِنَابِ النَّهْيِ. وَمَرْجِعُ الطَّرِيقَةِ، إِلَى تَخْلِيَةٍ وَتَحْلِيَةٍ. فَالتَّخْلِيَةُ: التَّطْهِيرُ مِنَ الرَّذَائِلِ. وَالتَّحْلِيَةُ: الاتِّصَافُ بِالْفَضَائِلِ. وَإِنْ سُنَّتْ قَلَّتْ التَّخْلِيَةُ: هِيَ التَّنَزُّهُ عَنْ أَخْلَاقِ الْبَهَائِمِ وَالشَّيَاطِينِ. وَالتَّحْلِيَةُ: التَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِ الرُّوحَانِيِّينَ. فَأَخْلَاقُ الْبَهَائِمِ: الْإِهْتِمَامُ بِالْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالنِّكَاحِ، وَأَخْلَاقُ الشَّيَاطِينِ: الْحَسَدُ وَالْمَكْرُ، وَالخَدِيعَةُ، وَالغِشُّ، وَالْكِبْرُ، وَالغَضَبُ، وَالْحَدَّةُ، وَالقَلْقُ، وَالشُّحُّ. وَالْفِظَاطَةُ وَالْقَسْوَةُ، وَحُبُّ الْجَاهِ، وَالْمَالِ، وَالرِّيَاسَةِ

وغير ذلك مما لا يُخصى. حتى قال بعضهم: «للنفس من الثفائص، ما لله من الكمالات». والله أعلم. وأخلاق الرُوحانيين: سلامة الصدر، وسخاوة النفس، وحسن الخلق، والتواضع، والحلم، والتأني، والسكينة، والطمأنينة، والشفقة والرخصة، والسهولة والليونة، وغير ذلك من الكمالات. فمن جمع هذه العلوم؛ فهو النجم الثاقب. ومن اكتفى بأحدها فهو ناقص وساقط. فمن تشرع ولم يتحقق فهو فاسق. إذ لا يخلو من منازعة المقادير. واعتراضه على الواحد القادر. ومن تحقق ولم يتشرع، فهو زنديق، بإبطاله الأحكام، وتعطيل الحكمة، ومن جمع بينهما فقد تحقق، لقيامه بالقدرة مع الأدب والحكمة. وفي التحقيق: ما تم إلا الحقيقة. إذ لا فاعل إلا الله، ولا موجود سواه. غير أن ما يبرز من عنصير القدرة، إن كان موافقاً للحكمة، سمي شريعة وطاعة، ويسمى أيضاً حقيقة نورانية، وإن كان مخالفاً، سمي معصية. ويسمى أيضاً حقيقة ظلمانية، فالكل منه وإليه. قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾. فالحقيقة عين الشريعة، والشريعة عين الحقيقة. إذ كلاً منهما مأمور بهما، والله در القائل في مدح النبي ﷺ حيث قال:

يَا زَيْنَ الْخَلَائِقِ يَا عَيْنَ الْحَقِيقَةِ حَقَّقْتَ الْحَقَائِقَ وَكَانَتْ وَثِيقَهُ

فالإنسان كله، باطنه قدرة، وظاهره حكمة، فإن برز من القدرة ما يوافق الحكمة كان حقيقة نورانية، وكانت علامة على سعادة العبد، وإن برز من القدرة ما يخالف الحكمة كان حقيقة ظلمانية، وكان علامة على عقوبة العبد، إلا أن يظهر حلمه، وبالله التوفيق. وحيث اجتمع في نبينا عليه الصلاة والسلام الحقائق، وعلم التشريع، وعلوم الأولين، والآخرين، عجز الناس عن معرفته، ولذلك قال: «فَاعْجَزَ الْخَلَائِقُ» أي: صيّرهم عاجزين عن فهمه. فوجب الإذعان والإنقياد لحكمه. كما انفادت الملائكة بالسجود، حيث عجزت عن إذرالك علمه. وقد قالت الصحابة رضي الله عنهم، لما رأوا الغنم سجدت له في قصة البستان: يا رسول الله، نحن أحق بالسجود لك منها. فقال ﷺ: «لو كان أحد سجد لأحد أو لو أمرت أحد أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها». فالسجود إنما يكون لله. وأما آدم، فكان قبلة. والمقصود بالسجود هو الله الذي أمر به. ثم قرر العجز

المتقدم وبيئته بقوله «ولَهُ» أي وعنه «تضاءلت» أي تقاصرت وتصاصرت، أو تلاشت واضمحلت «الفهوم»: جمع فهم. أي فهوم العباد، فلم يقدر أحد أن يفهم ما خصه الله به من الأسرار الإلهية، والمواهب الباطنية؛ لأنهم لم يروا إلا خياله الظاهر. وأما الباطن فلم يعلمه إلا خالقه الذي خصه الله به. وفي بعض الأحاديث: «والله ما عرفني حقاً غير ربِّي». والله در البوصيري حيث قال:

وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ قَوْمٌ نِيَامَ تَسَلُّوا عَنْهُ بِالْحُلْمِ
ولذلك قال الشيخ رضي الله عنه: «فلم يدركه منّا» معشر الخلائق. «سابق». عليه في مظهره الشخصي. «ولاً لأحق» بغد وجوده الجسدي. بل كلهم كلت فهومهم، وتقاصرت علومهم عن الإحاطة بالحقيقة المحمدية. ويحتمل بالسباق: من سبق في زمانه عليه الصلاة والسلام. كالصحابه رضي الله عنهم. وباللاحق. من أتى بعدهم. إذ كلهم سواء في العجز عن إدراكه ﷺ. ولذلك قال أويس القرني: «والله ما رأى أصحاب محمد من محمد ﷺ، إلا قشرة الظاهر، وأما الباطن فلم يعرفه أحد. فليل له: ولو ابن أبي قحافة. قال: ولو ابن أبي قحافة. والمراد: نفى الإحاطة بمعرفة سره عليه الصلاة والسلام. وأما إدراك البعض، فلهم في ذلك نصيب، على قدر تفاوتهم في معرفة الله. وكذلك الأولياء رضي الله عنهم، فمنهم من يدرك شيئاً من سره عليه السلام، ومنهم من يدرك روجه. ومنهم من يدرك عقله، ومنهم من يدرك نفسه عليه الصلاة والسلام. فأهل الرسوخ والتمكين، يُدركون سره عليه الصلاة والسلام. ولا يغيب عنهم طرفة عين. كالمُرسي وأمثاله. وأهل الشهود والعيان من السائرين، يدركون روجه عليه الصلاة والسلام. وأهل المراقبة من أهل الإستشراق، يُدركون عقله عليه الصلاة والسلام. وأهل الحجاب من أهل الدليل والبرهان، إنما يدركون نفسه ومظهره الشخصي فيرونه مُحَيَّرًا في صورته التي كان عليها ﷺ في الدنيا، مناماً أو يقظة، على قدر فئتهم فيه ﷺ؛ وهم على مراتب: وأما تمثيل بعضهم له، كالخروبي، ومن تبعه لهذا الحديث، بالصحابه رضي الله عنهم. فلعل ذلك كان في زمانه عليه الصلاة والسلام. والله أعلم.

وقد سمعت شيخ شيخنا مولاي العربي يقول: لقيتني عالمان من علماء فاس بمسجد القرويين. فقالا لي: كيف يقول أبو العباس المرسي: «ما غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين». كيف يكون ذلك؟ فقال رضي الله عنه: قلت لهم: «يا هؤلاء،

أُولَئِكَ السَّادَةُ، كَانَتْ أَفْكَارُهُمْ فِي عَالَمِ الْمَلَكُوتِ، وَهُوَ عَالَمُ الْأَرْوَاحِ، وَفِيهِ أَرْوَاحُ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، وَلَمْ تَكُنْ أَفْكَارُهُمْ فِي عَالَمِ الْأَشْبَاحِ، وَهُوَ عَالَمُ الْمُلْكِ. قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: وَهَلْ تَذَرُونَ أَيْنَ هُوَ عَالَمُ الْأَرْوَاحِ؟ عَالَمُ الْأَرْوَاحِ هُوَ حَيْثُ عَالَمُ الْأَشْبَاحِ، ثُمَّ قَمْتُ عَنْهُمْ» اهـ. قُلْتُ: الْآنَ الْمَحَلُّ وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا تَخْتَلِفُ النَّظَرَةُ، فَأَهْلُ الْبَصِيرَةِ لَا يَرَوْنَ إِلَّا الْمَلَكُوتَ؛ وَهُوَ عَالَمُ الْأَرْوَاحِ، وَأَهْلُ الْبَصَرِ، لَا يَرَوْنَ إِلَّا الْمُلْكَ؛ وَهُوَ عَالَمُ الْأَشْبَاحِ. وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْخُ بِقَوْلِهِ: «فَرِيَاضُ» جَمْعُ رَوْضٍ؛ وَهُوَ مَحَلُّ النَّزْهَةِ، لِإِسْتِمَالِهِ عَلَى نُورٍ وَأَزْهَارٍ، وَمِيَاهٍ وَخُضْرَةٍ. «الْمَلَكُوتُ» هُوَ فِي اضْطِلَاحِ الصُّوفِيَّةِ، مَا يُدْرِكُ بِالْبَصِيرَةِ وَالْعِلْمِ. كَمَا أَنَّ الْمُلْكَ مَا يُدْرِكُ بِالْبَصَرِ وَالْوَهْمِ. أَوْ تَقُولُ الْمَلَكُوتُ: مَدْرِكُ أَهْلِ الْجَمْعِ. وَالْمُلْكَ: مَدْرِكُ أَهْلِ الْفُرْقِ. أَوْ تَقُولُ: الْمُلْكَ مَا ظَهَرَ. وَالْمَلَكُوتُ مَا بَطَنَ. فَالْمَلَكُوتُ: مَدْرِكُ أَهْلِ الشُّهُودِ وَالْعِيَانِ. وَالْمُلْكَ: مَدْرِكُ أَهْلِ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ. «بَرْهَرٌ» جَمْعُ زَهْرَةٍ؛ وَهِيَ التَّوَارِيقُ الَّتِي تُفْتَحُ فِي زَمَانِ الرَّبِيعِ. «جَمَالِيَّةٌ» مَوْنِقَةٌ أَي مَعْجَبَةٌ، وَرِيَاضُ الْمَلَكُوتِ، مِنْ إِضَافَةِ الْمَشَبِّهِ بِهِ لِلْمُشَبَّهِ. شَبَّهَ الْمَلَكُوتَ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ نَزْهَةِ الْعَارِفِينَ بِرِيَاضٍ مُشْتَمَلَةٍ عَلَى أَزْهَارٍ وَنُورٍ وَخُضْرَةٍ وَجَمَالٍ، لَا يَتِمُّ جَمَالُهَا، وَلَا يَظْهَرُ نُورُهَا إِلَّا بِاتِّبَاعِ الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ. وَإِلَّا كَانَتْ حَقِيقَةُ ظُلْمَانِيَّةٍ، فَالْكُونُ الَّذِي هُوَ الْمُلْكَ كُلُّهُ ظُلْمَةٌ. وَإِنَّمَا أَنَارَهُ ظَهُورُ الْحَقِّ فِيهِ. فَصَارَ كُلُّهُ نُورًا. وَمَنْ لَمْ يُدْرِكْ نُورَ الْحَقِّ فِيهِ، صَارَ فِي حَقِّهِ ظُلْمَةً. وَكَانَ مُلْكًا. وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَظْهَرَ الْحَقُّ فِيهِ إِلَّا بِالسُّلُوكِ عَلَى الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ. عَلَى يَدِ شَيْخٍ عَارِفٍ بِدَقَائِقِهَا وَأَسْرَارِهَا وَحَقَائِقِهَا الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ. وَإِلَّا بَقِيَ مَعَ ظُلْمَةِ الْأَكْوَانِ، وَسِجْنِ الْأَوْهَامِ. «وَجِيَاضُ» جَمْعُ حَوْضٍ؛ وَهُوَ مَحَلُّ اجْتِمَاعِ الْمَاءِ كَالصَّهْرَبِيِّجِ. «الْجَبْرُوتِ»: وَهُوَ مَا يُدْرِكُ بِالْعَقْلِ وَالْفَهْمِ، أَوْ بِالْبَصِيرَةِ وَالْعِلْمِ. لَكِنْ فِي ثَانِي حَالٍ، أَي بَعْدَ مَعْرِفَةِ الْمَلَكُوتِ.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ الْمُلْكَ وَالْمَلَكُوتَ وَالْجَبْرُوتَ مَحَلُّهَا وَاحِدٌ؛ وَهُوَ الْوُجُودُ الْأَصْلِيُّ؛ وَالْفُرْعِيُّ، لَكِنْ تَخْتَلِفُ التَّسْمِيَةُ، بِاخْتِلَافِ النَّظَرَةِ. وَتَخْتَلِفُ النَّظَرَةُ، بِاخْتِلَافِ التَّرْقِي فِي الْمَعْرِفَةِ. فَمَنْ نَظَرَ الْكُونَ وَرَأَاهُ كَوْنًا مُسْتَقِلًّا بِنَفْسِهِ فَائِمًا بِقُدْرَةِ اللَّهِ. وَلَمْ يُكْشَفْ لَهُ عَنْ رُؤْيِيَّةِ صَانِعِهِ فِيهِ، سُمِّيَ فِي حَقِّهِ مُلْكًا؛ لظُهُورِ تَصَرُّفِ الْقُدْرَةِ فِيهِ، وَوُجُودِهِ؛ وَهِيَ لَا حَقِيقَةَ لَهَا عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ. وَلِذَلِكَ لَمْ يُدْرِكْهُ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَكَانَ صَاحِبَ هَذِهِ الرُّؤْيِيَّةِ مُخْجُوبًا لِوُقُوفِهِ مَعَ الْوَهْمِ، وَمَنْ فَتَحَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُ، وَنَفَذَ إِلَى شُهُودِ الْمَكُونِ فِي الْكُونَ، أَوْ قَبْلَهُ، سُمِّيَ فِي حَقِّهِ مَلَكُوتًا. وَكَانَ صَاحِبَ هَذِهِ الرُّؤْيِيَّةِ عَارِفًا مُفْتَوِحًا عَلَيْهِ. فَإِن تَفَدَّتْ بَصِيرَتُهُ، إِلَى شُهُودِ أَصْلِ الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ؛ وَهِيَ

العظمة الأزلية اللطيفية، قَبْلَ أَنْ تَتَجَلَّى وَتُعْرَفَ . وقد أشار إِلَيْهَا ابن الفارض بقوله :

صَفَاءَ وَلَا مَاءَ وَلَطْفَ وَلَا هَوَىٰ وَنُورَ وَلَا نَارَ، وَرُوحَ وَلَا جِسْمَ
تَقَدَّمَ كُـلَّ الْكَائِنَاتِ حَدِيثُهَا قَدِيمًا وَلَا شَكْلَ هُنَاكَ وَلَا رَسْمَ
وَقَامَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ ثُمَّ لِجِحْمَةٍ بِهَا اخْتَجَبَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لَأَلَهُ فَهَمَّ

سُمِّيَ ذَلِكَ جَبْرُوتًا، وَمَنْ نَظَرَ إِلَى نَفُودِ الرَّحْمَةِ السَّابِقَةِ، فِي الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا،
وهي نِعْمَةُ الْإِلْحَادِ وَنِعْمَةُ الْإِمْدَادِ. سُمِّيَ ذَلِكَ رَحْمُوتًا. فصارت العوالم أَرْبَعَةً:
مُلْكًا وَمَلَكُوتًا، وَجَبْرُوتًا، وَرَحْمُوتًا. وَقَدْ نَظَّمْتُ قَصِيدَةَ تَلِيْقِ هُنَا، وَهَذَا بَعْضُ
مِنْهَا، فَقُلْتُ :

إِذَا حَبَسْتَ نَفْسَ فِي سِجْنِ الْهَوَى الَّذِي تَقْسِيْدَ بِهِ الْعَقْلُ فِي قَهْرِ قَبْضَةٍ
وَأَشْغَلَهَا عِلْمُ الصَّوَانِ لِجِحْمَةٍ فَلَمْ تَرَ إِلَّا الْكُونَ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
فَذَلِكَ عَيْنُ الْمُلْكِ وَهُمْ تُبُوْثُهَا وَنَاظِرُهُ الْمَخْجُوبُ فِي سِجْنِ ظُلْمَةٍ
وَإِنْ نَفَذْتَ رُوحَ الْمُقَدَّسِ سِرُّهُ إِلَى ذَلِكَ سِرِّ الدَّاتِ خَلْفَ الْأَيْتَةِ
وَتَعْنِي بِهَا سِرُّ الْمَعَانِي الَّذِي سَرَى فِي كُلِّ الْأَوَانِي عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِيْقَةِ
فَذَا مَلَكُوتُ اللَّهِ يُسَمَّى لِوَسْعِهِ وَعَارِفُهُ يَحْطَى بِفَتْحِ بَصِيْرَةٍ
وَإِنْ سَبَحْتَ بِخَرِّ اللَّطَافَةِ وَالْهِنَا وَأَضَلَّ الْأَصُولَ وَالْفُرُوعَ بِفِكْرَةٍ
فَذَا بَحْرٌ مَا لَا يَحِيْطُ بِهِ الْفَتَى وَلَكِنْ يَخُوفُ مِنْهُ فِي ظَرْفِ لُجَّةٍ

وَالْعَوَالِمُ⁽¹⁾ إِنْ حَقَّقْتَهَا خَمْسَةٌ: مَلَكًا وَمَلَكُوتًا، وَجَبْرُوتًا، وَلاهُوتًا،
وَرَحْمُوتًا. بِإِضَافَةِ الْفُرُوعِ إِلَى الْأَصُولِ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْقَائِلُ :

وَإِنْ أُلْجِئْتَ كُلَّ الْفُرُوعِ بِأَضْلِيلِهَا وَخَاضَتْ بِحَارِ الْجَمْعِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
فَذَاكَ الَّذِي يُسَمَّى بِالْأَهْوَاتِ سِرُّهُ وَعَارِفُهُ حَقًّا يُهَيِّئُ بِمُسْكَنَةٍ
وَإِنْ نَظَّرْتَ أَهْلَ الْإِلْحَادِ بِرَحْمَةٍ وَجَزَيْتَهَا فِي الْأَشْيَاءِ طُرًّا بِنِعْمَةٍ
فَذَاكَ رَحْمُوتًا فِيهِ يَذْرِيهِ عَارِفٌ تَخَلَّقَ بِاسْمِ الْحَقِّ فِي كُلِّ نِسْبَةٍ

وَالْتَحْقِيقُ: أَنَّ مَنْ دَخَلَ عَالَمَ التَّكْوِينِ؛ مَا ظَهَرَ مِنْ جِسْمِهِ، يُسَمَّى مُلْكًا، وَمَا

(1) والعوالمُ إِنْ حَقَّقْتَهَا، إِلَى يَقُولُ الْقَائِلُ: كَلَامُ النَّاسِخِ عَبْدِ رَبِّهِ: الْعِمْرَانِيُّ الْخَالِدِيُّ عَبْدِ السَّلَامِ، لِرِبْطِ
الْكَلَامِ مَعَ تَعْضِيهِ، لِأَنِّي وَجَدْتُهُ، حُطًّا مِنَ النَّسَاجِ، لَا مِنْ صَاحِبِ الشَّرْحِ اهـ.

يَبْطَنُ مِنْ أَسْرَارِ الْمَعَانِي يُسَمَّى مَلَكُوتًا. وما لم يَدْخُلْ عَالَمَ التَّكْوِينِ مِنَ الْأَسْرَارِ
الْباقية على أَصْلِهَا يُسَمَّى جَبْرُوتًا، وَلَا يَفْهَمُ هَذَا، إِلَّا مَنْ دَخَلَ مَقَامَ الْإِحْسَانِ،
وَخَاضَ بَحْرَ الْمَعَانِي، وَإِلَّا فَحَسْبُهُ التَّنْسِيمُ لِأَرْبَابِهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ شُهُودَ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ
يَحْجُبُ عَنْ شُهُودِ عَالَمِ الْمَلِكِ، وَشُهُودِ عَالَمِ الْجَبْرُوتِ يَحْجُبُ عَنْ شُهُودِ عَالَمِ
الْمَلَكُوتِ. وَكُلٌّ مِنْ تَرَقَّى إِلَى مَقَامٍ، غَابَ عَمَّا قَبْلَهُ، إِلَّا الرَّحْمُوتُ، فَيُمْكِنُ شُهُودُهُ
مَعَ الْعَوَالِمِ كُلِّهَا. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

والحاصل: أَنَّ بَحْرَ الْجَبْرُوتِ، فَيَاضُ بِأَنْوَارِ الْمَلَكُوتِ. وَأَنْوَارِ الْمَلَكُوتِ،
أَضْلُهُا الْقَبْضَةُ النُّورَانِيَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ. فَكُلٌّ مِنْ بَرَزَ مِنَ الْجَبْرُوتِ، فَالنُّورُ الْمُحَمَّدِي
وَاسِطَةٌ فِيهِ، وَأَضْلُ فِيهِ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: «وَحِيَاضُ الْجَبْرُوتِ بَقِيضُ أَنْوَارِهِ ﷺ»
«مُتَدَفِّقَةٌ»: أَيُّ مُنْصَبَّةٌ بِقُوَّةٍ. فَالتَّدْفِيقُ: هُوَ الْإِنْصَابُ بِشِدَّةٍ، شَيْئًا فَشَيْئًا، إِنَّهُ شَبَّهَ بَحْرَ
الْجَبْرُوتِ بِحِيَاضٍ مَمْلُوءَةٍ بِمَاءِ الْغَيْبِ. تَنْصَبُ إِلَى عَالَمِ الشَّهَادَةِ، شَيْئًا فَشَيْئًا، عَلَى
حَسَبِ الْإِرَادَةِ وَالْمَشِيئَةِ. وَلَمَّا كَانَ نَبِيُّنَا ﷺ، هُوَ سَبَبٌ فِي إِبْرَازِ تِلْكَ الْأَنْوَارِ،
أُضِيقتُ إِلَيْهِ ﷺ، إِضَافَةٌ الْمُسَبَّبِ إِلَى السَّبَبِ. وَإِنْ كَانَ الْكُلُّ جَبْرُوتِيًّا لَاهُوتِيًّا؛ لِأَنَّ
مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْوَاسِطَةَ، لَمْ يَشْكُرِ الْمَوْسُوطَ. وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ.
فَأَهْلُ الْجَذْبِ وَالْفَنَاءِ يَغْيَبُونَ عَنِ الْوَاسِطَةِ. فَلَا يَشْهَدُونَ إِلَّا الْجَبْرُوتِ. وَأَهْلُ الْبَقَاءِ
لِكَمَالِهِمْ، يَشْهَدُونَ الْوَاسِطَةَ وَالْمَوْسُوطَ. وَيُعْطُونَ كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَلَا يَحْجُبُهُمْ
فَرْقُهُمْ عَنِ جَمْعِهِمْ، وَلَا جَمْعُهُمْ عَنِ فَرْقِهِمْ. نَفَعْنَا اللَّهَ بِهِمْ، وَخَرَطْنَا فِي سَلِكِهِمْ
آمِينَ. وَإِنَّمَا اخْتَارَ التَّشْبِيهَ بِالْحِيَاضِ، وَلَمْ يَشْبِهْ بِالْبَحَارِ، مُنَاسَبَةً لِلرِّيَاضِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا
شَبَّهَ الْمَلَكُوتَ بِالرِّيَاضِ، نَاسَبَ أَنْ يَشْبَهَ الْجَبْرُوتَ بِالْحِيَاضِ، إِذْ لَا يَقُومُ الرِّيَاضُ
إِلَّا بِالْحِيَاضِ. كَمَا لَا يَقُومُ الْمَلَكُوتُ، إِلَّا بِالْجَبْرُوتِ، بَلْ هُوَ عَنْهُ كَمَا تَقَدَّمَ، لَكِنُّ
السَّالِكِ يَتَرَقَّى بِهِ إِلَى الْجَبْرُوتِ. فَوَجِبَ إِثْبَاتُهُ ثُمَّ مَحْوُهُ. الْأَكْوَانُ ثَابِتَةٌ بِإِثْبَاتِهِ،
مَمْحُوتَةٌ بِأَحَدِيَّةِ ذَاتِهِ، وَإِلَى إِثْبَاتِ وَاسِطَتِهِ ﷺ، أَشَارَ بِقَوْلِهِ: «وَلَا شَيْءٌ» مِنْ
الْكَاثِنَاتِ «إِلَّا وَهُوَ بِهِ مَنُوطٌ» أَيُّ مُتَعَلِّقٌ وَمُتَّصِلٌ بِاتِّصَالِ الْمَوْسُوطِ بِالْوَاسِطَةِ، فَكُلُّ
مَنْ بَرَزَ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ، فَنَبِيُّنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَاسِطَةٌ فِيهِ. كَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ
الْأَخْبَارِ: «لَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتَ عَرْشًا وَلَا كُرْسِيًّا، وَلَا سَمَاءً وَلَا أَرْضًا، وَلَا جَنَّةً
وَلَا نَارًا». وَفِي بُرُودَةِ الْبُوصِيرِيِّ: لَوْلَا لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ. ثُمَّ ذَكَرَ عِلَّةَ تَعَلُّقِ
الْأَشْيَاءِ بِهِ ﷺ فَقَالَ: «إِذْ لَوْلَا الْوَاسِطَةُ» الَّذِي هُوَ نَبِيُّنَا ﷺ. «لَذَهَبَ كَمَا قِيلَ
الْمَوْسُوطُ»: أَيُّ لَوْلَا تَوَسُّطُهُ ﷺ، بَيْنَ اللَّهِ وَخَلْقِهِ؛ لَذَهَبَ الْمَوْسُوطُ الَّذِي هُوَ
الْكُونُ. أَيُّ لَبَقِيَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَدَمِ. فِإِذْ تَعْلِيلَةٌ، وَالْمَوْسُوطَةُ فَاعِلٌ

لَذَهَبَ. والجملة: كما قيل معترضة بين الفعل والفاعل، لأجل القافية. إذ لَوْ قَدَمَ على المجرور، لاخْتَلَّ الوِزْنُ بالطاءِ. والتقدير: إنما تعلقت الأشياء به ﷺ؛ لأنه واسطة. ولولا الواسطة لَذَهَبَ المَوْسُوطُ. كما هو قول مشهور. ثم ذَكَرَ معمول قوله ﷺ، وهو المصدر التَّوَعِي فقال: «صَلَاةٌ» أي صَلَّ صَلَاةٌ عَظِيمَةٌ كَامِلَةٌ «تَلِيْقٌ» أي بعظمتك وكمالك؛ وهذه الصَّلَاةُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَهَا إِلَّا اللهُ سبحانه وتعالى، وتكون هذه الصَّلَاةُ واصلةً «بِكَ مِثْلَ إِلَيْهِ» بِلَا واسطةٍ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ وَلَا شَكَّ أَنَّ الهدايا والتَّحَفَ الَّتِي تَصِلُ إِلَى الوُزَرَاءِ بِلَا واسطةٍ، بل مِنْ يَدِ المَلِكِ إِلَى الوَازِرِ، أَعْظَمُ وَأَتْمُ مِمَّنْ تَصِلُ عَلَى يَدِ الوَسَائِطِ. ثم ذكر عِلَّةَ تعظيم هذه الصَّلَاةِ فَقَالَ: «كما هُوَ أَهْلُهُ»: أي لأجل ما هو مستحقه ﷺ مِنَ التعظيم والإجلالِ فَالكَافُ تَعْلِيلِيَّةٌ، كقوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتَكُمْ﴾. ثم ذَكَرَ وَجْهَ استحقاقِهِ ﷺ، لهذه الكرامة فقال: «اللَّهُمَّ»، لَيْسَتْ هِيَ لِلدَّعَاءِ، وَإِنَّمَا هِيَ مُبَالِغَةٌ فِي الإِقْرَارِ. كقوله في الجواب: اللَّهُمَّ نَعَمْ. مبالغة في تمكين الجواب في ذهن السامع. فكأنه قال: أَقِرُّ وَأُحَقِّقُ، أَنَّهُ ﷺ «سِرُّكَ» الخفي الذي اختصصت بِمَعْرِفَتِهِ، أَوْ سِرِّكَ الَّذِي أَوْدَعْتَهُ فِي هَذَا الكَوْنِ، إذ هو عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، سرُّ الأسرار، وَمَنْبِيعُ الأنوارِ؛ ومنه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار. «الجامع» لما افترق في غيره. فَكَانَتْ روحانيته ﷺ، جامعةً لأوصافِ الكَمالاتِ، وبشريته جامعةً لأنواعِ المحاسنِ، وشريعته جامعةً لجميعِ الشرائعِ. وكتابه جامعاً لسائر الكتب؛ وهو أيضاً: يجمع الناس على الله، وَيَدُلُّهُمْ عَلَى الجمعِ، ويحذَرُهُمْ مِنَ الفِرْقِ؛ «الدَّالُّ عَلَيْكَ» بأقواله وأفعاله وأحواله ﷺ؛ فَكَانَتْ حُطْبُهُ وَمَوَاعِظُهُ تَرِقُ مِنْهَا القُلُوبُ، وَتَذَرِفُ مِنْهَا العُيُونُ. وَمَا بُعِثَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا دَالاً عَلَى اللهِ. وَمَعْرِفاً بِهِ تَعَالَى. فَمَا تَرَكَ شيئاً يجمع العباد على الله، إِلَّا دَالَهُمْ عَلَيْهِ، وَعَرَفَهُمْ بِهِ. وَلَا رَأَى شيئاً يقطع عَنِ اللهِ، إِلَّا حَذَرَ العِبَادَ مِنْهُ. لَمْ يَأَلِ جُهْداً فِي نصح العبادِ. وَهَدِيَهُمْ إِلَى طريقِ الرِّشَادِ، فَجَزَاهُ اللهُ عَنْهُ أَحْسَنَ مَا جَزَى رَسُولاً عَنْ قَوْمِهِ، وَنَبِيّاً عَنْ أُمَّتِهِ، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ دَالاً عَلَى اللهِ، كَانَ حَاجِباً مِنْ حُجُوبِ الحَضْرَةِ، لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ إِلَّا عَلَى يَدَيْهِ. فَلذَلِكَ قَالَ: «وَحِجَابُكَ» الذي يتوسطُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الدَّاخِلِينَ إِلَى حَضْرَتِكَ. فَكُلُّ مَنْ دَخَلَ عَلَى يَدَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَظَّمَهُ، وَاتَّبَعَ سُنَّتَهُ. أَدْخَلَهُ الحَضْرَةَ عَلَى نَعْتِ الهَيْبَةِ وَالوَقَارِ وَالأَدَبِ، فَاسْتَقَرَّ فِي الحَضْرَةِ عَلَى الدَّوامِ، وَكُلُّ مَنْ دَخَلَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ﷺ، طُرِدَ، وَعُوقِبَ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ القائل:

وَأَنْتَ بَابُ اللهِ أَيُّ امْرِئٍ وَأَقَى مِنْ غَيْرِ بَابِكَ لَا يَدْخُلُ

وأيضاً: هو ﷺ، حجاب الأرواح عن الهلاك، إذ من شأن الروح أن تتطلع الخوض فيما لا تقدّر عليه من بحر الجبروت، فكلّما همّت بالخوض فيه، زأجرها عليه السلام، وعاقَلها بعقال الشرائع، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «تفكروا في آياته، ولا تفكروا في ماهية ذاته». إذ كنه الزبوية محجوب عن العقول. فلا سبيل إلى إدراكه، ولا شك أن الرُّسل عليهم الصلاة والسلام، حُجِبَ لقومهم، ولكن المصطفى ﷺ، هو أعظم منهم، كما قال الشيخ رضي الله عنه، ثم وصفه بشدة القرب والأدب فقال: «الأعظم القائم، لك بين يديك» أدباً وتعظيماً، وواسطة بينك وبين خلقك، وترجماناً في تليغ أحكامك. ثم شرع في الدعاء باللحوق به؛ يكون على قدميه، وهو أعظم الولاية فقال: «اللهم الحقني بنسبه الطيني والديني، وأراد دوامه على متابعتيه عليه السلام، وإلا فلا ينفع التسبب، مع عدم الأدب، «وَحَقَّقْنِي» أي حَلَفْنِي «بِحَسْبِهِ» أي بخلقِهِ الْحَسْبِ؛ وهو ما يفتخر به الإنسان من مكارم الأخلاق، وأراد رضي الله عنه، أن يكونَ على قدميه ﷺ، فإن الأولياء رضي الله عنهم، منهم من يكون نوحياً، ومنهم من يكون إبراهيمياً، ومنهم من يكون موسوياً، ومنهم من يكون عيسوياً، ومنهم من يكون محمدياً؛ وهو أعظمهم لجمعه ما افترق في غيره. وقد حَقَّقَ اللهُ رَجَاءَهُ، وأجاب دُعَاءَهُ. فقد تغلغل رضي الله عنه في علوم القوم، التي مدارها على التخلق بأخلاق الرحمن، ونال من ذلك الحظ الأوفر. وقد تقدّم في ترجمته من كلامه ما يحقّق ذلك، نفَعَنَا اللهُ بِمَحَبَّتِهِ آمِينَ، وإنما عبّر بالتحقيق، دون التخلّي، لأن التخلق يكون مجاهدة وكسباً، والتحقيق يكون غريزة وتمسكاً، ثم طلب معرفته عليه السلام، المعرفة الخاصة فقال: «وعرّفني إياه». طلب معرفته عليه السلام، قبل أن يطلب معرفة الله؛ لأنه الوسطة، فلا يدخل على الله إلا من بابهِ؛ لأن من عرفه عليه السلام، المعرفة الخاصة، بادر إلى خدمته ومحبته، فدخله على ربه بنفسه، أو بشيخ يهديه إليه، وأتى الشيخ رضي الله عنه، بضمير النبي ﷺ منفصلاً، وإن كان الاتصال أرجح عند النحاة، أدباً مع النبي ﷺ، إذ لو قال: وعرفنيهِ، كما هو الأرجح، لكان ضميره عليه السلام، مُتَّصِلاً بضمير الشيخ، فيفوت الأدب، إذ المصطفى ينبغي أن يكون غيره مُتَّصِلاً به، لا هو متصلاً بغيره. فما أحسن أدبه! وأدق نظره! ثم ذكر نتيجة المعرفة به عليه السلام فقال: «معرفة» كاملة، «أسلم بها» أي بسببها «من موارد الجهل»: أي من الوقوع في شيء من الجهل. أي جهل كان. فالورود هو الشرب، والمورد هو محل الشرب، ويجمع على موارد. شبه رضي الله عنه الجهل بماء قبيح، وسأل الله

تَعَالَى أَنْ يُسَلِّمَهُ بِمَعْرِفَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ، مِنَ الْوُقُوعِ فِي مَشْرَبِهِ، أَوْ فِي الْقَرْبِ مِنْهُ؛ وَهُوَ الشَّرْبُ مِنْ مَوَارِدِ الْعِلْمِ النَّافِعِ، ثُمَّ ذَكَرَ ضِدَّهُ فَقَالَ: «وَأَكْرَعُ»: أَيِ اشْرَبْتُ عَلَى فَمِي مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ. فَالْكَرْعُ: هُوَ الشَّرْبُ عَلَى الْقَمِ، بِفِعْلِ الْمُتَعَطِّشِ لِلْهَيْفَانِ «بِهَا» أَيِ بَيْتِكَ الْمَعْرِفَةِ «مِنْ مَوَارِدٍ» جَمَعَ مَوْرِدٍ؛ وَهُوَ مَحَلُّ الشَّرْبِ. أَيِ بَيْتِكَ الْمَعْرِفَةِ مِنْ مَنَاهِلِ «الْفَضْلِ»؛ الَّتِي هِيَ الْعُلُومُ اللَّدْنِيَّةُ، وَالْأَسْرَارُ الرَّبَّانِيَّةُ؛ الَّتِي تَكُونُ بِالْفَضْلِ وَالْمِنَّةِ، لَا بِالْكَسْبِ وَالخِدْمَةِ، وَلَا شَكَّ أَنْ مَنْ عَرَفَهُ وَقَامَ بِوَأَجِبِ حَقَّهُ، لَا بُدَّ أَنْ يَنْهَلَ مِنْ مَنَاهِلِهِ؛ وَيَرِدَ مِنْ مَوَارِدِهِ، وَيَأْخُذَ قِسْطَهُ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي عَلَّمَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِالْوَحْيِ أَوْ بِالْإِلْهَامِ «لَأَنَّ مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ، أَوْرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ». شَبَّهَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْعِلْمَ اللَّدْنِيَّ بِأَبْجَرِ عَذْبَةٍ، يَرِدُ النَّاسَ مِنْهَا، وَطَلَبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَشْرَبَ مِنْهَا بِلَا وَاسِطَةٍ، غَيْرِ وَاسِطَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى تَمْتَلِئَ عُرُوقُهُ وَأَضْلَاعُهُ وَأَوْصَالُهُ. «إِذَا الْقَتَاعَةُ مِنَ اللَّهِ حِرْمَانٌ». وَالْعِلْمُ لَا حَدَّ لَهُ حَتَّى يُشْبِعَ مِنْهُ. «وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا». ثُمَّ طَلَبَ السَّلُوكَ إِلَى حَضْرَةِ الْقُدْسِ، وَمَحَلِّ الْأَنْسِ فَقَالَ: «وَاحْمِلْنِي عَلَى سَبِيلِهِ»: أَيِ طَرِيقِهِ الْأَقْوَمِ، «إِلَى حَضْرَتِكَ»: أَيِ إِلَى الْعَكُوفِ فِي مَشَاهِدَةِ جَمَالِ حَضْرَتِكَ. أَرَادَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنْ يَكُونَ فِي سَيْرِهِ مَحْمُولًا عَلَى كَاهِلِ السُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، لَا حَامِلًا مُتَعُوبًا؛ لِأَنَّ مَنْ حَمَلَتْهُ الْعِنَايَةُ الرَّبَّانِيَّةُ، قَطَعَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مَا لَا يَقْطَعُهُ غَيْرُهُ فِي سِنِينَ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ. وَلَيْسَ مَنْ كَانَ مَحْبُوبًا، كَمَنْ كَانَ مُجِيبًا، وَلَا مَنْ كَانَ مَجْدُوبًا كَمَنْ كَانَ سَالِكًا. «اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يَنْيِبُ». لَوْ كُنْتُ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ مَخَوْ مَسَاوِيكَ، وَقَطَعَ دَعَاوِيكَ، لَا تَصِلُ إِلَيْهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوْصَلَكَ إِلَيْهِ، غَطَّى وَصَفَكَ بِوَصْفِهِ، وَنَعَتَكَ بِنَعْتِهِ، فَوَصَلَكَ بِمَا مِنْهُ إِلَيْكَ، لَا بِمَا مِنْكَ إِلَيْهِ، وَالْحَضْرَةُ: هِيَ حُضُورُ الْقَلْبِ مَعَ الرَّبِّ، أَوْ حُضُورُ الرُّوحِ أَوْ السُّرِّ مَعَ الْحَقِّ، فَهِيَ إِذَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: حَضْرَةُ الْقَلْبِ لِلظَّالِمِينَ، وَحَضْرَةُ الرُّوحِ لِلسَّائِرِينَ، وَحَضْرَةُ الْأَسْرَارِ لِلْوَاصِلِينَ. أَوْ تَقُولُ: حَضْرَةُ الْقُلُوبِ لِأَهْلِ الْمُرَاقَبَةِ، وَحَضْرَةُ الْأَرْوَاحِ لِأَهْلِ الْمَشَاهِدَةِ، وَحَضْرَةُ الْأَسْرَارِ لِأَهْلِ الْمُكَالِمَةِ. أَوْ تَقُولُ: حَضْرَةُ الْقُلُوبِ لِأَهْلِ الْبُرْهَانِ، وَحَضْرَةُ الْأَزْوَاجِ لِأَهْلِ الْعِيَانِ، وَحَضْرَةُ الْأَسْرَارِ لِأَهْلِ التَّمَكِينِ. وَالْحَاصِلُ: أَنَّ الْمُرِيدَ مَا دَامَ مَحْبُوبًا عَلَى شُهُودِ نَفْسِهِ. وَهُوَ يُجَاهِدُ فِي حُضُورِ قَلْبِهِ مَعَ رَبِّهِ؛ فَهُوَ فِي حَضْرَةِ الْقُلُوبِ، وَإِذَا افْتَتَحَ عَلَيْهِ، غَابَ بِشُهُودِ رَبِّهِ عَنِ شُهُودِ نَفْسِهِ. أَوْ تَقُولُ: غَابَ بِجَمْعِهِ فِي فَرْقِهِ؛ فَهُوَ فِي حَضْرَةِ الْأَرْوَاحِ. وَإِذَا تَمَكَّنَ وَرَجَعَ إِلَى الْبَقَاءِ بِحَيْثُ لَا يَحْبُجُّهُ جَمْعُهُ عَنْ فَرْقِهِ، وَلَا فَرْقُهُ عَنْ جَمْعِهِ؛ فَهُوَ فِي حَضْرَةِ الْأَسْرَارِ، وَحِكْمَةُ ذَلِكَ، أَنَّ الرُّوحَ مَا دَامَتْ

مُنْهَمَكَةً فِي الْعَقْلَةِ سُمِّيَتْ نَفْسًا. وَلَمْ تَدْخُلِ الْحَضْرَةَ قَط. فَإِذَا تَيَقَّظَتْ أَوْ اسْتَقَامَتْ، وَجَعَلَتْ تُجَاهِدُ نَفْسَهَا فِي الْحُضُورِ، سُمِّيَتْ قَلْبًا، لِتَقْلِبِهَا مِنَ الْعَقْلَةِ إِلَى الْحَضْرَةِ، وَمِنَ الْحَضْرَةِ إِلَى الْعَقْلَةِ، أَوْ لِتَقْلِبِهَا مِنَ الطَّاعَةِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ، وَمِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَإِذَا وَصَلْتَ إِلَى مَقَامِ الْإِحْسَانِ، وَفُتِحَ عَلَيْهَا فِي مَقَامِ الْعِرْفَانِ، سُمِّيَتْ رُوحًا، لِرَاحَتِهَا مِنْ تَعَبِ الْحِجَابِ، وَدُخُولِهَا مَعَ الْأَخْبَابِ، وَإِذَا تَأَدَّبَتْ وَتَهَدَّبَتْ وَجَلِيَتْ عَيْنَ بَصِيرَتِهَا، مِنْ عَبَسِ الْحَسِّ، سُمِّيَتْ سِرًّا لِخَفَائِهَا عَنِ مَدَارِكِ الْعُقُولِ، أَوْ لِخَفَاءِ صَاحِبِهَا عَنِ فَهْمِ النَّاسِ. إِذْ لَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ الْوَلِيِّ، إِلَّا مَوْلَاهُ الْكَبِيرُ الْعَلِيِّ. أَوْ مَنْ دَخَلَ مَعَهُ فِي الْوِلَايَةِ، فَأُضِيفَتْ الْحَضْرَةُ إِلَى الرُّوحِ، مَعَ اخْتِلَافِ تَسْمِيَتِهَا، بِاخْتِلَافِ تَطَوُّرِهَا وَتَرْقِيَّتِهَا. فَقِيلَ حَضْرَةُ الْقُلُوبِ مَا دَامَتْ قَلْبًا، ثُمَّ حَضْرَةُ الْأَرْوَاحِ، مَا دَامَتْ رُوحًا، ثُمَّ حَضْرَةُ الْأَسْرَارِ، مَا دَامَتْ سِرًّا. وَلَمَّا كَانَ الْحَمَلُ إِلَى الْحَضْرَةِ لَا يَكْمُلُ إِلَّا إِذَا صَحِبَتْهُ النَّصْرَةُ، سَأَلَ ذَلِكَ الشَّيْخُ فَقَالَ: «حَمَلًا مَخْفُوفًا بِنُصْرَتِكَ»: أَيُّ يَكُونُ ذَلِكَ الْحَمَلُ مَدُورًا بِنُصْرَتِكَ. أَيُّ حُقَّتْ بِهِ النَّصْرَةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا صَحِبَتْهُ النَّصْرَةُ وَالْمَعْرِفَةُ فِي سَيْرِهِ، بَلَغَ الْقِصْدَ وَالْمَأْمُولَ، وَرَتَعَ فِي أَقْرَبِ سَاعَةٍ فِي حَضْرَةِ الْوُضُوءِ. وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

إِذَا كَانَ عَوْنُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ قَاصِرًا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ كُلِّ عَوْنٍ مُرَادُهُ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى فَأَكْثَرَ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ
ثُمَّ ذَكَرَ ثَمْرَةَ الْوُضُوءِ؛ وَهِيَ الْعَيْبَةُ عَنِ السَّوَى، فَقَالَ: «وَأَقْذِفْ»: أَيُّ ازْمِ
«بِي عَلَى الْبَاطِلِ»؛ وَهُوَ مَا سِوَى الْحَقِّ تَعَالَى. وَفِي الْحَدِيثِ: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا
الشَّاعِرُ، كَلِمَةٌ لَيْبِدُ:

أَلَا كَسَلُ شَيْءٍ مَّا خَلَا اللَّهُ بِسَاطِلِ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلِ
شَبَّهَ السَّوَى الَّذِي هُوَ الْبَاطِلُ، بِحَيَوَانٍ لَهُ دِمَاعٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دِمَاعُهُ مَاتَ.
وَلِذَلِكَ قَالَ: «فَأَذْمَعُهُ»: أَيُّ فَأُصِيبُ دِمَاعَهُ. فَيَتَشَتَّى وَيَضْمَجِلُ. وَإِذَا زَهَقَ الْبَاطِلُ
جَاءَ الْحَقُّ. «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا». «فَذَلِكُمْ اللَّهُ
رَبُّكُمْ الْحَقُّ، فَمَادَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ». وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى مَفْقُودٌ
عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ. أَبَى الْمُحَقِّقُونَ أَنْ يَشْهَدُوا مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ. إِذْ مُحَالٌ أَنْ تَشْهَدَهُ وَتَشْهَدَ
مَعَهُ غَيْرُهُ. مَا حَجَبَكَ عَنِ الْحَقِّ وَجُودِ مَوْجُودٍ مَعَهُ، إِذْ لَا شَيْءَ مَعَهُ، وَإِنَّمَا حَجَبَكَ
تَوْهُمُ مَوْجُودٍ مَعَهُ. مُذْ عَرَفْتُ الْإِلَهَ لَمْ أَرْ غَيْرَهُ. وَكَذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعٌ. مُذْ

تَجَمَّعَتْ مَا حَشَيْتُ افْتِرَاقًا، فَأَنَا الْيَوْمَ واصلٌ مَجْمُوعٌ. وإذا ذَهَبَ عن القَلْبِ شُهُودِ السُّوَى، غَرَقَ فِي بَحَارِ الْوَحْدَةِ. وَلِذَلِكَ قَالَ: «وَرُجِّ بِي»: أَي أَدْخِلْنِي. «فِي بَحَارِ الْأَحَدِيَّةِ»، فَأَلْرُجُّ فِي اللَّعَةِ: هُوَ الْإِدْخَالُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

أَدْخَلَنِي الْحُبُّ فَلَوْرُجِّ بِي فِي مُقَلَّةِ النَّائِمِ لَمْ يَنْتَبِهْ
كَانَ لِي فِي سَمَاءِ مَضَى خْتَمٌ وَالْآنَ لَوْ شِئْتُ تَمَنَّنْتُ بِهْ

والأحدية مُبالغة في الوحدة، أي أَدْخَلَنِي فِي بَحَارِ أَحَدِيَّةِ ذَاتِكَ وَصِفَاتِكَ وَأَفْعَالِكَ، وَلِذَلِكَ عَبَّرَ بِالْجَمْعِ، إِذْ كُلُّ بَحْرٍ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ، فَمَنْ غَرَقَ فِي بَحْرِ تَوْحِيدِ الذَّاتِ، غَابَ عَنِ نَفْسِهِ وَعَنِ شُهُودِ السُّوَى، وَبَقِيَ بِوُجُودِ رَبِّهِ، وَمَنْ غَرَقَ فِي بَحْرِ تَوْحِيدِ الصِّفَاتِ، غَابَ عَنِ صِفَةِ نَفْسِهِ، وَصِفَةِ غَيْرِهِ، وَبَقِيَ بِصِفَاتِ رَبِّهِ. وَمَنْ غَرَقَ فِي بَحْرِ وَحْدَةِ الْأَفْعَالِ غَابَ عَنِ فِعْلِهِ وَفِعْلِ غَيْرِهِ، وَخَرَجَ مِنْ تَدْبِيرِهِ وَاخْتِيَارِهِ. إِذْ لَا يَدْبُرُ الْإِنْسَانُ مَا يَفْعَلُ غَيْرُهُ. وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِالْأَحَدِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَيْلُغُ مِنَ الْوَحْدَانِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْمَرَادَ هُنَا مِنَ التَّوْحِيدِ، مَا كَانَ ذَوْقًا وَحَالًا وَمَقَامًا، لَا مَا كَانَ عِلْمًا وَاعْتِقَادًا، إِذْ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِ أَهْلِ الْحِجَابِ: أَهْلِ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ. وَفِي هَذَا الْمَقَامِ، قَالَ شَيْخُ شَيْخِنَا، سَيِّدِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَجْدُوبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يَا قَارِئِينَ عِلْمَ التَّوْحِيدِ هُنَا الْبُحُورُ إِلَيَّ تَغِيبي
هَذَا مَقَامَ أَهْلِ التَّجْرِيدِ الْوَاقِفِينَ مَعَ رَبِّي

إِذْ لَا يَخُوفُ هَذِهِ الْبُحُورَ، إِلَّا أَهْلُ التَّجْرِيدِ وَالْحُضُورِ. وَأَمَّا مَنْ تَنَسَّبَ ظَاهِرَهُ بِكَثْرَةِ الْأَسْبَابِ، فَلَا يَطْمَعُ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ هَذِهِ الْأَبْوَابَ. وَقَدْ سَمِعْتُ شَيْخَنَا الْبُورْزَيْدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: مَعْرِفَةُ الْمَتَسَبِّبِ، لَا تَقْرُبُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْمُتَجَرِّدِ. وَقَالَ أَيْضًا: الْمُتَجَرِّدُ النَّاقِصُ، أَفْضَلُ مِنَ الْمَتَسَبِّبِ الْكَامِلِ يَعْني الْمَتَهَدِّبِ. إِذِ الْمَتَسَبِّبُ لَا يَخْلُو بَاطِنُهُ مِنْ تَكْدِيرِ. وَسَمِعْتُ شَيْخَ شَيْخِنَا مَوْلَايَ الْعَرَبِيَّ الدَّرَقَاوِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: فِكْرَةُ الْمُتَجَرِّدِ، أَمْتَعٌ مِنْ فِكْرَةِ الْمَتَسَبِّبِ. أَيِ أَضْفَى وَأَبْلَغُ؛ لِأَنَّهَا نَاشِئَةٌ عَنِ الصِّفَاءِ، إِذْ صَفَاءُ الْبَاطِنِ، مِنْ صَفَاءِ الظَّاهِرِ، وَتَكْدِيرُ الْبَاطِنِ، مِنْ تَكْدِيرِ الظَّاهِرِ. وَهَذَا كُلُّهُ فِي حَقِّ السَّائِرِينَ. وَأَمَّا الْوَاصِلُونَ الْمُتَمَكِّنُونَ فَلَا كَلَامَ عَلَيْهِمْ. إِذْ أَمْرُهُمْ كُلُّهُ بِاللَّهِ. وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ حَالُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. إِذْ كَانَ فِيهِمْ الْمَتَسَبِّبُونَ، كَالصُّدِيقِ، وَالْفَارُوقِ، وَغَيْرِهِمَا. وَالْإِجْمَاعُ عَلَى تَفْضِيلِهِمَا، فَيُحْتَمَلُ ذَلِكَ، عَلَى أَنَّهُ كَانَ بَعْدَ كَمَالِ حَالِهِمْ. وَأَيْضًا: مُشَاهَدَتُهُمْ لِنُورِ النُّبُوَّةِ، مَتَعَتَّهُمْ مِنَ الرُّكُونِ إِلَى

شَيْءٍ سِوَاهُ. فَنظَرَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ، تَخْرُجُهُ مِنْ عَوَائِدِهِ وَعَوَائِدِهِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَلَمَّا كَانَ رَاكِبَ الْبَحْرِ عَلَى حَظَرٍ، إِمَّا أَنْ يَسْلَمَ، وَإِمَّا أَنْ يَغْرُقَ، طَلَبَ النِّجَاةَ مِنَ الْعَرَقِ فِي بَحْرِ الْأَوْهَامِ، أَوْ فِي بَحْرِ الشُّكُوكِ وَالْخَوَاطِرِ، أَوْ فِي بَحْرِ الزُّنُوقَةِ وَالْإِلْحَادِ فَقَالَ: «وَأَنْشَلْنِي»: أَيِ خَلَّصْنِي وَأَنْقِذْنِي «مِنْ أَوْحَالٍ» جَمْعٌ وَخَلٌّ؛ وَهُوَ الْخَضْخَاضُ. أَيِ سَلَمْنِي مِنْ وَغِيضِ «التَّوَجُّيدِ». مِنْ إِضَافَةِ الْمَشْبَهَةِ بِهِ إِلَى الْمَشْبَهَةِ. أَيِ أَنْقِذْنِي مِنْ تَوْحِيدِ كَأَلْخَضْخَاضٍ، بِأَنْ يَضْحَبَهُ تَكْدِيرٌ وَتَخْلِيضٌ، إِمَّا بِرُؤْيَا السُّوَى مَعَهُ؛ وَهُوَ تَوْحِيدِ الْعَوَامِّ؛ وَهُوَ مَكْدَرٌ بِالْأَوْهَامِ وَالشُّكُوكِ وَالْخَوَاطِرِ، وَإِمَّا بِأَعْتِقَادِ الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ. فَإِنَّ بَعْضَ الْجَهْلَةِ، اعْتَقَدُوا السُّوَى، وَأَدْعُوا حُلُولَ الْأَلُوْهِةِ فِيهِ. وَهُوَ مَذْهَبُ النَّصَارَى، وَبَعْضُهُمْ أَدْعَى وَجُودَ السُّوَى، لَكِنَّهُ أَتَّجَدَّ وَامْتَزَجَ مَعَ الْأَلُوْهِةِ. وَهُوَ كَفَرٌ حَرَامٌ. يَا عَجَباً كَيْفَ يَظْهَرُ الْوُجُودُ فِي الْعَدَمِ؟ أَمْ كَيْفَ يَثْبُتُ الْحَادِثُ مَعَ مَنْ لَهُ وَصْفُ الْقِدَمِ؟

وَأَهْلُ التَّحْقِيقِ لَمْ يَثْبُتُوا مَعَ الْحَقِّ سِوَاهُ، وَرَأَوْا الْكُلَّ مِنْهُ وَإِلَيْهِ، فَالْكُلُّ ذُوْنُ اللَّهِ، إِنْ حَقَّقْتَهُ عَدَمٌ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالِاجْمَالِ. وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ الْقَائِلُ بِقَوْلِهِ:

مَنْ لَا وُجُودَ لِذَاتِهِ مِنْ ذَاتِهِ فَوُجُودُهُ لَوْلَاهُ عَيْنُ مُسْحَالٍ
فَإِنَّ لَمْ تَذُقْ مَا ذَاقَهُ الرَّجَالُ فَحُطَّ رَأْسُكَ لِأَقْدَامِ الرَّجَالِ
حَتَّى يَسْقُوكَ مِنَ التَّوْحِيدِ حَمْرَةٌ صَافِيَةٌ زَلَّلِ وَإِلَّا فَسَلِّسْمْ لِأَهْلِ الْكَمَالِ
وَقَدْ شَبَّهُوا رَاكِبَ بَحْرِ التَّوْحِيدِ، بِرَاكِبِ الْبَحْرِ الْحَسِيِّ، فَإِنْ كَانَ صَاحِبُ السَّفِينَةِ رَئِيساً مَاهِراً أَوْى بِهِ إِلَى جَبَلِ السَّنَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، فَكَانَ مِنَ النَّاجِحِينَ النَّاجِحِينَ، وَإِنْ كَانَ صَاحِبُ السَّفِينَةِ جَاهِلاً بِالْبَحْرِ، أَوْى بِهِ إِلَى جَبَلِ عَقْلِهِ وَحَدْسِهِ، فَالْتَطَمَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ. وَلَمَّا طَلَبَ النِّجَاةَ مِنَ الْعَرَقِ فِي بَحْرِ التَّخْلِيضِ، طَلَبَ الْعَرَقَ فِي بَحْرِ الصَّفَاءِ؛ وَهِيَ الْوَحْدَةُ الْحَقِيقِيَّةُ. فَقَالَ: «وَأَعْرِفْنِي فِي عَيْنٍ»: أَيِ فِي حَقِيقَةِ «بَحْرِ الْوَحْدَةِ»: أَيِ فِي وَسْطِ بَحْرِ الْوَحْدَةِ. وَالْمُرَادُ أَنْ يَغِيبَ فِي شَهْوَةِ الذَّاتِ وَحَدْسِهَا. فَيَكُونُ مُنْهَمِكاً فِي الْحَقِيقَةِ، غَائِباً فِي وُجُودِهِ بِوُجُودِ مَشْهُودِهِ، كَمَا قَالَ الْجُنَيْدُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وُجُودِي أَنْ أُغِيبَ عَنِ الْوُجُودِ بِمَا يَبْدُو عَالِيٍّ مِنَ الشُّهُودِ
وَإِنْ غَابَ فِي الْحَقِّ، كَانَ أَمْرُهُ كُلُّهُ بِهِ لَا بِنَفْسِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: «حَتَّى لَا أَرَى»
إِلَّا بِالذَّاتِ الْعَلِيَّةِ، «وَلَا أَسْمَعُ» إِلَّا بِهَا وَمِنْهَا. كَمَا قَالَ الشُّشْتَرِيُّ:

أَنَا بِاللَّهِ أَنْطِقُ وَمِنْ اللَّهِ أَسْمَعُ

وكما قال في الحديث القدسي: «فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَنْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا» الحديث. وفي رواية أخرى: «فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُهُ». وإلى تمامه أشار الشيخ بقوله: «وَلَا أَجِدُ فِي بَاطِنِي، مِنْ فَرَحٍ أَوْ حُزْنٍ أَوْ قَبْضٍ أَوْ بَسْطٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوُجْدَانِيَّاتِ الْبَاطِنِيَّةِ. «وَلَا أَحْسَنُ» مِنْ حَرٍّ أَوْ بَرْدٍ، أَوْ لُبُونَةٍ أَوْ حُرُوشَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، مِنَ الْمَخْسُوسَاتِ الظَّاهِرَةِ. «إِلَّا بِهَا»: أَيِ بَعَيْنٍ بَحْرِ الْوَحْدَةِ، وَعَبَّرَ بِهَا عَنِ الذَّاتِ الْعَالِيَةِ، فَيَكُونُ فِعْلُهُ كُلُّهُ بِاللَّهِ، وَمِنْ اللَّهِ، وَإِلَى اللَّهِ. وَهَذَا هُوَ الْمُعْبَّرُ عَنْهُ بِمَقَامِ الْفَنَاءِ. وَيُمْكِنُ أَنْ يُرِيدَ بَعَيْنِ بَحْرِ الْوَحْدَةِ، مَظْهَرِ الْإِنْسَانِ. فَبَحْرِ الْوَحْدَةِ؛ هُوَ الْبَحْرُ الْمَحِيطُ. كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحْلَقَ بِالنَّاسِ﴾. وَعَيْنُ ذَلِكَ الْبَحْرُ هُوَ وَجُودُ الْإِنْسَانِ، لِأَنَّهُ جَوْهَرَةُ الصِّدْفِ، وَلِبِ الْكَائِنَاتِ، فَإِذَا عَرَفَ اللَّهُ فِيهِ، وَعَرَّقَ فِي بَحْرِهِ، فَقَدْ عَرَفَ اللَّهَ فِي غَيْرِهِ، مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ، عَرَفَ رَبَّهُ، فَتَأَمَّلْ. ثُمَّ رَجِعْ إِلَى مَقَامِ الْفَنَاءِ فَقَالَ: «وَاجْعَلِ الْحِجَابَ الْأَعْظَمَ». وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ. وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: «وَاجْعَلِ الْحِجَابَ الْأَعْظَمَ»: أَيِ وَاجْعَلْ شَهُودَكَ الْحِجَابَ الْأَعْظَمَ. «حَيَاةَ رُوحِي». أَيِ سَبَبِ حَيَاتِهَا؛ لِأَنَّ مَنْ عَرَّقَ فِي بَحْرِ الْوَحْدَةِ، وَأَنْكَرَ الْوَاسِطَةَ، وَأَثَبَتِ الْحِكْمَةَ، وَأَبْطَلَتِ الشَّرِيعَةَ، فَتَزَنَّدَقَ وَالْحَدَّ، وَمَاتَتْ رُوحُهُ. وَمَنْ أَقْرَأَ الْوَاسِطَةَ، وَأَثَبَتِ الْحِكْمَةَ، حَيْثُ رُوحُهُ، وَبَقِيَتْ مَنَعَمَةٌ فِي حَضْرَةِ الشُّهُودِ، عَلَى نَعْتِ الْهَيْبَةِ وَالْأَدَبِ، مَعَ الْمَالِكِ الْمَعْبُودِ، فَيَكُونُ بَاطِنُهُ يَشَاهِدُ الْقُدْرَةَ، وَظَاهَرُهُ يَشَاهِدُ الْحِكْمَةَ. أَوْ تَقُولُ: بَاطِنُهُ حُرِيَّةٌ، وَظَاهَرُهُ عِبُودِيَّةٌ. أَوْ تَقُولُ: بَاطِنُهُ جَذْبٌ، وَظَاهَرُهُ سُلُوكٌ. أَوْ تَقُولُ: بَاطِنُهُ حَقِيقَةٌ. وَظَاهَرُهُ شَرِيعَةٌ. فَهُوَ الَّذِي تَكُونُ رُوحُهُ حَيَّةً بَاقِيَةً، لَا تَفْتَرُ وَلَا تَبِيدُ. حَتَّى تَرُدَّ يَوْمَ الْمَزِيدِ، وَاعْلَمْ أَنَّ إِنْكَارَ الْوَاسِطَةِ، قَدْ يَطْرُقُ بَعْضَ الْمُرِيدِينَ عِنْدَ اسْتِشْرَافِهِمْ عَلَى الْفَنَاءِ فِي الذَّاتِ، وَعِنْدَ الْجَذْبَةِ الْأُولَى، لَكِنْ لَا يَدُومُ ذَلِكَ، إِلَّا لِمَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْخٌ، أَوْ خَرَجَ عَنْهُ قَبْلَ التَّرْشِيدِ. وَأَمَّا مَا دَامَ فِي حَضَانَةِ الشَّيْخِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُخْرِجَهُ إِلَى الْبِقَاءِ، كَمَا يُخْرِجُ فَصْلَ الشِّتَاءِ بِدُخُولِ فَصْلِ الرَّبِيعِ، وَفَضْلَ الرَّبِيعِ، بِدُخُولِ فَضْلِ الصَّيْفِ، وَهَكَذَا. وَالْمُرَادُ بِالْوَاسِطَةِ: الْقَبْضَةُ الثُّورَانِيَّةُ الَّتِي تَكْتَفَتْ وَبَرَزَتْ مِنَ الْجَبْرُوتِ، وَسُمِّيَتْ مُحَمَّدًا ﷺ. فَمَنْ أَحَقَّقَهَا بِأَصْلِهَا، وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى حِكْمَةِ إِظْهَارِهَا، أَنْكَرَ الْوَاسِطَةَ، وَكَانَ نَاقِصًا أَوْ سَاقِطًا، وَمَنْ نَظَرَ إِلَى حِكْمَةِ إِظْهَارِهَا، وَأَنَّهَا ثَابِتَةٌ بِإِثْبَاتِهِ، مَمْحُوءَةٌ بِأَحْدِيَّةِ ذَاتِهِ، أَقْرَأَهَا بِاللَّهِ، وَأَقَامَ بِحَقُوقِهَا، وَهِيَ أَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِهَا وَجُودًا، وَالْعَيْنَةُ عَنْهَا شَهُودًا. وَالْوَاسِطَةُ مِنْ عَيْنِ الْمَوْسُوطِ. فَمَنْ وَقَّفَ مَعَ الْوَاسِطَةِ، وَحُجِبَ عَنِ الْمَوْسُوطِ،

كَانَ جَاهِلًا بِاللَّهِ، غَيْرَ عَارِفٍ بِهِ، وَمَنْ حُجِبَ بِالْوِاسِطَةِ عَنِ الْمَوْسُوطِ، فَإِنْ كَانَ مَجْذُوبًا غَائِبًا، كَانَ نَاقِصًا، وَإِنْ كَانَ صَاحِبًا كَانَ سَاقِطًا. وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا كَانَ مُحَقِّقًا كَامِلًا، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. وَلَمَّا طَلَبَ حَيَاةَ رُوحِهِ، بِشَهَادِ ظَاهِرِ الْحِجَابِ الْأَعْظَمِ؛ وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ؛ طَلَبَ تَصْفِيَّتَهَا، حَتَّى تَنْقَلِبَ سِرًّا بِشَهَادِ بَاطِنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهُوَ رُوحُهُ فَقَالَ: «وَرُوحَهُ سِرٌّ حَقِيقَتِي»: أَيْ وَاجْعَلْ شَهَادَةَ رُوحِهِ، سَبَبَ سِرِّ حَقِيقَتِي، أَيْ سَبَبَ انْقِلَابِ رُوحِي سِرًّا، فَحَقِيقَةُ الْإِنْسَانِ هِيَ رُوحُهُ. وَالحَاصِلُ: أَنَّ النِّظَرَ إِلَى ظَاهِرِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُفِيدُ تَحْقِيقَ الشَّرِيعَةِ؛ وَهُوَ سَبَبُ حَيَاةِ الرُّوحِ. وَالنَّظَرُ إِلَى بَاطِنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يُفِيدُ تَحْقِيقَ الطَّرِيقَةِ، وَبِهَا تَكُونُ تَصْفِيَةُ الرُّوحِ، حَتَّى تَكُونَ سِرًّا، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ نَفْسًا، ثُمَّ عَقْلًا، ثُمَّ قَلْبًا، ثُمَّ رُوحًا، فَإِذَا تَهَذَّبَتْ صَارَتْ سِرًّا، وَأَمَّا النِّظَرُ إِلَى جُمْلَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَغْنِي ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، فَيُفِيدُ تَحْقِيقَ الْحَقِيقَةِ، وَبِهَا يَكُونُ تَصْفِيَةُ السَّرِّ، وَإِلَيْهِ أُشَارَ بِقَوْلِهِ: «وَحَقِيقَتُهُ وَجَامِعُ عَوَالِمِي»: أَيْ وَاجْعَلْ شُهُودَ حَقِيقَتِهِ كُلِّهَا، بِظَاهِرِهَا وَبَاطِنِهَا، بِجَمْعِ عَوَالِمِي الْبَاطِنِيَّةِ؛ وَهُوَ الْعِلْمُ وَالْفَهْمُ، وَالْفِكْرُ وَالْعَقْلُ، وَالنَّظَرُ وَالِاعْتِبَارُ، فَتَكُونُ عَوَالِمِي كُلِّهَا مُنْحَصِرَةً فِي الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ؛ وَهِيَ الْقَبِيضَةُ الْجَبْرُوتِيَّةُ، أَوِ الْمَظْهَرُ الْجَبْرُوتِي، مَعَ النِّظَرِ إِلَى الْجَبْرُوتِ الْأَصْلِيِّ، كَمَا يَأْتِي بَعْدَهَا. وَالحَاصِلُ: أَنَّ ظَاهِرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُلْكٌ، وَبَاطِنُهُ مَلَكُوتٌ وَالجَمْعُ بَيْنَهُمَا جَبْرُوتٌ. فَطَلَبَ أَوَّلًا النِّظَرَ إِلَى مُلْكِ ظَاهِرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِتَحْقِيقِ شَرِيعَتِهِ. وَطَلَبَ ثَانِيًا النَّظَرَ إِلَى مَلَكُوتِ بَاطِنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِتَحْقِيقِ طَرِيقَتِهِ، فَتَكُونُ سُلْمًا لِإِشْرَاقِ نُورِ حَقِيقَتِهِ، وَطَلَبَ ثَالثًا النَّظَرَ إِلَى جَبْرُوتِ جُمْلَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِتَكْمِلَ حَقِيقَتَهُ. وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: طَلَبَ أَوَّلًا بِقَوْلِهِ: وَاجْعَلِ الْحِجَابَ الْأَعْظَمَ، حَيَاةَ رُوحِي - الْاِقْتِدَاءَ بِظَاهِرِهِ. إِذْ هُوَ سَبَبُ لِحْيَاةِ الرُّوحِ حَسًّا وَمَعْنَى؛ وَهُوَ مَحَلُّ التَّشْرِيعِ، فَيَكُونُ كَلَامَ الشَّيْخِ حِينَئِذٍ عَلَى حَذْفِ مُضَافَيْنِ. أَيْ وَاجْعَلْ شُهُودَ ظَاهِرِ الْحِجَابِ الْأَعْظَمِ، لَكِنْ إِذَا أُطْلِقَ الْكَلَامُ، إِنَّمَا يَنْصَرِفُ إِلَى الظَّاهِرِ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرِ الْمُضَافِ الثَّانِي، وَطَلَبَ ثَالثًا بِقَوْلِهِ: وَرُوحَهُ سِرٌّ حَقِيقَتِي الْاِقْتِدَاءَ بِبَاطِنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهُوَ مَحَلُّ تَصْفِيَةِ الرُّوحِ. إِذْ كُلُّ مَنْ نَظَرَ إِلَى بَاطِنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَأَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ كَمَالِ الْأَخْلَاقِ، انْجَرَّ إِلَى الْاِقْتِدَاءِ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهُوَ عَمَلُ الطَّرِيقَةِ. وَطَلَبَ ثَالثًا بِقَوْلِهِ: «وَحَقِيقَتُهُ جَامِعُ عَوَالِمِي». الْجَمْعُ بَيْنَ الْاِقْتِدَاءِ بِالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَبِذَلِكَ تَتَوَرَّقُ الْحَقِيقَةُ، وَيُظْهِرُ سِرَّهَا. أَوْ تَقُولُ: طَلَبَ أَوَّلًا تَحْقِيقَ مَقَامِ الْإِسْلَامِ، بِشَهَادِ ظَاهِرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَطَلَبَ ثَانِيًا بِتَحْقِيقِ مَقَامِ الْإِيمَانِ، شَهَادِ بَاطِنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَطَلَبَ ثَالثًا تَحْقِيقَ

مقام الإحسان، بشهود حقيقته عليه السلام. أو تقول: طلب أولاً شهوده عليه السلام من جهة ملكه. وثانياً: شهوده من جهة ملكوته. ثالثاً: شهوده من جهة جبروته، وهذا أحسن من ذلك إن شاء الله، لأن الشيخ رضي الله عنه، لما طلب الرجوع إلى البقاء، بشهود الواسطة، طلب أن يكون جوعه إليها بشهود ملكها وملكوتها وجبروتها، ولذلك ضم جبروت الواسطة، إلى جبروت الموسوط، فقال: «بتحقيق الحق الأول» الباء للتغذية، والحق الأول: الشهود السابق في عالم الأرواح يوم «ألسنت برئكم»: أي حقه الآن حتى أستحضره، وأستعين به على دوام الشهود، أو البقاء للمعية. والحق الأول: هو شهود الرُبوبية. والاستغراق في الوجدانية. أو البقاء للقسم، والحق الأول هو الله تعالى، إذ هو السابق على كل حق، ومنه كان كل حق وأعود إلى المعنى: بتحقيق، أي مع تحقيق الحق الأول؛ وهو الجبروت الأصيلي، فالبراء بمعنى مع كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ﴾ أي معه. فطلب أن تكون عوالمه منصرفاً إلى جبروت الواسطة. مع النظر إلى جبروت الموسوط؛ الذي هو الأصل؛ وهو الحق الأول. والفرق بين جبروت الواسطة، وجبروت الأضل أن جبروت الواسطة، محجوب بالحكمة، مُعطى برداء العز والقهرية، فظاهره حكمة، وباطنه قدرة، فمن ضم جبروت الفرع، إلى جبروت الأضل مطلقاً، من غير مراعاة الحكمة، ورداء القهرية، وقع في الزندقة؛ لإبطائه الأحكام والحكمة، وحزقه رداء العزة القهرية. ومن ضمها مع مراعاة الحكمة، ورداء الكبرياء والعزّة، كان إماماً كاملاً جامعاً، يصلح للتربية والترقية، جعلنا الله منهم، بمنه «يا أول» قبل كل شيء. «يا آخر» بعد كل شيء. «يا ظاهر» فوق كل شيء. «يا باطن» دون كل شيء. هكذا فسره النبي ﷺ في حديث أخرجه مالك في الموطأ. ولفظه: «اللهم أنت الأول، فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء. أفض عني الدين» فعبر بالأولية عن القدم، وبالأخيرة عن البقاء، وبالظهور عن التجلي، وبالباطن عن الحجاب بالحكمة وراء القهرية؛ فهو ظاهر في بطونه، باطن في ظهوره، فاسمه الظاهر يمتحو ظهور السوى وبيطنه. إذ لا ظاهر معه سبحانه وتعالى، واسمه الباطن، يقتضي ظهور تجلياته، ليكون باطناً بالنسبة إلى جسها الظاهر. فلو بقي على ما كان عليه من الباطن، ما عرف ولا عبد. وفي الحكم: أظهر كل شيء بأنه الباطن، وطوى كل شيء بأنه الظاهر. وقال في آخر المناجاة: كيف تخفى وأنت الظاهر، أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر. والحاصل: أن

الْحَضَرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ يقتضي انفراده بالظهور دون غيره، لأنَّ التَّقْدِيرَ: هو الأوَّلُ، هو الآخِرُ، هو الظَّاهِرُ، هو الباطن دون غيره. فكلُّ ما ظَهَرَ فَهُوَ هُوَ، وكل ما بطن فَهُوَ هُوَ. أو تقول: هو ظاهر كل ما بطن، وباطن كل ما ظَهَرَ من الألوهية، إذ لا شيء معه، أو تقول: هو الظَّاهِرُ مِنْ جِهَةِ التعريف، والباطن من جِهَةِ التَّكْثِيفِ. إذ إن كُنْهُ الرُّبُوبِيَّةِ لا يُكَيَّفُ. أو تقول: ظاهرٌ بقدرته، باطنٌ بحكمته. أي سبب حكمته، فقد أظهر الحكمة، وأبطن القدرة، وإليه أشار بعض العارفين بقوله:

لَقَدْ ظَهَرَتْ فَلَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَكْمَمِهِ لَا يُبْصِرُ الْقَمَرَا
لَكِنْ بَطَّنَتْ بِمَا أَظْهَرَتْ مُحْتَجِبَا وَكَيْفَ يُبْصِرُ مَنْ بِالْعِزَّةِ اسْتَتَرَا
واعلم أنَّ الحكمة عين القدرة، والقدرة عين الحكمة، إذ الفاعل واحد. وسأذكر لك شيئاً من بحر القدرة، وشيئاً من بحر الحكمة، ليظهر لك الفرق بينهما، مع اتحادهما محلاً، فنقول: وبالله التوفيق:

بَحْرُ الْقُدْرَةِ، بَحْرُ زَاخِرٍ، وَأَمْرُهُ قَاهِرٌ، لَيْسَ لَهُ أَوْلُ وَلَا آخِرُ، يُظْهِرُ وَيُبْطِنُ، وَيَحْرُكُ وَيَسْكُنُ، وَيَقْبِضُ وَيُدْفَعُ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيَحْفَظُ وَيَرْفَعُ، بِيَدِهِ مَقَادِيرُ الْأُمُورِ، وَعَلَى قُطْبِ دَائِرَتِهِ الْأَفْلاكُ تَدُورُ، أَصْلُ الْفُرُوعِ، وَفُرُوعُ الْأَصُولِ، وَإِلَيْهِ يَنْتَهِي الْوَصُولُ. تَطِيرُ إِلَيْهِ قُلُوبُ الْمُشْتَاقِينَ، وَتَعُومُ فِي طَرْفِ لَجَّتِهِ أَرْوَاحُ السَّائِرِينَ، وَتَخْوِضُ فِي بَحْرِ لُجَّتِهِ أَسْرَارُ الْوَاصِلِينَ، وَلَا تَعْرِفُ كُنْهَ عَظَمَتِهِ قُلُوبُ الْعَارِفِينَ؛ غَايَةُ مُنْتَهَاهَا الدَّهْشُ وَالْجَيْرَةُ، ثُمَّ الْعُكُوفُ فِيهِ الْحَضْرَةُ.

وَأَمَّا بَحْرُ الْحِكْمَةِ؛ فَهُوَ أَيْضاً: بَحْرُ زَاخِرٍ، وَأَمْرُهُ ظَاهِرٌ، يُظْهِرُ الْأَسْبَابَ، وَيُسَدِّلُ الْحِجَابَ، يَرْبِطُ الْأَحْكَامَ بِالْعِلَلِ، وَيَقْرُرُ الشَّرَائِرَ وَالْمِلَلِ، يُعْطِي مَا يَبْزُرُ مِنْ عُنْصُرِ الْقُدْرَةِ بِرَدَائِهِ، وَيَسْتَرُ مَا يَبْدُو مِنْ أَسْرَارِ الرُّبُوبِيَّةِ بِعِزِّ كِبْرِيَايَتِهِ، يُنَوِّرُ الطَّرِيقَةَ، وَيَصُونُ الْحَقِيقَةَ، يُظْهِرُ الْعِبُودِيَّةَ، وَيُبْطِنُ الْحَرِيَّةَ، مَنْ وَقَفَ مَعَهُ كَانَ مَخْجُوباً، وَمَنْ نَفَدَ مِنْهُ إِلَى بَحْرِ الْقُدْرَةِ، كَانَ وَاصِلاً مُجْذُوباً، وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهِمَا مَعاً، كَانَ كَامِلاً مُحْجُوباً، وَبِالْعَنَاءِ مَصْحُوباً، وَاعْلَمْ أَنَّ الْقُدْرَةَ وَالْحِكْمَةَ، كُلُّ وَاحِدَةٍ تَنَادِي عَلَى صَاحِبَتَيْهَا، بِلِسَانِ خَالِيهَا. أَمَّا الْقُدْرَةُ فَتَقُولُ لِلْحِكْمَةِ: أَنْتِ تَحْتِ قَهْرِي وَمَشِيئِي، لَا تَفْعَلِي إِلَّا مَا أَسَاءُ، وَلَا يَصْدُرُ مِنْكَ إِلَّا مَا أَرِيدُ، فَإِنْ أَرَدْتَ خِلَافِي رَدَدْتُكَ، وَإِنْ سَبَقْتَنِي أَدْرَكْتُكَ. وَتَقُولُ الْحِكْمَةُ لِلْقُدْرَةِ: أَنْتِ تَحْتِ حُكْمِي، وَعِنْدَ أَمْرِي وَنَهْيِي، فَإِنْ عَصَيْتَنِي أَدْبْتُكَ، وَرُبَّمَا قَتَلْتُكَ، فَإِنْ بَرَزْتَ الْقُدْرَةَ مُوَافِقَةً لِلْحِكْمَةِ، كَانَ ذَلِكَ

علامة الجمال عاجلاً أو آجلاً، وإن برزت القدرة مخالفة للحكمة، كان علامة الجلال عاجلاً أو آجلاً؛ لأن الحكمة منوط الشريعة، والقدرة محل الحقيقة. فإذا خلفت الحقيقة الشريعة، كان معصية؛ وهي سبب الجمال، والإنسان دائر بين قدرة وحكمة، كما هو دائر بين حقيقة وشريعة، والله تعالى أعلم. ثم ذكر الشيخ مطلوبه بالنداء فقال: «اسمع ندائي» سماع قبول، أي أجب دعائي. «بما سمعت»: أي بالوجه الذي سمعت «به نداء عبدك زكرياء»؛ وهو سرعة الإجابة، على وجه خرق العادة، فقد وهب له ولداً من ضلبي، مع يأس أهله، وكبر سنه، وفيه إشارة لطلب الوارث الروحاني، فكان الشيخ خاف أن ينقطع الانتفاع به بعد موته، حيث لم يترك وارثاً لسره، فأجاب الله دعاءه، بأبي الحسن الشاذلي، فأخذ سره، ونشره في المشرق والمغرب، فقد انتشرت الطريقة الشاذلية، انتشار الشمس في أفق السماء، وكثر أتباعها شرقاً وغرباً، كل ذلك في صحيفة الشيخ رضي الله عنه، والمرء في ميزانه أتباعه. فأقدر بذلك قدر النبي محمد ﷺ، ثم كمل مطلوبه فقال: «وانصرتني»: أي قوني وأعني في الظاهر بك، لا بواسطة شيء، لأكون عبداً خالصاً لك؛ لأن النضر إذا كان بواسطة، ربما تميل النفس إلى محبة الواسطة، فتحجب عن المتوسط، بخلاف ما إذا كان بلا واسطة، أو غائباً عنها، كان عبداً حقيقياً، لانهصار المحبة في الناصر الحقيقي. «وأيدني» أي قوني في الباطن «بك» لا برؤية غيرك «لك»: أي لأكون عبداً خالصاً لك، فتقرر، أن النضر في الظاهر، بموافقة الأسباب، والتأييد في الباطن، برفع الحجاب، وموافقة الصواب. وقيل: النضر والتأييد مترادفان، والجمع بينهما تفنن في العبارة. والتحقيق: الأول. ويوافق النضر: الهداية ويوافق التأييد: التوفيق. والحاصل: أن النضر والهداية والتأييد والتوفيق محلها القلوب. لكن النضر والهداية، يظهر أكثرهما على الجوارح الظاهرة. فتهدى إلى الطهارة والاستقامة، وتقوى على المواظبة على العبادة. والتأييد والتوفيق: يظهر أثرهما على العوالم الباطنية، فتتخلى عن الرذائل، وتتحلى بأنواع الفضائل؛ التي هي مكارم الأخلاق، والرضى والتسليم، والمحبة والمعرفة. وغير ذلك مما تقدم ذكره. والله تعالى أعلم. ثم ذكر ثمرة النضر، والتأييد؛ وهو الجمع على الله، والغيبه عما سواه، على سبيل الاستغراق والدوام فقال: «واجتمع بيني وبينك» طلب دوامه واتصاله، وإلا فالجمع حاصل له، فهو كقوله تعالى: ﴿بِأَيُّهَا النَّبِيُّ أَنْقِ اللَّهُ﴾ والجمع: شهود الربوبية متصلة على الدوام. والفرق: شهود العبودية منفصلة على الدوام. أو تقول: الجمع، شهود القدرة وحدها. والفرق:

شهود الحكمة وخدمها. فأهل الجذب والفناء: لا يشهدون إلا الجمع، وأهل السلوك قبل رفع الحجاب، لا يشهدون إلا الفرق، وأهل البقاء يشهدون الجمع في عين الفرق. والفرق في عين الجمع، فهم مجموعون في فرقتهم. مفروقون في جمعهم، لا يحجبهم جمعهم عن فرقتهم، ولا فرقتهم عن جمعهم، رضي الله عنهم.

ولما طلب الجمع على الدوام، طلب نفى ضده؛ وهو الفرق فقال: «وخل بيني وبين غيرك». شهود غيرك: هو الغفلة عن المعرفة. وإلا فلا غير. فكأنه طلب الحيلولة بينه وبين الغفلة؛ التي ثبتت الغيرية، أو الحيلولة بينه وبين الوهم، إذ هو الذي يثبت الغيرية، ولقد سمعت شيخنا البوزيدي رضي الله عنه كثيراً ما يقول: «والله ما حجب الناس عن الله إلا الوهم، والوهم: أمر عديم له لا حقيقة له». يعني أنهم توهّموا وجود السوى، ولا وجود للسوى. «الله» هذا التحقيق للجمع الذي طلب. وحذف النداء لدلالته على البعد، ولا بعد مع الجمع. وكرر (الله) ثلاثة، على عدد العوالم الثلاثة، «الملك، والملكوت، والجبروت». فكل مرة يفتى بها عالماً، ويترقى إلى آخر. حتى يستقر بالثالثة: في عالم الجبروت. فإذا قال: الله أولاً، أفنى عالم الملك، وإذا قالها ثانياً، أفنى عالم الملكوت، وإذا قالها ثالثاً، خاف الجبروت، واستقر فيه، وسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: إذا قال الإنسان: الله، قصم به الكون كله إذا تلقاه من الشيخ. والقصم: الهلاك والذهاب. وكان شيخ شيوخنا سيدي علي يقول: ما ظن أحد، أن الكون يذوب إذا ذكر اسم الله عليه. قلت: وما قاله الشيخان رضي الله عنهما صحيح، فإذا قلت: الله، وتوجهت بقلبك إلى الكون، من العرش إلى العرش، ذاب وتلاشى، ولم يبق له أثر، فجزاهما الله عتاً خيراً، ويؤخذ من تكرار الشيخ لهذا الاسم العظيم، جواز تكرار هذا اللفظ، والاقصصار عليه في الذكر؛ وهو التحقيق، خلاف ما ذكر الحطاب، عن عز الدين بن عبد السلام، ولعله قبل أن يلتقي بالشيخ، وفي المسألة ثلاثة مذاهب: الجواز مطلقاً في البداية والنهاية. والمنع مطلقاً. والتفصيل يجوز في النهاية، ولا يجوز في البداية. والمشهور الأول قال في لطائف المئين: وكان الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه يحض عليه كثيراً، ويقول: هو سلطان الأسماء. وقال اليوسي: ثمرة هذا الاسم، معرفة الذات، وقد تولاه أبو الحسن الثوري، فبقي أياماً يقول: الله. الله. لا يفتر. ولا يأكل، ولا يشرب، فذكر ذلك للجنيد، فقال له: إن كنت تقوله بنفسك فانت مشرك، وإن كنت تقوله بالله

فَلَسْتَ أَنْتَ الْقَائِلَ . فَمَا هَذَا التَّوَلُّهُ؟ . فَسَكَتَ . وَقَالَ : نِعْمَ الطَّيِّبُ أَنْتَ . وَلَمَّا كَانَ الْجَمْعَ الْحَقِيقِي ، الَّذِي تَصَحَّبُهُ التُّضَرَّةُ وَالسُّرُورُ ، وَلَا تَعْتَرِيهِ غَفْلَةٌ وَلَا فَتْوَرٌ ، إِثْمَا تَكُونُ بَعْدَ الْبَغْثِ وَالشُّشُورِ ، تَلَا عَلَيَّ رُوحَهُ هَذِهِ الْآيَةَ ، عَلَى مَذْهَبِ تَفْسِيرِ أَهْلِ الْإِشَارَةِ ، تَسْلِيَةً لَهَا فَقَالَ : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَيَّ مَعَادٍ ﴾ أَيُّ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ أَحْكَامَ الْقُرْآنِ ، وَالْعَمَلُ بِهِ لَرَأْدُكَ إِلَيَّ مَعَادٍ عَظِيمٍ ، فَتَتَّصِلُ بِمُحِبِّبِكَ عَلَى الدَّوَامِ ، وَأَمَّا دَارُ الدُّنْيَا فَهِيَ دَارُ أَهْوَالٍ وَمَنْزِلُ فِرْقَةٍ وَأَنْتَقَالَ ، لَا تَسْتَعْرِبُ وَفُوعَ الْأَكْدَارِ ، مَا دُمْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ . فَإِنَّمَا أُبْرَزَتْ مَا هُوَ مُسْتَحِقُّ وَضْفَهَا ، وَوَجِبَ نَعْتَهَا ، ثُمَّ ذَكَرَ دَعَاءَ أَهْلِ الْكَهْفِ ، تَشْبِيهًا بِهِمْ فِي التَّبَثُّلِ وَالْإِنْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ ، وَالْفِرَارِ مِمَّا سِوَاهُ ، فَقَالَ : « رَبَّنَا آتِنَا : أَيُّ أَعْطَانَا وَامْتَحِنَا » مِنْ لَدُنْكَ : أَيُّ مِنْ مُسْتَبِطِنِ أُمُورِكَ ؛ لِأَنَّ لَدُنَّ ، تَدُلُّ عَلَى الْإِتِّصَالِ وَالْقُرْبِ أَكْثَرَ مِنْ عِنْدِ . أَيُّ هَبْ لَنَا مِنْ خَزَائِنِ فَيْضِكَ « رَحْمَةً » عَظِيمَةً تَضْمُنُنَا وَتَوْخِشُنَا مِنْ غَيْرِكَ . « وَهَيِّئْ » أَيُّ وَاجْعَلْ ؛ « لَنَا مِنْ أَمْرِنَا » كُلَّهُ « رَشْدًا » : أَيُّ صَوَابًا . وَالْمَعْنَى ، وَاجْعَلْ أَمْرَنَا كُلَّهُ رَشْدًا ، وَصَوَابًا لِمُؤَافَقَتِهِ لِمَحَابَّتِكَ وَمَرْضَاتِكَ ؛ وَهَذَا يُسَمَّى عِنْدَ أَهْلِ الْبَيَانِ : التَّجْرِيدَ . وَمَعْنَاهُ : أَنَّهُمْ إِذَا بِالْغَوَا فِي الشَّيْءِ ، جَرَّدُوا مِنْهُ نَوْعًا آخَرَ مِنْ جَنْسِهِ . كَقَوْلِكَ : لَقِيتُ مِنْ زَيْدٍ أَسَدًا . مُبَالَغَةٌ فِي شَجَاعَتِهِ . وَقَوْلِكَ : لِي مِنْ فُلَانٍ صَدِيقٍ حَمِيمٍ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هَلُمُّ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ﴾ . وَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ أَمْرُهُ كُلُّهُ رَشْدًا . حَتَّى كَأَنَّهُ جَرَّدَ مِنْهُ رَشْدًا آخَرَ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَهَذَا آخِرُ التَّصْلِيَةِ فِي التَّسْبِيحِ الْعَتِيقَةِ ، وَزَادَ بَعْضُهُمْ : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » . وَفِي الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى تَعْظِيمِ أَمْرِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . حَيْثُ بَدَأَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِنَفْسِهِ . وَثَنَى بِمَلَائِكَةِ قُدْسِهِ . وَثَنَتْ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ جَنَّةِ وَإِنْسِهِ ، فَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْأَمْرِ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . « إِنَّ اللَّهَ يَرْحَمُ آدَمَ فَاسْجُدُوا لَهُ » . وَفِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ ، وَلَهَا ثَمَرَاتٌ عَدِيدَةٌ ، ذَكَرَهَا ابْنُ فَرْحُونَ وَغَيْرُهُ ، فَلَا نَطِيلَ ، بِذِكْرِهَا . فَلَا يَنْبَغِي لِلْفَقِيرِ أَنْ يَهْمَلَ نَفْسَهُ مِنْهَا . فَإِنْ كَانَ سَائِرًا خَتَمَ ذِكْرَهُ بِهَا ، وَبَدَأَ بِهَا ، وَإِنْ كَانَ مَتَمِّكِنًا اسْتَعْرَقَ أَوْقَاتَهُ فِيهَا بِالْفِكْرَةِ ، ثُمَّ امْتَثَلَ أَمْرَ الْخَالِقِ فَقَالَ : « صَلِّ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا » . وَفِي وَجُوبِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَدْبِهَا خِلَافَ الْمَشْهُورِ . وَالْمَشْهُورُ أَنَّهَا وَاجِبَةٌ مَرَّةً فِي الْعُمْرِ ، ثُمَّ يَبْقَى الْاسْتِحْبَابُ ، فَلَا يَهْمَلُ نَفْسَهُ مِنْهَا إِلَّا مُحْرَمٌ ، ثُمَّ خَتَمَ بِذِكْرِ وَرَدَّ عَنْ سَيِّدِنَا عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتَنَالَ بِالْمَكِّيَالِ الْأَوْفَى ، فَلْيَكُنْ آخِرَ دَعَائِهِ : سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ رَبِّ الْأَعْلَى » .

الْعِزَّةَ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ». أي تنزيهاً لِرَبِّكَ، رب العِزَّةَ عَمَّا يصفه بِهِ الكَفْرَةَ، مِنَ الشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ. وفيه إشارة إلى عِزِّهِ وَنُصْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ، لَأَنَّ رَبَّ الْعِزَّةِ، لَا بُدَّ أَنْ يُعِزَّ عَبْدَهُ الْمُخْتَصَّ بِهِ. وَسَلَامَ، أي طيب وتحية، وإكرام على المرسلين المختارين لِسِرِّ وَخِيَةِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، على نُصْرِ أَحِبَّائِهِ وَجُنُودِهِ، جَعَلْنَا اللهُ مِنْ جُنْدِهِ الْمَنْصُورِ؛ أَهْلَ الْخَبْرَةِ وَالسَّرُورِ آمِينَ، وَسَلَامَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

شرح صلاة ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

شَرْحُ التَّضَلُّيَةِ عَلَى النَّبِيِّ، لابن العربي الحاتمي

يقول العبد الفقير، إلى مولاه العني عما سواه: أحمد بن محمد بنعجبية الحسني رضي الله عنه، ونفعنا ببركاته آمين.

الحمد لله المتجلي بكماله؛ الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، والصلاة والسلام على قطب دائرة الوجود، وبذرة التجلي لكل موجود، ورضي الله تعالى عن أصحابه الكرام، وآل بيته ذوي الثراهة والاخترام، وبعث:

فقد سألني بعض الإخوان، أن أضع تقييداً على صلاة النبي ﷺ، لابن العربي الحاتمي، تبين ما انفلق من معانيها، وما أشكل من مبانيها، فأجبت سؤالهم، بعد أن استأذنت شيخنا العارف الرباني البوزيدي الحسني؛ لأن سر الإذن أمر كبير. واعلم أن الناس في مدحه ﷺ على قسمين: قسم مدحوا شخصه الظاهر، فذكروا ما يتعلق بجماله الحسي، وما يتبع ذلك من الكمالات الظاهرة والباطنة، وما يلتحق به من المعجزات والخوارق؛ وهم أهل الظاهر. وقسم مدحوا سره الباطني، ونوره الأضلي، فذكروا نوره المتقدم، وما تفرغ عنه من التجليات الحسية، كالقطب ابن مشيش وأضرابه، ومنهم العارف الرباني، والقطب الصمداني، بحري زمانه، وفريد عصره وأوانه، محيي الدين ابن العربي الحاتمي، المتوفى في حدود القرن السادس حيث قال: «اللهم صل على الذات المطلسم» أي على الكثر المكسبون. فالمطلسم: هو السائر للشيء، والصوان له. وذلك أن الحق جل جلاله؛ كان كثرًا لم يعرف، أي سرًا خفيًا غيبياً، فلما أراد أن يعرف، ظهر قبضة من نور ذاته، سماها محمداً ﷺ، فلما تجلت القبضة من بحر الجبروت، كساها رداء الكبرياء؛

وَهُوَ حِجَابُ الْحُسْنِ، إِذْ لَا بُدَّ لِلْحَسَنَاءِ مِنْ نِقَابٍ، وَلِلشَّمْسِ مِنْ سَحَابٍ، لِيَبْقَى
الْكَنْزُ مَذْفُونًا، وَالسُّرُّ مَضُونًا، فَحِجَابُ الْحُسْنِ الَّذِي اخْتَجِبَتْ بِهِ أَسْرَارُ الذَّاتِ هُوَ
الطَّلَسْمُ. وَالْمَعَانِي الَّتِي هِيَ بَاطِنُ الْقَبْضَةِ وَكَلِمَتُهَا هُوَ الْكَنْزُ، وَهُوَ عَيْنُ الذَّاتِ فِي
مَقَامِ الْجَمْعِ، فَالْقَبْضَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ لَمَّا كَانَتْ مِنْ عَيْنِ الذَّاتِ، أُطْلِقَ عَلَيْهَا الذَّاتُ،
وَلِذَلِكَ قَالَ: عَلَى الذَّاتِ الْمُطَّلَسْمِ. وَمِنْ هَذِهِ الْقَبْضَةِ تَفَرَّعَتِ الْكَائِنَاتُ كُلُّهَا. مِنْ
عَرْشِهَا إِلَى قَرْشِهَا، بِذَوَاتِهَا وَأَرْوَاجِهَا. فَنُورُهُ ﷺ؛ هُوَ بَذْرَةُ الْوُجُودِ، وَالسَّبَبُ فِي
كُلِّ مَوْجُودٍ، فَجَمُنَ سِرُّهُ ﷺ، انشَقَّتْ أَسْرَارُ الذَّاتِ، وَانْفَلَقَتْ أَنْوَارُ الصِّفَاتِ، فَكُلُّ
تَجَلٍّ مِنْ تَجَلِيَّاتِ الْحَقِّ، إِنَّمَا يَبْرُزُ مِنْ نُورِهِ ﷺ، فَحِيَاضُ الْجَبْرُوتِ بِقَيْضِ أَنْوَارِهِ
مُتَدَفِّقَةٌ، مُنْذُ ظَهَرَتِ الْقَبْضَةُ، إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ، حَتَّى إِنَّ أَنْفَاسَ الْجِنَّانِ وَنَعِيمِهَا،
بَارِزَةٌ مِنْ هَذَا النُّورِ الْمُحَمَّدِيِّ؛ لِأَنَّهَا حَسِيَّةٌ، وَالْحُسْنُ مِنْ حَيْثُ هُوَ، كُلُّهُ مُضَافٌ
لِنَبِيِّنَا ﷺ وَمَنْشُوبٌ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَيْنِ الذَّاتِ؛ لِأَنَّ الْإِضَافَةَ لَا تُخْرِجُهُ عَنِ
أَصْلِهِ، فَفِي التَّحْقِيقِ: مَا تَمَّ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا شَيْءٌ سِوَاهُ.

تنبيه: اعْلَمْ أَنَّ الْفُرُوعَ النَّاشِئَةَ مِنَ الْقَبْضَةِ، وَالمْتَفَرِّعَةَ عَنْهَا، كُلُّهَا كُنُوزٌ
مُطَّلَسَمَةٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّ حُكْمَ الْبَعْضِ، حُكْمُ الْكُلِّ، فَالْأَوَانِي طَلَّاسِمٌ لِلْمَعَانِي، فَكُلُّ
شَخْصٍ عِنْدَهُ كَنْزٌ بَيْنَ جَنْبَيْهِ، حَجَبْتُهُ عَنِ الْعَقْلَةِ وَالْوُقُوفِ مَعَ الْحُسْنِ، وَالنُّظَرِ إِلَى
وُجُودِهِ، وَالْإِنْهَمَاكِ فِي حُطُوطِ نَفْسِهِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشُّشْتَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يَا قَاصِدًا عَيْنَ الْخَبِيرِ غِطَّاهُ أَيَّنَكَ
الْخَمْرُ مِنْكَ وَالْخَبِيرُ وَالسُّرُّ عَنَّا
أَزْجِعْ لِيذَاتِكَ وَاعْتَبِرْ مَائِمٌ عَائِيْرَكَ
فَمَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ، وَرَبَّضَهَا وَأَدَبَهَا، حَتَّى إِذَا مَاتَتْ، وَحَيَّتْ رُوحَهُ، ظَهَرَ لَهُ
كَنْزُهُ، وَبَدَأَ لَهُ سِرُّهُ. وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ:

وَأَتَّهُمْ إِنْ كُنْتَ تَفْهَمُ لِأَنَّ كَنْزَكَ قَدْ عَدِمَ عَنْ كُلِّ طَّلَسْمِ
وَقَالَ ابْنُ الْعَرِيفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

بَدَا لَكَ سِرُّ طَالَ عَنكَ اِكْتِسَامُهُ وَلَاخَ صَبَّاحَ كُنْتَ أَنْتَ ظَلَامُهُ
فَأَنْتَ حِجَابُ الْقَلْبِ عَنِ سِرِّ عَيْبِهِ وَلَوْلَاكَ لَمْ يُطْبِعْ عَلَيْهِ خِتَامُهُ
فَإِنْ غَبَّتْ عَنْهُ حَلٌّ فِيكَ وَطُفَّتْ عَلَى مَوْكَبِ الْكَشْفِ الْمَصُونِ خِيَامُهُ
وَجَاءَ حَدِيثٌ لَا يُمَلُّ سَمَاعُهُ شَهِيٍّ إِلَيْنَا نَشْرُهُ وَنِظَامُهُ

إِذَا سَمِعْتَهُ التُّفْسُ طَابَ نَعِيمُهَا وَزَالَ عَنِ الْقَلْبِ الْمُعْتَى غَرَامُهُ
وَلَا بُدَّ مِنْ صُخْبَةِ شَيْخِ عَارِفٍ كَامِلٍ، يُعْرَفُكَ كَيْفِيَةِ الْحَفْرِ عَلَى هَذَا الْكَنْزِ.
وَأَيَّنَ مَوْضِعَهُ لِتَحْفَرَ عَلَيْهِ. وَإِلَّا بَقِيَتْ جَاهِلًا بِهِ، فَقِيرًا عَلَى الدَّوَامِ، مَعَ كَوْنِ الْكَنْزِ
بَيْنَ جَنَّتَيْكَ؛ وَهُوَ رُوحَكَ وَسِرُّكَ، فَإِذَا اسْتَوَلَّتْ رُوحَانِيَّتُكَ عَلَى بَشْرِيَّتِكَ، وَمَعْنَاكَ
عَلَى حَسَبِكَ، ظَهَرَ كَنْزُكَ، وَصِرَتْ غَنِيًّا كَبِيرًا، تُثْبِتُهُ عَلَى الْكَوْنِ بِأَسْرِهِ، وَتَتَعَرَّفُ فِيهِ
بِهَمَّتِكَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ، ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالْغَيْبِ الْمُضْمَضِمِ» أَيِ الْمَحْجَبِ
الْمَسْتُورِ. يُقَالُ: ضَمَضَمَ كَذَا، إِذَا سَتَرَهُ وَاخْتَوَى عَلَيْهِ، فَهُوَ مُضْمَضِمٌ؛ أَيِ مَسْتُورٌ،
وَانظُرِ الْقَامُوسَ، فَهُوَ بَضَادَيْنِ مُعْجَمَيْنِ، لَا بَطَاءَيْنِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ ﷺ، غَيْبٌ مِنْ
غُيُوبِ اللَّهِ. وَسِرٌّ مِنْ أَسْرَارِهِ، لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ إِلَّا رَبُّهُ؛ الَّذِي خَلَقَهُ
وَأَظْهَرَهُ، وَعَنْهُ ﷺ: «وَاللَّهُ مَا عَرَفَنِي حَقِيقَةً غَيْرُ رَبِّي».

وَفِي تَصْلِيَةِ الْقَطْبِ ابْنِ مَشِيشٍ، أَيِ عَنْهُ «تَضَاءَلَتِ الْفُهُومُ، فَلَمْ يُدْرِكْهُ مِثْلًا
سَابِقٌ وَلَا لَاحِقٌ». وَقَالَ أَوْسُ الْقَرْنَبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهُ مَا رَأَى أَضْحَابَ
مُحَمَّدٍ، مِنْ مُحَمَّدٍ إِلَّا قَشْرَةَ الظَّاهِرِ. وَأَمَّا الْبَاطِنُ فَلَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ». فَقِيلَ: وَلَا ابْنَ
أَبِي قِحَافَةَ. وَالْمَرَادُ: تَفِيُّ الإِحَاطَةِ بِسِرِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُدْرِكُ رُوحَهُ. وَأَمَّا
إِذْرَاكَ الْبَعْضِ، فَلَهُمْ فِي ذَلِكَ نَصِيبٌ، عَلَى قَدْرِ التَّوَجُّهِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَكَذَلِكَ الْأَوْلِيَاءُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، يَتَفَاوَتُونَ فِي إِدْرَاكِ بَاطِنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى قَدْرِ مَعْرِفَتِهِمْ بِاللَّهِ،
فَمِنْهُمْ مَنْ يُدْرِكُ شَيْئًا مِنْ سِرِّهِ ﷺ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُدْرِكُ رُوحَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُدْرِكُ قَلْبَهُ،
وَمِنْهُمْ مَنْ يُدْرِكُ عَقْلَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُدْرِكُ نَفْسَهُ، فَأَهْلُ الرُّسُوحِ وَالتَّمَكِينِ، يَدْرِكُونَ
سِرَّهُ ﷺ؛ الَّذِي هُوَ سَارٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ فَلِذَلِكَ لَا يَغِيبُونَ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَهْلُ
التَّلْوِينِ قَبْلَ التَّمَكِينِ، يَدْرِكُونَ رُوحَهُ، فَيُشَاهِدُونَهُ فِي غَالِبِ الْأَوْقَاتِ، وَأَهْلُ السَّيْرِ
مِنَ الْمَرِيدِينَ، يُدْرِكُونَ قَلْبَهُ، فَيَحْصِلُ لَهُمْ كَمَالُ الْإِيْقَانِ، وَتَقِلُّ رُؤْيَتُهُمْ لَهُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، وَأَهْلُ الْحِجَابِ مِنْ عَامَّةِ الصَّالِحِينَ، يُدْرِكُونَ عَقْلَهُ، أَوْ نَفْسَهُ، فَيَرَوْنَ فِي
الْمَنَامِ، وَفِي الْيَقِظَةِ، شَخْصَهُ الْحَسِّيَّ، عَلَى قَدْرِ فَنَائِهِمْ فِيهِ، وَأَهْلُ هَذَا الْمَقَامِ، هُمْ
أَهْلُ حَضْرَةِ الْأَشْبَاحِ، كَمَا أَنَّ السَّابِقِينَ قَبْلَهُ، هُمْ أَهْلُ حَضْرَةِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَسْرَارِ،
وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالْكَمَالِ الْمُكْتَسَمِ». وَلَا شَكَّ أَنَّهُ ﷺ،
جَمَعَ الْكَمَالَاتِ كُلَّهَا. فَكَانَتْ صُورَتُهُ الشَّرِيفَةَ فِي غَايَةِ الْجَمَالِ، وَرُوحَهُ الْمُطَهَّرَةَ،
فِي غَايَةِ الْكَمَالِ. وَسِرُّهُ الْبَاهِرَ، فِي غَايَةِ التَّمَامِ. وَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهِ مِنَ الْكَمَالَاتِ
وَالْمَحَاسِنِ، مَا لَمْ يَجْتَمِعْ فِي مَخْلُوقٍ قَطُّ، وَكُلُّ كَمَالٍ ظَهَرَ فِي غَيْرِهِ، فَإِنَّمَا هُوَ

مُعَارٍ مِنْهُ. وَرَشْحَةٌ مِنْ رَشْحَاتِهِ، وَكُلُّ نُورٍ أَوْ سِرٍّ نَالَهُ غَيْرُهُ، فَإِنَّمَا هُوَ مُقْتَبَسٌ مِنْ نُورِهِ، كَمَا قَالَ الْبُوصِيرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مَلْتَمَسٍ عَزْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيَمِ
وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ
فَإِنَّهُ شَمْسٌ فَضْلٌ هُمْ كَوَاكِبُهَا يُظْهِرُونَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

إِلَّا أَنَّ الْحَقَّ جَلَّ جَلَالُهُ كَتَمَ ذَلِكَ الْكَمَالَ، وَحَجَبَهُ، وَلَوْ أَظْهَرَهُ، لَعَبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، كَمَا عُبِدَ عَيْسَى، فَكَانَ كَمَالُهُ وَجَمَالُهُ مُكْتَتَمًا، لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ، إِلَّا مَنْ صَفَلَتْ مِرَاةُ قَلْبِهِ. فَنظَرَ إِلَى بَاطِنِهِ دُونَ ظَاهِرِهِ، كَالصُّدِّيقِ، وَمَنْ كَانَ عَلَى قَدَمَيْهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، ثُمَّ قَالَ: «لَاهُوتُ الْجَمَالِ، وَتَأَسُّوتُ الْوِصَالِ» قُلْتُ: اللَّاهُوتُ عبارة عن أسرار المعاني الباطنية القائمة بالأشياء؛ وهي أسرار الذات. والتأسوتُ عبارة عن حسُّ الأواني الظاهرة. والحاصل: اللاهوت: ما بطن. والتأسوت: ما ظهر. ومعنى كلامه: أَنَّ كُلَّ جَمَالٍ فِي عَالَمِ الْمَلَكُوتِ، فَالْمُصْطَفَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَضْلُهُ وَمَعْدَنُهُ وَسِرُّهُ وَوَبُّهُ؛ فَهُوَ مَعْدِنُ الْجَمَالِ، وَأَضْلُ الْكَمَالِ. فَمَا تَبَهَّجَ رِيَاضِ الْمَلَكُوتِ، إِلَّا بِزَهْرِ جَمَالِهِ، مَا ظَهَرَ بِهَجَّةِ الْمُلْكِ إِلَّا بِحَسَنِ كَمَالِهِ؛ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: لِأَهْوَتْ الْجَمَالِ، أَي أَضْلُهُ وَمَعْدَنُهُ، وَبِاطِنُهُ وَوَبُّهُ. فَمِنْ مَعْدِنِ سِرِّهِ ﷺ، تَفَرَّعَتْ أَنْوَاعُ الْجَمَالِ، وَكَانَ يُشِيرُ إِلَى جَمَالِ الْمَعْنِيِّ؛ الَّذِي يُشْبِهُ الْأَرْوَاحَ، وَيَغِيبُ الْعُقُولَ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

تَرَائِي غَائِبًا عَنْ كُلِّ أَيْنٍ كَأَسُ الْمَعْنِيِّ حُلُو الْمَذَاقِ

وَبِالْجُمْلَةِ: فَجَمَالِ الْمَعْنِيِّ؛ هُوَ مِنْ جَمَالِ سِرِّهِ ﷺ. فِيهِ عُرْفٌ، وَفِيهِ ظَهْرٌ، وَمَا ذَاقَ أَحَدٌ شَيْئًا مِنْ خِلَاوَةِ الْمَعْنِيِّ، وَلَذَّةِ الشُّهُودِ، إِلَّا بِاتِّبَاعِهِ، وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِ ﷺ، فَهُوَ لِأَهْوَتْ جَمَالِ الْمَعْنِيِّ وَمَعْدَنُهَا، فَالْمَعْنِيُّ الْبَاطِنِيَّةُ تُسَمَّى مَلَكُوتًا، وَالحَسَّ الظَّاهِرِ، يُسَمَّى مُلْكًا، وَالبَحْرُ الْمُحِيطُ: مِنَ الْأَسْرَارِ اللَّطِيفَةِ الْبَاقِيَةِ عَلَى أَضْلُهَا؛ الَّذِي تَتَدَفَّقُ أَنْوَارُ الْكَائِنَاتِ مِنْهُ، يُسَمَّى جَبْرُوتًا، فَجَمَالِ الْمَعْنِيِّ، إِنَّمَا عُرِفَ وَظَهَرَ بِهِ ﷺ. وَجَمَالِ الْحَسِّ إِنَّمَا تَبَهَّجَ بِنُورِهِ ﷺ؛ وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الْقُطْبُ ابْنُ مَشِيشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: «فَرِيَاضُ الْمَلَكُوتِ بِزَهْرِ جَمَالِهِ مُونِقَةٌ، وَحِيَاضُ الْجَبْرُوتِ بِقِيْضِ أَنْوَارِهِ مُتَدَفِّقَةٌ». وَقَوْلُهُ: نَاسُوتُ الْوِصَالِ؛ يُشِيرُ إِلَى ظَاهِرِهِ ﷺ. كَانَ فِي مَحَلِّ الْوِصَالِ وَالْإِتِّصَالِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي مَحَلِّ الْفَرْقِ وَالْإِنْفِصَالِ. فَكَمَا أَنَّ

باطنه كان معدن الأسرار، كذلك ظاهره محل الأنوار، فكان مستغرقاً في البحر الأحدي، بظاهريه وباطنيه، والله تعالى أعلم. ثم قال رضي الله عنه: «طلعة الحق»: أي أول تجليه؛ وظهوره في عالم الغيب، فأول ما طلع من أسرار الذات الكنزية. القبضة المحمدية، فمنها انشقت أسرار الذات، وظهرت أنوار الصفات. فلولاه عليه السلام، ما ظهر الوجود، ولا عرف الملك المعبود؛ فهو الواسطة بين الله ومخلوقاته، فلولاً الواسطة لذهب المتوسط.

ثم إن القبضة المحمدية هي عين الذات، برزت من عين الذات، لكن تسمى ما تكشف منها وتحسن: محمداً ﷺ، وأما ما بطن، فباق على أضليه؛ من اللاهوتية، فالقدر الذي سماه منها محمداً ﷺ. إنما هو جسها، وجوهريتها الظاهر. وأما ما بطن من المعاني؛ فهو لاهوتي؛ وليس هو بحلول؛ لتفي الغيرية ومخوها عن نظر العارفين. ولما كانت تلك القبضة بها ظهر الكثر المدفون، وبها انكشف السر المصون، شبهها بثوب النقاب؛ الذي يعطى به الوجه الحسن، فقال رضي الله عنه: «كثوب عين إنسان الأزل، في نشر من لم يزل»: فشبّه الأزل، بإنسان له عين حسنى، كانت محجوبة مصونة، مستورة بثوب، فلما أراد أن يظهرها، كشف ثوب نقابها، وظهرت محاسنها، وباهر جمالها، كذلك الخمرة الأزلية، كانت لطيفة خفية، فلما أرادت أن تظهر، كشفت عن وجه سيرها، فأظهرت من جمالها نور القبضة المحمدية، ثم انتشر من القبضة سائر الفروع الكونية، وهذا معنى قوله: نشر من لم يزل؛ أي هو عليه السلام، كثوب عين إنسان الأزل، ويرجع الكلام إلى قوله: هو كثوب عين الأزل، المنشور عليه، فكشفه في إرادة نشر من لم يزل؛ أي عند إرادة إظهار من لم يزل من الفروع الكونية الحديثة، وهذا مجرد اصطلاح: يقولون في السر الأزلي في حال الكنزية أزل. وفيما تفرغ منه لم يزل. والكل واحد. الفرع عين الأصل. والأصل عين الفرع. ما تجلى به فيما لم يزل، كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان، والله ذو القائل:

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ لَمْ يَبْقَ كَائِنٌ فَمَا نَمَّ مَوْضُولٌ وَلَا نَمَّ بَائِنٌ
بِذَا جَاءَ بُرْهَانُ الْعَيَانِ فَمَا أَرَى بَعَيْنِي إِلَّا عَيْنَهُ إِذْ أَعَايِنُ

ثم قال رضي الله عنه: «من أقامت به نواصيئ المرقي، في قاب ناسوت الوصال»: من بدأ من الذات، ونواصيئ جمع ناسوت؛ وهو ما ظهر من الحسن.

كَمَا أَنَّ اللَّاهُوتَ مَا بَطْنَ مِنَ الْمَعْنَى، وَقَابُ الْقَوْسِ: مَا بَيْنَ مَحَلِّ وَتَرِهِ وَطَرَفِهِ. وَالْمَعْنَى: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الذَّاتِ الْمُطْلَسَمِ، الَّذِي أَقَامَتْ، أَي دَامَتْ بِهِ، أَي بِبِرِّكَ اتِّبَاعِهِ، أَشْبَاحُ أَهْلِ الْفَرْقِ، فِي مَقَامِ الْقُرْبِ، فَكَانُوا مِنْ حَضْرَةِ الْوِصَالِ، مَقْدَارِ قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَذْنَى، فَأَقَامُوا فِي الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ بِهِ ﷺ، وَلَوْ أَعْرَضُوا عَنْهُ لَطَرِدُوا وَأَبْعَدُوا، وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِالتَّوَاسِيَةِ، دُونَ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ؛ لِأَنَّ الْقُلُوبَ وَالْأَرْوَاحَ مَحَلُّهُمَا الْجَمْعُ بِنَاسُوتِ الْوِصَالِ كِنَايَةً عَنِ حَضْرَةِ الْوِصَالِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ تَبِعَهُ ﷺ، وَتَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ، وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِ، نَالَ الْقُرْبَ بَعْدَ الْبُعْدِ، وَالْوِصَالَ بَعْدَ الْفِرَاقِ، فَإِنَّهُ ﷺ، بَابُ اللَّهِ وَحِجَابُهُ الْأَعْظَمُ؛ فَمَنْ زَامَ الدُّخُولَ عَلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ، طَرِدَ وَأَبْعَدَ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَأَنْتَ بَابُ اللَّهِ أَي أَمْرِي؛ وَأَفَاءَهُ مِنْ غَيْرِكَ لَا يَدْخُلُ

كَمَا أَنَّ مَنْ أَزَادَ الْوُصُولَ إِلَى الْمُلُوكِ، لَا بُدَّ أَنْ يَتَحَبَّبَ إِلَى وَرَرَاتِهِمْ، وَيَهْدِي لَهُمْ، وَيَخْدُمُهُمْ، فَحِينَئِذٍ يُوَصِّلُونَهُ إِلَى الْمَلِكِ. فَكَذَلِكَ مَنْ أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَى اللَّهِ. لَا بُدَّ أَنْ يَخْدُمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَيُعَظِّمَهُ، وَيُعَظِّمَ مَا انْتَسَبَ إِلَيْهِ، وَيُعَظِّمَ خَلْفَاءَهُ؛ وَهَمَّ الْأَوْلِيَاءَ، وَيُقْبِلُ التَّرَابَ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ، فَحِينَئِذٍ يُوَصِّلُونَهُ إِلَى الْحَضْرَةِ، وَالْأَبْقَى بَعِيداً مِنْ حَيْثُ يَظُنُّ الْقُرْبَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ، ثُمَّ قَالَ: «الْأَقْرَبُ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ»: أَي الْأَقْرَبُ مِنْ غَيْرِهِ، مِنْ سَائِرِ الرُّسُلِ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، فَكَانَتْ الرُّسُلُ كُلُّهَا تَدْعُو إِلَى اللَّهِ، وَتَبَيَّنُ الطَّرِيقُ إِلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ؛ هُوَ أَقْرَبُ مِنْهُمْ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ. فَبَيَّنَ مِنْ اسْمِ الطَّرِيقِ، وَمَعَالِمِ التَّحْقِيقِ، فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ، فَهَدَى اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْخَلْقِ فِي زَمَانٍ يَسِيرٍ، مَا لَهُمْ يَهْدِي عَلَى يَدِ غَيْرِهِ، فِي الْأَزْمِنَةِ الْمَتَطَاوِلَةِ، وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ عَلَى قَدَمَيْهِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الْجَامِعِينَ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ يَهْدِي اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ الْجَمَّ الْغَفِيرَ، فِي زَمَانٍ يَسِيرٍ؛ لِأَنَّهُمْ عَلَى بَصِيرَةٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾. أَي وَمَنِ اتَّبَعَنِي يَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ؛ وَهِيَ بَصِيرَةُ الْعَيَانِ، وَالذُّوقِ وَالْوَجْدَانِ، لَا بَصِيرَةُ التَّقْلِيدِ؛ الَّتِي هِيَ نَاشِئَةٌ عَنِ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ، ثُمَّ قَالَ: «فَصَلِّ اللَّهُمَّ بِهِ فِيهِ مِنْهُ عَلَيْهِ وَسَلِّمْ»: قُلْتُ: إِذَا فَتَى الْعَبْدُ عَنِ نَفْسِهِ وَجِسْمِهِ، لَمْ يَرَ إِلَّا أَنْوَارَ النُّبُوَّةِ ظَاهِرَةً، وَأَسْرَارَ الرُّبُوبِيَّةِ بَاطِنَةً، فَإِذَا صَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَأَى نُورَهُ ﷺ، لَا هُوَ، وَإِذَا سَبَّحَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ، وَوَحَّدَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ، وَإِلَى هَذَا، أَشَارَ الْهَرَوِيُّ، حِينَ سُئِلَ عَنِ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ بِقَوْلِهِ:

مَا وَحَّدَ الْوَاحِدُ مِنْ وَاحِدٍ فَكُلُّ مَنْ وَحَّدَهُ جَاحِدٌ
 وَتَوْحِيدٌ مَنْ يَنْطِقُ عَنْ نَفْسِهِ تَثْنِيَّةٌ أَبْطَلَهَا الْوَاحِدُ
 تَوْحِيدُهُ إِيَّاهُ تَوْحِيدُهُ وَتَوْحِيدُهُ غَيْرُهُ لِأَجْدٍ
 وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى، أَشَارَ الشُّشْتَرِيُّ بِقَوْلِهِ:

إِنَّا بِاللَّهِ نَنْطِقُ وَمِنَ اللَّهِ نَسْمَعُ

وهذه نتيجة محبة الحق للعبد، لقوله: «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُهُ». وَمَعْنَى كَلَامِ الشَّيْخِ: فَصَلَّ اللَّهُمَّ بِهِ، لَا بِنَفْسِي فِيهِ، أَيْ فِي حَضْرَتِهِ، بِحَيْثُ يَسْمَعُهَا مِنِّي بِلَا وَاسِطَةٍ، لَا فِي حَضْرَةِ نَفْسِي، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ ﷺ، قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ صَلَاةَ الْمُصَلِّينَ عَلَيْكَ فَمَنْ يَأْتِي بِعَدِّكَ، مَا خَالَتَهُمْ عِنْدَكَ؟ فَقَالَ: «أَمَّا أَهْلُ الْمَحَبَّةِ فَاسْمَعُ صَلَاتَهُمْ، وَأَعْرِفُهُمْ، تَعْرِضُ عَلَيَّ صَلَاةَ غَيْرِهِمْ عَرْضًا». وَأَهْلُ الْمَحَبَّةِ؛ هُمُ أَهْلُ الْفَنَاءِ، الَّذِينَ يُصَلُّونَ عَلَيَّ سِرًّا، وَيُشَاهِدُونَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ، كَمَا قَالَ الْمُزْسَبِيُّ وَغَيْرُهُ؛ وَهُمُ أَهْلُ الْجَمْعِ. وَأَمَّا أَهْلُ الْفَرَقِ، فَتَعْرِضُ صَلَاتَهُمْ عَلَيَّ عَرْضًا. وَقَوْلُهُ: مِنْهُ عَلَيَّ؛ أَيْ وَتَكُونُ تِلْكَ الصَّلَاةُ صَادِرَةً مِنْهُ، وَارِدَةً عَلَيَّ، بِلَا وَاسِطَةٍ أَحَدٍ، فَالْعَارِفُ لَمْ تَبْقَ لَهُ وَاسِطَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَلَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَلْ يَأْخُذُ الْأَشْيَاءَ مِنْ مَعَادِنِهَا، فَالْحَقِيقَةُ يَأْخُذُهَا مِنْ مَعَادِنِهَا؛ وَهُوَ شُهُودُ الذَّاتِ الْأَقْدَسِ، بِلَا وَاسِطَةٍ جِسِّ الْأَكْوَانِ، بَلْ تُنْتَحَى الْأَكْوَانُ، وَتُمْحَقُ مِنْ نَظَرِهِ، فَلَا يَرَى إِلَّا الْمُكُونُ، وَيَأْخُذُ الشَّرِيعَةَ مِنْ مَعَادِنِهَا؛ وَهِيَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ؛ إِنْ كَانَ أَهْلًا، وَإِلَّا اسْتَنْفَتِي قَلْبَهُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: الصُّوفِيُّ لَا مَذْهَبَ لَهُ؛ أَيْ لَا يُقَلِّدُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْمَذَاهِبِ. وَالسَّلَامُ: هُوَ التَّامِينُ، أَيْ أَمْنُهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ مَا يَخَافُهُ عَلَيَّ أُمَّتِي، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْحَبِيبِ الْمَحْبُوبِ، وَالشَّفِيعِ الْمُقَرَّبِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اهـ.

سلك الدرر في ذكر القضاء والقدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ، الْعَالِمُ الْعَارِفُ بِرَبِّهِ، الْكَامِلُ الصُّوفِي، الْوَلِيُّ الصَّالِحِ الْوَاصِلِ: أَبُو الْعَبَّاسِ، سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِنَعِيجِيَّةِ الْحَسَنِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَفَعَنَا بِبِرَّكَاتِهِ آمِينَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْمَلِكِ الْقَدِيرِ، الْمُنْفَرِدِ بِالْإِبْجَادِ وَالتَّذْيِيرِ؛ الَّذِي أَبْدَعَ الْأَشْيَاءَ وَأَتَقْنَهَا عَلَى مَا سَبَقَ فِي عِلْمِ التَّقْدِيرِ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، السَّرَاجِ الْمُنِيرِ، وَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ، الَّذِينَ قَرَّزُوا شَرِيعَتَهُ الْمَطْهُرَةَ أَيَّ تَقْرِيرٍ.

وَبَعْدُ: فَبَحَّرَ الْقَدْرَ وَالْقَضَاءَ، بَحْرًا عَمِيقًا، لَا يَخْوُضُهُ إِلَّا أَهْلُ التَّحْقِيقِ، وَلَا يَقُودُهُ إِلَّا ذُو الْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ. وَهَذِهِ تُبْذَرُ يَسِيرَةً، تَعِينُ عَلَى الْخَوْضِ فِيهِ، وَتَسْكُنُ الْقُلُوبَ لِلرَّضَى بِمَجَارِيهِ. حَمَلَنِي عَلَيْهِ، أَنِّي رَأَيْتُ كَثِيرًا مَمَّنْ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. قَدْ ضَلَّ عَنْهُ وَأَضَلَّ، وَجَعَلَ يَدْفَعُ الْمَقَادِيرَ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْبَابِ وَالْحِجَلِ، وَقَدْ قِيلَ: زَلَّةٌ عَالِمٍ يَضِلُّ بِهَا عَالَمٌ. فَقَدْ رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ زَمَنَ الْوَبَاءِ، يَأْمُرُونَ بِغَلْقِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ وَيَفْرُونَ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى الْمَرَضِيِّ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ، وَهَذَا الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى تَقْيِيدِ هَذَا التَّالِيفِ، فَلَا عِزَّةَ بَعْلَمِ الْأَوْرَاقِ، إِذَا لَمْ يُوَيْدِهِ الْوُجْدَانُ وَالْأَذْوَاقُ. فَالْعِلْمُ النَّافِعُ الَّذِي يَنْكَشِفُ بِهِ عَنِ الْقَلْبِ قَنَاعَهُ، وَيَنْبَسِطُ فِي الصَّدُورِ أَنْوَارَ الْيَقِينِ وَشِعَاعَهُ، وَيَدُورُ عَنِ الْقَلْبِ الشَّكَّ وَالْإِضْطْرَابَ، وَتَحْصُلُ لَهُ الطَّمَأْنِينَةُ بِشَهُودِ الْأَرْبَابِ، فَمَنْ لَا يَقِينُ عِنْدَهُ وَلَا تَحْقِيقَ، فَلَا عِلْمَ لَهُ وَلَا هِدَايَةَ وَلَا تَوْفِيقَ، فَشَاهِدِ الْعِلْمَ الْعَمَلَ. وَشَاهِدِ الْعَمَلَ الصَّحِيحَ هُوَ الْحَالُ. وَشَاهِدِ الْحَالَ هُوَ الذُّوقُ، وَغَايَةُ الذُّوقِ الشُّكْرُ؛ وَهُوَ الْغَيْبَةُ عَمَّا سِوَى الْحَقِّ، وَغَايَةُ الشُّكْرِ الصَّحْوُ؛ وَهُوَ شَهُودُ الْآثَارِ بِالْحَقِّ، وَمِيزَانُ هَذَا هُوَ الْيَقِينُ، وَالسُّكُونُ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ وَهُوَ السُّكُونُ عِنْدَ مَجَارِ الْأَقْدَارِ، وَتَرْكُ الْخَوْضِ بِالتَّذْيِيرِ، وَالْإِخْتِيَارِ،

والرّضى يمّا يبرز من غنْصُر الأقدارِ، والتسليم لأحكام الواجِدِ القهّارِ. وينحصر المقصود من هذا التأليف في خمسة أبواب:

الباب الأول: في حقيقة القدرِ، وما يتعلق به. الباب الثاني: في الاستدلالِ عليه من الكتاب والسنة. وكلام السلف الصالح، ومن طريق الكشف. الباب الثالث: في بيان الحكمة التي هي كالرِداءِ للقدرِ والقضاءِ، وبيان القُدرة التي بها يقع الإظهار والإضمار. الباب الرابع: في إبطال العُدوى والطيرة. الباب الخامس: في اكتساب اليقين، وذكر مواده ومواطنه.

وسَمِيَتْهُ سِلْكُ الدَّرَرِ، فِي ذِكْرِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ: نَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى رَبَّنَا، أَنْ يَنْفَعَ بِهِ مَنْ كَتَبَهُ، أَوْ كَسَبَهُ، أَوْ سَمِعَهُ، أَوْ طَالَعَهُ، بِمَنْهُ وَكَرَمِهِ، وَأَنْ يُلْقِحَ فِي قَلْبِنَا وَقَلْبِهِ أَنْوَارَ الْيَقِينِ، وَيُشْرِقَ فِي سَمَاءِ أَسْرَارِنَا شَمْسُ الْعَارِفِينَ، بِجَاهِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقُدْوَةِ الْمُرْتَبِينَ، سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدَ الصَّادِقِ الْأَمِينِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَطْهَرِينَ.

البَابُ الْأَوَّلُ

فِي تَفْسِيرِ الْقَدْرِ وَالْقَضَاءِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ

الْقَدْرُ بِتَحْرِيكِ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِهَا، مَصْدَرٌ، قَدَّرْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَحْطَطَ بِمَقْدَارِهِ؛ وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ تَعَلُّقِ عَيْنِ عِلْمِ اللَّهِ بِالْكَائِنَاتِ قَبْلَ وُجُودِهَا؛ فَلَا يَظْهَرُ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ شَيْءٌ مِنَ الْخِلَاقِ، إِلَّا وَقَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ وَقَدْرِهِ السَّابِقِ، وَلَا يَصْدُرُ مِنْ خَلْقِهِ قَوْلٌ وَلَا فِعْلٌ، وَلَا حَرَكَةٌ وَلَا سَكُونٌ، إِلَّا وَقَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ وَقَدْرِهِ كَيْفَ يَكُونُ، فَأَيَّامَ الْعَبْدِ مَحْصُورَةٌ، وَأَنْفَاسُهُ مَعْدُودَةٌ، وَخَطْوَاتُهُ مَكْتُوبَةٌ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

مَشَيْتَاهَا خَطَى كَتَبَتْ عَلَيْنَا وَمَنْ كَتَبَتْ عَلَيْهِ خَطَى مَشَاهَا
وَمَنْ قَسَمَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضِ فَلَيْسَ يَمُوتُ بِأَرْضٍ سِوَاهَا

وما مثل العبد مع القدر السابق، إلا كالصبي الذي يتبع التحنّيش، الذي حنّسه له الفقيه، فإذا كمل التحنّيش الذي حنّسه له العلم الأزلي، على ما سبق به القدر والقضاء، رحل إلى مولاة. فالواجب على العبد أن يسكن تحت مجار الأقدار، وينظر إلى ما يفعل الواحد القهار، فالقدر والقضاء والإرادة والمشية، شيء واحد عند أهل السنة، ومزجها إلى سبق العلم الأزلي بالأشياء قبل ظهورها.

ويستمر العلم بها بعد ظهورها. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَعْرِينَ﴾. فتقول على هذا، قدر الله كذا، وقضاه وأراده، وشاءه بمعنى واحد. وأما الرضى والمحبة في حقه تعالى، فهما أحص من الإرادة والمشيئة؛ لاختصاص الرضى والمحبة بالطاعة دون المعصية، فالطاعة قدرها وأرادها ورضيها. والمعصية قدرها وأزادها ولم يرضها، ولم يحبها شرعاً، هذا مقتضى الأدب، والله تعالى أعلم.

الباب الثاني

في الاستدلال عليه من الكتاب والسنة، وكلام السلف الصالح.

أما الاستدلال عليه من الكتاب العزيز، فقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ أي كل شيء أبرزناه هو بقدر سابق. وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾. وهو اللوح المحفوظ. وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ وقال تعالى: ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾. وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾. أي ما أصاب الناس من مصيبة من شر أو خير في الأرض بالجذب والقحط، أو العرق، ولا في أنفسكم بالموت أو القتل، إلا في كتاب؛ وهو اللوح المحفوظ، من قبل أن نبرأها، أي نظهرها، ثم قال تعالى: ﴿لِيَكْتَلِمَ تَأْسُواً عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾. لأنه أمر قدر في أذنيه، أنه لا يكون، أو لا يدوم، فلا تحزن على شيء لم يكن لك، أو انقضى أجله عندك. ﴿وَلَا تَقْرَحُوا رِيعًا مَاتَنكُمْ﴾ لأنه سبق قبل ظهوره أنه لكم، وأنه واجب إثباته إليكم، والمطلوب هو الاعتدال في المنع والعطاء، والقبض والبسط، والفقد والوجد، والذل والعز، والفقر والغنى، والصحة والمرض، وغير ذلك من اختلاف الأحوال، وانتقالات الأطوار، إذ جميع ذلك، قد جرت به الأقدار، فلا يظهر الحزن على شيء فات ولا يظهر الفرح بشيء آت، قال تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي أجلاً معلوماً، ووقتاً محدوداً. لا يتقدم عليه لحظة، ولا يتأخر عنه ساعة، وقال تعالى في شأن أجل الموت: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾. أي مقدراً محدوداً قبل أن يخلقها. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾. فالأول للموت. والثاني للبعث. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي

يَتَوَلَّدَكُمْ بِأَيْدِي وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١﴾ أَي لِيَبْلُغَ
المتيقظ آخر أجله المُسَمًّى عند الله في أزلِهِ. ثم يَرْجِع إلى رَبِّهِ. ثم قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ﴾ أَي لَا يَتَجَاوَزُونَ مَا حُدَّ لَهُمْ
مِنَ الْأَجَلِ. بزيادة أو نقصان. وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا
يَسْتَأْذِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ أَي إِذَا جَاءَ مَوْتُهُمْ، بِالْعَذَابِ أَوْ بغيرِهِ لَا يَسْتَأْخِرُونَ
سَاعَةً، وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ. وقال تعالى: ﴿وَمَا يُعْمَرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِن عُمُرِهِ إِلَّا فِي
كِتَابٍ﴾ وَمَعْنَى الْآيَةِ، وَمَا يُعْمَرُ مِنْ أَحَدٍ. أَي يُجْعَلُ عَمْرُهُ طَوِيلًا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ
عُمُرِهِ: أَي يَجْعَلُ عُمُرَهُ قَصِيرًا إِلَّا فِي كِتَابٍ، دَأَى فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، فَتَضَمَّنَتْ
الآيَةُ شَخْصَيْنِ، أَحَدُهُمَا عُمُرٌ طَوِيلًا، وَالْآخَرُ نَقْصٌ مِنْ عُمُرِهِ فِي أَجَلِهِ. فَكَانَ عُمُرُهُ
قَصِيرًا. كل ذلك في كتاب مُبِين. وقيل النقص من العُمُر، باعتبار عِلْمِ الْمَلَائِكَةِ
فَإِذَا وَصَلَ رَجِيمَهُ مَثَلًا، ظَهَرَتْ الزِّيَادَةُ الَّتِي عِنْدَ اللَّهِ، وَلَيْسَ لِلْعَبْدِ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا عُمُرٌ
وَاحِدٌ، لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾.
فَمَعْنَاهُ: يَمْحُو مَا عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَيُثَبِّتُ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ أَمُّ الْكِتَابِ. وَقَالَ تَعَالَى:
﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلٍ وَلْيَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ ﴿الآيَةَ، أَي وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلِ الشَّيْخُوخَةِ، وَيُوَخَّرُكُمْ لَتَبْلُغُوا أَجَلًا
مُّسَمًّى، سَبَقَ بِهِ الْعِلْمَ الْقَدِيمَ. وَسَطَّرَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَقَتَ نَفْخِ الرِّيحِ، وَلَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ. فَتَعْرِفُونَ أَنَّ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ بِيَدِ اللَّهِ. أَي لَا تَأْثِيرَ لشيءٍ مِنَ الْأَسْبَابِ فِي
الْمَوْتِ. كَالْوَبَاءِ وَغَيْرِهَا. بَلِ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾
أَي لَا غَيْرَهُ، ﴿فَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ﴾ مِنْ مَوْتٍ أَوْ غَيْرِهِ ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. وَقَالَ:
﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فَهَذِهِ الْآيَاتُ صَرِيحَةٌ فِي تَحْدِيدِ
الْأَجَلِ. وَتَقْدِيرِهِ فِي الْأَزْلِ. فَلَا يَتَأَخَّرُ وَلَا يَتَعَجَّلُ، لَا بِوَبَاءٍ وَلَا بِغَيْرِهَا. فَلْيَسْكُنْ
الْإِنْسَانُ عِنْدَ رَبِّهِ، وَيَنْظُرْ مَا يَفْعَلُ رَبُّهُ بِهِ، فَلَا يَخَافُ وَلَا يَحْذَرُ، إِذْ لَا يَنْفَعُ حَذْرٌ مِنْ
قَدْرِ.

وَأَمَّا الْاسْتِذْلَالُ بِالسُّنَّةِ: فَقَالَ لَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا ابْنَ عَبَّاسِ
أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفِ إِلَى اللَّهِ فِي
الرِّخَاءِ، يَغْرِفَكَ فِي الشَّدْوَةِ، وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيَصِيبِكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ
يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ». زَادَ فِي رِوَايَةٍ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ، أَي مَا أَخْطَأَكَ
فِي الْأَزْلِ، بِحَيْثُ لَمْ يَكْتُبْ لَكَ، لَمْ يَكُنْ لِيَصِيبِكَ أَبَدًا، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا: حَيَاةً أَوْ

مَوْتًا، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» الْحَدِيثُ. وَقَالَ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ». رَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ. وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ. وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الرَّزْقَ لَيَطْلُبُ الرَّجُلَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ» الْحَدِيثُ. وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَكَلَّ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ: يَا رَبِّ نَظْفَةٍ، يَا رَبِّ عَلْفَةٍ، يَا رَبِّ مَضْغَةٍ» إِذَا نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ. قَالَ: يَا رَبِّ مَا الرَّزْقُ. وَمَا الْأَزْلُ؟ شَقِيَّ أُمِّ سَعِيدٍ. فَيَكْتُبُ ذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ كُلِّهِ. أَوْ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَقَالَ ﷺ فِي تَفْسِيرِ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». زَادَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: حُلُوهُ وَمُرُّهُ، فَالْخَيْرُ هُوَ الطَّاعَةُ وَالْإِحْسَانُ. وَالشَّرُّ: هُوَ الْكُفْرُ. وَالْحُلُوهُ: مَا يَلَايِمُ الْإِنْسَانَ، كَالصَّحَّةِ وَالْعَاقِبَةِ. وَأَنْوَاعُ الْجَمَالِ. وَالْمُرُّ: كُلُّ مَا يُؤْلِمُ الْإِنْسَانَ كَالْمَرَضِ وَالْفَقْرِ، وَالذُّلَّ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْجَلَالِ. فَكُلُّ هَذَا سَبَقَ بِهِ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ، فَمَنْ شَكَّ فِي هَذَا، فَهُوَ كَافِرٌ إِجْمَاعًا، وَمَنْ اغْتَقَدَهُ عِلْمًا، وَلَمْ يَرْضَ بِهِ عِنْدَ نُزُولِهِ ذَوْقًا فَهُوَ فَاسِقٌ إِجْمَاعًا. وَلِذَلِكَ قَالَ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ تَشَرَّعَ وَلَمْ يَتَصَوَّفْ، فَقَدْ تَفَسَّقَ». وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ لَمْ يَتَغَلَّغْ فِي عِلْمِنَا هَذَا مَاتَ مُصِرًّا عَلَى الْكِبَائِرِ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَنْجِبْ أَهْلَ الصَّفَا، لَا يَطْمَعُ أَنْ يَتَّصِفَ بِالصَّفَا. وَالصَّفَا هُوَ الرِّضَى وَالتَّسْلِيمُ بِكُلِّ مَا يَبْرُزُ مِنْ عِنْدِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ» وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُّسِ، نَفَثَ فِي رُوحِي، إِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ». وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَرَّغَ رَبِّكَ مِنْ أَرْبِ: خَلَقَ، وَخَلَقَ، وَرَزَقَ، وَأَجَلَ» رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ. وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ: «فَرَّغَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ خَمْسٍ: مِنْ أَجَلِهِ، وَرِزْقِهِ، وَآثَرِهِ، وَمَضْجَعِهِ، وَشَقِيَّ أَوْ سَعِيدٍ» وَالْمُرَادُ بِالْآثَرِ: الْخَطَوَاتُ الَّتِي يَمْشِيهَا، فَإِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ كَمَا قَدَمْنَا. فَقَدْ قَسَمَتِ الْأَرْزَاقُ فِي الْأَزْلِ: الْحَسِيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ، كَمَا قَسَمَتِ الْأَجَالَ وَالْخَطَوَاتُ، وَكَذَلِكَ الْمَرَاتِبُ وَالْمَقَامَاتُ، كُلُّ ذَلِكَ جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَمِيزُ الْعَمَلَ؟ قَالَ ﷺ: «اعْمَلُوا، فَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَيْسِرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَيْسِرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى وَإِنَّمَا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى وَإِنَّمَا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ فَإِن قُلْتُ: إِذَا كَانَ الْقَدْرُ جَرِيًّا بِمَا يَكُونُ، وَلَا مَحِيدٌ لِلْعَبْدِ عَنْهُ، فَعَلَى مَا يَحَاسِبُ الْعَبْدَ وَيُعَذِّبُ؟ قُلْتُ: قَدْ جَعَلَ اللَّهُ بِحِكْمَتِهِ الْبَاهِرَةِ فِي الْعَبْدِ كِسْبًا فِيمَا يَظْهَرُ لَهُ، يُقْصَدُ بِهِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ، وَفِي الْحَقِيقَةِ: هُوَ مَجْرُورٌ بِسِلْسَلَةٍ، لَكِنِ الشَّرِيعَةُ تَنْسِبُ الْفِعْلَ إِلَيْهِ، بِسَبَبِ ذَلِكَ الْكَسْبِ، فَتَقُومُ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمِينَ﴾. فَأَلْمَلْتُ مَلَكُهُ، وَالْعَبِيدَ عِبِيدَهُ، ﴿لَا يُشَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُشَلُّونَ﴾. وَكَذَلِكَ أَمْرُ الرَّزْقِ، هُوَ مُقَسَّمٌ فِي الْأَزْلِ، مَضْمُونٌ بِكِفَالَةِ اللَّهِ تَعَالَى، لَكِنِ اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ، تَغْطِيَةَ أَسْرَارِ الرُّبُوبِيَّةِ، فَفَرَّقَتْهُ بِوُجُودِ السَّبَبِ عِنْدَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَهْمُ إِلَّا بِرُزْقِهِ مِنْهُ وَجُودًا، وَالْعَيْنِيَّةُ عَنْهُ شُهُودًا. نَعَمَ مَنْ تَحَقَّقَ بِالتَّقْوَى، وَانْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ، رِزْقَهُ بِلَا سَبَبٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّكِلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِلنَّاسِ أَسْبَابٌ، وَسَبَبُنَا الْإِيمَانُ وَالتَّقْوَى، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الْآيَةَ. وَسَيَاتِي زِيَادَةَ بَيَانٍ، فِي الْكَلَامِ عَلَى الْحِكْمَةِ وَالْقُدْرَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ.

وَأَمَّا كَلَامُ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي الْقَدْرِ: فَمِمَّا اشْتَهَرَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ: مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ. وَمَنْ لَمْ يَشَأْ رُبْنَا لَمْ يَكُنْ. وَقِيلَ: إِنَّهُ حَدِيثٌ. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَصْبَحْتُ وَمَا لِي سُرُورٌ إِلَّا فِي مَوَاقِعِ الْقَدْرِ. وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ: مَا تَشْتَهِي؟ قَالَ: مَا يَقْضِي اللَّهُ. وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ فِي الْحُكْمِ: مَا مِنْ نَفْسٍ تُبْذِرُهُ، إِلَّا وَلَهُ قَدْرٌ فِيكَ يَمْضِيهِ. وَقَالَ أَيْضًا: «كَيْفَ يَكُونُ طَلْبُكَ اللَّاحِقِ، سَبَبًا فِي عَطَائِهِ السَّابِقِ؟ جَلَّ حُكْمُ الْأَزْلِ، أَنْ يُضَافَ إِلَى الْعِلَلِ عِنَايَتُهُ فِيكَ، لِأَنَّ شَيْءًا مِنْكَ، وَأَيْنَ كُنْتُ؟ وَاجْهَتِكَ عِنَايَتُهُ وَقَابَلَتِكَ رِعَايَتُهُ. لَمْ يَكُنْ فِي أَرْزَلِهِ إِخْلَاصُ أَعْمَالٍ، وَلَا وَجُودُ أَحْوَالٍ، بَلْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِلَّا مَحْضُ الْإِفْضَالِ، وَوُجُودُ التَّوَالِ»، يَعْنِي أَنَّ قَضَاءَهُ لَكَ، السَّابِقِ فِي عَالِمِ الْغَيْبِ، هُوَ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَمَلٌ تَسْتَحِقُّ بِهِ الْعَطَاءَ، وَلَا حَالٌ، تَسْتَحِقُّ بِهِ التَّقْرِيبَ، أَوْ الْوُضُوءَ، وَإِنَّمَا أَعْطَاكَ فَضْلًا مِنْهُ وَجُودًا، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ فِي النَّظَرِ إِلَى الْقَضَاءِ السَّابِقِ، وَالْحُكْمِ اللَّاحِقِ أَرْبَعَةٌ أَقْسَامٌ: قَسَمٌ نَظَرُوا إِلَى الْعَوَاقِبِ، لَعَلِمَهُمْ أَنَّ الْأَعْمَالَ بِخَوَاتِمِهَا. وَقَسَمٌ نَظَرُوا لِلْوَقْتِ، لَمْ يَشْتَغِلُوا بِالسَّابِقِ، وَلَا بِالْعَوَاقِبِ، غَيْرَ آدَاءٍ مَا كَلَّفُوا بِهِ مِنْ حُكْمِ الْوَقْتِ، عَالِمِينَ أَنَّ الْفَقِيرَ

ابن وقته، لا يَرَى غير الوقت الذي هو فيه، وقسّم نَظَرُوا لِلَّهِ وَخَدَهُ، لعلمهم أنّ الماضي والمستقبل والحال، متقلّبون في قبضة الحق، متصرّفون بحُكْمِهِ، والأوقات كلها قابلة للتغيّر، وتبدل الحال، فلا يَرَوْنَهَا، وإنما يشاهدون كل شيء بيده؛ وهذا القسم قد استراح من كدر التدبير، لغيبته عن شهود المُدَبِّر، عن سابق التقدير، بخلاف الثلاث الأول قد غلب عليهم شهود الفَرْقِي. فالأوّل: أذهله خوف السوابق. والثاني: أذهشه خوف العواقب والخواتم. والثالث: غيبه حكم الوقت، وشهود أحكامه، عن شهود الموقت. والرابع: لما كشف عنه الحجاب، وشاهد ربّ الأرباب، شغله شهود واحد عن كل شيء، ولم يشغله عن الله شيء، ولذلك قالوا: الصوفي من لا يَرَى في الدارين غير الله؛ ولا يشاهد مع الله سواه. قد سُخِرَ له كل شيء، ولم يُسَخَّر هو لشيء، يَضْفُو بِهِ كَدْرُ كل شيء، ولم يكدر صفوه شيء، شغله واحد عن كل شيء، ولم يشغله عن الواحد شيء.

والحاصل: أنّ من أراد الرّاحة الدائمة، فلينظر بين يدي الله، وينظر في كل وقت ما يبرز من عنده الله، ويسكن تحت مجار الأقدار له، ولينعزل عن تدبيره واختياره، ويتأمل ما قاله القطب سيدي بقوت العرش:

مَا تَمَّ إِلَّا مَا أَرَادَ فَاتْرَكَ هُمُومَكَ وَأَنْطَرِحَ وَاتْرَكَ شَوَاغِلَكَ الَّتِي اشْتَغَلَتْ بِهَا عَنهُ تَسْتَرِحَ
وأما دليله من طريق الكشف والوجدان: إنّ من رَقَّ حجابُه، وتلطّفت بشريته، يُطلّعه الله تعالى، على مواقع الأقدار، قبل أن تنزل، إمّا أن يخاطب بها في اليقظة، وإمّا أن يراها في النوم. وقال عليه الصلاة والسلام: «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»، إذا تقارب الزمان، لا تكاد رؤيا المؤمن تُخطئ». وقد تحققنا هذا الأمر من أنفسنا والحمد لله، فقبل أن ينزل بنا أمر جلالي، أو جمالي، إلا نراه قبل نزوله بمدّة. منه ما تطول مدّته، ومنه ما تقرب، فننظر وقوعه، كما ينتظر الغائب القادم من سفره، فإذا نزل، وجد القلب قد استعدّ لنزوله، وتوطن لهجومه، فلا تحركه صدماته، ولا تذهشه وراذته، فتحققنا ذوقاً وكشفاً؛ أن المقادير جرت في الأزل، وتعيّنت أوقاتها ومقاديرها، لا تتقدّم ولا تتأخّر، لكن من حكمه الحكيم، أن عطى هذا السرّ برداء الحكمة، فجعل لكل شيء سبباً، فيُنزل القدر في وقته الذي تعين له في الأزل، ويعطيه بوجود سببه، فيقال: فلان فعل كذا، فجرت له كذا، وفلان مشى إلى موضع الوباء مثلاً، فمات بها، أو نقلها إلى غير موضعها، والوقوف مع هذا، دون النظر إلى باطن الأمر

وتَضْرِيْفُ الْقُدْرَةِ، حِجَابٌ غَلِيْظٌ، وَجَهْلٌ قَبِيْحٌ، رُبَّمَا يُوْدِّي إِلَى الْكُفْرِ إِنْ اِعْتَقَدَ التَّأْثِيْرَ، وَأَنْكَرَ الْقَدَرَ، وَهُنَا زَلَّتْ أَقْدَامُ كَثِيْرٍ مِمَّنْ يَدْعِي الْعِلْمَ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ إِلَّا رَسْمُهُ، وَالْإِخْبَارُ بِالْأُمُوْر قَبْلَ أَنْ تَقْعَ، أَمْرٌ مُتَوَاتِرٌ، مِنْهَا مَا كَانَ مِنْ طَرِيْقِ الْوَحْيِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾. وَقَدْ مَكَنَ اللَّهُ الصَّحَابَةَ، مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ وَقَدْ غَلَبُوا فَارِسَ زَمَانَ الْحَدِيثِيَّةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِنِينَ مُخْلِفِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾. وَقَدْ وَقَعَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَأَمَّا إِخْبَارُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْمُعْتَبَاتِ الْمُسْتَقْبَلَةِ، فَلَا تَكَادُ تُخْصَى، وَقَدْ حَدَّرَ ﷺ، مِنَ الْفِتَنِ الَّتِي تَأْتِي بَعْدَهُ، كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهَا، فَوَقَعَ ذَلِكَ كُلُّهُ، وَقَدْ وَجَدَ مَكْتُوبًا بِقَلَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى جِدَارِ قُضَيْرٍ دَارِسٍ مَا نَصَّهُ:

مَا لَا يُقَدَّرُ لَا يَكُونُ بِحِيلَةٍ أَبْدًا وَمَا هُوَ كَائِنٌ سَيَكُونُ
سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي وَقْتِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ مُثَعَبٌ مَخْرُوزٌ
هُوَ عَلَىكَ وَكُنْ بِرَبِّكَ وَائْتِقَا فَأَخُو الْحَقِيْقَةِ شَأْنُهُ الشُّهُوِيْنُ

فَلَوْ كَانَتْ الْأُمُوْر تَبْرُرُ اتِفَاقِيَّةً، كَمَا تَقُوْلُ الرَّوَافِضُ وَالْقُدْرِيَّةُ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ، لَمْ يَقْعِ الْإِخْبَارُ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَقْعُ كَذَلِكَ، فَإِنْ قُلْتَ: مَا ذَكَرْتَهُ إِخْبَارٌ بِمَغْلُومٍ، إِذِ الْمَسْلُومُونَ كُلُّهُمْ يَقْرَؤُونَ هَذَا، قُلْتَ: لَيْسَ مُرَادُنَا الْاِكْتِفَاءُ بِمَجْرَدِ الْعِلْمِ، بَلْ مُرَادُنَا تَرْبِيَّةَ الْيَقِيْنِ، وَلَا شَكَّ أَنْ ذَكَرَ مَا يَقْوِيهِ مَطْلُوبٌ، وَهُوَ جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ الْأَنْوَارِ؛ وَهُوَ التَّوْفِيقُ؛ وَهُوَ الْهَادِي إِلَى سِوَاءِ الطَّرِيْقِ.

البَابُ الثَّلَاثُ

فِي بَيَانِ الْحِكْمَةِ وَالْقُدْرَةِ

اعْلَمْ فَهَمَكَ اللَّهُ سَبِيلَ رُشْدِهِ، وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِ مَحَبَّتِهِ وَوُدِّهِ، أَنْ بَحَرَ الْحِكْمَةَ بَحْرَ زَاخِرٍ، وَأَمْرٌ ظَاهِرٌ، يُظْهِرُ الْأَسْبَابَ، وَيُسَدِّلُ الْحِجَابَ، وَيَصُوْنُ السِّرَّ الْمَصُومَ، وَيَسْتُرُ الْكَنْزَ الْمَذْفُونِ، يَرْبِطُ الْأَحْكَامَ بِالْعِلَلِ، وَيَقْرُرُ الشَّرَائِعَ وَالْجِلَلِ، يُعْطِي مَا يَبْرُرُ مِنْ عُنْصُرِ الْقُدْرَةِ بِرَدَائِهِ، وَيَسْتُرُ مَا يَبْنُو مِنْ أَسْرَارِ الرُّبُوبِيَّةِ، بِعِزِّ كِبْرِيَايِهِ، يَصُوْنُ الْحَقِيْقَةَ، وَيُظْهِرُ الطَّرِيْقَةَ، يُظْهِرُ الْعِبُودِيَّةَ، وَيُبْنِي أَسْرَارَ الرُّبُوبِيَّةِ، مِنْ وَقْفٍ مَعَهُ كَانَ مَحْجُوبًا، وَمَنْ نَفَذَ مِنْهُ إِلَى شُهُودِ الْقُدْرَةِ كَانَ مَحْجُوبًا، وَبِالْغَايَةِ

مصحوباً، وبخُرُ القُدرة أيضاً بخُرُ زَاحِرٍ، وأمرُه قَاهِرٌ، لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ، يَظْهَرُ وَيَبْطُنُ، ويتحرك ويسكن، يُعْطَى وَيَمْنَعُ، وَيُخْفِضُ وَيَرْفَعُ، بيده مَقَادِيرُ الْأُمُورِ؛ وعلى قُطْبِ دَائِرَتِهِ أَفْلَاكُ التَّصَارِيفِ تَدُورُ، فإذا أَرَادَتِ القُدرة أن تُظْهَرَ شيئاً من بَخْرِ القَدْرِ؛ الذي سَبَقَ فِي الْأَزْلِ، غَطَّتْهُ الحِكْمَةُ بِرِداءِ الأسبابِ وَالْعِلَلِ؛ لِيَبْقَى الكَنْزُ مَدْفُوناً، وَسِرُّ الرُّبُوبِيَّةِ مَضُوناً، وتُظْهَرُ مَرِيَّةُ العَارِفِ على الجَاهِلِ، ويتميِّزُ الباعِدُ من الواصلِ، والمؤمن من الكافرِ، العَارِفِ الَّذِي لَا يَرَى إِلَّا تَصْرِيفَ القُدرة، ويعرف سِرَّ الحِكْمَةِ، فلا يحجب بِهَا عن شُهُودِ القُدرة، والجَاهِلِ يقف مع شُهُودِ الحِكْمَةِ، ويحجب بِهَا عن القُدرة، العَارِفِ نَفَذَ إلى شُهُودِ اللَّبِّ الخالِصِ، والجَاهِلِ وَقَفَ مَعَ القِشْرِ الظَّاهِرِ النَّبَاسِ ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَكْفُرُونَ وَالَّذِينَ لَا يَتْلُمُونَ﴾. العَارِفِ نَظَرَ إلى مُسَبِّبِ الأسبابِ، فَزَالَ عَنهُ الحِجَابُ، وَدَخَلَ مَعَ الْأَحْبَابِ، والجَاهِلِ وَقَفَ مَعَ قِشْرِ الأسبابِ، وَقَنَّعَ بِالْوُقُوفِ مِنْ وَرَاءِ النَّبَابِ، العَارِفِ مَوْصُوفٌ بِالِإِقْرَارِ فيما يَبْدُو مِنْ نَوَازِلِ الْأَقْدَارِ، والجَاهِلِ مرسومٌ بِالِانْكَارِ لما يَظْهَرُ مِنْ حَضْرَةِ القَهَّارِ، العَارِفِ يَتَلَقَّى مَا يَبْرُزُ مِنْ عُنْصُرِ القُدرة، بِالْفَرَحِ والسُّرُورِ، لشُهُودِهِ ما بيده قَدْرَتِهِ تَصَارِيفُ الْأُمُورِ، والجَاهِلِ مِنْ حُصَامِ الحَقِّ دَائِماً وهو لَا يَشْعُرُ، ولذلك قال بَعْضُهُمْ: «مَنْ عَامَلَ النَّاسَ بِالشَّرِيعَةِ، طَالَ حُصَامُهُ مَعَهُمْ، وَمَنْ عَامَلَهُمْ بِالْحَقِيقَةِ عَدَّرَهُمْ، فَالواجِبُ أن يعامِلَهُمْ فِي الظَّاهِرِ بِالشَّرِيعَةِ؛ فَيَذْكَرُهُمْ، وَفِي البَاطِنِ بِالحَقِيقَةِ فَيَعْدِرُهُمْ، فَتَحْصُلُ مِنْ هَذَا، أَنَّ القُدرة تُبْرِزُ وتُظْهَرُ، والحِكْمَةُ تَظْهَرُ وتَسْتَرُ، والحِكْمَةُ عَيْنُ القُدرة، والقُدرة عَيْنُ الحِكْمَةِ، إِذِ الْفَاعِلُ وَاحِدٌ، فَاعِلُ السَّبَبِ؛ هو فاعِلُ المُسَبِّبِ، لَكِنْ لَا بُدَّ لِلشُّمُسِ مِنْ سَحَابٍ، وَلِلْحَسَنَاءِ مِنْ نِقَابٍ، فَمَا أَظْهَرَتْهُ القُدرة مِنَ الأسبابِ وَالْعِلَلِ، سُمِّيَ حِكْمَةً، وما أَبْطَنَتْهُ مِنَ الإِبْجَادِ وَالِاخْتِرَاعِ، سُمِّيَ قُدرةً، وَالْفَاعِلُ وَاحِدٌ، فإذا سَبَقَ لِلعَبْدِ شيءٌ مِنْ مَقْدُورَاتِ الحَقِّ، جَلَالِيَّةٌ أَوْ جَمَالِيَّةٌ، وَوَصَلَ وَقْتُ نَزُولِ ذَلِكَ، حَرَّكَهُ اللهُ إلى سَبَبٍ فِي الغَالِبِ، فَيَنْفِذُ ذَلِكَ المَقْدُورُ بِتَصْرِيفِ القُدرةِ الْأَزْلِيَّةِ، مُسْتَتِراً بِرِداءِ الحِكْمَةِ الإِلَهِيَّةِ، فَالجَاهِلِ يقف مَعَ قِشْرِ السَّبَبِ، وَالْعَارِفِ يَنْفِذُ إلى شُهُودِ مُسَبِّبِ ذَلِكَ السَّبَبِ، وَكَذَلِكَ إِذَا سَبَقَ فِي الْأَزْلِ، نَزُولَ بَلَاءٍ فِي بَلَدَةٍ، حَرَّكَهُمُ إلى سَبَبِ ذَلِكَ، رَغْماً على أَنفِهِمْ، حَتَّى يَمْضِيَ أَمْرُ اللهُ فِيهِمْ. قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَمْدَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾. وَمِنْ ذَلِكَ أَمْرُ الوَبَاءِ إِذَا سَبَقَ فِي قَدْرِ اللهُ وَقَضَائِهِ، أَنَّ يَنْزِلَ فِي مَدِينَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ، فِي وَقْتٍ مُعَيَّنٍ، جَعَلَ لِذَلِكَ الحَقِّ بِحِكْمَتِهِ تَعَالَى سَبَباً وَعِلَّةً، فَتُنزِلُهُ القُدرةِ الْأَزْلِيَّةِ، فِي الوَقْتِ الَّذِي سَبَقَ بِهِ العِلْمُ القَدِيمُ، مَسُوراً بِرِداءِ

الْحِكْمَةِ، وهو ذلك السَّبَب، لتظهر مزية الإيمان بِالْغَيْبِ؛ لَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ التَّكْلِيفِ، لا دار التعريف، بخلاف الآخرة. فيقول الجاهل: لَوْلَا فَلَانُ نَقَلَهُ مَا انْتَقَلَ. ويقول العارف: هَذَا مَا سَبَقَ فِي حُكْمِ الْأَزْلِ، وكذلك إِذَا نَقَلْتُهُ الْقُدْرَةَ إِلَى مَوْضِعِهَا وَمَاتَ. يقول الجاهل: لَوْلَمْ يَنْتَقِلْ مَا مَاتَ، وَهَذَا اعْتِقَادٌ مِنْ طَبَعِ اللَّهِ عَلَى قَلْبِهِ مِنْ الْكُفَّارِ. وقد نَهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنِ التَّشْبِيهِ بِهِمْ، فَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. وقال الله أيضاً: ﴿قَدْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ الخ. وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى الْوَبَاءِ فِي مَحَلِّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. هَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْحِكْمَةِ وَالْقُدْرَةِ، لِمَنْ فَتَحَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُ، وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق.

الباب الرابع

في إبطال العَدْوَى والطيرة

أما العَدْوَى: فهو انتقال المَرَضِ مِنْ مَحَلٍّ لِآخَرَ، كما يزعمه الفلاسفة، والطَّبَائِعُونَ؛ وهو باطلٌ عند أهل التوحيد. قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وقال في شأن السَّحْرِ: ﴿وَمَا هُمْ بِصَاعِدِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَّا إِنَّمَا طَّيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وهو حكمه ومشيئته، أَوْ قَدْرَهُ وَقَضَاؤُهُ. وقال ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا سَفْرَ وَلَا هَامَ». فمن اعتقد أنها تَعْدُو بِطَبْعِهَا؛ فهو كَافِرٌ إِجْمَاعاً، وَمَنْ اعتقد أنها تَعْدُو بِقُوَّةٍ فِيهَا فهو عَاصٍ. وفي كُفْرِهِ قَوْلَانِ. وَمَنْ اعتقد أنها تَعْدُو بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ عَلَى وَجْهِ الْحِكْمَةِ، وَسَيَّرَ الْقُدْرَةَ فَهُوَ مُؤْمِنٌ.

والأَمْرَاضُ الَّتِي تَعْدُو عِنْدَهُمْ، هي: الْجَرَبُ، وَالْوَبَاءُ، وَالْجُدَامُ.

أما الْجَرَبُ فيكون في الإِبِلِ، وَالنَّعَمِ، وَالْكِلَابِ وَالْأَدَمِيِّ، وكل ذلك بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ. قَدْ سَبَقَ فِي الْأَزْلِ أَنْ يَنْزِلَ بِذَلِكَ الشَّخْصَ فِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ مَحْدُودٍ، لا يتقدمه ولا يتأخر عنه، لكن من حكمة الحكيم، أن قرَنَ الْأَشْيَاءَ بِأَسْبَابِهَا عِنْدَهَا، لا بِهَا، فَإِذَا وَصَلَ الْوَقْتُ الَّذِي سَبَقَ أَنَّهُ يَنْزِلُ بِهِ ذَلِكَ الْمَرَضُ حَرَكَةً، بِسَبَبِ تَغْطِيَتِهِ لِسِرِّ قَدْرِهِ، فيختلط مع من فيه، وَقَدْ يَنْزِلُ بِلا سَبَبٍ، وفي الحديث؛ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ

عليه السلام: «لَا عَذْوَى وَلَا طَيْرَةٌ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِلإِبِلِ تَكُونُ كَالضَبَا، إِذَا نَزَلَ بِهَا جَمَلٌ أَجْرَبُ، أَجْرَبُهَا كُلُّهَا. قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلِ؟» أَيْ وَمَنْ أَنْزَلَ ذَلِكَ الدَّاءَ بالأَوَّلِ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدْرِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، وَكَمَا غَطَى سِرٌّ أَنْزَلَهُ بِالأَسْبَابِ؛ كَذَلِكَ غَطَى سِرٌّ رَفَعَهُ بِالتَّدَاوِي. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا نَزَلَ اللَّهُ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً» فَالتَّدَاوِي لَا يُتَافَى التَّوَكُّلَ، إِنْ كَانَ يَرَى الشِّفَاءَ مِنَ اللَّهِ، وَالدَّوَاءَ حِكْمَةً سَمَّرَتْ القُدْرَةَ، فَلَا تَأْثِيرَ لَهُ البَتَّةَ، فَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ لَهُ التَّأْثِيرَ، فَهُوَ مُشْرِكٌ مَعَ اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾. فَالدَّعَاءُ وَالتَّدَاوِي كِلَاهُمَا سَبَبٌ، فَإِذَا وَقَعَ الفَرْجُ عَلَى يَدِ أَحَدٍ بِدَوَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَأَعْتَقَدَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي نَجَّاهُ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ أَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ، إِمَّا شِرْكَاً اعْتِقَادِ، أَوْ شِرْكَاً اسْتِنَادِ؛ وَهُوَ مِثْلُ القَلْبِ وَرُكُونِهِ إِلَى تِلْكَ الوَاسِطَةِ؛ وَهُوَ قَدْخٌ فِي التَّوْحِيدِ عِنْدَ الخَوَاصِّ. وَلِذَلِكَ قَالَ القُطْبُ ابنُ مَشِيشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِأَبِي الحَسَنِ: «أَهْرَبُ مِنَ خَيْرِ النَّاسِ، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَهْرَبَ مِنْ شَرِّهِمْ يَا أبا الحَسَنِ، فَإِنَّ خَيْرَهُمْ بِصِيْبِكَ فِي قَلْبِكَ، وَشَرُّهُمْ بِصِيْبِكَ فِي بَدَنِكَ، وَلَآنَ تَصَابُ فِي بَدَنِكَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَصَابَ فِي قَلْبِكَ، وَشَرُّهُمْ بِصِيْبِكَ فِي بَدَنِكَ، وَلَآنَ تَصَابُ فِي بَدَنِكَ خَيْرٌ مِنْ تَصَابِ فِي قَلْبِكَ، وَلَعْدُو تَصِلُ بِهِ إِلَى رَبِّكَ، خَيْرٌ مِنْ حَبِيبٍ يَقْطَعُكَ عَنْ رَبِّكَ». فَالخَلْقُ مَخْذُوفُونَ مِنْ نَظَرِ أَهْلِ التَّحْقِيقِ، يَشْكُرُونَهُمْ بِاللِّسَانِ، وَيَغِيبُونَ عَنْهُمْ بِالأَجْتَانِ، لِقولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ». فَلَا بُدَّ مِنَ السَّبَبِ وَجُوداً وَالعَيْنِيَّةِ عَنْهُ شُهُوداً، فَالسَّبَبُ قِيَاماً بِحَقِّ الحِكْمَةِ، وَالعَيْنِيَّةُ عَنْهُ قِيَاماً بِشُهُودِ القُدْرَةِ. فَمَنْ أَنْكَرَ الأَسْبَابَ فَهُوَ جَاهِلٌ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ، وَالقُدْرَةَ وَالحِكْمَةَ كِلَاهُمَا مِنْ أَوْصَافِ الحَقِّ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّراً﴾ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَأَمَّا الوَبَاءُ فَهُوَ عِنْدَ الأَطْبِيَاءِ فَسَادُ الهَوَى وَالوَحْمُ، وَعِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَخَزُّ الجِنِّ، أَيْ طَعْنُهُ؛ وَهُوَ صَرِيحُ الحَدِيثِ. فَفِي الجَامِعِ الصَّغِيرِ: «الطَّاعُونَ وَخَزُّ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الجِنِّ؛ وَهُوَ لَكُمْ شَهَادَةٌ» رَوَاهُ الحَاكِمُ. وَفِيهِ أَيْضاً: «الطَّاعُونَ رَجَزٌ وَعَذَابٌ، أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضِ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَاراً مِنْهُ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضِ وَلَسْتُمْ بِهَا، فَلَا تَهَيَّبُوا عَلَيْهَا» رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَالتَّرْمِذِيُّ. هَكَذَا رَمَزَ لَهُ. وَفِيهِ أَيْضاً: «الطَّاعُونَ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» رَوَاهُ الحَاكِمُ وَالشَّيْخَانُ. وَفِيهِ أَيْضاً: «كَانَ عَذَاباً يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونَ، فَيَمُكُّ فِي بَلَدِهِ صَابِراً، مُحْتَسِباً، أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ، إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أُجْرِ شَهِيدٍ» رَوَاهُ الحَاكِمُ وَالبُخَارِيُّ.

وفيه أيضاً «الطَّاعُونَ غَدَةَ كَغَدَةِ الْبَعِيرِ الْمُقِيمِ بِهَا كَالشَّهِيدِ، وَالنَّارُ مِنْهَا كَالْفَارِّ مِنَ الزَّخْفِ». رواه الحاكم. وَقَدْ يُجْمَعُ بَيْنَ الْحَدِيثِ وَقَوْلِ الْأَطْبَاءِ، بِأَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَهُ عَلَى عِبَادِهِ، غَيَّرَ الْهَوَاءَ، وَأَرْسَلَ فِيهِ الْجِنَّ، فَتَهَيَّجَ الْجِنُّ بِأَذْنِ اللَّهِ، فِي وَقْتِ فَسَادِ الْهَوَى بِقُدْرَةِ اللَّهِ. أَمَّا هَيْجَانُ الْجِنِّ، فَمُحَقَّقٌ بِالْمُشَاهَدَةِ، فَقَدْ رَأَى كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، يَقْظَةَ وَمَنَاماً، عَلَى صُورَةِ الْآدَمِيِّ، رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً، وَقَدْ يَجْتَمِعُ مِنْهُ عَسْكَرًا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، فَيَرَاهُمْ الْآدَمِيُّ يَقْظَةً أَوْ مَنَاماً، وَقَدْ سَمِعْتَ الطَّبْلَ فِي قَبِيلَةِ أَنْجَرَةَ، بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، زَمَنَ الْوَبَاءِ، وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا» الْمَشْهُورُ فِي الْخُرُوجِ أَنَّهُ حَرَامٌ. وَالْمَشْهُورُ فِي الْإِقْدَامِ أَنَّهُ مَكْرُوهٌ. وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ رُشْدٍ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهَا: لَا يَأْتُمُّ إِجْمَاعاً. وَوَجْهُ النَّهْيِ، أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهَا، وَوَأْفَقَ تَمَامَ أَجَلِهِ، فَمَاتَ بِهَا، فَرُبَّمَا يَقَعُ فِي وَهْمِهِ، أَوْ وَهْمِ غَيْرِهِ، أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَفِدْ لِمَا مَاتَ، فَيَقَعُ فِي الْإِشْرَاكِ. وَأَمَّا أَهْلُ الْيَقِينِ التَّامِّ فَلَا كَرَاهِيَةَ فِي حَقِّهِمْ، لِانْتِفَاءِ الْعِلَّةِ مِنْهُمْ، فَالْتَّهْيِ إِنَّمَا هُوَ فِي حَقِّ الضَّعْفَاءِ. وَأَمَّا الْأَقْوِيَاءُ فَلَا يَشْمَلُهُمْ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فِرٌّ مِنَ الْمَجْدُومِ فِرَارِكُ مِنَ الْأَسَدِ» وَثَبِتَ أَنَّهُ أَكَلَ مَعَهُ. وَقَالَ: «لَا عُدُوِيَّ وَلَا طَيْرَةَ». فَلِلْأَقْوِيَاءِ حُكْمٌ غَيْرُ مَا لِلضَّعْفَاءِ. وَأَمَّا رَجُوعُ سَيِّدِنَا عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الشَّامِ، مَا بَلَغَهُ أَنَّ فِيهِ الْوَبَاءَ، فَإِنَّ الْجَيْشَ مُخْتَلِطًا، فِيهِ الْأَقْوِيَاءُ وَغَيْرُهُمْ، فَاسْتَفَقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الضَّعْفَاءِ؛ أَنْ يَخْتَلِجَ فِي قُلُوبِهِمْ شَيْءٌ، وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ مِنْ لَا صُخْبَةَ لَهُ، لِكَوْنِهِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِالإِسْلَامِ. قُلْتُ: وَقَدْ رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِنَا، تَقَدَّمُوا لِعَسَلِ الْمَوْتَى، وَمُبَاشَرَةِ الْمَرَضَى فِي مَدِينَةِ تَطْوَانَ، وَطَنْجَةَ، وَسَلَا وَالرِّبَاطِ، وَمَدَاشِيرِ الْقَبَائِلِ، لَمْ يَتَقَدَّمْ إِلَى ذَلِكَ غَيْرُهُمْ، فَعَسَلُوا وَكَفُّوا، وَبَاشَرُوا الْمَرَضَى، فَلَمْ يُصِيبْهُمْ شَيْءٌ، بَلْ بَعْضُهُمْ بَاقٍ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَهُمْ أُعْطِيَ قَشَابَةَ مَاتَ صَاحِبُهَا بِالْوَبَاءِ، فَلَبَسَهَا فِي الْحَيَاتِ، فَلَمْ يُصِبهُ شَيْءٌ، فَعَاشَ بَعْدَ الْوَبَاءِ زَمَنًا طَوِيلًا، وَرَأَيْتُ بَعْضَ أَصْحَابِنَا مِنْ أَهْلِ أَنْجَرَةَ، قَدِمَ عَلَى الْبِلَادِ الَّتِي فِيهَا الطَّاعُونَ، فَبَقِيَ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرٍ، يَغْسِلُ وَيَكْفُنُ، وَيُبَاشِرُ الْمَرَضَى بِهَا، ثُمَّ قَدِمَ سَالِمًا، فَعَاشَ بَعْدَ الْوَبَاءِ زَمَنًا طَوِيلًا، فَبَطَلَ الْقَوْلُ بِالْعُدُوِيِّ وَالْإِنْتِقَالِ، وَكُنَّا نَقُولُ لِأَصْحَابِنَا: مَنْ أَرَادَ تَرْبِيَةَ الْيَقِينِ، وَتَعَلَّمَ الْقُوَّةَ وَالشُّجَاعَةَ، فَلْيَذْهَبْ إِلَى مَحَلِّهَا، مُتَوَكِّلًا عَلَى اللَّهِ، مُعْتَمِدًا فِي ذَلِكَ عَلَى قَوْلِ ابْنِ رُشْدٍ، مَعَ مَا قَدَّمَاهُ مِنَ التَّفْصِيلِ. وَأَمَّا التَّحَصُّنُ مِنْهُ بِحَرَسِ الْأَبْوَابِ وَعَلْقِهَا، فَلَا فَائِدَةَ فِيهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ وَقَدْ يَتَأَخَّرُ الْوَقْتُ فِي الْأَزَلِ، فَيُظَنُّ الْجَاهِلُ أَنْ تَأْخِيرَهَا إِنَّمَا هُوَ مِنْ جِرْصِهِ وَتَحَفُّظِهِ،

وليس كذلك، إذ لا ينفع حذر من قدر، وإنما الوقت افتضى التأخير. قال تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾.

حكاية مستظرفة: بلغني أن صاحبنا الفقيه المفرج، لما دخلت الوباء طنجة، وقد كانوا أغلقوا الأبواب، ومنعوا من أتى من بلد الوباء من الدخول، أتى إلى البوابين؛ لما تحقق ظهورها في البلد فقال لهم: بيني وبينكم الفائدة، لِمَ تَرَكْتُمْ الوباءَ تَدْخُلُ؛ رداً لِرِغْمِهِمْ، فإن قلت: قد وجد من سد بابه في زمنها، فسليم منها، قلت: الحكمة حق من تمسك بها، لا تُخْرَقُ في حَقِّهِ، لِكِنَّهُ يَكُونُ مَحْجُوباً بِهَا عَنِ رَبِّهِ، مَعَ التَّحَقُّقِ، أَنَّ الْقَضَاءَ وَالْقَدْرَ هَكَذَا جَرَى فِي حَقِّهِ، فَمَا تَعَاطَى إِلَّا مَا جَرَى بِهِ الْقَلَمُ، لِكِنَّهُ مَحْسُوبٌ مِنَ الضَّعْفَاءِ، لَا نَصِيبَ لَهُ فِي مَقَامِ الْأَقْوِيَاءِ. ويدخل في قوله عليه السلام: «الْفَارُ مِنْهَا، كَالْفَارِ مِنَ الرَّخْفِ» وأما التَّحَصُّنُ بِالِدُّعَاءِ فَلَا بَأْسَ بِهِ عُبُودِيَّةٌ، مَعَ اغْتِقَادِهِ أَنَّهُ لَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ شَيْئاً. وفائدته: التأييد والالطف، ونزول الصبر، والرضى عند أوقات الشدة، وقد ذكر القشطلاني دعاء مخصوصاً، يُقال عِنْدَ هَيْجَانِهَا، أَوْ يُعَلَّقُ تَمِيمَةً، فَإِنَّ اللَّهَ يَحْفَظُهُ بِرِكَتِهِ؛ وَهُوَ هَذَا: اللَّهُمَّ سَكُنْ فِتْنَةَ صَدْمَةِ قَهْرَمَانَ الْجَبْرُوتِ، بِالطَّافِكِ الْخَفِيَّةِ، الْوَارِدَةِ، النَّازِلَةِ مِنْ بَابِ الْمَلَكُوتِ، حَتَّى تَنْتَهَيْتِ بِأَذْيَالِ لُطْفِكَ، وَتَعْتَصِمِ بِكَ مِنْ إِنْزَالِ قُدْرَتِكَ، يَا ذَا الْقُدْرَةِ الْكَامِلَةِ، وَالرَّحْمَةِ الشَّامِلَةِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ اهـ.

وينفع في ذلك أيضاً جزبُ النَّوَوِيِّ، صباحاً ومساءً بعد العشاء، فقد قيل: إن قارئة لا يتسلط عليه برٌ ولا فاجرٌ، بحيث لا يتصرف فيه أحدٌ، لا من جهة الهمة كالأولياء، ولا من جهة الفعل الحسي، كالجبابرة من الإنسان والجن، وكذلك وظيفة الشيخ زروق رضي الله عنه، صباحاً ومساءً، ومثل ذلك، آية الجرح: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى آخر السورة يكرزها سبعاً، ومثل ذلك، الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ، فإنها تكشف الكرب والهموم والغموم، ومما كتب به إلينا شيخ شيخنا، مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه، ما نصه بعد كلام طويل: «ومهما تروغت من شيء، فبادر إلى الطهارة إن كنت على غيرها، وصل ركعتين، واتل سورتين قصيرتين، أو صل على رسول الله ﷺ ولو عشر مرّات، أو ثلاث مرّات، وقل: حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، مثل ذلك، وكُنْ لِرَبِّكَ هَكَذَا دَائِمًا، تَرَى عَجَبًا، وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ عَلَى غَيْرِ هَذَا. إذ لا

يفيدنا إلا الرجوع إلى ربنا، والسكون إليه عند الرخاء والشدة، ولا يفيدنا غيره قط». وقلنا: تطهر إن كنت على غيرها، وجد كذا، واثل كذا، أو افعل الجميع. قلت: «وهو الذي نفعل، نُصَلِّي ركعتين، ونثلو سورتين قصيرتين، كالم نشرح، ولا يلاف قرئش، ونُصَلِّي على رسول الله ﷺ عشراً، ونقول: حسبنا الله ونعم الوكيل عشراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله عشراً، ثم قال رضي الله عنه: فإن الشَّرَّ يذهب، والخَيْر يأتي، إذ في الرجوع إلى الله والسكون إليه من الفوائد وحزقي العوائد، والله إن كنا على ما قلنا، حتى تكون لنا الطريق في السماء، كما هي لنا في الأرض، وأكثر من ذلك وأقرب، ولعنة الله على من كذب، والله إن اغتصمنا بربنا لما قررنا، حتى تصحبنا نيابته في جميع أوقاتنا، ويصحبنا عونهُ وفضلهُ، وكرمه وحلمهُ، وجوده وعطفهُ، ونواله في حركاتنا وسكناتنا، والله يأخذ بيدنا» انتهى كلامه رضي الله عنه.

ومِمَّا يتأكد على الإنسان في زمن الوباء، الرضى والتسليم، والصبر على مفارقة الأحباب، إنما الصبر عند الصدمة الأولى، ففي الله خلف من كل تلف، لاسيما في هذا الزمان الصعب، فينبغي الأيفرح بمولود، ولا يُخزن على مفقود، فما بقي إلا غورة النصارى، وخروج الدجال، ويأجوج ومأجوج، فمن أخذه الله إليه، فقد خلصه الله من هذه الأهوال، ومن بقي، فليتحصن بالكبير المتعال، وقد تقدم قوله عليه السلام، لابن عباس رضي الله عنه: «احفظ الله يحفظك، احفظه تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة» الحديث. وقد حدثني من أتق به من أصحابنا، وهو الفقيه العالم، الولي الصالح، سيدي محمد بن معروف الصحراوي، أنه قال لي: رأيت في كتاب البوني، شمس المعارف. قال فيه: «إذا دخلت النصارى مصر، وظهر الوباء بالمغرب، وخرجت النصارى بالسواجل، ظهر الإمام المهدي، ونزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فمن مات حبيبهُ في هذا الزمان، فلا يتأسف عليه، ومن أحس بانتقال روحه إلى الله، فليفرح ببقاء الله، وملاقاة رسول الله ﷺ، ومن تقدمه من أولياء الله، وكان بلاك يقول عند موته: واطرباه، غدا ألقى الأجابة: محمداً وجزبه، فإن الروح إذا خرجت من سجن البدن، تصوّرت على هيئة صاحبها، شكلاً كاملاً الأعضاء، لطيفاً روحانياً، كالملائكة، يرى ويسمع ويعرف، فإذا خرجت من البدن، كستها الملائكة ثياباً أتت به من الجنة، مع حنوط وطيب، فتصعد بها إلى السماء، ولها رائحة طيبة، فتقول الملائكة: هذه روح فلان ابن فلان، رحمه الله، فيصلون عليه، ويشيعونه من سماء

إلى سَمَاءٍ حَتَّى يَفْضِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: هَذَا عَبْدُكَ فُلَانٌ قَدْ أَتَيْتَكَ بِهِ، فَيَقُولُ: «اَكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي عَلَيَّيْنِ، وَأَرُوهُ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَانِ، فَيَذْهَبُونَ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، فِيرَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ الْإِحْسَانِ، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى السُّؤَالِ، فَإِذَا وُضِعَ الْجَسَدُ عَلَى النَّعْشِ كَانَتْ فَوْقَهُ بِذِرَاعٍ، تَقُولُ: قَدُمُونِي قَدُمُونِي، وَإِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَأُلْقِيَ عَلَيْهِ التُّرَابُ، دَخَلْتُ فِي الْقَبْرِ، وَحَيِّيَ الْبَدَنَ حَيَاةَ حَارِقَةٍ لِلْعَادَةِ، أَشْبَهُ شَيْءٍ بِحَالَةِ النَّائِمِ، فَإِذَا سُئِلَ فِي قَبْرِهِ، وَتَبَّتَهُ اللَّهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، حَتَّى أَجَابَ رُسُلَ رَبِّهِ، صَعِدَتْ رُوحُهُ إِلَى الْمَقَامِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ بِعِيمٍ﴾. قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: رُوحُ الْوَصَالِ، وَرَيْحَانُ الْجَمَالِ، فَإِذَا انْفَصَلَتِ الرُّوحُ مِنْ هَذَا الْبَدَنِ، اتَّصَلَتْ بِالْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ؛ وَهُوَ الرُّوحُ، وَلَمْ تَرَّ إِلَّا الْفَضَاءَ وَسَعَةَ الْجَمَالِ؛ وَهُوَ الرَّيْحَانُ؛ ثُمَّ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ، فَتَتَنَعَّمُ فِيهَا بِأَنْوَاعِ الْخَيْرَاتِ، وَلَا تُحْصَرُ فِي الْجَنَّةِ، بَلْ تَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَتْ، وَفِي بَعْضِ الْأَثَرِ، إِذَا مَاتَ الْعَارِفُ: قِيلَ لِرُوحِهِ: اذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ. وَقِيلَ الرُّوحُ: الْاسْتِرَاحَةُ مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا وَأَهْوَالِهَا، وَالرَّيْحَانُ: الرِّزْقُ الَّذِي يَلِيْقُ بِحَالِهَا، فَإِنَّ رُوحَ الشَّهَدَاءِ، تَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، وَتَشْرَبُ مِنْ أَنْهَارِهَا، وَرُوحَ الصَّادِقِينَ تَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِ الْمَعَارِفِ، وَتَشْرَبُ مِنْ نَسِيمِ لَذَّةِ الشُّهُودِ وَالْمَعَايِنَةِ.

وقال الترمذي: الرُّوحُ الرَّاحَةُ فِي الْقَبْرِ، وَالرَّيْحَانُ دُخُولُ الْجَنَّةِ: وَقَالَ بَسَامُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: الرُّوحُ السَّلَامَةُ. وَالرَّيْحَانُ الْكِرَامَةُ. وَقَالَ سَعْدُ: الرُّوحُ مَعَانِقَةُ الْأَبْكَارِ. وَالرَّيْحَانُ مُرَافِقَةُ الْأَبْرَارِ.

فَالْمُقَرَّبُونَ يَتَنَعَّمُونَ بِنِكَاحِ الْأَبْكَارِ، وَيَجْرِي عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ؛ لظَاهِرِ الْآيَةِ. وَقَالَ الْخِرَازِيُّ: الرُّوحُ كَشْفُ الْغِطَاءِ. وَالرَّيْحَانُ الرُّؤْيَا وَاللِّقَاءُ. وَقِيلَ الرُّوحُ: الرَّافَةُ، وَالرَّيْحَانُ: النَّجَاةُ مِنَ الْآفَةِ. وَقِيلَ الرُّوحُ: الْمَوْتُ عَلَى الشَّهَادَةِ. وَالرَّيْحَانُ: بَدْءُ السَّعَادَةِ. وَقِيلَ الرُّوحُ: كَشْفُ الْكُرُوبِ. وَالرَّيْحَانُ: عُفْرَانُ الدُّنُوبِ. وَقِيلَ الرُّوحُ: الثَّبَاتُ عَلَى الْإِيمَانِ. وَالرَّيْحَانُ: نَيْلُ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ. وَقِيلَ الرُّوحُ: فَضْلُهُ. وَالرَّيْحَانُ: وَضْلُهُ. وَقِيلَ الرُّوحُ: عَفْوٌ بِلا عِتَابٍ، وَالرَّيْحَانُ: رِزْقٌ بِلا حِسَابٍ، وَقِيلَ الرُّوحُ لِلْسَّابِقِينَ، وَالرَّيْحَانُ لِلْمُقْتَصِدِينَ، وَالْجَنَّةُ لِلظَّالِمِينَ. وَقِيلَ الرُّوحُ لِأَرْوَاحِهِمْ. وَالرَّيْحَانُ لِقُلُوبِهِمْ، وَالْجَنَّةُ لِأَبْدَانِهِمْ، وَالْحَقُّ لِأَسْرَارِهِمْ.

وَالْمُقَرَّبُونَ: هُمُ السَّابِقُونَ. وَالسَّابِقُونَ: هُمُ أَهْلُ الْهَمِّ الْعَالِيَةِ؛ الَّذِينَ سَبَقَتْ أَرْوَاحُهُمْ إِلَى الْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ؛ وَهُمُ أَهْلُ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ. فَالْمَوْتُ فِي حَقِّ هَؤُلَاءِ،

انتقال من وَطَنٍ إِلَى وَطَنٍ، ومن دَارٍ إِلَى دَارٍ، وفي ذلك يقول الغزالي، بَعْدَ مَوْتِهِ،
وُجِدَتْ تَحْتَ عِمَامَتِهِ:

لَا تَظُنُّوا الْمَوْتَ مَوْتًا إِنَّهُ لِحَيَاةٍ وَهُوَ عَايَةُ الْمُنَا
لَا تُرَوِّعُكُمْ هَاجِمَةُ الْمَوْتِ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْتِقَالَ مِنْ هُنَا
فَأَخْلَعُوا الْأَجْسَادَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ تُبْصِرُوا الْحَقَّ عَيَانًا بَيْنَنَا
وإلى آخِرِ قَصِيدَتِهِ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، فَتَضَعِدُ الْمَلَائِكَةُ
بِرُوحِهِ كَمَا تَقَدَّمَ، ثم ترجع للسؤال، فإن سُئِلَتْ بِأَهْلِهَا فِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ،
فَيُسَلَّمُونَ عَلَيْهَا، وَيَسْأَلُونَهَا عَنْ أَحْوَالِ الْأَحْيَاءِ، ثُمَّ تَبْقَى مَخْصُورَةً فِي عَالَمِ
الْبَرْزَخِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ، بخلاف أرواح الْمُقْرَبِينَ، فإنَّهَا مَطْلُوقَةٌ تَذْهَبُ حَيْثُ
تَشَاءُ، وَتَتَصَرَّفُ تَصَرُّفَ الْأَحْيَاءِ. وَالْمُرَادُ بِأَصْحَابِ الْيَمِينِ: أَهْلُ الدَّلِيلِ
وَالْبُرْهَانِ، الَّذِينَ حَصَرْتَهُمُ الْأَكْوَانُ، وَلَمْ يُفْضُوا إِلَى فِضَاءِ الشُّهُودِ وَالْعِيَانِ،
سِوَا كَانُوا عُلَمَاءَ أَوْ صَالِحِينَ، أَوْ عِبَادًا أَوْ زُهَادًا.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ مَنْ خَرَجَتْ فِكْرَتُهُ عَنِ الْأَكْوَانِ، وَاتَّصَلَتْ بِشُهُودِ الْمَكُونِ؛
فَهُوَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ، وَمَنْ بَقِيََتْ مَسْجُونَةٌ فِي الْأَكْوَانِ، لَمْ تُفْتَحْ لَهَا مَيَادِينُ الْغُيُوبِ؛
فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْيُسُوفِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. وَبَقِيَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْعَادِيَةِ، عِنْدَهُمْ
الْجَذَامُ؛ وَهُوَ قَلِيلٌ فِي قَطْرِنَا هَذَا، فَلَا نَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ وَالسَّلَامُ.

البَابُ الْخَامِسُ

فِي اِكْتِسَابِ الْيَقِينِ، وَذِكْرِ مَوَادِّهِ وَمَوَاطِنِهِ

الْيَقِينُ: هُوَ سَكُونُ الْقَلْبِ وَأَطْمَئِنَانُهُ بِزَوَالِ التَّوَدُّدِ وَالاضْطِرَابِ، مِنْ قَوْلِهِمْ:
يَقِينُ الْمَاءِ فِي الْحَوْضِ، إِذَا سَكَنَ وَاسْتَقَرَّ فِيهِ. ثُمَّ يَتَفَاوَتُ الْيَقِينُ بِتَفَاوُتِ مَوَادِّهِ
وَأَنْوَارِهِ، فَإِذَا سَكَنَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سَكُونًا تَامًا، لِكَيْفِهِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ الْأَكْوَانِ،
يَسْتَدَلُّ بِالْأَثَرِ عَلَى الْمُؤَثَّرِ، سُمِّيَ هَذَا الْمَقَامَ، عِلْمَ الْيَقِينِ. وَمَوَادِّهِ التَّفَكُّرُ وَالِاعْتِبَارُ،
فَكَلِمَا قَوِي التَّفَكُّرِ وَالِاعْتِبَارِ، قَوِي نُورِ الْيَقِينِ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَى هَذِهِ الْمَصْنُوعَاتِ
الْعُلُوبِيَةِ وَالسُّفَلِيَةِ، وَتَفَكَّرَ فِي عَجَائِبِ صُنْعِهَا، وَاخْتِلَافِ أَشْخَاصِهَا وَأَنْوَارِهَا؛ وَتَعَدَّدِ
أَفْرَادِهَا، وَكُلَّهَا فِي قَبْضَتِهِ تَعَالَى، وَتَخَتَّ قُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، أَحَاطَ بِهَا عِلْمًا، وَسَمِعَا
وَبَصْرًا، لَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، عَلِمَ عِلْمَ يَقِينٍ عَظْمَةَ
خَالِقِهَا، وَبَاهَرَ قُدْرَتِهِ، وَسَعَةَ عِلْمِهِ، فَإِذَا تَعَطَّشَتِ الرُّوحُ إِلَى مَعْرِفَةِ ذَاتِهِ، وَاشْتَاقَتْ
إِلَى النُّوْضُولِ إِلَى حَضْرَتِهِ، رَزَقَهَا الْحَقُّ تَعَالَى الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَشَهَا مِنْ خَلْقِهِ،

وَأَسَّهَا بِهِ، وَأَشْغَلَهَا بِذِكْرِهِ، وَقَبِضَ لَهَا وَلِيّاً مِنْ أَوْلِيَائِهِ، فَلَا يَزَالُ يَسِيرُ بِهَا مِنْ مَرْحَلٍ إِلَى مَرْحَلٍ، وَمِنْ مَنَهْلٍ إِلَى مَنَهْلٍ، حَتَّى يَقُولَ لَهَا: هَا أَنْتَ وَرَبُّكَ، وَذَلِكَ حَتَّى تَنْقَشَ ظِلْمَةَ الْأَكْوَانِ عَنِ الْقَلْبِ، فَيُشَاهِدَ أَنْوَارَ الْغَيْبِ حَاضِرَةً، وَأَسْرَارَ الذَّاتِ لَائِحَةً، فَيَغْرُقَ فِي الْأَنْوَارِ، وَيَغِيبُ عَنِ شُهُودِ الْأَثَارِ، وَيُسَمَّى هَذَا الْمَقَامَ، عَيْنَ الْيَقِينِ، وَهُوَ مَقَامُ الْفَنَاءِ وَمَوَادَّةُ: الذِّكْرِ الْقَلْبِيِّ، وَجَوْلَانِ الْفِكْرَةِ فِي مَيَادِينِ الْغَيْبِ، مَعَ دَوَامِ صُحْبَةِ الْعَارِفِينَ، وَخِدْمَةِ الْوَاصِلِينَ، وَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْ شُهُودِ الْأَنْوَارِ، وَرَجَعَ إِلَى شُهُودِ الْأَثَارِ يَرَاهَا قَائِمَةً بِاللَّهِ، لَا وَجُودَ لَهَا مَعَ اللَّهِ، سُمِّيَ هَذَا الْمَقَامَ: حَقُّ الْيَقِينِ. وَمَوَادَّةُ: الْفِكْرَةِ وَالنَّظَرَةِ، وَلِزُومِ الصُّحْبَةِ وَالْخِدْمَةِ. وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ هَذَا، إِلَّا التَّرَقُّيُ فِي الْمَعْرِفَةِ أَبَداً سَرْمَداً فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَفِي تِلْكَ الدَّارِ، إِذْ عَظَمَتِ الْحَقُّ لَا نِهَآيَةَ لَهَا، فَالتَّرَقُّيُ لَا نِهَآيَةَ لَهُ. وَقَدْ تَكَلَّمَ أَبُو الْقَاسِمِ الْقَشِيرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلَى هَذِهِ الْمَقَامَاتِ الثَّلَاثِ؛ أَعْنِي عِلْمَ الْيَقِينِ، وَعَيْنَ الْيَقِينِ، وَحَقُّ الْيَقِينِ فَقَالَ: «عِلْمُ الْيَقِينِ مَا كَانَ بِشَرْطِ الْبُرْهَانِ. وَعَيْنُ الْيَقِينِ مَا كَانَ بِحُكْمِ الْبَيَانِ، وَحَقُّ الْيَقِينِ مَا كَانَ يَنْبَغِي الْبَيَانَ، فَعِلْمُ الْيَقِينِ: لِأَرْبَابِ الْعُقُولِ. وَعَيْنُ الْيَقِينِ: لِأَرْبَابِ الْعُلُومِ. وَحَقُّ الْيَقِينِ: لِأَصْحَابِ الْمَعَارِفِ». وَأَحْسَنُ مِنْهُ، مَا قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْفَرْغَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «الْيَقِينُ: هُوَ سُكُونُ الْقَلْبِ وَاسْتِقْرَارُهُ، فَإِذَا أَضْيَفَ هَذَا السُّكُونَ إِلَى النَّفْسِ وَالْعَقْلِ بِنَاءً عَلَى حُجَّةٍ وَدَلِيلٍ يَدُلُّهُمَا عَلَى الْأَمْرِ الْمَطْلُوبِ، سُمِّيَ عِلْمُ الْيَقِينِ، وَإِذَا أَضْيَفَ إِلَى الرُّوحِ الرَّوْحَانِيَّةِ، بِطَرِيقِ زَوَالِ الْحُجُبِ الْحَائِلَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمَطْلُوبِ، فَتَعَايَنَهُ وَتَشَاهَدَهُ كَمَا هُوَ فِي مَعْدِنِهِ، يُقَالُ لَهُ: عَيْنُ الْيَقِينِ. وَإِذَا أَضْيَفَ ذَلِكَ السُّكُونَ إِلَى السَّرِّ، يُسَمَّى حَقُّ الْيَقِينِ». انْتَهَى مَخْتَصِراً.

ومثال ذلك في الشاهد: عِلْمُنَا بِوُجُودِ مَكَّةَ مَثَلاً، فَمَا دَامَ الْإِنْسَانُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا، عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْمٌ الْيَقِينِ، فَإِذَا اسْتَشْرَفَ عَلَيْهَا وَرَأَاهَا، حَصَلَ لَهُ عَيْنُ الْيَقِينِ، فَإِذَا دَخَلَهَا، وَعَرَفَ طَرَفَهَا حَصَلَ لَهُ حَقُّ الْيَقِينِ، وَكَذَلِكَ مَعْرِفَةُ الذَّاتِ الْعَالِيَةِ، فَمَا دَامَ الْعَبْدُ مُؤْمِناً بِالْغَيْبِ، يَشَاهِدُ الْأَكْوَانَ، وَيَسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الْمَكُونِ، فَهَذَا الْعِلْمُ الَّذِي عِنْدَهُ بِاللَّهِ، يُسَمَّى عِلْمُ الْيَقِينِ، فَإِذَا انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ، وَاتَّصَلَ بِشَيْخِ التَّرْبِيَةِ، فَسَارَ بِهِ حَتَّى غَيَّبَهُ عَنِ شُهُودِ الْأَكْوَانِ، بِشُهُودِ الْمَكُونِ، بِحَيْثُ فَاضَتْ أَنْوَارُ الْمَعَانِي عَلَيْهِ، فَغَيَّبَتْهُ عَنِ شُهُودِ الْأَوَانِي، فَهَذَا يُسَمَّى عَيْنُ الْيَقِينِ، فَإِذَا تَمَكَّنَ مِنَ الشُّهُودِ، وَرَسَخَ قَدَمَهُ فِي شُهُودِ الْمَلِكِ الْمَعْبُودِ، فَرَأَى الْمَعَانِي قَائِمَةً بِالْأَوَانِي؛ فَهَذَا يُسَمَّى حَقُّ الْيَقِينِ، وَإِلَى هَذِهِ الْمَقَامَاتِ الثَّلَاثِ، أَشَارَ ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ فِي الْحِكْمِ بِقَوْلِهِ: «شِعَاعُ الْبَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ قَرَبَ الْحَقِّ مِنْكَ، وَعَيْنُ الْبَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ عَدَمَكَ لِوُجُودِهِ،

وَحَقُّ الْبَصِيرَةِ، يُشْهَدُكَ وَجُودَ الْحَقِّ لَا عَدَمَكَ، وَلَا وُجُودَكَ، كَمَا أَنَّ اللَّهَ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، وَهُوَ الْآنَ عَلَيَّ مَا عَلَيْهِ كَانَ». وهذه المقامات الثلاث: أغني علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، تجري في كل ما يُطلب فيه تزيبة اليقين، كضمان الرزق، وعدم الخوف من الخلق، وتحديد الأجل، وجزيان مواقع القدر، كالتبذير وما بعده، فأما ضمان الرزق، فيحصل فيه علم اليقين، بالتفكير في الآيات التي وردت فيه، فكثيرة في كلام الله في شأنه، وكالأحاديث التي وردت عن الصادق المصدوق في ضمانه.

فأما الآيات التي وردت، فكثيرة جداً، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا أَلَى اللَّهِ رِزْقَهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّمًا وَمُسْتَوْدَعًا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾. وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾. فوسطه بين الخلق والإمامة. فكما لا تشك أن الله الذي خلقك؛ وهو الذي يملكك، ثم يحييك، فكما لا تشك أن الله يرزقك، إذ كلها سواء. وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِنْدَ اللَّهِ بِرِزْقِكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَالَّذِينَ تُوَفَّقُوا﴾. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْتَمِيمُ﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. وأما الأحاديث النبوية، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا». وقال ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَسٌ فِي رُوحِي، أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ، حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ». وقال ﷺ: «إِنَّ الرِّزْقَ يَطْلُبُ الرَّجُلُ، كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ». إلى غير ذلك من الأحاديث التي لم نستحضرها. وأما قوله عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَكْفُلُ بِرِزْقِ طَالِبِ عِلْمٍ». فالمراد به تكفل خاص، وهو إتيانه بغير سبب، ولا تعب، وأن الله قد تكفل برزق جميع عباده، لكنه سبحانه ستر ذلك برداء الحكمة؛ وهو وجود الأسباب العادية.

وَمَنْ اشْتَغَلَ بِطَلَبِ الْعِلْمِ النَّافِعِ مُخْلِصًا فِيهِ، أَنَاهُ رِزْقُهُ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ، وَإِنَّمَا سَتَرَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ هَذَا الضَّمَانَ بِرِذَاءِ الْحِكْمَةِ؛ وَهُوَ وُجُودُ الْأَسْبَابِ؛ لِأَنَّ إِبْرَارَ

الرِّزْقِ، مِنْ عَيْنِ الْمِنَّةِ ظَاهِرًا مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ كَشَفَ لِأَسْرَارِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهَتَكَ لِأَسْتَارِ عِظَمَةِ الْأُلُوهِيَّةِ. فِي هَذِهِ الدَّارِ الَّتِي هِيَ دَارُ التَّكْلِيفِ، لَا دَارَ التَّعْرِيفِ لِتُظْهِرَ مَرِيئَةَ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، فَلَا بُدَّ مِنْ رِذَاءِ الْحِكْمَةِ أَنْ يُنْشَرَ عَلَى تَصَرُّفِ الْقُدْرَةِ، فَيُنْقَلِ السُّرُّ مَصُونًا، وَالكَثْرُ مَذْفُونًا، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ظَهَرَتِ الْقُدْرَةُ، وَبَطِنَتِ الْحِكْمَةُ، فَظَهَرَتِ الْأَسْرَارُ بِأَدِيَةِ الْأَنْوَارِ، فَتَبَرَّزَ حَيْثُئِذِ الْأَزْرَاقُ مِنْ عَيْنِ الْمِنَّةِ، بِأَدِيَةِ ظَاهِرَةِ مِنْ غَيْرِ رِذَاءٍ وَلَا سِتْرٍ؛ لِأَنَّهَا دَارُ التَّعْرِيفِ، لَا دَارَ التَّكْلِيفِ، فَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ ثَمَرَةُ الْإِيمَانِ، وَيَتَمَيَّزُ الرِّيحُ مِنَ الْخُسْرَانِ، بِاعْتِبَارِ مَا عَرَسُوا هُنَا.

فَعِلْمُ الْعَبْدِ بِهَذَا الضَّمَانِ، مِنْ الْآيَاتِ الَّتِي قَدَّمْنَا، وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، يُسَمَّى عِلْمَ الْيَقِينِ، فَإِذَا أَرَادَ تَحْصِيلَ عَيْنِ الْيَقِينِ، فَلْيَنْقَطِعْ إِلَى اللَّهِ انْقِطَاعًا كَلِيًّا، وَيَتَجَرَّدْ عَنِ الْأَسْبَابِ قَلْبًا وَقَلْبًا، فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِيهِ بِرِزْقِهِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ، كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ مَوْوَنَةٍ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَلَيْسَ كُنْ تَحْتَ قَهْرِيَّةِ الْفَاقَةِ، حَتَّى يَذُوقَ أَسْرَارَهَا، وَيَحْصُلَ لَهُ عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ». إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ بِالسَّبَبِ، وَبِلَا سَبَبٍ، فَإِذَا رَسَخَ فِيهِ هَذَا الْعِلْمُ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ خَضَمٌ وَلَا وَهْمٌ، سُمِّيَ ذَلِكَ حَقُّ الْيَقِينِ.

وَأَمَّا عَدَمُ الْخَوْفِ مِنَ الْخَلْقِ، فَيَحْصُلُ فِيهِ عِلْمُ الْيَقِينِ، فِي التَّفَكُّرِ فِي الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى تَوْحِيدِ الْأَفْعَالِ، وَأَنَّهُ لَا فَاعِلَ إِلَّا اللَّهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُمْ بِصَاحِبِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَسَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾. وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةَ عَنْ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْغِيَرَةُ﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ ﷺ، قَالَ لَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ عَلَى أَنْ يَضْرُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يُقْدِرْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، جُفَّتِ الْأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُوفُ» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ، فَإِذَا أَرَادَ تَحْصِيلَ عَيْنِ الْيَقِينِ، فَلْيُورِدْ مَوَاطِنَ الْحُثُوفِ وَالْأَمَاكِنِ الَّتِي خَافَ بِهَا النَّاسُ مِنْ غَيْرِ تَقْرِيرٍ. حَتَّى يَكْتَسِبَ عَيْنَ الْيَقِينِ. فَإِذَا دَامَ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ، تَمَكَّنَ فِيهِ حَقُّ الْيَقِينِ. وَتَحَقَّقَ حِينَئِذٍ ذَوْقًا وَكُشْفًا، أَلَّا فَاعِلَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا فَاعِلَ سِوَاهُ، ثُمَّ إِذَا وَجَدَ مِنْ يَسِيرِ بِهِ إِلَى اللَّهِ،

حَصَلَ لَهُ تَوْحِيدُ الذَّاتِ، وَأَنَّهُ لَا مَوْجُودَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُوَ النُّهَايَةُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُ كُلِّ شَيْءٍ نَهْيًا﴾.

وَأَمَّا تَحْلِيدُ الْأَجْلِ، وَجَرَيَانُ مَوَاقِعِ الْقَدَرِ؛ فَقَدْ تَقَدَّمَتِ الْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى ذَلِكَ. فَإِذَا تَأَمَّلَ فِيهَا مُفْرِعًا قَلْبَهُ، حَصَلَ لَهُ عِلْمُ الْيَقِينِ، فَإِذَا أَرَادَ تَحْصِيلَ عَيْنِ الْيَقِينِ، فَلْيَرِدْ أَيْضًا مَوَاضِعَ الْخَوْفِ، وَمَوَاطِنَ الْحُتُوفِ؛ كَبَلَدِ الْوَبَاءِ، إِنْ كَانَ لَهُ يَقِينٌ فِي التَّوْحِيدِ، أَوْ الصَّبْرِ فِي بَلَدِهِ، حَتَّى يَحْصَلَ لَهُ عَيْنُ الْيَقِينِ. إِنَّ الْأَجَلَ مَخْدُودٌ، وَقَدْ يَحْصُلُ عَيْنُ الْيَقِينِ، بِالنُّظَرِ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَيَأْسَرَ الْحُتُوفَ، وَسَكَرَ مَوَاطِنَ الْهَلَكَةِ؛ وَهُوَ سَالِمٌ. فَإِذَا دَامَ فِي مَوَاطِنِ الْخَوْفِ، حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ قَلْبِهِ الْعِلْمُ الْيَقِينِي، حَصَلَ لَهُ حَقُّ الْيَقِينِ.

وَأَمَّا الْبَعْثُ وَمَا بَعْدَهُ، فَأَمْرٌ شَهِيرٌ، وَآيَاتُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَجُلُّ النَّاسِ حَصَلَ لَهُمْ فِيهِ عِلْمُ الْيَقِينِ، وَلَا يَحْصُلُ عَيْنُ الْيَقِينِ، وَحَقُّ الْيَقِينِ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، وَيَرَاهَا النَّاسُ عَيْنَانًا، فَحِينَئِذٍ يَحْصُلُ لَهُمْ عَيْنُ الْيَقِينِ، وَحَقُّ الْيَقِينِ، نَعْمٌ، قَدْ تَتَوَارَدُ الْأَنْوَارُ عَلَى الْقَلْبِ فَيَصِيرُ الْعَيْنُ فِي مَعَدِّ الْعِيَانِ، وَالْأَجَلَ فِي مَعَدِّ الْعَاجِلِ. وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ، وَأَنْظُرْ إِلَى قَوْلِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ بَيْنَهُمْ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَعَاوَنُونَ فِيهَا» الْحَدِيثُ. أَوْ كَمَا قَالَ ذَلِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَانظُرْهُ كَيْفَ جَعَلَ الْآتِي وَاقِعًا، وَالْغَائِبَ شَاهِدًا؛ وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: «الزَّمَّ قَدْ عَرَفْتَ عَبْدٌ دَخَلَ نُورَ اللَّهِ قَلْبَهُ» أَوْ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَطَرِيقُ اِكْتِسَابِ الْيَقِينِ، هُوَ صُخْبَةُ أَهْلِ الْيَقِينِ، وَاللَّهُ مَا أَفْلَحَ مَنْ أَفْلَحَ، إِلَّا بِصُخْبَةِ مَنْ أَفْلَحَ، وَمَنْ تَحَقَّقَ بِحَالِهِ، لَا يَخْلُو حَاضِرُوهَ مِنْهَا. وَفِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ: «تَعَلَّمُوا الْيَقِينِ، فَإِنِّي أَتَعَلَّمُهُ». وَفِي بَعْضِ رِوَايَةِ أُخْرَى: «تَعَلَّمُوا الْيَقِينِ بِمُجَالَسَةِ أَهْلِ الْيَقِينِ». وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَفِينَ: «إِنَّ اللَّهَ رِجَالًا إِذَا نَظَرُوا أَغْنَوْا» وَكَانَ الشَّيْخُ الشَّاذِلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي شَأْنِ تَلْمِيذِهِ، أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُرْسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو الْعَبَّاسِ، يَأْتِيهِ الرَّجُلُ الْبَدَوِيُّ يَبُولُ عَلَى سَاقِهِ، فَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ وَلِيُّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ». وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُرْسِيُّ نَفْسَهُ: «وَاللَّهُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ، إِلَّا أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَقَدْ أَغْنَيْتُهُ». قُلْتُ: وَكُلُّ زَمَانٍ لَهُ رِجَالٌ يَغْتَوُونَ بِالنُّظَرِ، وَقَدْ أَدْرَكْنَاهُمْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَصَحْبِنَاهُمْ، أَطَهَرَهُمُ اللَّهُ ظُهُورَ نَارِ الْقَرِيءِ عَلَى عِلْمِ، بَلْ ظُهُورَ الشَّمْسِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، لَكِنْ لَا بُدَّ لِلشَّمْسِ مِنْ سَحَابٍ، وَلِلْحَسَنَاءِ مِنْ نِقَابٍ:

وَكَمْ مِنْ عَادِلٍ لَيْلَى وَلَمْ يَرِ وَجْهَهَا فَقَالَ لَهُ الْحِزْمَانُ حَسْبُكَ مَا فَاتَ

معراج التشوف إلى حقائق التصوف للعارف بالله أبي العباس سيدي أحمد بنعجبية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

1- الشرح الأول: معراج التشوف إلى حقائق التصوف.

قال الشيخ الإمام، البحر الهمام. الصوفي الكامل، والعارف الواصل بحر الحقائق العرفانية. وشمس المعارف العينية. أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بنعجبية الحسيني رضي الله عنه وأرضاه. وجعل في حضرة القدس متقلبه ومثواه.

الحمد لله الذي حقق الحقائق، وأوضح الطرائق. والصلاة والسلام على مولانا محمد سيد الخلائق. المخصوص بتواتر المعجزات. وتظاهر الخوارق، ورضي الله تعالى عن أصحابه الأعلام. الذين أظهر الله بهم دينه القويم، في أقصى المغرب والمشرق.

وَبَعْدُ: فَعِلْمُ التَّصَوُّفِ: هُوَ سَيِّدُ الْعُلُومِ وَرِئِيسُهَا، وَبَابُ الشَّرِيعَةِ وَأَسَاسُهَا. وَكَيْفَ لَا وَهُوَ تَفْسِيرٌ لِمَقَامِ الْإِحْسَانِ. الَّذِي هُوَ مَقَامُ الشُّهُودِ وَالْعَيَانِ. كَمَا أَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ، تَفْسِيرٌ لِمَقَامِ الْإِيمَانِ. وَعِلْمُ الْفِقْهِ تَفْسِيرٌ لِمَقَامِ الْإِسْلَامِ. وَقَدْ اشْتَمَلَ حَدِيثُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى تَفْسِيرِ الْجَمِيعِ. فَإِذَا تَقَرَّرَ أَنَّهُ أَفْضَلُ الْعُلُومِ، تَبَيَّنَ أَنَّ الْإِسْتِغَالَ بِهٖ أَفْضَلُ مَا يُتَّقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، لِكَوْنِهِ سَبَبًا لِلْمَعْرِفَةِ الْخَاصَّةِ، الَّتِي هِيَ مَعْرِفَةُ الْعَيَانِ. وَقَدْ اشْتَمَلَ عَلَى حَقَائِقِ غَرِيبَةٍ. وَعِبَارَاتٍ دَقِيقَةٍ، اصْطَلَحَ الْقَوْمُ عَلَى اسْتِعْمَالِهَا. فَيَنْبَغِي الْوُقُوفُ عَلَى مَعَانِيهَا. لِمَنْ أَرَادَ الْخَوْضَ فِيهِ. وَالْوُقُوفُ عَلَى مَعَانِيهِ. وَقَدْ أَرَدْتُ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ أَنْ أَجْمَعَ نَبْذَةً صَالِحَةً مِنْ حَقَائِقِ هَذَا الْفَنِّ وَاصْطِلَاحَاتِهِ. لَعَلَّ اللَّهَ يَنْفَعُ مِنْ يَرِيدُ الْوُقُوفَ عَلَى هَذَا الْعِلْمِ. وَسَمَّيْتُهُ: مِعْرَاجَ التَّشَوُّفِ، إِلَى حَقَائِقِ التَّصَوُّفِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ؛ وَهُوَ الْهَادِي إِلَى سِوَاءِ الطَّرِيقِ. وَسَادَّكَرُ لِكُلِّ حَقِيقَةٍ مَا يَنْصَلُّ بِهَا بَدَايَةَ وَوَسْطَى، وَنَهَايَةَ.

التَّصَوُّفُ: عِلْمٌ يَعْرِفُ بِهِ كَيْفِيَةَ السَّلُوكِ؛ إِلَى حَضْرَةِ مَلِكِ الْمُلُوكِ. أَوْ تَصْفِيَةَ الْبَوَاطِنِ مِنَ الرَّذَائِلِ وَتَخْلِيَّتِهَا بِأَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ أَوْ غَيْبَةِ الْخَلْقِ فِي شَهُودِ الْحَقِّ، أَوْ مَعَ الرَّجُوعِ إِلَى الْأَثَرِ فِي أَوَّلِهِ عِلْمٌ. وَفِي وَسَطِهِ عَمَلٌ. وَآخِرُهُ مَوْهَبَةٌ. وَاشْتِقَاقُهُ، إِمَّا مِنَ الصَّفَاءِ؛ لِأَنَّ مَذَاهِرَهُ عَلَى التَّصْفِيَةِ، أَوْ مِنَ الصِّفَةِ؛ لِأَنَّهُ اتَّصَفَ بِالْكَمَالَاتِ. أَوْ مِنْ صِفَةِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ؛ لِأَنَّهُمْ مُشَبَّهُونَ بِأَهْلِ الصِّفَةِ فِي التَّوَجُّهِ وَالْإِنْقِطَاعِ. أَوْ مِنَ الصُّوفِ. لِأَنَّ جُلَّ لِبَاسِهِمُ الصُّوفَ. تَقَلُّلًا مِنَ الدُّنْيَا وَزُهْدًا فِيهَا. إِخْتَارُوا ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لِبَاسَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وَهَذَا الْاِشْتِقَاقُ أَنْسَبُ إِلَيْهِ لُغَةً، وَأَظْهَرُ نِسْبَةً؛ لِأَنَّ لِبَاسَ الصُّوفِ. حَكْمٌ ظَاهِرٌ عَلَى الظَّاهِرِ. وَنَسَبَتُهُمْ إِلَيْهِ أَمْرٌ بَاطِنٌ. وَالْحَكْمُ بِالظَّاهِرِ أَوْفَقٌ وَأَقْرَبُ. وَيُقَالُ: تَصَوَّفَ، إِذَا لَبَسَ الصُّوفَ. كَمَا يُقَالُ: تَقَمَّصَ إِذَا لَبَسَ الْقَمِيصَ. وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهِ صُوفِيٌّ. قَالَ سَهْلٌ:

الصُّوفِيٌّ: مَنْ صَفَا مِنَ الْكَدْبِ. وَامْتَلَأَ مِنَ الْفِكْرِ. وَانْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ مِنَ التَّبَشِيرِ، وَاسْتَوَى عِنْدَهُ الذَّهَبُ وَالْمَدْرُ. أَيْ لَا رَغْبَةَ لَهُ فِي شَيْءٍ دُونَ مَوْلَاهُ. الْجُنَيْدُ:
الصُّوفِيٌّ كَالْأَرْضِ، يَطَّأُهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ. وَكَالسَّمَاءِ يُظَلُّ كُلُّ شَيْءٍ، وَكَالْمَطَرِ، يَسْقِي كُلُّ شَيْءٍ.

التَّوْبَةُ: الرَّجُوعُ عَنْ كُلِّ فِعْلٍ قَبِيحٍ، إِلَى كُلِّ فِعْلٍ مَلِيحٍ. أَوْ وَصْفٌ ذَنبِيٌّ، إِلَى التَّحَقُّقِ بِكُلِّ وَصْفٍ سَنِيٍّ. أَوْ عَنْ شَهُودِ الْخَلْقِ، إِلَى الْإِسْتِغْرَاقِ فِي شَهُودِ الْحَقِّ.

وَشُرُوطُهَا: التَّدَمُّ، وَالْإِنْقِطَاعُ وَنَفْيُ الْإِصْرَارِ. وَأَمَّا رَدُّ الْمِظَالِمِ، فَفَرَضٌ مُسْتَقْبَلٌ تَصِحُّ بِدُونِهِ. كَمَا تَصِحُّ مِنْ ذَنْبٍ مَعَ الْإِصْرَارِ عَلَى آخَرَ مِنْ غَيْرِ تَوْعِهِ.

فَتَوْبَةُ الْعَامَّةِ مِنَ الذُّنُوبِ. وَتَوْبَةُ الْخَاصَّةِ مِنَ الْغُيُوبِ، وَتَوْبَةُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ مِنْ كُلِّ مَا يَشْغَلُ السِّرَّ عَنْ عِلَامِ الْغُيُوبِ. وَكُلُّ الْمَقَامَاتِ يَفْتَقِرُ إِلَى التَّوْبَةِ. فَالتَّوْبَةُ تَفْتَقِرُ إِلَى تَوْبَةٍ أُخْرَى بَعْدَ نَصُوحِهَا. وَالْخَوْفُ يَفْتَقِرُ إِلَيْهَا، بِحُصُولِ الْأَمْنِ وَالْإِعْتِرَازِ. وَالرَّجَى بِحُصُولِ الْقَنُوطِ وَالْإِيَّاسِ. وَالصَّبْرُ بِحُصُولِ الْجَزَعِ. وَالزُّهْدُ، بِخَوَاطِرِ الرَّغْبَةِ. وَالْوَرَعُ، بِتَتَبُعِ الرُّخْصِ. بِخَوَاطِرِ الطَّمَعِ. وَالتَّوَكُّلُ؛ بِخَوَاطِرِ التَّنْبِيْرِ وَالْإِخْتِيَارِ، وَالْإِهْتِمَامِ بِالرِّزْقِ، وَالرِّضَى، وَالتَّسْلِيمِ بِالْكَرَاهِيَةِ. وَالتَّبَرِّيُّ عِنْدَ نَزُولِ الْأَقْدَارِ. وَالْمِرَاقِبَةُ بِسُوءِ الْأَدَبِ فِي الظَّاهِرِ. وَخَوَاطِرُ السُّوءِ فِي الْبَاطِنِ وَالْمِحَاسَبَةُ بِتَضْيِيعِ الْأَوْقَاتِ، فِي غَيْرِ مَا يَقْرَبُ إِلَى الْحَقِّ. وَالْمَحَبَّةُ بِمَيْلِ الْقَلْبِ، إِلَى غَيْرِ الْمَحْبُوبِ. وَالْمَشَاهِدَةُ بِالتَّفَاتِ السَّرِّ إِلَى غَيْرِ الْمَشْهُودِ. أَوْ بِاشْتِغَالِهِ بِالْوُقُوفِ مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْحَسَنِ وَعَدَمِ زِيَادَةِ التَّرْقِيِّ فِي مَعَارِجِ الْأَسْرَارِ. وَلِذَلِكَ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

والسلام، يستغفر في المجلس الواحد سبعين مرة أو مئة. والتوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء:

الإستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان. وعَدَم الإصرار بالجنان، ومُهَاجرة سَيِّء الخِلاَّن.

وقال سُفْيَان الثَّوْرِي: علامة التوبة النصوح أربعة:

الْيَقْلَة، والعِلَّة، والذَّلَّة، والغزْبَة.

الإِتَابَة: وهي أَخَف من التوبة: لأنه رُجوع يَصْحبه إنكسارٌ، ونُهُوضٌ إِلَى السَّيْرِ. وهي ثَلَاث مَرَاتِب: رُجوع من الذَّنْب إلى التَّوْبَة. وَمِنْ الغَفْلَة إِلَى اليَقْظَة. وَمِنْ الفَرْقِ إِلَى الجَمْع عَلَى اللّٰهِ.

الخَوْف: انزِعَاج القلب من لحوق مكروه، أو قَوَاتِ مَرْغُوبٍ، وثَمَرَتِه: النُّهُوضُ إِلَى الطَّاعَةِ. والنُّهُوضُ مِنَ المَعْصِيَةِ. فإظهارُ الخَوْفِ مَعَ التَّقْصِيرِ دَعْوَةٌ. فخَوْفُ العَامَّةِ مِنَ العِقَابِ، وَقُوَّةُ الثَّوَابِ، وَخَوْفُ الخَاصَّةِ مِنَ العِقَابِ، وفَوْتَ الاقْتِرَابِ. وَخَوْفُ خَاصَّةِ الخَاصَّةِ، مِنَ الإِحْتِجَابِ بِعَرُوضِ سِوَى الأَدَبِ.

الرَّجَاءُ: سكون القلب إلى انتظار محبوب، بشرط السَّغْيِ فِي أَسْبَابِهِ. وَإِلَّا فَأَمْنِيَّةٌ وَعُرُوزٌ. فَرَجَاءُ العَامَّةِ حَسَنُ المَآبِ بِحُصُولِ الثَّوَابِ، وَرَجَاءُ الخَاصَّةِ: حُصُولُ الرِّضْوَانِ وَالاقْتِرَابِ. وَرَجَاءُ خَاصَّةِ الخَاصَّةِ، التَّمَكُّنُ مِنَ الشُّهُودِ، وَزِيَادَةُ التَّرْقِي فِي أَسْرَارِ المَلِكِ المَعْبُودِ. وَالخَوْفُ وَالرَّجَاءُ لِلقَلْبِ، كَمَجْنَاحِي الطَّائِرِ. لَا يَطِيرُ إِلاَّ بِهَمَا. وَرُبَّمَا يُرْجَعُ الرَّجَاءُ عِنْدَ العَارِفِينَ. وَالخَوْفُ عَنِ الصَّالِحِينَ.

الصَّبْرُ: حَبْسُ القلبِ عَنِ حُكْمِ الرَّبِّ. فَصَبْرُ القَلْبِ عَلَى مَشَاقِّ الطَّاعَاتِ. وَرَفْضُ المَخَالَفَاتِ. وَصَبْرُ الخَاصَّةِ: حَبْسُ النَفْسِ عَنِ الرِّيَاضِيَّاتِ وَالمَجَاهِرَاتِ. وَازْتِكَابُ الأَهْوَالِ، فِي سُلُوكِ طَرِيقِ الأَحْوَالِ. مَعَ مِرَاقَبَةِ القلبِ فِي دَوَامِ الحُضُورِ، وَطَلَبِ رَفْعِ السُّتُورِ. وَصَبْرُ خَاصَّةِ الخَاصَّةِ: حَبْسُ الرُّوحِ وَالسَّرِّ فِي حَضْرَةِ المَشَاهِدَاتِ وَالمُعَايِنَاتِ، أَوْ دَوَامِ النُّظَرَةِ، وَالعُكُوفِ فِي الحَضْرَةِ.

الشُّكْرُ: فَرَحُ القَلْبِ بِحُصُولِ النُّعْمَةِ، مَعَ صَرْفِ الجَوَارِحِ فِي طَاعَةِ المُنْعِمِ، وَالاِعْتِرَافِ بِنِعْمَةِ المُنْعِمِ عَلَى وَجْهِ الخُضُوعِ، وَمَرْجِعُهُ لثَلَاثَ:

شُكْرُ بَاللِّسَانِ: وَهُوَ إِعْتِرَافُهُ بِالنُّعْمَةِ بِتَعْنِتِ الإِسْتِكَانَةِ، وَشُكْرُ بَالْبَدَنِ. وَهُوَ اتِّصَافُهُ بِالخِدْمَةِ. وَشُكْرُ بِالقَلْبِ، وَهُوَ شُهُودُ المُنْعِمِ عِنْدَ حُصُولِ النُّعْمَةِ.

الْوَرَعُ: كَفَ النَّفْسِ عَنِ اِزْتِكَابِ مَا تُكْرَهُ عَاقِبَتُهُ. فَوَرَعَ الْعَامَّةُ: تَرَكَ الْحَرَامَ
وَالْمُتَشَابِهَ، وَوَرَعَ الْخَاصَّةُ: تَرَكَ كُلَّ مَا يَكْدُرُ الْقَلْبَ. وَيَجِدُ مِنْهُ كِرَازَةً وَظُلْمَةً.
وَيَجْمَعُهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «دَخَّ مَا يُرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيْبُكَ». وَوَرَعَ خَاصَّةُ
الْخَاصَّةُ: رَفَضَ التَّعْلُقَ بِغَيْرِ اللَّهِ. وَسَدَّ بَابَ الطَّمَعِ فِي غَيْرِ اللَّهِ. وَعَكُوفُ النَّهْمِ عَلَى
اللَّهِ. وَعَدَمُ الرُّكُونِ إِلَى شَيْءٍ سِوَاهُ. وَهَذَا هُوَ الْوَرَعُ الَّذِي هُوَ مَلَكَ الدِّينِ. كَمَا
قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ حِينَ سُئِلَ. مَا مَلَكَ الدِّينِ؟ فَقَالَ: الْوَرَعُ. فَقِيلَ لَهُ: وَمَا فَسَادُ
الدِّينِ؟ فَقَالَ: الطَّمَعُ. فَالْوَرَعُ الَّذِي يَقَابِلُ الطَّمَعَ، كُلُّ الْمُقَابَلَةِ. هُوَ وَرَعَ خَاصَّةُ
الْخَاصَّةُ. وَجِزءٌ مِنْهُ يَغْدِلُ آفَاقًا مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ. وَلِذَلِكَ قَالَ فِي التَّنْوِيرِ:
«وَلَيْسَ يَدُلُّ عَلَى فَهْمِ الْعَبْدِ كَثْرَةُ عِلْمِهِ. وَلَا مُدَاوَمَتُهُ عَلَى وَزْدِهِ. وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى
نُورِهِ وَفَهْمِهِ غِنَاؤُ بَرِيئِهِ. الْحَيَاشَةُ إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ. وَالتَّحَرُّرُ مِنْ رِقِّ الطَّمَعِ. وَالتَّحَلِّيُّ بِحَلِيَّةِ
الْوَرَعِ. يَعْنِي وَرَعَ الْخَاصَّةُ أَوْ خَاصَّةُ الْخَاصَّةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الرُّهْدُ: حُلُوُّ الْقَلْبِ مِنَ التَّعْلُقِ بِغَيْرِ الرَّبِّ. أَوْ بُرُودَةُ الدُّنْيَا مِنَ الْقَلْبِ،
وَعِزُوفُ النَّفْسِ عَنْهَا. فَرُهْدُ الْعَامَّةُ: تَرَكَ مَا فَضَّلَ عَنِ الْحَاجَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَرُهْدُ
الْخَاصَّةُ: تَرَكَ مَا يَشْغَلُ عَنِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ. وَحَاصِلُ الْجَمِيعِ:
بُرُودَةُ الْقَلْبِ عَنِ السُّوِيِّ، وَعَنِ الرَّغْبَةِ فِي غَيْرِ الْحَبِيبِ؛ وَهُوَ سَبَبُ الْمَحَبَّةِ. كَمَا
قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبِّكَ اللَّهُ». الْحَدِيثُ؛ وَهُوَ سَبَبُ
السَّيْرِ وَالْوَصُولِ. إِذْ لَا سَيْرَ لِلْقَلْبِ إِذَا تَعَلَّقَ بِشَيْءٍ سِوَى الْمَحْبُوبِ.

التَّوَكُّلُ: ثِقَةُ الْقَلْبِ بِاللَّهِ، حَتَّى لَا يَتَّعَمَدَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ. أَوْ التَّعْلُقُ بِاللَّهِ،
وَالتَّعْوِيلُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، عِلْمًا بِأَنَّهُ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ. وَأَنْ تَكُونَ فِي يَدِ اللَّهِ،
أَوْثَقُ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِكَ. فَأَذْنَاهُ أَنْ تَكُونَ مَعَ اللَّهِ. كَالْمُتَوَكِّلِ مَعَ الْوَكِيلِ الشَّفِيقِ
الْمَلَاطِفِ. وَوَسَطُهُ كَالطِّفْلِ مَعَ أُمِّهِ، لَا يَرْجِعُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ إِلَّا إِلَيْهَا. وَأَعْلَاهُ أَنْ
تَكُونَ كَالْمَيِّتِ مَعَ الْعَاسِلِ. فَالْأَوَّلُ لِلْعَامَّةِ. وَالثَّانِي لِلْخَاصَّةِ. وَالثَّلَاثُ لِمَخَاصِئِ
الْخَاصَّةِ. فَالْأَوَّلُ قَدْ يَخْطُرُ بِبَالِهِ تَهْمَةٌ. وَالثَّانِي لَا إِتِهَامَ لَهُ. لَكِنْ يَتَعْلَقُ بِأُمِّهِ عِنْدَ
الْحَاجَةِ، وَالثَّلَاثُ لَا إِتِهَامَ، وَلَا تَعْلُقَ لَهُ. لِأَنَّهُ فَإِنْ عَنِ نَفْسِهِ. يَنْظُرُ كُلَّ سَاعَةٍ مَا
يَفْعَلُ اللَّهُ بِهِ.

الرُّضَى وَالسَّلِيمُ: الرُّضَى تَلْقَى التَّمَالِكِ بِوَجْهِ صَاحِبِكِ. أَوْ سُرُورِ يَجِدُهُ الْقَلْبُ
عِنْدَ حُلُولِ الْقَضَاءِ، أَوْ تَرَكَ الْإِخْتِيَارَ مَعَ اللَّهِ، فِيمَا دَبَّرَ وَأَمْضَى. أَوْ شَرَحَ الصُّدْرَ
وَرَفَعَ الْإِنْكَارَ، لَمَّا يَرِدُ مِنَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

والتسليم: ترك التّدبير والإختيار، بالسكونِ تحْت مجاري الأقدار. فيرادف الرضا على الحدّ الأخير، والرضى أعمّ عنه على الأولين. وقيل الرضى يكون عند التّزول؛ وهو التفويض بعينه. فبدايتهما بالصبر والمجاهدة. ووسطهما بالسكون مع خواطر التبرّم والكرهية. ونهايتهما بفرح وسكون مع عدم التبرّم.

فالأول للعامة، والثاني للخاصّة، والثالث لخاصّة الخاصّة. ويُغتفر الخاطر الأول عند الجميع لضعف البشرية، إذ لا يخلو منه بشر.

المُراقبة: إدامة علم العبد باطلاع الرّب. أو القيام بحقوق اللّه سرّاً وجهرّاً. خالصاً من الأوهام. صادقاً في الإختيار؛ وهي أضلّ كلّ خير، ويقدرها تكون المشاهدة. فمن عظمت مُراقبته، عظمت بعد ذلك مشاهدته.

فمُراقبة أهل الظاهر: حفظ الجوارح من الهفوات. ومُراقبة أهل الباطن، حفظ القلوب من الإسترسال مع الخواطر والغفلات. ومُراقبة أهل باطن الباطن، حفظ السرّ من المساكنة، إلى غير ذلك.

المُحاسبة: عتاب النفس على تضييع الأنفاس والأوقات، من غير أنواع الطاعات. وتكون آخر النهار كما أنّ المشاركة، تكون أولّ النهار. يقول لنفسه في أولّ نهاره. هذا يوم جديد؛ وهو عليك شهيد. فاجتهد في تعمير أوقاته، بما يقربك إلى اللّه، ولو ميت بالأمس لفاتك الخير الذي تفوزين به فيه. وكذلك يقول لها عند إقبال الليل، ويحاسبها عند إذباره. هكذا يدوم عليها معها. حتّى تتمكن من الحضرة. فحينئذ يتحدّ الوقت؛ وهو الإستغراق في الشهود. فلا يبقى من يحاسب، ولا من يُعاقب. فتحصل أنّ المشاركة أولاً، والمحاسبة أخيراً. والمراقبة دائماً، ما دام في السير. فإذا حصل الوُصول، فلا محاسبة ولا مشاركة.

المُحبة: ميّلة دائمة بقلب هائم، ويظهر هذا الميل أولاً على الجوارح الظاهرة بالخدمة؛ وهو مقام الأبرار. وثانياً على القلوب الشائقة بالتصفية والتحية. وهو مقدم المرید من السالكين. وثالثاً على الأرواح والأسرار الصافية. بالتمكين من شهود المحبوب؛ وهو مقدم العارفين. فبداية المحبة، ظهور أثرها بالخدمة. ووسطها ظهور أثرها بالسكّر والهيّام. ونهايتها ظهوره بالسكون والصّحو في مقام العرفان. فلهذا انقسم الناس على ثلاث مراتب:

أزباب الخدمة، وأزباب الأخوال، وأزباب المقامات. فبدايتها سلوك، وخدمة، ووسطها جذب وفناء، ونهايتها صحوً وبقاءً.

المُشَاهَدَةُ وَالْمُعَايِنَةُ: المُشَاهَدَةُ: رؤية الذات اللطيفة، في مَظَاهِرِ تَجَلِّيَاتِهَا الكَثِيفَةِ. فترجع إلى تَكثِيفِ اللطيفِ، فَإِذَا تَرَقَّقَ الوِدَادُ، وَرَجَعَتِ الأنوار الكثيفة لطيفة؛ فِهي المُعَايِنَةُ، فترجع إلى تَلطِيفِ الكثيفِ. فالمُعَايِنَةُ أَرَقُّ مِنَ المُشَاهَدَةِ وَأَتَمُّ.

والحاصِلُ، أَنَّ شهود الذات، لَا يُمكنُ إِلَّا بِوَأَسِطَةِ تَكثِيفِ أُسْرَارِهَا اللطيفة في مَظَاهِرِ التجلّيات. إذ لَا يُمكنُ إِذْرَاكَ اللطيفِ، ما دَامَ لطيفاً. فرؤية التجلّيات كثيفة مشاهدة. وَرَدَّهَا إلى أَصْلِهَا بِانطِبَاقِ بَحْرِ الأَحَدِيَةِ عَلَيْهَا مَعَايِنَةُ، وقيل هما سواء.

المُعْرِفَةُ: وهي التَّمَكِينُ من المشاهدة واتصالها؛ فهي شهود دائم، بِقَلْبِ هَائِمٍ. فَلَا يَشْهَدُ إِلَّا مَوْلَاهُ. وَلَا يَعْجُجُ على أَحَدٍ سِوَاهُ. مع إِقَامَةِ العَدْلِ وَحِفْظِ مَراسِمِ الشريعة. فهذه حدود المقامات قد انتهت في المعرفة.

التَّقْوَى: وهي إِمْتِثَالُ الأوامر، واجتناب المَنَآكِرِ، في الظواهرِ والسَّرَائِرِ. ومواصلة الطاعات. والإعراض عن المخالفات. فتقوى العامة: اجتناب الذنوب. وتقوى الخاصة: التَّخَلُّي من العيوب. وتقوى خاصة الخاصة: العَيْبَةُ عَنِ السَّوِّءِ بِهِ، بالعكوف في حضرة عالم الغيوب.

الإِسْتِقَامَةُ: إِسْتِعْمَالُ العِلْمِ بِأَقْوَالِ الرَسُولِ ﷺ. وَأَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَخْوَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ، من غَيْرِ تَعَمُّقٍ وَلَا تَأَنُّقٍ. وَلَا مَيْلٍ مع أو هدم الوسواس. أو الخروج عن المَعْهُودَاتِ، ومفارقة الرسوم والعادات. أو القيام بين يدي الله تعالى، على حقيقة الصُّدُقِ في جميع الحالات. وهي في الأقوال بِتَرْكِ الغَيْبِيَةِ، وفي الأفعال بِتَرْكِ البِدْعَةِ، وفي الأخوال بَعْدَمِ الخروج عن سنن الشريعة.

فإِسْتِقَامَةُ العامة بموافقة السُّنَّةِ. وإِسْتِقَامَةُ الخاصة، بالتخلق بالأخلاق النبوية. وإِسْتِقَامَةُ خاصة الخاصة بالتخلق بِأَخْلَاقِ الرَّحْمَنِ، مع الإِسْتِغْرَاقِ في حضرة العِيَانِ.

الإِخْلَاصُ: إِخْرَاجُ الخلق مع معاملة الحق. وإفراد الحق تعالى في الطاعة بالقُصْدِ. أو غَيْبَةُ القَلْبِ عَنِ غَيْرِ الرَّبِّ. فَإِخْلَاصُ العامَّةِ، تصفية الأعمال عن ملاحظَةِ المَخْلُوقِينَ. وإِخْلَاصُ الخاصَّةِ: تصفيتها عَنِ طَلْبِ العِوَضِ فِي الدَّارَيْنِ. وإِخْلَاصُ خاصَّة الخاصَّة: التَّبَرُّي من الحَوْلِ والقُوَّةِ، ومن رُؤْيَةِ الغَيْرِ فِي القُصْدِ والحركة حَتَّى يَكُونَ العَمَلُ بِاللَّهِ، وَمِنَ اللّهِ، وَإِلَى اللّهِ، غَائِباً عَمَّا سِوَاهُ.

الصَّدْقُ: إسقاط حظوظ النَّفْسِ، في الوَجْهَةَ إلى الله تعالى. تعويلاً على ثَلَجِ اليَقِينِ. أو استواء الظَّاهِرِ والباطنِ في الأقوال والأفعال والأحوالِ أو ملازِمَةَ الكِتْمَانِ، غيرة عن أسرار الرحمن. وَحَاصِلُهُ: تصفية الباطن من الإلْتِفَاتِ إِلَى الغَيْرِ بالكلية. والفَرْقُ بَيْنَهُ وبين الإخْلَاصِ، أَنَّ الإخْلَاصَ يُنْفِي الشَّرْكَ الجَلْبِي والخَفِي. والصَّدْقُ يُنْفِي النِّفَاقَ والمُدَاهَنَةَ بالكلية. فمثال الصَّدْقِ مع الإخْلَاصِ، كالتَّشْجِرَةِ لِلدَّهَبِ. فَهُوَ يُنْفِي عَنْهُ عَوَارِضَ النِّفَاقِ. ويصفيه من كدورة الأوهام. وذلك أَنَّ صَاحِبَ الإخْلَاصِ، لَا يَخْلُو من مُدَاهَنَةِ النَّفْسِ، وَمُسَامِحَةِ الهَوَى، بخلافِ صاحبِ الصَّدْقِ، فَإِنَّهُ يَذْهَبُ المُدَاهَنَاتِ، ويرفع المُسَامِحَاتِ. إِذْ لَا يَسْمُ رائحة الصَّدْقِ من ذَاهِنِ نَفْسِهِ أو غَيْرِهِ فِيمَا دُقَ أو جُلَّ. وعلاقة الصَّدْقِ: استواء السَّرِّ والعَلَانِيَةِ. فلا يُبَالِي صاحبِ الصَّدْقِ بكشف ما يكرهُ إِطْلَاعَ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَلَا يَسْتَحْيِي من ظهوره لغيرِهِ إِكْتِفَاءً بعلمِ اللّهِ بِهِ. فصَّدْقُ العَامَّةِ، تصفية الأَعْمَالِ، من طلب الإِعْرَاضِ. وصَّدْقُ الخَاصَّةِ، تصفية الأَحْوَالِ، من قُضِدَ غَيْرَ اللّهِ. وَصِدْقُ خَاصَّةِ الخَاصَّةِ: تَصْفِيَةُ مَشْرَبِ التَّوْحِيدِ، من الإلْتِفَاتِ إِلَى ما سِوَى الله. وَيُقَالُ لصاحبِ المقامِ الأوَّلِ صَادِقٌ. والثاني والثالث صِدِّيقٌ. وأما التَّصْدِيقُ بوجودِ الحقِّ أو بوجودِ الخِصُوصِيَةِ عندِ الأولياءِ، وتعظيمهم لأجلها. فَهُوَ تَصْدِيقٌ لَا صِدْقَ. خلاف ما تعتقده بعض فقهاء زماننا هذا. وَيُقَالُ لِمَنْ عَظَّمَ تَصْدِيقَهُ: صَدِيقٌ أَيْضاً. فَالصَّدِيقُ يَطْلُقُ عَلَى من عَظَّمَ صَدَقَهُ وَتَصْدِيقَهُ.

الطَّمَأِينَةُ: وهي سكون القلب إلى الله، عارياً عن التقلب والإضطراب. ثقة بضمانيه أو اكتفاءً بِعِلْمِهِ. أو رسوخاً في معرفته. وتكون من وراء الحجاب، بتواتر الأدلَّةِ. واستعمالِ الفِكْرَةِ، أو بتوالي الطَّاعَةِ، ومجاهدةِ الرِّيَاضَةِ. وتكون بعد زوال الحجاب، بتمكينِ النظرة، ورسوخِ المعرفة. فقوم اطمأنوا بِوُجُودِ اللّهِ من طريق البُرْهَانِ أو البَيَانِ. وقوم اطمأنوا بشهودِ اللّهِ بعد ظهورِهِ من طريق العِيَانِ. فالأول للعلماءِ، والثاني للعبادِ والزُّهَادِ والصالحينِ. والثالث للعارفينِ المتقربينِ.

الشُّوقُ والإشْتِياقُ: الشوق: إفراغ القلبِ إلى لقاءِ الحبيبِ.

والإشْتِياقُ: إرتياح القلبِ إلى دوامِ الإِتِّصَالِ بِهِ. فالشوق يزول بِرُؤْيَةِ الحبيبِ ولقائِهِ. والإشْتِياقُ لَا يزول أبداً بطلب الروحِ الزيادة في كشف الأسرار. والقربِ إلى الأبد. فشوق العَامَّةِ إلى زَخَارِفِ جَنَانِهِ. وشوق الخَاصَّةِ إلى نَيْلِ رضوانِهِ. وشوق خَاصَّةِ الخَاصَّةِ، إلى حَضْرَةِ عِيَانِهِ،

الغَيْرَةُ: كراهية رؤية حبيبك عند غيرك. فيهيج التنافس في حياته. قال

الشبلي: العَيْرَةُ عَيْرَتَانِ: غَيْرَةُ البشرية على النفوس، وغيرَةُ الألوهية على القلوب. ومعناه: أَنَّ الطبع البشري يَكْرَهُ أَنْ يَرَى مَحْبُوبَهُ عِنْدَ غَيْرِهِ. كَالزَّوْجَةِ مَثَلًا. وَالْحَقُّ تَعَالَى يَكْرَهُ أَنْ يَرَى قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ مُتَعَلِّقَةً بِغَيْرِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَخَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَأَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، قَوْلُهُ ﷺ: «لَا أَحَدًا أُغَيِّرُ مِنْ اللَّهِ». وَلِلذَلِكَ حَرَّمَ الْفِرَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ. وَمَا فِي الْوُجُودِ إِلَّا الْغَيْرَةُ الْإِلَهِيَّةُ، سَرَتْ فِي مَظَاهِرِ تَجَلِّيَاتِهِ. فَغَيْرَةُ النُّفُوسِ لِلْعَامَّةِ؛ وَهِيَ غَيْرَتُهُمْ عَلَى هَتِكِ حَرَمَةِ حَرِيمِهِمْ. وَغَيْرَةُ الْقُلُوبِ لِلْخَاصَّةِ؛ وَهِيَ غَيْرَتُهُمْ عَلَى قُلُوبِهِمْ، أَنْ تَمِيلَ لِغَيْرِ مَحْبُوبِهِمْ. وَغَيْرَةُ الْأَرْوَاحِ وَالْأَسْرَارِ، لِخَاصَّةِ الْخَاصَّةِ؛ وَهِيَ غَيْرَتُهُمْ عَلَى أَرْوَاجِهِمْ، أَنْ تَلْتَمِثَ إِلَى شَيْءٍ دُونَ مَحْبُوبِهِمْ. وَغَيْرَتُهُمْ عَلَى حَبِيبِهِمْ، أَنْ يَمِيلَ إِلَى غَيْرِهِمْ. وَعَلَى هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، حُقَّ لِلْعَبِيدِ أَنْ يَغَارَ كَمَا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

إِذَا لَمْ أَنَا فِسْ فِي هَوَاهُ وَلَنْمُ أَغْرَ عَلَيْكَ ففِيمَنْ لَيْتَ شِعْرِي أَنَا فِسْ
فَلَا تَمَقُّتَن نَفْسِي فَأَنْتَ حَبِيبُهَا فَكُلْ أَمْرِيءَ يَضُبُّوْا لِي مَنْ يُجَانِسُ

وقد يغارُ الحقُّ تعالى على أوليائِهِ. فينتقم من أعدائِهِمْ إِذَا آذَوْهُمْ. ومن غَيْرَتِهِ أَيْضًا عَلَيْهِمْ: أَلَّا يُظْهِرَهُمْ لِحِمْلَةِ الْخَلْقِ. فَيُضِنُّ بِهِمْ عَلَى خَلْقِهِ، حَتَّى يَلْقُوهُ تَحْتَ أَسْتَارِ الْخَمُولِ، وَهَمَّ عِرَائِسُ حَضْرَتِهِ.

الْفُتُوَّةُ: وَهِيَ الْإِثَارُ عَلَى النَّفْسِ بِمَا تَحِبُّ. وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ بِمَا يَجِبُ. وَلِذَا قِيلَ: لَمْ تَكْمُلِ الْفُتُوَّةَ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَيْثُ يَقُولُ فِي مَوْضِعٍ: لَا يَذْكَرُ فِيهِ أَحَدًا حَتَّى نَفْسِهِ: «أُمَّتِي أُمَّتِي». وَقِيلَ: أَلَا تَرَى لِنَفْسِكَ فَضْلًا عَلَى غَيْرِكَ. وَالْفَتَى مَنْ لَا خَصْمَ لَهُ، وَمَرَجَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَالتَّوَاضُعِ، وَالشُّجَاعَةُ فِي مَوْطِنِ الْإِضْطِرَابِ. فَفُتُوَّةُ الْعَامَّةِ بِالْأَمْوَالِ، وَفُتُوَّةُ الْخَاصَّةِ بِالنُّفُوسِ. وَفُتُوَّةُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ، بِالْأَرْوَاحِ وَبِذَلِكَ الْمَهْجِ فِي جَانِبِ الْمَحْبُوبِ.

الْإِرَادَةُ: هِيَ قَضْدُ الْوُصُولِ إِلَى الْمَحْبُوبِ بِتَغْتِ الْمَجَاهِدَةِ. أَوْ التَّحَبُّبِ إِلَى اللَّهِ بِمَا يَرْضَى. وَالخُلُوصُ فِي نَصِيحَةِ الْأُمَّةِ، وَالْأَنَسُ بِالْخُلُوعِ، وَالصَّبْرُ عَلَى مَقَاسَاتِ الْأَهْوَالِ، وَمُنَازَلَاتِ الْأَحْوَالِ، وَالْإِثَارُ لِأَمْرِهِ. وَالْحِيَاءُ مِنْ نَظَرِهِ. وَبِذَلِكَ الْمَجْهُودُ فِي مَحْبُوبِهِ. وَالتَّعَرُّضُ لِكُلِّ سَبَبٍ يُوَصِّلُ إِلَيْهِ. وَمَحَبَّةٌ مِنْ يَدَّرَ عَلَيْهِ، وَالقِنَاعَةُ بِالْخَمُولِ، وَعَدَمُ سَكُونِ الْقَلْبِ إِلَى شَيْءٍ دُونَ الْوُصُولِ؛ وَهِيَ أَوَّلُ مَنْزِلَةِ الْقَادِمِينَ طَرِيقِ السَّالِكِينَ.

الْمُرِيدُ: مَنْ لَا إِرَادَةَ لَهُ دُونَ مَوْلَاهُ؛ وَهِيَ ثَلَاثَةٌ مَرَاتِبُ: إِرَادَةُ التَّبَرُّكِ

والْحُرْمَةُ؛ وهي لِمَنْ ضعفت هِمَّتُهُ، أو كثرت غَلَائِقُهُ. وإرادة الوصول إلى الحِرَّة؛ وهي لأهل التجريد وقوَّة العزم. وإرادة الخِلافة وكمال المعرفة؛ وهي لِمَنْ ظَهَرَتْ نَجَابَتُهُ. وكملت أهليته. وصرَّح له بالخلافة من شيخ كامل. أو هاتف صادق.

المُجَاهِدَةُ: وهي فَطْمُ النَّفْسِ عن المألوفات، وحملها على مخالفة هواها في عموم الأوقات. وخرق عوائدها في جميع الحالات. قال بَعْضُهُمْ؛ مَرَّجِعُهَا إلى ثلاث: لَا تَأْكُلْ إِلَّا عِنْدَ الْفَاقَةِ، وَلَا تَسْمُ إِلَّا عِنْدَ الْعَلْبَةِ. وَلَا تَتَكَلَّمْ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ. ونهايتها المشاهدة، فَلَا مُجَاهِدَةَ بَعْدَهَا. فَلَا تَجْمَعُ مُجَاهِدَةَ وَمَشَاهِدَةَ. إذ نهاية التَّغَبُّبِ، تمام السَّفَرِ. فإذا حَصَلَ الوصول، فما بَقِيَ إِلَّا الرَّاحَةُ. ومُشَاهِدَةُ الحبيب مع حِفْظِ الأَدَبِ، وهي ثلاث: مُجَاهِدَةُ الظُّوَاهِرِ بدوام الطاعات وكفِّ المُنَهَيَاتِ. ومُجَاهِدَةُ البِوَاطِنِ، بنفي الخواطر الرديئة، ودوام الحضور في الحضرة القدسية. ومُجَاهِدَةُ السَّرَائِرِ باستدامة الشهود. وعدم الإلتفات إلى غير المعبود.

الْوِلَايَةُ: وهي حُصُولُ الأُنْسِ بعد المَكَابِدَةِ. واعتناق الرُّوحِ بعد المُجَاهِدَةِ. وحاصلها: تحقيق الفناء في الذات، بعد ذهاب حسن الكائنات. فيفتنى ما لم يكن وَيَبْقَى ما لم يزل. فَأَوْلَاهَا التمكن من الفناء، ونهايتها التحقيق بالبقاء، وبقاء البقاء. وَيَبْقَى التراقي والإتساع فيها أبداً سرمداً إلى ما لا نهاية له. قال إبراهيم بن أدهم لرجل: أَتُحِبُّ أَنْ تَكُونَ لِلَّهِ وَلِيًّا؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ لَا تَرْغَبْ فِي شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَفَرِّغْ نَفْسَكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَأَقْبِلْ بِوَجْهِكَ عَلَيْهِ. يَرِقْ عَلَيْكَ وَيُوَالِيكَ. وَقَالَ غَيْرُهُ: الْوَلِيُّ مَنْ كَانَ هِمُّهُ اللَّهُ، وَشُغْلُهُ اللَّهُ. وَفَنَاؤُهُ دَائِمًا فِي اللَّهِ. وَتَطْلُقُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ: وَوِلَايَةُ عَامَّةٌ؛ وَهِيَ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى. كَمَا فِي الْآيَةِ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾. وَوِلَايَةُ خَاصَّةٌ؛ وَهِيَ لِأَهْلِ الْإِسْتِشْرَافِ عَلَى الْعِلْمِ بِاللَّهِ. وَوِلَايَةُ خَاصَّةٌ الْخَاصَّةُ؛ وَهِيَ لِأَهْلِ التَّمَكُّنِ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ. عَلَى نَعْتِ الْعِيَانِ. قِيلَ: مَنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: «الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا، حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا». الْحَدِيثُ. فَشَمِلَ الْحَدِيثُ وَوِلَايَةَ الْخَاصَّةَ، وَخَاصَّةَ الْخَاصَّةِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الْحُرِّيَّةُ: وهي تصفية الباطن، من حُبِّ غير الحق، حتى لا تبقى فيه بقية لغير الله؛ وهذه الحرية الكسبية؛ وهي سبب الظفر بالحرية الوهية؛ وهي غيبة العبد في مظاهر الرب. فتنتفي ظلمة الحدوث في نور الأقدم. وتختفي قوالب العبودية، فهي

تجلّي مظاهر الرّبوبية. فيبقى الخلق بلا خلق. فحينئذ يكتب للعبد عقد الحرية، فتكون عبادة وعبودية. شكراً لا قهراً. كما قال سيّد العارفين عليه السلام: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شُكُورًا»، وقال إمام هذه الطائفة: الجُنَيْد: «عبادة العارف تاج على الرُّؤوس». يعنى كمال الكَمَال.

العُبُودِيَّةُ: وهي القيام بأداب الرّبوبية، مع شهود ضعف البشرية. وقال بعضهم: هي القيام بحق الطاعات، بشرط التوقير، والنظر إلى ما فيك بعين التقصير. أو ترك الاختيار. فيما يبدو من الأقدار. أو التبرّي من الحول والقوة. والإقرار بما يوليك ويعطيك من المِنَّة. وأجمعُ العبارات فيها، ما قال ابن عطاء الله: حفظ الحدود، والوفاء بالعهود، والرضى بالموجود. والصبر على المفقود. قلت: وأحسن ما في تفسير العبودية، أن تقدّر أن لك عبداً اشتريته بمالك. فكما تحب أن يكون عبدك معك، فكُن أنت مع مَوْلَاكَ. فالعبد لا يملك مع سيده شيئاً من نفسه ولا من ماله، ولا يمكنه مع قهريّة سيده تديبٌ ولا اختيارٌ. ولا يتربّن إلا بزيّ العبيد أهل الخدمة، ويكون عند أمر سيده ونهيه. وإذا كان حاذقاً فاهماً عمل ما يرضي سيده، قبل أن يأمره، ويفهم عن سيده بأدنى إشارة، إلى غير ذلك من الآداب المرضية في العبيد المؤدبين. وقال أبو علي الدقاق رضي الله عنه: «العبودية أتت من العبادة» فأول المراتب عبادة. ثم عبودية، ثم عبودية. فالعبادة للعوام، والعبودية للخواص. والعبودية لخواص الخواص. قلت: والعبودية هي الحرية الوهية. والله تعالى أعلم.

القَنَاعَةُ: الإكتفاء بالقسمة وعدم التشوق للزيادة. والإستغناء بالموجود. وترك التشوق إلى المفقود؛ وهي الحياة الطيبة، والرزق الحسن في قوله تعالى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾. أي والذين هاجروا في سبيل الله، ثم قتل بعضهم أو مات. ليرزقن الله من بقى منهم رزقاً حسناً، وهي من ثمرة الغنا بالله. قال وهب بن منبه: «إن العز والغنا، خرجا بجولان، فلقيتا القناعة، فاستقرا فيها». ومرجعها إلى سد باب الطمع، وفتح باب الورع. وهي مَطْلُوبَةٌ في أمور الدنيا فقط. وأما في أمور الآخرة، أو في زيادة العلم. والترقية في المعرفة فمذمومة؛ ولذا قيل: «القناعة من الله جِزْمَانٌ».

العَافِيَةُ: وهي سكون القلب وخلوه من الإنزعاج والإضطراب والتقلب. ثم إن كان بالسكون إلى الله، والرضى عنه؛ فهي العافية الكاملة. وإن كان بجريان

الأسباب الواقفة، فهي العافية العادية، وفي الحديث: «مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ» فعافية العامة: سكونهم إلى الأسباب. فإذا انحرمت اضطربت قلوبهم وتزلزلت لخرابها من نور اليقين. كما قال بعضهم: «نَحْنُ كَالنُّجُومِ، كُلَّمَا اشْتَدَّتِ الظُّلْمَةُ، قَوِيَ نُورُنَا». وقال ذو الثون المِضْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ كَانَتْ السَّمَاءُ مِنْ أَجَاجٍ، وَالْأَرْضُ مِنْ نَحَاسٍ، وَمِضْرُ كُلِّهَا عِيَالِي. مَا اهْتَمَمْتُ لَهُمْ بِرِزْقٍ». وعافية خاصة الخاصة: سكونهم إلى شهود الحق. عائبين عن الأسباب وعديمها. غرقى في بحر التوحيد؛ وأسرار التفريد. لا تنزل الهموم بساحتهم. ولا تكدر صفاء شربهم. جعلنا الله منهم.

الْيَقِينُ: وهو سكون القلب إلى الله يعلم لا يتغير، ولا يحول ولا يتقلب، ولا يزول عند هيجان المحركات، وارتفاع الرئب، في مشاهدة الغيب. وعلامته ثلاثة:

رفع الهممة عن الخلق عند الحاجة. وترك المذح لهم عند العطفية. والتنزه عن ذمهم عند المنعة. فيقين العامة بتوحيد أفعاله. فسكنوا إليه في المنع والعطاء. ويقين الخاصة بتوحيد صفائه. فأوا الخلق موتى، ليس بيدهم حركة ولا سكون. يقين خاصة الخاصة، بتوحيد ذاته، فشاهدوه في كل شيء، وعرفوه عند كل شيء. ولم يشهدوا معه شيئاً.

علم اليقين: وعين اليقين، وحق اليقين: علم اليقين ما كان ناشئاً عن البُرهان. وعين اليقين، ما نشأ عن الكشف والبيان. وحق اليقين: ما نشأ عن الشهود والعيان. فعلم اليقين لأزباب العقول من أهل الإيمان. وعين اليقين لأزباب الوجدان، من أهل الاستشراق على العيان. وحق اليقين، لأهل الزسوخ والتمكين في مقام الإحسان. ومثال ذلك: كمن سمع بمكة مثلاً ولم يرها. فعنده علم اليقين بوجودها، فإذا استشرف عليها ورآها ولم يدخلها، فعنده عين اليقين. فإذا دخلها وعرف طرفها وأماكنها، فهذا عنده حق اليقين. وكذلك الناس في معرفة الحق تعالى. فأهل الحجاب، استدلوا حتى حصل لهم العلم اليقين بوجود الحق. وأهل السير من المرشدين المشرفين على الفناء في الذات، حصل لهم عين اليقين، حين أشرقت عليهم أنوار المعاني. وغابت عنهم ظلال الأواني. غير أنهم باقون في دَهْشَةِ الفناء، لم يتمكنوا من دوام شهود الحق. فإذا تمكثوا من دوام شهوده، ورسخت أقدامهم في معرفته. حصل لهم حق اليقين. وهذه نهاية النعمة، وغاية السعادة جعلنا الله منهم بمنه وكرمه أمين.

النِّعْمَةُ: هي مُلازِمة الأفرّاح، ومُباعِدة الأترّاح، وإصابة الأعرّاض، ونزّاهة الأعرّاض؛ وهي على قسمين: نعمة ظاهرة: كالصحة والعافية. والكفّاية من الخلال. ونعمة باطنة، كالإيمان والهداية والمعرفة. والنّاس في النعمة الظّاهرة على ثلاثة أقسام: قوم فرّحوا بالنعمة لِما لَهُم فيها مِنَ الْمُتَعَةِ، فحُجِبُوا بِها عن المُنعم. وقوم فرّحوا بالنعمة: لإقبال المُنعم عليهم. حيث ذكّرهم بِها. وقوم فرّحوا بِالمنعم دون شيءٍ سِواه. قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾. فشكر الأوّلين، يزيد بزيادتها، ويزول بزوالها. وشكر الثالث دائم في السّراء والضّراء؛ وهذا هو شكر الخواصّ.

الفِرَاسَةُ: وهي خاطِرٌ يهجم على القَلْب. أو وارد يتجلّى فيه، لا يُخطيء غالباً إذا صَفَا القَلْب. وفي الحديث: «إِتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِن. فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِئُورِ اللَّهِ». وهو على حسبِ قوّة القرب والمعرفة. فكلما قوي القرب، وتمكّنت المعرفة؛ صَدَقَت الفِرَاسَةُ؛ لأنّ الروح إذا قُرِبَت من حضرة الحق، لا يتجلّى فيها غالباً إلاّ الحق؛ وهي على ثلاث مراتب: فِرَاسَةُ العامّة: وهي كشف ما في ضمائر النّاس، وما غاب من أحوالهم؛ وهي فتنة في حقّ من لَمْ يتخلّق بأخلاق الرّحمن. وفِرَاسَةُ الخاصّة: وهي كشف أسرار المقامات والمُنَازَلات. والإطلاع على أنوار الملكوت. وَفِرَاسَةُ خاصّة الخاصّة: وهي كشف أسرار الدّات، وأنوار الصّفات. والغزق في بَحْرِ أسرار الجبروت. وقال الكُتّاني: هي مكاشفة الحق، ومُعابنة العُيُب. وقال الواسِطي: هي سواطع أنوار الدّات، وتمكين جملة السّرائِر في الغيوب من عُيُبٍ إلى عُيُبٍ. حتى يشهد الأشياء، من حيث أشهده الحق إيّاها. فيتكلّم على ضمائر الخلق. قلت: قوله: فيتكلّم، ليس بشرط في فِرَاسَةَ الخاصّة. والله تعالى أَعْلَمُ.

الخُلُقُ: وهي ملكة تصدر عنه الأفعال بسهولة. ثم إن كَانَتِ الأفعال حسنة، كالجلم والعفو والجود ونحوها، سُمِّي خُلُقاً حسناً. وإن كَانَتِ سيئة، كالغضب والعجلة، والبخل، سُمِّي خُلُقاً سيئاً. قال وهب: ما تَخَلَّقَ عَبْدٌ بِخُلُقٍ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً، إلاّ جعل اللهُ له ذَلِكَ طبيعةً فيه. فَالْخُلُقُ الحَسَنُ يَكْتَسَبُ. والسّيءُ يَجَاهِدُ حتى يَزُولَ. وَالْخُلُقُ الحَسَنُ يعدل الصيام والقيام؛ وهو ثمرة التصوف. فَمَنْ لَمْ يُحَسِّنْ خُلُقَهُ فتصوّفه أشجاراً بلا ثَمَارٍ. وَمَرْجِعُ حُسْنِ الخُلُقِ، أَلَّا تَغْضَبُ، وَلَا تَبْخُلَ، وَلَا تَحْقِدَ. وبالله التوفيق.

الجُودُ وَالسَّخَاءُ وَالإِثَارُ: فالجود: ألا يصعب عليه البذل. فَمَنْ أَعْطَى البَغْضَ

وَأَبْقَى الْأَكْثَرَ؛ فَصَاحِبُ سَخَاءٍ. وَمَنْ بَدَلَ الْأَكْثَرَ؛ فَصَاحِبُ جُودٍ. وَمَنْ قَاسَى الضَّرَّاءَ وَأَثَرَ غَيْرِهِ، فَصَاحِبُ إِثَارٍ. فَجُودُ الْعَامَّةِ بِالْأَمْوَالِ، وَجُودُ الْخَاصَّةِ بِالنَّفُوسِ وَجُودُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ بِالْأَرْوَاحِ يَبْذُلُونَهَا لِلْمَوْتِ بِالْمَجَاهِدَةِ. ثُمَّ تَحْيَا الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ بِالمَشَاهِدَةِ.

الفَقْرُ: هُوَ نَقْضُ الْيَدِ مِنَ الدُّنْيَا، وَصِيَانَةُ الْقَلْبِ مِنْ إِظْهَارِ الشُّكُورِ. وَتَعَمَّتِ الْفَقِيرَ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ: صِيَانَةُ فَقْرِهِ، وَحِفْظُ سِرِّهِ، وَإِقَامَةُ دِينِهِ. قَالَ جَعْفَرُ الْخُلْدِيِّ (١) مَا عَمَّضَ عَلَى النَّاسِ: خَدَمْتُ سِتْمَاةَ شَيْخٍ... فَمَا وَجَدْتُ مَنْ شَفَا قَلْبِي مِنْ أَرْبَعِ مَسَائِلَ حَتَّى رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ، فَقَالَ لِي: «سَلْ عَنِّ مَسَائِلَكَ». فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا الْعَقْلُ؟ فَقَالَ: «أَدْنَاهُ تَرْكُ الدُّنْيَا، وَأَعْلَاهُ تَرْكُ التَّفَكُّرِ فِي ذَاتِ اللَّهِ». قُلْتُ: وَمَا التَّوْحِيدُ؟ فَقَالَ: «كُلُّ مَا أَتَى بِهِ الْوَهْمُ، أَوْ جَلَاةُ الْفَهْمِ، فَرَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مُخَالِفٌ لِذَلِكَ». فَقُلْتُ: وَمَا التَّصَوُّفُ؟ فَقَالَ: «تَرْكُ الدَّعَاوِي، وَكِتْمَانُ الْمَعَانِي». فَقُلْتُ: وَمَا الْفَقْرُ؟ فَقَالَ: «سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ. يُودِعُهُ فِيمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ. فَمَنْ كَتَمَهُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِهِ. وَزَادَ اللَّهُ مِنْهُ. وَمَنْ بَاحَ بِهِ، نَفَاهُ اللَّهُ عَنْهُ». قُلْتُ: جَوَابُ كُلِّ إِنْسَانٍ عَلَى قَدْرِ مَقَامِهِ. كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «خَاطَبُوا النَّاسَ بِقَدْرِ مَا يَفْهَمُونَ». فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْعَقْلِ: أَعْلَاهُ تَرْكُ التَّفَكُّرِ فِي ذَاتِ اللَّهِ. أَمَا التَّفَكُّرُ فِي كُنْهِ الرَّبُّوبِيَّةِ، فَنَهَى عَنْهُ. إِذْ لَا يُدْرِكُ. وَأَمَا التَّفَكُّرُ فِي أَسْرَارِ الرَّبُّوبِيَّةِ، وَأَنْوَارِ صِفَاتِهَا، فَلَا عِبَادَةَ أَعْظَمَ مِنْهَا. وَقَوْلُهُ أَيْضاً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي التَّوْحِيدِ، كُلُّ مَا أَتَى بِهِ الْوَهْمُ الْخ: الْوَهْمُ لَا يُدْرِكُ إِلَّا حَسَنَ الْكَائِنَاتِ فَهُوَ قَصِيرٌ وَالْفَهْمُ بِلَا ذَوْقٍ، لَا يَدْرِكُ أَسْرَارَ التَّوْحِيدِ لِأَنَّهَا خَارِجَةٌ عَنِ الْوَهْمِ وَذَرْكِ الْعَقْلِ. فَظَهَرَ قَوْلُهُ ﷺ: «كُلُّ مَا أَتَى بِهِ الْوَهْمُ الْخ...» وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فِي شَأْنِ الْفَقْرِ، مَنْ كَتَمَهُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِهِ. أَيُ فَيَكُونُ مِنَ السَّابِقِينَ. وَيَزِيدُهُ تَعَالَى مِنْ أَسْرَارِهِ وَأَنْوَارِهِ. وَهِيَ خِلَاوَةُ الْمَعَامِلَةِ وَالْمَعْرِفَةِ. يَحْكِي عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الدِّقَاقِ، أَنَّهُ جَلَسَ يَوْمًا مَعَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، فَكَانَتْ مِنْهُ غَفْلَةٌ، حَتَّى شَكَا ضَيْقَ حَالِهِ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ، نَامَ بَعْضُهُمْ، فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ وَقَالَ: بِاللَّهِ أَبْلَغَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الدِّقَاقِ، مَا أَقُولُ لَكَ. ثُمَّ أَنْشَدَ:

كُلُّ لِرُّوَيْجِلٍ مِنْ ذَوِي الْأَقْدَارِ الْفَقْرُ أَفْضَلُ شِيْمَةِ الْأَخْرَارِ
يَا مَنْ شَكَا لِلْخَلْقِ فَعَلَّةَ رَبِّهِ هَلَا شَكَّوَتْ تَحْمُلَ الْأَوْزَارِ

(1) وفي القاموس: الخلابي بضم الخلاء وسكون اللام، غير منسوب له بل لقب.

إِلَّا الَّذِي أَلْبَسْتَهُ مِنْ حُلِيِّ التَّنْقِيءِ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ كُنْتَ عَنْهَا عَارِ
 الذِّكْرُ: وَهُوَ إِذَا أُطْلِقَ يَنْصَرِفُ لِذِكْرِ اللِّسَانِ؛ وَهُوَ رُكْنٌ قَوِيٌّ فِي طَرِيقِ
 الوُصُولِ. وَهُوَ مَشْهُورٌ الْوَلَايَةِ: فَمَنْ أَلْهَمَ الذِّكْرَ، فَقَدْ أُعْطِيَ الْمَشْهُورَ. وَمَنْ سَلِبَ
 الذِّكْرَ فَقَدْ عَزِلَ. فَيُذَكَّرُ الْعَامَّةُ بِاللِّسَانِ. وَيُذَكَّرُ الْخَاصَّةُ بِالْجَنَانِ. وَيُذَكَّرُ الْخَاصَّةُ الْخَاصَّةُ
 بِالرُّوحِ وَالسِّرِّ؛ وَهُوَ الشَّهَادَةُ وَالْعِيَانُ. فَيُذَكَّرُ اللَّهُ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ. وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ.
 أَي يَعْرِفُ اللَّهَ فِيهِ. وَهَذَا يَخْرُسُ اللِّسَانَ. وَيَبْقَى كَالْمَبْهُوتِ فِي مَحَلِّ الْعِيَانِ. وَيُعَدُّ
 ذِكْرُ اللِّسَانِ فِي هَذَا الْمَقَامِ ضَعْفًا وَبَطَالَةً، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

مَا إِنْ ذَكَرْتُكَ إِلَّا هَمَّ يَلْعَنُنِي سِرِّي وَقَلْبِي وَرُوحِي عِنْدَ ذِكْرِكَ
 حَتَّى كَأَنَّ رَقِيبًا مِنْكَ يَهْتِفُ بِي إِيَّاكَ وَيَحْكُ وَالشُّكْرَارَ إِيَّاكَ
 أَمَا تَرَى الْحَقَّ قَدْ لَاحَتْ شَوَاهِدُهُ وَوَاصِلَ الْكُلَّ مِنْ مَعْنَاهُ مَعْنَاكَ

وقال السيوطي مشيراً لهذا المقام: الذَّاكِرُونَ فِي ذِكْرِهِ، أَشَدُّ عَقْلَةً مِنَ النَّاسِ
 لِذِكْرِهِ؛ لِأَنَّ ذِكْرَهُ سَوَاءٌ.

الْوَقْتُ: قَدْ يَطْلُقُونَهُ عَلَى مَا يَكُونُ الْعِيدُ عَلَيْهِ فِي الْحَالِ. مِنْ قَبْضٍ أَوْ بَسْطٍ،
 أَوْ حُزْنٍ أَوْ سُرُورٍ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ: الْوَقْتُ مَا أَنْتَ فِيهِ فِي الْحَالِ. فَإِنْ كُنْتَ
 بِالدُّنْيَا، فَوَقْتُكَ الدُّنْيَا. وَإِنْ كُنْتَ بِالْعُقْبَى، فَوَقْتُكَ الْعُقْبَى. يُرِيدُ أَنَّ الْوَقْتَ مَا كَانَ
 الْغَالِبَ عَلَى الْإِنْسَانِ. وَقَدْ يَغْتَوُونَ بِهِ الزَّمَانَ، الَّذِي بَيْنَ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ.
 يَقُولُونَ، الصُّوفِيُّ ابْنُ وَقْتِهِ. يَرِيدُونَ أَنَّهُ مُشْتَغَلٌ بِمَا هُوَ أَوْلَى بِهِ فِي الْوَقْتِ، لَا يُدَبِّرُ
 فِي مُسْتَقْبَلٍ وَلَا مَاضٍ. بَلْ يَهْمُهُ مَا هُوَ فِيهِ. وَكُلُّ وَقْتٍ لَهُ آدَابٌ تَطْلُبُ فِيهِ. فَمَنْ
 أَحْلَى بِأَدْبِهِ مَقْتَهُ. وَلِذَلِكَ قِيلَ: الْوَقْتُ كَالسِّيفِ، فَمَنْ لَاقَهُ سَلِمَ، وَمَنْ خَاشَنَهُ
 قَصَمَ. وَمَلَائِكَتُهُ، الْقِيَامُ بِأَدْبِهِ. فَوَقْتُ الْقَهْرِيَّةِ، آدَابُهُ الرِّضَى وَالتَّسْلِيمُ تَحْتَ مَجَارِي
 الْأَقْدَارِ. وَوَقْتُ النُّعْمَةِ، آدَابُهُ الشُّكْرُ، وَوَقْتُ الطَّاعَةِ: آدَابُهُ شَهَادَةُ الْمِيثَةِ مِنَ اللَّهِ.
 وَوَقْتُ الْمَعْصِيَةِ: آدَابُهُ التَّوْبَةُ وَالْإِنَابَةُ.

الْحَالُ وَالْمَقَامُ: الْحَالُ مَعْنَى يَرِدُ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ وَلَا اجْتِلَابٍ؛ وَلَا
 تَسَبُّبٍ وَلَا اِكْتِسَابٍ. مِنْ بَسْطٍ أَوْ قَبْضٍ، أَوْ شَوْقٍ أَوْ انْرِعَاجٍ، أَوْ هَيْبَةٍ أَوْ اِهْتِيَاجٍ.
 وَظَهَرَ أَثَرُهُ عَلَى الْجَوَارِحِ قَبْلَ التَّمَكُّنِ، مِنْ شَطْحٍ وَرَقْصٍ وَسَيْرٍ وَهِيَامٍ؛ وَهُوَ أَثَرُ
 الْمَحَبَّةِ؛ لِأَنَّهَا تَحْرُكُ السَّاكِنَ أَوَّلًا، ثُمَّ تَسْكُنُ وَتَطْمَئِنُّ. وَلِذَا قِيلَ فِيهَا: أَوْلَاهَا
 جُنُونٌ، وَوَسَطُهَا فَنُونٌ، وَآخِرُهَا سَكُونٌ. وَقَدْ يُكْتَسَبُ الْحَالُ بِنَوْعِ تَعْمَلٍ، كَحُضُورِ

حلقِ الذِّكْرِ، واستعمال السَّمَاعِ. وقد يطلب اكتسابه بِخَرْقِ عَوَائِدِ النَّفْسِ، حين يعترِبها برودة وفتور. وفرق وكَسَل. فينبغي أن يتحرَّك في تسخينها. مما يثقل عليها من خرق العوائِد. وقد يطلق الحال على المَقَامِ. فيقال: فلان صار عنده الشهود مئة حالاً. ومنه قول المجذوب:

حَقَّقْتُ مَا وَجَدْتُ غَيْرَهُ وَأَمْسَيْتُ فِي الْحَالِ هَانِي

وأما المَقَام: فهو ما يتحققه العبد بمنازلة واجتهاد؛ مِنَ الْأَدَبِ، وَمَا يَتِمُّكَن فِيهِ مِنْ مَقَامَاتِ الْيَقِينِ. بِتَكْسُبٍ وَتَطَلُّبٍ. فمقام كل واحدٍ مَوْضِعٌ إِقَامَتِهِ. فالمقامات تكون أَوْلاً أَحْوَالاً حَيْثُ لَمْ يَتِمُّكَن الْمَرِيدُ مِنْهَا؛ لِأَنَّهَا تَتَحَوَّلُ، ثُمَّ تَصِيرُ مَقَامَاتٍ بَعْدَ التَّمَكُّنِ. كالتوبة مثلاً. تَحْضُلُ ثُمَّ تُنْقَضُ؛ حَتَّى تَصِيرَ مَقَاماً؛ وَهِيَ التَّوْبَةُ النَّصُوحُ؛ وَهَكَذَا بَقِيَةُ الْمَقَامَاتِ. وَشَرْطُهُ: أَنْ لَا يَزْتَقِي مَقَاماً حَتَّى يَسْتَوْفِيَ أَحْكَامَهُ. فَمَنْ لَا تَوْبَةَ لَهُ، لَا تَصِحُّ لَهُ إِنْابَةٌ: رَجُوعٌ. وَمَنْ لَا إِنْابَةَ لَهُ، لَا تَصِحُّ لَهُ اسْتِقَامَةٌ. وَمَنْ لَا وَرَعَ لَهُ، لَا يَصِحُّ لَهُ زُهْدٌ. وَهَكَذَا. وَقَدْ يَتَحَقَّقُ الْمَقَامُ الْأَوَّلُ بِالثَّانِي، إِذَا تَرَفَّقَى عَنهُ قَبْلَ إِحْكَامِهِ؛ إِنْ كَانَ لَهُ شَيْخٌ كَامِلٌ. وَقَدْ يَطْوِي عَنْهُ الْمَقَامَاتِ، وَيُدْشُهُ إِلَى الْفَنَاءِ إِنْ رَأَاهُ أَهْلًا بِتَوْقِدِ قَرِيحَتِهِ. وَرَقَّةٍ فِطْنَتِهِ. فَالْأَحْوَالُ مَوَاهِبُ، وَالْمَقَامَاتُ مَكَاسِبُ. هَذَا مَعْنَى الْمَقَامِ بِفَتْحِ الْمِيمِ. وَأَمَّا الْمَقَامُ بِالضَّمِّ، فَمَعْنَاهُ الْإِقَامَةُ. وَلَا يَكْمُلُ لِأَحَدٍ مُنَازَلَةُ مَقَامٍ، إِلَّا بِشُهُودِ إِقَامَةِ الْحَقِّ تَعَالَى فِيهِ. وَفِي الْحِكْمِ، مِنْ عِلَامَاتِ الشُّجْحِ فِي النِّهَايَةِ، الرَّجُوعُ إِلَى اللَّهِ فِي الْبِدَايَةِ. وَقَالَ أَيْضاً: مَنْ كَانَتْ بِاللَّهِ بَدَايَتُهُ، كَانَتْ إِلَيْهِ نِهَايَتُهُ.

الْقَبْضُ وَالْبَسْطُ: وَهُمَا حَالَانِ بَعْدَ التَّرْقِيِّ مِنْ حَالِ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ. فَالْقَبْضُ لِلْعَارِفِ، بِمَنْزِلَةِ الْخَوْفِ لِلطَّالِبِ. وَالْبَسْطُ لِلْعَارِفِ بِمَنْزِلَةِ الرَّجَاءِ لِلْمَرِيدِ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْقَبْضِ وَالْخَوْفِ. وَبَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْبَسْطِ. إِنَّ الْخَوْفَ مَتَعَلِّقَهُ مُسْتَقْبَلٌ. إِمَّا فَوَاتٍ مَخْبُوبٍ، أَوْ هُجُومٍ مَخْذُوبٍ. بِخِلَافِ الْقَبْضِ. فَإِنَّهُ مَعْنَى يَخْضُلُ فِي الْقَلْبِ. إِمَّا بِسَبَبٍ أَوْ لَا. وَكَذَلِكَ الرَّجَاءُ يَكُونُ لِإِنْتِظَارِ مَحْبُوبٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وَالْبَسْطُ شَيْءٌ مَوْهَبٌ يَحْصُلُ فِي الْوَقْتِ. فَحَقِيقَةُ الْقَبْضِ: إِنْكَمَاشٌ وَضِيقٌ يَحْصُلُ فِي الْقَلْبِ، يُوجِبُ التَّحْرُكَ وَالْإِنْبِسَاطَ. وَلِكُلِّ وَاحِدٍ آدَابٌ مَذْكُورَةٌ فِي الْمَطْوَلَاتِ.

الْخَوَاطِرُ وَالْوَارِدَاتُ: الْخَوَاطِرُ خَطَابَاتُ تَرْدُ عَلَى الْقُلُوبِ، تَكُونُ بِإِلْقَاءِ مَلَكٍ أَوْ شَيْطَانٍ. أَوْ حَدِيثِ نَفْسٍ. فَإِذَا كَانَ مِنَ الْمَلَكِ فَلِلْهَامِ. أَوْ مِنَ الشَّيْطَانِ فَوْسُوسٌ. أَوْ مِنَ النَّفْسِ فَهَوَاجِسٌ فَمَا وَافَقَ الْحَقَّ، وَدَعَا إِلَى اتِّبَاعِهِ فَمِنَ الْمَلَكِ. وَمَا وَافَقَ

الباطل. أو دَعَا إلى معصية، غالباً فَمِنَ الشيطان، وَقَدْ يَدْعُو إلى الطاعة حيث يَتَرْتَّبُ عليها معصية. كالرياء وحب المَدْح وما دَعَا إلى اتباع الشهوة والدَّعة، أي الراحة، فَمِنَ النَّفْس. قال أبو عَلِيٍّ الدَّقَاق: مَنْ أَكَلَ الحَرَامَ، لم يَفَرِّقَ بين الإلهام والوسواس. وكذلك مَنْ كَانَ قوته مغلوماً. وفَرَّقَ الجنيد بين هواجس النَّفْس، ووسواس الشيطان. بَأَن مَا دَعَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ لَا تَنْتَقِلُ عَنْهُ. بلا تعاوده مرّة بعد مرّة. إلا بعد مجاهدة كبيرة. ووسواس الشيطان ينتقل عنها، فإذا خالفته في معصية. انتقل لِأُخْرَى. وَرُبَّمَا ذهب بالنعوذ ونحوه. ولذلك كَانَتِ النَّفْسُ أَخْبَثَ من سبعين شيطاناً. وَأَمَّا الواردات: فهي مَا يَرِدُ على القلوب من التجليات القوية. أو الخواطر المحمودة. بما لَا يكون للعبد فيه تكسُّب. والفرق بين الواردات والخواطر: أَنَّ الوارداتِ أَعْمُ مِنَ الخواطرِ، لِأَنَّ الخواطرَ تَخْتَصُّ بِنَوْعٍ، أَوْ مَا يَتَّصِفُ بِمَعْنَاهُ. والوارداتُ تكون واردة سُورِي، ووارد حُزْنِي، ووارد قَبْضِي، ووارد بسْطِي، ووارد شَوْقِي، ووارد خَوْفِي، إلى غير ذلك من المعاني. وقد يَخْتَطِفُهُ شاهد حَسِي؛ وهو قريب من الحال. وقد يَأْتِي الواردُ بكشف غَيْبٍ، فيجب تصديقه. إن صَفَا القلبُ من كدورة الخواطرِ. والله تعالى أَعْلَمُ.

النَّفْسُ وَالرُّوحُ وَالسِّرُّ: النَّفْسُ عند القوم، عبارة عما يَدْمُ من أَفْعَالِ العَبْدِ وأخلاقه. فالأول ما كَانَ من كَسْبِ العَبْدِ كمعاصيه ومخالفتيه. والثاني من كَانَ من جِبَلْتِهِ وطبيعته. كالكِبَرِ والحَسَدِ والغَضَبِ وسوء الخُلُقِ. وقلة الإخْتِمَالِ وغير ذلك من الأخلاق الذميمة؛ يُنسب لِلنَّفْسِ أدباً مع الحق. والرُّوحُ عبارة عن محلّ التجليات الإلهية، وكشف الأنوار الملكوتية. والسِّرُّ عبارة عن محلّ تجليات الأسرار الجبروتية. فالنفس للعوام، والروح للخواص، والسِّرُّ لخواص الخواص. النفس لأهل عَالَمِ المُلْكِ. والروح لأهل عَالَمِ المَلَكُوتِ. والسِّرُّ لأهل عَالَمِ الجَبْرُوتِ. وَسَتَاتِي حَقَائِقُهَا. وهل النفس والروح والسِّرُّ متعدّدات في نفسها. أو متحدة. وإنما تختلف التسمية، باختلاف التصفية. قال بَعْضُهُمْ: النفس لطيفة مودعة في هَذَا القَالْبِ، هي محل الأخلاق المحمودة. ومحلها واحد؛ وهو الإنسان. فَالنَّفْسُ والرُّوحُ من الأجساد اللطيفة، كالملائكة والشياطين. وهما ساكنان في الإنسان. فكما أَنَّ البَصَرَ محل الرؤية. والأذن محلّ السمع والأنف محلّ الشَّمِّ مِنْ ذَاتِ واحدة. فكذلك محلّ الأوصاف الذميمة النفس. ومحلّ الأوصاف الحميدة الروح. وَأَمَّا السِّرُّ؛ فهي لطيفة مودعة في القلب كالروح، إلا أَنَّهُ أشرف من الروح، لكمال أوصافه. قال الساحلي: النفس والقلب والروح والسِّرُّ

والباطن، أسماء لمسمّى واحد، وهي اللطيفة الرّبّانية، التي كان بها الإنسان إنساناً. وتختلف أسماؤها باختلاف أوصافها. فإن مالت لجهة النقص سميت نفساً. وإن تخلصت من مقام الإسلام إلى مقام الإيمان سميت قلباً. وإن تخلصت منه إلى مقام الإحسان، ولكن بقي بها أثر النقص، كأثر الجراحات بعد البزء سميت روحاً. وإن ذهبَت تلك الآثار، وصفت، سميت سراً. وإن أشكل الأمر سميت بالباطن. والاختلاف في الروح شهير. قال بعضهم: هي الحياة. وقال بعضهم أعيان مودعة في هذه القوالب، أجرى الله العادة بخلق الحياة في القوالب، ما دامت الحياة فيه. فالإنسان حي بالحياة. ولكن الأرواح مودعة في القوالب. ولها ترق في حال النوم. ومفارقة ورجوع. وهي التي وقع بها التثخ. وأما النفس فهي مخلوقة في الجنين، قبل نفخ الروح بها، يقع التحرك. وهي ملازمة للبدن، لا تفارقه إلا بالموت. فتخرج الروح أولاً، ثم تنقطع النفس، فتقطع الحياة. فالإنسان روح ونفس وجسد، والحشر للجملّة، وكذلك العقاب والثواب. والأرواح، مخلوقة قبل الأبدان. سارية فيها سريان النار في الفخّم، والماء في العود الرطب. قلت: هذه الأعيان المودعة في القوالب، هي اللطيفة الرّبّانية اللهوتية؛ وهي التي تتطور، وتختلف أسماؤها باختلاف تطورها، كما قال الساحلي، والله أعلم. وكون الأرواح حادثة، يجري على مذهب الفرق، وأما أهل الجَمع فلا حادِث عندهم لفناء الكائنات عن نظرهم. قال الجنيد: إذا اقترن الحادِث بالقديم، تلاشى الحادِث وبقي القديم. وسألت بعض إخواننا العارفين: هل الأزواج حادثة أو قديمة؟ فقال: الرجال: الأشباح عندهم قديمة. يشير إلى مقدم الفناء كما تقدّم. لكنّه سرّ مكتوم.

التَّضَرُّ والتَّأْيِيدُ والعِصْمَةُ: التَّضَرُّ تقوية الجوارح على فعل الخَيْر. والتَّأْيِيدُ: تقوية البصيرة من دَاخل. فالْبَاعِثُ الباطني تَأْيِيدُ. والبَطْشُ ومُساعدَة الأسباب من خارج نَضْرُ، وهو جامع للهداية: التي مرجعها للبصيرة العلمية الكاشفة، لِمَا عليه الشيء بحقيقته. والرُّشْدُ الذي مزجعه إلى الإرادة الباعثة، إلى جهة المساعدة. والتَّسْدِيدُ: الذي مَرَّجعه إلى القدرة على توجيه الحركات إلى نحو المطلوب، وتيسيرها عليه مِنَ التَّأْيِيدِ، ويقرب من التَّأْيِيدِ الجامع لما ذَكَرَ العِصْمَةُ؛ وهي عبارة عن وجود إلهي يسبِّح في الباطن. يقوى به الإنسان على تحرِّي الخَيْر. وتجنب الشَّرِّ، حتى يصير كمانع في باطنه غير محسوس؛ قاله الغزالي. فهذه ست حقائق. الهداية، والرشد، والعصمة، والتسديد، والتضرة، والتأييد. وقد علمت كلها من كلام الغزالي رضي الله عنه. والتحقيق: أن الهداية: هي تصويب العبد إلى طريق

توصله إلى الحق. وقد تطلق على بيانها فقط. والرشد: هو توجيه القلب إلى طريق السعادة. والتشديد: هو القدرة على سلوك طريق الخير، وتجنب الشر. والعصمة: هو وجود إلهي إلى آخر ما تقدم.

الحكمة: وهي إتقان الشيء وإبداعه. ففي العلم: تحقيقه والعمل به. وفي القول: إيجازه وتكثير معانيه. وفي العمل: إتقانه وإكماله. ويقال: ترتبت الحكمة على ثلاث فرق: على السنة العرب، وأيدي الصين. وعقول اليونان. والله تعالى أعلم.

العقل: وهو نورٌ يُمَيِّزُ به بين النافع والضار. ويحجز صاحبه عن ارتكاب الأوزار. أو نورٌ روحاني: تدرك به النفس العلوم الضرورية والنظرية. أو قوة مهياة لقبول العلم؛ سمي عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه عما لا ينبغي؛ وهو على قسمين: عقل أكبر، وعقل أصغر. أما العقل الأكبر، فهو أول نور أظهر الله للوجود. ويقال له: الروح الأعظم. ويسمى أيضاً: بالقبضة المحمدية؛ ومن نوره يمتد العقل الأصغر. كائتداد القمر من نور الشمس فلا يزال نوره: بالطاعة والرياضة، والتطهير من الهوى، حتى يدخل العبد مقام الإحسان. وتشرق عليه شمس العرفان: فينطوي نوره في نور العقل الأكبر. كأنطواء نور القمر عند طلوع الشمس فيرى من الأسرار والغيوب، ما لم يكن يره قبلاً؛ لأن العقل الأصغر نوره ضعيف لا يدرك. إلا افتقار الصنعة إلى صنيعها. ولا يذري ما وراء ذلك بخلاف العقل الأكبر، فإنه يدرك الصانع القديم. قبل التجلي وبعده لصفاء نوره، وشدة شعاعه. وفي بعض الأخبار: «أول ما خلق الله العقل. فقال له: أقبل، فأقبل. ثم قال له: أذبر، فأذبر. ثم قال له: أقم، فقام. فقال: وعزتي وجلالي، لا حللت خلالاً أجعلك إلا فيمن أحببت من عبادي، أو كما قال عليه الصلاة والسلام. والحديث متكلم فيه. فالعقل الأكبر لا يناله إلا المحببون. الذين اختارهم الله لمعرفة الخاصة. وأما العقل الأصغر فيعطيه للخاص والعام. وهو على قسمين: عقل متوهب، وعقل مكسوب. فالموهوب: هو الذي جعله الله فيه غريزة. والمكسوب: هو الذي يكتسب بالتجارب والرياضات. وارتكاب المحن. قال بعضهم: علامة العقل ثلاث: تقوى الله عز وجل، وصدق الحديث، وترك ما لا يعني. وقال عليه الصلاة والسلام: «ألا وإن من علامات العقل: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزود لسكنى القبور، والتأهب ليوم النشور».

وقال بعض الحكماء: خير ما أُعطي الإنسان عقل يزره. فإن لم يكن فحياء يمتعه. فإن لم يكن فمال يستره. فإن لم يكن، فصاعقة تحرقه، يستريح منه البلاد والعباد. وهل الأزواح قبل الأشباح كان لها عقل؟ والتحقيق أنها كانت لها عقول مقتبسة من العقل الأكبر كذلك أقرت بالزبوية. بل كانت علامة دراية للأشياء. كما قال ابن البنا. والمعرفة والإدراك، إنما يكونان بالعقل. فلما برزت لعالم الأشباح، أزال الله منها ذلك العقل؛ الذي هو من العقل الأكبر. وأثبت فيها العقل الأضعف؛ عند اجتناي الولد في البطن. فما زال ينمو إلى الحلم. وقيل: إلى أربعين سنة. فإذا اتصل العبد بالطبيب، عالجه حتى يؤهله إلى العقل الأكبر، فيكون صاحبه من الأولياء، وبالله التوفيق.

التوحيد: وهو على قسمين: توحيد البرهان. وهو إفراد الحق بالأفعال والصفات والذات عن طريق البرهان. وتوحيد العيان: وهو إفراد الحق بالوجود في الأزلي والأبد. وقال الجنيد رضي الله عنه: هو معنى تضمحل فيه الرسوم. وتندرج فيه العلوم. ويكون الله كما لم يزل، وأصوله خمسة أشياء: رفع الحدث، وإفراء القدم، وهجران الإخوان، ومفارقة الأوطان. ونسيان ما علم وجهل. قلت: والمعنى الذي تضمحل فيه الرسوم؛ هو ظهور أسرار الذات. فإذا وقع الكشف عنها بعبية حس الكائنات، التي هي أواني لتلك المعاني، انفرد الحق بالوجود. ويكون فيما لم يزل. كما كان في الأزلي. كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان. فيرتفع الحدث، وينفرد القدم. ويهجر صاحب هذا الذوق جميع الإخوان. إلا من يستعين بهم على زبه. ويفارق الأوطان في طلب الحق. لأن الهجرة سنة. وينسى ما علم وما جهل. أي يغيب عنه في جنب الكنز الذي ظفر به. وسئل أيضاً رضي الله عنه عن التوحيد فقال: لون التاء لون إينائه. ومعنى كلامه رضي الله عنه: أن الذات العلية، كانت لطيفة خفية نورانية، فلما تجلّت بالرسوم والأشكال، تكوّنت بتكوّنها، فافهم، وسلم إن لم تدق. ومقامات التوحيد غير متناهية، لأنها تتزايد بتزايد الكشف والترقي. ففوق التوحيد: التفريد؛ فإنه أرق من التوحيد وأعلى؛ لأن التوحيد يصدق على توحيد أهل العلم. والتفريد خاص بأهل الذوق، وفوق التفريد.

الأحدية، والإيحاد، والفرذانية والوحدانية، والإنفراد: وهكذا رتبهم في القوة. فالأحدية مبالغة في الوحدة، والإيحاد مصدر أوحد الشيء إذا صار واحداً.

والفردانية والوحدانية والإنفراد معناها: إفراد الحق بالوجود، وَلَا يكون إلا بعد انطباق بحر الأحدية على الكل، بحيث لم يَبْقَ وجود لغيره قط؛ وهو يدوق ذلك ذوقاً. ويغرق فيه غرقاً. ويُقال لأهل هذا المقام: الأفراد والآحاد؛ وهم أكمل من القطب في العلم بالله، كما قال الحاتمي. وخارجون عن دائرة تصرفه. والله تعالى أعلم.

حَقِيقَةُ الدَّاتِ العَلِيَّةِ: هي ذات عليّة أزلية، لطيفة خفيفة، متجلية بالرسوم والأشكال. متصفة بصفات الكمال. واحدة في الأزل. وفيما لا يزال هذا رَسْمُهَا بالخواص. وأما كُنْه الحقيقة. فلا يحيط بها إلا هو تعالى.

العَمَّا: معناه السحاب، وهو عبارة عن صفة الدَّاتِ العلية في الأزل قبل التجلي. وحقيقته: صَفَاءٌ لطيف خفي صافي، لا حدٌ لفوقيته، ولا لتحتيه، وَلَا لجوانبه الأربع، وَلَا نهاية لأوليته، وَلَا لآخريته. خالٍ عن الرسوم والأشكال. متصف بأوصاف الكمال، من القدرة والإرادة والعلم والحياة، والسمع والبصر والكلام. ويجمعه قول ابن الفارض في خمريته:

يَقُولُونَ لِي صَفَهَا فَأَنْتَ بِوَصْفِهَا خَيْرٌ أَجَلٌ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمٌ
صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلَا هَوَاً وَنُورٌ وَلَا نَارٌ وَرُوحٌ وَلَا جِسْمٌ
تَقَدَّمَ كُلُّ الكَائِنَاتِ حَدِيثُهَا قَدِيمًا وَلَا شَكْلٌ هُنَاكَ وَلَا رَسْمٌ

ثم تجلّت بالرسوم والأشكال بحيث صار اللطيف كثيفاً، والخفي ظاهراً، والغيب شهادة. فما كان في الأزل، هو عين ما تجلّى به في الأبد. كَانَ اللَّهُ وَلَا شيء معه؛ وهو الآن على ما عليه كَانَ. وفي حديث الترمذي، عن ابن رزين العُقَيْلي: قلت يا رسول الله: أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟ قال: «كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ» أَي كَانَ فِي خَفَاءٍ وَلَطَافَةٍ، لَيْسَ فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَلَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ. بَلْ عِظْمَةٌ ذَاتِهِ أَحَاطَتْ بِكُلِّ فَوْقٍ، وَبِكُلِّ تَحْتٍ، وَبِكُلِّ هَوَاءٍ. وَقِيلَ لِسَيِّدِنَا عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: يَا بَنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا؟ وَهَلْ لَهُ مَكَانٌ؟ فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَسَكَتَ سَاعَةً. ثُمَّ قَالَ: قَوْلَكُمْ أَيْنَ اللَّهُ سَوَالٌ عَنِ مَكَانِهِ. وَكَانَ اللَّهُ وَلَا مَكَانَ. ثُمَّ خَلَقَ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ. وَهُوَ الآنَ كَمَا كَانَ دُونَ زَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ. أَي كَانَ اللَّهُ وَلَا شيء معه. وَهُوَ الآنَ شيءٌ مَعَهُ فَافْتَهُم.

الفَنَاءُ وَالْبِقَاءُ: إِذَا أُطْلِقَ الفَنَاءُ: إِنَّمَا يَنْصَرَفُ لِلْفَنَاءِ فِي الدَّاتِ. وَحَقِيقَتُهُ: مَخَوِ الرِّسُومِ وَالْأَشْكَالِ. بِشُهُودِ الكَبِيرِ المَتَعَالِ. وَاسْتِهْلَاكِ الحَسَنِ فِي شُهُودِ

المعنى . قال أبو المواهب . محوً واضمخلالاً . وذهاب عنك وزوال . قال أبو سعيد ابن الأعرابي : هو أن تبدو العظمة والإجلال على العبد . فتتسبه الدنيا والآخرة . والأحوال والدرجات ، والمعاملات والأدكار . يفنيه عن كل شيء . وعن عقله وعن نفسه ، وفنائه عن الأشياء . وعن فنائه عن الفناء ؛ لأنه يغرق في التعميم . أي تتجلى لله عظمة الذات . فيفنيه عن رؤية الأشياء . ومن جعلتها نفسه فيصير عين العين . ويغرق في بحر الأودية . وقد يطلق للفناء على الفناء في الأفعال . فلا يرى فاعلاً إلا الله . وعلى الفناء في الصفات . فلا قدير ولا سميع ولا بصير إلا الله . يعني ، أنه يرى الخلق موتى . لا قدرة لهم ، ولا سماع ولا بصر إلا بالله . وبغد هذا ، يقع الفناء في الذات . وفي ذلك يقول الشاعر :

فِيْفَنَى ثُمَّ يَفْنَى ثُمَّ يَفْنَى فَكَانَ فَنَآؤُهُ عَيْنَ الْبَقَاءِ

وأما البقاء فهو الرجوع إلى شهود الأثر ، بغد الغيبة عنه . أو شهود الحس بغد الغيبة عن شهود المعنى . لكن يراه دائماً بالله . ونوراً من أنوار تجلياته . إذ لولا الحس ما ظهرت المعنى ، ولولا الوساطة ما عرف المتوسط . فالحق تعالى تجلّى بين الضدين : بين الحس والمعنى . وبين القدرة والحكمة . وبين الفرق والجمع . فالغيبية عن أحد الضدين فناء . ورؤيتهما معاً بقاء . فالغيبية عن الحس ، وعن الحكمة ، وعن الفرق فناء . وملاحظتهما معاً بقاء . فالبقاء اتساع في الفناء . بحيث لا يحجبه جمعه عن فرقه ، ولا فناؤه عن بقاءه . ولا شهود القدرة عن الحكمة . بل يُعطي كل ذي حق حقه . ويوفي كل ذي قسط قسطه . وقد يطلق الفناء على التحلي والتخلي . فيقال ، فنى عن أوصافه المذمومة . وبقي بالأوصاف المحمودة . والله تعالى أعلم .

القدرة والحكمة : القدرة عبارة عن إظهار الأظهار على وفق الإرادة . والحكمة عبارة عن تسييرها ، بوجود الأسباب والعلل . فالقدرة تبرز ، والحكمة تستر . والقدرة لا تنفك عن الحكمة إلا نادراً ، في معجزة أو كرامة أو شعوذة . وقد تطلق القدرة على الذات بغد تجليتها . من إطلاق الصفة على الموصوف . والحكمة ما يشترها من الحس ، وأوصاف البشرية . وأحكام العبودية . فظهوره تعالى بمقتضى اسمه الظاهر ، يُسمى قدرة . وبطوئه في ظهوره ؛ بمقتضى اسمه الباطن ، يُسمى حكمة . فتجليه تعالى من عالم الغيب إلى عالم الشهادة قدرة . وخفاؤه في ظهوره حكمة . وإليه يشير قول الحكم . سُبْحَانَ مَنْ سَتَرَ سِرَّ الْخُصُوصِيَّةِ ، بظهور وصف البشرية . وظهر بعظمة الربوبية ، في إظهار العبودية .

الْفَرْقُ وَالْجَمْعُ: الْفَرْقُ عِبَارَةٌ عَنْ شَهْوَدِ حَسِّ الْكَائِنَاتِ، وَالْقِيَامُ بِأَحْكَامِهِ وَأَدَابِهِ، مِنْ الْعِبَادَةِ وَالْعِبُودِيَّةِ. وَالْجَمْعُ عِبَارَةٌ عَنْ شَهْوَدِ الْمَعْنَى الْقَائِمِ بِالْأَشْيَاءِ، مُتَصِلًا بِالْبَحْرِ الْمَحِيظِ الْجَبْرُوتِيِّ. أَوْ تَقُولُ: الْفَرْقُ شَهْوَدُ الْقَوَالِبِ. وَالْجَمْعُ شَهْوَدُ الْمَظَاهِرِ. فَالْقَوَالِبُ مَحَلُّ الشَّرَائِعِ، وَالْمَظَاهِرُ، عَيْنُ الْحَقَائِقِ. وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدِّقَاقُ: الْفَرْقُ مَا نُسِبَ إِلَيْكَ. وَالْجَمْعُ مَا سُئِلَ عَنْكَ. قَالَ الْفَرْقُ بِلَا جَمْعٍ فَسُوقٌ، وَجَمُودٌ وَجَهْلٌ بِاللَّهِ تَعَالَى. وَالْجَمْعُ بِلَا فَرْقٍ رَنْدَقَةٌ وَكُفْرٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِلَا سُكْرِ؛ لِأَنَّهُ يُوَدِّي إِلَى إِبْطَالِ الشَّرَائِعِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَإِلَى إِبْطَالِ الْحِكْمَةِ. وَالْقُدْرَةُ لَا تَنْفَكُ عَنِ الْحِكْمَةِ. فَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مَجْمُوعًا فِي فَرْقِهِ. مَفْرُوقًا فِي جَمْعِهِ. الْجَمْعُ فِي الْبَاطِنِ مَوْجُودٌ. وَالْفَرْقُ عَلَى الظَّاهِرِ مَشْهُودٌ.

الْحِسُّ وَالْمَعْنَى: الْحِسُّ عِبَارَةٌ عَنْ تَكْيِيفِ لِلْأَشْيَاءِ ظَاهِرًا. وَالْمَعْنَى عِبَارَةٌ عَنْ تَلْطِيفِهَا بِبَاطِنًا. فَحِسُّ الْكَائِنَاتِ أَوْانٍ حَامِلَةٌ لِلْمَعَانِي. قَالَ الشُّشْتَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا تَنْظُرْ إِلَى الْأَوَانِي. وَخُضْ بِخَرِّ الْمَعَانِي. لَعَلَّكَ تَرَانِي. فَمِثَالُ الْكَوْنِ؛ كَالثَّلْجَةِ، ظَاهِرُهَا ثَلْجٌ، وَبَاطِنُهَا مَاءٌ. كَذَلِكَ الْكَوْنُ، ظَاهِرُهُ حِسٌّ. وَبَاطِنُهُ مَعْنَى.

وَالْمَعْنَى هِيَ أَسْرَارُ الذَّاتِ اللَّطِيفَةِ الْقَائِمَةِ بِالْأَشْيَاءِ. فَقَدْ سَرَتِ الْمَعَانِي فِي الْأَوَانِي سَرِيانَ الْمَاءِ فِي الثَّلْجَةِ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ قُطْبُ الْأَقْطَابِ: الشَّيْخُ الْجَبَلَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَمَا الْكَوْنُ فِي الثَّمَنَالِ إِلَّا كَثَلْجَةٍ وَأَنْتَ لَهَا الْمَاءُ الَّذِي هُوَ نَائِعٌ
فَمَا الثَّلْجُ فِي تَحْقِيقِنَا غَيْرُ مَائِهِ وَغَيْرَانِ فِي حُكْمِ دَعْوَةِ الشَّرَائِعِ

فَلَا قِيَامَ لِلْحِسِّ إِلَّا بِالْمَعْنَى، وَلَا ظُهُورَ لِلْمَعْنَى إِلَّا بِالْحِسِّ. فَالْمَعْنَى رَقِيقَةٌ لَطِيفَةٌ لَا تُدْرِكُ إِلَّا بِتَحَسُّسِهَا فِي قَوَالِبِ الْكَائِنَاتِ. فَظُهُورُ الْمَعْنَى بِلَا حِسِّ مُحَالٌ. وَشَهْوَدُ الْحِسِّ بِلَا مَعْنَى جَهْلٌ وَظُلْمَةٌ. وَلِذَلِكَ قَالَ فِي الْحِكْمِ: الْكَوْنُ كُلُّهُ ظُلْمَةٌ. وَإِنَّمَا أَنَارَهُ ظُهُورُ الْحَقِّ فِيهِ الْخ. . . فَلَا يُرَى الْحَقُّ تَعَالَى، إِلَّا بِوَسِطَةِ التَّجَلِّيَّاتِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ بَعْضُهُمْ «وَلَيْسَتْ تُنَالُ الذَّاتُ مِنْ غَيْرِ مَظْهَرٍ» وَلَوْ هُنَاكَ الْإِنْسَانُ مِنْ شِدَّةِ الْجَرْحِ.

الْمُلْكُ وَالْمَلَكُوتُ وَالْجَبْرُوتُ: الْمُلْكُ مَا ظَهَرَ مِنْ حِسِّ الْكَائِنَاتِ. وَالْمَلَكُوتُ مَا بَطَّنَ فِيهَا مِنْ أَسْرَارِ الْمَعَانِي. وَالْجَبْرُوتُ: الْبَحْرُ الْمَحِيظُ الَّذِي تَدْفَقُ مِنْهُ الْحِسُّ وَالْمَعْنَى. وَالْحَاصِلُ: أَنَّ الْقَبْضَةَ الَّتِي ظَهَرَتْ أَوَّلًا مِنْ فَضَاءِ الْعَمَاءِ. جِسْمُهَا الظَّاهِرُ مُلْكٌ. وَمَعْنَاهَا الْبَاطِنُ مَلَكُوتٌ. وَالْبَحْرُ اللَّطِيفُ الْمَحِيظُ الَّذِي تَدْفَقَتْ مِنْهُ:

جَبْرُوتٌ. فَأَسْرَارُ الْمَعَانِي رِيَاضُ الْعَارِفِينَ. لِأَنَّهَا مَحَلُّ نَزْهَةِ أَرْوَاحِهِمْ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَعَانِي لَطِيفَةٌ، لَا تَظْهَرُ بِهَجَّتِهَا إِلَّا فِي الْحِسِّ الَّذِي هُوَ الْمُلْكُ. وَالْحِسُّ مِنْ حَيْثُ هُوَ، مُضَافٌ إِلَى تَبَيُّنَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. لِأَنَّهُ مَا ظَهَرَ إِلَّا لَهُ. وَمَا انشَقَّتْ أَسْرَارُ الذَّاتِ إِلَّا مِنْ نُورِهِ. فَلِذَلِكَ قَالَ الْقُطْبُ بْنُ مَشِيشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَرِيَاضُ الْمَلَكُوتِ يَزْهَرُ جَمَالِهِ مُوَبَّقَةً. أَيُّ مُحَسَّنَةً مَعْجَبَةً. فَقَدْ ذَكَرَ الْمُلْكُ بِالِاتِّزَامِ. لِأَنَّ جَمَالَ زَهْرِ الْمَعَانِي، لَا يَظْهَرُ إِلَّا فِي حِسِّ الْكَائِنَاتِ؛ وَهُوَ الْمُلْكُ. وَقَوْلُهُ: وَحِيَاضُ الْجَبْرُوتِ بِفَيْضِ أَنْوَارِهِ مُتَدَفِّقَةٌ. الْأَصْلُ أَنَّ يَقُولُ: وَبَحْرُ الْجَبْرُوتِ بِفَيْضِ نُورِهِ مُتَدَفِّقٌ. يُشِيرُ إِلَى ظُهُورِ الْقَبْضَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، مِنْ بَحْرِ نُورِهِ اللَّطِيفِ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِالْحِيَاضِ لِيناسب الرِّياضَ، وَإِنَّمَا جَمَعَ نُورَ الْقَبْضَةِ لِتَفَرُّعِهِ إِلَى أَنْوَارِ كَثِيرَةٍ. كَمَا جَمَعَ الْعَالَمِينَ، مَعَ أَنَّ الْعَالَمَ وَاحِدٌ، لِتَعَدُّدِ أَنْوَاعِهِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. فَحَقِيقَةُ الْمُلْكِ: مَا يُدْرِكُ بِالْحِسِّ وَالْوَهْمِ. وَحَقِيقَةُ الْمَلَكُوتِ: مَا يُدْرِكُ بِالْعِلْمِ وَالذَّوْقِ. وَحَقِيقَةُ الْجَبْرُوتِ: مَا يُدْرِكُ بِالْكَشْفِ وَالْوُجْدَانِ. فَالْوُجُودُ وَاحِدٌ. وَإِنَّمَا تَخْتَلَفُ النِّسْبَةُ بِاعْتِبَارِ الرَّؤْيَةِ وَالتَّرْقِيَةِ. فَمَنْ وَقَفَ مَعَ حِسِّ الْكَائِنَاتِ. وَحُجِبَ بِهَا عَنِ الْمَعْنَى، سُمِّيَ فِي حَقِّهِ مُلْكًا، وَمَنْ نَقَدَ إِلَى شُهُودِ الْمَعَانِي، سُمِّيَ فِي حَقِّهِ مَلَكُوتًا. وَمَنْ نَظَرَ إِلَى أَصْلِ الْقَبْضَةِ الَّتِي بَرَزَتْ مِنْهُ، سَمَّاهُ جَبْرُوتًا. فَإِنَّ ضَمَّ الْفُرُوعِ إِلَى الْأَصُولِ، وَتَلَطَّفَتِ الْأَوَانِي. حَتَّى صَارَتْ كُلُّهَا مَعَانِي. وَانطَبَقَ بِخَرِّ الْأَحْدِيَةِ عَلَى الْكُلِّ. صَارَ الْجَمِيعُ جَبْرُوتًا، فَكُلُّ مَقَامٍ يَحُجَّبُ عَمَّا قَبْلَهُ.

فَالْمَلَكُوتُ: يَحُجَّبُ عَنِ شُهُودِ الْمُلْكِ. وَالْجَبْرُوتُ: يَحُجَّبُ عَنِ الْمَلَكُوتِ. إِلَّا بِالتَّنَزُّلِ فِي حَالِ السُّلُوكِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

النَّاسُوتُ وَاللَّاهُوتُ وَالرَّحْمُوتُ: النَّاسُوتُ: عِبَارَةٌ عَنِ حِسِّ الْأَوَانِي. وَاللَّاهُوتُ: عِبَارَةٌ عَنِ أَسْرَارِ الْمَعَانِي. وَمَرَجِعُ الْأَوَّلِ لِلْمُلْكِ. وَالثَّانِي لِلْمَلَكُوتِ. وَالرَّحْمُوتُ: عِبَارَةٌ عَنِ سَرِّيَّاتِ اللَّطْفِ وَالرَّحْمَةِ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ: جَلَالُهَا وَجَمَالُهَا. مَنْ ظَنَّ انْفِكَاكَ لَطْفِ اللَّهِ عَنِ قَدْرِهِ. فَذَلِكَ لِقُصُورِ نَظَرِهِ.

التَّوَّاجِدُ وَالْوُجُودُ وَالْوُجْدَانُ وَالْوُجُودُ: التَّوَّاجِدُ: تَكْلُفُ الْوُجْدِ. وَاسْتِعْمَالُهُ كَاسْتِعْمَالِ الرَّقِصِ وَالشُّطْحِ وَالْقِيَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ وَهُوَ غَيْرُ مُسَلَّمٍ إِلَّا لِلْفُقَرَاءِ الْمُتَجَرِّدِينَ؛ فَلَا بَأْسَ بِتَكْلُفِ الْوُجْدِ وَاسْتِعْمَالِهِ. كَمَا يُطَلَّبُ الْحَالُ دَوَاءً لِلنَّفُوسِ. وَهُوَ مَقَامُ الضَّعْفَاءِ، وَقَدْ تَسْتَعْمَلُهُ الْأَقْوِيَاءُ مُسَاعِفَةً أَوْ حَلَاوَةً. قِيلَ لِأَبِي مُحَمَّدٍ الْجَرِيرِيِّ، مَا حَالُكَ فِي السَّمَاعِ؟ فَقَالَ: إِذَا حَضَرَ هُنَاكَ مُحْتَسِمٌ أَمْسَكْتُ وَجَدِي.

فإذا خَلَوْتُ أَرْسَلْتُ وَجِدِي فَتَوَاجَدْتُ . وأما الجُنَيْدُ؟ فكان أولاً يتواجد، ثم سَكَنَ . فقبل له يا سَيِّدِي : أَمَا لَكَ فِي السَّمَاعِ شَيْءٌ؟ فقال : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ قلت : وقد حَضَرْتُ سَمَاعاً مع شيخنا البُرَيْدِي رضي الله عنه ، فَكَانَ يَتِمَائِلُ يَمِيناً وَشِمَالاً . وحدثني من حَضَرَ سَمَاعاً مع شيخه ؛ مولاي العربي الدَّرَقَاوِي . فقال : ما زال قائماً يَرْقُصُ حَتَّى كَمَلَ السَّمَاعُ . وَلَا يُنْكَرُ السَّمَاعُ إِلَّا جَاحِذٌ خَالٍ مِنْ أَسْرَارِ الْحَقِيقَةِ . وَأَمَّا الْوُجُدُ : فَهُوَ الَّذِي يَرُدُّ عَلَى الْقَلْبِ وَيُصَادِمُهُ بِلَا تَأْمَلُ وَلَا تَكْلُفِ . إِمَّا شَوْقٌ مُقْلَقٌ ، أَوْ خَوْفٌ مُزْعَجٌ ؛ وَهُوَ بَعْدَ التَّوَجُّدِ . وَيُقَالُ : التَّوَجُّدُ : ثَمَرَاتُ الْمُنَازَلَةِ ، فَهِيَ أَسْرَارُ الْحَقَائِقِ . كَمَا أَنَّ حَلَاوَةَ الطَّاعَاتِ : ثَمَرَاتُ الْمُنَازَلَةِ فِي الطَّاعَةِ الظَّاهِرَةِ . فَكَلِمَا اشْتَدَّ التَّحَقُّقُ بِأَسْرَارِ الْحَقَائِقِ وَالتَّوْحِيدِ قُوَى الْوُجُدُ . كَمَا أَنَّهُ كَلِمَا اشْتَدَّ الدَّوَامُ عَلَى الطَّاعَةِ . قَوِيَتْ حَلَاوَتُهَا . وَأَمَّا الْوُجُدَانُ : فَهُوَ دَوَامُ حَلَاوَةِ الشُّهُودِ ، وَاتِّصَالِهَا مَعَ غَلْبَةِ السُّكْرِ وَالدَّهْشِ ، فَإِنْ اسْتَمَرَّ مَعَ ذَلِكَ ، حَتَّى زَالَتِ الدَّهْشَةُ وَالحَيْرَةُ ، وَصَفَّتِ الْفِكْرَةُ وَالنَّظَرَةُ ، فَهُوَ الْوُجُودُ . وَإِلَيْهِ يَشِيرُ قَوْلُ الْجُنَيْدِ رضي الله عنه :

وَجُودِي أَنْ أُغَيَّبَ عَنِ الْوُجُودِ بِمَا يَنْبَدُو عَلَيَّ مِنَ الشُّهُودِ
وقال أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَاقُ رضي الله عنه :

التَّوَجُّدُ يُوجِبُ اسْتِعَابَ الْعَبْدِ . وَالْوُجُدُ : اسْتِغْرَاقُ الْعَبْدِ . وَالْوُجُودُ : يُوجِبُ اسْتِهْلَاكَ الْعَبْدِ . فَهُوَ الْبَيْخُرُ . ثُمَّ رَكِبَ ، ثُمَّ غَرِقَ .

وقال القشيري : وترتيب هذا الأمر ، فُضُودٌ ، ثُمَّ وُرُودٌ ، ثُمَّ شُهُودٌ ، ثُمَّ وُجُودٌ ثُمَّ خُمُودٌ . فالمقصود للمتواجدين القاصدين . والوجد والورود للواجدين الشاربين الخمر . والشهود لأهل الوجدان السكاري . والوجود والخمود لأهل الصحو ، والله تَعَالَى أَعْلَمُ .

الدُّوقُ وَالشُّرْبُ وَالسُّكْرُ وَالصَّحْوُ : الدُّوقُ يَكُونُ بَعْدَ الْعِلْمِ بِالْحَقِيقَةِ ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ بَرُوقِ أَنْوَارِ الذَّاتِ الْقَدِيمَةِ عَلَى الْعَقْلِ . فَيَغِيْبُ عَنْ رُؤْيَةِ الْحَدُوثِ فِي أَنْوَارِ الْقَدَمِ . لِكَيْتَهُ لَا يَدُومُ ذَلِكَ . بَلْ يَلْمَعُ تَارَةً وَيَخْتْفِي أُخْرَى . فَصَاحِبُهُ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ . فَإِذَا لَمَعَ غَابَ عَنْ حِسِّهِ . وَإِذَا خَفِيَ ، رَجَعَ إِلَى حِسِّهِ ، وَرُؤْيَةِ نَفْسِهِ ؛ فَهَذَا يَسْمَى عِنْدَهُمْ دُوقاً . فَإِنْ دَامَ لَهُ ذَلِكَ التُّورُ سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ ؛ فَهُوَ الشُّرْبُ . وَإِنْ اتَّصَلَ وَدَامَ ؛ فَهُوَ السُّكْرُ . وَمَرْجَعُهُ إِلَى فَنَاءِ الرُّسُومِ . وَيَسْمَى أَيْضاً الْفَنَاءُ . فَإِنْ رَجَعَ إِلَى شُهُودِ الْأَثَرِ وَقِيَامِهَا بِاللَّهِ ، وَأَنَّهَا نُورٌ مِنْ أَنْوَارِ اللَّهِ ، فَهُوَ الصَّحْوُ . وَيَسْمَى أَيْضاً

بِالرَّيِّ وَبِالْبَقَاءِ . لِإِبْقَاءِ الْأَشْيَاءِ بِاللَّهِ بَعْدَ فَنَائِهَا ، وَيَسْمَى أَيْضاً : فَنَاءُ الْفَنَاءِ ؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ تَمَّ شَيْءٌ بِعَيْنِيهِ . غَيْرَ الْوَهْمِ وَالْجَهْلِ ؛ وَهَمَّا لِأَحْقِيقَةِ لَهُمَا . قَالَ الْقَشِيرِيُّ : وَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّخْرَ عَلُوُّ قَدْرِ السُّكْرِ . فَكُلُّ مَنْ كَانَ سَكْرَهُ بِحَقِّهِ ، كَانَ صَحْوُهُ بِحَقِّهِ . وَمَنْ كَانَ سَكْرَهُ بِحِطِّ مَشُوباً . كَانَ صَحْوُهُ بِحِطِّ مَصْحُوباً . وَمَنْ كَانَ مُحِقِّقاً فِي حَالِهِ ، كَانَ مَحْظُوظاً فِي سَكْرِهِ . ثُمَّ قَالَ : فَمَنْ قَوِيَ حُبُّهُ تَسَرَّمَدَ لِشُرْبِهِ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَاتِلِ :

شَرِبْتُ كَأْساً بَعْدَ كَأْسٍ فَمَا نَفَذَ الشَّرَابُ وَلَا زَوِيثُ
 الْمَخْوُ وَالْإِثْبَاتُ : الْمَخْوُ : الْغَيْبَةُ عَنِ الْكَائِنَاتِ فَنَاءً . وَالْإِثْبَاتُ : إِثْبَاتُهَا بَقَاءً . وَيُطْلَقُ عَلَى مَخْوِ الْأَوْصَافِ الدَّمِيمَةِ . وَإِثْبَاتِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ ؛ وَهِيَ ثَلَاثُ : مَخْوُ الزَّلَّةِ عَنِ الظُّوَاهِرِ ، وَمَخْوُ الْعَقْلَةِ عَنِ الْبِوَاطِنِ . وَمَخْوُ الْعِلَّةِ عَنِ السَّرَائِرِ . فَبِئْسَ مَخْوُ الزَّلَّةِ : إِثْبَاتِ التَّوْبَةِ . فِي مَخْوِ الْعَقْلَةِ : إِثْبَاتِ الْيَقَظَةِ . وَفِي مَخْوِ الْعِلَّةِ : إِثْبَاتِ الصَّفَاءِ .

السُّتْرُ وَالتَّجَلِّيُ : السُّتْرُ عِنْدَهُمْ عِبَارَةٌ عَنِ غَيْبَةِ الْعَبْدِ عَنِ رَبِّهِ ، تَرْوِيحاً وَتَنْزِلاً وَشُغْلًا ، بِشَأْنِ مِنَ الشُّؤُونِ . وَالتَّجَلِّيُ عِبَارَةٌ عَنِ كَشْفِ الْعَبْدِ بِعِظَمِ رَبِّهِ . وَهَذَا قَبْلَ الرَّسُوحِ . وَأَمَّا بَعْدَ الرَّسُوحِ ، فَلَا غَيْبَةَ لَهُ . فَالْعَوَامُّ فِي غِطَاءِ السُّتْرِ عَلَى الدَّوَامِ . وَالْخَوَاصُّ بَيْنَ كَشْفِ وَغِطَاءِ . وَخَوَاصُّ الْخَوَاصِّ فِي دَوَامِ التَّجَلِّيِ . فَالسُّتْرُ لِلْعَوَامِّ عَقُوبَةٌ . وَلِلْخَوَاصِّ رَحْمَةٌ . إِذْ لَوْلَا أَنَّهُمْ يُسْتَرُّ عَنْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ . لَتَلَأَشَوْا عِنْدَ سُلْطَانِ الْحَقِيقَةِ . وَلَكِنَّهُ كَمَا يُظْهِرُ لَهُمْ ، يَسْتَرُّ عَنْهُمْ . فَالْخَوَاصُّ بَيْنَ عَيْشِ وَطَيْشِ . إِذَا تَجَلَّى لَهُمْ طَاشُوا ، وَإِذَا سَتَرَ عَنْهُمْ رَدَّوْا إِلَيْهِمْ فَعَاشُوا .

الْمُحَاضِرَةُ وَالْمُكَاشَفَةُ وَالْمُسَامِرَةُ : الْمُحَاضِرَةُ : حُضُورُ الْقَلْبِ مَعَ الرَّبِّ . وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ ، إِمَّا بِتَوَاتُرِ الْبُرْهَانِ ، أَوْ بِفِكْرَةِ الْإِعْتِبَارِ ، أَوْ بِاسْتِيْلَاءِ سُلْطَانِ الذِّكْرِ عَلَى الْقَلْبِ . ثُمَّ بَعْدَهُ الْمَكَاشَفَةُ : وَهِيَ حُضُورُ الْقَلْبِ مَعَ الرَّبِّ . بِتَغَيِّبِ الْبَيَانِ . غَيْرِ مُفْتَقِرٍ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ إِلَى تَأْمُلِ الدَّلِيلِ . وَتَطَلُّبِ السَّبِيلِ . وَيَكُونُ أَيْضاً مَعَ الْحِجَابِ بِتَغَيِّبِ الْقُرْبِ فِي مَقَامِ الْمُرَاقَبَةِ ؛ وَهُوَ لِلْعِبَادِ وَالزُّهَادِ . وَنَهَايَةُ الْأَسْرَارِ . وَأَمَّا مَكَاشَفَةُ ضَمَائِرِ النَّاسِ ، فَلَيْسَتْ بِمَقْصُودَةٍ عِنْدَهُمْ . بَلْ يُعْطَاهَا مَنْ لَمْ يَبْلُغْ هَذَا الْمَقَامَ . وَبَعْدَ الْمُحَاضِرَةِ وَالْمَكَاشَفَةِ . الْمُسَامِرَةُ : وَهِيَ ظُهُورُ أَسْرَارِ الدَّاتِ ، فَيُغَيِّبُ الْعَبْدُ عَنْ وُجُودِهِ . وَيَغْرُقُ فِي بَخْرِ الْأَحْدِيَةِ سَاعَةً أَوْ أَكْثَرَ ، ثُمَّ يَخْرُجُ ؛ وَهِيَ مِنْ بَدَايَةِ الْوُجُودِ ، وَلِمَعَانِ أَنْوَارِ الْمَشَاهِدَةِ . ثُمَّ بَعْدَهَا الْمَشَاهِدَةُ ؛

وَهِيَ دَوَامُ شُهُودِ الْحَقِّ بِلَا تَعَبٍ . أَوْ وُجُودِ الْحَقِّ بِلَا تَهْمَةٍ . وَقَالَ الْجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْمَشَاهِدَةُ : وَجُودِ الْحَقِّ مَعَ فَقْدَانِكَ . وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهَا . وَإِنَّمَا أُعِيدَتْ هُنَا ، لِتَرْتِبِهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا . قَالَ الْقَشِيرِيُّ : فَصَاحِبُ الْمَحَاضِرَةِ مَرْبُوطٌ بِآيَاتِهِ . وَصَاحِبُ الْمُكَاشَفَةِ ، مَبْسُوطٌ بِصِفَاتِهِ . وَصَاحِبُ الْمَشَاهِدَةِ مَلْقَى بِذَاتِهِ . قَلْتُ : وَصَاحِبُ الْمُسَامَرَةِ . تَارَةً بِنَارَةٍ . ثُمَّ قَالَ الْقَشِيرِيُّ : صَاحِبُ الْمَحَاضِرَةِ ، يَهْدِيهِ عَقْلُهُ . وَصَاحِبُ الْمَكَاشَفَةِ ، يُدْنِيهِ عِلْمُهُ . وَصَاحِبُ الْمَشَاهِدَةِ ، تَمْخُوهُ مَعْرِفَتُهُ . وَأَجْمَعُ مَا قِيلَ فِي الْمَشَاهِدَةِ ، أَنَّهَا : تَوَالِي أَنْوَارِ التَّجَلِّيِّ عَلَى الْقَلْبِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَخَلَّلَهَا سِتْرٌ وَانْقِطَاعٌ . كَمَا لَوْ قَدَّرَ اتِّصَالَ الْبُرُوقِ ، فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ . فَإِنَّمَا تَصِيرُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ ، وَكَذَلِكَ الْقَلْبِ ، إِذَا دَامَ لَهُ دَوَامُ التَّجَلِّيِّ . فَلَا لَيْلَ . وَأَشْدُّوْا :

لَيْلِي بِوَجْهِكَ مُشْرِقٌ وَظِلَامُهُ فِي النَّاسِ سَارِ
النَّاسِ فِي سَدَفِ الظُّلَامِ مِمْ وَنَحْنُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ
وَالسَّدْفُ بِالسَّيْنِ : الظُّلْمَةُ كَمَا فِي الْقَامُوسِ . وَقَالَ النُّورِيُّ : إِذَا طَلَعَ الصَّبَاحُ ، أَسْتَعْنِي عَنِ الْمِصْبَاحِ . وَقَوْلُ الشَّاعِرِ : لَيْلِي الْخ . . لَيْلٍ وَجُودِي مُشْرِقٌ بِوَجْهِكَ ذَلِكَ فَقَدْ ذَهَبَتْ ظِلْمَةُ وَجُودِهِ ، فِي نَهَارِ وَجُودِهِ .

اللَّوَائِحُ وَاللَّوَامِعُ وَالطَّوَالِغُ : وَهِيَ أَلْفَاظٌ مُتَقَابِرَةٌ ؛ وَهِيَ أَضَلُّ الْبِدَايَاتِ ، حِينَ تَبْرُقُ عَلَيْهِمُ أَنْوَارُ الشُّهُودِ ، ثُمَّ تَسْتُرُ . فَتَكُونُ أَوَّلَ لَوَائِحُ ثُمَّ لَوَامِعُ ، ثُمَّ طَوَالِغُ . فَاللَّوَامِعُ أَظْهَرُ مِنَ اللَّوَائِحِ . وَالطَّوَالِغُ أَظْهَرُ مِنَ اللَّوَامِعِ . فَقَدْ تَبَقِيَ اللَّوَامِعُ سَاعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ . بِخِلَافِ اللَّوَائِحِ . فَإِنَّمَا أَحْفَ لِيُزَوِّلَهَا بِسُرْعَةٍ . كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

افْتَرَقْنَا حَوْلًا فَلَمَّا اجْتَمَعْنَا كَأَنَّ تَسْلِيمَهُ عَلَيَّ وَدَاعَا
وقال آخر :

يَا ذَا الَّذِي زَارَ وَمَا زَارَ كَأَنَّهُ مُقْتَسِبٌ نَارًا
مَرَّ بِبَابِ الدَّارِ مُسْتَعْجِلًا مَا ضَرَّه لَوْ دَخَلَ الدَّارَا
وَأَمَّا الطَّوَالِغُ ، فَإِنَّهَا أَبْقَى وَفَنًا ، وَأَقْوَى سُلْطَانًا . وَأَذْهَبَ لِلظُّلْمَةِ . وَأَنْفَى لِلتَّهْمَةِ . لَكِنَّهَا عَلَى حَظَرِ الْأَفْوَالِ . لَمْ يَتِمَّكَنْ صَاحِبُهَا مِنْ طُلُوعِ شَمْسِ عِرْقَانِيهِ . فَأَوْقَاتُ حُصُولِهَا وَشِبْكَهَ الْارْتِحَالِ . وَأَحْوَالُ أَقْوَالِهَا طَوِيلَةٌ الْأَدْيَالِ . لَكِنْ إِذَا عَرُبَتْ أَنْوَارُهَا ، يَعِيشُ فِي بَرَكَاتِ آثَارِهَا ، إِلَى أَنْ تَعُودَ ثَانِيًا . هَكَذَا تَطْلُعُ شَمْسُ نَهَارِهِ بِتَمَكُّنِهِ . فَلَا مَغِيبَ لَهَا حِينَئِذٍ . قَالَ الشَّاعِرُ :

طَلَعَتْ شَمْسٌ مِّنْ أَحِبِّ بَلِيلٍ وَاسْتَنَارَتْ فَمَا تَلَاهَا غُرُوبٌ
إِنَّ شَمْسَ النَّهَارِ تَغْرُبُ لَيْلًا وَشُمُوسُ الْقُلُوبِ لَيْسَتْ تَغِيْبُ

البوادة والهجوم: البوادة ما يفجأ القلب من ناحية الغيب، على سبيل البغته. إما موجب فرح، أو ترخ. والهجوم، ما يرد على القلب بقوت الوقت من غير تقنع ولا تكسب. وتختلف أحوالهم على حسب ضعفهم وقوتهم. فمنهم من تغيره البوادة. وتتصرف فيه الهواجم. ومنهم من يكون فوق ما يفجأه حالاً وقوة؛ لا تغيره الهواجم. ولا تتصرف فيه البوادة. ولا تُرغزعه الهموم. ولا تحركه المخاوف. أولائك سادة الوقت كما قيل. لا تهدي ثوب الزمان إليهم. ولهم على الخطب الجليل لجام. وهؤلاء أهل الرسوخ والتمكين. جعلنا الله منهم أمين.

التلوين والتمكين: التلوين هو الانتقال من حال إلى حال. ومن مقام إلى مقام. وقد يسقط ويقوم. فإذا وصل إليه صريح العرفان. وتمكن من الشهود، فصاحب تمكين. فصاحب التلوين أبدأ في الزيادة. وصاحب التمكين، وصل وتمكن. فانتهاه سيرهم، الظفر بنفوسهم، فإذا ظفروا بها فقد وصلوا. فانخست أوصاف البشرية. واستولى عليها سلطان الحقيقة. فإذا دام ذلك للعبد؛ فهو صاحب تمكين. وقد يكون التلوين بعد التمكين. ومعناه: النزول في المقامات، كنزول الشمس في بروجها. فيتلون العارف مع المقادير، ويدور معها حيث دارت. ويتلون بتلون الوقت. فيكون بين قبض وبسط، وقوة وضعف. ومنع وعطاء وسرور وحزن. وغير ذلك من تقلبات الأحوال. غير أنه مالك غير مملوك. لا يتغير بتغير الأحوال. ولا يتأثر بالزلازل والأحوال. والله تعالى أعلم.

القرب والبعد: القرب كناية عن قرب العبد من ربه، بطاعته وتوفيقيه؛ وهو على ثلاث مراتب: قرب بالطاعة وترك المخالفة. وقرب بالرياضة والمجاهدة. وقرب بالوصول والمشاهدة. فقرب الطالبين بالطاعة. وقرب المريدين بالمجاهدة. وقرب الواصلين بالمشاهدة. فأول البعد: البعد عن التوفيق. ثم البعد عن سلوك الطريق. ثم البعد عن التحقيق. وفي الحديث القدسي عن الله عز وجل، يقول: «مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ الْمُتَقَرِّبُونَ، بِمِثْلِ آدَاءِ مَا افْتَرَضْتَهُ عَلَيْهِمْ. وَلَا زَالَ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ. فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا». الحديث. وفي حديث آخر: «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُهُ». فقرب العبد من ربه: إنجياشه إليه بقلبه. وقرب الحق من عبده، تغييبه عن وجوده الوهمي. وكشف الحجاب عن عين بصيرته حتى يرى

الحق أقرب إليه من كل شيء. ثم يغيب القرب في القرب. فيتجد القرب والقرب والمحبة والحب كما قال القائل:

أنا من أهوى، ومن أهوى أنا

وكما قال الششتري:

أنا المحب والحبيب ما تم ثاني

الشريعة والطريقة والحقيقة: الشريعة: تكليف الظواهر. والطريقة: تصفية الضمائر. والحقيقة: شهود الحق في تجليات المظاهر. فالشريعة أن تعبد. والطريقة أن تقصد. والحقيقة أن تشهد. فلما تجلى الحق بين الضدين. تجلى بمظاهر عظمة الربوبية. في قوال العبودية، ظهرت الشريعة والحقيقة. فشهود العظمة من حيث هي: حقيقة. والقيام بأداب القوال عبادة. وعبودية شريعة. وأما الطريقة فهي إصلاح الضمائر، لتتهيأ لإشراق الحقائق عليها.

فالشريعة لإصلاح الظواهر، والطريقة لإصلاح الضمائر، والحقيقة لتزيين السرائر. ويقال: الشريعة عين الحقيقة. من حيث أنها وجبت بأمرو. والحقيقة عين الشريعة من حيث أنها مكلف بها من قبل الشريعة. وقد تطلق عندهم الشريعة، على كل ما يتوصل به إلى شيء. أو يكون سبباً في إدراكه. فالأسباب كلها شرائع. والمقاصد كلها حقائق. فالجس شريعة المعنى. إذ به قبضت، والمجاهدة شريعة المشاهدة. والذل: شريعة العز، والفقر: شريعة الغنا. وهكذا. والحرث والغرس شريعة جني الثمار. ولذلك يقولون: من غرس الشرائع، أثمرت له الحقائق. ومن غرس الحقائق، أثمرت له الشرائع. أي أخرجته إلى الرجوع إلى الشرائع. وفي ذلك يقول الشاعر:

فما قد غرست تجني وهذه عادة الزمان

الذات والصفات: اعلم أن الحق جل جلاله، ذات وصفات في الأزلي وفي الأبد. أعني قبل التجلي وبعده. إذ صفاته قديمة بقدم ذاته. والصفة لا تفارق الموصوف. فحيث تجلت الذات. فالصفات لازمة لها. فالذات ظاهرة، والصفات باطنة. والمراد بالصفات: صفات المعاني؛ وسائر أوصاف الكمال. فكل ما وقع به التجلي والظهور، فهو بين ذات وصفات. الذات لا تفارق الصفات. والصفات لا تفارق الذات. وهذا التلازم الذي بينهما في الوجود؛ هو الذي قصد من قال:

الذات عين الصفات. أي مظهرهما واحد. كما قالوا: الجس عين المعنى. أي اتحد مظهرهما. قال بعض المشاركة، في بعض أجزائه:

يا وارد العين إن حقت زال الشك الذات عين الصفات ما في المعاني شك
ولا يصدنك عن شهود الذات رداء الجس المنشور على وجه المعاني. فإن
هذا الأمر من مذارك الأذواق والوجودان. لا من طريق دليل العقل والبرهان. ولله
ذر ابن الفارض حين يقول:

فتم وراء الثقل علم «يلق عن» مذارك غايات العقول السليمة
واعلم أن الذات لا تتجلى إلا في مظاهر الصفات. إذ لو تجلت بك واسطة
لاضمحلت المكونات وتلاشت. ولذلك يقولون: تجلي الذات جلالي. وتجلي
الصفات، جمالي؛ لأن تجلي الذات بلا واسطة، يمحق ويحرق. كما في
الحديث. وتجلي الصفات يكون بالأثر. فيكون معه الشهود والمعرفة؛ فهو
جمالي. ثم توسعوا فأطلقوا على كل ما هو جلالي ذات. وعلى كل ما هو جمالي
صفات على سبيل التشبيه. فقالوا: الفقر ذات. والغنا صفات. الذل ذات. والعز
صفات. الصنت ذات. والكلام صفات. وهكذا. وهذا الاصطلاح، ذكره شيخ
شيوخنا، سيدي علي الجمل العمراني رضي الله عنه في كتابه: ولا أدري هل سبق
به أم لا.

الأنوار والأسرار: الأنوار عبارة عما ظهر من كوائف التجليات. والأسرار:
عبارة عما بطن فيها من المعاني اللطيفة. فالأسرار أرق من الأنوار للذات. والأنوار
للصفات؛ لأنها أترها. فالذات بعد التجلي، بين أنوار ظاهرة، وأسرار باطنة. وأما
في حال الكثرية، فما كان إلا الأسرار. فالجبروت كله أسرار. والملكوث أنوار.
والملك أغيار وأكدار. فالوجود واحد. فمن نظر إلى باطنه، لم ير إلا الأسرار ومن
نظر إلى ظاهره بعين الجمع، لم ير إلا الأنوار. ومن نظره بعين الفرق، لم ير إلا
الأغيار. جمع غير بالسكون. ومن شغله عن التوجه إلى الله بتشغيبه وأهواله، كان
في حقل انجدار. وإنما سميت تجليات الحق أنواراً على وجه التشبيه. لأنه من
شأن النور أن يكشف الظلمة ويذهبها. وكذلك تجلي الحق، يكشف عن ظلمة
الجهل، ويظهر العلم به. ولذلك قالوا: العلم نور، والجهل ظلمة على وجه
الاستعارة. وأما السر فهو الأمر الخفي الذي لا يدرك. فلذلك قالوا في حق
الخميرية الأزلية. والمعاني القديمة أسراراً. وسموا الأرواح بعد النصفية أسراراً.

لأنها لما تصفَّت رجعت لأصلها؛ وهي قطعة من السِّرِّ الجبروتي القديم. فإذا استولت على الأشباح، رجع الجميع قديماً. والله تعالى أعلم.

وأما الضمائر والأسرار، فقبل معناهما واحد. وقيل السرائر أرق وأضفى. كما أن الروح أرق من القلب؛ لأنَّ الضمائر: كل ما خفي في الباطن. خيراً أو شراً. والسرائر كمن في المحاسن. والتحقيق: أنها شيء واحد. عبارة عما كمن فيه الباطن من العقائد والنيات بدليل الآية: ﴿يَوْمَ بُدِيَ السَّرَائِرُ﴾ والله تعالى أعلم.

النَّفْسُ: بالتحريك: قال القشيري، يعنون به ترويح القلوب، بلطائف الغيوب. فصاحب الأنفاس أرفع من صاحب الأحوال، ومن صاحب الوقت. فكأن صاحب الوقت مبتدئ. وصاحب الأنفاس منتهئ. وصاحب الأحوال بينهما. فالأوقات لصاحب القلوب. والأحوال لصاحب الأرواح. والأنفاس لأهل السرائر. قلت: النفس: أدق من الوقت. فحفظ الأوقات من التضييع للعباد والزهاد. وحفظ الأنفاس للعارفين الواصلين، واستعمال الأحوال للمريدين. والمراد بحفظ الوقت: حضور القلب فيه. وبحفظ النفس، حضور السر في مشاهدة الحق. يقال، فلان طابت أنفاسه، إذا صفا مشربه من عين التوحيد؛ من كدورة الأغيار. فقوله في حدِّ النفس: ترويح القلوب، أي خروجها من تعب العسة، ودوام المراقبة؛ إلى راحة المشاهدة. مما يبدو لها من لطائف أسرار التوحيد، وفضاء الشهود. ثم قال القشيري: وقالوا: أفضل العبادة حفظ الأنفاس. أي دوام الفكرة والنظرة. كما قال الشاعر:

مِنْ أَحْسَنِ الْمَذَاهِبِ سُكْرٌ عَلَى الدَّوَامِ
وَأَكْمَلِ الرَّغَائِبِ وَضَلُّ بِسَلَاةٍ صِرَامِ

قال أبو علي الدقاق: العارف لا يسلم له النفس، أي تضييعه. إذ لا مسامحة تجري معه. والمجيب لا بد له من النفس، إذ لولا ذلك لتلاشى. لعدم طاقته فالعارف، لما اتسعت معرفته، سهل عليه حفظ أنفاسه، لسهولة حضوره، وتمكن شهوده، بخلاف المجيب. فليضيق حاله، لا يستطيع دوام حضوره في خدمته. وعلى تقدير سهولها عليها، لفنائها فيها. وقد تخل بشريته. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «رَوْحُوا قُلُوبَكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْمُبَاحِ». أو كما قال ﷺ لِحُظَلَّةٍ وَالصَّدِيقُ: «لَوْ تَدْرُمُونَ كَمَا تَكُونُونَ عِنْدِي لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ. وَلَكِنْ سَاعَةٌ بِسَاعَةٍ».

الفكرة والنظرة: الفكرة جَوْلَانُ الْقَلْبِ، فِي تَجَلِّيَاتِ الرَّبِّ. وَقَالَ فِي الْحِكْمِ:

هي سَيْر القلب في مَيَادِين الأَعْيَار. وهذه فِكْرَة الطَّالِبِينَ. وفِكْرَة السَّائِرِينَ. سَيْر القلب في مَيَادِين الأنوار، وفِكْرَة الواصلين: سَيْر الرُّوح في مَيَادِين الأسرار. وترجع إلى فِكْرَتَيْن: فِكْرَة تصديق وإيمَان؛ وهي لأهل الاعتبار، من عَامَّة أَهْلِ اليمين، وفِكْرَة شهود وعِيَان. وهي لأهل الاستبصار، من نَجْبَاء المريدين، وخاصَّة العارفين المتمكِّين؛ وهي سراج القلب، فإذا ذَهَبَتْ فلا إضاءة لَهُ. وهي سَبَبُ العِنا الأَكْبَر؛ وبها يتحقق السَّيْر، ويخْصُل الوصول. فَمَنْ لَافِكْرَة لَهُ. لَافِكْرَة لَهُ. وَمَنْ لَافِكْرَة لَهُ، لَافِكْرَة لَهُ. وكان شيخنا البُورزَيْدي رضي الله عنه يقول: الفقيرُ بِلا فِكْرَة، كالخياطِ بِلا إِبْرَة. وأما النظرة؛ فهي أَرْقُ مِنَ الفِكْرَة وَأَرْفَعُ. لأنها مَبْدَأُ الشهود. فالجَوْلَانُ في الأكوَان، وهدمها وتلطيفها فِكْرَة. والنظر في نفسه أو غيره من التجليات. وغيبته عنها بشهود الحق نظرة. فإن تَمَكَّنَ مِنَ الشُّهُودِ ودَامَ فِيهِ. سُمِّيَ العكوفُ في الحَضْرَة. ولذلك يُقَالُ؛ أَوَّلُ المَقَامَاتِ ذِكْرٌ. ثم فِكْرَة، ثم نظرة، ثم عكوف في الحَضْرَة. والله تَعَالَى أَعْلَمُ.

الشَّاهِدُ: قال القشيري: قد يجري في كَلَامِهِمْ: فلانٌ بِشَاهِدِ العِلْمِ. وفلانٌ بِشَاهِدِ الوُجْدِ، وفلانٌ بِشَاهِدِ الحَالِ. ويريدون بلفظ الشَّاهِدِ: ما يكون حاضر قلب الإنسان. وَمَا هُوَ غَالِبٌ ذِكْرُهُ؛ لأنه يراه وَيُبْصِرُهُ. وإن كَانَ غَائِباً عَنْهُ. وكل ما يَسْتَوْلِي على قَلْبِ الإنسان فهو شاهده. فإن كان الغالب عليه ذِكْرُ العِلْمِ: فهو بِشَاهِدِ العِلْمِ. وإن كَانَ الغَالِبُ عليه الوُجْدُ؛ فَهُوَ بِشَاهِدِ الوُجْدِ. وَمَعْنَى الشَّاهِدِ: الحاضر. فكل ما هو حاضر قلبك؛ فهو بِشَاهِدِكَ.

الخَمْرَة وَالكَأْسُ وَالشَّرَابُ: أمَّا الخَمْرَة، فقد يطلقونها على الذات العَلِيَّة قَبْلَ التَّجَلِّي. وَعَلَى الأسرارِ القائمة بالأشياء بعد التَّجَلِّي. فيقولون: الخَمْرَة الأَزْلِيَّة تجلَّتْ بِكَذَا. وَمِنْ نَعْتِهَا كَذَا. وقامت بها الأشياء، تَسْتَرَأُ على سِرِّ الزبوية. وعليها عَنَى ابن الفارض في خمريته. وإنما سَمَّوها خمرية؛ لأنها إذا تجلَّتْ للقلوب غابَتْ عَن جِسْمِهَا، كما تغيب بالخَمْرَة الحَسْبِيَّة. وقد يطلقونها على نفس السُّكْر والوجد والوُجْدَانِ. ويقولون: كُنَّا فِي خَمْرَة عَظِيمَة، أي في غَيْبَة عَنِ الإحساسِ كَبِيرَة. وعلى ذَا عَنَى الشُّشْتَرِي حيث قال:

خَمْرُهُ سَادُونَ خَمْرِي خَمْرَتِي أَرْزَلِي

أي سُكْر خَمْرَة الدَّوَالِي دُونَ خَمْرَتِي. وأمَّا الكَأْسُ الذي تُشْرَبُ منه هذه الخَمْرَة، فهو كناية عن سَطْوَعِ أنوارِ التَّجَلِّي على القلوبِ، عِنْدَ هَيْجَانِ المَحَبَّةِ،

فَتَدْخُلُ عَلَيْهَا حَلَاوَةُ الْوُجُدِ حَتَّى تَغِيبَ . وَذَلِكَ عِنْدَ سَمَاعِ أَوْ ذِكْرِ أَوْ مُذَاكِرَةِ . وَقِيلَ : الْكَأْسُ هُوَ قَلْبُ الشَّيْخِ : فَقُلُوبُ الشُّيُوخِ الْعَارِفِينَ كَوُوسٌ لِهَذِهِ الْخَمْرَةِ ، يَسْقُونَهَا لِمَنْ صَحَبَهُمْ وَأَحَبَّهُمْ . وَالشَّرْبُ حُضُورُ الْقَلْبِ ، وَاسْتِعْمَالُ الْفِكْرَةِ وَالنَّظَرَةِ . حَتَّى تَغِيبَ عَنِ وُجُودِكَ فِي وُجُودِهِ ؛ هُوَ السُّكْرُ . فَالشَّرْبُ وَالْكَأْسُ مَتَّصِلَانِ فِي زَمَنِ وَاحِدٍ فِي هَذِهِ الْخَمْرَةِ . بِخِلَافِ خَمْرَةِ الدُّنْيَا . وَقَالَ الْقَطْبُ بْنُ مَشِيشٍ : الْمَحَبَّةُ آخِذَةٌ مِنَ اللَّهِ قَلْبَ مَنْ أَحَبَّ ، بِمَا يُكْشَفُ لَهُ مِنْ نُورِ جِمَالِهِ ، وَقَدْسٌ كَمَالِ جَلَالِهِ . وَشَرَابُ الْمَحَبَّةِ : مَزْجُ الْأَوْصَافِ بِالْأَوْصَافِ ، وَالْأَخْلَاقِ بِالْأَفْعَالِ . وَتَتَسَّعُ النَّظَرُ لِمَنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . وَالشَّرَابُ يَسْقِي الْقُلُوبَ وَالْأَوْصَالَ وَالْعُرُوقَ مِنْ هَذَا الشَّرْبِ . وَيَكُونُ الشَّرْبُ بِالتَّدْرِيبِ بَعْدَ التَّدْرِيبِ ، وَالتَّهْذِيبِ . فَيَسْقَى كُلَّ عَلَى قَدْرِهِ . فَمِنْهُمْ مَنْ يُسْقَى بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ . وَاللَّهُ يَتَوَلَّى ذَلِكَ مِنْهُ . قُلْتُ : وَهَذَا نَادِرٌ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْقَى مِنْ جِهَةِ الْوَسَائِطِ ، كَالْمَلَائِكَةِ وَالْعُلَمَاءِ ، وَالْأَكْبَارِ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ . ثُمَّ قَالَ : وَالْكَأْسُ مَغْرَفَةُ الْحَقِّ ، يُغْرَفُ بِهَا مِنْ ذَلِكَ الشَّرَابِ الطَّهْوَرِ الْمَخْضِ الصَّافِي لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ الْمَخْصُوصِينَ ، إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ . وَقَدْ فَسَّرْتَاهُ فِي شَرْحِ الْخَمْرِيَةِ .

الْمُرِيدُ وَالْفَقِيرُ ، وَالْمَلَامَتِيُّ وَالْمُقَرَّبُ : أَمَّا الْمُرِيدُ : فَهُوَ الَّذِي تَعَلَّقَتْ إِزَادَتُهُ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ ، وَدَخَلَ تَحْتَ تَرْبِيَةِ الْمَشَائِخِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ . وَأَمَّا الْفَقِيرُ . فَهُوَ الَّذِي افْتَقَرَ مِمَّا سِوَى اللَّهِ ، وَرَفُضَ كُلَّ مَا يُشْغَلُهُ عَنِ اللَّهِ . وَلِذَا قَالُوا : الْفَقِيرُ لَا يَمْلِكُ وَلَا يَمْلِكُ . أَي لَا يَمْلِكُ شَيْئًا ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ . فَهُوَ أَنْصَفُ مِنَ الْمُرِيدِ وَأَخْصُ ؛ لِأَنَّ الْمُرِيدَ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْأَسْبَابِ . وَقِيلَ : الْفَقِيرُ هُوَ الَّذِي لَا تُقَلِّهُ الْأَرْضُ ، وَلَا تُظِلُّهُ السَّمَاءُ . أَي لَا يَحْصِرُهُ الْكَوْنُ ، لَرَفْعِ هِمَّتِهِ . وَنَفُوذِ بَصِيرَتِهِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : شُرُوطُ الْفَقِيرِ أَرْبَعَةٌ :

رَفْعُ الْهِمَّةِ ، وَحَسَنُ الْخِدْمَةِ ، وَتَعْظِيمُ الْحُرْمَةِ ، وَنُفُوذُ الْعَزِيمَةِ . وَأَمَّا الْمَلَامَتِيُّ : فَقَالُوا : هُوَ الَّذِي لَا يُظْهِرُ خَيْرًا . وَلَا يُضْمِرُ شَرًّا . أَي هُوَ الَّذِي يَخْفِي بَيْتَهُ ، وَيُظْهِرُ مِنَ الْأَحْوَالِ ، مَا يُنْفِرُ النَّاسَ عَنْهُ . وَالْمُقَرَّبُ ، هُوَ الْمُحَقِّقُ بِالْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْفَقْرُ وَالْمَلَامَةُ وَالتَّقَرُّبُ ، أَنْوَاعٌ مِنَ التَّصَوُّفِ وَمُرَاتِبٌ فِيهِ . فَإِنَّ الصُّوفِيَّ هُوَ الْعَامِلُ فِي تَصْفِيَةِ وَقْتِهِ ، مِمَّا سِوَى الْحَقِّ . فَإِذَا سَقَطَ مَا سِوَى الْحَقِّ مِنْ يَدِهِ فَهُوَ الْفَقِيرُ . وَإِنْ كَانَ لَا يُبَالِي بِالنَّاسِ ، وَلَا يُظْهِرُ خَيْرًا ، وَلَا يُضْمِرُ شَرًّا ، فَهُوَ الْمَلَامَتِيُّ . وَالْمُقَرَّبُ : مَنْ كَمَلَتْ أَحْوَالُهُ . فَكَانَ بَرًّا لِرَبِّهِ ، وَلَيْسَ لَهُ عَنِ سِوَى الْحَقِّ أَخْبَارٌ ، وَلَا مَعَ غَيْرِ اللَّهِ قَرَارٌ .

الْعِبَادُ وَالرُّهَادُ وَالْعَارِفُونَ: هذه ألفاظ، مَعَانِيهَا متقاربة. يجمعها معنى التصوف في الجملة؛ الذي هو قصد التوجه إلى الله تعالى. إِلَّا أَنَّ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ كَانَ عَابِدًا، وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ التَّرَكُّ، كَانَ زَاهِدًا. وَمَنْ وَصَلَ إِلَى شُهُودِ الْحَقِّ وَرَسَخَ فِيهِ، كَانَ عَارِفًا. قَالَ الْعِبَادُ وَالرُّهَادُ، سَعَلَهُمْ بِخِدْمَتِهِ. إِذْ لَمْ يَصْلُحُوا لَصْرِيحِ مَعْرِفَتِهِ. وَالْعَارِفُونَ سَعَلَهُمْ بِمَحَبَّتِهِ. ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾.

الصَّالِحُونَ وَالْأَوْلِيَاءُ، وَالْبُدَلَاءُ، وَالنَّقَبَاءُ، وَالنُّجَبَاءُ، وَالْأَوْتَادُ، وَالْقُطْبُ: أَمَا الصَّالِحُونَ، فَهُمْ مَنْ صَلَّحَتْ أحوَالُهُمُ الظَّاهِرَةُ، وَاسْتَقَامَتْ أحوَالُهُمُ البَاطِنَةُ. وَأَمَا الْأَوْلِيَاءُ: فَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ بِذَلِكَ، عَلَى نَعْتِ الْعِيَانِ مِنَ الْوَلِيِّ: وَهُوَ الْقَرْبُ، وَقِيلَ: مَنْ تَوَالَتْ طَاعَتُهُمْ، وَتَحَقَّقَ قُرْبُهُمْ، وَاتَّصَلَ مَدَدُهُمْ. وَأَمَا الْبُدَلَاءُ: فَهُمْ الَّذِينَ اسْتَبَدَّلُوا الْمَسَاوِيءَ بِالْمَحَاسِنِ. وَاسْتَبَدَّلُوا صِفَاتِهِمْ بِصِفَاتِ مَحْبُوبِهِمْ. وَأَمَا النَّقَبَاءُ: فَهُمْ الَّذِينَ نَقَّبُوا الْكُونَ. وَخَرَجُوا إِلَى فِضَاءِ شُهُودِ الْمَكُونِ. وَأَمَا النُّجَبَاءُ. فَهُمْ السَّابِقُونَ إِلَى اللَّهِ، لِنجَابَتِهِمْ؛ وَهُمْ أَهْلُ الْجِدِّ وَالقَّرِيحَةِ مِنَ الْمُرِيدِينَ. وَأَمَا الْأَوْتَادُ: فَهُمْ الرَاسِخُونَ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ. وَهُمْ أَرْبَعَةٌ. كَانَهُمْ أَوْتَادُ لَأَرْكَانِ الْكُونَ الْأَرْبَعَةِ. وَأَمَا الْقُطْبُ: فَهُوَ الْقَائِمُ بِحَقِّ الْكُونَ وَالْمَكُونِ؛ وَهُوَ وَاحِدٌ. وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى مَنْ تَحَقَّقَ بِمَقَامٍ. وَعَلَى هَذَا، يَتَعَدَّدُ فِي الزَّمَانِ الْوَاحِدِ أَقْطَابُ فِي الْمَقَامَاتِ وَالْأحوَالِ وَالْعُلُومِ. يُقَالُ: فَلَانَ قُطْبَ فِي الْعُلُومِ. أَوْ قُطِبَ فِي الْأحوَالِ أَوْ قُطِبَ فِي الْمَقَامَاتِ. إِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا. فَإِذَا أُرِيدَ الْمَقَامُ الَّذِي لَا يَتَصَفَّ بِهِ إِلَّا وَاحِدٌ، عُبِّرَ عَنْهُ بِالْعُوثِ؛ وَهُوَ الَّذِي يَصِلُ مِنْهُ الْمَدَدُ الزُّوْحَانِي إِلَى دَوَائِرِ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ نَجِيبٍ وَنَقِيبٍ، وَأَوْتَادٍ، وَأَبْدَالٍ. وَهُوَ الْإِمَامَةُ وَالْإِزْثُ، وَالخِلَافَةُ الْبَاطِنَةُ، وَهُوَ رُوحُ الْكُونَ الَّذِي عَلَيْهِ مَدَارُهُ. كَمَا يَسِيرُ إِلَى ذَلِكَ. كَوْنُهُ بِمَثَلِ إِنْسَانٍ الْعَيْنِ مِنَ الْعَيْنِ. وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ لَهُ قِسْطٌ وَنَصِيبٌ مِنْ سِرِّ الْبَقَاءِ بِاللَّهِ. وَأَمَا تَسْمِيَتُهُ بِالْعُوثِ، فَمِنْ حَيْثُ إِغَاثَتُهُ الْعَوَالِمَ بِمَادَّتِهِ وَرَتَّبَتِهِ الْخَاصَّةَ. وَهُوَ عَلَامَاتٌ يُعْرَفُ بِهَا. قَالَ الْقُطْبُ الشَّهِيرُ، الْعَلَامَةُ: أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذِلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِلْقُطْبِ خَمْسَةٌ عَشْرَ عَلَامَةٍ. فَمَنْ أَدْعَاهَا، أَوْ شَيْئًا مِنْهَا، فَلْيَبْرَزْ بِمَدَدِ الرَّحْمَةِ وَالْعِصْمَةِ وَالخِلَافَةِ وَالنِّيَابَةِ، وَمَدَدِ حَمَلَةِ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَيَكْشِفْ لَهُ عَنْ حَقِيقَةِ الذَّاتِ، وَإِحَاطَةِ الصِّفَاتِ، وَيُكْرَمَ بِالْحُكْمِ وَالْفِعْلِ بَيْنَ الْوُجُودَيْنِ، وَانْفِصَالِ الْأَوَّلِ عَنِ الْأَوَّلِ. وَمَا انْفَصَلَ عَنْهُ إِلَى مَتْنَاهُ، وَمَا ثَبِتَ فِيهِ. وَحُكْمٌ مَا قَبْلُ، وَحُكْمٌ مَا بَعْدُ. وَعِلْمُ الْبَدءِ؛ وَهُوَ الْعِلْمُ الْمَحِيطُ بِكُلِّ عِلْمٍ، وَبِكُلِّ مَعْلُومٍ. وَمَا يَعُودُ إِلَيْهِ. فَالْعَلَامَةُ الْأُولَى:

أن يكون متخلقاً بأخلاق الرّحمة، على قَدَمه مَوروثه ﷺ، صاحب جِلْم ورأفة، وشفقة وعَفْوٍ وعقل ورزانة، وجود وشجاعة. كَمَا كَانَ مَوروثه ﷺ.

والعلامة الثانية: أن يُمدَّ بِمددِ العِصمة؛ وهي الحفظ الإلهي، والعِصمة الرّبّانية، كَمَا كَانَ مَوروثه ﷺ. غَيْرَ أَنَّهَا فِي الأنبياءِ واجِبَةٌ وفي الأولياءِ جائزة. ويُقال له: الحفظ. فلا يتجاوز حدّاً، وَلَا يَنْقُضُ عَهْداً.

والثالثة: الخِلافة: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، أَمِيناً عَلَى عِبَادِهِ، بِالْخِلافةِ النَّبَوِيَّةِ، قد بايعته الأزواج، وانقادت إليه الأشباح.

والرّابعة: النيابة: وهو أن يكون نائباً عن الحق، في تصريف الأخكام. حسبما اقتضته الحكمة الإلهية. وفي الحقيقة، ما ثم إلا القذرة الأزلية.

والخامسة: أن يُمدَّ بِمددِ حَمَلَةِ العَرْشِ، من القوة والقرب، فهو حامل عَرْشِ الأَكْوَانِ، كَمَا أَنَّ الملائكةَ حاملة عَرْشِ الرَّحْمَنِ.

والسادسة: أن يُكشَفَ له عن حقيقة الذات. فيكون عارفاً باللّه معرفة العيان. وأما الجاهل باللّه، فلا نصيب له في القطبانية.

والسابعة: أن يُكشَفَ له عن إحاطة الصفات بالكائنات. فلا مَكُون، إلا وهو قائم بالصفات، وأسرار الذات. ومعرفة القطب بإحاطة الصفات، أتم من غيره لأنها في حقه ذوقية لا علمية.

والثامنة: أن يكرم بالحكم والفضل بين الوجودين. أي بين الوجود الأول قبل التجلي؛ وهو المعبر عنه بالأزل. وبالكنز القديم. وبين الثاني؛ وهو الذي وقع فيه التجلي. والفضل بينهما أن يُعلم، أن الأول ربوبية بلا عبودية، ومغنى بلا حس، وقدرة بلا حكمة. بخلاف الثاني. فإنه متصف بالضدين: ربوبية وعبودية، ومعنى وحس، وقدرة وحكمة، ليتحقق فيه اسمه الظاهر، واسمه الباطن. فالضدان خاصة بالقبضة المتجلى فيها. وأما العظمة المحيطة بها، الباقية على كثرتها؛ فهي باقية على أصلها فأفهم.

والنابعة والعاشر: أن يكرم بالحكم، بانفصال الأول عن الأول. والمراد بانفصال الأول، انفصال نور القبضة، عن النور الأزلي الكنزي، وهو بحر الجبروت. والمراد بما انفصل عنه: ما تفرع من القبضة إلى منتهاها، من فروع التجليات. أي في الحال، وأما في المآل فلا انتهاء له؛ لأن تجليات الحق لا

تَنْقَطِعَ أَبَدًا. فَإِذَا انْقَضَى هَذَا الوجود الدنيوي، تجلَّى بِوُجُودٍ آخَرَ أَخْرَوِي وَلَا نِهَآيَةَ لَهُ.

وَالْحَادِيَةَ عَشَرَ: أَنْ يَعْلَمَ مَا ثَبَتَ فِي الْمُنْفَصَلَاتِ. مِنَ الْمَرَآيَا وَالْكَرَامَاتِ. أَوْ ضِدَّ ذَلِكَ: يَغْنِي فِي الْجُمْلَةِ. وَأَمَّا التَّفْصِيلُ، فَمِنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَةِ.

وَالثَّانِيَةَ عَشَرَ: أَنْ يَعْلَمَ حُكْمَ مَا قَبْلَ. أَيْ مَا قَبْلَ التَّجَلِّيِّ. وَحُكْمُهُ: هُوَ التَّنْزِيلُ الْمَطْلُوقُ؛ لِأَنَّهُ بَاقٍ عَلَى كَثْرِيَّتِهِ. لَمْ تَدْخُلْهُ الضَّدَانُ.

وَالثَّلَاثَةَ عَشَرَ: أَنْ يَعْلَمَ حُكْمَ مَا بَعْدَ: أَيْ يَعْلَمُ مَا لَا قَبْلَ لَهَا وَلَا بَعْدَ لَهَا؛ وَهِيَ الْحَمْرَةُ الْأَزَلِيَّةُ. وَالذَّاتِ الْأَصْلِيَّةُ. كَمَا قَالَ ابْنُ الْفَارُضِ:

فَلَا قَبْلَ لَهَا قَبْلَ وَلَا بَعْدَ لَهَا بَعْدَ وَقَبْلِيَّةِ الْأَبْعَادِ هِيَ لَهَا حَشْمٌ

وَالْخَامِسَةَ عَشَرَ: أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى عِلْمِ الْبَدءِ، وَالْمَرَادُ عِلْمُهُ تَعَالَى الْأَزَلِيِّ،

السَّابِقِ لِلْأَشْيَاءِ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ؛ وَهُوَ الْمَحِيطُ بِكُلِّ عِلْمٍ وَبِكُلِّ مَعْلُومٍ. إِذْ لَا يَخْرُجُ

تَعَالَى عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ، وَكُلُّ عِلْمٍ وَكُلُّ مَعْلُومٍ يَعُودُ إِلَيْهِ؛ وَهَذَا هُوَ سِرُّ الْقَدْرِ. فَقَدْ

يَكْشِفُ الْقَطْبُ عَلَى جُزْءٍ مِنْهُ، وَلَا يَشْتَرِطُ إِحَاطَتَهُ بِكُلِّيَّةِ الْأَشْيَاءِ وَجُزْئِيَّاتِهَا؛ لِأَنَّ

ذَلِكَ مِنْ وَظَائِفِ الرُّبُوبِيَةِ. وَإِنَّمَا يَطَّلِعُهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى جُزْئِيَّاتٍ مِنْ نَوْعِ مَخْصُوصِ

وَقَدْ أَشَارَ الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُرْزِي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ:

مَا مِنْ وَلِيِّ اللهِ كَانَ، أَوْ هُوَ كَائِنٌ، إِلَّا وَقَدْ أَطَّلَعَنِي اللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى اسْمِهِ وَسَمِيَّتِهِ،

وَحِظَهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى. وَقَالَ آخَرُ: مَا مِنْ نَظْفَةٍ تَقَعُ فِي الْأَرْحَامِ، إِلَّا وَقَدْ أَطَّلَعَنِي اللهُ

عَلَيْهَا؛ وَمَا يَكُونُ مِنْهَا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى. وَهَذَا مِنْ جَمَلَةِ الْكَرَامَاتِ الَّتِي أَنْحَفَ اللهُ

بِهَا أَوْلِيَاءَهُ. وَقَدْ يَكُونُ قُطْبًا وَهُوَ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ إِلَّا أَنَّهُ عَارَفَ

بِاللَّهِ، رَاسِخَ الْقَدَمِ فِي الْمَعْرِفَةِ. وَإِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُظْهِرَ شَيْئًا فِي مَمْلَكَتِهِ أَطَّلَعَهُ

عَلَيْهَا. وَقَدْ لَا يَطَّلِعُهُ. وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَاللهُ لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي

رَبِّي». قَالَ ذَلِكَ حِينَ ضَلَّتْ نَاقَتُهُ. فَلَمْ يَذَرِ أَيْنَ ذَهَبَتْ، فَتَكَلَّمَ بَعْضُ الْمُتَأَفِّقِينَ فِي

ذَلِكَ، ثُمَّ أَعْلَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهَا. وَبِالْجَمَلَةِ: فَالْإِطْلَاعُ عَلَى الْمُتَأَفِّقِيَّاتِ، مِنْ جَمَلَةِ

الْكَرَامَاتِ؛ وَهِيَ لَا تَشْتَرِطُ فِي الْوَلِيِّ، قُطْبًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ. وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَصَلَّى

اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم تَسْلِيمًا.

هَذَا آخِرُ مَا جَمَعْنَاهُ مِنْ حَقَائِقِ التَّصَوُّفِ، وَشَرَحَ مَا يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ حَقِيقَةٍ،

جَعَلَهُ اللهُ خَالصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ. وَأَدَامَ بِهِ النِّفْعَ الْعَمِيمَ. جَامِعُهُ: أَحْمَدُ بْنُ

مُحَمَّدٍ بِنَعِيجِيَّةِ الْحَسَنِيِّ. لَطَفَ اللهُ بِهِ فِي الدَّارَيْنِ آمِينَ. وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنَّ الْحَمْدَ

الله رب العالمين . لله در العارف الجليل ، والصوفي الشهير ، القطب الكامل ، سيدي ومولاي أحمد بن محمد بنعجيبه الحسني ، رضي الله عنه ، وقدس سرّه ، وجعلنا على هديه أمين . ناقله هنا عبد ربه ، وراجي عفوه ، عبد السلام بن عبد السلام بن أحمد العمراني الخالدي . وكان الفراغ من نقله هنا ، عشية يوم الثلاثاء خامس شوال عام 1399 هجرية ، الموافق الثامن وعشرين غشت سنة 1979 م .

شرح خمريه ابن الفارض رضي الله عنه

شَرَحَ خَمْرِيَّةُ ابْنَ الْفَارِضِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَقَى قُلُوبَ أَحِبَّائِهِ، مِنْ مُدَامَةِ حُبِّهِ. فَأَصْبَحُوا مِنْ سَكْرِ مَحَبَّتِهِ مُتَوَلِّهِينَ. غَيَّبَهُمْ عَنْ شُهُودِ غَيْرِهِ بِدَوَاعِ شُهُودِ سِرِّهِ فَأَضْحَوْا فِي رِيَاضِ مَلَكُوتِهِ مُتَنَزِّهِينَ. جَذَبَ أَرْوَاحَهُمْ بِحَضْرَةِ قُدْسِهِ. فَصَارُوا فِي خَلَوَاتِهِمْ بِهٍ مُتَأَنِّسِينَ وَهَيَأَ أَسْرَارَهُمْ لِحَمَلِ أَعْبَاءِ مَعْرِفَتِهِ. فَخَاضُوا فِي بَحَارِ جَبْرُوتِهِ بِسُفُنِ أَفْكَارِهِمْ سَابِحِينَ. وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ أَمْتَدَّتْ مِنْ سِرِّ نَاسُوتِهِ الْأَكْوَانَ. وَأَشْرَقَتْ مِنْ نُورِ لَاهُوتِهِ حَقَائِقُ الْعَرْفَانِ. وَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْكِرَامِ. أَمَا بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ وَقَبْلَهُ فَعَلِمَ التَّوْحِيدَ مِنْ أَجْلِ الْعُلُومِ وَأَحَقَّ مَا تَنَفَّقَ فِيهِ نَتَائِجُ الْفُهُومِ. وَكَيْفَ لَا وَمَوْضُوعَهُ الذَّاتَ الْعَلِيَّةَ وَأَوْصَافَهَا السَّنِّيَّةَ وَأَسْمَاؤَهَا الزُّكِيَّةَ. وَبِهِ يَقَعُ الْخُلُودُ فِي نَعِيمِ الْجَنَّاتِ. وَالْفَوْزُ بِالْقُرْبِ مِنَ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ، وَهُوَ مُنْقَسَمٌ عَلَى قَسْمَيْنِ: تَوْحِيدِ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ، وَهُوَ لِعَامَّةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَتَوْحِيدِ الشُّهُودِ وَالْعِيَانِ، وَهُوَ لِحَوَاصِ أَهْلِ الْإِحْسَانِ مِنْ أَهْلِ الدُّوْقِ وَالْوَجْدَانِ شَرِبُوا كُؤُوسَ الْمَحَبَّةِ، فَسَكَرُوا وَغَابُوا عَنِ الْوُجُودِ. ثُمَّ صَحُوا مِنْ سَكْرَتِهِمْ فَتَمَتَّعُوا بِحِلَاوَةِ النَّظَرَةِ وَالشُّهُودِ. فَيَا لَهُ مِنْ شَرَابٍ مَا أَعَذَّبَهُ وَمِنْ مَنَهْلِ مَا أَحْسَنَهُ، بَيْعَ الثُّفُوسِ فِي إِذْرَاكِهِ حَقِيرًا، وَبِذَلِ الْأَرْوَاحِ وَالْمُهْجِ فِي تَيْلِهِ نَزْرًا يَسِيرًا. وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

إِنْ كَانَ سَفْكَ دَمِي أَقْصَى مُرَادِكُمْ فَمَا عَلَتْ نَظْرَةَ مِنْكُمْ بِسَفْكِ دَمِي

وَمِمَّنْ أَحْرَزَ السَّبْقَ فِي هَذَا الْمَيْدَانِ وَكَانَ لَهُ مِنْ هَذَا السَّرِّ الْخَطْوَةَ وَالشَّانَ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَأَعْظَمَهُمْ فِي ذَلِكَ سَيِّدُ الْأَنَامِ نَبِيْنَا عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ. إِذْ مِنْ بَحْرِ سِرِّهِ فَاضَتْ أَسْرَارُهُمْ، وَمِنْ شَمْسِ نُورِهِ انْفَلَقَتْ أَنْوَارُهُمْ، وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ عَرْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيْمِ. ثُمَّ وَرِثَ عَنْهُمْ ذَلِكَ حَوَاصِ أَوْلِيَائِهِ، وَصَفْوَةِ أَحْبَائِهِ. جَاهَدُوا نَفُوسَهُمْ بِأَنْوَاعِ الرِّيَاضَاتِ، وَكَابَدُوا فِي طَلَبِ مَحْبُوبِهِمْ أَقْصَى الْغَايَاتِ. صَدَقُوا رَبَّهُمْ فِي الْمَعَامَلَاتِ، وَرَفَّضُوا الْحُطُوطَ وَالشَّهَوَاتِ فَحَصَلَ لَهُمُ الْمِيرَاثُ الْعَظِيمُ بَعْدَ تَحْقِيقِ

نسبة القرابة المعنوية. بيّنة شهوده عقد المحبة. وأحكام رابطة الصّحة. وبروز نطفة العناية من صلب الولاية، وعلوقها في مشيئة الإرادة، وظهور جنين السعادة، ثم تربيته في عش أهل المعرفة بين أبوي المراقبة والمجاهدة. ثم تغذيته بلبن علم اليقين إلى أوان فطامه بشهود رب العالمين. فهذا هو العلم الموروث عن الأنبياء عليهم السلام، لا التوحيد الذي يُنتجه الدليل والبُرهان ويعتريه الزيادة والنقصان، إذ قد تعرض له الشكوك والأوهام، التي هي محال في حق الأنبياء عليهم السلام، ومن تحقق بهذا الميراث الرفيع، والسر البديع، سلطان العشاق، وإمام الحدائق العارف الربّاني والحبر الصمداني شرف الدين أبو جعفر عمر بن علي بن المرسف المعروف بابن الفارض السّغدي الأصل المصري الدار والمولود والوفاة. كان رضي الله عنه أعجوبة زمانه وفريده عصره وأقرانه وُلد رضي الله عنه سنة ست وسبعين وخمسائة بالقاهرة، وتوفي بها سنة اثنين وثلاثين وست مائة. ودفن بسفح المقطم خارج مصر، وعليه قبة عظيمة، ومزارة شهيرة، نفعنا الله ببركاته. قال في الديوان ناقلاً عن ولد الشيخ؛ كان الشيخ رضي الله عنه معتدل القامة، جميل الوجه، مشوباً بحُمْرة، وإذا استمع وتواجد وغلب عليه الحال، يزداد وجهه جمالاً ونوراً، وينحدر العرق من جسده حتى يسيل إلى الأرض. وكان عليه نور وجلالة وهيبة، وكان إذا حضر في مجلس يظهر على ذلك المجلس سكينته. وكان يحضر مجلسه أكابر الدولة من الأمراء، والوزراء، والقضاة، ورؤساء الناس، وهم في غاية ما يكون من الأدب والاتضاع له، وإذا خاطبوه كأنما يخاطبون ملكاً عظيماً. وإذا مشى في المدينة يزدحم الناس عليه، يلتسمون منه البركة والدعاء. ويقصدون تقبيل يده فلا يمكن أحداً من ذلك بل يُصافحه، وكانت ثيابه حسنة، وزائحته طيبة، وكان ينفق على من يرد عليه نفقة مُتسعة، ويعطي من يده عطاءً جزيلاً، ولم يكن يتسبب في شيء من تحصيل الدنيا، ولا يقبل من أحد شيئاً. وبعث إليه السلطان ألف دينار فَرَدّها إليه. وسأله أن يُجهز له قبراً عند أمه، في قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه فلم يأذن له في ذلك، ثم سأله أن يُجهز له مكاناً يكون مزاراً يُعرف به، فلم ينعّم له بذلك.

قال رضي الله عنه: كُنْتُ في أوّل تجريدي، أستاذن والدي، وأطلع إلى وادٍ المستضعفين بالجبل الثاني من المقطم وأوي فيه، وأقيم في هذه السياحة ليلاً ونهاراً، ثم أعود إلى والدي من أجل برّه، ومراعات قلبه، وكان والدي يؤمّنني خليفة الحكم العزيز بالقاهرة ومصر، وكان من أكابر أهل العلم والعمل فيجد

شروراً برُجوعي إليه، ويُلزمني الجلوسَ معه في مجالس الحكم ومَدارس العِلْم، ثم اشتاق إلى التجريد، وأستأذنه، وأعود إلى السياحة. وما برِخت أفعل ذلك مرّة بعد مرّة، إلى أن سئل والدي أن يكون قاضي القضاة، فامتنع ونزل عن الحكم واعتزل الناس والسياحة، وسُلوك طريق الحقيقة، فلم يُفتح لي شيء، فرجعت من السياحة يوماً إلى المدينة ودخلت المدرسة اليوسفية فوجدت رجلاً شيخاً بقالاً على باب المدرسة، يتوضأ وضوءاً غير مرتّب، غسل يديه ثم غسل رجليه، ثم مسح برأسه، ثم غسل وجهه. فقلت له يا شيخ: أنت في هذا السن في دار الإسلام وبين فقهاء المسلمين، وأنت تتوضأ وضوءاً خارجاً عن الترتيب الشرعي، فنظر إلي وقال: يا عمر أنت ما يفتح عليك بمضر، وإنما يفتح عليك بالحجاز، في مكة شرفها الله، فأقصدها. فقد حان لك وقت الفتح. فعلمت أن الرجل من أولياء الله، وأنه يتستّر بإظهار الجهل، فجلست بين يديه، وقلت: يا سيدي أين أنا وأين مكة؟ لا أجد ركباً ولا رُفقة في غير أشهر الحج، فنظر إلي وأشار وقال: هذه مكة أمامك فنظرت معه فرأيت مكة شرفها الله فتركته وطلبتها فلم تبرح أمامي إلى أن دخلتها في ذلك الوقت. وجاءني الفتح حين دخلتها، وترادف ولم ينقطع. قال رضي الله عنه: ثم شرعت في السياحة في أوديتها وكنت أستأنس بالروحس ليلاً ونهاراً، فأقمت بوادٍ كان بينه وبين مكة عشرة أيام للركاب المجدد، وكنت آتي منه كل يوم وليلة، وأصلي في الحرم الشريف الصلوات الخمس ومعِي سُبُع عظيم، يصحني في ذهابي وإيابي، وينخ إلي كما ينخ بجمل ويقول: يا سيدي اركب، فما ركبته قط. ثم بعد خمسة عشر سنة، سمعت الشيخ البقال ينادي: يا عمر، تعال إلى القاهرة، أحضر وقاتي، فأتيته مسرعاً، فوجدته قد اخضر فسلمت عليه وسلم علي، وناولني دنانير ذهب. وقال: جهّز لي بهذه وافعل كذا وكذا. . واعط حاملة نعشي إلى القرافة كل واحد ديناراً، واتركني على الأرض في هذه البقعة، وأشار بيده إليها فلم تزل بين عيني أنظر إليها وهي القرافة عند مجرى السيل تحت المسجد المعروف بالأرض بالقرب من مراكع موسى، بسفح جبل المقطم. وانتظر قدوم رجل يهبط إليك من الجبل وصل أنت وهو علي، وانتظر ما يفعل الله في أمري. قال رضي الله عنه: فلما توفي جهّزته كما قال، وطرحته في البقعة المباركة كما أمرني، فهبط رجل من الجبل كما يهبط الطائر المسرع لم أره يمشي على رجليه، فعرفته بشخصه، كنت أراه يصفع قفاه بالأسواق. فقال: يا عمر تقدّم، فصل بنا على الشيخ. فتقدّمت وصليت إماماً، ورأيت طيوراً خضراً وبيضا صفواً بين السماء

والأرض يُولُونَ مَعَنَا، وَرَأَيْتُ طَائِرًا مِنْهُمْ أَخْضَرَ عَظِيمَ الْخَلْقَةِ، قَدْ هَبَطَ عِنْدَ رِجْلَيْهِ
وَابْتَلَعَهُ، وَازْتَفَعَ إِلَيْهِمْ وَطَارُوا جَمِيعًا، وَلَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ إِلَى أَنْ غَابُوا عَنَّا.
فَقَالَ: يَا عُمَرُ، أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ أَرْوَاحَ الشَّهَدَاءِ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ
حَيْثُ شَاءَتْ؟ هُمْ شُهَدَاءُ السُّيُوفِ. وَأَمَّا شُهَدَاءُ الْمَحَبَّةِ، فَكُلُّهُمْ، أَجْسَادُهُمْ
وَأَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرٍ. وَهَذَا الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَا عُمَرُ. وَأَنَا كُنْتُ مَعَهُمْ.
وَإِنَّمَا وَقَعَتْ مِنِّي هَفْوَةٌ، فَطَرَدْتُ عَنْهُمْ. فَأَنَا أَصْفَعُ قَفَايَا نَدْمًا وَتَادِيًا عَلَى تِلْكَ
الْهَفْوَةِ. ثُمَّ ارْتَفَعَ الرَّجُلُ إِلَى الْجَبَلِ كَالطَّائِرِ إِلَى أَنْ غَابَ عَنِّي. قَالَ وَلَدُهُ: وَفِي هَذِهِ
الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ، دَفَنَ الشَّيْخُ حَسَبَ وَصِيَّتِهِ. وَضَرِيحُهُ بِهَا مَعْرُوفٌ. قُلْتُ: وَقَدْ تَقَدَّمَ
ذَلِكَ. قَالَ حَفِيدُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ قُلْتُ فِي ذَلِكَ أُبَيَاتًا:

جُرْ بِالْقَرَأَةِ تَحْتَ ذَيْلِ الْعَارِفِ وَقُلِ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الْفَارِضِ
أَبْرَزْتَ فِي نَظْمِ السُّلُوكِ عَجَائِبًا وَكَشَفْتَ عَن سِرِّ مَضُومٍ غَامِضِ
وَشَرِبْتَ مِنْ بَحْرِ الْمَحَبَّةِ وَالْوَفَا فَرَوَيْتَ مِنْ بَحْرِ مُحِيطِ غَامِضِ

قال الشيخ رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ في النوم. فقال لي: يا
عمر، لم تنتسب؟ فقلت: يا رسول الله إلى بني سعد، قبيلة حليمة السعدية
مُرَضَعَتِكَ فقال ﷺ: لَا بُدَّ أَنْتَ مِنِّي. وَنَسَبُكَ مُتَّصِلٌ بِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ.
إِنِّي أَخْفِظُ نَسَبِي عَنِ أَبِي وَجَدِّي. إِلَى بَنِي سَعْدِ. فَقَالَ: لَا - مَاذَا بِهَا صَوْتُهُ - بَلْ
أَنْتَ مِنِّي. وَنَسَبُكَ مُتَّصِلٌ بِي. فَقُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. مَكْرَرًا لِذَلِكَ. وَهَذِهِ
النَّسَبَةُ، إِمَّا أَنْ تَكُونَ نِسْبَةُ الْأَهْلِيَّةِ؛ أَوْ نِسْبَةُ الْمَحَبَّةِ. وَنِسْبَةُ الْمَحَبَّةِ أَشْرَفُ مِنْ نِسْبَةِ
الْأَبْوَةِ؛ وَهِيَ الَّتِي قَرَّبَتْ بِلَاؤًا وَضَهْنِيًا، وَسَلَّمَانَ الْفَارِسِيِّ مِنَ أَهْلِ الْبَيْتِ. وَأَبْعَدَتْ
أَبَا طَالِبٍ وَأَبَا جَهْلٍ. وَإِلَى هَذَا، أَشَارَ الشَّيْخُ فِي قَصِيدَتِهِ الْيَائِيَةِ، حَيْثُ قَالَ:

نَسَبٌ أَقْرَبُ فِي شَرَعِ الْهَوَى بَيْنَنَا مِنْ نَسَبٍ مِنْ أَبْوَى

فَقُلْتُ: وَقَدْ رُمِيَ الشَّيْخُ ابْنَ الْفَارِضِ، بِمَا رُمِيَ بِهِ غَيْرُهُ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ.
كَالشُّشْتَرِيِّ، وَابْنِ سَبْعِينَ، مِنَ الْحُلُولِ وَالْإِتْحَادِ. حَتَّى أَنْ بَعْضَ أَهْلِ الظَّاهِرِ نَهَى
قِرَاءَةَ تَائِيَتِهِ؛ الَّتِي سَمَّاهَا: أَنْفَاسُ الْجَنَانِ، وَنَفَاسُ الْجَنَانِ. ثُمَّ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
فَقَالَ لَهُ: سَمَّاهَا نَظْمَ السُّلُوكِ، فَسَمَّاهَا بِذَلِكَ. ثُمَّ امْتَحَنَ النَّاهِي بِمُصِيبَةٍ، فَتَابَ
وَرَجَعَ عَنِ ذَلِكَ. فَقَالَ حَفِيدُهُ: وَكَيْفَ يَتَصَوَّرُ مِنَ الشَّيْخِ أَنْ يَمِيلَ فِي قَصِيدَتِهِ إِلَى
الْحُلُولِ. وَقَدْ نَزَّ عَقِيدَتُهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ فِيهَا:

وَكَيْفَ بِاسْمِ الْحَقِّ ظَلَّ تَحْقِيقِي تَكُونُ أَرَاجِيفُ الضَّلَالِ مُخِيفَتِي

وَمَا دَخِيَّةٌ وَأَقَى الْأَمِينِ تَبِيئَنَا
أَجْبِرِيلُ قُلِّ لِي كَانَ دَخِيَّةٌ إِذْ بَدَا
وَفِي عِلْمِهِ عَنِ حَاضِرِهِ مَزِيَّةٌ
يَرَى مَلَكًا يُوجِي إِلَيْهِ وَعَئِيرُهُ
وَلِي مِنْ أَتَمِّ الرُّؤْيَيْنِ إِشَارَةٌ

وَمَعْنَى كَلَامِ الشَّيْخِ: أَنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ كَصُورَةِ جِبْرِيلَ، حِينَ تَصَوَّرَ عَلَى صُورَةِ دَخِيَّةٍ. فَظَاهِرُهُ دَخِيَّةٌ، وَبَاطِنُهُ جِبْرِيلُ. فَإِذَا حَقَّقْتَ، لَمْ تَجِدْ إِلَّا جِبْرِيلَ. وَلَا حُلُولَ وَلَا اتِّحَادَ. إِذْ لَا شَيْءَ مَعَهُ. وَكَذَلِكَ الْكَوْنَ مَعَ نُورِ الْحَقِّ، اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. فَافْتَهَمَ. قُلْتُ: وَلِلشَّيْخِ قِصَائِدٌ كَثِيرَةٌ، جَمَعَهَا حَفِيدُهُ فِي دِيْوَانٍ مُسْتَقِلٍّ. وَأَشْهَرُهَا وَأَنْفُسُهَا تَائِيَةٌ: نَظْمُ السُّلُوكِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا. كَانَ يَقُولُ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَذِهِ الْقِصِيدَةُ الْعَرَاءُ. وَالْفَرِيدَةُ الزُّهْرَاءُ. لَمْ يُنْسَخْ عَلَى مَثْوَالِهَا. وَلَا يُسْمَخُ خَاطِرٌ بِمَثَالِهَا. تَكَادُ تَخْرُجُ عَنْ وَسْعِ طُورِ الْبَشْرِ. وَحَكَى جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ. مِمَّنْ كَانُوا يَصْحَبُونَ الشَّيْخَ وَيُبَاطِنُونَهُ: إِنَّ الشَّيْخَ لَمْ يَكُنْ نَظَمَهَا عَلَى حَدِّ نَظْمِ الشُّعْرَاءِ. بَلْ كَانَ يَحْضُلُ لَهُ جَذَبَاتٌ، يَغِيبُ فِيهَا عَنْ حَوَاسِهِ الْأَيَّامُ، نَحْوَ الْأَسْبُوعِ وَالْعَشِيرَةِ. فَإِذَا أَفَاقَ أَمَلَى مَا يُفْتَحُ عَلَيْهِ مِنْهَا مِنَ الثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعِينَ وَالْخَمْسِينَ بَيْتًا. ثُمَّ يَدْعُ، حَتَّى يَعاوِدَهُ ذَلِكَ الْحَالُ. قُلْتُ: وَيَقْرُبُ مِنْهَا قِصِيدَتُهُ الْمِيمِيَّةُ الْخَمْرِيَّةُ. الَّتِي أَرَدْنَا الْكَلَامَ عَلَيْهَا. بَلْ هِيَ أَغْدَبُ مِنْهَا لَفْظًا، وَأَسْلَسُ مِنْهَا نَظْمًا. لَا يَنْطِقُ بِهَا إِلَّا لِسَانُ مَلَكُوتِي. وَقَلْبُ جِبْرُوتِي. بَالَعَ فِيهَا فِي مَذْحِ الْخَمْرَةِ الْأَزْلِيَّةِ. وَأَبْدَى فِيهَا أَسْرَارَ الْحَقِيقَةِ الْغَيْبِيَّةِ، كَشَفَ فِيهَا رِذَاءَ الصُّونِ عَنْ أَسْرَارِ جِبْرُوتِي. وَأَنْوَارِ مَلَكُوتِي. فَجَزَّاهُ اللَّهُ عَنَّا أَحْسَنَ الْجَزَاءِ. لَقَدْ قَرَّبَ الْمَدَارِكُ. وَبَيَّنَّ الْمَسَالِكَ فِي أَوْجَزِ عِبَارَةٍ. وَأَرْشَقِ إِشَارَةٍ. فَأَرَدْنَا بِعَوْنِ اللَّهِ أَنْ نَضَعَ لَهَا تَقْيِيدًا مُخْتَصِرًا، يُبَيِّنُ أَلْفَاظَهَا، وَيُجَلِّ مَعْنَاهَا. بَعْدَ الِاسْتِخَارَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالِإِشَارَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ؛ وَهَذَا أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي التَّقْيِيدِ الْمَذْكُورِ. مُعْتَمِدًا عَلَى حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ. وَمَا يُفْتَحُ بِهِ الْحَقُّ تَعَالَى مِنْ مَوَاهِبِ مِثْنَيْهِ. فَأَقُولُ، وَبِهِ أَحْوَلُ وَأَصُولُ. قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

شَرِينَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَزْمُ
قُلْتُ: الْمُدَامَةُ وَالْمُدَامُ: اسْمٌ لِلْخَمْرِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَحِبُّ دَوَامَهَا
عِنْدَهُمْ. فَسَمَّوْهَا بِهِ تَفَاوُلًا. وَالْكَزْمُ: شَجَرُ الْعَيْبِ. وَالْعَيْبُ نَفْسُهُ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ

عنه: شربنا على إثر ذكر الحبيب بالقلوب والأزواج خمرة صافية في مقام الصفا. سكرنا بها، فعبتنا عن الإحساس. ورأينا أنوار الحبيب في كل شيء، ومع كل شيء. وقبل كل شيء، وبعد كل شيء، فعيينا السكر عن ظلمة الأكوان الحادثة، وأبصرنا أنوار القدم الباقية. قلت: وقد أشرت إلى هذا المعنى في عيني فقلت:

سَكِرْنَا فَهَمْنَا فِي بَهَاءِ جَمَالِهِ وَغَبْنَا عَنِ الْإِحْسَاسِ وَالثُّورِ سَاطِعِ
تَبَدَّتْ لَنَا شَمْسُ النَّهَارِ وَأَشْرَقَتْ فَلَمْ يَبْقَ ضَوْءُ النُّجْمِ وَالشَّمْسُ طَالِعِ
يقول رضي الله عنه: وقع لنا هذا السكر بالخمرة الأزلية المعنوية. قبل أن يوجد الكرم؛ التي تكون منه الخمرة الحسية. وإلى هذا المعنى، أشار المشتري رضي الله عنه بقوله:

لَأَشْرَابِ السُّدُورِ إِنَّهَا أَرْضِيَا
خَمْرُهَا دُونَ خَمْرِي خَمْرِي أَرْضِيَا

فقوله: سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم، يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا السُّكْرُ بَعْدَ ظُهُورِ عَالَمِ الْأَشْبَاحِ. وَأَنَّ الرُّوحَ سَكِرَتْ عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ بِخَمْرَةِ أَرْزَلِيَّةٍ. قَبْلَ ظُهُورِ الْعَيْبِ الَّذِي تَكُونُ مِنْهُ الْخَمْرَةُ الْحَسِيَّةُ الْأَرْضِيَّةُ. وَالْمُرَادُ، أَنَّهُ سَكِرَ بِخَمْرَةِ مَعْنَوِيَّةٍ قَبْلَ ظُهُورِ مَادَّةِ الْخَمْرِ الْحَسِيَّةِ؛ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا السُّكْرُ لِلرُّوحِ فِي الْأَرْزَلِ، فِي عَالَمِ الْأَزْوَاجِ، قَبْلَ ظُهُورِ عَالَمِ الْأَشْبَاحِ. فَيَكُونُ قَوْلُهُ: قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْكَرْمَ، عَلَى ظَاهِرِهِ. أَيْ قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ مَادَّةُ الْخَمْرَةِ الْحَسِيَّةِ. وَيُؤَيِّدُ قَوْلَهُ فِيمَا يَأْتِي: فَعِنْدِي مِنْهَا نَشْوَةٌ قَبْلَ نَشَأَتِي - الْبَيْتِ - . وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَالْإِحْتِمَالُ الْأَوَّلُ أَظْهَرُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَسُمِّيَتْ الْعَيْنِيَّةُ فِي اللَّهِ سُكْرًا. لِأَشْرَاقِهَا مَعَ السُّكْرِ الْحَسِيِّ فِي الْعَيْنِيَّةِ عَنِ الْحَسِّ. فَإِنَّ ثُورَ الْعَقْلِ، كَمَا يُسْتَرُّ بِالظُّلْمَةِ الطِّينِيَّةِ؛ وَهِيَ النُّشْوَةُ النَّاشِئَةُ عَنِ الْخَمْرَةِ الْحَسِيَّةِ. كَذَلِكَ يُسْتَرُّ بِالْأَنْوَارِ الْمَعْنَوِيَّةِ، الْمَفَاجِئَةِ لَهُ مِنَ الْخَمْرَةِ الْأَرْزَلِيَّةِ. فَيَغِيبُ عَنِ الْإِحْسَاسِ. فَلِذَلِكَ سَمَّوْا تِلْكَ الْعَيْنِيَّةَ سُكْرًا. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَهَاهُنَا اضْطِرَاحَاتٌ لِلْقَوْمِ. نَذَكُرُ مِنْهَا مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ فَهْمُ كَلَامِ النَّاطِقِ مِنْهَا: الدُّوقُ، وَالسُّزْبُ، وَالسُّكْرُ، وَالصَّخْوُ، وَمِنْهَا الْحَسُّ وَالْمَعْنَى. وَمِنْهَا الْقُدْرَةُ وَالْحِكْمَةُ. وَمِنْهَا الْوُجُدُ وَالْوُجْدَانُ، وَالْوُجُودُ. وَمِنْهَا الْجَمْعُ وَالتَّفْرِيقَةُ. أَمَّا الدُّوقُ؛ فَهُوَ بَرُوقُ أَنْوَارِ الدَّاتِ الْقَدِيمَةِ عَلَى الْعَقْلِ. فَيَغِيبُ عَنِ رُؤْيَا الْحُدُوثِ، فِي أَنْوَارِ الْقَدَمِ. لِكِنَّهُ لَا يَدُومُ ذَلِكَ. بَلْ يَلْمَعُ تَارَةً. وَيَخْفَى أُخْرَى، فَإِذَا لَمَعَ غَابَ عَنِ حِسِّهِ. وَإِذَا خَفِيَ

رَجَعَ إِلَى حِسِّهِ؛ وَرُؤْيَا نَفْسِهِ. فَهَذَا يُسَمَّى عِنْدَهُمْ ذَوْقًا. فَإِنْ دَامَ لَهُ ذَلِكَ الثَّوْرُ سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ فَهُوَ الشَّرْبُ. وَإِذَا اتَّصَلَ وَدَامَ فَهُوَ السُّكْرُ. وَمَرْجَعُهُ إِلَى فَنَاءِ الرُّسُومِ، فِي شُهُودِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ. وَالغَيْبَةُ عَنِ الْأَثَرِ، فِي شُهُودِ الْمُؤَثَّرِ. وَيُسَمَّى أَيْضًا بِالْفَنَاءِ. فَإِنْ رَجَعَ إِلَى إِبْتِاتِ الْأَشْيَاءِ بِاللَّهِ، وَقِيَامِهَا بِهِ. وَرَأَى ثَوْرًا مِنْ أَثْوَارِهِ، لَا وَجُودَ لَهَا مَعَهُ. فَهُوَ الصَّخْوُ. وَيُسَمَّى أَيْضًا الْبَقَاءَ؛ لِإِبْقَاءِ الْأَشْيَاءِ بِاللَّهِ بَعْدَ فَنَائِهَا بِنُورِهِ الْبَصِيرَةِ فِي اللَّهِ. وَقَدْ أَشَارَ صَاحِبُ الْحِكْمِ الْعَطَائِيَّةِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: شِعَاعُ الْبَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ قَرَبَ الْحَقِّ مِنْكَ. وَعَيْنُ الْبَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ عَدَمَكَ لَوْجُودِهِ. وَحَقُّ الْبَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ وَجُودَ الْحَقِّ. لَا عَدَمَكَ وَلَا وَجُودَكَ. كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ. وَقَالَ أَيْضًا فِي بَيَانِ السُّكْرِ وَالصَّخْوِ، وَبَيَانِ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ. فَقَالَ بَعْدَ كَلَامٍ: وَصَاحِبُ حَقِيقَةٍ: غَابَ عَنِ الْخَلْقِ بِشُهُودِ الْمَلِكِ الْحَقِّ. وَفَتَى عَنِ الْأَسْبَابِ، بِشُهُودِ مَسَبِّبِ الْأَسْبَابِ. فَهَذَا عِبْدٌ مُوَاجِهٌ بِالْحَقِيقَةِ. ظَاهِرٌ عَلَيْهِ سَنَاهَا سَالِكٌ لِلطَّرِيقَةِ. قَدْ اسْتَوْلَى عَلَى مَدَاهَا، غَيْرَ أَنَّهُ غَارِقٌ الْأَثْوَارِ. مَطْمُوسٌ الْأَثَارِ. قَدْ غَلَبَ سُكْرُهُ عَلَى صَحْوِهِ، وَجَمَعَهُ عَلَى فَرْقِهِ وَغَيْبَهُ عَلَى حُضُورِهِ. وَأَكْمَلَ مِنْهُ رَجُلٌ شَرِبَ فَازْدَادَ صَخْوًا. وَغَابَ فَازْدَادَ حُضُورًا. فَلَا جَمْعَهُ يَحْجُبُهُ عَنِ فَرْقِهِ. وَلَا فَرْقُهُ يَحْجُبُهُ عَنِ جَمْعِهِ. وَلَا فَنَائُهُ يَصُدُّهُ عَنِ بَقَائِهِ. وَلَا بَقَائُهُ يَصْرِفُهُ عَنِ فَنَائِهِ. يُغْطِي كُلَّ ذِي قَسْطٍ قَسْطُهُ. وَيُوفِي كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ، وَأَمَّا الْوُجُدُ فَهُوَ وَارِدٌ يُحْرِكُ الْقَلْبَ وَيُزْعِجُهُ. إِمَّا شَوْقٌ مُقْلِقٌ، فَيُثِيرُ بَسْطًا وَسُرُورًا. وَإِمَّا خَوْفٌ مُزْعِجٌ فَيُثِيرُ قَبْضًا وَحُزْنَ. أَمَّا الْوُجُدَانُ فَهُوَ: دَوَامُ خَلَاوَةِ الشُّهُودِ، وَاتِّصَالِهَا لِلوَاجِدِ. مَعَ غَلَبَةِ السُّكْرِ وَالذَّهْشِ. . . فَإِنْ اسْتَمَرَّ مَعَ ذَلِكَ، حَتَّى زَالَتِ الذَّهْشَةُ وَالْحَيْرَةُ. وَصَفَّتِ الْفِكْرَةُ وَالنَّظْرَةُ. فَهُوَ الْوُجُودُ، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الْحَنِيدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: وَجُودِي أَنْ أُغِيبَ عَنِ الْوُجُودِ، بِمَا يَبْدُو عَلَيَّ مِنَ الشُّهُودِ. وَاعْلَمْ أَنَّ مَثَارَ الْوُجُدِ، هُوَ سَمَاعُ خَطَابِ الْمَحْبُوبِ. وَمَثَارَ الْوُجُدَانِ، هُوَ شُهُودُ جَمَالِ الْمَحْبُوبِ. وَقَدْ يَغْلِبُ عَلَيْهِمَا الْحَالُ، فَتَضْطَرُّ الْأَشْبَاحُ، وَتَرْقُصُ تَبَعًا لِاضْطِرَابِ الْقَلْبِ. وَمِثَالُ ذَلِكَ الطِّفْلِ فِي الْمَهْدِ، فَإِنَّهُ يَسْكُنُ إِذَا تَحَرَّكَ بِهِ الْمَهْدُ. وَيَبْكِي إِذَا سَكَنَ. كَذَلِكَ الْقَلْبُ يَزْتَاخُ إِذَا تَحَرَّكَ الْقَلْبُ. وَإِلَّا بَقِيَ يَضْطَرُّ. فَرُبَّمَا يَخْرُجُ عَنِ طَوْرِهِ. وَأَمَّا صَاحِبُ الْوُجُدِ فَهُوَ سَاكِنٌ مَتَمَكِّنٌ، قَدْ اسْتَأْنَسَ بِالْحَضْرَةِ. وَزَالَتْ عَنْهُ الذَّهْشَةُ وَالْحَيْرَةُ؛ فَهُوَ كَالجَبَلِ الرَّاسِيِّ. قِيلَ لِلجَنِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا لَكَ؛ كُنْتَ تَتَوَاجَدُ عِنْدَ السَّمَاعِ. ثُمَّ صرَتْ لَا يَتَحَرَّكَ مِنْكَ شَيْءٌ؟ فَتَلَى قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَرَوَى الْجِبَالَ تَحْسَبَهَا جَالِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرًّا

السَّعَابِ ﴿١﴾. وشاهد ذلك. صَوَاحِبُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ لَمَّا فَجَأَهُنَّ بِبَاهِرِ جَمَالِهِ: غِبْنَ عَنْ إِحْسَاسِيهِنَّ ﴿وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسْبَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾، وَزَلِيحًا لَمَّا اسْتَمَرَّتْ مَعَهُ، لَمْ تَضَعْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ. كَذَلِكَ أَرْيَابُ الْوُجْدَانِ. لَمَّا اسْتَشْرَفُوا عَلَى ثَوْرِ الْحَضْرَةِ، دَهَشُوا وَغَابُوا عَنْ إِحْسَاسِيهِمْ. فَإِذَا تَمَكَّنُوا مِنْ شُهُودِهَا، وَأَنَسُوا بِهَا، لَمْ يُحَرِّكْهُمْ شَيْءٌ مِنْ أَنْوَارِهَا. وَقَدْ يَغْلِبُ عَلَى الْعَارِفِ شُهُودُ الْجَمَالِ. فِيرْقَصُ وَيَطْرُبُ، لِكُنْهٖ نَادِرٌ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَأَمَّا الْجَمْعُ وَالتَّفْرِقَةُ: فَالْجَمْعُ عِبَارَةٌ عَنْ تَلَاشِي الْحَدِيثِ فِي إِثْبَاتِ الْقِدَمِ. أَوْ تَقُولُ: عِبَارَةٌ عَنْ ضَمِّ الْفُرُوعِ إِلَى أَصُولِهَا فَيَفْتَنِي مَا لَمْ يَكُنْ. وَيَبْقَى مَا لَمْ يَزَلْ. وَالتَّفْرِقَةُ عِبَارَةٌ عَنْ إِثْبَاتِ الْأَحْكَامِ. وَالحِكْمَةُ: قِيَامًا بِرِسْمِ الْعُبُودِيَّةِ، وَأَدْبًا مَعَ الرُّبُوبِيَّةِ. فَالْجَمْعُ مَحَلُّهُ الْبَوَاطِنُ. وَالتَّفْرِقُ مَحَلُّهُ الظُّوَاهِرُ. إِذِ الرُّبُوبِيَّةُ بِلاَ عُبُودِيَّةِ نَقْصَانٍ. وَالعُبُودِيَّةُ بِلاَ رُبُوبِيَّةِ مُحَالٍ. فَلذَلِكَ قَالُوا: الْجَمْعُ بِلاَ فَرْقٍ زُنْدَقَةٌ، لِإِبْطَالِ الْأَحْكَامِ وَالحِكْمَةِ. وَالتَّفْرِقُ بِلاَ جَمْعٍ فَسُقُ؛ لِإِخْرَاجِ صَاحِبِهِ عَنْ حَدِّ الْكَمَالِ. وَالجَمْعُ بَيْنَهُمَا عَيْنُ الْكَمَالِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ شَيْخَ شَيْخِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَوْمٌ تَشْرَعُوا وَلَمْ يَتَصَوَّفُوا، وَقَوْمٌ تَصَوَّفُوا وَلَمْ يَتَشْرَعُوا. وَقَوْمٌ جَعَلُوا الشَّرِيعَةَ بَابًا. وَالحَقِيقَةَ أَبْوَابًا. ﴿أَوَّلَيْكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَّا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. وَهَذَا أَوَّلُ كَلَامٍ سَمِعْتَهُ مِنْهُ عِنْدَ مُلَاقَاتِهِ، وَقَالَ لِي: وَأَنْتَ مِنَ الْقِسْمِ الثَّلَاثِ. حَقَّقْنَا اللَّهُ بِمَحَبَّتِهِمْ، وَرَزَقْنَا الْأَدَبَ مَعَهُمْ آمِينَ. وَأَمَّا الْحِسُّ، فَهُوَ عِبَارَةٌ عَمَّا تَكْتَفَى وَظَهَرَ مِنَ الْأَكْوَانِ. وَالمَعْنَى: عِبَارَةٌ عَنِ الثَّوْرِ اللَّطِيفِ الْبَاطِنِ فِيهَا. وَأَمَّا السِّرُّ الَّذِي قَامَتْ بِهِ الْأَشْيَاءُ، فَالْحِسُّ ظَرْفٌ لِلْمَعْنَى. فَالْأَكْوَانُ أَوَانِي، حَامِلَةٌ لِلْمَعَانِي. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَالقُدْرَةُ: عِبَارَةٌ عَمَّا يَصْدُرُ عَنِ الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ مِنَ الْأَفْعَالِ. أَكَانَ عَلَى وَفَى الْعَادَةِ أَوْ خَارِقًا لَهَا. وَالحِكْمَةُ: عِبَارَةٌ عَنِ رَبِطِ الْأَسْبَابِ بِمُسَبِّبَاتِهَا، وَالْعَوَائِدُ بِمَا تَعَوَّدَتْ بِهِ؛ فَهِيَ رِدَاءٌ لِلْقُدْرَةِ وَسِتْرٌ لَهَا. فَمَنْ وَقَفَ مَعَ رِدَاءِ الْحِكْمَةِ، كَانَ مَخْجُوبًا عَنِ شُهُودِ الْقُدْرَةِ. وَمَنْ حُجِبَ عَنِ الصِّفَةِ. حُجِبَ عَنِ الْمُوصُوفِ، لِمَتَلَازِمِ وُجُودِهِمَا. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. فَمَعْرِفَةُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، تُعِينُ عَلَى فَهْمِ الْقَوْمِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَهَا الْبَدْرُ كَأَسَّ وَهِيَ شَمْسٌ يُدِيرُهَا هِلَالٌ وَكَمْ يَبْدُو إِذَا مُرِجَتْ نَجْمٌ

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِهَذِهِ الْخَمْرَةُ الْأَزَلِيَّةِ: كَأَسُّ، وَهِيَ قَمَرُ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ. فَمَنْ كَانَ مُشْرِكًا بِشُوبَةِ السُّوِي، أَوْ بِرُؤْيَةِ الْأَشْيَاءِ مَعَ الْمَوْلَى، فَلَا يَشْرَبُ مِنْ خَمْرِ الْهَوَى. أَوْ نَقُولُ: مَنْ كَانَ قَلْبُهُ مَشْحُونًا بِحُبِّ الْأَشْيَاءِ، أَوْ مَفْتُونًا بِنَيْلِ

الدُّنْيَا، فَلَا يَذُوقُ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الحُمَيَّا: «أي الخمر». وهذه الخمرة هي شمس العِرْفَان، فَإِذَا أَشْرَقَتْ فِي أَفْقِ سَمَاءِ الجِبَان، غَطَّت وجود الأَكْوَان، وَوَقَعَ العِيَان على فَقْدِهِ الأَعْيَان. يُدِيرُهَا عَلَى الشَّارِبِينَ، هِلَالُ السَّعَادَةِ، فِي طَالِعِ سَعْدِ الإِرَادَةِ. فَإِذَا شَرِبْتَ صِرْفاً غَابَ النَّشْوَانُ عَنِ الرُّسُوم. وَلَمْ يَبْقَ فِي نَظَرِهِ إِلَّا أَنْوَارُ الحَيِّ القَيُوم. فَإِذَا مُزِجْتَ بِالصُّخُو وَالسَّلُوك، صَارَ كَامِلاً مَكْمِلاً. فَكَمْ يَبْدُو لَهُ حَيْثُودٌ مِنْ نَجْمِ العُلُوم. وَكَمْ يُفْتَحُ لَهُ مِنْ مَخَازِنِ الفُهُوم. فَإِذَا أُذِنَ لَهُ فِي التَّعْطِيرِ، وَقَعَتْ مَسَامِعُ القُلُوبِ بِعِبَارَتِهِ. وَجُلِيَتْ إِلَيْهِمْ إِشَارَتُهُ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الشَّاذِلِي رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ عَلَى المَحَبَّةِ: الشَّرَابُ هُوَ النُّورُ السَّاطِعُ مِنْ جَمَالِ المَحْبُوب. وَالكَّاسُ هُوَ اللطْفُ المَوْضَلُ ذَلِكَ، إِلَى أَفْوَاهِ القُلُوبِ. وَالسَّاقِي: هُوَ المَتَوَلِّي ذَلِكَ لِخِصُوصِ الكِبْرَاءِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ. وَهُوَ اللّهُ العَالِمُ بِالمَقَادِيرِ. وَمَصَالِحِ العِبَادِ. فَمَنْ كُشِفَ لَهُ عَنِ ذَلِكَ الجَمَالِ. أَوْ حُطِّيَ شَيْءٌ مِنْهُ، نَفْساً أَوْ نَفْسَيْنِ، ثُمَّ أُرْخِيَ عَلَيْهِ الحِجَابَ؛ فَهُوَ الذَّائِقُ المَشْتَاق. وَمَنْ دَامَ لَهُ ذَلِكَ سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ؛ فَهُوَ الشَّارِبُ حَقّاً. وَمَنْ تَوَالَى عَلَيْهِ الأَمْرُ، وَدَامَ لَهُ الشَّرْبُ، حَتَّى امْتَلَأَتْ عُرُوقُهُ وَمَقَاصِلُهُ، مِنْ أَنْوَارِ اللّهِ المَخْزُونَةِ، فَذَلِكَ هُوَ الرِّيُّ. وَرَبِّمَا غَابَ عَنِ المَخْسُوسِ وَالعُقُولِ. فَلَا يَذَرِي مَا يُقَالُ، وَلَا مَا يَقُولُ. فَذَلِكَ هُوَ السُّكْرُ. وَقَدْ تَدَوَّرَ عَلَيْهِ الكَاسَاتُ، وَتَخْتَلَفَ لَدَيْهِمُ الحَالَاتُ. وَيَرُدُّونَ إِلَى الذِّكْرِ وَالتَّطَاعَاتِ. وَلَا يُخَجِّبُونَ عَنِ الصِّفَاتِ حَتَّى تُزَاحِمَ المَقْدُورَاتِ. فَذَلِكَ وَقْتُ صَخُوبِهِمْ، وَاتسَاعِ نَظَرِهِمْ، وَمَزِيدِ عِلْمِهِمْ. فَهُمْ بِنُجُومِ العِلْمِ، وَقَمَرِ التَّوْحِيدِ يَهْتَدُونَ فِي لَيْلِهِمْ، وَبِشَمُوسِ المَعَارِفِ يَسْتَضِيئُونَ فِي نَهَارِهِمْ. ﴿أَوَلَيْكَ حِزْبُ اللّهِ الْآلِ إِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ المَفْلُحُونَ﴾. انْتَهَى كَلَامُهُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ؛ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ كَلَامِ النَّاطِمِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ. ثُمَّ قَالَ:

وَلَوْلَا شَدَاهَا مَا اهْتَدَيْتُ لِخَانِهَا وَلَوْلَا سَنَاهَا مَا تَصَوَّرَهَا وَوَهْمُ

قلت: الشَّدَا: النَّسِيمُ الطَّيِّبُ. وَقَالَ فِي القَامُوسِ: الشَّدَا: قُوَّةُ ذِكَاةِ الرِّائِحَةِ. وَالحَانَ: دَارٌ يُبَاعُ فِيهَا الحَمْرُ أَوْ يُشْرَبُ فِيهَا. وَقَالَ فِي القَامُوسِ: الحَانَ: الحَانُوتُ أَوْ صَاحِبُهُ. وَخَانَ: التَّجَارُ. وَالسَّنَا بِالقَصْرِ؛ هُوَ: الصُّوءُ وَالتُّورُ. وَالْوَهْمُ: الخَاطِرُ. أَطْلَقَهُ هُنَا عَلَى العَقْلِ؛ لِأَنَّهُ مَحَلُّهُ. يَقُولُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: هَذِهِ الحُمْرَةُ الأَزَلِيَّةُ رَفِيعَةُ القَدْرِ، عَالِيَةُ الشَّانِ، لَطِيفَةُ خَفِيَّةٍ. لَا تُتَّكَلُّ بِحِيلَةٍ وَلَا سَبَبٍ. فَلَوْلَا نَسِيمُهَا الطَّيِّبُ الَّذِي يَهْبُ عَلَى القُلُوبِ، فَتَسْتَنَشِقُهُ الأَرْوَاحُ، وَتَنجَذِبُ إِلَى حَضْرَةِ

عَلَامُ الْعُيُوبِ . مَا اهْتَدَيْتَنَا لِمَحَلِّهَا ، وَلَا تَوَجَّهْنَا إِلَى طَلَبِهَا . لَكِنْ لَمَّا لَاحَ لَنَا هِلَالُ
الْهِدَايَةِ ، فِي طَالِعِ سَابِقِ الْعَيْنَايَةِ ، هَبَّ عَلَيَّ قَلْبِي نَسِيمَ الْخُصُوصِيَّةِ مِنْ حَضْرَةِ عَظْمَةِ
الرُّبُوبِيَّةِ . فَمَا زِلْنَا نَقْفُوا أَثْرَهَا ، وَنَسْتَنْشِقُ نَشْرَهَا ، حَتَّى أَفْضَتْ بِنَا إِلَى شُهُودِ أَنْوَارِ
الْحَبِيبِ . وَمُنَاجَاةِ الْقَرِيبِ مِنْ مَحَلِّ الْمَشَاهِدَةِ وَالْمُكَالِمَةِ ، وَالْمُصَالِحَةِ ، وَالْمُوَاجِهَةِ .
فَقُلْنَا فِي ذَلِكَ الْحَالِ :

لَكَ الدَّهْرُ طَوْنٌ وَالْأَنَامُ عَسِيدٌ فَعِشْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكَ عَيْدُ
قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه: مثل ابتداء المحبة، كمثل رجل شم
رائحة المسك على بُعد، فلا يزال يتبع تلك الرائحة، وهي تتزايد عليه، حتى يدخل
البيت الذي فيه المسك. فإذا دخله عمّرت الرائحة. فلا يحس بها. فالمعنى كذلك
طالب الحق، لا يزال يتجذب قلبه إلى الحضرة؛ ويتعطف إليها. ويتوجه إليها
بأنوار التوجه؛ وهي حلاوة المعاملة، حتى يغرق في أنوار المواجهة؛ وهي حضرة
المشاهدة، فيسكن حاله، ويؤول عطشه بحصول الوصول إلى الحبيب. فلم يبق إلا
الأدب والترقي في المقامات. هذا محل الشطر الأول. وقوله: ولولا سناها ما
تصوّرها الوهم؛ يعني أن هذه الخمر خفية عن الأوهام خارجة عن مدارك العقول
والأفهام. فلولا أنوارها التي تشرق على القلوب، بعد صفائها من الأغيار.
وتطهيرها من الأكدار. ما تصوّرها العقل، ولا أدركها الفهم. إذ لا تدرك بالعقول.
ولا يتحصّل الثقول. وإنما تدرك بصحبة الرجال. أهل التحقيق والكمال؛ لأنها
أذواق فلا تدرك من الأوزاق. كما قال ابن البنا في مباحثه:

إِيَّاكَ أَنْ تَطْمَعَ أَنْ تَحُورَةَ مِنْ دَفْتَرِ أَوْ شِفْرِ أَوْ أُزْجُورَةَ
وقال أيضاً:

مَا نَالَهَا دُورُ الْعَيْنِ وَالْفُلُوسِ وَإِنَّمَا تَبَاعُ بِالسُّفُوسِ
فَمَنْ بَاعَ نَفْسَهُ لِشَيْخٍ كَامِلٍ حَكْمَهُ عَلَى نَفْسِهِ . أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ أَنْوَارُ الْمَعَارِفِ .
وَأَدْرَكَ مِنْ مِثْنِ اللَّهِ مَا لَا يُحِيطُ بِهِ وَضْفُ وَاصِفٍ . وَإِلَّا أَنْعَبَ نَفْسَهُ وَمَنْ تَعَلَّقَ بِهِ .
هَذَا هُوَ الْعَالِبُ وَالنَّادِرُ لَا حُكْمَ لَهُ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ : ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَلَمْ يُبْقِ مِنْهَا الدَّهْرُ غَيْرَ حُشَاشَةٍ كَأَنَّ حَفَاها فِي صُدُورِ النَّهْيِ كَثْمٌ
قلت: الحشاشة: بقية الروح، في المريض في آخر الرمق. قاله في
القاموس. والنهي بالضم جمع نهيته؛ وهو العقل؛ وهو على حذف مضاف. أي

أَهْلُ التُّهَى يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذَهَبَتْ هَذِهِ الْخَمْرَةَ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ. وَانْدَرَسَتْ
بِذَهَابِ أَهْلِهَا. وَمَاتَتْ بِمَوْتِ أَرْبَابِهَا. وَأَنْسَلَتْ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ كَأَسْبَابِ الرُّوحِ مِنْ
الْجَسَدِ. وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا الزَّمَانُ إِلَّا نَظْفَةٌ ضَعِيفَةٌ، كَتَبْتِمَةَ الرُّوحِ مِنَ الْمَيِّتِ فِي آخِرِ
رَمَقِهِ؛ وَهَذِهِ الْخَمْرَةُ الَّتِي ذَكَرَ الشَّيْخُ هِيَ: اخْتِمَارُ الْقُلُوبِ بِأَنْوَارِ الْمَحْبُوبِ،
فَيُخْتَجَبُ عَنِ الْأَغْيَارِ، بِرُؤْيَةِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ. وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْخَمْرَةُ فِي الصِّدْرِ
الْأَوَّلِ، ظَاهِرَةً أَنْوَارَهَا. بِأَدْيَةِ أَسْرَارِهَا عَلَى أَرْبَابِهَا. فَيَتَدَاوَلُونَهَا. بَيْنَهُمْ. وَيَتَكَلَّمُونَ
عَلَيْهَا بِالطَّافِ الْعِبَارَاتِ. وَأَنْوَاعِ الْإِشَارَاتِ، ثُمَّ انْدَرَسَتْ. وَقُلْتُ: فَخَفِيَتْ أَنْوَارَهَا،
وَبَطُنَتْ أَسْرَارُهَا. فَكَأَنَّ خَفَاءَهَا وَبُطُونَهَا كَثَمَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا عَنْ غَيْرِ أَهْلِهَا.
وَذَلِكَ لِاسْتِبْلَاءِ الْعُقَلَةِ عَلَى النَّاسِ، وَانْصِرَافِ الْهَمَّةِ إِلَى الدُّنْيَا. فَلَمَّا رَأَى الْحَقُّ
تَعَالَى النَّاسَ حَادُوا عَنْ بَابِهِ. وَلَا دُوا بِغَيْرِ جَنَابِهِ. حَجَبَ ذَلِكَ السَّرَّ فِي قُلُوبِ
أَوْلِيَائِهِ، وَحَجَبَ أَوْلِيَائَهُ فِي عِبَادِهِ. وَمَا قَالَهُ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ قَوْلِهِ وَجُودِ
هَذَا الْعِلْمِ وَانْدِرَاسِهِ، قَالَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِغَرَابَتِهِ وَعِزَّتِهِ. قَالَ
الْحَجِيذُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَلِمْنَا هَذَا الَّذِي نَتَكَلَّمُ فِيهِ، قَدْ طُوِيَ بِسَاطِهِ مُنْذُ عَشْرِينَ
سَنَةً. وَإِنَّمَا نَتَكَلَّمُ فِي حَوَاشِيهِ. وَكَانَ أَيْضاً يَقُولُ: كُنْتُ أَجَالِسُ قَوْمًا سَنِينَ،
يَتَحَاوَرُونَ فِي عِلْمٍ لَا أَفْهَمُهَا، وَلَا أُدْرِي مَا هِيَ. وَمَا بُلِيْتُ بِالْإِنْكَارِ قَطُّ. كُنْتُ
أَتَقْبَلُهَا وَأَحِبُّهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ أُعْرِفَهَا. وَكَانَ أَيْضاً يَقُولُ: كُنَّا نَتَحَاوَرُ مَعَ إِخْوَانِنَا قَدِيمًا
فِي عِلْمٍ كَثِيرَةٍ، مَا نَعْرِفُهَا فِي وَقْتِنَا هَذَا. وَلَا سَأَلْنِي أَحَدٌ عَنْهَا؛ وَهَذَا بَابٌ كَأَنَّهُ
أُغْلِقَ وَرُدَّعَ. وَقَالَ فِي الْقَوْتِ: قَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا: أَنَا أُعْرِفُ لِلْمُتَقَدِّمِينَ سَبْعِينَ
عِلْمًا، كَانُوا يَتَجَاوَرُونَهَا وَيَتَعَارَفُونَهَا فِي هَذَا الْعِلْمِ. وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا الْيَوْمَ عِلْمٌ وَاحِدٌ.
وَأُعْرِفُ فِي زَمَانِنَا هَذَا عِلْمًا كَثِيرَةً، مِنَ الْأَبَاطِيلِ وَالغُرُورِ، وَالِدَّعَاوَى ظَهَرَتْ
وَسُمِّيَتْ عُلُومًا. ثُمَّ قَالَ: وَكَانَ إِمَامُنَا سَهْلٌ يَقُولُ: بَعْدَ سِتَّةِ وَثَلَاثِمِائَةٍ: لَا يَحُلُّ أَنْ
يَتَكَلَّمُ بِعِلْمِنَا هَذَا، يَعْني لِقَلَّةِ أَهْلِهِ. لِأَنَّهُ يُحَدِّثُ قَوْمَ يَسْتَمْعُونَ الْخَلْقَ، وَيَتَزَيَّنُونَ
بِالْكَلَامِ. يَكُونُ مُوَاجِدَهُمْ لِبَاسَهُمْ وَمَعْدِنَهُمْ بِطُونَهُمْ. وَحِيلَتُهُمْ كَلَامُهُمْ. وَقَالَ
الْأُسْتَاذُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقَشِيرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي صَدْرِ رِسَالَتِي: اَعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ،
أَنَّ الْمَحْقُقِينَ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ، انْقَرَضَ أَكْثَرُهُمْ. لَمْ يَبْقَ فِي زَمَانِنَا هَذَا مِنْ هَذِهِ
الطَّائِفَةِ إِلَّا أَثَرُهُمْ. وَفِي مَعْنَاهُ قِيلَ:

لَا وَالَّذِي حَجَّتْ قُرَيْشُ بَيْتَهُ
مَا أَبْصَرَتْ عَيْنِي خِيَامَ قَبِيلَةٍ
مُسْتَقْبِلِينَ الرُّحْنَ مِنْ بَطْحَائِهَا
إِلَّا بَكَيْتُ أَحْبَبَّتِي بِفَنَائِهَا

أَمَّا الْخِيَامُ فَإِنَّهَا كَخِيَامِهِمْ وَأَرَى نِسَاءَ الْحَيِّ غَيْرَ نِسَائِهَا
 قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ الْحَاتِمِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ هَذَا فِي زَمَانِهِ. حَيْثُ أَدْرَكَ مَنْ
 تَزَيَّنَ بِزِيِّ الْقَوْمِ، وَخَالَفَهُمْ فِي بَاطِنِهِمْ. وَأَمَّا الْيَوْمُ فَلَا خِيَامَ وَلَا نِسَاءَ. وَقَالَ الشَّيْخُ
 أَبُو مَدْيَنٍ فِي قَصِيدَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَاعْلَمَ بِأَنَّ طَرِيقَ الْقَوْمِ دَارِسَةٌ وَحَالَ مَنْ يَدْعِيهَا الْيَوْمَ كَيْفَ تَرَى
 وَقَالَ فِي الْمَبَاحِثِ:

يَا سَائِلًا عَنْ سُنَنِ الْفَقِيرِ سَأَلْتِ مَا عَزَّرَ عَنِ التَّخْرِيرِ
 إِنَّ الَّذِي سَأَلْتَ عَنْهُ مَاتَ وَصَارَ بَعْدَ أَغْظَمِ أَرْقَاتِنَا
 إِلَّا رُسُومًا رُبَّمَا لَمْ تَغْفُ وَذَلِكَ مَا نَثَبَعُهُ وَتَثْفُفُ
 وَهَبِكَ أَنْ تَظْفَرِ بِالْأَوْطَانِ مَا السُّرِّ وَالْمَعْنَى سِوَى الْقَطَّانِ

وَكَانَ شَيْخُ شَيْوَحْنَا سَيِّدِي عَلِيِّ الْعِمْرَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: مَنْ شَكَّ
 ثَوُسًا، إِلَى وَادِي ثُونٍ، لَا تَجِدُ أَحَدًا يَتَكَلَّمُ فِي هَذَا الْعِلْمِ، إِلَّا رَجُلًا أَوْ رَجُلَيْنِ.
 كِتَابِيَةٌ عَنْ قِلَّةٍ وَجُودِ الْمُحَقِّقِينَ. وَلَا يَدُلُّ هَذَا عَلَى انْقِطَاعِهِمْ. فِي كُلِّ زَمَانٍ رِجَالٌ،
 يَرْحَمُ اللَّهُ بِهِمْ عِبَادَهُ. فَالْعَدَدُ الْمَعْلُومُ لَا يَنْقُطُ، حَتَّى يَنْقُطَ الدِّينُ. قَالَ فِي لَطَائِفِ
 الْمِثْنِ: سُبُلُ بَعْضِ الْعَرَفِيِّينَ عَنِ أَوْلِيَاءِ الْعَدَدِ، أَيْنَقُصُونَ فِي زَمَنِ؟ فَقَالَ: لَوْ نَقَّصَ
 مِنْهُمْ وَاحِدٌ، مَا أَرْسَلَتِ السَّمَاءُ قَطْرَهَا. وَلَا أَبْرَزَتِ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا. وَفَسَادَ الْوَقْتُ لَا
 يَكُونُ بِذَهَابِ أَعْدَادِهِمْ. وَلَا يَنْقُصُ إِمْدَادِهِمْ. وَلَكِنْ إِذَا فَسَدَ الْوَقْتُ. كَانَ مُرَادَ اللَّهِ
 وَقُوعَ اخْتِفَائِهِمْ. فَإِذَا كَانَ أَهْلُ الزَّمَانِ مُعْرِضِينَ عَنِ اللَّهِ. مُؤَثِّرِينَ لِمَا سِوَى اللَّهِ. لَا
 تَنْجَحُ فِيهِمُ الْمَوْعِظَةُ، وَلَا تُمِيلُهُمْ إِلَى اللَّهِ التَّذْكَرَةُ. لَمْ يَكُونُوا أَهْلًا لظُهُورِ أَوْلِيَاءِ
 اللَّهِ فِيهِمْ. وَلِلذَلِكَ قَالُوا: أَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَرَائِسُ. وَلَا يَرَى الْعَرَائِسُ الْمَجْرُمُونَ. ثُمَّ
 قَالَ: وَقَدْ قَالَ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتَ شُحًا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَاعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ
 بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَوْصَةِ نَفْسِكَ». فَاسْمَعُوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاتَرَوْا الْخِفَاءَ، بَلْ آثَرُهُ
 اللَّهُ لَهُمْ مَعَهُ أَنَّهُ لَأَنَّ مِنْهُمْ، أَنْ يَكُونَ فِي الْوَقْتِ أُمَّةٌ ظَاهِرُونَ، قَائِمُونَ بِالْحِجَّةِ،
 لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ
 خَالَفَهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ». وَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: اللَّهُمَّ لَا تُخَلِّ الْأَرْضَ
 مِنْ قَائِمٍ لَكَ بِحِجَّتِكَ. أَوْلَيْتَكَ الْأَقْلُونَ عَدْدًا. الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا. قُلُوبُهُمْ
 مَعْلُوقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى. أَوْلَايَتِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ. آه. آه. أَوْاشِقَاهُ إِلَى

رؤيتهم. قُلْتُ: وقد وجدت هذه الأئمة في زماننا هذا. وظهروا ظُهُورَ الشمس في أفق السماء على من سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ الْعِناية. ثم مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بمعرفتهم وصحبتهم. فوجدناهم من أهلِ التَّربيةِ التَّبوُّيةِ. سالكين الطريق. عارفين بِعَيْنِ التحقيق. سَلَكُوا بِأَلَدِ التجريد. وخاضوا بِخَارِ التوحيد. داعين إلى اللَّهِ بِالهِمَّةِ والحلالِ. عارفين الاضطِّالِحَ والمقالِ. يَنْهَضُونَ إلى اللَّهِ بِالْحَالِ. وَيَدُلُّونَ على اللَّهِ بِالْمَقَالِ. سَلَكُوا مَقَامَ الْجَذْبِ وَالْفَنَاءِ. وَرَجَعُوا إلى مَقَامِ البقاءِ. قَدْ هَدَى اللَّهُ على أَيْدِيهِمُ الْجَمَّ العَفِيرِ. وَتَخَرَّجَ على أَيْدِيهِمُ خَلْقَ كثيرٍ. غَيْرَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلشَّمْسِ من سَحَابٍ. . وللحسنةِ من نِقَابٍ. فَسَتَرَ اللَّهُ سِرَّهُمْ بِبَغْضِ ما يُظْهَرُ من بَغْضِ أَصْحَابِهِمُ مِنَ الأحوالِ الظلمانيةِ، والأفعالِ الشيطانيةِ؛ وهم مُبَرِّؤُونَ مِنْهَا. يحذرون دائماً مِنْ فِعْلِهَا. وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مقدوراً. وَبِاللَّهِ التوفيقِ. ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ العليِّ العَظيمِ. ثم قال رضي الله عنه:

وَمِنْ بَيْنِ أَحْشَاءِ الدُّنْيانِ تَصَاعَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي الْحَقِيقَةِ إِلاَّ اسْمُ
قُلْتُ: هَذَا هو الصوابُ في اتِّصَالِ هَذَا البَيْتِ بِمَا قَبْلَهُ لِلْمُنَاسَبَةِ. وَلَعَلَّ النَّاسِخَ آخِرُهُ عَنِ مَحَلِّهِ. والأحشاء، جمع حُشْوَةٍ بِالضَّمِّ وَهُوَ ما في البَطْنِ مِنَ الأَمْعَاءِ. والدُّنْيانِ، جمع دُنٍّ، بفتح الدال، وشدَّ التَّوْنِ. وهو فَخَّارٌ كبيرٌ، أسفلهُ رقيقٌ، لا يجلس حتى يحفر لَهُ. ويُقالُ لَهُ الرَّاقُودُ. يُخزَنُ فِيهِ الخمرُ والخَلُّ. وأطلقهُ هُنَا على القلوبِ، أو الأشباحِ؛ لأنها أَوَانٌ للخمرِ الأزليةِ. وتصاعدتِ الشياءُ ارتفع. يَقولُ رضي اللَّهُ عَنْهُ: قَدْ ارتفعتْ هذه الخمرُ، وتصاعدت من أَجْوَافِ النَّاسِ، ومن بَيْنِ أَحْشَاءِ الصُّدُورِ. ولم يَبْقَ مِنْهَا في حَقِيقَةِ الأَمْرِ، إِلاَّ اسْمٌ بِلا مَسْمِيٍّ. وَرَسْمٌ بِلا دَارٍ. وكذلك عِلْمُ التَّصَوُّفِ الحَقِيقِيِّ، لم يَبْقَ مِنْهُ إِلاَّ التَّشْدُقُ بِاللِّسَانِ، مَعَ خَرَابِ الجنانِ، وفي ذلك يَقولُ القائلُ:

أَهْلُ التَّصَوُّفِ قَدَّمْضُوا صَارَ التَّصَوُّفُ مَخْرَقَةً
صَارَ التَّصَوُّفُ رَتْعَةً وَسَجَّادَةٌ مُرَوِّقَةً
صَارَ التَّصَوُّفُ سُبْحَةً وَتَوَاجُدًا وَمِنْطَقَةً
كَذَبْتُكَ نَفْسُكَ لَيْسَ ذِي سَنَّ الطَّرِيقَ الْمُلْحَقَةً

وفيما تَقَدَّمَ قَبْلَ هَذَا كِفَايَةً. وَالبَّرَكَةُ لا تَنْقَطِعُ. وَبِاللَّهِ التوفيقِ. ثم قال رضي اللَّهُ عَنْهُ:

فَإِنْ ذُكِرَتْ فِي الْحَيِّ أَصْبَحَ أَهْلُهُ نَسَاوَى وَلَا عَارَ عَلَيْهِمْ وَلَا إِثْمَ
قلت: الحي: القبيلة. قاله في القاموس. والنشأوى جمع نشوان، كسكران،
وَرْنَا وَمَعْنَى. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا ذُكِرَتْ هَذِهِ الْخَمْرَةُ، ذَكَرًا حَقِيقِيًّا بِالْعِلْمِ
وَالْحَالِ فِي قَبِيلَةٍ أَوْ مَدَشَرٍ، أَوْ بِلَدٍ. أَصْبَحَ أَهْلُ تِلْكَ الْقَبِيلَةِ سُكَارَى وَالْهَيْنَ مِنْ ذِكْرِ
الْحَبِيبِ، غَالِبَ عَنْهُمْ الْجَذْبُ إِلَى الْحَضْرَةِ الْأَزْلِيَّةِ. لَكِنْ بِشَرَطِ أَنْ يَكُونَ ذَاكِرَهَا
غَالِبًا عَلَيْهِ السُّكْرُ وَالْجَذْبُ مَعَ طَرَفٍ مِنَ الصَّخْوِ وَأَنْ يَذْكُرَهَا مَعَ أَهْلِهَا. فَإِنْ كَانَ
كَمَا قُلْتُ، فَلَا شَكَّ فِي سُكْرِ أَهْلِ ذَلِكَ الْبَلَدِ. وَانْجِدَابِهِمْ إِلَى الْحَضْرَةِ. وَإِشْرَاقِ
أَنْوَارِهَا عَلَيْهِمْ. قُلْتُ: وَقَدْ شَهِدْتُ هَذَا الْمَعْنَى، حِينَ خَرَجْنَا إِلَى قَبِيلَةِ أَنْجِرَةَ
وَالْفَخْصِ، فِي الْعَامِ الْأَوَّلِ مِنْ مُلَاقَاةِ الشَّيْخِ، حَيْثُ كَانَ السُّكْرُ غَالِبًا عَلَيْنَا، فَكُنَّا إِذَا
بَتْنَا فِي مَنْزِلٍ يُضْجِعُ أَهْلَهُ جُلُومًا سَكَارَى، يَلْهَجُونَ بِذِكْرِ اللَّهِ. وَقَدْ رَأَيْتُ الصَّبِيَّانِ،
وَالرُّعَاةَ وَالْحَرَاثِينَ يَتَّبِعُونَا، وَهُمْ يَبْكُونَ. فَمَا كُنَّا نَرُدُّهُمْ إِلَّا بِجَهْدٍ جَهِيدٍ. وَقَدْ رَأَيْتُ
فِي فَخْصِ طَنْجَةَ، أَصْحَابَ الْمَخْزَنِ، وَأَزْيَابَ الدَّوْلَةِ. عَلِقُوا التَّسَابِيحَ، وَتَابُوا،
وَتَرَكُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ. فَحَقَّقْنَا هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ عِيَانًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. وَقَوْلُهُ:
وَلَا عَارَ عَلَيْهِمْ. الخ. تعريف بالخمرة الحسيَّة. فَإِنَّهَا فِيهَا الْعُنْبُ وَالْإِثْمُ مِنْ قَبْلِ
الشَّرْعِ. لِتَغْيِيبِ الْعَقْلِ وَتَلْفِهِ فِي الظُّلْمَةِ. فَتَشْغَلُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَعَنِ الصَّلَاةِ بِخِلَافِ
هَذِهِ. فَإِنَّ الْعَقْلَ يَغِيْبُ فِي نَوْرِ الْحَبِيبِ، وَبِهَائِهِ وَحَسَنَ جَمَالِهِ. فَفِي تَرْكِهَا الْعَارُ
وَالْإِثْمُ، لَا فِي تَعَاطِيهَا، كَمَا يَأْتِي عِنْدَ قَوْلِهِ:

وقالوا شربنا الإثم كلاً وإنما شربنا التي في تركها عندي الإثم
وبالله التوفيق. ثم قال رضي الله عنه:

وَإِنْ خَطَرَتْ يَوْمًا عَلَى خَاطِرِ امْرِئٍ أَقَامَتْ بِهِ الْأَزْوَاحُ وَازْتَحَلَّ لَهُمْ
يقول رضي الله عنه: إِذَا خَطَرَتْ هَذِهِ الْخَمْرَةُ الْأَزْلِيَّةَ؛ وَهِيَ الْمَعْرِفَةُ
الْحَقِيقِيَّةُ؛ عَلَى قَلْبِ امْرِئٍ مَوْحِدٍ مُطَهَّرٍ مِنَ الْأَغْيَارِ، سَالِمٍ مِنْ خِيَالَاتِ صُورِ
الْآثَارِ. وَدَامَ ذَلِكَ الْخَطُورَ، بِحَيْثُ لَا تَحْلُلُهُ فَتُورٌ. أَقَامَتْ: أَيَّ سَكَنَتْ فِي ذَلِكَ
الْقَلْبِ، بِسَبَبِ شَهْوَةِ تِلْكَ الْخَمْرَةِ، الْأَفْرَاحِ وَالسَّرُورِ. وَالِابْتِهَاجِ وَالْحُبُورِ. وَازْتَفَعَ
عَنْهُ الْأَحْزَانُ وَالْهُمُومُ. بِمُشَاهَدَةِ الْحَيِّ الْقِيَوْمِ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْخَمْرَةَ، هِيَ مَعْرِفَةُ الذَّاتِ
الْأَزْلِيَّةِ. عَلَى مَا يَأْتِي فِي تَفْسِيرِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَجَنَّةُ الْمَعَارِفِ، أَخْطَى عِنْدَ
الْعَارِفِينَ مِنْ جَنَّةِ الرَّخَّارِفِ؛ لِأَنَّ مَنْ دَخَلَ جَنَّةَ الْمَعَارِفِ، لَمْ يَشْتَقْ إِلَى جَنَّةِ
الرَّخَّارِفِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

أي في الدارين . وقال تعالى في الحديث القدسي : «أعددت لعبادي الصالحين . ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر» . ولم يقيد ذلك في الدنيا ولا الآخرة . فهو حاصل لهم في الدارين . أيضاً : إنما تطرق الفهوم والأخزان ، بسبب وجود الإنسان . وأما من تحقق له الزوال . فلا يرى إلا غاية الكمال . ما تجده القلوب من الأخزان . فلما منعت من الشهود والعيان . كما قال صاحب الحكيم : «أوحى الله إلى داود عليه السلام : يا داود ، قل للصديقين : بي فليفرحوا . وبذكري فليمتنعوا ، أي لا يصفو الفرح . ولا يكمل النعيم . إلا بالنظر إلى وجهه الكريم . وقال تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ . أي لا بغيره . بفضل الله معرفته ، ورحمته : هدايته . وقال الشاعر في هذا المعنى :

أنتم سُروري وأنتم مُشتكى ألمي وأنتم في ظلام الليل أقماري
فإن تكلمت لم أنطق بغيركم وإن صممت فأنتم عقد إضماري

وقال آخر :

إن عرقان ذي الجلال لعِرُّ وضياء وبهجة وسُرور
وعلى العارفين أيضاً بهاء وعليهم من المحبة نور
فهنيئاً لمن عرفك إلهي هو والله دهره مسرور
وقلت في تائيتي الخمرية :

ففي سكرة منها سُرور وغبطة وخير حياة في نعيم وبهجة
وقلت في عيني :

ولي لوعة بالراجي إذ فيه راحتي وزوجي وزيجاني وخيره واسع

وإنما قيّدنا كلام الشيخ بدوام خطور تلك الخمرة ؛ لأن مطلق الخطور والمرور ، لا يوجب دوام السرور ، لأن ذلك كبرق سرى . فإذا انسدل الحجاب ، برفع ذلك الثور ، زال الفرح والسرور ؛ لأن صاحب هذا المقام ، صاحب تلون . وصاحب التلوين ما زال في السير مع السائرين ، والسفر قطعة من العذاب ، فلا يستريح من التعب ، ولا يفارقه النصب ، حتى يصل إلى مقام التمكن . فحينئذ يسكن فسيح الجنان . وتضمحل عنه الهوم والأخزان ، كما تقدم . وبالله التوفيق . ثم قال رضي الله عنه :

وَلَوْ نَظَرَ التُّذْمَانُ حَتَمَ إِنَائِهَا لِأَسْكَرَهُمْ مِنْ دُونِهَا ذَلِكَ الْخَتْمُ
 قلتُ: التُّذْمَانُ، يكونُ مُفْرَدًا ويكونُ جَمْعًا كَمَا فِي الْقَامُوسِ. وَالْمُرَادُ هُنَا
 الْجَمْعُ. بِدَلِيلِ جَمْعِ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ: لِأَسْكَرَهُمْ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَلَى
 الْخَمْرِ فِي مَجْلِسِهِ. وَخَتْمُ الْإِنَاءِ: مَا تُسَدُّ بِهِ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي تَشْبِيهِ
 الْخَمْرَةِ الْأَزْلِيَّةِ، بِالْخَمْرَةِ الْحَسِّيَّةِ، أَوْ بِالزَّحِيقِ الْمُخْتَوِمِ فِي الْجَنَّةِ. فَإِنَّ هَذِهِ الْخَمْرَةَ
 الْأَزْلِيَّةَ، مَخْزُونَةٌ فِي أَوَانِيهَا. مُخْتَوِمٌ عَلَيْهَا بِخَتَامِ الْحِفْظِ وَالصِّيَانَةِ. فَلَوْ نَظَرَ
 الْقَاصِدُونَ لِشْرِبِهَا. إِلَى ذَلِكَ الْخَتْمِ، لَسَكَرُوا قَبْلَ الشُّرْبِ. فَمَا بِالكَ بِالشُّرْبِ. فَمَا
 بِالكَ بِالرَّيِّ. قلتُ: وَأَوَانِي هَذِهِ الْخَمْرَةِ؛ هِيَ: بِوَاطِنِ الْعَارِفِينَ. وَخَتْمُهَا هِيَ
 ظَوَاهِرُ بَشَرِيَّتِهِمْ. فَكُلُّ مَنْ قَصَدَهُمْ بِالتَّعْظِيمِ وَالْأَدَبِ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ بِالْخُضُوعِ
 وَالانْكَسَارِ، وَالدَّلَّةِ وَالِافْتِقَارِ. جَازِمًا بِوُجُودِ خُصُوصِيَّتِهِمْ، سَكِرَ لِمَجْرَدِ رُؤْيَتِهِمْ،
 قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ عَنْهُمْ وَيُضَجِّبَهُمْ. وَقَدْ شَهِدْنَا هَذَا السَّرَّ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ أَشْيَاخِنَا.
 فَكثِيرٌ مِنَ الْمُرِيدِينَ، حَصَلَ لَهُمُ الْجَذْبُ وَالسَّكْرُ، قَبْلَ أَنْ يَتَلَقَّوْا الْوَرْدَ، بَلْ لِمَجْرَدِ
 الرُّؤْيَةِ. وَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ النَّصَارَى بِشْغَرِ سَبْتِهِ، حِينَ قَدِمْنَا عَلَيْهَا، لَمَّا عَقَدْنَا حَلْقَةَ
 الذِّكْرِ. انْجَذَبُوا وَتَبَعُونَا إِلَى مَنْتَهَى الْحَدِّ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ. وَبَقُوا مَبْهُوتِينَ وَاقْفِينِ
 خَلْفَنَا. لَمَّا أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ مِنْ نَوْرِ الْخَمْرَةِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. قَالَ الْقُطْبُ مَوْلَانَا ابْنَ
 مَشِيشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى - لَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى الْمَحَبَّةِ - فَمِنْهُمْ مَنْ يَسْكُرُ
 بِشَهْوَةِ الْكَأْسِ. وَلَمْ يَذُقْ بَعْدَ شَيْئًا. فَمَا ظَنُّكَ بَعْدَ الدُّوقِ، وَبَعْدَ الشُّرْبِ. وَبَعْدُ
 بِالرَّيِّ. وَبَعْدُ بِالسُّكْرِ بِالمَشْرُوبِ. ثُمَّ الصَّحُوُّ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مَقَادِيرِ شَتَّى. كَمَا
 أَسْكُرُ أَيْضًا كَذَلِكَ. وَالْكَأْسُ: مِغْرَفَةُ الْحَقِّ، يُغْرَفُ بِهَا ذَلِكَ الشَّرَابُ الطَّهْوَرُ الصَّافِي
 لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُخْصُوصِينَ مِنْ خَلْقِهِ. فَتَارَةً يَشْهَدُ الشَّارِبُ تِلْكَ الْكَأْسَ
 صُورَةً، وَتَارَةً يَشْهَدُهَا مَعْنَوِيَةً. وَتَارَةً يَشْهَدُهَا عِلْمِيَّةً. فَالصُّورَةُ حَظُّ الْأَبْدَانِ
 وَالْأَنْفُسِ. وَالْمَعْنَوِيَةُ حَظُّ الْقُلُوبِ وَالْعُقُولِ. وَالْعِلْمِيَّةُ حَظُّ الْأَرْوَاحِ وَالْأَسْرَارِ. فَيَأْتِي لَه
 مِنْ شَرَابٍ مَا أَعْدَبَهُ؛ فَطَوْبِي لِمَنْ شَرِبَ وَدَامَ وَلَمْ يَقْطَعْ عَنْهُ. نَسَأَلُ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ
 ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. وَقَدْ تَجْتَمِعُ جَمَاعَةٌ مِنْ
 الْمُحِبِّينَ فَيُسْقَوْنَ مِنْ كَأْسٍ وَاحِدَةٍ. وَقَدْ يُسْقَوْنَ مِنْ كُؤُوسٍ كَثِيرَةٍ. وَقَدْ يُسْقَى
 الْوَاحِدُ بِكَأْسٍ وَيَكُؤُوسُ. وَقَدْ تَخْتَلَفُ الْأَشْرِبَةُ حَسَبَ عَدَدِ الْأَكْوَاسِ. وَقَدْ يَخْتَلَفُ
 الشُّرْبُ مِنْ كَأْسٍ وَاحِدَةٍ. وَإِنْ شَرِبَ مِنْهُ الْجَمُّ الْعَفِيرُ مِنَ الْأَحِبَّةِ. انْتَهَى كَلَامَهُ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَقَوْلُهُ: فَتَارَةً يَشْهَدُ الشَّارِبُ تِلْكَ الْكَأْسَ صُورَةً، أَيِ يَشْهَدُهَا
 حَسِّيَّةً. وَيَشْرَبُ مِنْهَا خَمْرًا حَسِيًّا. عَلَى وَجْهِ الْعَادَةِ. وَيَكُونُ هَذَا فِي حَالِ الْبِدَايَةِ

في الجذب الأول. وقد أخبرني أخي، أنه كان يجد في فمه طعم الخمر الحسي. ورائحته الحسية، في جذبه الأول. وتارة يشهدا معنوية. يعني يشهد خلاوة المعاملة. ولذيل الطاعة. فيغيب قلبه في حالة الذكر. وإن كان مسدوداً عليه الحجاب. وقوله: تارة يشهدا علمية، أي يشهدا بالعلم. والمراد به علم الوحدة برفع الحجاب. فيسكر في شهود أنوار الحبيب، ثم يصححو من سكره. وقوله: فالصورة حظ الأبدان والأنفس؛ لأن هذه الحالة، تكون لأهل البدايات، فأبدانهم كثيفة. ونفوسهم قوية. فلا يؤثر فيها إلا الشيء المحسوس. وأيضاً. من نوع الكرامة الحسية، فيتقوى بها المبتدئ دون المنتهي. وقوله: والمعنوية حظ القلوب والعقول. إنما كانت المعنوية حظ القلوب والعقول؛ لأن هذه الحالة، تكون للمتوسطين السائرين. قد انقلبت معاملتهم البدنية. قلبية وعقلية. فلا يسقون إلا من المعاني اللطيفة، وإن كانوا محجوبين عن رؤيتهم ولكنهم مستشرفون عليها، قد لأحت عليهم أنوارها. وأشرفت عليهم أسرارها. وقوله: والعلمية حظ الأرواح والأسرار؛ لأن الروح والسر هو محل الشهود والعلم بالوحدة. فلا تسقي إلا من مادة العلم. فالوحدة، حتى تغرق في عين بحر الوحدة. ولا تسمى روحاً ولا سيراً، حتى ينكشف عنها الحجاب. وتدخل مع الأخباب. وإلا فيقال فيها النفس والعقل، والقلب. والموضوع واحد. وقد قلت في هذا المعنى من قصيدتي الرائية: التي أنشدها في الروح، وتقلبات أطوارها. فقلت في بعضها:

هِيَ النَّفْسُ ثُمَّ الْعَقْلُ وَالْقَلْبُ تَالِيَا
فَإِنْ أَخْلَدَتْ أَرْضُ الْهَوَى وَتَظَلَّمَتْ
وَإِنْ عَقَلَتْ أَيْدِي الْهَوَى بِأَزْمَةٍ
وَإِنْ سَكَنْتَ لِلْخَيْرِ لَكِنْ حَوَاطِرُ
بِذَاكَ تُسَمَّى الْقَلْبَ مَالِكِ أَمْرَهَا
وَإِنْ لَحَظْتَ رُوحَ الْوِصَالِ يَوْمَهَا
فَرُوحاً تُسَمَّى فِي نَسَاءَةِ أَضْلِحَهَا
فِيَنْ صُقِلَ الْمِرْزَاةُ عَنْ عَيْشِ حِسِّهِ
انتهى المقصود منه.

(1) التبر: قطعة من الذهب أو الفضة، لا زالت على أصلها.

وقوله: وقد تجتمع جماعة.. الخ يعني. قد تسقى جماعة على يد شيخ واحد؛ وهو المُرَاد بالكأس. وقوله: وقد يُسقى من كؤوس كثيرة. أي كل واحد يشرب من واسطة شيخه. وقوله: وقد يُسقى الواحد بكأس ويكؤوس. يعني أنه يُسقى أولاً من كأس شيخ. ثم يُسقى من شيوخ أخرى. إذا أذن له شيخه في مُلاقاتهم. وقد يكون للمجدوب نحو أربعين شيخاً. كلهم غرّف منهم. إلا أن هذا نادرٌ. أو يكون بعد الترشيد. والله تعالى أعلم. وقوله: وقد تختلف الأشربة، يعني يكون بعضها ممزوجاً بالصُخو؛ وهو الكامل من الشراب، وبعضها يكون جَذباً صِرْفاً ثم يصُخو. وبعضه الجذب غالب. وبعضها السلوك غالب. إلى غير ذلك. وذلك بحسب المشروب. وعلى عدد الكؤوس. وقوله: وقد يختلف الشرب من كأس واحدة. أي من يد شيخ واحد. فيكون الماء واحداً. والزهر ألواناً. فالخمر واحد، والأواني مختلفة. فبعضها صلبة قوية واسعة. لا يغلّبها السكر. وبعضها رقيقة لطيفة، أو ضيقة؛ أقل شيء يؤثر فيها. والماء واحد وهو الصحو لكمال الساقى. والله تعالى أعلم. وبالله التوفيق. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ثم قال رضي الله عنه:

وَلَوْ نَضَحُوا مِنْهَا نَرَى قَبْرَ مَيْتٍ لَعَادَتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ وَانْتَعَشَ الْجِسْمُ

قلت: النَّضْحُ: الرش. والرّى: التراب. وانتعش: انتهض وارتفع. يقول رضي الله عنه: هذه الحُمرة الأزلية؛ وهي الحقيقة الإلهية لها قوة عظيمة. وتأثير قوي في قلب الحقائق، وخرق العوائد الحسية والمعنوية. فلو رش أصحابها منها رشة على قبر ميت، لنتهض وارتفع من قبره بإذن ربه. ويقوى تأثيرها بقدر تحقيقها. وحصولها في قلب صاحبها. حتى يكون من تحقق بها. أمره بأمر الله. ولذلك كانت الأنبياء والرسل، تنفعل لهم الأشياء، وتخرق لهم العوائد أكثر من غيرهم. فكان سيدنا عيسى عليه السلام، يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله. وكان نبينا عليه الصلاة والسلام يُطعم الجَمَّ الغفير من صاع من طعام. ويسقي الجيش الكثير من بين أصابعه الشريفة ﷺ. وقد أخيا المؤودة، وخيرها في الرجوع أو البقاء، فاختارت الرجوع إلى ربها. وأخيا أبويه حتى أسلما على قول. ورَدَّ عَيْن قتادة بعد أن انتثر في يده. فكانت أحسن عينيه. إلى غير ذلك مما لا ينحصر. وكرامة الأولياء من هذا المعنى متواترة، لا يمكن حصرها. ويحتمل أن كلام الشيخ، على سبيل المجاز والإشارة. فيريد بشرى قبر الميت، بشرية الجاهل

أو الغافل . وبناتعاش روجه : حياتها وارتفاعها بالمعرفة والعلم . أي ولو نَضَحَ العارفون من خَمْرَةِ هِمَّتِهِمْ على ظاهر من ماتت روحه بِالْجَهْلِ وَالْغَفْلَةِ ، لحيث وَاثْتَهَضَتْ إِلَى حَضْرَةِ الْحَقِّ . وارتفعت بالعلم والذِّكْر من سَاعَتِهَا . وَهَذَا الْأَمْرُ مجرَّب عند أهل الصِّدْقِ . وفي بعض الأثر : «إِنَّ اللَّهَ رَجَالاً مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِمْ سَعِدَ سَعَادَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا» . وكان الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه يقول : «وَاللَّهِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ إِلَّا أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهِ وَقَدْ أَعْنَيْتُهُ» . وقد شهد له بذلك شَيْخُهُ . فقال : نِعَمَ الرَّجُلُ أَبُو الْعَبَّاسِ ؛ يَأْتِيهِ الْبَدْوِيُّ يَبُولُ عَلَى سَاقِيهِ . فَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ وَلِيٌّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ . ولقد سمعتُ شَيْخَنَا الْبُورْزَيْدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : إِذَا كَانَ الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ ، يُغْنِي بِالنُّظْرَةِ . فَلَقَدْ بَقِيَ فِي زَمَانِنَا هَذَا ، مَنْ يُغْنِي بِالنُّظْرَةِ كَالشَّيْخِ أَوْ أَكْثَرَ . وسمعت شيخه مَوْلَايَ الْعَرَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : لَقَدْ بَقِيَ الْعَارِفُونَ فِي زَمَانِنَا هَذَا ، كَالشَّاذِلِيِّ وَأَمثَالِهِ - يُشِيرُ إِلَى نَفْسِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهَذَا أَمْرٌ شَهِيرٌ عِنْدَ أَهْلِ الذُّوقِ وَأَهْلِ الصِّدْقِ . كُلُّ مَنْ قَصَدَهُمْ بِالصِّدْقِ رِيحٌ مِنْ سَاعَتِهِ . وَحَيٌّ بَعْدَ مَوْتِهِ . وَهَذَا الْإِحْتِمَالُ عِنْدِي أَقْرَبُ ، لِتَحَقُّقِ هَذَا الْأَمْرِ لِلْعَارِفِينَ بِخِلَافِ الْأَوَّلِ . فَإِنَّهُ مِنْ بَابِ الْكِرَامَةِ الْحَسِيَّةِ . وَهُمْ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهَا . وَقَدْ لَا تَظْهَرُ لَهُمْ . فَكَمْ مِنْ عَارِفٍ كَامِلٍ ، أَخِيًّا لِلَّهِ عَلَى يَدِهِ الْجَمُّ الْغَفِيرُ مِنْ أَمْوَاتِ النَّفُوسِ وَالْقُلُوبِ . وَلَمْ يَظْهَرِ عَلَى يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْكِرَامَاتِ الْحَسِيَّةِ إِلَّا الْقَلِيلُ . كإحياء الموتى الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ . وَأَيْضًا : عَلِمْنَا كُلَّهُ إِشَارَةً وَأَلْغَازَ ، فَلَا يُحْمَلُ عَلَى ظَاهِرِهِ إِلَّا مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مَقْصِدَهُمْ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَلَوْ طَرَحُوا فِي فَيْءِ حَائِطِ كَرَمِهَا عَلِيلًا وَقَدْ أَشْفَى لِفَارِقَهُ السُّقْمُ

قلت : الفَيْءُ : ظل الشيء بعد أن كان شمسًا . والحائط : البستان . وَأَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ . أَشْرَفَ عَلَيْهِ . يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هَذِهِ الْخَمْرَةُ الْأَزَلِيَّةُ ، لِقُوَّةِ تَأْثِيرِهَا تَشْفِي الْأَسْقَامَ وَالْعَلَلُ . قِيلَ ظَهَرَهَا مِنْ مَوَادِّهَا . فَلَوْ طَرَحَ عَلِيلٌ ، وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ . فِي ظِلِّ بَسْتَانٍ أَشْجَارِهَا قَبْلَ أَنْ تَعْفَرَ بِلِ قَبْلِ أَنْ يَظْهَرَ عَنْهَا . لَشَغَلَهُ اللَّهُ . وَفَارِقَهُ السُّقْمُ مِنْ سَاعَتِهِ . وَهَذَا يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُبَالَغَةً فِي مَدْحِهَا . وَأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ حَسِيَّةً .

وَجُعِلَ ذَلِكَ ، لِكَوْنِ الْأَمْرِ كَمَا قَالَ . وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ الْعَلِيلُ سَقِيمَ الْقَلْبِ . وَبِالْحَائِطِ ، بَسْتَانِ الْعَارِفِينَ . فَكُلُّ مَنْ دَخَلَ فِي ظِلِّ صَحْبَتِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ ، شَفَاءُ اللَّهِ مِنْ مَرَضِ قَلْبِهِ ، وَلَوْ أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ . بِالشُّكُوكِ وَالْخَوَاطِرِ ، وَالذَّنُوبِ

والجرائم . وهذا أيضاً مجرّب . إذ المرء على دين خليله . ومن تحقق بجلالة ، لا يخلو حاضروه منها . وفي الخبر . «تعلّموا اليقين . بمجالسة أهل اليقين» . والله ما أفلح من أفلح ؛ إلا بصحبة من أفلح . وفائدة الصحبة وثمراتها . أمر شهير لا يحتاج إلى دليل . وجرب . ففي التجريب علم الحقائق . ولابن عبّاد رضي الله عنه في نظم الحكم .

إنّ التواخي فضله لا ينكر ، وإنّ خلا من شرطه لا يشكر . والشّروط فيه أن تواخي العارف ، عن الحظوظ واللّهو صارفاً .

مقاله وحاله سيان ما دعونا إلا إلى الرحمن أنواره الدائمة السرايا
فيك وقد حفت بك الرعاية

وقال سيدي إبراهيم التازي رضي الله عنه : «زيارة أرباب الثقي مزهم يبّري ومفتاح أبواب الهداية والخير . وتحدث في قدر الخلي زيادة» .

وتشّرخ صدرأ فاق من سعة الوزر
وتكسب معدوماً وتجبّر ذا كسر
فألقته في البحر والبر . إلى أن قال :

ولأفزق في أحكامه بين سالك
وذي الزهد والعباد فالكل منعم
مربّ ومجذوب وحي وذي قبر
عليه ولكن ليست الشمس كالبندير
ثم قال رضي الله عنه :

ولو قرّبوا من خانها مقعداً مسمى
وتنطق من ذكره مذاقتها البكم

قلت : تقدّم أن الخان : هو حاثوث الخمار أو داره . يقول رضي الله عنه :
ولو قرّبوا محبوباً عن المشي . من محل هذه الخمرة الأزلية . لأنطلقت رجلاً
للمشي سريعاً . قبل الوصول إلى محلها . فما بالك لو دخل خدنها أو شرب منها .
وكذلك لو ذكرت خلاوة مذاقتها عند الأبكم . لتطق سريعاً من بركة ذكرها . فما
بالك لو ذاقها بلساني . وهذا الذي ذكر ، يخيّل أن يكون حقيقة ، فإن في كرامات
الأولياء ، مثل هذا أو أكثر . كقصّة الجارية التي كانت مقعدة سنين . فلما بات عند
أهلها رجل صالح توسّلت به . فقامت من حينها . إلى غير هذا مما يظهر على يد
الأولياء ، من الكرامات الحسية . ويحتمل أن يكون مجازاً . فيكون المراد بالمقعد ؛

مَنْ حُبِسَ عَنِ الْخَيْرَاتِ . وَأَقْعَدَهُ الْكَسْلُ عَلَى الطَّاعَاتِ . وَحَبَسَتْهُ الشَّهَوَاتُ ، عَنِ النَّهْوِصِ إِلَى الْمَقَامَاتِ . فَإِذَا قَرِبَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْخَمْرَةِ ؛ وَهِيَ الْعَارْفُونَ ، انْطَلَقَتْ قِيودُهُ . وَنَشَطَ إِلَى السَّيْرِ ظَاهِراً وَبَاطِئاً . وَيَكُونُ الْمُرَادُ بِهِ الْأَبْكُمْ : مَنْ أَخْرَصَتْهُ الْعُقْلَةُ ، وَعَقَدَ لِسَانَهُ الْجَهْلُ وَالْبِدْعَةُ . فَلَا يَنْطِقُ إِلَّا بِمَا لَا يَغْنِي . وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِي الْحَسِّ إِذَا صَحِبَ الْعَارِفِينَ ، تَجَوَّهَرَتْ نَفْسُهُ . وَانْطَلَقَ لِسَانُهُ . فَيَتَكَلَّمُ بِالْحِكْمِ وَالْعُلُومِ الدُّنْيَا . وَفِي الْخَمَارِ : «مَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا أَرْبَعِينَ يَوْماً . نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ» أَوْ كَمَا قَالَ . وَقَالَ أَبُو سَلِيمَانَ الدَّارَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا ابْتَعَدَتِ النَّفْسُ عَلَى تَرْكِ الْآثَامِ . جَالَتْ فِي الْمَلَكُوتِ . ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى صَاحِبِهَا بِطَرَائِفِ الْعُلُومِ . مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْهَا عَالَمٌ عِلْماً . ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَلَوْ عَبِقَتْ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسٌ طَيِّبِهَا وَفِي الْمَغْرِبِ مَرْكُومٌ لِعَادَ لَهُ الشَّمُّ

قلت: عبقت الريح: إذا هبَّت وقال في القاموس: عَبِقَ عَبْقاً وعباقة: برق. وَلَا يَنَابِيبُ هُنَا . وَالْأَنْفَاسُ جَمْعُ نَفْسٍ بِالتَّحْرِيكِ وَهُوَ الرِّيحُ . يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَوْ هَبَّتْ أَنْفَاسٌ طَيِّبِ هَذِهِ الْخَمْرَةِ الْأَزْلِيَّةِ مِنَ الْمَشْرِقِ . وَفِي الْمَغْرِبِ مَرْكُومٌ أَي مَرِيضٌ بِالزُّكَامِ . وَهُوَ الَّذِي لَا يَشُمُّ شَيْئاً . ثُمَّ وَصَلَتْ إِلَيْهِ أَنْفَاسُ تِلْكَ الْخَمْرَةِ ؛ أَي نَسَمِيهَا الطَّيِّبِ ، لِعَادَ لَهُ الشَّمُّ . صَارَ صَاحِباً مِنْ بَرَكَاتِ طَيِّبِهَا . وَقُوَّةُ ذِكَائِهَا . وَهَذَا يَحْتَمِلُ أَيْضاً . أَنْ يَكُونَ عَلَى ظَاهِرَةٍ . مُبَالَغَةً فِي مَذْحِ نَسِيمِ هَذِهِ الْخَمْرَةِ . لَوْ ظَهَرَ لِلْحَسِّ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْمَرْكُومِ . مَنْ لَا يَشُمُّ شَيْئاً مِنْ رَائِحَةِ الْخَمْرَةِ . وَيَحْتَمِلُ أَيْضاً . مَرِيضٌ بِالْإِنْكَارِ عَلَى أَهْلِهَا . فَإِنَّهُ لَوْ تَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ هِمَّتُهُمْ ، وَعَبِقَتْ أَنْفَاسُ حَمْرَتِهِمْ نَحْوَهُ . وَلَوْ كَانَ بَعِيداً مِنْهُمْ فِي الْمَسَافَاتِ ؛ لَزَالَ عَنْهُ الْإِنْكَارُ . شَمُّ رَائِحَةِ الْوِلَايَةِ عَلَيْهِمْ ، وَبَادَرَ إِلَى صَحْبَتِهِمْ وَخِدْمَتِهِمْ ، حَتَّى يَنْخَرِطَ فِي سَبِيلِهِمْ ، وَيَجْلِسَ عَلَى بَسَاطِ الْقُرْبِ وَالْمُؤَانَسَةِ فِي مَجْلِسِهِمْ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَلَوْ خُضِبَتْ مِنْ كَأْسِهَا كَفُّ لَامِسٍ لَمَافَلْ فِي لَيْلٍ وَفِي يَدِهِ النَّجْمُ

قلت: خُضِبَتْ كَفُّهُ: لَوَّنَتْهَا بِالْخَضِيبِ . وَلَمَسَهُ يَلْمِسُهُ وَيَلْمَسُهُ: مَسَّهُ بِيَدَيْهِ . وَقَلَّ يَفْلُ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ . ضَاعَ وَتَلَفَ . قَالَ فِي الْقَامُوسِ . يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَوْ خُضِبَتْ مِنْ كَأْسِ هَذِهِ الْخَمْرَةِ الْأَزْلِيَّةِ كَفُّ . مَنْ مَسَّهَا لِأَشْرَقَتْ يَدُهُ ، وَصَارَ نَجْماً يُهْتَدَى بِهَا فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ . وَتَصِيرُ يَدُهُ ، كَيْدِ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حِينَ ضَمَّهَا إِلَيْهِ . فَإِذَا سَارَ فِي اللَّيْلِ ، اهْتَدَى . فَلَا يَضِلُّ عَنِ الطَّرِيقِ . كَمَنْ فِي يَدِهِ نَجْمٌ

يُضيء له الطريق. وهذا أيضاً يحتمل أن يكون على ظاهره، مبالغة في تأثرها في خرق العوائد الحسية. ويحتمل أن يريد بخضب الكف منها، مُباشرتها للقلب. واتصالها به. فإنها لو توقفت إليه، لأضاء له نوراً يهتدي به. في حل مشكلات بز الشرائع. وغوامض تجر الحقائق. فلا يضل في سيره إلى عين التحقيق. وفي قلبه هذا النور العظيم. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْذِّكْرُ آمَنُوا إِنْ تَقُؤْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾. أي نوراً يُفَرِّق بين الحق والباطل. وفي كلام الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، ما يُوافق هذا الاحتمال؛ أعني: إطلاق الحسن على وصول علم الحقيقة إلى القلب. فإنه قال: المحبة: آخذة من الله، قلب عبده، عن كل شيء سواك. فترى النفس ملائكة متحصنة بمعرفته. والروح آخذة في حضرته. والسر مغموراً في مشاهدته. والعبد يستزيد من حبه. فيزيد، ويفتح بما هو عذب من لذيذ مناجاته. فيكسى حلق التريب. على بساط القرية. ويلمس أبكار الحقائق، وثبيات العلوم. المراد منك. فأطلق المس على وصول العلم إلى القلب وجعل علم الحقائق كالأبكار. وعلم الشرائع كالثبيات. لصعوبة إدراك الأول دون الثاني. إذ قد يدركه من لا خلاق له من العصاة، وقضاة الجور. والله تعالى أعلم. ثم قال رضي الله عنه:

وَلَوْ جُلِيَتْ سِرّاً عَلَى أَكْمِهِ عَدَاً
بَصِيراً وَمِنْ زَاوِيقِهَا تَسْمَعُ الصُّمُّ

قلت: جلي الأمر بالبئاء للمفعول: كُشف وانجلي. والأكمه: الذي ولد أعمى. والرووق: لم يذكره في القاموس بالهمز. وإنما ذكره بالواو فقال: والراووق: المصفاة؛ أي الخمر المصفاة والباطنة. وخمر: الشراب الذي يروق به والكأس. إلا أن قلب الواو همزة جائز. كأقنت، ووقتت. وقال أيضاً: والروق: الإعجاب به لشيء وقدراته: أعجبه، والصم جمع أصم. يقول رضي الله عنه: لو كُشفت هذه الخمرة الأزلية، وأظهرت سراً على رجل خلق أعمى، لعدا، أي مات بصيراً من ساعته. كما كان ذلك لسيدنا عيسى عليه السلام. ولغيره من الأولياء. فإن قلت: كُشفها يقتضي الإظهار والجهر؛ وهو يُنافي في قوله سراً. قلت: هذه الخمرة الأزلية؛ هي معاني لطيفة غيبية. فأظهارها لعالم الشهادة، هو كُشفها وجلالها. ولا شك أن بزوزها لعالم الشهادة، يكون سراً، ويكون جهراً. فعبر الناظم بالسر مبالغة. ليكون الجهر أولى. أي فلو برزت من عالم الغيب، إلى عالم الشهادة سراً. لعاد الأكمه بصيراً. حتى يبصر أنوارها. ويشاهد أسرارها. فما بالك

لَوْ بَرَزَتْ جَهْرًا. وَمِنْ حُسْنِ صَفَاءِ هَذِهِ الْخَمْرَةِ، وَجُودَةِ جَوْهَرِيَّتِهِ. تُسْمَعُ الْأَذَانُ الصُّمُّ، أَي تَصِيرُ سَامِعَةً، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ صَمًّا. أَوْ مِنَ الْإِعْجَابِ لِحُسْنِهَا، وَحُسْنِ الثِّيَابِ عَلَيْهَا، تَصِيرُ الْأَذَانُ الصُّمُّ سَامِعَةً. فَتَسْمَعُ تِلْكَ الْمَحَاسِنَ. بَعْدَ أَنْ كَانَتْ صَمًّا؛ وَهَذَا أَحْسَنُ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِالْأَكْمَةِ. أَعْمَى الْبَصِيرَةَ. فَإِذَا صَحِبَ أَهْلَ هَذِهِ الْخَمْرَةِ، وَكَشَفُوا لَكَ شَيْئًا مِنْ حُسْنِهَا وَبَهْجَتِهَا. انْفَتَحَتْ بَصِيرَتُهُ، وَصَارَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ. وَأَنْ يَرِيدَ بِالصُّمِّ؛ الَّذِي تَنْفَعُهُمُ الْمَوْعِظَةُ، وَلَا تَنْهَجُ فِيهِمُ التَّذَكُّرَةُ، فَإِذَا سَمِعُوا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْخَمْرَةِ شَيْئًا، مِنْ صَفَاءِ الْمَوْعِظَةِ. وَحُسْنِ التَّذَكُّرَةِ. انْكَفُوا وَانزَجَرُوا. وَقِيلُوا مَا سَمِعُوا. وَصَارُوا: مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَسْتَبِغُونَ أَحْسَنَهُ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. وَهُوَ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمُمُّوا تُزِبَ أَرْضُهَا وَفِي الرَّكْبِ مَلْسُوعٌ لَمَا ضَرَّهُ السُّمُّ

قُلْتُ: الرَّكْبُ جَمْعُ رَاكِبٍ، كَصَخْبٍ وَصَاحِبٍ. وَقِيلَ: لَا مُفْرَدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ وَتَيَمَّمٌ: قَصْدٌ. وَالْمَلْسُوعُ: الْمَلْدُوعُ مِنَ الْحَيَّةِ أَوْ الْعَقْرَبِ، وَالسُّمُّ مِثْلُ: السَّيْنِ: الشَّيْءِ الْقَاتِلِ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ أَنَّ جَمَاعَةً قَصَدُوا تُزِبَ هَذِهِ الْخَمْرَةَ. الَّتِي تُثَبِّتُ كَرَمَهَا. وَفِي الرَّكْبِ مَنْ لَسَعَتْهُ الْحَيَّةُ أَوْ الْعَقْرَبُ، لَمَا ضَرَّهُ سُمُّ ذَلِكَ اللَّسْعِ، حَيْثُ قَصَدَ تُزِبَ هَذِهِ الْخَمْرَةَ. فَمَا بِاللَّكِ لَوْ وَصَلَ إِلَيْهَا. أَوْ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ تُرَابِهَا. أَوْ رَمَاهُ عَلَى مَا لُسِعَ مِنْهُ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِالْمَلْسُوعِ، مَنْ لَدَعَتْهُ الشَّهْوَاتُ وَالْمَعَاصِي. فَإِذَا كَانَ مَعَ قَوْمٍ قَاصِدِينَ الْوَصُولِ إِلَيْهَا. أَوْ إِلَى مَحَلِّهَا. فَلَا يَضُرُّهُ الْوُقُوعُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا. إِذْ بَرَكَتُهُ صُحْبَتِهِمْ تُذْهِبُ عَنْهُ الْإِضْرَارَ. وَتُرْجِعُهُ إِلَى الْإِقْلَاعِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى الصُّخْبَةِ وَثَمَرَتِهَا. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مَنْ قَصَدَ زِيَادَةَ صَالِحٍ، لَا يَكْتَبُ عَلَيْهِ مَلَكُ الشَّمَالِ شَيْئًا. مَا دَامَ فِي زِيَارَتِهِ. وَلَعَلَّهُ وَقَفَ عَلَى حَدِيثٍ فِي ذَلِكَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَوْ رَسَمَ الرَّاقِي حُرُوفَ اسْمِهَا عَلَى جَبِينِ مُصَابٍ جُنَّ أَبْرَأَهُ الرَّسْمُ

قُلْتُ: الرَّاقِي؛ هُوَ الْمَعْوِذُ. قَالَ فِي الْقَامُوسِ: الرَّقِيَّةُ بِالضَّمِّ: الْعَوْدَةُ. وَالْجَمْعُ رُقَى. وَرَقَاهُ رُقَى. وَرَقِيًّا وَرَقِيَّةً؛ فَهُوَ رَقَاءٌ. نَفَتْ فِي عَوْدَتِهِ هـ. وَالْجَبِينُ: قَالَ فِي الْقَامُوسِ: وَالْجَبِينَانِ حُرْفَانِ لِكَشْفِ الْجَبْهَةِ مِنْ جَانِبَيْهَا، فِيمَا بَيْنَ الْحَاجِبَيْنِ. مَصْعَدًا إِلَى قِصَارِهِ الشُّعْرِ. أَوْ حُرُوفِ الْجَبْهَةِ. مَا بَيْنَ الصَّدْغَيْنِ، مُتَّصِلًا

بحداء النَّاصِيَةِ . كَلِمَةٌ جَبِينٌ هـ . وَجُنَّ بِالضَّمِّ : جُنَأٌ وَجِنَأٌ وَجِنُونًا . وَاسْتُجِنَ مَبْنِيًا لِلْمَفْعُولِ . أَيَّ أَصَابَهُ الْجُنُونُ ؛ وَهُوَ مِنَ الْأَفْعَالِ اللَّازِمَةِ لِلْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ . لِكُلِّ دَمُهُ : أَيَّ هَدَرَ وَرُهِمَ : أَيَّ تَكَبَّرَ . وَعَنِي بِحَاجَتِيهِ . فَهَذِهِ الْأَفْعَالُ لَمْ يُسْمَعْ فِيهَا الْبِنَاءُ لِلْفَاعِلِ . وَأَبْرَاهُ اللَّهِ : شَفَاءُ .

يقول رضي الله عنه: لَو رَسَمَ الْكَاتِبُ الْمُعَوِّذَ، حُرُوفَ هَذِهِ الْخَمْرَةِ الْأَزْلِيَّةِ، عَلَى جَبِينِ مَصَابٍ، أَصَابَهُ الْجُنُونُ، لِأَبْرَاهُ ذَلِكَ الرَّسْمُ مِنْ سَاعَتِيهِ . وَحُرُوفُ هَذِهِ الْخَمْرَةِ هِيَ حُرُوفُ اسْمِ الْجَلَالَةِ: فَلَوْ كَتَبَهَا الْعَارِفُ عَلَى مَجْنُونٍ . بِحَضُورِ يَهْمِهِ، لِتَبْرِيءِ الْمَصَابِ مِنْ حِينِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَكَذَا مَنْ جُنَّ قَلْبُهُ بِالْخَوَاطِرِ الشَّيْطَانِيَّةِ . وَالشُّكُوكِ الْوَهْمِيَّةِ . إِذَا لَقِنَهُ الْعَارِفُ هَذَا الْاسْمَ، وَرَسَمَهُ لَهُ فِي قَلْبِهِ، لِتَبْرِيءِ مَنْ حِينِهِ، وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْيَقِينِ التَّامِّ . وَالطَّمَأْنِينَةِ الْكُبْرَى . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَفَوْقَ لِيَوَاءِ الْجَيْشِ لَوْ رُقِمَ اسْمُهَا لَأَسْكَرَ مَنْ تَخَتَّ اللَّوَا ذَلِكَ الرَّقْمُ
قلت: اللوَاءُ بِالْمَدِّ: الْعَلَمُ . وَيُجْمَعُ عَلَى أَلْوِيَةٍ . وَجَمْعُ الْجَمْعِ أَلْوِيَاتٌ .
وَالجَيْشِ: الْجُنْدُ . أَوْ السَّائِرُونَ لِحَرْبٍ أَوْ غَيْرِهَا وَرَقْمٌ: كَتَبَ . وَالْمِرْقَمُ بِكسْرِ
المِيمِ: الْقَلَمُ، وَالرَّقْمُ: الْكِتَابَةُ وَالتَّخْطِيطُ . يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ كَتَبَ اسْمُ هَذِهِ
الْخَمْرَةِ الْأَزْلِيَّةِ . وَجُعِلَ فَوْقَ عَلَمِ الْجَيْشِ لَأَسْكَرَ ذَلِكَ الرَّقْمُ . كُلُّ مَنْ تَخَتَّ ذَلِكَ
اللوَاءِ . وَصَارُوا كُلُّهُمْ نَشَاوَى مِنْ خَمْرَةِ الْمَحَبَّةِ . فَيَذَلُّونَ نَفُوسَهُمْ فِي مَرْضَاتِ
مُحِبِّوهُمْ . اخْتِيَارًا مِنْهُمْ . فَهَذَا كُلُّهُ مِبَالِغَةٌ فِي هَذِهِ الْخَمْرَةِ . وَتَشْوِيقٌ إِلَيْهَا . وَقَدْ
أَشْرَفْتُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فِي تَائِيْتِي فَقُلْتُ:

فِيَا لَهَا مِنْ نَشْوَى لَوْ هَبَّ نَسِيمُهَا عَلَى قُبُورِ الْأَمْوَاتِ أَحْيَتْ بِسُرْعَةٍ
وَلَوْ عَبَقَتْ أَنْفَاسُ طَيْبِهَا فِي الْوَرَى لِأَضْحَوْا سُكَارَى بِالْجَمِيعِ فِي لِحْظَةٍ
وَلَوْ بَيَعَتْ الْأَزْوَاجُ فِي قُبْرِ حَانِهَا لَكَانَ لَهَا بَيْعًا رَخِيصًا بِصَفْقَةٍ
فِيهِمْ وَتَنْزَرَةً فِي كَمَالِ جَمَالِهَا وَلَا تَسْرُفَ بِغَيْرِ الْحَبِيبِ بِنَظَرَةٍ
وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ . ثُمَّ ذَكَرَ ثَمْرَةَ هَذِهِ الْخَمْرَةِ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْهَا فِي الْبَاطِنِ فَقَالَ:

تَهَذَّبَ أَخْلَاقَ التُّدَامَى فَيَهْتَدِي بِهَا لِطَرِيقِ الْعَزْمِ مَنْ لَأَلَهُ عَزْمٌ
وَيَكْرُمُ مَنْ لَمْ يَغْرِفِ الْجُودَ كَفُهُ وَيَحْلُمُ عِنْدَ الْغَيْظِ مَنْ لَأَلَهُ حِلْمٌ
قلت: هَذَّبَ الشَّيْءُ: نَقَّاهُ وَأَخْلَصَهُ، وَصَفَّاهُ وَأَصْلَحَهُ . قَالَ فِي الْقَامُوسِ .

والأخلاق جمع خُلُق؛ وهو ما جُيِلَ عليه الإنسان، حَسَنًا أَوْ قَبِيحًا. وَالتَّدَامَى جَمْع نَدِيم: وهو: المُنَاجِي لِصَاحِبِهِ. فِي مَجْلِسِ الخمر أَوْ غَيْرِهِ. أَطْلَقَهُ هُنَا عَلَى الشَّارِبِ. وَيُكْرَمُ بِضَمِّ أَوَّلِهِ. وَكَسْرُ ثَانِيهِ. مَضَارِعُ أَكْرَمَ. وَالجَلْمُ: الأَنَاةُ وَالعَقْلُ. قَالَهُ فِي القَامُوسِ. وَالأَنَاةُ بِفَتْحِ الهَمْزَةِ: الرِّزَانَةُ وَالتَّانِي. وَحَلَمٌ بِالضَّمِّ، حُلْمًا: عَفَا وَأَضْفَحَ وَلَمْ يُعَاجِلْ. وَتَحَلَفَ: تَكَلَّفَ. يَقُولُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ هَذِهِ الحَمْرَةَ، تَتَّقِي وَتَحْلُسُ أَخْلَاقَ الشَّارِبِينَ لَهَا. فَتَبْدَلُ الأَخْلَاقَ السَّيِّئَةَ بِالأَحْسَنَةِ. فَتَبْدَلُ الكَسْلَ بِالنُّشَاطِ؛ وَخِفَةَ الأَعْضَاءِ. حَتَّى يَهْتَدِيَ لِطَرِيقِ العَزْمِ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى. مَنْ لَأَ عَزَمَ لَهُ عَلَيْهَا. وَتُبْدَلُ الشَّخُّ وَالبُخْلُ بِالكَرَمِ، وَالسُّخَاءُ. حَتَّى يَصِيرَ مَنْ لَا يَعْرِفُ السُّخَاءَ أَضْلًا، أَسْحَى النَّاسِ، وَأَكْرَمَ النَّاسِ. تَبْدَلُ الغَضَبُ وَالحَقْدُ وَالعَجَلَةُ وَالبَطْشُ، بِالجَلْمِ وَسَلَامَةِ الصُّدْرِ، وَالسَّكِينَةِ وَالتَّانِي وَالرِّزَانَةِ. وَتَبْدَلُ الخَوْفُ وَالجَزَعُ وَالهَلَعُ، بِالسُّجَاعَةِ وَاليَقِينِ، وَالعِنْيِ بِاللَّهِ. وَتَبْدَلُ الشُّكُّ وَالأَضْطِرَابُ بِالأَمَانِيَةِ وَالسُّكُونِ. وَتُبْدَلُ كَثْرَةُ التَّدْبِيرِ وَالأَخْتِيَارِ، بِالرِّضَى وَالتَّسْلِيمِ، وَالسُّكُونُ تَحْتَ مَجَارِي الأَقْدَارِ. وَتَبْدَلُ التَّكَبُّرُ وَحُبُّ الرِّفْعَةِ، وَالجَاهُ وَالرِّيَاسَةُ، بِالتَّوَاضُعِ وَالسَّكِينَةِ، وَالخَمُولُ وَحُبُّ السُّفْلِيَّاتِ. دُونَ العُلُوبِيَّاتِ. وَتَبْدَلُ حُبُّ الدُّنْيَا وَالجِرْصُ وَالأَطْمَعُ، بِالرَّهْدِ وَالقَنَاعَةِ وَالنُّورِ. وَالعِنَا بِاللَّهِ دُونَ شَيْءٍ سِوَاهُ. وَتَبْدَلُ تَعْظِيمُ الأَغْنِيَاءِ وَالحَلْفُ لَهُمْ. بِالإِعْرَاضِ عَنْهُمْ وَالرَّهْدِ فِيهِمْ. وَالتَّيِّبَةُ عَلَيْهِمْ. اِكْتِفَاءً بِعِلْمِ اللّهِ. وَتُبْدَلُ تَحْقِيرُ الفُقَرَاءِ، وَتَصْغِيرُهُمْ، بِتَعْظِيمِهِمْ وَرَفْعَتِهِمْ، وَالدَّنْوُ مِنْهُمْ. وَالحُبُّ لَهُمْ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَنْحَصِرُ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: «لِلنَّفْسِ مِنَ النَّقَائِصِ. مَا لِلَّهِ مِنْ الكَمَالَاتِ». فَتَنْقَلِبُ جُلَّ تِلْكَ النَّقَائِصِ كَمَالَاتٍ. وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ثُبُوتِ الخُصُوصِيَّةِ بِمَدْحِ وَصْفِ البَشَرِيَّةِ. إِذْ لَوْ كُنْتَ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ مَخَوِّ مَسَاوِنِكَ، وَمَخَوِّ دَعَاوَيْكَ، لَا تَصِلُ إِلَيْهِ أَبَدًا. وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَوْصَلَكَ. غَطَّى وَوَصَفَكَ بِوَصْفِهِ، وَنَعْتَكَ بِنَعْتِهِ. قَوْصَاكَ بِمَا مِنْهُ إِلَيْكَ. لَا يَمُدُّ مِنْكَ إِلَيْهِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ؛ وَهُوَ الهَادِي إِلَى سِوَاءِ الطَّرِيقِ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

وَلَوْ نَالَ قَرْمُ القَوْمِ لَثَمَ قِدَامُهَا لِأَكْسَبَهُ مَعْنَى شَمَائِلِهَا اللَّثْمُ
 قَلْتُ: نَالَ الشَّيْءُ: أَعْطِيَهُ وَأَخَذَهُ. وَالقَرْمُ: السَّيِّدُ. وَقَرْمُ القَوْمِ سَيِّدُهُمْ.
 وَاللَّثْمُ: التَّقْيِيلُ. لَثَمَ. كَضْرَبَ وَسَمِعَ، وَالثَّامُ، كَكِتَابَ: مَا عَلَى العَمِّ مِنَ النَّقَابِ،
 وَالسَّمَائِلِ، جَمْعُ شَمَالٍ بِالفَتْحِ بِمَعْنَى الطَّبْعِ. يَقُولُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَوْ نَالَ سَيِّدُ
 القَوْمِ وَكَبِيرُهُمْ، تَقْبِيلَ لثَامِ هَذِهِ الخَمْرَةِ، وَشَمَّ شَيْئًا مِنْ عِطْرِهَا لِأَكْسَبَهُ ذَلِكَ اللَّثْمُ،

معنى طبايعها الحسنة. فتَهَذَّبَ أَخْلَاقُهُ، وتَزَيَّنَ أَشْكَالُهُ، فَيَصِيرُ حَلِيمًا، كَرِيمًا، رَحِيمًا، شَفِيعًا مُتَوَاضِعًا، سَهْلًا لَيِّنًا، إِلَى آخِرِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَتَقَلَّبَ النَّبِيُّ تَكْسِبَهَا، لِمَنْ تَحَقَّقَ بِهَا. وَإِنَّمَا كَانَتْ الْخَمْرَةُ تَهَذَّبُ الْأَخْلَاقَ، وَتَقَلَّبُ الْأَعْيَانَ؛ لِأَنَّهَا نَتِيجَةُ ذِكْرِ اللَّهِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ الْحَقِيقِي يُهَذَّبُ صَاحِبَهُ، وَيَخْلِصُهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أَيْ أَكْبَرُ مِنَ الصَّلَاةِ، فِي النَّهْيِ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ. وَهَذَا أَمْرٌ مُجَرَّبٌ. قَدْ تَحَقَّقْنَا بِهِ وَرَأَيْنَاهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. وَلَيْسَ الْخَبْرُ كَالْعَيَانِ وَإِنَّمَا حَصَّ قَرَمَ الْقَوْمِ بِهَذَا الْأَمْرِ، لِأَنَّهُ أَخْرَجَ إِلَى التَّهْذِيبِ مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ السِّيَاسَةَ لَا تَلِيْقُ إِلَّا بِأَهْلِ الْجَلْمِ وَالصَّبْرِ. وَالثَّانِي وَالسَّكِينَةَ. وَإِلَّا فَسَدَتِ الرَّعِيَّةُ. أَوْ تَعَيَّتْ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يَقُولُونَ لِي صِفَهَا فَأَنْتَ بِوَصْفِهَا خَبِيرٌ أَجَلُ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمٌ

يقول السامعون لي: صِفْ لَنَا هَذِهِ الْخَمْرَةَ الَّتِي شَوَّقْنَا إِلَيْهَا، وَبَالَغْتَ فِي مَدْحِهَا فَقَالَ لَهُمْ: أَجَلُ، أَي نَعَمْ. عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا وَنُعُوتِهَا، عِلْمٌ وَتَحْقِيقٌ، ثُمَّ وَصَفَهَا لَهُمْ فَقَالَ:

صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلَا هَوَاءٌ وَنُورٌ وَلَا نَارٌ وَرُوحٌ وَلَا جِسْمٌ
تَقَدَّمَ كُلُّ الْكَائِنَاتِ حَدِيثُهَا قَدِيمًا وَلَا شَكْلٌ هُنَاكَ وَلَا رَسْمٌ
وَقَامَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ ثُمَّ لِحِكْمَةٍ بِهَا اخْتَجَبَتْ عَنْ كُلِّ مَنِ لَأَنَّهُ فَهْمٌ

يقول رضي الله عنه في وصف الخمرة الأزلية، والذات المقدسة الأصلية. هي ذات موجودة. خفية لطيفة، كلطف الهواء ولا هواء لها صفاء كصفاء الماء، ولا ماء نورانية كثور النار ولا نار. روحانية كروح الأجسام ولا جسم. أي متصفة بالحياة الأصلية القديمة. وقد تقدّم حديثها أي نعوتها ووجودها كل الكائنات: لأن وجودها قديم أزلي. لم يكن هناك جزم صغير ولا كبير. فالأجرام الكبيرة، كالعرش والكروني، والسماوات والأرض، شبيهة بالرُسوم، أي الحروف. والأجرام الصغيرة، كالملائكة والجن والآدمي وسائر المخلوقات الرقيقة، كالأشكال لتلك الحروف. وَلَا شَكَّ أَنَّ فَائِدَةَ الرُّسُومِ وَالْأَشْكَالِ، هِيَ قَبْضُ الْمَعْنَى مِنْهَا وَفَهْمُهَا. فَإِذَا قَبِضْتَ الْمَعْنَى اسْتَعْنِي عَنِ الرُّسُومِ وَمُجِي. كَذَلِكَ الْكَائِنَاتِ، مَا نُصِبَتْ إِلَّا لِتَرَى فِيهَا مَوْلَاهَا. فَإِذَا عَرَفْتَهُ. طَاحَتْ تِلْكَ الرُّسُومُ وَالْأَشْكَالُ. وَلَا يَبْقَى إِلَّا الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ. وَأَنْشُدُوا:

وَطَاحَ مَقَامِي فِي الرَّسُومِ كَلَامَهَا
فَنَيْتُ بِهِ عَنِّي قَبَاتٍ بِهَا غَيْبِي
فَلَسْتُ أَرَى فِي الْوَقْتِ قَرِيبًا وَلَا بُعْدًا
فَهَذَا ظُهُورُ الْحَقِّ عِنْدَ الْفَنَاءِ قَضَا
وَعَادَتْ صِفَاتُ الْحَقِّ مِمَّا يَلِي الْعُبْدَا

وفي الحديث الصحيح: «كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ». زَادَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ:
وهو الآن على ما عليه كان. وفي حديث الترمذي، عن أبي رَزَيْنِ الْعُقَيْلِيِّ: قُلْتُ يَا
رَسُولَ اللَّهِ: «أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟» قَالَ: «كَانَ فِي عَمَدٍ مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ.
وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ». قُلْتُ: الْعَمَدُ هُوَ الْحَقُّ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبِيَاءُ
يَوْمَئِذٍ﴾. أَي خَفِيَتْ. أَي أَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى؛ كَانَتْ فِي خَفَاءٍ وَلَطَافَةٍ؛ لَا يُدْرِكُ وَلَا
يُغْرَفُ. أَي كَانَ خَفِيًّا لَطِيفًا. لَيْسَ فَوْقَهُ هَوَاءٌ. وَلَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ. بَلْ عَظَمَتُهُ أَحَاطَتْ
بِكُلِّ فَوْقٍ، وَبِكُلِّ تَحْتٍ. وَبِكُلِّ هَوَاءٍ. وَلَا فَوْقَ وَلَا تَحْتٍ، وَلَا هَوَاءً. وَإِنَّمَا
الْوَجُودُ لِلْعَلِيِّ الْأَعْلَى فِي الْأَزَلِّ، وَفِيمَا لَا يَزَالُ. وَقِيلَ لِسَيِّدِنَا عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ.
يَابْنَ عَمَّ رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا؛ أَوْ هَلْ لَهُ مَكَانٌ؟ فَتَغَيَّرَ لُونُهُ وَسَكَتَ سَاعَةً. ثُمَّ
قَالَ: قَوْلَكُمْ أَيْنَ اللَّهُ. سَوَّالٌ عَنِ مَكَانِهِ. وَكَانَ اللَّهُ وَلَا مَكَانَ. ثُمَّ خَلَقَ الزَّمَانَ
وَالْمَكَانَ؛ وَهُوَ الْآنَ كَمَا كَانَ. دُونَ زَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ. وَسُئِلَ أَبُو الْحَسَنِ الثُّورِيُّ فِي
مِحْنَةِ الصُّوفِيَّةِ. أَيْنَ اللَّهُ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ. فَقَالَ: كَانَ اللَّهُ وَلَا أَيْنَ. وَالْمَخْلُوقَاتُ فِي
عَدَمٍ. فَكَانَ حَيْثُ هُوَ. وَهُوَ الْآنَ حَيْثُ كَانَ. إِذْ لَا أَيْنَ وَلَا مَكَانَ. وَفِي بَعْضِ
الْأَخْبَارِ: «كُنْتُ كَنْزًا لَمْ أَعْرِفْ فَأُحْبِبْتُ أَنْ أَعْرِفَ. فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ فَتَعَرَّفْتُ لَهُمْ.
فَبِي عَرَفُونِي». وَقَوْلُهُ. وَقَامَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ. يَعْنِي أَنَّ الْخَمْرَةَ الْأَزَلِيَّةَ؛ أَظْهَرَتْ
أَنْوَارَهَا. وَأَبْرَزَتْ حُسْنَهَا وَجَمَالَهَا فِي مَظَاهِرِ الْأَشْيَاءِ، كَمَا قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِيَّةِ:

تَجَلَّى حَبِيبِي فِي مَرَائِي جَمَالِهِ
فَلَمَّا تَبَدَّى حُسْنُهُ مُتَنَوِّعًا
فَفِي كُلِّ مَرَأَى لِلْحَبِيبِ طَلَابِعُ
تَسْمَى بِأَسْمَاءٍ فِيهِنَّ مَطَالِعُ

وَقُلْتُ فِي تَائِيَّتِي الْخَمْرِيَّةِ:

تَجَلَّتْ عَرُوسَةٌ فِي مَرَائِي عَرُوسًا
فَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا قَامَتْ بِالْخَمْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ. وَلَا وُجُودَ لَهَا بِدُونِهَا، بَلْ لَا نِسْبَةَ لَهَا
مَعَهَا:

مُنْذَ عَرَفْتُ الْإِلَهَ لَمْ أَرْ غَيْرًا
وَكَذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعُ

قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ: لَوْ كُفِّتُ أَنْ أَرَى غَيْرَهُ لَمْ أَسْتَطِعْ؛ فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ حَتَّى أَشْهَدَهُ؛ ثُمَّ اخْتَجَبَتْ هَذِهِ الْخَمْرَةُ، بَعْدَ ظُهُورِهَا لِحِكْمَةِ أَرْلِيَّةٍ. سَتَرَتْ أَسْرَارَ الرُّبُوبِيَّةِ. وَأَسَدَلَتْ حِجَابَ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى الْعِظَمَةِ الْأُضْلِيَّةِ. فَخَفِيَتْ تِلْكَ الْخَمْرَةُ بَعْدَ ظُهُورِهَا. وَاسْتَتَرَتْ بَعْدَ بُرُوزِهَا. وَحُجِبَتْ عَمَّنْ لَا فَهْمَ عِنْدَهُ. وَلَا بَصِيرَةَ لَهُ إِذْ لَوْ انْفَتَحَتْ بِبَصِيرَتِهِ لَمْ يَرِ غَيْرَهَا. قَالَ فِي الْحِكْمِ: شُعَاعُ الْبَصِيرَةِ، يَشْهَدُكَ قَرَبَ الْحَقِّ مِنْكَ. وَعَيْنُ الْبَصِيرَةِ، يُشْهَدُكَ عَدَمَكَ لَوْجُودِهِ. وَحَقُّ الْبَصِيرَةِ يَشْهَدُكَ وُجُودَ الْحَقِّ، لَا عَدَمَكَ وَلَا وُجُودَكَ. كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ؛ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ. وَقَالَ الْمَجْدُوبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

مَنْ شَهِدَ الْكَوْنَ بِالْكَوْنِ عَزَّةٌ فِي عَمَّا الْبَصِيرَا
وَمَنْ شَهِدَ الْكَوْنَ بِالْمُكُونِ ذَاكَ صَادَفَ عِلَاجَ السَّرِيرَا
وَقَدْ أَشْرَتْ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ، فِي تَائِيْتِي الْخَمْرِيَّةِ فَقُلْتُ:

فَإِنْ تَسَأَلُونِي عَنْ نُعُوتِ كَمَالِهَا فَإِنِّي خَيْرٌ عَنْ شُهُودِ وَخَبْرَةِ
تَقَدَّمَ كُلُّ الْكَوْنِ نُورُ بَهَائِهَا لَطِيفٌ خَيْرٌ فِي صَفَاءِ وَقُدْرَةِ
وَقَامَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ حِينَ تَكْتَفَتْ وَعَنْ كُلِّ ذِي جَهْلِ حَفِيَتْ لِحِكْمَةِ
وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَفْهَمُ هَذِهِ الْخَمْرَةَ ذَوْقًا وَعِلْمًا. إِلَّا إِذَا أَصْحَبَتْ أَهْلَهَا: وَهِيَ الْعَارِفُونَ بِذَلِكَ أَهْلُ الْجَذْبِ وَالسَّلُوكِ. وَأَمَّا إِنْ لَمْ تَصْحَبْهُمْ، فَلَا تَطْمَعُ فِي فَهْمِهَا. وَلَوْ طَالَعْتَ أَلْفَ مَجَلَّدٍ. وَصَحَبْتَ أَلْفَ عَالِمٍ؛ أَوْ عَابِدٍ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَهَامَتْ بِهَا رُوجِي بِحَيْثُ تَمَازَجَتْ بِعَادَاً وَلَا جِرْمَ تُخَلِّلُهُ جِرْمُ
قَالَ فِي الْقَامُوسِ. الْهُيَامُ بِالضَّمِّ. كَالْجُنُونِ مِنَ الْعِشْقِ. وَقَالَ أَيْضًا: هَامَ يَهِيْمُ هَيْمًا، وَهَيْمَانًا: أَحَبَّ امْرَأَةً. ثُمَّ قَالَ: وَرَجُلٌ هَائِمٌ: مُتَحَيِّرٌ. وَتَمَازَجَ: ائْتَلَطَ وَالتَّحَادَ: يَطْلُقُ عَلَى مَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُمَا: ائْتَلَطَ جِرْمَيْنِ. حَتَّى يَصِيرَا جِرْمًا وَاحِدًا. وَهَذَا مُحَالٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، وَهُوَ كُفْرٌ لِمَنْ ائْتَقَدَّهُ. وَيَطْلُقُ عَلَى الْوَحْدَةِ الْحَقِيقِيَّةِ يُقَالُ: اتَّحَدَ الشَّيْءُ إِذَا صَارَ وَاحِدًا؛ وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا. وَفِي هَذَا الْمَعْنَى. قَالَ الْقُطْبُ بْنُ مَشِيْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَشَرَابُ الْمَحَبَّةِ: مَزْجُ الْأَوْصَافِ بِالْأَوْصَافِ. وَالْأَخْلَاقُ بِالْأَخْلَاقِ. وَالْأَنْوَارُ بِالْأَنْوَارِ. وَالْأَسْمَاءُ بِالْأَسْمَاءِ. وَالنُّعُوتُ بِالنُّعُوتِ. وَالْأَفْعَالُ بِالْأَفْعَالِ هـ. وَالْجِرْمُ: الْجَسَدُ، وَيَجْمَعُ عَلَى أَجْرَامٍ. وَجِرْمٌ،

وجرم قاله في القاموس . يقول رضي الله عنه: لقد هامت روجي أي طاشت
وانجذبت، بسبب هذه الحمرة. محبةً وعشقاَ فَمَا زَالَتْ تتعطش إليها. وتطلب
الوصول إليها بالتخلية والتضفية. فَلَمَّا تَجَوَّهَرَتْ وَتَطَهَّرَتْ مِنْ بَقَايَا الْحَسِّ. اتَّصَلَتْ
بِهَا وَامْتَزَجَتْ مَعَهَا. فوجدت نفسها كأنث في الحضرة وهي لا تشعر. وإنما حجبها
عنها الجهل والوهم. فَلَمَّا ارْتَفَعَ الْجَهْلُ. وثبت العلم. وَجَدَتْ نَفْسَهَا فِي الْحَضْرَةِ.
فَعَرَفَتْ فِي عَيْنِ بَحْرِ الْوَحْدَةِ. وَارْتَفَعَ عَنْهَا الشَّرْكُ الْخَفِيُّ وَالْجَلْبِي. وَهِيَ هَذَا
الْمَعْنَى. قَالَ بَعْضُ الْمَشَارِقَةِ.

كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ مَخْجُوبًا بِالْوَهْمِ مُقَيَّدًا بِقُيُودِ الْبَيْنِ
مُفْرِدِي وَاحِدٌ وَأَنَا أَحْبِسُهُ اثْنَيْنِ فَلَمَّا تَبَدَّى جَمَالٌ وَارْتَفَعَ الضَّيْنِ
وَقَعَ الْعَيْنِ عَلَى الْعَيْنِ وَصِرْتُ عَيْنِ الْعَيْنِ
وقال في الحكم: ما حجبك عن الله وجود موجود معه. إذ لا شيء معه:
وإنما حجبك توهم موجود معه.

وقال أيضاً: وضوئك إلى الله، وضوئك إلى العلم به. وإلا فجل زينا أن
يتصل بشيء، أو يتصل به شيء. وهذا معنى الاتحاد؛ إذا أطلق عند الصوفية.
أعني بثبوت العلم بالوحدة. بعد الجهل بها. أو بثبوت العلم بعد حصول الفرق.
ومنه قول صاحب العينية:

وَعُضُّ فِي بَحَارِ الْإِتْحَادِ مُنْزَهًا عَنِ الْمَزْجِ بِالْأَغْيَارِ إِنْ أَنْتَ سَاجِعٌ
وَإِيَّاكَ وَالتَّنْزِيَةَ فَهُوَ مُقَيَّدٌ وَإِيَّاكَ وَالتَّشْبِيهَ فَهُوَ مُخَادِعٌ
وقال أيضاً في مدح آخر:

فَكُنْتُ أَنَا وَهِيَ كَأَنَّ أَنَا وَمَا لَهَا مِنْ وَجُودٍ مُفْرَدٍ مُتَنَازِعٍ
فَنِيْتُ بِهَا فِيهَا وَلَا شَيْءَ بَيْنَنَا وَصَالِي بِهَا مَا ضِرٌّ وَبُهَا مُضَارِعٌ
وقال أيضاً:

فَنِيْتُهَا حَتَّى قَنَيْتُ وَهِيَ لَمْ تَكُنْ وَلَكِنِّي بِالْوَهْمِ أَطَالِعُ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا فَتَحْنُ زُوحَانَ حَلَلْنَا بَدَنَانِ
فَلَا يَفْهَمُ هَذَا الْكَلَامَ عَلَى ظَاهِرِهِ مِنَ الْإِتْحَادِ وَالْحُلُولِ؛ لِأَنَّهُمْ مُبْرَأُونَ مِنْهُ.

وإنما أَرَادُوا إِظْهَارَ التَّعَزُّلِ بِإِثْبَاتِ الْمَحْبُوبَةِ وَالْمَحَبِّ، وَحُصُولِ الْعَشْقِ مِنَ الْمَحَبِّ لَهَا، فَإِذَا حَصَلَ الْوُصُولُ، لَمْ تَبْقَ هَذِهِ الْإِشَارَةُ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِي الْحِكْمِ: مَا الْعَارِفُ. مَنْ إِذَا أَشَارَ وَجَدَ الْحَقَّ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ إِشَارَتِهِ. بَلِ الْعَارِفُ مَنْ لَا إِشَارَةَ لَهُ. لِفَنَائِهِ فِي وَجُودِهِ. وَانْطَوَائِهِ فِي شَهُودِهِ. وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى اخْتَرَسَ الشَّيْخُ بِقَوْلِهِ: وَلَا جِزْمَ تَخَلَّلَهُ جِزْمٌ. لَثَلَا يَفْهَمُ السَّمْعُ أَنَّهُ الْإِتْحَادُ الْمَذْمُومُ، وَقَدْ اتَّهَمَهُمْ كَثِيرٌ مَنْ لَمْ يَفْهَمْ مُرَادَهُمْ. فَرُبَّمَا هُمْ بِمَا لَمْ يَحِطْ بِهِ عِلْمًا، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَنْزِيهِ الشَّيْخِ نَفْسَهُ عَنِ هَذَا الْمَعْنَى فِي تَأْيِيْتِهِ: نَظْمُ السَّلُوكِ. وَكَلَامُ الشُّشْتَرِيِّ، وَابْنِ سَبْعِينَ، وَابْنِ الْعَرَبِيِّ، مَشْحُوبًا بِهَذِهِ الْإِشَارَةِ. وَهُمْ أَوْلِيَاءُ مُحَقِّقُونَ. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ وَقَدْ أَشْرَفْتُ فِي تَأْيِيْتِي الْحَمْرِيَةِ الْأَزَلِيَّةِ، عَنِ الْحُلُولِ وَالْإِتْحَادِ، فَقُلْتُ:

تَنْزَهَتْ عَنِ حُكْمِ الْحُلُولِ فِي وَضْفِهَا فَلَيْسَ لَهَا سِوَى فِي شَكْلِهَا حَلَّتِ
تَجَلَّتْ عَرُوسًا فِي مَرَائِي جَمَالِهَا فَأَزَحْتُ سُثُورَ الْكِبْرِيَاءِ بِعِزَّةِ
فَمَا ظَهَرَ فِي الْكُونَ غَيْرَ بَهَائِهَا وَمَا اخْتَجَبَتْ إِلَّا لِحُجْبِ شَرِيرَةِ
وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَخَمْرٌ وَلَا كَرْمٌ وَأَدَمٌ لِي أَبٌ وَكَرْمٌ وَلَا خَمْرٌ وَلِي أُمُّهَا أُمٌ
وَقَدْ وَقَعَ التَّفْرِيقُ وَالْكُلُّ وَاجِدٌ فَأَزَوَّاحُنَا خَمْرٌ وَأَشْبَاحُنَا كَرْمٌ

قُلْتُ: شَبَّهَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الرُّوحَ السَّارِيَةَ فِي الْبَدَنِ: بِالْخَمْرِ الْمُشْتَرِيَةِ فِي الْكَرْمِ. وَشَبَّهَ الْبَشْرِيَةَ الظَّاهِرَةَ: بِالْكَرْمِ الْمَحْتَوَى عَلَى الْخَمْرَةِ، وَالْمَرِيدِ فِي حَالِ سَيْرِهِ إِنْارَةً يَغْلِبُ جَذْبُهُ عَلَى سَلُوكِهِ. وَسَكَرَهُ عَلَى مَحْوِهِ. فَتَكُونُ الرُّوحَانِيَّةُ غَالِبَةً عَلَى الْبَشْرِيَّةِ. مُسْتَوْلِيَةً عَلَيْهَا فَلَا يَبْقَى لِلْبَشْرِيَّةِ أَمْرٌ. وَتَارَةٌ يَغْلِبُ سَلُوكُهُ عَلَى جَذْبِهِ، وَمَحْوَهُ عَلَى سُكْرِهِ. فَتَكُونُ الْبَشْرِيَّةُ غَالِبَةً عَلَى الرُّوحَانِيَّةِ. مُسْتَوْلِيَةً عَلَيْهَا. فَإِذَا غَلَبَتِ الرُّوحَانِيَّةُ عَلَى الْبَشْرِيَّةِ، كَانَ كَوُجُودُ خَمْرٍ بِلَا كَرْمٍ. وَإِذَا غَلَبَتِ الْبَشْرِيَّةُ عَلَى الرُّوحَانِيَّةِ، كَانَ كَوُجُودُ كَرْمٍ بِلَا خَمْرٍ. فَبَيَّنَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَالَهُ فِي حَالِ سَيْرِهِ فَقَالَ: فَأَنَا تَارَةٌ خَمْرٌ وَلَا كَرْمٌ، وَذَلِكَ فِي حَالَةِ جَذْبِي وَسُكْرِي. وَأَنَا حِينئِذٍ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ عَلَى قَدَمِ أَبِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. لِأَنَّ الْجَذْبَ عِنَايَةً. فَإِنَّ الرُّوحَ إِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَى الْبَشْرِيَّةِ. اسْتَوْلَتْ عَلَى الْوُجُودِ بِأَسْرِهِ. فَيَكُونُ هُوَ آدَمَ الْأَكْبَرُ، خَلِيفَةُ عَنِ اللَّهِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: وَأَدَمٌ لِي أَبٌ؛ لِأَنَّ الْإِبْنَ خَلِيفَةَ عَنِ أَبِيهِ. فَيَكُونُ هُوَ حِينئِذٍ خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ. وَتَارَةٌ أَكُونُ كَرْمًا وَلَا خَمْرًا. وَالْكَرْمُ شَبِيهُ

بالبشرية. ويحتمل أن يكون قوله: وآدم لي أب. إشارة إلى أن جذبهُ ممزوج بسلوكة؛ لأن المصطلح، خرج عن طور البشر. فإنما أن يلتحق بالروحانيين، أو بالبهائم. بخلاف من كان سالكا في جذبِهِ، فظاهره سلوك، وباطنه جذب. لكن تارة يغلب الجذب، فتتخيس البشرية، ملحوظة. فهذا معنى قوله: وآدم لي أب. أي وأنا بشر من بني آدم، لم تخرج عن طور الآدمية؛ وهذا هو عين الكمالي وتارة يغلب السلوك، فيبطن الجذب في الروحانية. وتظهر أوصاف البشرية على السالك. فتكون الروحانية تمتد من البشرية، وتشرب من كأسها. كما قال المستري:

مِثِّي عَلَيَّ دَارَتْ كُؤُوسِي فَتَكُونُ الْبَشَرِيَّةَ كَالْأُمِّ

والروحانية ولداً. رضع من لبنها. وهذا معنى قوله: ولي أمها أم. أي حينئذ أم الخمر؛ وهي الكرم أم. والمراد بها البشرية، المستولية على الروحانية، استلاء الكرم على الخمر. وهذا الاحتمال أحسن وأظهر. والله تعالى أعلم. وهذا التعريف كله قبل الوصول إلى التحقيق. وإلا امتحق الحسن وثبت المعنى. فالكل واحد. فلا قيام للبشرية إلا بالروحانية. ولا ظهور للروحانية إلا بالبشرية. بل إذا سقطت المعاني، سقطت الأواني، فالأكوان ثابتة بإثباته. ممنوحة بأحدية ذرته. فلا بشرية ولا روحانية. وإنما الوجود للفرد الصمد. لا شريك له. وأنشدوا:

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْحَقُّ لَمْ يَبْقَ كَائِنُ فَمَا لَمْ مَوْجُودٌ وَلَا لَمْ بَائِنُ
بِذَا جَاءَ بُرْهَانُ الْعَيَانِ فَمَا أَرَى بِعَيْنِي شَيْئاً غَيْرَهُ إِذْ أَعَايِنُ

تنبيه: ما ذكره الناظم في هذين البيتين، من تشبيه الجذب بخمر ولا كرم. وتشبيه السلوك بكرم ولا خمر. مثله وقع للجنيذ في شعره المشهور، حيث سئل عن التوحيد، فأشدد يقول:

رَقُّ الرُّجَاجِ وَرَقَّتِ الْخَمْرُ فَتَشَابَهَا وَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ
فَكَأَنَّ مَا خَمِرٌ وَلَا قَدْحٌ وَكَأَنَّ مَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرٌ

فتشبه البشرية بالزجاجة. والروحانية بالخمر. فإذا غلبت الروحانية على البشرية، وذلك في حالة الجذب. فكأنما خمر ولا قدح، وإنما غلبت البشرية على الروحانية، وذلك يكون في حال السلوك. فكأنما قدح ولا خمر. وقد أوضحت هذا المعنى في تأييدي الخمرية. فقلت:

لِرِقَّةِ خَمْرٍ فِي الْأَوَانِي تَلَطَّفْتُ لِلطُّفِّ مَعَانِي الْخَمْرِ فِي أَضَلِّ نَشَائِي

فَطَوَّرَ تَغْيِبَ الْخَمْرِ فِي جِزْمِ كَأْسِهَا وَطَوَّرَ تَغْيِبَ الْكَأْسِ فِي خَمْرِ نَشْوَةِ
وَعَيْبِ الْأَوَانِي فِي الْمَعَانِي مُحَقَّقَ فَنَاءِ الْأَوَانِي فِي الْمَعَانِي الْقَدِيمَةِ
فَأَشْبَاحَنَا كَأْسَ وَأَزْوَاحَنَا خَمْرًا وَسَاقِ لَهَا جَذْبُ الْعِنَايَةِ حَقَّتْ
وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَلَطْفِ الْأَوَانِي فِي الْحَقِيقَةِ تَابِعُ لِللُّطْفِ الْمَعَانِي وَالْمَعَانِي بِهَا تَسْمُو
قُلْتُ : لَطْفَ كَكْرَمٍ . لَطْفًا وَلَطَافَةً : صَغُرَ وَدَقَّ ؛ فَهُوَ لَطِيفٌ . قَالَ فِي
الْقَامُوسِ . وَسَمَّا الشَّيْءَ سُمُومًا : اِزْتَفَعَ . وَالْأَوَانِي هُنَا : الْكَائِنَاتُ بِأَسْرِهَا . وَالْمَعَانِي :
أَسْرَارُ الرُّبُوبِيَّةِ الْقَائِمَةُ بِهَا ؛ وَهِيَ الْخَمْرَةُ الْمَتَقَدِّمَةُ . فَأَصْلُهَا لَطِيفَةٌ دَقِيقَةٌ . وَالْأَنْوَارُ
الظَّاهِرَةُ حِينَ تَحَسَّسْتَ ، صَارَتْ كَثِيفَةً . فَمَنْ وَقَفَ مَعَ ظَاهِرِ كَثَافَتِهَا . كَانَ جَاهِلًا
بِاللَّهِ . مَخْجُوبًا عَنِ شَهْوَدِهِ . وَمَنْ نَقَدَ إِلَى بَاطِنِهَا وَجَدَهَا حَامِلَةً لِلْمَعَانِي طُرُوفًا
لَأَسْرَارِ الرُّبُوبِيَّةِ . فَغَابَ عَنِ الْأَوَانِي ، بِشَهْوَدِ الْمَعَانِي . فَكَانَ عَارِفًا مُقْرَبًا مَخْبُوبًا .
وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ التَّشْتَرِي : لَا تَنْظُرْ إِلَى الْأَوَانِي ، وَخُضْ بِخَرِّ الْمَعَانِي . لَعَلَّكَ تَرَانِي .
وَقَالَ فِي الْحِكْمِ : الْأَكْوَانُ ظَاهِرُهَا عُرَّةٌ . وَبَاطِنُهَا عِبْرَةٌ . فَالْنَفْسُ تَنْظُرُ إِلَى ظَاهِرِ
عُرَّتِهَا . وَالْقَلْبُ يَنْظُرُ إِلَى بَاطِنِ عِبْرَتِهَا . وَتَكثِيفُ الْأَوَانِي عَارِفٌ . وَالْأَصْلُ فِيهَا
اللُّطَافَةُ . إِذِ الْأَوَانِي أَصْلُهَا مَعَانٍ . لَكِنْ اسْمُهُ تَعَالَى الظَّاهِرُ ، اقْتَفَى ظَهْرَهَا فِي
الْحِسِّ فَهِيَ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالثَّلْجَةِ ، بِبَاطِنِهَا مَاءً ، وَظَاهِرِهَا ثَلْجًا . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ
الْجِيلَانِي فِي عَيْنِيهِ :

وَمَا الْكَوْنُ فِي الثَّمَالِ إِلَّا كَثَلَجَةٍ وَأَنْتَ لَهَا الْمَاءُ الَّذِي هُوَ نَابِعُ
فَمَا الثَّلْجُ فِي تَحْقِيقِنَا غَيْرُ مَائِهِ وَغَيْرَانِ فِي حُكْمِ دَهْنِهِ الشَّرَائِعُ

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَلَطْفِ الْأَوَانِي فِي الْحَقِيقَةِ ، تَابِعَةٌ
لِللُّطُوفِ الْمَعَانِي . فَالْمَعَانِي فِي الْحَقِيقَةِ أَصْلُهَا مَعَانٍ . وَالْمَعَانِي لَطِيفَةٌ . وَلَطْفُ
الْأَوَانِي تَابِعٌ لِللُّطُوفِهَا . وَإِنَّمَا تَكثَّفَتْ وَتَحَسَّسَتْ ، فِي حَقِّ مَنْ وَقَفَ مَعَهَا ، وَاعْتَرَى
بِزُخْرَفِ ظَاهِرِهَا . وَاسْتَعَلَّ بِحِسِّهَا ، حَتَّى انطَبَعَتْ صُورُ ظَاهِرِهَا فِي مِرَاةِ قَلْبِهِ . فَعَمَّا
وَحَجِبَتْ عَنِ رُؤْيِيَةِ الْمَعَانِي اللَّطِيفَةِ . وَلِذَلِكَ يَقُولُ أَهْلُ الْمَعَانِي : كُلُّ مَا نَقَصَ مِنْ
الْحِسِّ ؛ زَادَ فِي الْمَعْنَى . وَكُلُّ مَا زَادَ فِي الْحِسِّ نَقَصَ فِي الْمَعْنَى . وَهَذَا مَعْنَى
قَوْلِهِ : وَالْمَعَانِي بِهَا تَسْمُو . أَيِ بِلَطْفِ الْأَوَانِي . وَرَدَّهَا إِلَى أَصْلِهَا ، تَرْتَفِعُ الْمَعَانِي
وَتَسْمُو . وَإِنَّمَا تَتَلَطَّفُ الْأَوَانِي بِالْعَيْنِيَّةِ عَنِ حِسِّهَا . وَالْإِعْرَاضِ عَنِ شَوَاطِئِهَا ،

وَعَوَائِقُهَا. فَرَعَّ قَلْبَكَ مِنَ الْأَغْيَارِ. تَمَلَّأَ بِالْمَعَارِفِ وَالْأَسْرَارِ. وَكَتَبَ إِلَيَّ شَيْخُ شَيْخِنَا مَوْلَايَ الْعَرَبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا نَصُهُ بَعْدَ كَلَامٍ: وَقُلْ لَهُمْ أَيْضًا: أَتْرَاكُوا ذَبْلَةَ الدُّنْيَا مِنْ قَلُوبِكُمْ، تَتَقَوَّى مَعَانِيكُمْ: أَوْ نَقُولُ نَوْرَانِيَّتِكُمْ. إِذْ بِتَقْوِيَةِ الثُّورِ؛ يَتَقَوَّى الْيَقِينِ. وَبِتَقْوِيَةِ الْيَقِينِ، تَعْلُو الْهِمَّةُ. وَبِعُلُوِّ الْهِمَّةِ، يَخْصُلُ الْوُضُوءُ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ هـ. وَالدَّبْلَةُ: رَأْسُ الْفَتِيلَةِ حِينَ تَتَرَمَّدُ. فَإِذَا قَطَعْتَهَا تَشْغَشَعُ نُورُهَا. كَذَلِكَ هَمُّ الدُّنْيَا. يُطْفِئُ نَوْرَ الْيَقِينِ مِنَ الْقَلْبِ. فَإِذَا قَطَعْتَهُ تَشْغَشَعُ نَوْرَهُ. وَقُلْتُ لِبَعْضِ الْفُقَرَاءِ: مَادَّةُ الْمَعَانِي ثَلَاثَةٌ أُمُورٍ: الْأَوَّلُ الْمَذَاكِرَةُ مَعَ أَهْلِ الْفَنِّ، وَالْحَلُّ مَعَهُمْ. وَالثَّانِي: الْفِكْرَةُ وَجَوْلَانُ الْقَلْبِ فِي مَيَادِينِ التَّوْحِيدِ، حَتَّى تَمْتَحِيَ الْأَكْوَانَ مِنْ عَيْنِ الْبَصِيرَةِ. وَالثَّلَاثُ: ذِكْرُ اللِّسَانِ جَمَاعَةً أَوْ فِرَادَى؛ وَهُوَ أضعفها مِنْ جِهَةِ الْإِمْتِدَادِ. وَتَقْوِيَةُ الْمَعَانِي. وَإِنْ كَانَ هُوَ الْبَابُ فِي الدَّخُولِ إِلَيْهَا. لَكِنْ إِذَا حَصَلَ ذِكْرُ الْقَلْبِ اكْتَفَى عَنْهُ: فَضَعُفُ تَأْيِيرِهِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْفِكْرَةِ. وَقُلْتُ لَهُمْ: مَادَّةُ الْحَسَنِ ثَلَاثَةٌ: الْأَوَّلُ: شُغْلُ الْجَوَارِحِ بِالْحَسَنِ فِي طَلَبِ الْحُطُوطِ. وَالثَّانِي خَوْفُ اللِّسَانِ فِي الْحَسَنِ مَعَ أَهْلِهِ. وَالثَّلَاثُ: الْفِكْرَةُ فِيهِ، وَاسْتِغْثَالُ الْقَلْبِ بِالْحَوْفِ فِيهِ. فَبِهَذِهِ الْمَوَادِّ الثَّلَاثُ، يَتَقَوَّى الْحَسَنُ. وَتَضَعُفُ الْمَعَانِي. حَتَّى يَنْظِفُ نَوْرُهَا. نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ. وَقُلْتُ لَهُمْ أَيْضًا: أَرْكَانُ الْوِلَايَةِ وَمَوَادُّهَا ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءُ: تَفْرِيعُ الْقَلْبِ مِنَ الْحَسَنِ، وَتَعْظِيمُ الشَّيْخِ وَالْأَدَبُ مَعَهُ. وَدَوَامُ الذِّكْرِ بِالْحَضُورِ. كُلُّ وَاحِدٍ مَا يَلِيقُ بِهِ لِسَانِي أَوْ قَلْبِي أَوْ سِرِّي. وَقَدْ قُلْتُ فِي ذَلِكَ آيَاتًا وَهِيَ هَذِهِ:

يَا مَنْ يُرْذَمَرَاتِبَ الرَّجَالِ	يَفْتَى عَنِ الْحَسَنِ فِي كُلِّ حَالِ
يُفَرِّغُ قَلْبَهُ مِنَ الْأَغْيَارِ	يُمَلَأُ بِالْأَنْوَارِ وَالْأَسْرَارِ
يُعْظِمُ الشَّيْخَ بِصَدَقِ وَأَفْزِ	وَيُكْثِرُ الذِّكْرَ بِقَلْبِ حَاضِرِ
فَهَذِهِ مَرَايِسُ الْوِلَايَةِ	وَمَظْهَرُ الْعِزْفَانِ وَالْعِنَايَةِ

وَسَمِعْتُ صَاحِبَنَا الْعَارِفَ الرَّبَّانِي، سَيِّدِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرَّحْمَانِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: الْحَسَنُ هُوَ كُلُّ مَا يُقْوِي مَادَّةَ وُجُودِكَ. وَالْمَعْنَى هُوَ كُلُّ مَا يَفْتِيكَ عَنْ وُجُودِكَ. وَيُعِينِكَ عَنْكَ. فَالاسْتِغْثَالُ بِالْحَسَنِ إِذَا كَانَ سَبَبًا فِي تَقْوِيَةِ الْمَعَانِي، كَخِدْمَةِ الْأَشْيَاخِ وَالْإِخْوَانَ. وَكُلُّ مَا يُوَدِّي إِلَى تَصْفِيَةِ الْمَعْنَى. كَمَا قَالَ سَيِّدِي عَبْدِ الْوَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خِدْمَةُ الرَّجَالِ، سَبَبُ الْوِصَالِ، لِمَوْلَى الْمَوَالِي. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلَا قَبْلَهَا قَبْلُ وَلَا بَعْدَهَا بَعْدُ وَقَبْلِيَّةِ الْأَبْعَادِ فَهِيَ لَهَا خْتَمُ

وَحَضْرُ الْمَدَى مِنْ قَبْلِهِ كَانَ عَصْرَهَا وَعَهْدُ أَبِيْنَا بَعْدَهَا وَلَهَا الْيُثْمُ
يقول رضي الله عنه: هذه الخمرة الأزلية قديمة باقية، فليس قبلها زمانٌ
يكون قبلاً لها ولا بعداً زمانٌ يكون بعداً لها. والقبليّة التي ثبتت لها قبل ظهور
الأشياء؛ وهي الأوليّة بلا بداية. هي ختم لها بعد ظهور الأشياء؛ وهي الآخريّة بلا
نهيّة. فترتّب الأزمان زمان بعد زمان؛ هي سابقة عليه. وباقية بعده. هذا معنى
قوله: وقبلية الأبعاد هي لها ختم. أي وعدم النهيّة السابقة على الأكوان؛ هي ختم
لها بعد ظهور الأكوان. قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ فالأسماء
متعددة، والمسمى واحد؛ وهي الذات المقدسة؛ فالأول هو عين الآخر. والآخر
هو عين الأول. والظاهر هو عين الباطن. والباطن هو عين الظاهر. وإلى هذا أشار
صاحب العينية فقال:

وَأَبْرَزَ مِنْهُ فِيهِ آثَارُ وَضْفِهِ قَدْ لَكَ بِالْآثَارِ مَا هُوَ صَائِعُ
فَأَوْصَافُهُ وَالْإِسْمُ وَالْأَثَرُ الَّذِي هُوَ الْكَوْنُ عَيْنُ الذَّاتِ وَاللَّهُ جَامِعُ
فَمَا تَمَّ شَيْءٌ سِوَى اللَّهِ فِي الْوَرَى وَلَا تَمَّ مَسْمُوعٌ وَلَا تَمَّ سَامِعُ

وقوله: وحضر المدى... الخ يعني أنّ وجود هذه الخمرية، كان قديماً قبل
حضر الزمان، وعده وترتيبه. وزمان وجود أبينا آدم عليه السلام، وعهد حياته كان
بعدها؛ لأن ظهوره حادث. ووجوده قديم. فثبت لها اليُثم، أي الانفراد، والغنا
عن المادة القبليّة والبعديّة. فليس لها أب سابق عليها. ولا ولد لاحق بعدها. قال
تعالى: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كَفُّوا أَحَدٌ﴾ ثم قال رضي الله عنه:

مَحَاسِنُ تَهْدِي الْمَادِحِينَ لِيَوْضِفَهَا فَيَحْسُنُ فِيهَا مِنْهُمْ النُّشْرُ وَالنُّظْمُ
وَيَطْرَبُ مَنْ لَمْ يَذْرِهَا عِنْدَ ذِكْرِهَا كَمُشْتَقِ نَعْمٍ كُلَّمَا ذُكِرَتْ نَعْمُ

قلت: الطرب: الفرح. ويطلق على الحزن كما في القاموس. يُقال: طرب
طرباً. كَفَرَحَ فَرَحاً. بالمضارع مفتوح العين. ونَعِمَ بِضَمِّ الْعَيْنِ. اسم امرأة. كما في
القاموس. وأراد هنا اسم المحبوبة. يقول رضي الله عنه: الأوصاف التي ذكرت
للخمرة، هي محاسن لها. تهدي أي تُرشد المادحين ليوضفها. فيمدحونها بقدر
طاقتهن. فيحسن منهم كل ما يمدحونها به نظماً أو نثراً؛ لأنها فوق ما يُقال فيها: فلو
بقي أهل الدنيا يمدحونها مدة عمر الدنيا والآخرة، ما بلغوا معشار حسنها وبهائنها.
ويفرح عند ذكر هذه الأمواج من لم يعرفها، شوقاً ومحبةً. فكيف لمن يعرفها؛ فهو أب

مَنْ لَمْ يَعْرِفْهَا. ولكنه مشتاق إليها، كمشاق محبوبته التي اسْمُهَا نَعَم. فلما ذكرت هذه المحبوبة، اهْتَرَّتْ لَهَا. واشتاق لرؤيتها. وَأَمَّا مَنْ عَرَفَهَا وَاتَّصَلَ بِهَا، وَتَمَكَّنَ مِنْ شُهُودِهَا. فلا يَهْزُهُ سماع مدحها. لِقُوَّتِهِ وَتَمَكُّنِهِ؛ فَهُوَ مَالِكٌ لِلْأَحْوَالِ. وليست مالكة له؛ فهو كالجبل الراسي، واللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثم قال رضي الله عنه:

وَقَالُوا شَرِبْتَ الْإِنَّمْ كَلًّا وَإِنَّمَا شَرِبْتُ الَّتِي فِي تَرْكِهَا عِنْدِي الْإِنَّمُ قُلْتُ: كَلًّا عِنْدَ النَّحَاةِ حَرْفٌ زَجْرٌ وَرَذَعٌ. يقول رضي الله عنه: قال لي العواذل واللؤم: شَرِبْتَ مَا يُوْجِبُ لَكَ الْإِنَّمْ؛ لِأَنَّكَ تَسَبَّبْتَ فِي هَنْكِ عِرْضِكَ. وتخريب ظاهرِكَ. وتلف مالك. فَقُلْتُ لَهُمْ: كَلًّا. بَلْ شَرِبْتُ الَّتِي فِي تَرْكِ شُرْبِهَا هُوَ الْإِنَّمْ؛ لِأَنَّهَا تُهْذِبُ أَخْلَاقَ النَّدَامَى. فكل من لم يشرب منها، لا يخلو من ذنب. وَلَا يَضْفُو مِنْ عَيْنٍ. ولذلك قال العزالي: عِلْمُ التَّصَوُّفِ فَرَضٌ عَيْنٍ. إِذْ لَا يَخْلُو الْإِنْسَانُ مِنَ الْعُيُوبِ. وقال الشيخ أبو الحسن: مَنْ لَمْ يَتَعَلَّغْ فِي عِلْمِنَا هَذَا؛ مَاتَ مُصِرًّا عَلَى الْكِبَائِرِ؛ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ. وقال آخر: مَنْ تَشَرَّعَ وَلَمْ يَتَّصِفْ فَقَدْ تَفَسَّقَ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. لِمَا وَرَدَ فِي مَدْحِ التَّصَوُّفِ وَأَرْبَابِهِ بِهِ. وباللَّهِ التَّوْفِيقُ. ثم قال رضي الله عنه:

هَنِينًا لِأَهْلِ الدَّيْرِ كُنْمْ سَكِرُوا بِهَا وَمَا شَرِبُوا مِنْهَا وَلَكِنَّهُمْ هَمُّوا قُلْتُ: الْهَنَى وَالْهَنَاءُ: مَا أَتَاكَ بِلا مَشَقَّةٍ. هو هَنِي سَائِعٌ. قوله في القاموس: ويُعرب حالًا. عامله محذوفٌ وجوبًا. أَي ثَبِتَ الْخَيْرُ هَنِينًا. أَي سَهْلًا بِلا مَشَقَّةٍ. والدَّيْرُ: الصُّومعة التي يتعبد فيها الرهبان. فيحتمل أن يُريد بأهل الدَّيْرِ هُنَا: الْعِبَادَ وَالرَّهَادَ الْمُنْقَطِعِينَ إِلَى اللَّهِ فِي الْبَرَارِي وَالْجِبَالِ. حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ. كَمَا حَبَسَتْ الرَّهْبَانُ أَنْفُسَهُمْ فِي الدِّيُورِ، طَلِبًا لِمَحَبَّةِ اللَّهِ. فَلَمْ يَنَالُوا مِنْهَا شَيْئًا. لتزكهم الشريعة التي هي باب الله. قال تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ بخلاف الْعِبَادِ وَالرَّهَادِ، وَالْمُنْقَطِعِينَ إِلَى اللَّهِ. قَدْ قَصَدُوا الْأَمْرَ مِنْ بَابِهِ. فَقَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَبْشَرًا لَهُمْ وَمُغْتَبَطًا لِحَالِهِمْ: هَنِينًا لِأَهْلِ الدَّيْرِ. أَي ثَبِتَ لَهُمُ الْخَيْرُ الْعَظِيمُ سَهْلًا بِلا مَشَقَّةٍ. فَكَمْ سَكِرُوا بِهَا. أَي كَثِيرًا مَا سَكِرُوا بِهَذِهِ الْخَمْرَةِ، حَتَّى تَاهُوا، وَرَفَضُوا الْأَهْلَ وَالْأَوْلَادَ. وَتَرَكُوا الْأَوْطَانَ وَالْبِلَادَ. وَمَعَ ذَلِكَ، لَمْ يَقَعْ لَهُمْ شُرْبٌ مِنْهَا. إِذْ لَمْ يَتَّصِلُوا بِأَرْبَابِهَا؛ وَهُمْ الْعَارِفُونَ أَهْلَ التَّوْبَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالْخَمْرَةَ الْأَرَلِيَّةِ. إِذْ لَوْ اتَّصَلُوا بِهِمْ: لَسَكِرُوا فِي مَوْضِعِهِمْ وَبَيْنَ أَوْلَادِهِمْ. وَلَكِنَّهُمْ هَمُّوا بِشُرْبِهَا، فَتَاهُوا فِي طَلِبِهَا فَسَكِرُوا قَبْلَ الشُّرْبِ. فَمَا بِالكَ لَوْ شَرِبُوا. وَمَا بِالكَ لَوْ رَوُوا مِنْهَا.

فَسُكَّرَ الْعُبَادُ وَالرُّهَادُ؛ هُوَ الْفِرَارُ مِنَ الْأَشْيَاءِ، لَعْنِبَتِهِمْ عَنْ شُهُودِ مَكُونِهَا. وَلَوْ شَهِدُوا مَكُونِهَا فِيهَا لَمْ يَفِرُوا مِنْهَا. قَالَ فِي الْحَكْمِ: إِنَّمَا اسْتَوْحَشَ الْعُبَادُ وَالرُّهَادُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. لَعْنِبَتِهِمْ عَنِ اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَلَوْ عَرَفُوهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. مَا اسْتَوْحَشُوا مِنْ شَيْءٍ. هـ. فَسُكَّرُهُمْ نَاقِصٌ. بِخِلَافِ مَنْ اتَّصَلَ بِأَهْلِ الْخَمْرَةِ، فَسَقَوْهُ مِنْهَا فَإِنَّ سُكْرَهُ مَمَزُوجٌ بِصُخْوَةٍ. فَكُلَّمَا شَرِبَ ازْدَادَ صَخْوًا. وَكُلَّمَا غَابَ، ازْدَادَ حُضُورًا. لَا يَحْجِبُهُ صُخْوَةٌ عَنِ سُكْرِهِ. وَلَا سُكْرُهُ عَنِ صُخْوِهِ. وَيُوفِي كُلَّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ. وَيَحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِأَهْلِ الدَّيْرِ؛ الرُّهْبَانَ الْمُنْقَطِعِينَ فِيهِ مِنَ النَّصَارَى. أَيْ لَوْلَا الْمَحَبَّةُ الَّتِي فِي قَلْبِهِمْ مَا صَبَرُوا عَلَى تِلْكَ الْمَشَاقِّ. مِنَ الْجُوعِ وَالْبُرْدِ. فَلَوْلَا خَمْرَةُ الْمَحَبَّةِ الَّتِي شَمَتَهَا أَرْوَاحُهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ. مَا انْقَطَعُوا هَذَا الْانْقِطَاعَ. فَإِنْ قُلْتُ: لَا يَصِحُّ قَوْلُهُ فِي حَقِّهِمْ هَيْئًا. إِذْ لَا خَيْرَ عِنْدَهُمْ. قُلْتُ: لِلْعَارِفِينَ نَظْرٌ رَقِيقٌ، يَشْهَدُونَ الْأَنْوَارَ الْبَاطِنَةَ. وَيَغْيِبُونَ عَنِ الظُّلْمَةِ الظَّاهِرَةَ. يَشْهَدُونَ الْقُدْرَةَ، وَيَعْرِفُونَ الْحِكْمَةَ. فَهُمْ كَالنَّحْلَةِ، تَزْعَى مِنْ كُلِّ ثُورٍ. حَلُوقًا أَوْ مَرًّا. وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَّا الْعَسَلُ الْحُلُوقُ. وَلِذَلِكَ قَالَ شَيْخُ أَشْيَاخِنَا. سَيِّدِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْمَجْدُوبِ:

الـخـلـقُ نُـورٌ وَأَنَا أزعثُ فِيهِمْ
هُمُ الحُجُبُ الْأَكْبَرُ وَالْمَذخَلُ فِيهِمْ
وَفِي هَذَا الْمَثَرِ يَقُولُ الرَّفَاعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

تَأْدَبُ بِبَابِ الدَّيْرِ وَأَخْلَعَ بِهِ النَّعْلَ
وَعَظَّمَ بِهِ الْقَيْسِيَّ إِنْ شِئْتَ حَظْوَهُ
وَدَوْنِكَ أَمْوَاتُ السَّمَامِينَ فَاسْتَمِعْ
بَدَتْ فِيهِمْ أَقْمَازُ شُمُوسٍ طَوَالِغُ
فِيَاكَ أَنْ تَسْمَعَ لَهُنَّ بِخُلَّةِ
إِلَى أَنْ قَالَ فِي أَثْنَاءِ الْقَصِيدَةِ:

فَلَمَّا أَتَيْتُ الدَّيْرَ أَمْسَيْتُ سَيِّدًا
سَأَلْتُ عَنِ الْخَمَارِ أَيْنَ مَحَلُّهُ
فَقَالَ لِي الْقَيْسِيُّ مَاذَا تُرِيدُهُ
فَقَالَ: وَرَأْسِي وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
وَأَصْبَحْتُ مِنْ زُهَيْدِي أَجْرٌ بِهِ الدُّنْيَا
وَهَلْ لِي سَبِيلٌ لِلْوُصُولِ بِهِ أَمْ لَا
فَقُلْتُ أَرِيدُ الْخَمْرَ مِنْ عِنْدِكُمْ أَمْ لَا
وَدِينِي وَلَمْ بِالِدَّمِ تُبَدِّلُهُ بَدَلًا

إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَلِلْعَارِفِينَ مَنَزَعٌ غَرِيبٌ، وَنَظَرٌ عَجِيبٌ. لَا يَذُوقُهُ إِلَّا مَنْ صَحِبَهُمْ. وَإِلَّا فَشَأْنُهُ التَّسْلِيمُ. فَإِنْ اعْتَرَضَ عَلَيْهِمْ، أَصْبَحَ مِنَ الْبُحْمِ الصُّمِّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْعَارِيَةَ مِنْ وَرَاءِ الشَّرِيعَةِ؛ الشَّهْوَةَ فِيهَا أَقْرَبُ وَأَظْهَرُ. وَلِذَلِكَ قَالَ:

بَدَتْ فِيهِمْ أَقْمَارُ شَمُوعِ طَوَالِغٍ وَلَا يَذُوقُ هَذَا إِلَّا أَزْيَابُ الْفَسَنِ

قلت: النَّشْوَةُ: السَّكْرَةُ. يُقَالُ: نَشَأَ نَشْوَةً: سَكَرَ. قَالَهُ فِي الْقَامُوسِ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عِنْدِي مِنْ هَذِهِ الْخَمْرَةِ. نَشْوَةٌ لِرُوحِي فِي الْأَزْلِ. قَبْلَ نَشْأَةِ الْبَشَرِيَّةِ. فَمَا ظَهَرَ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ. إِلَّا مَا سَبَقَ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ. فَلِلرُّوحِ سَكْرَةٌ. لِمَا عَلِمْتُهُ مِنْ سَبَقِ السَّعَادَةِ، وَالْعِنَايَةِ، قَبْلَ ظَهْوَرِ الْبَرِيَّةِ. ثُمَّ تَبَقَى تِلْكَ النَّشْوَةُ لَهَا، بَعْدَ مُفَارَقَتِهَا هَذِهِ الْبَشَرِيَّةِ اللَّطِيفَةَ، وَإِنْ بَقِيَ عَظْمُهَا، وَاضْمَحَلَّ رَسْمُهَا؛ فَإِنَّ الرُّوحَ لَا فَنَاءَ لَهَا. فَإِذَا فَارَقَتْ هَذِهِ الْبَشَرِيَّةَ. بَقِيَتْ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ. بَلْ لَمْ تَزَلْ تَتَرَقَّى فِي الْمَقَامَاتِ، كَمَا كَانَتْ فِي الدُّنْيَا أَبَدًا سَرْمَدًا. يَمُوتُ الْمَرْءُ عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ. وَيُبْعَثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ. وَقَدْ أَشْرْتُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي قَالَ الشَّيْخُ، فِي تَائِيْتِي الْخَمْرِيَّةِ. فَقُلْتُ:

سَكْرْنَا بِهَا قَدِمًا وَبَعْدَ نَشَاءَتِي وَفِي النَّشْأَةِ الْأُخْرَى تَدُومُ مَسْرَتِي

ثم قال رضي الله عنه:

عَلَيْكَ بِهَا صِرْفًا وَإِنْ شِئْتَ مَزَجَهَا فَعَدْلُكَ عَنِ ظُلْمِ الْحَبِيبِ هُوَ الظُّلْمُ

قلت: الصَّرْفُ بِكَسْرِ الصَّادِ: الْخَالِصُ مِنَ الْخَمْرِ وَغَيْرِهَا. قَالَ فِي الْقَامُوسِ: وَالْمَزْجُ: الْخَلْطُ. وَعَدْلٌ عَنِ كَذَا: انصَرَفَ عَنْهُ. وَالظُّلْمُ، ضَبَطَهَا بِفَتْحِ الظَّاءِ. وَفَسْرَهُ بِالرِّيْقِ. وَقَوْلُهُ فِي الْقَامُوسِ: الظُّلْمُ بِالضَّمِّ: وَقَعَ الشَّيْءُ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ. وَالْمُضَدَّرُ الْحَقِيقِيُّ: الظُّلْمُ بِالْفَتْحِ، ظَلَمَ يَظْلِمُ ظَلْمًا بِالْفَتْحِ فَهُوَ ظَالِمٌ وَمُظْلَمٌ. ثُمَّ قَالَ: وَالظُّلْمُ: الثَّلْجُ بِهَذَا الشَّلْبِيِّ. وَمَاءُ الْأَسْنَانِ هـ. فَإِنْ أَرَادَ بِمَاءِ الْأَسْنَانِ الرِّيْقَ، وَأَفَقَ مَا قَالَه الْبَغْضُ. وَيَكُونُ حِينئِذٍ كِتَابَةً عَنِ خَمْرِ الْمَحَبَّةِ. لِكُنْهَاطِهَا بَعِيدَةً لِعَرْبِيَّةِ الْإِنْتِقَالِ، مِنَ الرِّيْقِ إِلَى الْخَمْرِ. وَالَّذِي يَظْهَرُ. أَنَّهُ الظُّلْمُ الْمَعْلُومُ، أَطْلَقَهُ عَلَى التَّصَرُّفَاتِ الْقَهْرِيَّةِ الْجَلَالِيَّةِ. إِذْ لَا سَبِيلَ لَشَرْبِ خَمْرِ الْمَحَبَّةِ عَلَى الْوَفَاءِ وَالصَّفَاءِ، إِلَّا بَعْدَ مَرُورِ هَذِهِ التَّصَرُّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ عَلَيْهِ. وَإِلَّا كَانَ كَأَذْبَابٍ. لِقَوْلِ أَبِي الْمَوَاهِبِ: مَنْ ادَّعَى شَهْودَ الْجَمَالِ، قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِالْجَلَالِ، فَارْفُضْهُ فَإِنَّهُ دَجَالٌ. فَهُوَ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

السُّبُّ دِينَي فَلَا أَبْغِي بِهِ بَدَلًا وَالْحُسْنَ مَلِكٌ مُطَاعٌ جَارٌ أَمْ عَدَلًا
وَالنَّفْسُ عَزَّتْ وَلَكِنْ فِيكَ أَبْدَلُهَا وَالذُّلُّ مُرٌّ وَلَكِنْ فِي رِضَاكَ حَلَا
يَا مَنْ عَذَابِي عَذَبٌ فِي مَحَبَّتِيهِ لَا أَشْتَكِي مِنْكَ لِأُضْدًا وَلَا مَلَلًا

يقول رضي الله عنه: عليك أيها الشارب للخمرة الأزلية بها صِرْفًا. أي صافية، خالصة من السلوك. بل أَسْتَعْرِقُ في تعاطي أسباب شربها، حتى تغيب عن الحس بالكلية. وإن شئت. فامزجها بشيء من السلوك. إعطاء لحق العبودية؛ التي هي كَمَالٌ. فَإِنَّ تَعْرِفَ إِلَيْكَ الْحَقُّ بِشَيْءٍ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ الْقَهْرِيَّةِ. التي هي سبب الشرب شرب هذه الخمرة الأزلية. فعذلك عنها، وانصرافك عن نيرانها؛ هُوَ الظلم الكبير. الحق تعالى يقول لك: هَاتِ نُسْقِيكَ خَمْرِي بِشَمَنِ تَصَرُّفَاتِي. وأنت تهرب منه. الحق تعالى يريد أن يطوي عنك مسافة البُغْدِ. وَأَنْتَ تَفِرُّ مِنْهُ إِلَى الْبُغْدِ. وفي الْحِكْمِ: إِذَا فَتَحَ لَكَ وَجْهَةً مِنَ التَّصَرُّفِ، فَلَا تَبَالِ مَعَهَا إِنْ قَلَّ عَمَلُكَ. فَإِنَّهُ مَا فَتَحَهَا لَكَ؛ إِلَّا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَتَعَرَّفَ إِلَيْكَ فِيهَا هـ. وَكَانَ شَيْخٌ شَيْخَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنَ الْفَقِيرِ يَقُولُ: يَا رَبِّ عَرِّفْنِي بِكَ. فَإِذَا تَعَرَّفَ الْحَقُّ تَعَالَى إِلَيْهِ فَرَّ مِنْهُ وَأَنْكَرَهُ. والحاصل: أَنَّ جَنَّةَ الْمَعَارِفِ؛ التي هي محل شرب الخمرة الأزلية. مَخْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾... الآية: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُنْزَلُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ﴾⁽¹⁾ الآية، فإطلاق الشيخ رضي الله عنه على هذه التصرفات ظلمًا مجازًا. ﴿وَلَا يَطْلُبُ رَبِّكَ أَحَدًا﴾. لكن ذَكَرَ الْحَبِيبُ هُنَا لَيْسَ هَذَا الْإِطْلَاقُ. إِذْ كُلُّ مَا يَضْدُرُّ مِنَ الْحَبِيبِ كُلُّهُ حُلُوٌ مُسْتَعْدَبٌ. وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ ظَلْمًا. فَبَاطِنُهُ صَوَابٌ وَتَقْرِيبٌ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثم قال رضي الله عنه:

قَدَوْتَكُهَا فِي الْحَانِ وَاسْتَجَلَّهَا بِهِ عَلَى نَعْمِ الْأَلْحَانِ فَهِيَ بِهَا غُنْمٌ

قُلْتُ: ذُوْتِكَ اسْمٌ فِعْلٌ بِمَعْنَى حُذِّ. وَاللَّحْنُ مِنَ الْأَصْوَاتِ الْمَصْنُوعَاتِ. الْمَوْضُوعَةُ عَلَى مِيزَانِ الشُّغْرِ. وَالْجَمْعُ أَلْحَانٌ وَلِحُونٌ وَالغُنْمُ بِالضَّمِّ: الْفَوْزُ بِالشَّيْءِ بِلا مَشَقَّةٍ. قَالَهُ فِي الْقَامُوسِ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَنْظُرَ بِهِذِهِ الْحَمْرَةَ، فَخُذْهَا مِنْ مَحَلِّهَا. وَاسْتَجَلَّهَا مِنْ خَانِيهَا؛ وَهُوَ الْاجْتِمَاعُ مَعَ أَرْبَابِهَا. وَالصُّخْبَةُ لَهُمْ. وَالْأَدَبُ مَعَهُمْ وَتَعْظِيمُهُمْ، وَالْمَذَاكِرَةُ فِيهَا مَعَهُمْ. وَإِنْشَادُ الْأَشْعَارِ

التي تَشْتَمِلُ على ذِكْرها. على نُعْمِ حَسَنَةٍ. وألحان مستحسنة؛ فهي السبب في الفوز بحصولها. والظفر بالسُّكْرِ بِهَا. كألحان الششتري والتاظم وغيرهما من الخمرية أو البحرية. ولذلك اتخذت الصوفية مُنشداً لينشد في حلقة الذكر وبعدها؛ لأنها تُهَيِّجُ الحُبَّ. وتُستجلب السكر. ويُشترط أن يكونَ صَيِّتاً عارفاً بصناعة الإنشاد. يذُكُرُ في كُلِّ محلٍّ ما يُناسِبُهُ، بِدَايَةٍ ونِهَائَةٍ. جَذْباً وسُلوكاً. وباللَّهِ التوفيق. ثم قال رضي الله عنه:

فَمَا سَكَنْتُ وَالْهَمُّ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ كَذَلِكَ لَمْ يَسْكُنْ مَعَ النَّعْمِ الْعُغْمُ
يقول رضي الله عنه: هَذِهِ الْخَمْرَةُ الْأَزْلِيَّةُ. مَنْ شَرِبَهَا وَسَكَرَ بِهَا. وَتَمَكَّنَتْ مِنْ قَلْبِهِ مَعْرِفَتَهَا. وَأَشْرَقَتْ عَلَى سِرِّهِ أَنْوَارَهَا. لَا يَسْكُنُ مَعَهَا فِي قَلْبِهِ هَمٌّ أَبَدًا؛ لِأَنَّ الْوُضُوءَ إِلَى هَذِهِ الْخَمْرَةِ، هُوَ الْوُضُوءُ إِلَى الْحَبِيبِ، وَالْجُلُوسُ فِي بَسَاطِ حَضْرَتِهِ. وَمُشَاهَدَةُ أَنْوَارِ طَلْعَتِهِ. وَمَنْ كَانَ مَعَ الْحَبِيبِ لَا يَغْتَرِبُهُ الْهُمُومُ. وَلَا يَطْرُقُ سَاحَتَهُ الْعُمُومُ. كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

هَنِيئًا لِمَنْ قَدْ نَالَ حُبَّ حَبِيبِهِ وَخَاصًّا بِتَرْكِ الْعَنِيرِ أَكْثَرَمَ مَوْرِدِ
نَعِيمٍ بِلَا حَلٍّ لَدَيْهِ مُجَدِّدٌ عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
وأيضاً: لَا تَطْرُقُ الْهُمُومُ وَالْأَخْزَانُ، إِلَّا مِنْ وُجُودِ الْإِنْسَانِ. وَأَمَّا مَنْ تَحَقَّقَ زَوَالَهُ؛ كَانَ أَمْرُهُ كُلُّهُ بِاللَّهِ. ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ﴾. وَالْحَقُّ مُنْزَعٌ عَنِ النَّقَائِصِ. وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ. الْهَمُّ وَالْحُزْنُ لَا يَتَصَوَّرَانِ إِلَّا فُقْدَانَ شَيْءٍ أَوْ قَوَاتِهِ. وَمَاذَا فَقَدَ مَنْ وَجَدَ اللَّهَ. بَلْ مَنْ وَجَدَ اللَّهَ كَانَتْ أَوْقَاتُهُ كُلُّهَا مَوَاسِمَ وَأَعْيَادًا. كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

الدَّهْرُ لِي مَائْتُمْ إِنْ غِيبَتْ يَا أَمَلِي وَالْعَيْدُ مَا كُنْتُ لِي مِرْءًا وَمُسْتَجْمَعًا
وقال آخر:

قَالَتْ: هُنَّ الْعَيْدُ بِالْبُشْرَى فَقُلْتُ لَهَا الْعَيْدُ وَالْبُشْرَى عِنْدِي يَوْمَ لُقْيَاكَ
اللَّهُ يَغْلَمُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فَرِحُوا بِهِ وَمَا فَرَحَنِي إِلَّا بِرُؤْيَاكَ
وإن شئت قلت: إنما كانت هذه الخمرة لا يسكن معها الهمم والغم؛ لأن هذه الخمرة لا تسكن إلا في قلب تقي. وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي يجعل له من كل هم مخرجاً. وَلَا تَسْكُنُ أَيْضًا. إِلَّا فِي قَلْبِ مُخْسِنٍ. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

وَلَا تَسْكُنُ أَيْضاً إِلَّا فِي قَلْبِ صَبُورٍ . وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ مَاذَا يَفُوتُهُ؟

وإن شئت قلت : إنما تطرق الهموم والغموم ، من عدم الثقة بالحي القيوم . وَأَمَّا مَنْ صَلَحَ تَوَكَّلَهُ عَلَى اللَّهِ . فَقَدْ كَفَاهُ اللَّهُ وَأَوَّاهُ . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ . وَمَنْ كَانَ اللَّهُ كَافِيَهُ ، كَيْفَ تَعْتَرِيهِ الْهُمُومُ؟

إن شئت قلت : إنما تطرق هذه الغموم . من عدم التحقق بالقضاء المحتوم . وَأَمَّا مَنْ تَحَقَّقَ بِسَابِقِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ . أَرَاخَ نَفْسَهُ مِنَ التَّعَبِ وَالكَدْرِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ الآية . ثم قال : ﴿ لِيَكُنَّ آيَاتٍ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَاتِ وَالْحُكْمِ ﴾ . حُكْمِي أَنْ رَجُلًا فَاقَ حَالَهُ . وَتَعَطَّلَ أَجَلَهُ . فَخَرَجَ هَائِمًا عَلَى وَجْهِهِ . وَدَخَلَ الصَّحْرَاءَ ، فَوَجَدَ قَضْرًا ذَارِسًا مُتَخَرِبًا . قَدْ كَشَفَ الرِّيحُ عَنْهُ الرَّمْلَ . وَفِي حَائِطِ ذَلِكَ الْقَضْرِ ، لَوْحٌ مِنَ الرُّخَامِ . مَكْتُوبٌ فِيهِ بِقَلَمِ الْقُدْرَةِ هَذَا الشُّعْرُ :

لَمَّا زَايَيْتُكَ جَالِسًا مُسْتَقْبِلًا أَيَقْنَتْ أَنَّكَ لِلْهُمُومِ قَرِينُ
مَا لَا يُقْدِرُ لَا يَكُونُ بِحِيلَةٍ أَبَدًا وَمَا هُوَ كَائِنٌ سَيَكُونُ
سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي وَقْتِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ مَشْعُوبٌ مَحْزُونُ
يَجْرِي الْحَرِيصُ وَلَا يَبَالُ بِحَرْصِهِ شَيْئًا وَيَضْحَى عَاجِزًا مُهِينُ
دَعِ الْهُمُومَ وَتَعَرَّ مِنْ أَثْوَابِهَا إِنْ كَانَ عِنْدَكَ بِالْقَضَاءِ يَاقِينُ
هُوَ عَلَىكَ وَكُنْ بِرَبِّكَ وَائْتِمًا فَأَخُو الْحَقِيقَةِ شَأْنُهُ التَّهْوِينُ
طَرَحَ الْأَدَى عَنِ نَفْسِهِ فِي رِزْقِهِ لَمَّا تَيَقَّنَ أَنَّهُ مَضْمُونُ

وإن شئت قلت : الْهُمُومُ وَالْغُمُومُ ظَلَمَاتُ . وَالْحَمْرَةُ الْأَزَلِيَّةُ أَنْوَارُ مُشْرِقَاتُ . فَكَيْفَ تَجْتَمِعُ الظُّلَمَاتُ وَالنُّورُ؟ أَمْ كَيْفَ تَجْتَمِعُ الكآبة والسُّرُورُ؟ وتعبير الشيخ بالسُّكْنَى يَقْتَضِي أَنْ خَطُو الْهَمِّ عَلَى الْقَلْبِ وَمُرُورُهُ عَلَيْهِ . لَا يَنَافِي وَجُودَ الْحَمْرَةِ . وَهُوَ كَذَلِكَ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ فهذه الآية ، تحكّم على أهل البدايات والنهايات لِقَوْلِهِ تَعَالَى قَبْلَ ذَلِكَ مُحَاطِبًا لِسَيِّدِ الْعَارِفِينَ : ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ قَاسِعٌ يَا اللَّهُ ﴾ الآية . أو إشارة إلى أَنَّ الطَّيْفَ لَا يَخْلُو مِنْهُ أَحَدٌ . وَإِنْ كَانَ الرَّسُولُ مَعْصُومًا مِنْ إِصْرَارِهِ ، لَكِنْ فِيهِ تَنْبِيهُ لِغَيْرِهِ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَفِي سَكْرَةٍ مِنْهَا وَلَوْ عُمُرُ سَاعَةٍ تَرَى الدَّهْرَ عَبْدًا طَائِعًا وَلَكَ الحُكْمُ
يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَفِي سَكْرَةٍ مِنْ هَذِهِ الخَمْرَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَلَوْ سَاعَةٌ مِنْ
العُمُرِ، تَرَى الزَّمَانَ طَائِعًا لَكَ. وَالْأَشْيَاءَ كُلَّهَا عِنْدَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ. وَأَنْتَ حَاكِمٌ
عَلَيْهَا. مَا دُمْتَ فِي هَذِهِ السَّكْرَةِ. لِأَنَّكَ حُرٌّ عَنْهَا، غَيْبِي بِشُهُودٍ مُكُونِهَا. الْأَشْيَاءُ
كُلَّمَا تَشْتَاقُ إِلَيْكَ وَأَنْتَ مَوْلَاهَا. أَنْتَ مَعَ الأَكْوَانِ. مَا لَمْ تَشْهَدْ المُكُونِ. فَإِذَا
أَشْهَدْتَهُ، كَانَتْ الأَكْوَانُ مَعَكَ. وَفِي الْحَدِيثِ. «اشْتَاقَتِ الجَنَّةُ إِلَى عَلِيِّ وَعَمَّارِ.
وَصُهَيْبِ وَبِلَالٍ». وَبِالْجُمْلَةِ. فَمَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ عَنِ الْأَشْيَاءِ كَانَ حُرًّا. وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا
عَبِيدُ لَهُ. يَتَصَرَّفُ فِيهَا بِاللَّيْلِ. مُرَادُهُ مَعَ مُرَادِ مَوْلَاكَ. لَا يَشْتَهِي إِلَّا مَا يَقْضِي، وَلَا
يُرِيدُ إِلَّا مَا يُرِيدُ. صَارَ المَنْعُ عِنْدَهُ عَيْنَ العَطَاءِ. وَالدَّلَّ عَيْنَ العِزِّ. وَالْفَقْرُ عَيْنَ
الْغِنَاءِ. وَالقَبْضُ عَيْنَ البَسْطِ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَوَارِدِ الأَضْدَادِ. فَلَا يَفْدُخُ فِي حَقِّ
العَارِفِ تَعَذُّرَ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ، فِي أُمُورِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ عِنْدَ مَوْلَاهُ. مَنَعَهُ أَوْ أَعْطَاهُ.
وَتَقْيِيدُنَا كَلَامَ الشَّيْخِ. بِوَقْتِ الخَمْرَةِ لَا بُدَّ مِنْهُ. وَأَمَّا مَنْ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ، وَشُهُودِ
حِسِّهِ. فَلَا تَبْقَى لَهُ هَذِهِ المَزِيَّةُ. لِغَلْبَةِ أَحْكَامِ العُبُودِيَّةِ عَلَيْهِ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ
الشَّاعِرُ:

نَخْنُ إِنْ كُنَّا بِهِ دَلَالًا تَهْنَأُ عَنِ سَائِرِ الأَحْرَارِ وَالْعَبِيدِ
وَإِنْ نَخْنُ رَجَعْنَا إِلَيْنَا عَطَّلَ دُلْنَا ذُلَّ الأَيَّ هُودِ
فَمَنْ دَامَ سَكْرُهُ فِي البَاطِنِ. وَتَحَقَّقَ بَقَاؤُهُ وَفَنَاؤُهُ. وَسَكَنَ عِنْدَ مَوْلَاهُ، كَانَ
حُرًّا عَلَى الدَّوَامِ. مَالِكًا عَلَى الدَّوَامِ. وَالْأَشْيَاءَ مَمْلُوكَةً لَهُ عَلَى الدَّوَامِ. يَتَصَرَّفُ فِيهَا
بِاللَّهِ. خَلِيفَةً عَنِ اللَّهِ فِي حُكْمِهِ وَإِلْزَامِهِ. مَغْرُوزٌ عَنِ رُؤْيَةِ نَفْسِهِ وَوُجُودِهِ. يَتَّظَهَّرُ
بِعَيْنِ البَصِيرَةِ إِلَى سَابِقِ القَضَاءِ، فَيَحْكُمُ بِهِ. قَدْ ذَهَبَ رُؤْيَةُ الكَوْنِ عَنِ نَظَرِهِ. فَلَا
يَشْهَدُ إِلَّا مُكُونَهَا. فَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ كَانَ هَكَذَا. يَكُونُ الدَّهْرَ خَادِمًا لَهُ. وَالأَنَامُ
عَبِيدًا. فَكُلُّ يَوْمٍ عِنْدَهُ العَبِيدُ. حَقَّقْنَا اللَّهُ بِهِذَا الأَمْرِ العَظِيمِ. بِجَاهِ سَيِّدِ الخَلْقِ عَلَيْهِ
السَّلَامِ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فَلَا عَيْشَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ عَاشَ صَاحِبِيَا وَمَنْ لَمْ يَمُتْ سُكْرًا بِهَا فَاتَهُ الحَزْمُ
قُلْتُ: الصَّخُو: ذَهَابُ العَيْمِ، وَالسُّكْرُ. يُقَالُ: صَحِيَ السُّكْرَانُ. كَرَضِي.
وَأَضْحَى: ذَهَبَ سَكْرُهُ. قَالَهُ فِي القَامُوسِ: يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ فَاتَهُ السُّكْرُ
بِهَذِهِ الخَمْرَةِ، وَعَاشَ سَالِكًا مَخْضًا. لَا يَرَى إِلَّا الأَكْوَانَ. وَلَا يَحُولُ فِكْرُهُ إِلَّا فِيهَا.

فَعَيْشُهُ عَيْشُ الْبَهَائِمِ . فَلَا عَيْشَ لَهُ عِنْدَ الْأَكْيَاسِ ؛ لِأَنَّ عَيْشَهُ مُكَدَّرٌ . وَرَزَقَهُ مِنْ
الْعُلُومِ مُقْتَرًّا . مَسْجُونٌ بِمَحِيطَاتِهِ ، مَخْضُورٌ فِي هَيْكَلِ ذَاتِهِ . لَمْ يُفْتَحْ لَهُ مِيَادِينُ
الْغُيُوبِ . وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى فِضَاءِ الشُّهُودِ وَالْعِيَانِ . قَدْ بَانَ غَيْبُهُ ، وَدَامَ حُزْنُهُ . وَقَدْ
قُلْتُ فِي تَائِيْتِي فِي هَذِهِ الْمَعْنَى :

فَيَا غَيْبَنَ مَنْ لَمْ يَشْفِ مِنْهَا عَلِيلُهُ لَقَدْ كَسَاكَ الْحِزْمَانُ ثُوبَ مَذَلَّتِي
وَيَا فُوزَ مَنْ أَضْحَى لَهَا مُتَضَلِّعاً عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
هَنِئِئاً لَهُ فَالْأَمْرُ عِنْدَ مُرَادِهِ وَعَبْدًا يَصِيرُ الدَّهْرُ فِي كُلِّ خِدْمَةٍ
فَمَنْ عَاشَ وَلَمْ يَسْكُرْ مِنْهَا حَتَّى مَاتَ فَقَدْ فَاتَهُ الْحِزْمُ وَكَانَ حَظُّهُ التُّدْمُ
كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

مَنْ فَاتَهُ مِنْكَ وَضَلَّ حَظُّهُ التُّدْمُ وَمَنْ تَكُنْ هَمَّهُ تَسْمُوبُهُ الْهِمَمُ
وَاعْلَمْ أَنَّ الصُّخُوعَ عَلَى قِسْمَيْنِ : صَخُوعٌ بَعْدَ السُّكْرِ : وَهَذَا عَيْنُ الْكَمَالِ .
وصحوق قبل السكر؛ وهذا هو المذموم، لأن صاحبه محجوب عن الله؛ وهو الذي
أراد الناظم هنا، كما أن السكر على قسمين: سكر يكون معه سلوك أو بعده. وهذا
هو الكمال. وسكر لا يصحبه سلوك معه ولا بعده. وهذا ناقص؛ لا يصلح للتربية
النبوية. كما أن السلوك المخض لا يصلح أيضاً للتربية. ومن سكر ثم صحا كان
شيخاً مُرْتَبِئاً، كاملاً مكملاً؛ وهذا لا ينقطع، ما دام الوجود قائماً. ولا يقول بخلاف
هذا، إلا من طبع الله على قلبه. نسأل الله السلامة بيمينه وكريمه: ثم إنه قال رضي
الله عنه:

عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْنِكْ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلَا سَهْمُ
يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ فِي الْبَطَالَةِ وَالتَّقْصِيرِ . وَالتَّخْلِيضِ
والتَّكْدِيرِ . وَلَيْسَ لَهُ مِنْ حَمْرَةِ الْأَفْرَاحِ قَلِيلٌ وَلَا كَبِيرٌ . فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَبْكِيَ عَلَى
نَفْسِهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ . وَيَلْتَجِئَ إِلَى الْعَارِفِينَ الْأَطْهَارِ وَالصَّحَالِينَ الْأَبْرَارِ
فَعَسَى أَنْ تَهَبَّ عَلَيْهِ نَفْحَاتٌ مِنَ الْكَرِيمِ الْعَفَّارِ . لَعَلَّ يَلْتَحِقَ بِهِمْ ، وَيَنْخَرِطَ فِي
سِلْكَهُمْ . وَإِلَّا بَقِيَ مَغْبُوناً عِبَادَتُهُ ؛ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْحَسَنِ ؛ فَهِيَ قَلِيلَةٌ فِي الْمَعْنَى ؛
لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ عَمَلِ الْجَوَارِحِ ، وَضُورُ ثَمَرَتِهَا إِلَى الْقَلْبِ ؛ وَهِيَ حَمْرَةُ الْمَحَبَّةِ .
فَمَنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى هَذِهِ الْحَمْرَةِ ، فَعِبَادَتُهُ وَسِيلَةٌ بِلَا غَايَةٍ . وَلِذَلِكَ قَالَ الْقَطْبُ ابْنَ
مَشِيشٍ - نَفَعَنَا اللَّهُ بِذِكْرِهِ - مَنْ ذَلِكَ عَلَى الدُّنْيَا فَقَدْ عَشَاكَ . وَمَنْ ذَلِكَ عَلَى الْعَمَلِ

فَقَدْ أَتَعَبَكَ . وَمَنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ فَقَدْ تَصَحَّكَ . فالدَّلَالَةُ عَلَى اللَّهِ ، هُوَ تَعْيِبُ الْعَبْدِ
عَمَّا سِوَاهُ ، وَنِسْيَانُهُ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ ؛ وَهَذِهِ هِيَ الْخَمْرَةُ الْمَطْلُوبَةُ . فَعِبَادَةُ أَهْلِ هَذِهِ
الْخَمْرَةِ كَثِيرَةٌ فِي الْمَعْنَى . وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلَةً فِي الْحَسَنِ ؛ لِأَنَّ عِبَادَةَ هَذِهِ الْخَمْرَةِ كُلَّهَا
مُضَاعَفَةٌ بِأَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ؛ لِأَنَّهَا بَيْنَ فِكْرَةٍ وَنَظْرَةٍ . وَشَهْوَةٍ وَعِبْرَةٍ . وَفِي الْخَبَرِ : «تَفَكَّرُ
سَاعَةً أَفْضَلَ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً» . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

كُلُّ وَقْتٍ مِنْ حَسْبِي قَدْرُهُ كَأَلْفِ حَاجَّةٍ

أي سنة . وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه : أوقاتنا كلها ليلة
القدر . أي كل وقت عندنا خير من ألف شهر . يسير إلى هذا المعنى . وقال الجنيد
رضي الله عنه : أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد ،
بتسييم المعرفة . والشرب بكأس المحبة ، من بحر الوداد ، والنظر بحسن الظن بالله
تعالى . ثم قال : يَا لَهَا مِنْ مَجَالِسٍ . مَا أَجْلَهَا ! وَمِنْ شَرَابٍ مَا أَلَذُّهُ ! طَوْبَى لِمَنْ
رَزَقَهُ هـ . وقال ابن عطية رحمه الله : حدثني أبي رضي الله عنه : عن بعض علماء
المشرق ، قال : كنت تائها في مسجد الأقدام بمصر . فصليت العتمة . فرأيت رجلاً
قد اضطجع في كساء له . مسجياً بكسائه حتى أضلح . وصلينا في الليلة وسهرنا .
فلما أقيمت صلاة الصبح . قام ذلك الرجل ، فاستقبل القبلة . وصلى مع الناس ،
فاستعظمت جزأته في الصلاة بغير وضوء . فلما فرغت الصلاة ، خرج فتبعته
لأعظه . فلما تبعته سمعته يُنشد :

مُنْسَجِنُ الْجِسْمِ غَائِبٌ حَاضِرٌ مُتَنَبِّهُ الْقَلْبِ صَامِتٌ ذَاكِرٌ

مُنْقَبِضٌ فِي الْغُيُوبِ مُنْبَسِطٌ كَذَلِكَ مَنْ كَانَ عَارِفًا نَكِرٌ

قال : فعلمت أنه من يعبد الله بالفكرة . وقال أبو الحجاج الضرير في
منظوميته :

وَالْفِكْرُ فِي عَجَائِبِ الْحَلِيقَةِ مِنْ أَفْضَلِ الطَّاعَاتِ فِي الْحَقِيقَةِ

لِأَنَّهُ بِهِ تَكُونُ الْمَعْرِفَةُ وَإِنَّمَا يَخَافُهُ مَنْ عَرَفَهُ

وقال الششتري رضي الله عنه :

دَعِ السَّيْفَ وَالسُّبْحَةَ وَالسَّجَادَ وَاعْقِدْ سُكْرَةً مِنْ خَمْرَةِ الْإِفْرَادِ

أي اترك الجهاد الحسي والعبادة الحسية . واشتغل بالعبادة الباطنية القلبية .
ولذلك قال بعض العارفين : الذرة من أعمال القلوب . أفضل من أمثال الجبال من

أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ . وقال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه: التفكير نعت كل طالب، وثمرة الوصول، بشرط العِلْمِ . فإذا سَلِمَ الفكر عن الشوائب . ورد صاحبه على مَنَاهِلِ التحقيق . وفي كتاب الله عز وجل، وسنة رسول الله ﷺ، من الحث على التفكير، والاعتباط به . ما يقل به أسفار . وكذلك أخبار السلف الصالح . قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . وقال تعالى: ﴿قُلِ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ﴾ ، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . إلى غير ذلك مما لا يُحصى . ولما نزلت على رسول الله ﷺ، هذه الآية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ الخ الآية، قال: «وَبَلِّغْ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا» . وقال ﷺ: «لَا عِبَادَةَ كَالْتَفَكُّرِ» . وسئلت زوجة أبي ذر عن عبادة زوجته . فقالت: كَانَ نَهَاؤُهُ أَجْمَعَ فِي نَاحِيَةِ يَتَفَكَّرُ . وكذلك ذكرت زوجة أبي بكر . قالت: كَانَ لَيْلُهُ فِي نَاحِيَةِ يَتَفَكَّرُ . وَكَانَ عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: طَوْبِي لِمَنْ قِيلَ ذَكَرًا . وصمته تفكراً ونظره عبادة . إِنَّ أَكْبَسَ النَّاسِ مَنْ ذَانَ نَفْسَهُ؛ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ . وقال كعب: مَنْ أَرَادَ شَرْفَ الْآخِرَةِ، فَلْيَكْثِرِ التَّفَكُّرَ . وقيل لإبراهيم: إِنَّكَ تُطِيلُ الْفِكْرَةَ . فقال: الْفِكْرَةُ مَخُّ الْعَقْلِ .

وَكَانَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، كَثِيرًا، مَا يَتَأَمَّلُ وَيَقُولُ: إِذَا الْمَرْءُ كَانَتْ لَهُ فِكْرَةٌ . ففِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ عِبْرَةٌ . وقال الحسن: مَنْ لَمْ يَكُنْ كَلَامَهُ حِكْمَةً، فَهُوَ لَعُؤٌ . وَمَنْ لَمْ يَكُنْ سَكَوْتُهُ تَفَكُّرًا؛ فَهُوَ سَهْوٌ . وَمَنْ لَمْ يَكُنْ نَظْرُهُ اِغْتِبَارًا، فَهُوَ لَهْوٌ . وقيل في قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي أَمْنَعُ قُلُوبَهُمُ التَّفَكِيرَ فِي أَمْرِي .

وَكَانَ لُقْمَانُ يُطِيلُ الْجُلُوسَ وَخَدَهُ . فَيَمْرَ بِهِ مَوْلَاهُ . يَا لُقْمَانَ . إِنَّكَ تَطِيلُ الْجُلُوسَ وَحَدَّكَ . فَلَوْ جَلَسْتَ مَعَ النَّاسِ، كَانَ أَنْسَ لَكَ . فيقول لقمان: إن أطول الوحدة أتم للفكرة .

وقال في الحكم: ما نفع القلب شيء مثل عذلة، يدخل بها ميدان فكرة . وقال أيضاً: الفكرة سراج القلب . فإذا ذهبت فلا إضاءة له . وقال أيضاً: الفكرة فكرتان: فكرة تصديق وإيمان . وفكرة شهود وعيان . فالأول لأزباب الاغتيار . والثاني لأزباب الشهود، والاستبصار . وفكرة أهل الشهود والعيان؛ هي التي تستلزم الخمرة؛ وهي المقصودة عند العارفين . وهي التي تعادل ألف سنة . وقت

منها خير من ألف شهر. فمن فقدَها فلا عيش له في الدنيا. وحق على نفسه
البكاء. ومن ظفرَ بها ونالها يحق له الهناء. وفي أمثاله قال القائل:

هُمُ الرِّجَالُ وَعَيْنٌ لِمَنْ أَنْ يُقَالَ لَمْ يَتَّصِفْ بِمَعَانِي فِي وَصْفِهِمْ رَجُلٌ
حَقَّقْنَا اللَّهُ بِمَا حَقَّقَهُمْ بِهِ. وَأَتْحَفْنَا بِمَا أَتَحَفَهُمْ بِهِ. آمِينَ. وسلام على
المُرسَلِينَ. والحمد لله رب العالمِينَ.

هذا آخر ما قصدنا جمعه على القصيدة الخمرية الفرضية: على يد عبد ربه،
أقل عبيده، أحمد بن محمد بنعجيجة الحسني.

شُرْحُ قَصِيدَةِ يَا مَنْ تَعَاظَمَ . . . لِلْإِمَامِ الرَّفَاعِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

يقول العبد الفقير إلى مَوْلَاهُ الْعَنِيِّ بِهِ عَمَّا سِوَاهُ. أحمد بن محمد بنعجبية الحسني. لطف الله به وحباه. ولحضرتيه اجتباه.

الحمد لله. نحمدك يا من تعاطمت أنوار جماله وبهائه. حتى حفيت من شدة ظهورها معاني صفاته وأسمائه. ونشكرك يا من تردى برداء عزته وكبريائه. حمداً وشكراً يقتضيان المزيد من عظيم نواله والآية. ونصلي ونسلم على من انشقت من ناسوته الأسرار. ورزى الله تعالى عن أصحابه الأبرار وأهل بيته الأطهار.

أما بعد. فقد سألتني بعض أهل المحبة والوداد من أهل التسليم والاعتقاد أن أضع تقييداً على قصيدة تنسب للإمام الرفاعي رضي الله عنه؛ وهو أحمد بن أبي الحسن الرفاعي. نسب إلى بني رفاعه قبيلة من العرب. وسكن بأحواز مصر قرية يقال لها: أم عبيدة. بأرض البطائح إلى أن مات بها رضي الله عنه وقت الظهر، ثاني عشر جمادى الأولى سنة سبعين وخمسمائة، وكان شافعي المذهب. وله أحوال غريبة في التواضع، وتعاطي السفليات، وتحمل الأذى. كان رضي الله عنه يمشي إلى حارة المجذومين، وأهل الأوساخ، فيغسل ثيابهم، ويفلي رؤوسهم وليحاهم. ويحمل لهم الطعام ويأكل معهم اللبن، ويجالسهم ويسألهم الدعاء، ويقول زيارة هؤلاء واجبة لا مستحبة. ورأى مرة كلباً أجرب أخرجه أهل أم عبيدة وقدروه، فخرج معه إلى البرية، وضرب مظلة، وجعل يطله بالدهن، ويطعمه ويسقيه، ويحك الجرب بخرقة. فلما برىء. سخن له ماء وغسله، وقال: خفت أن يؤخذ حميد بهذا الكلب يوم القيامة. ويقول الحق لي جلّ وعلاً يا حميد أما علمت أنه خلق من خلقي، أما أمرتك بالرحمة أطل مبتلى.

وكان يخرج إلى الطريق ينتظر العُمَيَّانَ ويقودُهُنَّ إلى مَكَانِهِنَّ. وإذا رأى شخصاً كبيراً يذهب إلى أهل حارة، ويوصيهم عليه. ويقول: قَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ أَكْرَمَ ذَا شَيْبَةٍ، سَخَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ كِبَرِهِ». وكان إذا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، وقرب مِنْ بَلَدِهِ يَشِدُّ وَسَطَهُ، ويخرج حَبْلاً ويجمع حَطْباً ثم يَحْمِلُهُ عَلَى رَأْسِهِ إِلَى الدَّارِ، ويفعل كذلك الفقراء. فإذا دَخَلَ الْبَلَدَ، فَرَّقَ ذَلِكَ عَلَى الْأَرَامِلِ وَالْعُمَيَّانِ وَالْمَسَاكِينِ. وَكَانَ يَتَّحَمَلُ أَذَى النَّاسِ مَا لَا يَحْمِلُهُ غَيْرُهُ.

وَيَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ. لَقِيَهُ مَرَّةً جَمَاعَةٌ فَسَبُّوهُ. وَقَالُوا لَهُ: يَا بَدَّاعَ. يَا مُسْتَحِلًّا لِلْحَرَامِ، يَا مَبْدَلًا لِلْقُرْآنِ، يَا مَلْحَدًا يَا كَلْبَ. فَكَشَفَ رَأْسَهُ، وَقَبَّلَ الْأَرْضَ. وَقَالَ: اجْعَلُونِي فِي حَلٍّ. وَجَعَلَ يَقْبَلُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، فَلَمَّا أَعْجَزَهُمْ قَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَكَ فِي الْفُقَرَاءِ تَحْتَمِلُ مَنَا هَذَا الشُّتْمَ. فَقَالَ: هَذَا بَيْرَكَاتِكُمْ. وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الشَّيْخَ الْبُوصْتِي كِتَابًا يُعَاتِبُهُ، وَيَحِطُّ مَرْتَبَتَهُ. فَقَالَ لِلرَّسُولِ اقْرَأهُ، فَإِذَا فِيهِ: يَلِ مَبْتَدَعٍ، يَا كَلْبَ، يَا جَامِعاً بَيْنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. فَلَمَّا فَرَّغَ الرَّسُولُ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ أَخَذَهُ سَيِّدِي أَحْمَدُ وَقَرَأَهُ. وَصَارَ يَقُولُ: صَدَقَ أَخِي فِيمَا يَقُولُ وَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا. ثُمَّ أَشَدَّ:

فَلَسْتُ أَبَالِي مَنْ رَمَانِي بِرَمِيَةٍ إِنْ كُنْتُ عِنْدَ اللَّهِ غَيْرَ مُرِيبٍ
وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَتَجَلَّى الْحَقُّ لَهُ بِالْعَظْمَةِ، فَيَذُوبُ حَتَّى يَصِيرَ نُقْطَةً. ثُمَّ يَتَذَكَّرُهُ اللَّطْفُ، فَيَصِيرُ يَكْبُرُ شَيْئًا فَشَيْئًا، حَتَّى يَرُدَّ إِلَى جَنْسِهِ الْمَعْتَادِ. وَيَقُولُ: لَوْلَا لُطْفُ اللَّهِ تَعَالَى مَا رَجَعْتُ إِلَيْكُمْ. وَلَهُ كَلَامٌ طَوِيلٌ فِي الْحَقَائِقِ. فَمِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«الزُّهْدُ أَسَاسُ الْأَحْوَالِ الْمُرْضِيَةِ، وَالْمَرَاتِبِ السَّنِيَةِ». وَهُوَ أَوَّلُ قَدَمِ الْقَاصِدِينَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَالْمُنْقَطِعِينَ إِلَى اللَّهِ. وَالرَّاضِينَ عَنْهُ، وَالْمَتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ. فَكُلِّ مَنْ لَمْ يُحْكَمْ أَسَاسُهُ فِي الزُّهْدِ لَمْ يَصْلُحْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ.

وَمِنْ كَلَامِهِ أَيْضًا: «الْفُقَرَاءُ أَشْرَافُ النَّاسِ؛ لِأَنَّ الْفَقْرَ لِبَاسِ الْمُرْسَلِينَ. وَجَنِّبِ الصَّالِحِينَ، وَتَاجَ الْمُتَّقِينَ، وَغَنِيمَةَ الْعَارِفِينَ، وَمُنِيَةَ الْمُرِيدِينَ، وَرَضَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكَرَامَةَ الْأَوْلِيَاءِ وَأَهْلِ وَلَايَتِهِ». وَسَأَلَهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ فَقَالَ: «يَا أَخِي إِنْ عِنْدِي الْيَوْمَ قُوَّةٌ يَوْمِي. وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، لَمْ يَقْبَلْ لَهُ دُعَاءٌ. فَإِذَا بَلَغَكَ يَا أَخِي أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدِي مَا يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ. فَسَلَّنِي الدُّعَاءَ. فَإِنَّ لِي حَيْثُذِ إِسْوَةَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ». وَكَانَ يَقُولُ: «لَا يَصْحَ الْأَنْسُ بِاللَّهِ تَعَالَى. إِلَّا لَمَنْ كُمَلَتْ طَهَارَتُهُ،

واستوحش مما يشغله عن الله تعالى . فعند ذلك يؤنسهُ الله به . وكان يقول :
«الشفقة على الإخوان ، مما يقربُ إلى الله تعالى» . وقال لخادميه : «يا يعقوبُ كُنْ
ذنباً ولا تكن رأساً . فإنَّ الضربة أول ما تقع تقع في الرأس . وإياك ورؤية نفسك
على الإخوان . فإنه لا يقال لك عشرة . ولا يساعدك عليها ولو حملت ما حملت لا
يساعدها أحد . وانظر إلى شجرة اليقطين : «شجرة القرع» لما اتفعت ، وألقت خدّها
على الأرض ، كيف جعل الله ثقل حملها على الأرض . ولو حملت ما حملت لا
تحسُّ به» .

وكان يقول : «أفضل العبادات البدنية : الصدقة» . وكان يقول : «التوحيد
ووجدان عظيم ، والقلب يمنع من التعطيل والتشبيه» «وكان يكره لأصحابه الخوض
في الذات والصفات» . وكان يقول : «إذا صلح القلب صار مهبط الوحي والأسرار ،
والأنوار ، والملائكة . وإذا فسد صار مهبط الأباطيل والظلم والشياطين» . وكان
يقول : «إذا صلح القلب أخبرك عما وراءك وأمامك . وإذا فسد حدثك بأباطيل ،
يغيب معها الرشد ، وينتفي منها الهدى» . وكان يقول : «من شرط الفقير أن يرى كل
نفس من أنفاسه . أعز من الكبريت الأحمر . فلا يضع في كل نفس إلا ما يصلح
له» . وكان يقول في حديث : «من تزوج لله كفى ووفى» . معناه أن يتزوج امتثالاً
للأمر . لا بحكم الشهوة البهيمية . وكان يقول : «طريقنا على ثلاثة أشياء لا يسأل ،
ولا يزد ، ولا يدخر» . وكان يقول : «سعادة المرید أن يفتخر به شيخه لشدة
مجاهدته» . وكان يقول : «من غضب لنفسه تعب . ومن سلم أمره إلى مولاه نصره
من غير أهل ولا عشيرة» . وكان يقول : «والله ما كان لي خيراً إلا في الوحدة . فإنا
لنتني لمن أعرف أحداً ، ولم يعرفني أحد» . وكان يقول : «من شرط الفقير ألا يكون
له نظر في عيوب الناس» . وكان يقول : «إياكم وتعاطي أسباب الشهرة ، والفرح
بالمحبين والمعتقدين» . وكان يقول : ما من ليلة إلا ينزل فيها نور من السماء يقذف
في قلوب المستيقظين» . وكان يقول لأصحابه «من تشيخ عليكم فقدموه ومن قدم
لكم يده لتقبلوها فقبلوا رجله» ومعنى تشيخ عليكم : نصب نفسه للشيخوخة . وكان
يقول : «إذا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَرْقِي عَبْدَهُ إِلَى مَقَامَاتِ الرِّجَالِ ؛ كَلَّفَهُ بِأَمْرِ نَفْسِهِ أَوَّلًا . فَإِذَا
أَدَّبَ نَفْسَهُ وَاسْتَقَامَتْ مَعَهُ كَلَّفَهُ بِأَهْلِهِ . فَإِنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَسَاسَهُم كَلَّفَهُ اللهُ بِأَهْلِ
بَلَدِهِ . فَإِنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَسَاسَهُمْ ، كَلَّفَهُ جِهَةً مِنَ الْبِلَادِ .

فإن هو نصحهم وسأسهم . وأصلح سريرته مع الله . كلفه رتبة ما بين السماء

وَالْأَرْضِ . فَإِنَّ لِلَّهِ خَلْقًا لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ . ثُمَّ لَا يَزَالُ يَرْتَفِعُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ .
حَتَّى يَرْتَفِعَ وَيَصِلَ إِلَى مَحَلِّ الْقُطْبِ الْغُوثِ ؛ وَهُنَاكَ يُطَّلِعُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَيْنَيْهِ ، فَلَا
تَنْبُثُ شَجَرَةٌ ، وَلَا تَخْضِرُ وَرْقَةً إِلَّا بِعِلْمِهِ . وَهُنَاكَ يَتَكَلَّمُ عَنِ اللَّهِ بِكَلَامٍ لَا تَسْعَهُ
الْعُقُولُ ، وَرَبِّمَا ذَهَبَ بِهِ إِيْمَانُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَنَكِّرِينَ . وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِذَا
صَعِدَ الْكُرْسِيَّ ، يَسْمَعُ كَلَامَهُ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ ، حَتَّى أَهْلَ الْقُرَى . حَوْلَ أُمِّ عَيْدَةَ .
وَيَعْرِفُونَ جَمِيعَ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ . مَعَ أَنَّ صَوْتَهُ كَانَ ضَعِيفًا . وَكَانَ الْأَطْرَشُ وَالْأَصْمُ ،
إِذَا حَضَرَ يَفْتَحُ اللَّهُ أَسْمَاعَهُمَا لِكَلَامِهِ .

وَكَانَ مَشَايخِ الطَّرِيقِ يَحْضُرُونَهُ . وَكَانَ جُلُوهُمْ يَبْسُطُ حُجْرَهُ . فإِذَا قَرَعَ مِنْ
وَعَظِيهِ ، ضَمُّوا حُجُورَهُمْ إِلَى صُدُورِهِمْ ، وَقَصُّوا الْحَدِيثَ إِذَا رَجَعُوا إِلَى أَصْحَابِهِمْ
عَلَى حَلِيَّتِهِ . قَالَ خَادِمُهُ يَعْقُوبُ : قُلْتُ يَا سَيِّدِي : أَنْتَ الْقُطْبُ . فَقَالَ : نَزَّ شَيْخُكَ
عَنِ الْقُطْبَانِيَّةِ . فَإِنَّ مَنْ كَانَ فِي حَضْرَةِ اللَّهِ لَا مَقَامَ لَهُ . وَسُئِلَ مَرَّةً كَيْفَ كَانَ
سُلُوكِكَ . فَقَالَ : مَرَزْتُ وَأَنَا صَغِيرٌ عَلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْجَرْبُوفِيِّ . قَالَ : يَا
أَحْمَدُ . اسْمِعْ مَا أَقُولُ لَكَ : «مَنْ التَفَّتْ لَا يَصِلُ . وَمِثْلُهُ لَا يُفْلِحُ . وَلَمْ يَعْرِفْ مِنْ
نَفْسِهِ النِّقْصَانَ . فَكُلْ أَوْقَاتَهُ نِقْصَانًا» . فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ . وَجَعَلْتُ أَكْرُرُهَا سَنَةً . ثُمَّ
رَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : أَوْصِنِي . فَقَالَ : «مَا أَقْبَحَ الْجَهْلُ بِالْأَوْلِيَاءِ وَالْعِلَّةُ بِالْأَطْبَاءِ .
وَالجِفَا بِالْأَحِبَّةِ . ثُمَّ خَرَجْتُ وَصَزْتُ أَكْرُرُهَا سَنَةً . فَانْتَفَعْتُ بِكَلَامِهِ لِكُونِهِ اخْتَصَرَ لِي
الطَّرِيقَ» قُلْتُ : لِمَ نَطَّلَعُ لَهُ عَلَى شَيْخٍ لَهُ فِي طَرِيقِ التَّرْبِيَةِ غَيْرَ هَذَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
وَهَذَا أَوَّلُ الْقَصِيدَةِ الَّتِي أَرَدْنَا الْكَلَامَ عَلَيْهَا :

يَا مَنْ تَعَاظَمَ حَتَّى رَفَّ مَغْنَاهُ وَلَا تَرْدَى رِدَاءَ الْكِبَرِ إِلَّا هُوَ

قُلْتُ : يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا مَنْ تَعَاظَمَ فِي شِدَّةِ ظُهُورِ أَنْوَارِهِ ، وَتَجَلِّيَاتِ
أَسْرَارِهِ ، فَمَا زَالَ يَظْهَرُ لِلْبَصَائِرِ ، وَيَتَجَلَّى لِلْسَرَائِرِ . حَتَّى حَقًّا مَغْنَاهُ . وَرَقَّ عَنِ
مِدَارِكِ الْعُقُولِ نُورَ جَمَالِهِ وَسَنَاهُ . فَمَا احْتَجَبَ مِنْ شِدَّةِ ظُهُورِهِ ، وَمَا مَنَعَ الْأَبْصَارَ أَنْ
تَدْرِكَهُ إِلَّا قَهَارِيَّةَ نُورِهِ . وَاللَّهُ دَرُّ الْقَائِلِ :

لَقَدْ ظَهَرَتْ فَمَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَكْمَه لَا يُبْصِرُ الْقَمَرَا
لَكِنْ بَطْنَتْ بِمَا أَظْهَرَتْ مُحْتَجِبًا وَكَيْفَ يُبْصِرُ مَنْ بِالْعِزَّةِ اسْتَتَرَا

قال آخر :

وَمَا اخْتَجَبَتْ إِلَّا بِرَفْعِ حِجَابِهَا وَمِنْ عَجَبِ أَنْ الظُّهُورَ تَسْتَشْرُ

وقول الششتري في هذا المَعْتَى :

يَا مَنْ بَدَا ظَاهِرٌ حِينَ اسْتَتَرَ ثُمَّ اخْتَفَى بَاطِنٌ لَمَّا ظَهَرَ
ظَهَرْتَ لَمْ تَخْفَ عَلَى أَحَدٍ وَغَبْتَ لَمْ تَظْهَرْ لِكُلِّ أَحَدٍ

وفي الحكيم: يَا مَنْ اخْتَجَبَ فِي سَرَادِقَاتِ عِزِّهِ عَنِ أَنْ تُدْرِكَهُ الْأَبْصَارُ. وَيَا مَنْ تَجَلَّى بِكَمَالِ بَهَائِهِ، فَتَحَقَّقَتْ عَظَمَتُهُ الْأَسْرَارَ، كَيْفَ تَخْفَى وَأَنْتَ الظَّاهِرُ. أَمْ كَيْفَ تَغِيْبُ وَأَنْتَ الرَّقِيبُ الحَاضِرُ. وَقَالَ أَيْضاً: إِلَهِي: كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وَجُودِهِ، مَفْتَقِرٌ إِلَيْكَ. أَيْكُونُ لِعَیْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ. حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهَرُ لَكَ. مَتَى غَبْتَ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ. وَمَتَى بَعَدْتَ حَتَّى تَكُونَ الْآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ. إِلَهِي عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَرَكَ عَلَيْهَا رَقِيباً. وَخَسِرْتَ صَفْقَةَ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلْ مِنْ حَبْكَ نَصِيباً. فَالْعَارِفُونَ لَا يَشْهَدُونَ سِوَى اللَّهِ. وَلَا يَرَوْنَ فِي الْكَوْنِ إِلَّا إِيَّاهُ. قَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ كَلَّفْتُ أَنْ أَرَى غَيْرَهُ لَمْ أَسْتَطِعْ، فَإِنَّهُ لَا غَيْرَ مَعَهُ، حَتَّى أَشْهَدَهُ.

وقال الشاعر:

مُذْ عَرَفْتُ الْإِلَهَ لَمْ أَرْ غَيْرَهُ وَكَذَا الْعَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعُ
مُذْ تَجَمَّعْتُ مَا خَشِيتُ افْتِرَاقاً فَأَنَا الْيَوْمَ وَاصِلٌ مَجْمُوعُ

وبالجملة: فاسمُه الظَّاهِرُ، يَفْتَضِي بَطُونَ الْأَشْيَاءِ، وَتَلَاشِيهَا. إِذْ لَا ظَاهِرَ مَعَهُ، بِدَلِيلِ الحَصْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾.

واسمُه الباطن: يَفْتَضِي ظُهُورَ الْأَشْيَاءِ بِهِ، لِيَتَحَقَّقُوا مِنْ اسْمِهِ الْبَاطِنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ظَاهِرِ حِسِّهَا؛ فَهُوَ الظَّاهِرُ فِي حَالِ بَطُونِهِ. وَالْبَاطِنُ فِي حَالِ ظُهُورِهِ قَالَ فِي الْحِكْمِ: أَظْهَرَ كُلَّ شَيْءٍ بِأَنَّهُ الْبَاطِنُ، وَطَوَى وَجُودَ كُلِّ شَيْءٍ بِأَنَّهُ الظَّاهِرُ. وَلَا يَذُوقُ هَذَا عَلَى الْكَمَالِ، إِلَّا مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِصُحْبَةِ الرُّجَالِ. وَمَنْ لَمْ يَصْحَبِ الرُّجَالَ، بَقِيَ خَفَاشِياً. كُلَّمَا اسْتَدَّ الثُّورُ. انْطَمَسَ بَصَرُهُ. وَهَاهُنَا احْتِمَالُ آخِرُ أَرْقٍ مِنَ الْأَوَّلِ وَهُوَ أَنْ يَقُولَ:

يَا مَنْ تَعَاظَمَ فِي ظُهُورِ أَسْرَارِ ذَاتِهِ، وَأَنْوَارِ صِفَاتِهِ فِي مَظَاهِرِ تَجَلِّيَاتِهِ. حَتَّى رَقَّتْ وَلَطَفَتْ مَعَانِي الدَّاتِ فِي أَنْوَارِ الصِّفَاتِ. فَأَنْوَارِ الصِّفَاتِ أَوَانِي، وَأَسْرَارِ الدَّاتِ مَعَانِي. فَالْمَعَانِي قَائِمَةٌ بِالْأَوَانِي، وَالْأَوَانِي حَاصِلَةٌ لِلْمَعَانِي. فَلَا قِيَامَ لِلْأَوَانِي، إِلَّا بِالْمَعَانِي وَلَا ظُهُورَ لِلْمَعَانِي فِي مَظَاهِرِ الْأَوَانِي. فَمَنْ وَقَفَ مَعَ ظَاهِرِ

الأواني، حُجِبَ عَنْ شُهُودِ الْمَعَانِي. وَمَنْ نَفَذَ إِلَى شُهُودِ الْمَعَانِي، غَابَ عَنْ شُهُودِ حَسَنِ الْأَوَانِي، وَلِذَلِكَ قَالَ الشُّشْتَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ:

لَا تَنْظُرْ إِلَى الْأَوَانِي، وَخُضْ بَحْرَ الْمَعَانِي، لَعَلَّكَ تَرَانِي. فَكُلَّمَا تَلَطَّفْتَ
الْأَوَانِي بِالْغَيْبَةِ عَنْ حِسِّهَا ظَهَرَتْ مَعَانِي الذَّاتِ فِي أَنْوَارِ الصِّفَاتِ. وَكُلَّمَا تَكَشَّفَتْ
الْأَوَانِي بِاشْتِغَالِ الْقَلْبِ بِحِسِّهَا الظَّاهِرِ، حَجَبَتْ الْمَعَانِي، وَرَقَّتْ وَخَفِيَتْ. وَلِذَلِكَ
قَالَ ابْنُ الْفَارِضِ فِي حَمْرِيَّتِهِ:

وَلَطْفُ الْأَوَانِي فِي الْحَقِيقَةِ تَابِعٌ لِلطَّفِ الْمَعَانِي، وَالْمَعَانِي بِهَا تَسْمُو. وَلَمَّا
سُئِلَ الْجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ التَّوْحِيدِ أَنْشَأَ يَقُولُ:

رَقَّ الرَّجَاجُ وَرَقَّتِ الْخَمْرُ فَشَابَهَا وَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ
وَقَلْتُ فِي تَائِبِي الْخَمْرِيَّةَ:

لِرِقَّةِ خَمْرِي فِي الْأَوَانِي تَلَطَّفْتُ
فَطَوْرًا تَغِيبُ الْخَمْرُ فِي جِزْمِ كَاسِهَا
أَوَانِي مَعَانِي الْخَمْرَةِ فِي أَضَلِّ نَشَاةٍ
وَعِيبُ الْأَوَانِي فِي الْمَعَانِي مُحَقَّقٌ
وَطَوْرًا تَغِيبُ الْكَأْسُ فِي خَمْرِهِ نَشْوَةٍ
فَنَاءُ الْأَوَانِي فِي الْمَعَانِي الْقَدِيمَةِ

وفي القرآن العظيم تلويحات، وإشارات إلى هذه المعاني اللطيفة، والأنوار الربانية. كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. وكقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾. وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي يَأْتِيَنَّكَ مِنْ بَابِ اللَّهِ﴾. وكقوله تعالى: ﴿أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. قال في الحكيم: أمرك أن تنظر ما في المكونات. وما أمرك أن تقف مع ذوات المكونات: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. فتح لك باب الإفهام، ولم يقل: انظروا السموات. فبدلك على وجود الأجرام. وقد حققنا هذا المعنى في شرحنا على الحكيم. فانظره إن شئت. وفي الحديث القدسي ما يُشِيرُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى. قال ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «لَقَدْ مَرِضَ عَبْدِي فَلَمْ تَعُدَّهُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ عَدْتَهُ لَوْجَدْتَنِي عِنْدَهُ». على ما في بعض الروايات. ولا يفهم هذه الأسرار إلا من خاض مقام الفناء والبقاء. وتربى على يد شيخ كامل مُحَقَّق. وإلا فحسبه التسليم لما رموه، وأشاروا إليه: إن لم تر الهلالَ فسلم لآناس رأوه بالإبصار وإياك أن ترميهم بما رموهم به من لم يعترف مقامهم. ولم يشرب من مشربهم، كالاتحاد والحلول، فإنهم منزهون عنه. إذ لم يبق للسوى عندهم وجود. حتى يصح الاتحاد والحلول،

وإلى ذَلِكَ أَشْرُتُ فِي تَائِيَتِي الخمرية، في وُضِف الخمرة الأزلية بِقَوْلِي:

تَنَزَّهَتْ فِي حُكْمِ الحُلُولِ فِي وَضْفِهَا فَلَيْسَ لَهَا سِوَى فِي شَكْلِهِ حُلَّتِي
قال فِي الحِكْمِ: يَا عَجِباً كَيْفَ يَظْهَرُ الوجودُ فِي العَدَمِ. أَمْ كَيْفَ يَثْبُت
الحديثُ مَعَ مَنْ لَهُ وَصَفُ القَدَمِ. وقال رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيِ الجُنَيْدِ: الحَمْدُ لِلَّهِ. ولم يزد
رب العالمينَ. فقال له الجُنَيْدُ: كَمَلُهُ يَا أُخِي، فقال له الرَّجُلُ: أَيُّ قَدَرٍ للأشياء
حتى تُذَكَرَ مَعَهُ. فقال الجُنَيْدُ: كَمَلُهُ يَا أُخِي. فَإِنَّ الحادِثَ إِذَا قَرِنَ بالقَدِيمِ تَلَأَسَى
الحادِثِ وبقي القَدِيمُ. انتهى وبالله التوفيق. وقَوْلُهُ: وَلَا تَرْدَى رِداءَ الكِبَرِ إِلَّا هُوَ.
يُشير إلى اختصاصه تعالى بالكِبَرِياءِ، وغاية التَعَالِي. كما اختَصَّ بالعظمة وَكَمال
التَجَلِّي. وَكَأَنَّهُ يَشير إلى الحديثِ القُدْسِيِّ: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: العَظْمَةُ
إِزَارِي، والكِبَرِياءُ رِدايِي فَمَنْ نازَعَنِي فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا قَصَمْتُهُ». فَالعَظْمَةُ تَرَجع إلى
كَمالِ أنوارِ المَلَكُوتِ والكِبَرِياءُ تَرَجعُ إلى تَعْظيمِ أسرارِ الجَبَرُوتِ؛ لِأَنَّ المَلَكُوتَ
ظَهَرَ أنواره فِي التَجَلِّيَّاتِ؛ وهو ما ظَهَرَ فِي عَالَمِ الشَّهادَةِ على وَجْهِ الجَمِيعِ.
والجَبَرُوتُ: ما لَمْ يَظْهَرِ فِي عَالَمِ الشَّهادَةِ؛ وهو من عَالَمِ الغَيْبِ؛ وهو الَّذِي كانَ
كَثْراً لَمْ يُعْرَفْ. وإليه أشار ابن الفَارِضِ بِقَوْلِهِ:

صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلَا هَوَى وَنُورٌ وَلَا نَارٌ وَرُوحٌ وَلَا جَسْمٌ
تَقَدَّمَ كُلُّ الكائِناتِ حَدِيثُهَا قَدِيماً وَلَا شَكْلٌ هُنَاكَ وَلَا رَسْمٌ

ولذلك خَصَّصَت العظمة بِالإِزَارِ؛ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكُونَ لِلأسْفَلِ. والرِداءُ
لِلأَعْلَى. وَأَنْوارُ المَلَكُوتِ ظَهَرَ فِي عَالَمِ الشَّهادَةِ، وَأَنْوارُ الجَبَرُوتِ أَحاطَتْ بِهَا،
وارتَفَعَتْ عن مَدَارِكِ العُقُولِ؛ فَهِيَ أَرْفَعُ وَأَعْلَى مِنْهَا مَعَ كَوْنِهَا لَا تَنفَكُ عَنْهَا، إِذْ
عَالَمُ المَلَكُوتِ قائمٌ بِأسرارِ الجَبَرُوتِ. فَمَا اخْتَجَبَتْ أسرارِ الجَبَرُوتِ. إِلَّا بِأَنْوارِ
المَلَكُوتِ. وَلَا قَامَتْ أَنْوارُ المَلَكُوتِ. إِلَّا بِأسرارِ الجَبَرُوتِ؛ وهما فِي الحَقِيقَةِ
شَيْءٌ واحِدٌ؛ وَمَا افترَقا إِلَّا بِاغْتِيارِ مَدَارِكِ السَّالِكِينَ:

قَاوُلُ ما يَفْتَحُ لِلْمُرِيدِ عَن أَنْوارِ المُلْكِ الجَسْمِيِّ، فَإِذا تَفَكَّرَ فِيهِ وَاغْتَبَرَ. أَذْرَكَ
عَظْمَةَ الصَّانِعِ، فَإِذا تَفَرَّغَ مِنَ الشَّواغِلِ، وَتَطَهَّرَتْ مِرْأَةٌ قَلْبِهِ مِنَ الصِّدْأِ. أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ
أَنْوارُ المَلَكُوتِ. فَإِذا تَمَكَّنَ مِنَ الشُّهُودِ، وَبَلَغَتْ الرُّوحُ غَايَةَ الصَّفَاءِ. أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ
أسرارُ الجَبَرُوتِ. فَيَحْجُبُ حينئِذٍ عَن عَالَمِ المُلْكِ والمَلَكُوتِ. وَصَارَ لَا يُشاهِدُ إِلَّا
أسرارَ الجَبَرُوتِ. فَرِداءَ الكِبَرِياءِ: هو الاِختِجابُ لِحِجابِ القَهْرِيَّةِ عَن مَدَارِكِ
العُقُولِ. مَعَ كَمالِ ظُهورِهِ. وَفِي الحديثِ الصَّحيحِ فِي صِفَةِ أَهْلِ الجَنَّةِ: «مَبِينٌ

النَّاسِ، وَبَيَّنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ، إِلَّا رِذَاءَ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَاتِ عَدْنٍ». وَالْمُرَادُ بِهِ: إِسْدَالُ حِجَابِ الْحُسْنِ وَالْقَهْرِيَّةِ، عَلَى وَجْهِ مَعَانِي أَسْرَارِ الذَّاتِ الْعَالِيَةِ. إِذْ لَا حِجَابَ بَيْنَ اللَّهِ، وَبَيْنَ خَلْقِهِ إِلَّا قَهْرِيَّةٌ نُورِيَّةٌ، وَشِدَّةٌ ظُهُورِيَّةٌ. وَتَوَهُمُ وَجُودِ الْعَبْرِيَّةِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ شَيْخَنَا الْبُورْزِينِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «وَاللَّهُ مَا حَجَبَ الْخَلْقَ عَنِ اللَّهِ إِلَّا الْوَهْمَ، وَالْوَهْمُ أَمْرٌ عَدَمِيٌّ، لَا حَقِيقَةً لَوْجُودِهِ». أَيْ مَا حَجَبَهُمْ عَنِ الشُّهُودِ، إِلَّا وُجُودَ الْعَبْرِيَّةِ. وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ مُتَنَفِيَّةٌ. وَفِي الْحِكْمِ: مَا حَجَبَكَ عَنِ اللَّهِ وَجُودٌ مُوجُودٌ مَعَهُ. إِذْ لَا شَيْءَ مَعَهُ. وَإِنَّمَا حَجَبَكَ تَوَهُمُ مُوجُودٍ مَعَهُ. وَقَالَ أَيْضاً: «الْحَقُّ لَيْسَ بِمَحْجُوبٍ عَنكَ. إِنَّمَا الْمَحْجُوبُ أَنْتَ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ. إِذْ لَوْ حَجَبَهُ شَيْءٌ لَسْتَرَهُ مَا حَجَبَهُ. وَلَوْ كَانَ لَهُ سَاتِرٌ، لَكَانَ لَوْجُودُهُ حَاصِرٌ. وَكُلُّ حَاصِرٍ شَيْءٌ فَهُوَ لَهُ قَاهِرٌ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ». وَقَالَ أَيْضاً: «مِمَّا يَدُلُّكَ عَلَى وُجُودِ قَهْرِهِ أَنْ حَجَبَكَ عَنْهُ بِمَا لَيْسَ بِمُوجُودٍ مَعَهُ».

وَقَدْ أَشْرْتُ إِلَى هَذَا فِي تَائِبِي، فِي وَصْفِ الْخُمْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ، فَقُلْتُ:

تَجَلَّتْ عَرُوسًا فِي مِرَائِي جَمَالِهَا وَأَزَحَتْ سُتُورَ الْكِبْرِيَاءِ لِعِزَّةِ
وَلَا يَذُوقُ هَذِهِ إِلَّا مَنْ كَحَلَ عَيْنَ بَصِيرَتِهِ بِإِثْمِدِ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ، حَتَّى تَنْفَتِّحَ
بَصِيرَتُهُ، فَيُبْصِرَ أَنْوَارَ الْمَعَانِي، خَلْفَ رِذَاءِ الْأَوَانِي. وَإِلَّا بَقِيَ أَرْمَدَ الْعَيْنِ، كَلَّمَا
طَلَعَتِ الشَّمْسُ انْظَمَسَ بَصَرُهُ كَمَا قَالَ الْبُوصَيْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمِدٍ وَتُنْكِرُ الْفَمُ طُعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ
وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ: وَهُوَ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

تَاهُوا بِحُبِّكَ أَقْوَامٌ وَأَنْتَ لَهُمْ نِعْمَ الْحَبِيبُ وَإِنْ هَامُوا وَإِنْ تَاهُوا
قُلْتُ: التَّيْبَةُ هُنَا: هُوَ التَّلْفُ، وَالخُرُوجُ عَنِ الطَّرِيقِ الْمَعْتَادِ. وَالْحَبُّ هُوَ الْمَيْلُ
الدَّائِمُ بِالْقَلْبِ الْهَائِمِ، وَأَقْوَامٌ: فَاعِلٌ تَاهُوا عَلَى لُغَةِ أَرْدِ شَنْوَةَ. وَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ:
إِذَا سَارَ عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ أَقْوَامًا مِنْ خَوَاصِّ الْمُحِبِّينَ، لَمَّا
أَطْلَعَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَسْرَارِ عَظَمَةِ دَاتِهِ. وَكَشَفَ لَهُمْ شَيْئًا مِنْ رِذَاءِ كِبْرِيَائِهِ، تَاهَتْ
عُقُولُهُمْ، وَهَامَتْ قُلُوبُهُمْ. وَطَاشَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي مَحَبَّتِهِ. فَفَارَقُوا الْأَوْطَانَ وَالْدِيَارَ،
وَأَلْفُوا الْبَرَارِي وَالْقَفَارَ. وَتَأَنَسُوا بِالْحَبِيبِ، وَاشْتَعَلُوا بِمُنَاجَاةِ الْقَرِيبِ. فَهُمْ بَيْنَ
سَالِكٍ وَمَجْدُوبٍ، وَمُحِبٍّ وَمَحْبُوبٍ. فَمِنْهُمْ الْعُبَادُ وَالزُّهَادُ. وَمِنْهُمْ الْأَبْدَالُ
وَالْأَوْتَادُ، عَمَرُوا قُلُوبَهُمْ بِمَحَبَّةِ الْمَحْبُوبِ. وَرَفَقُوا مَا سِوَاهُ مِنْ كُلِّ مَرْغُوبٍ.

وهذه مَحَجَّة الطالِبِينَ، أو السَّائِرِينَ مِنَ الْمُرِيدِينَ. وَأَمَّا الْوَاصِلُونَ إِلَى الْمَحْبُوبِ مِنْ الْعَارِفِينَ الْمُقَرَّبِينَ، سَكَنَتْ قُلُوبُهُمْ. واطْمَأَنَّتْ بِمُشَاهَدَةِ الْحَبِيبِ. وَمُنَاجَاةِ الْقَرِيبِ؛ فَهَمَّ يَشَاهِدُونَ الْحَبِيبَ فِي مَرَاتِي تَجَلِّيَاتِهِ. وَأَثَارِ صِفَاتِهِ. فَلَمَّ يَحْجِبُهُمُ الْخَلْقُ، عَنِ مُشَاهَدَةِ الْحَقِّ. بَلْ هُمْ مَحْجُوبُونَ بِالْجَمْعِ عَنِ الْفَرْقِ. وَبِمُشَاهَدَةِ الْحَقِّ، عَنِ رُؤْيَةِ الْخَلْقِ. بَلْ، لَوْ كَلَّفُوا أَنْ يَشَاهِدُوا غَيْرَهُ، لَمْ يَسْتَطِيعُوا فَهَوْلَاءَ يَرُدُّهُمْ الْحَقُّ تَعَالَى إِلَى مُرَافَقَةِ الْخَلْقِ وَمَخَالَطَتِهِمْ لِيَقَعَ الْإِنْتِفَاعُ بِصُحْبَتِهِمْ. فَهُمْ مُسْتَأْنِسُونَ بِالْحَقِّ فِي حَالِ مُخَالَطَتِهِمْ لِلْخَلْقِ؛ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا اللَّهَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَلَمْ يَسْتَوْحِشُوا مِنْ شَيْءٍ.

أَشْبَاهُهُمْ بَيْنَ الْخَلَائِقِ تَسْعَى، وَأَزْوَاحُهُمْ فِي أَنْوَارِ الْمَلَكُوتِ تَرْعَى، وَإِلَى حَالِ الْفَرِيقَيْنِ أَشَارَ فِي الْحِكْمِ بِقَوْلِهِ: «إِنَّمَا اسْتَوْحِشَ الْعِبَادُ وَالرُّهَادَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لِعَيْنَيْهِمْ عَنِ اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَلَوْ عَرَفُوا اللَّهَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مَا اسْتَوْحِشُوا مِنْ شَيْءٍ». وَقَالَ أَيْضاً: «مَنْ عَرَفَ اللَّهَ رَأَى فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَمَنْ فَتَى بِهِ غَابَ عَنِ كُلِّ شَيْءٍ. وَمَنْ أَحَبَّهُ أَثَرَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ». وَالْحَاصِلُ: أَنَّ الْمَحَبَّةَ لَهَا بَدَايَاتٍ؛ وَهِيَ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ فِي حَالِ التَّائِهِينَ وَالنَّهَائِمِينَ. وَنَهَايَاتٍ؛ وَهِيَ السُّكُونُ وَالطَّمَأِينَةُ فِي حَضْرَةِ الْمَحْبُوبِ. وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَحَبَّةُ: أَوْلَاهَا جُنُونٌ، وَوَسَطُهَا فَنُونٌ، وَآخِرُهَا سُكُونٌ وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى، أَشَارَتْ رَابِعَةُ الْعُدُويَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

أَحِبُّكَ حُبِّينَ حُبِّ الْهَوَى وَحُبِّ أَهْلِكَ أَهْلُ لَدَاكَ
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْهَوَى فَشُغْلِي بِذِكْرِكَ حَتَّى أَلْفَاكَ
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُ لَهُ فَكَشْفُكَ الْحِجَابِ حَتَّى أَرَاكَ

أَشَارَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى ذِكْرِ الْمَقَامَيْنِ: بَدَايَةَ وَنَهَايَةَ أَوْ نَقُولُ: مَحَبَّةِ الْمُحِبِّينَ وَمَحَبَّةِ الْمَحْبُوسِينَ مَحَبَّةَ السَّائِرِينَ. وَمَحَبَّةَ الْوَاصِلِينَ. وَإِنهَا سَلَكَتْ الْأَمْرَيْنِ مَعاً. فَحُبُّ الْهَوَى هُوَ حُبُّ الْعِشْقِ وَالتَّمَلُّقِ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ. وَعَلَامَتُهُ: اللَّهْجُ بِذِكْرِ الْمَحْبُوبِ، وَالِاشْتِغَالُ بِخِدْمَتِهِ، وَالْفِرَارُ مِنَ الْخَلْقِ. لِلِقَاءِ الْحَقِّ. وَأَمَّا حُبُّ الْوَاصِلِينَ، فَفَمَّرَتَهُ كَشْفُ الْحِجَابِ. وَالذُّخُولُ مَعَ الْأَحْبَابِ، وَمُشَاهَدَةُ الْحَبِيبِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ تَجَلِّيَاتِهِ. كَمَا قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِيَّةِ:

تَجَلَّى حَبِيبِي فِي مَرَاتِي جَمَالِهِ فَفِي كُلِّ مَرَّةٍ لِلْحَبِيبِ طَلَائِعُ
فَلَمَّا تَبَدَّى حُسْنُهُ مُتَنَوِّعاً تَسْمَى بِأَسْمَاءِ فَهِيَ مَطَالِعُ
وَعَلَامَةُ صَاحِبِ هَذَا الْمَقَامِ، سَكُونُ ظَاهِرِهِ مِنْ تَعَبِ الْخِدْمَةِ. وَعِمَارَةُ قَلْبِهِ

بنور الكبرياء والعظمة أو تقول: علامته: سُكُونُ الْقَلْبِ وَطَمَأْنِينَتُهُ عِنْدَ هَيْجَانِ رِيَّاحِ الْأَقْدَارِ وَوُزُودِ التَّعْرِيفَاتِ مِنَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَلَامَةُ الْمَحَبَّةِ أَرْبَعَةٌ أَشْيَاءُ:

الإكثارُ مِنْ ذِكْرِهِ. وامتنال أمرِهِ واجتناب نَهْيِهِ وَالِاسْتِسْلَامَ لِقَهْرِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَاعِثَ عَلَى الْمَحَبَّةِ أَمْرَانِ: إِمَّا الدَّائِي. أَوْ الْإِحْسَانَ الْفِعْلِي. وَقَدْ اجْتَمَعَا فِي ذَاتِ الْحَقِّ تَعَالَى. وَأَمَّا الْجَمَالُ، فَلَا أَجْمَلَ مِنْ جَمَالِهِ تَعَالَى وَلَا أَعْظَمَ إِذْ جَمَالُهُ يُسْبِي الْعُقُولَ وَيُذْهِشُ الْأَلْبَابَ. وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا تَجَلَّى لَهُمُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ. ذَهَبُوا وَغَابُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ الْحَسِيِّ فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرُدُّهُمْ إِلَى حِسِّهِمْ بِإِسْدَالِ الْحِجَابِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَا تَنَعَّمُوا بِشَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ الْحَسِيِّ. وَمَا ظَهَرَ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ مِنَ الْجَمَالِ. فَإِنَّمَا هُوَ رَشْحَةٌ مِنْ رَشْحَاتِ جَمَالِهِ الْأَصْلِيِّ. كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَارِضِ:

عَيْنِي لِغَيْرِ جَمَالِكُمْ لَا تَنْظُرُ وَسِوَاكُمْ فِي حَاطِرِي لَا يَخْطُرُ

وَيَقْدِرُ مَا تَضْفُو الرُّوحُ مِنْ غَبْشِ الْحِسِّ. وَتَتَرَقَّى إِلَى عَالَمِ الْمَلَكُوتِ. يُكْشَفُ لَهَا عَنْ جَمَالِ الْحَضْرَةِ. وَتَتَنَعَّمُ بِجَمَالِ الْحَبِيبِ. وَيَقْدِرُ مَا تَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْعَالَمِ الْحَسِيِّ وَيُكْثِرُ شُغْلَهَا بِهِ، تَحْجُبُ مِنْ شُهُودِ جَمَالِ الْحَضْرَةِ. وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُهُمْ: حَضْرَةُ الْقُدُوسِ مُحَرَّمَةٌ عَلَى أَهْلِ النَّفُوسِ. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

أَيُّهَا الْعَاشِقُ مَعْنَى حُبِّنَا مَهْرُنَا غَالٍ لِمَنْ يَخْطُبُنَا
جَسَدُ مِظْنَى وَرُوحٍ فِي الْعَنَا وَجُفُونٌ لَا تَذُوقُ الْوَسْنَا
وَقُوَادِّ لَيْسَ فِيهِ غَيْرُنَا وَإِذَا مَا شِئْتَ أَذْ الثَّمْنَا
وَأَفْنٌ إِنْ شِئْتَ فَنَاءٌ سَزَمْدَا فَسَالَفْنَا يُذْنِي إِلَى ذَاكَ الْفِنَا
وَاخْلَعِ النَّغْلَيْنِ إِنْ جِئْتَ إِلَى ذَلِكَ الْحَيِّ فَفِيهِ قَدُسْنَا
وَعَنِ الْكُونَيْنِ كُنْ مُنْخَلِعَا وَأَزَلْ مَا بَيْنَنَا مِنْ بَيْنِنَا
وَإِذَا قِيلَ لِمَنْ تَهْوَى قَلْبُ أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا

وَأَمَّا الْبَاعِثُ الثَّانِي: وَهُوَ الْإِحْسَانُ، فَلَا شَكَّ أَنَّ النَّفْسَ تَمِيلُ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا. وَلَا إِحْسَانَ إِلَّا مِنْهُ تَعَالَى. وَلَا نَعَمَ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً. إِلَّا مِنْ فَضْلِهِ تَعَالَى وَثَوَابِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ﴾

ظَهْرَهُ وَبَاطِنُهُ ﴿١﴾. أَنْعَمَ أَوْلَىٰ بِنِعْمَةِ الْإِبْجَادِ، وَأَنْعَمَ ثَانِيَةً بِتَوَالِي الْإِمْدَادِ. وَأَفْضَلَ النِّعَمِ وَأَعْظَمَهَا الْهِدَايَةَ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ. وَالْوُصُولَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ تَعَالَى وَالْإِطْلَاعَ إِلَى جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ فَهَذِهِ النِّعْمَةُ الْمَغْتَبَرَةُ عِنْدَ الْأَكْيَاسِ.

وَأَمَّا النِّعْمُ الْحَسِيَّةُ فَقَدْ اشْتَرَكَ فِيهَا الْبَهَائِمُ وَسَائِرُ النَّاسِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. وَقَوْلُهُ: «وَأَنْتَ لَهُمْ نِعْمَ الْحَبِيبُ، يَعْنِي أَنَّ أَقْوَامًا تَاهُوا فِي حُبِّ الْحَبِيبِ. وَطَاشَتْ عُقُولُهُمْ بِقُرْبِ الْقَرِيبِ. وَخَرَّبُوا ظَوَاهِرَهُمْ، وَعَمَّرُوا بَوَاطِنَهُمْ. وَغَابُوا عَنِ الْأَسْبَابِ بِمُشَاهِدَةِ مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ. كَانَ الْحَقُّ تَعَالَى نِعْمَ الْحَبِيبِ، وَالْمُؤْنِسُ. أَنَسَهُمْ فِي بَوَاطِنِهِمْ. وَقَدَّمَ لَهُمْ بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي ظَوَاهِرِهِمْ. قَامُوا بِخِدْمَتِهِ. وَقَامَ لَهُمْ بِإِصْصَالِ قِسْمَتِهِ. مَنْ انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ مَوْنَتَهُ. وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ. كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «الْعِلْمُ كُلُّهُ مَجْمُوعٌ فِي كَلِمَتَيْنِ: لَا تَتَكَلَّفُ بِمَا كُفَيْتَ. وَلَا تُضَيِّعُ بِمَا اسْتَكْفَيْتَ». أَيُّ لَا تَتَكَلَّفُ مَا كُفَيْتَ أَمْرَهُ مِنَ الرَّزْقِ الْمَقْسُومِ، وَلَا تُضَيِّعُ مَا اسْتَكْفَيْتَ بِهِ الْفَرَضَ الْمَحْتَمِ. وَقَوْلُهُ: «وَإِنْ هَامُوا وَإِنْ تَاهُوا» نُشِيرُ إِلَى مَنْطُوقِهِ وَمَقْهُومِهِ إِلَى حَالِ الْقَرِيبَيْنِ. أَعْنِي حَالَ أَهْلِ الْبِدَايَةِ؛ وَهُمْ الْهَائِمُونَ التَّائِهُونَ؛ وَيُسَمَّوْنَ أَهْلَ السُّكْرِ، وَأَهْلَ الْخَمْرَةِ؛ وَهُمْ الْمَجْدُبُونَ. وَحَالَ النِّهَايَةِ؛ وَهُمْ السَّالِكُونَ الْمُطْمَئِنُّونَ؛ وَهُمْ أَهْلُ الصَّخْرِ السَّالِكُونَ بَعْدَ السُّكْرِ وَالْجَذْبِ. فَأَخْبَرَ أَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى هُوَ حَبِيبٌ. وَنِعْمَ الْحَبِيبُ لِلْجَمِيعِ. أَيُّ وَأَنْتَ لَهُمْ نِعْمَ الْحَبِيبُ هَذَا إِنْ سَكَنُوا وَاطْمَأَنَّنُوا. بَلْ وَإِنْ هَامُوا، وَإِنْ تَاهُوا. وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا قَبْلَ الْمُبَالَغَةِ أَوْ كَدُّ وَأَعْظَمُ مِمَّا بَعْدَهَا. كَمَا هُوَ مَقْهُومٌ مِنْ تَرَائِبِ الْعَرَبِ. تَقُولُ: أَكْرَمُ زَيْدًا وَإِنْ جَاءَ عَاصِيًا. أَيُّ هَذَا إِنْ جَاءَ طَائِعًا، بَلْ وَإِنْ جَاءَ عَاصِيًا. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُطْمَئِنِّينَ الرَّاسِخِينَ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَاشِقِينَ التَّائِهِينَ: لِأَنَّ الْأَوَّلِينَ وَاصِلُونَ. وَالْآخِرِينَ سَائِرُونَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَاعْلَمْنَا أَنَّ الْمَخْصُوصِينَ بِالْمَحَبَّةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: فَمَقْسَمُ سَالِكُونَ فَقَطْ. وَمَقْسَمُ مَخْدُولُونَ فَقَطْ. وَمَقْسَمُ سَالِكُونَ مَجْدُوبُونَ: الْجَذْبُ فِي بَوَاطِنِهِمْ، وَالسَّلُوكُ فِي ظَوَاهِرِهِمْ. فَالْأَوَّلُونَ لَا يَصِلُونَ لِلتَّرْبِيَةِ. إِذْ لَا جَذْبَ فِي قُلُوبِهِمْ يَجْدِبُونَ بِهِ قَلْبَ الْمُرِيدِ إِلَى الْحَضْرَةِ. وَلَا هِمَّةَ عِنْدَهُمْ تَنْهَضُ إِلَى الْخِدْمَةِ. قَالَ فِي الْحِكْمِ: «لَا تَضْحَبْ مَنْ لَا يَنْهَضُكَ حَالُهُ، وَلَا يَدُلُّكَ عَلَى اللَّهِ مَقَالُهُ».

وَالْقِسْمُ الثَّانِي أَيْضًا، لَا يَضْلُحُ لِلتَّرْبِيَةِ؛ لِأَنَّهُ مَطْمُوسُ الْأَثْرِ غَرِيقُ الْأَنْوَارِ. غَلَبَ سُكْرُهُ عَلَى صَخْرِهِ. فَلَا يَعْرِفُ سُلُوكَ الطَّرِيقِ لِعَلْبَةِ سُكْرِهِ.

وَأَمَّا الثَّالِثُ؛ وَهُوَ الْجَامِعُ بَيْنَ جَذْبٍ وَسُلُوكٍ؛ فَهُوَ الَّذِي يَصْلِحُ لِلتَّزْيِيَةِ لِكَمَالِهِ. لِكَوْنِهِ سَلَكُ الطَّرِيقِ. وَعَرَفَ وَعَرَّهَا وَسَهَّلَهَا وَجَدَّبَهَا وَخَضَبَهَا. سَلَكَ طَرِيقَ الْجَذْبِ، وَذَاقَ أَسْرَارَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى طَرِيقِ السُّلُوكِ، وَحَقَّقَ آثَارَهَا. الْجَذْبُ فِي بَاطِنِهِ لَا يَزُولُ. وَالسُّلُوكُ فِي ظَاهِرِهِ لَا يَحُولُ؛ فَهُوَ جَامِعٌ بَيْنَ جَذْبٍ وَسُلُوكٍ. مَعْتَدِلٌ فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا. لَمْ يَغْلِبْ سُكْرُهُ عَلَى صُخُوهِ. وَلَا صَخُوهُ عَلَى سُكْرِهِ. وَلَا جَمْعُهُ عَلَى فَرْقِهِ. وَلَا فَرْقُهُ عَلَى جَمْعِهِ. وَلَا حَقِيقَتُهُ عَلَى شَرِيعَتِهِ. وَلَا شَرِيعَتُهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ. يُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. وَيُوفِي كُلَّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ. نَفَعَنَا اللَّهُ بِبَرَكَاتِهِ. وَأَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْ سَيِّبِهِ. وَقَدْ أَذْرَكْنَاهُمْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَشَهِدْنَا لَهُمْ، وَأَخَذْنَا عَنْهُمْ وَصَحْبِنَاهُمْ. فَلِلَّهِ الْمِثَّةُ وَالْفَضْلُ وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ، مَنْ يُنَكِّرُ وَجُودَهُمْ وَيَسُدُّ بَابَ الرَّحْمَةِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ. ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾. وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

وَكَمْ غَائِبٌ لَيْلًا وَلَمْ يَرَ وَجْهَهَا فَقَالَ لَهُ الْجِزْمَانُ حَسْبُكَ مَا فَاتَ
وَحَقِيقَةُ الْجَذْبِ: هُوَ شُهُودٌ حَقٌّ بِلَا خَلْقٍ. وَحَقِيقَةُ السُّلُوكِ الْمَخْضُ: هُوَ شُهُودٌ خَلَقَ بِحَقٍّ أَوْ شُهُودٌ حَقٌّ مَعَ خَلْقٍ. وَلَا يَذُوقُ هَذِهِ الْمَعَانِي إِلَّا مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ: ذُوقًا وَكَشْفًا. وَإِلَّا فَسَأَلَهُ الْإِيمَانَ بِالْغَيْبِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ. وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلِي حَبِيبٌ عَزِيزٌ لَا أَبُوحُ بِهِ أَخْشَى فُضِيحَةً وَجْهِي يَوْمَ الْقَاءِ
الْحَبِيبُ هُوَ الْمَحْبُوبُ. إِلَّا أَنْ فَعِيلٌ، أَبْلَغَ مِنْ مَفْعُولٍ وَالْعَزِيزُ: يُطْلَقُ عَلَى الْقَلِيلِ الْوُجُودِ. الَّذِي لَا تَنْظِيرَ لَهُ. وَيُطْلَقُ عَلَى الْعَالِبِ الْقَاهِرِ. وَلَعَلَّ الْمُرَادَ هُنَا غَيْرَ هَذَيْنِ. وَإِنَّمَا أَرَادَ بِالْعَزِيزِ هُنَا الْبَالِغَ فِي الْمَعْرَةِ وَالْمَحْبُوبِيَّةِ؛ كَمَا تَقُولُ الْعَامَّةُ: فَلَانَ عِنْدِي عَزِيزٌ. أَيُّ مَحْبُوبٍ غَايَةِ الْمَحَبَّةِ. وَبَاحَ بِالْيَسِيرِ: أَفْشَاهُ يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عِنْدِي حَبِيبٌ عَزِيزٌ قَدْ بَلَغَتْ مَحَبَّتَهُ فِي قَلْبِي الْغَايَةَ الْقَضْوَى. فَلَمَّا عَشِقْتَهُ وَأَخْبَيْتَهُ، أَطْلَعَنِي عَلَى مَكُونِ سِرِّهِ، وَكَشَفَ لِي عَنْ أَسْتَارِ غَيْبِهِ. فَلَا أَبُوحُ بِسِرِّهِ. وَلَا أَطْلِعُ أَحَدًا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ. فَإِنِّي إِنْ بَحْتُ بِسِرِّهِ، وَكَشَفْتَهُ لِعَيْرِ أَهْلِهِ. أَخَافُ أَنْ يَفْضَحَنِي يَوْمَ لِقَائِهِ: فيقول: يَا عَبْدِي، قَدْ أَطْلَعْتَكُ عَلَى سِرِّي، وَأَمْنْتُكَ عَلَى غَيْبِي. ثُمَّ أَفْشَيْتَهُ لِعَيْرِي فَالْيَوْمَ أَحْرَمَكَ مِنْ نَعِيمِ حَضْرَتِي، لِكَوْنِكَ لَمْ تَكْتَفِ بِعِلْمِي. وَلَمْ تَصُنْ سِرِّي. قُلْتُ: وَالْعَالِبُ أَنْ هَذَا الْعِتَابَ يَقَعُ قَبْلَ اللَّقَاءِ فِي دَارِ الدُّنْيَا. فَإِنَّ كُلَّ مَنْ أَفْشَى سِرَّ الرُّبُوبِيَّةِ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَيْفٌ

الشريعة. فَيَبْحُ دَمُهُ، وَيُهْتِكُ عِرْضَهُ. كَمَا وَقَعَ لِلْحَلَّاجِ وَغَيْرِهِ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

مَنْ شَهِدَ الْحَقِيقَةَ فَلْيَصُنْهَا وَإِلَّا سَوْفَ يُفْتَلُ بِالسُّنَانِ
كَحَلَّاجِ الْمَحَبَّةِ إِذْ تَبَدَّتْ لَهُ شَمْسُ الْحَقِيقَةِ بِالثَّدَانِي
بِالسُّرْرِ إِنْ بَاحُوا تَبَاحَ دِمَاؤُهُمْ وَكَذَا دِمَاءُ الْبَائِحِينَ تَبَاحُ
وَفِي السُّرْرِ أَسْرَارٌ دِقَاقٌ لَطِيفَةٌ تُرْفِقُ دِمَانًا جَهْرَةً لَوْ بِهَا بُحْنَا

قال بعض الصالحين: رأيت رب العزة في النوم، فقلت: يا رب. كيف سلطت عبادك على وليك الحلاج حتى قتلوه؟ فقال: «يا عبدي إني أطلعته على سر من أسراري فأفشاها لغيري. فسلطت عليه عبادي فقتلوه» انتهى بالمعنى.

ومن كلامه الذي قتل بسببه: «أنا أنت بلا شك، فسبحانك سبحاني. فتوحيدك توحيدي وعضيانك عضياتي». وكقوله رضي الله عنه: «سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لأهوته الثاقب. ثم بدا في خلقه ظاهراً في سورة الأكل والشارب، حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب».

وَلَمَّا تَقَدَّمَ لَهُ السِّيفُ، لِيَضْرِبَ عُنُقَهُ. وَجَدَهُ يَقُولُ وَيَضْحَكُ:

نَدِيمِي غَيْرُ مَنْسُوبٍ إِلَى الْحَنِيفِ سَقَانِي مِنْ شَرَابِ الْحُبِّ كَسَفِي الضَّيْفِ
لِلضَّيْفِ. فَلَمَّا دَارَتِ الْأَكْوَاسُ دَعَا بِالنُّطْعِ وَالسِّنْفِ. كَذَلِكَ مَنْ يَشْرَبُ الرَّاحَ مَعَ
الْأَمِيرِ فِي الضَّيْفِ. ثُمَّ قَالَ:

اللَّهُمَّ إِنَّكَ مُتَوَدِّدٌ لِمَنْ يُؤْذِيكَ. فَكَيْفَ لَا تَتَوَدَّدُ لِمَنْ يُؤْذِي فِيكَ. فَهَذَا أَنَا فِي دَارِ الْعَجَائِبِ أَتَعَجَّبُ فِي الْغَرَائِبِ. ثُمَّ قَالَ:

يَا لِأَيْمَانٍ فِي هَوَاهُ كَمْ تَلُومُ فَلَوْ عَايَنْتَ مِنْهُ الَّذِي عَايَنْتَ لَمْ تَلِمِ
لِلنَّاسِ حَجٌّ وَلِي حَجٌّ إِلَى سَكْنِي تُهْدِي الْأَصْحَاحِي وَأَهْدِي مُهْجَتِي وَدَمِ
يَطُوفُ بِالْبَيْتِ قَوْمٌ بِلا جَارِحَةٍ بِاللَّهِ طَافُوا فَأَغْنَاهُمْ عَنِ الْحَرَمِ

قال له الشبلي: يا أبا المغيث: ما معنى التفرّد؟ فقال له: هو أن ينفرد العبد بالواحد الفرد. فإذا رآه الحق قد انفرد عن الخلق أمته من عذاب الطرد. فيصير للحق مشاهداً. والحق على لسانه شاهداً. فحينئذ يتخلف لمقام المعرفة. ويوحى إلى خاطره ويحرس سره مما سواه. فلا يرشح فيه غير الحق من حضرة الحق

بالحق. قال الشبلي رضي الله عنه فقلت له: ما المعرفة؟ قال: استهلاك الحس في المعنى. فقلت له: ما المحبة؟ قال: العينية عما سوى المحبوب. فقلت له: ما الجود؟ فقال: لهيب ينشأ من الشوق في الأسرار. تضطرب به الجوارح ثم يزول؛ لأنه مفروون بالزوال. وتبقى نتيجته العرفانية لا تحول ولا تزول. فقلت له: ما الأتس؟ فقال: وجود الهيبة مع ارتفاع الحشية وغلبة الرجا على الخوف. ثم قال يا شبلي: «من راقب الله عند خطرات قلبه. عصمه عند حركات جوارحه». ثم قال يا شبلي: ألتست تحفظ كتاب الله. فقال الشبلي نعم. فقال: «قد قال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ يا شبلي: إذا رمى الله قلب عبده بحبة من حبه نادى عليه مدى الأزمان، بلسان العتاب. وأيضاً: «من أفسى سر المملك كان خائناً ومن كان خائناً لا يؤمن على السر. فهو حقيق أن ينزع منه إن أفساه لغير أهله. وإنما يؤمن على السر أهل الثقة والصيانة». كما قال القائل:

لَا يَكْتُمُ السَّرَّ إِلَّا ذُو ثِقَةٍ فَالسَّرُّ عِنْدَ خِيَارِ النَّاسِ مَكْتُومٌ
وَقَالَ آخَرُ:

سَأَكْتُمُ عِلْمِي عَن ذَوِي الْجَهْلِ طَاقَتِي وَلَا أَنْتُرُ الدَّرَّ النَّفِيسَ عَلَى الْبَهْمِ
فَإِنَّ قَدْرَ اللَّهِ الْكَرِيمِ بِلَطْفِهِ وَلَا قِيَّتْ أَهْلًا لِلْعُلُومِ وَلِلْحُكْمِ
بَدَلْتُ عُلُومِي وَاسْتَفَدْتُ عُلُومَهُمْ وَإِلَّا فَمَخْرُونَ لَدَيَّ وَمَكْتُمِ

وقال سيدنا علي كرم الله وجهه: «حدثوا الناس بقدر ما يفهمون أتريدون أن يكذب الله ورَسُولُهُ». وقال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم». وقال رجل لبعض العلماء. وقد سأله ولم يجبه: أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من النار». فقال له العالم: «اترك اللجام واذهب. فإن من جاء يستحقه وكتمته فألجمني». وقولنا لغير أهله. وأما من كان أهلاً له. فلا بأس بإطلاع عليه؛ وهو من بذل نفسه وفسده. وزهد في جنسه. وخط رأسه لأقدام الرجال. كما قال سيدي عبد الوارث اليلهوتي رضي الله عنه: بذل النفوس، وخط الرؤوس. صفاء الكؤوس. لا إله إلا الله. وقال الشاعر:

يَا مَنْ يَلُومُ خَمْرَ الْمُحِبَّةِ فَخُذُوا عَنِّي هِيَ حَلَالٌ

وَمَنْ يُرْدِيَسْقَى مِنْهَا غِيَابًا خَدَّهُ يَضَعُ لِأَقْدَامِ الرَّجَالِ
رَأْسِي حَطَطْتُ بِكُلِّ شَيْبَاهُمْ الْمَوَالِي سَقُونِي زُلَالًا
فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَحِطْ رَأْسُهُ لِأَهْلِ السَّرِّ، وَلَمْ يَتَحَكَّمْ لَهُمْ، فَاطْلَاعُهُ عَلَى سِرِّ
الرُّبُوبِيَّةِ حَرَامٌ. وَالْمُرَادُ بِسِرِّ الرُّبُوبِيَّةِ: التَّوْحِيدَ الْخَاصُّ: الَّذِي هُوَ الشُّهُودُ وَالْعِيَانُ
الْمَخْصُوصُ بِأَهْلِ الْعِزْقَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَنَفَعْنَا بِهِمْ. وَهُوَ الَّذِي أَرَادَ النَّاطِقُ
بِقَوْلِهِ: لَا أَبُوْحُ بِهِ. أَنِّي لَا أَبُوْحُ بِسِرِّهِ وَلَا أُطْلِعُ عَلَيْهِ أَحَدًا غَيْرَ أَهْلِهِ. وَاللَّهُ تَعَالَى
أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَعَالِطُ النَّاسَ طُرَا فِي مَحَبَّتِهِ وَلَيْسَ يَغْلَمُ مَا فِي الْقَلْبِ إِلَّا هُوَ
الْمُعَالِطَةُ: إِظْهَارُ الْعَلْطِ، وَإِيقَاعُ الْغَيْرِ فِيهِ، مَعَ إِخْفَاءِ الصَّوَابِ. وَتَسْمَى عِنْدَ
الصُّوفِيَّةِ التَّلْبِيسِ. كَإِظْهَارِ الرُّغْبَةِ وَإِخْفَاءِ الزُّهْدِ. وَإِخْفَاءِ الْمَحَبَّةِ وَإِظْهَارِ السُّلْوَانِ،
يَفْعَلُونَ ذَلِكَ صِيَانَةً لِلسَّرِّ. وَتَحْقِيقًا لِمَقَامِ الْأَخْلَاقِ. وَمِنْهُ تَخْرِيْبُ الظَّاهِرِ، وَتَغْمِيرُ
الْبَاطِنِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِ الصُّوفِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَالْمَحَبَّةُ: أَخَذَ جَمَالَ الْمَحْبُوبِ، بِمَحَبَّةِ الْقَلْبِ. حَتَّى لَا يُمَكِّنَهُ الْإِتِّفَاتُ إِلَى
غَيْرِهِ، وَلَا الْعَمَلُ بِمَا فِيهِ رِضَاهُ، إِثَارًا لَهُ عَمَّا سِوَاهُ، يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي
أَعَالِطُ النَّاسَ جَمِيعًا فِي مَحَبَّةِ الْمَحْبُوبِ. فَأُظْهِرُ لَهُمُ السُّلْوَانَ عَنْهُ، وَالِاشْتِغَالَ
بِغَيْرِهِ. وَأُخْفِي عَنْهُمْ الْاسْتِغْرَاقَ فِي شُهُودِهِ. وَدَوَامَ ذِكْرِهِ. اِكْتِفَاءً بِعِلْمِهِ. وَغَيْرَةَ عَلَى
سِرِّهِ. أَنْ يَظْهَرَ لِغَيْرِ أَهْلِهِ. وَأُظْهِرُ لَهُمُ الْجَهْلَ، وَأُخْفِي عَنْهُمْ الْعِلْمَ، وَالْمَعْرِفَةَ لَهُ،
وَأُظْهِرُ لَهُمُ الرُّغْبَةَ فِي الدُّنْيَا. وَأُخْفِي عَنْهُمْ الزُّهْدَ فِيهَا. وَأُظْهِرُ لَهُمُ الْحُمُقَ وَالسَّفَهَ.
وَأُخْفِي عَنْهُمْ الْعَقْلَ وَالسَّكِينَةَ. وَأُظْهِرُ لَهُمُ مَخَالَطَةَ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَأُخْفِي عَنْهُمْ الْعُرْلَةَ
فِي قَلْبِي. فَالْقَلْبُ مَعَ الْحَقِّ. وَالْجِسْمُ مَعَ الْخَلْقِ. وَأُظْهِرُ لَهُمُ مَحَبَّةَ الْمُلُوكِ
وَمَخَالَطَتَهُمْ. وَأُخْفِي عَنْهُمْ الْعِيبَةَ عَنْهُمْ بِشُهُودِ مَلِكِ الْمُلُوكِ. وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ
الْحَجَنِيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِي أَرْبَعُونَ سَنَةً تُنَاجِي الْحَقَّ. وَالنَّاسُ يَرَوْنَ أَنِّي تُنَاجِي
الْخَلْقَ». إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِ الْمَحَبَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ. وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَحَبَّةِ،
وَأَكْثَرُوا الْكَلَامَ فِيهَا. كُلُّ عَلَى قَدْرِ مِنْهَا لِي وَسُرِّيهِ.

قال القطب ابن مشيش رضي الله عنه: «المحبة أخذة من الله قلب من أحب بما يكشف من نور جماله. وقدس كمال جلاله. وشراب المحبة: مزج الأوصاف بالأوصاف والأخلاق بالأخلاق. والأنوار بالأنوار والأسماء بالأسماء، والتعوت

بِالثُّغُوتِ، والأَفْعَالِ بِالأَفْعَالِ وَيَتَسَعِ فِيهِ النَّظَرُ لَمَنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَالشَّرَابُ سَفِي الْقُلُوبِ وَالْأَوْصَالِ، وَالْعُرُوقُ مِنْ هَذَا الشَّرَابِ حَتَّى يَسْكُرَ وَيَكُونُ الشَّرْبُ بِالتَّدْرِيبِ، بَعْدَ التَّدْرِيبِ وَالتَّهْدِيبِ. فَيُسْقَى كُلُّ عَلَى قَدْرِهِ. فَمِنْهُمْ مَنْ يُسْقَى بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَتَوَلَّى ذَلِكَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يُسْقَى مِنْ جِهَةِ الْوَسَائِطِ، كَالْمَلَائِكَةِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْأَكَابِرِ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَسْكُرُ بِشُهُودِ الْكَأْسِ وَلَمْ يَذُقْ بَعْدَ شَيْئًا فَمَا ظَنُّكَ بَعْدَ بِالدُّوقِ. وَبَعْدَ بِالشَّرَابِ، وَبَعْدَ بِالرَّيِّ، وَبَعْدَ بِالسُّكْرِ بِالمَشْرُوبَاتِ. ثُمَّ الصُّخُوفُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مَقَادِرَ شَتَّى. كَمَا أَنَّ السُّكْرَ أَيْضاً كَذَلِكَ. وَالكَأْسُ مِغْرَفَةٌ الْحَقِّ. يُعْرَفُ بِهَا مِنْ ذَلِكَ الشَّرَابِ الطُّهُورِ الْمَخْضِ الصَّافِي لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُخْصُوصِينَ مِنْ خَلْقِهِ. فَتَارَةٌ يَشْهَدُ الشَّرَابُ ذَلِكَ الْكَأْسُ صُورَةً، وَتَارَةٌ يَشْهَدُهَا مَعْتُوبَةٌ. وَتَارَةٌ يَشْهَدُهَا عِلْمِيَّةٌ.

فَالصُّورَةُ حَظُّ الأَبْدَانِ وَالثُّغُوسِ وَالمَعْتُوبَةُ حَظُّ القُلُوبِ وَالعُقُولِ. وَالعِلْمِيَّةُ: حَظُّ الأَزْوَاجِ وَالأَسْرَارِ. فَيَا لَهُ مِنْ شَرَابٍ مَا أَعَذَّبَهُ فَطُوبَى لِمَنْ شَرِبَ مِنْهُ، وَدَامَ وَلَمْ يُقَطِّعْ عَنْهُ. نَسَأَلُ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ. ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ. وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. وَقَدْ تَجَمَّعَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحِبِّينَ، فَيُسْقَوْنَ مِنْ كَأْسٍ وَاحِدَةٍ. وَقَدْ يُسْقَوْنَ مِنْ كُؤُوسٍ كَثِيرَةٍ. وَقَدْ يُسْقَى الْوَاحِدُ بِكَأْسٍ وَبِكُؤُوسٍ، وَقَدْ تَخْتَلِفُ الأَشْرِبَةُ عَلَى حَسَبِ عَدَدِ الأَكْوَاسِ. وَقَدْ يَخْتَلِفُ الشَّرْبُ مِنْ كَأْسٍ وَاحِدَةٍ. وَإِنْ شَرِبَ مِنْهُ الْجَمُّ الغَفِيرُ مِنَ الأَحِبَّةِ». انْتَهَى كَلَامُ القُطْبِ ابْنِ مَشِيشٍ.

وَقَالَ تَلْمِيزُهُ: الشَّيْخُ أَبُو الحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «المَحَبَّةُ أَخْذَةٌ مِنَ اللَّهِ قَلْبَ عَبْدِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ. فَتَرَى النَّفْسَ مَائِلَةً لَطَاعَتِهِ. وَالعَقْلَ مُتَحَصِّنًا بِمَعْرِفَتِهِ، وَالرُّوحَ مَأْخُوذَةً فِي حَضْرَتِهِ. وَالسَّرَّ مَعْمُورًا فِي مُشَاهَدَتِهِ، وَالعَبْدَ يَسْتَرِيدُ مِنْ حُبِّهِ، فَيُزَادُ وَيُفَاتِحُ بِمَا هُوَ أَعَذَّبَ مِنْ لَذِيذِ مُتَاجَاتِهِ. فَيُكْسَى حُلُلَ التَّقْرِيبِ. عَلَى بَسَاطَةِ القُرْبَى، وَيَمَسُّ أَبْكَارَ الحَقَائِقِ. وَثَبِيَّاتِ العُلُومِ. فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَالُوا:

الأَوَّلِيَاءُ عَرَائِسُ وَلَا يَرَى العَرَائِسَ المَجْرُمُونَ. ثُمَّ قَالَ: الشَّرَابُ: هُوَ الثُّورُ السَّاطِعُ مِنْ جَمَالِ المَخْجُوبِ. وَالكَأْسُ: هُوَ اللُّطْفُ المُؤَصَّلُ ذَلِكَ إِلَى أَفْوَاهِ القُلُوبِ وَالسَّاقِي: هُوَ المُتَوَلَّى ذَلِكَ لِخِصُوصِ الكَبِيرِ، وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ؛ وَهُوَ اللَّهُ الْعَالِمُ بِالمَقَادِيرِ، وَمَصَالِحِ العِبَادِ. فَمَنْ كُشِفَ لَهُ عَنْ هَذَا الجَمَالِ، وَحُظِيَ بِشَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا أَوْ نَفْسَيْنِ أَوْ أَرْحِي عَلَيْهِ الحِجَابُ؛ فَهُوَ الذَّائِقُ المَشْتَاقِ. وَمَنْ دَامَ لَهُ ذَلِكَ سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ؛ فَهُوَ الشَّارِبُ حَقًّا. وَمَنْ تَوَالَى عَلَيْهِ الأَمْرُ، وَدَامَ لَهُ الشَّرْبُ، حَتَّى

امثلاث عروقه ومفاصله. من أنوار الله المخزونة؛ فذلك هو الرئي وربما غاب عن
المخسوس والمفعول. فلا يدرى ما يقال. ولا ما يقول. فذلك هو السكر، وقد
تدور عليهم الكاسات. وتختلف لديهم الحالات. ويردون إلى الذكر والطاعات،
ولاً يحبون عن الصفات. مع تزاحم المقذورات، فذلك وقت صخوهم، واتساع
نظريهم. ومزيد علمهم، فهم. بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون في لياليهم.
وبشموس المعارف يستضيئون في نهارهم. ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ﴾. انتهى كلام القطب الشاذلي رضي الله عنه.

وقال أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه:

«حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت، حتى لا يبقى منه شيء» وقال أبو
الحسين الوراق: «المحبة سرور بالله من شدة المحبة له. والمحبة في القلب نار
تحرق كل دس. وقال بغضهم:

«من ادعى محبة الله من غير تورع محارمه؛ فهو كذاب. ومن ادعى محبة
الجنة من غير إنفاق ملكه فهو كذاب ومن ادعى حب رسول الله ﷺ من غير حب
الفقراء فهو كذاب. وكان كرابعة تثنيد:

تغصي الإله وأنت تظهر حبه هذا محال في الفعالي بديع
إن كنت صادقاً لأطفئه إن المحب لمن يحب مطيع

وقال بغض الشعراء في هذا المتن:

قالت وقد سألت عن حال عاشقها لئله صفة ولا تنقص ولا تزيد
فقلت لو كان رهن الموت من ظمإ وقلت قف على ورود الماء لم يرد
وقال آخر:

ولو عذبتنني في النار حثماً دخلت مطاوعاً وسط الجحيم
وقال آخر:

إذا كان الجحيم رضاك عني فما ذاك الجحيم سوى نعيم
إن كان سفك دمي أقصر مرادكم فما غلت نظرة منكم بسفك دم

وقال سخنون رضي الله عنه: «ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة؛ لأن
النبي ﷺ قال: «المرء مع من أحب». فهو مع الله تعالى». وقال أبو يعقوب

السوسي: لا تصلح المحبة، حتى تخرج عن رؤية المحبة، إلى رؤية المحبوب. بفناء علم المحبة. من حيث كان المحبوب في الغيب. ولم يكن هذا بالمحبة. فإذا خرج الموحب إلى هذه. كان موحباً من غير محبة. وسئل الشبلي عن المحبة فقال: كأس له وهج إذا استقر في الحواس، وسكن في النفوس ثلاثت. وقيل للمحبة ظاهر وباطن. ظاهرها اتباع رضى المحبوب. وباطنها أن يكون مفتوناً بالحبيب عن كل شيء فلا تبقى فيه باقية لغيره ولا لنفسه.

وقال في المعارف: كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وسمعي وبصري، وأهلي ومالي، ومن الماء البارد». فكان رسول الله ﷺ طلب بحكم العلم والحيلة، تتعاضده بضد العلم. مثل أن يكون راضياً. والحيلة قد تنكره، ويكون النظر إلى الانقياد بالعلم، وإلى الاستقصاء بالحيلة. فقد يحب الله ورسوله بحكم الإيمان. ويحب الأهل والولد بحكم الصبغ المراد منه. فأشار إلى أن محبة العوام بالعلم والإيمان بالغيب. ومحبة الخواص بالدوق على نعت مشاهدة الحبيب. والله تعالى أعلم. وقوله: «وليس يعلم في القلب إلا هو». هكذا في جل السخ بعد السطر أي لا يعلم ما في قلبي من الشغف والمحبة إلا المحبوب. وفي بعض النسخ: وفي الأغاليط سر رق معناه، يشير إلى مقام الإخلاص. فالسر الذي خفي معناه هو الإخلاص، إذ لا يتحقق ذوقاً، إلا بإظهار ما يتأفاه من الأغاليظ، ومزجها إلى تخريب الظاهر. إذ يقدر ما يخرب الظاهر، يعمر الباطن. ويقدر ما يعمر الظاهر، يخرب الباطن. ويقدر ما يزين الظاهر، يفتح الباطن. وبالعكس: يتنور الظاهر بالتأني في الشيا، وتحسين الهيئة وبه يتظلم الباطن. وهذا مجرب عند أهل الفن. لا ينكره إلا الجاهل بالطريق.

والإخلاص: أفراد الحق بالطاعة بالعقل: وهو أن يريد بطاعته، القرب إلى الله تعالى، دون شيء آخر، من تصنع لمخلوق. أو اكتساب محمودة عند الناس ومحبة مدح الخلق. أو معنى من المعاني. سوى التقرب إلى الله تعالى. قال القشيري. وأحسن منه تفسير الحق تعالى في الحديث القدسي، قال الحسن: سألت حذيفة عن الإخلاص فقال: سألت النبي ﷺ عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت جبريل عليه السلام عن الإخلاص فقال: سألت رب العزة عن الإخلاص ما هو فقال: «سر من أسراري أودعته قلب من أحببت من عبادي» وقال الجنيد رضي الله عنه: «الإخلاص سر بين الله تعالى وبين العبد. لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا

شَيْطَانٌ فَيُفْسِدُهُ. وَلَا هَوَى فَيُبْطِلُهُ». وله درجات: إخلاص العوام: هو أفراد الحق بالطاعة، مع ملاحظة الجزاء في الدنيا والآخرة. وإخلاص الخواص: وهو أفراد الحق بالطاعة مع ملاحظة الجزاء الأخروي فقط وإخلاص خواص الخواص. هو أفراد الحق بالطاعة، مع الغيبة؛ بَلْ مَحَبَّةٌ وَتَعْظِيمًا وَعُبُودِيَّةً.

قال مكحول رضي الله عنه: «مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا إِلَّا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ». وهو مَوْقُوفٌ عَلَيْهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَيُوجَدُ فِي بَعْضِ الشُّعْخِ: أَرِيهِمْ أَنَّنِي بَغَيْرِهِ كَلَفٌ؛ أَي أَظْهَرُ لِلنَّاسِ أَنَّنِي بَغَيْرِ الْمَحْبُوبِ كَلَفٌ؛ أَي مُوَلِّعٌ وَمَتَكَلِّفٌ بِهِ، وَمَشْغُولٌ بِمَحَبَّتِهِ. وَلَيْسَ يَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِي مِنْ مَحَبَّةِ الْحَبِيبِ إِلَّا هُوَ: لِأَنَّي لَمَّا عَرَفْتُهُ، وَكَشَفَ الْحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ. قَلْتُ لَا يَحْجُبُنِي عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ تَجَلِّيَاتِهِ. فَيُظْهِرُ لِلنَّاسِ أَنَّنِي أَشَاهِدُ الْخَلْقَ. وَنُعَظِّمُهُمْ، وَنَتَأَدَّبُ مَعَهُمْ. وَأَنَا فِي الْبَاطِنِ لَا نَشَاهِدُ إِلَّا الْمَلِكَ الْحَقَّ. وَلَا نَتَأَدَّبُ إِلَّا مَعَهُ. وَلَا نَتَكَلَّفُ إِلَّا بِهِ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَلَهُ الشُّكْرُ.

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: «إِنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ بِبَصَرِ الْإِيمَانِ وَالْإِيقَانِ. فَأَعْتَانَا ذَلِكَ عَنِ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ. وَأَنَا لَا تَرَى أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ. فَهَلْ فِي الوجودِ سِوَى الْمَلِكِ الْحَقِّ. فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ كَالنَّهْبَاءِ فِي الْهَوَى إِنْ فَشِنَتْ لِم تَجِدُهُ شَيْئًا» وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قَالُوا أَتُنْسَى الَّذِي تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ يَا قَوْمِي مَنْ هُوَ رُوحِي كَيْفَ أَنْسَاهُ
وَكَيفَ أَنْسَاهُ وَالْأَشْيَاءُ بِهٍ حَسَنْتُ مِنَ الْعَجَائِبِ يَنْسَى الْعَبْدُ مَوْلَاهُ

يقول رضي الله عنه: قال لي قومي: أتُنسى المخبوب الذي تهواه وتعشقه حتى تغيب عن ذكره ومشاهدة سيره. فقلت لهم: يا قومي من هو رُوحِي وَبِهِ قِوَامِي وَنَشَأَتِي. قَدْ سَرَى سِرُّهُ فِي سِرِّي، وَنُورُهُ فِي كَلْبِي ذَاتِي، وَتَخَلَّلْتُ مَحَبَّتَهُ جَمِيعَ أَجْزَائِي كَيْفَ أَنْسَاهُ. وَأَغِيبُ عَنْهُ. وَكَيْفَ أَيْضاً أَنْسَاهُ وَأَغِيبُ عَنْهُ. وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا بِهِ قَامَتْ. وَبُنُورِ جَمَالِهِ حَسَنْتُ وَابْتَهَجْتُ. فَمَا ظَهَرَ فِي الْكَوْنَيْنِ إِلَّا نُورُ بَهَائِهِ وَجَمَالِهِ. فَلَيْسَ فِي الوجودِ قَبِيحٌ، وَلَا بَشِيعٌ؛ لِأَنَّ الوجودَ كُلَّهُ بِقَدْرَةِ الْحَكِيمِ الْبَدِيعِ. وَإِلَى هَذَا، أَشَارَ صَاحِبُ الْعَيْنِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَكُلُّ قَبِيحٍ إِنْ نَسَبْتَ لِحُسْنِهِ أَتَشْكُ مَعَانِي الْحُسْنِ فِيهِ تَسَارُعُ
يُكْمَلُ نُفُصَانَ الْقَبِيحِ جَمَالَهُ فَمَا تَمُّ نُفُصَانٌ وَلَا تَمُّ بَاشِعُ

ثُمَّ تَعَجَّبَ نِسْيَانُ الْعَبْدِ مَوْلَاهُ وَهُوَ مَعَهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. فَمِنْ
 أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ، أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ قَائِمًا بِأَمْرِ عَبْدِهِ، لَا يَنْسَاهُ مِنْ إِحْسَانِهِ وَرَفْدِهِ.
 وَالْعَبْدُ غَافِلٌ عَنْ ذِكْرِهِ. مَشْغُولٌ بِذِكْرِ غَيْرِهِ. فَالْوَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ، اسْتِفْرَاحُ طَاقَتِهِ
 وَجُهْدُهُ فِي ذِكْرِ سَيِّدِهِ؛ وَمَشَاهِدَةُ إِحْسَانِهِ وَرَفْدِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾.
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وَقَدْ رَأَيْتُ أَحَادِيثَ وَأَخْبَارًا فِي
 التَّرْغِيبِ فِي ذِكْرِ اللَّهِ، «وَالْتَفَكَّرِ فِي عَظَمَتِهِ. فَلَا نَطِيلَ بِسَزْدِهَا؛ لِأَنَّهَا مَقْرَزَةٌ فِي
 مَحَلِّهَا مِنَ الْمُطْوَلَاتِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ. ثُمَّ صَرَّحَ بِحَالِهِ مَعَ مَحْبُوبِهِ؛ وَهُوَ الِاسْتِفْرَاقُ
 فِي شَهْوَدِهِ فَقَالَ:

مَا غَابَ عَنِّي وَلَكِنْ لَسْتُ أَبْصُرُهُ إِلَّا وَقُلْتُ جِهَارًا قَدْ هَوَى اللَّهُ
 يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا غَابَ عَنِّي مَحْبُوبِي طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ
 كُلِّ شَيْءٍ؛ وَبِهِ حَيَاتِي، وَقِيَامُ ذَاتِي كَمَا قَالَ ابْنُ الْفَارَضِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَنْتُمْ شُمُوسِي وَعَيْنُ ذَاتِي وَوَجْهُكُمْ قَبْلَ لَيْلِ السُّجُودِ
 فَمَحْبُوبِي لَا يَغِيبُ عَنِّي قَطُّ. وَلَكِنْ لَسْتُ أَبْصُرُهُ، وَأَشَاهِدُهُ فِي مِرَائِي جَمَالَهُ،
 وَتَحْلِيَّاتِ ذَاتِهِ، إِلَّا وَقُلْتُ جِهَارًا بِلِسَانِ الْحَالِ. قُلْ هُوَ اللَّهُ. إِذْ لَا تُشَاهِدُ سِوَاهُ.
 وَلَا تَرَى إِلَّا آيَاهُ؛ لِأَنِّي مَخْجُوبٌ بِالْجَمْعِ عَنِ الْفَرْقِ. وَبِشُهُودِ الْمُؤَثِّرِ عَلَى الْأَثْرِ.
 وَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ مِنْ رُؤْيَةِ الْأَثْرِ، فَيَرَاهُ قَائِمًا بِهِ، وَنُورًا مِنْ أَنْوَارِهِ. لَا وَجُودَ لَهُ مَعَهُ.
 لِثُبُوتِ أَحَدِيَّتِهِ. فَالْأَكْوَانُ ثَابِتَةٌ بِإِثْبَاتِهِ. مَمْحُورَةٌ بِأَحَدِيَّةِ ذَاتِهِ.

مَنْ لَا وَجُودَ لِذَاتِهِ مِنْ ذَاتِهِ فَوُجُدُهُ لَمَوْلَاهُ عَيْنُ مُحَالٍ
 فَالْعَارِفُونَ فَتَوَالِمًا يَشْهَدُوا شَيْئًا سِوَى الْمُتَكَبِّرِ الْمُتَعَالِي
 وَرَأَوْا سِوَاهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ هَالِكًا فِي الْحَالِ وَالْمَاضِي وَالِاسْتِقْبَالِ

قَالَ الْقُطُبُ ابْنُ مَشِيشٍ؛ لِأَبِي الْحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يَا أَبَا
 الْحَسَنِ: «حَدِّدْ بَصَرَ الْإِيمَانِ. تَجِدُ اللَّهَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَعِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَعَ كُلِّ
 شَيْءٍ، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ. وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ. وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَحْتَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَرِيبًا
 مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَمُحِيطًا بِكُلِّ شَيْءٍ. بِقُرْبٍ هُوَ وَضَفُّهُ. وَبِحَيْطَةٍ هِيَ نَعْتُهُ. وَعُدَّ عَنِ
 الطَّرْفِيَّةِ وَالْحُدُودِ، وَعَنِ الْأَمَاكِينِ وَالْجِهَاتِ. وَعَنِ الصَّحْبَةِ وَالْقُرْبِ فِي الْمَسَافَاتِ.
 وَعَنِ الدُّورِ بِالمَخْلُوقَاتِ. وَامْحَقْ الكُلَّ بِوصفه الأول والآخِر، وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ؛
 وَهُوَ هُوَ، هُوَ. كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ. وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ». وَأَشَارَ

بقوله، وعُدَّ الخ. إلى أن ما جرى في كلامه من الظروف ليست بزمانية ولا مكانية؛ لأنها من جملة الأكوان. وإنما هي أمور ذوقية. فاعتقد كمال الثنويه. وبطلان التشبيه. وتمسك بقول الله عز وجل:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وَسَلَّم ذَلِكَ لِأَهْلِهِ. فَإِنَّهُمْ عَلَى بصيرة فيما رمزوا إليه. فيما ذاقوه ووجدوه. بل هي من محض الإيمان، وخالص العرفان؛ وهو حقيقة التوحيد. وصفو الإيمان؛ كما قال بعض العارفين. قال بعض المحققين من العارفين:

الحقُّ تعالى مُنْزَعٌ عَنِ الْإَيْنِ، وَالجَّهَةَ وَالْكَئِيفَ، وَلَا جِسْمَ وَلَا جَوْهَرَ، وَلَا عَرْفَ؛ لِأَنَّهُ لِلطُّفَيْهِ سَارٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلِنُورِيَّتِهِ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَلَا إِطْلَاقَةَ وَإِحَاطَتِيَّةً مُتَكَيِّفَةً بِكُلِّ كَيْفٍ غَيْرٍ مُتَقَيِّدٍ بِذَلِكَ. وَمَنْ لَمْ يَذُقْ هَذَا، وَلَمْ يَشْهَدْهُ؛ فَهُوَ أَعْمَى الْبَصِيرَةَ. مَخْرُومٌ مِنْ مُشَاهَدَةِ الْحَقِّ. وَمِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ ابْنِ الْفَارُضِ:

هُوَ الْحَقُّ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ	هُوَ الرَّخْمَنُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ
هُوَ الثُّورُ الْمُبِينُ بِغَيْرِ شَكٍّ	هُوَ الرَّبُّ الْمَخْبُوبُ فِي الْعَبِيدِ
هُوَ الْمَشْهُودُ فِي الشَّاهِدِ يَبْدُو	فَيُخْفِيهِ الشُّهُودُ عَنِ الشُّهَيْدِ
هُوَ الْعَيْنُ الْعِيَانُ لِكُلِّ غَيْبٍ	هُوَ الْمَقْصُودُ فِي بَيْتِ الْقَصِيدِ
جَمِيعُ الْعَالَمِينَ لَهُ ظِلَالٌ	سُجُودٌ فِي الْقَرِيبِ وَفِي الْبَعِيدِ
وَهَذَا الْقَدْرُ فِي التَّحْقِيقِ كَافٍ	فَكَفَّ النَّفْسَ عَنِ طَلَبِ الْمَزِيدِ
ولا بن عطاء الله، رضي الله عنه:	

فَالثُّورُ يَظْهَرُ مَا تَرَى مِنْ صُورَةٍ	إِلَّا بِهِ وَجُودُ الْكَائِنَاتِ بِإِلَامَتِيرَا
لَكِنَّهُ يَخْفَى لِقَرْظِ ظُهُورِهِ	حِسًّا وَيُذَكِّرُكَ الْبَصِيرُ مِنَ الْوَرَا
فَإِذَا نَظَرْتَ بِعَيْنِ عَقْلِكَ لَا تَجِدُ	شَيْئاً سِوَاهُ عَنِ الذَّاتِ مُصَوِّرَا
وَإِذَا طَلَبْتَ حَقِيقَةً مِنْ غَيْرِهِ	فِي زَيْدٍ جَهْلِكَ لَا تَزَالُ مُعْتَرَا

وهذه الأسرار لا يدوقها، إلا من صحب أهل الفناء والبقاء. ومن لم يصحبهم، فحسبه الإيمان بالغيب، والله تعالى أعلم.

ثم أعلم أن من عادة الشعراء أن يتعزّلوا في مدح الحبيب. بذكر الرقبا والعواذل إذ لا تحلو المحبة إلا بوجودهم، فمنهم من يذكر ذلك في أول مدحه.

كما فَعَلَ كَعَب بن زُهَيْر، والإمام البوصيري في بُزْدِيهِ؛ وغيرهما. ومنهم من يَسْتَعْمَلُهُ في آخِرِ مَدْحِهِ، كما فعل النَّاطِم حيث قال:

مَاذَا يَقُولُ اللُّوَاحِي ضَلَّ سَعْيُهُمْ وَمَاذَا تَقُولُ الأَعَادِي زَادَ مَغْنَاهُ
هَلْ غَيْرُ أَنِّي أَهْوَاهُ وَقَدْ صَدَّقُوا نَعَمْ نَعَمْ أَنَا أَهْوَاهُ وَأَهْوَاهُ

قلت: التَّلَاحِي: هو التَّخَاضِم. وَتَلَاحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ تَخَاضَمَا. وَاللُّوَاح: جمع لائحة أي مُخَاصِمَةٌ وَمَاذَا: إمَّا أن تكون استِفْهَامِيَّة بُرْمِيَّتْهَا. أَوْ ذَا مَوْضُوعَةٍ.

وَمَا استِفْهَامِيَّة. يقول رضي الله عنه على طريق التَّشْبِيهِ والتَّسْيِيب: مَاذَا: أي أَي شَيْءٍ تَقُولُ اللُّوَاحِي. فِي لُؤْمِي وَعَيْبِي عَلَى مَحَبَّةِ النَّحِيب. أَوْ مَا الَّذِي تَقُولُهُ العَوَازِلُ والرِّقْبَا فِي عَذْلِي وَلُؤْمِي عَلَى فَرْطِ مَحَبَّتِي، وَالتَّهَالِكِ فِي عَشْقِي أَضَلَّ اللَّهُ سَعْيَهُمْ، وَحَيْبٌ قَضَدَهُمْ. فَإِنَّهُمْ أَرَادُوا سُلُؤَانِي مِنْ عَشْقِي، وَبُعْدِي مِنْ حَبِيبِي. فَلَا أَسْمَعُ قَوْلَهُمْ. وَلَا أَقْبَلُ نَصِحَتَهُمْ. وَمَا تَقُولُ الأَعَادِي، أَي أَي شَيْءٍ تَقُولُهُ الأَعَادِي وَالحُسَادُ فِي دُخُولِهِمْ بَيْنِي وَبَيْنَ مَحْبُوبِي؛ بِالتَّخْلِيضِ وَالتَّخْوِيفِ. فَمَا وَقَعَ ذَلِكَ مِنْهُمْ. إِلَّا لِمَا رَأَوْا مِنْ شِدَّةِ إِقْبَالِ المَحْبُوبِ عَلَيَّ. وَتَقْرِيهِه إِبْنِي. وَاعْتِنَائِهِ بِشَأْنِي. فَاللَّهُ يَزِيدُنِي مِنْ تِلْكَ المَعْنَى وَيُحَقِّقُنِي بِذَلِكَ المَقْصِدِ الأَسْنَى. وَهَلْ يَقُولُونَ شَيْئًا؛ غَيْرَ أَنِّي أَهْوَاهُ وَأَجِبُهُ. أَي لَا يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَعْيِبُوا عَلَيَّ شَيْئًا. إِلَّا أَنِّي أُجِيبُهُ وَأَهْوَاهُ. وَلَقَدْ صَدَّقُوا فِي دَعْوَاهُمْ. فَإِذَا أَقْرَبْتُ بِذَلِكَ، وَأَفْصَحَ بِالجَوَابِ. فَنَقُولُ: نَعَمْ نَعَمْ. أَنَا أَهْوَاهُ. ثُمَّ أَهْوَاهُ وَلَا تَسْلُو عَنْهُ أَبَدًا. وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ مِنْ ذِكْرِ الخِصُومِ وَالأَعَادِي. لَا يَشْتَرُطُ تَحْقِيقَهُ فِي الخَارِجِ. بَلْ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ الشَّعْرَاءِ. أَوْ يُسَمَّى التَّعْزَلُ وَالتَّسْيِيبُ وَالتَّسْيِيبُ. يَخْشَنُ ذِكْرَهُ فِي أَوَّلِ المَدْحِ. أَوْ فِي أُنْتَائِهِ كَمَا تَقَدَّمَ. وَيُمْكِنُ أَنْ يُقْصِدَ بِذَلِكَ مَنْ يَلُومُهُ عَلَى التَّجْرِيدِ، وَتَرْكِ الأَسْبَابِ، وَالاِنْتِقَاعِ إِلَى المَحْبُوبِ لِاسِيْمَا إِنْ كَانَ لَهُ مَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ أَهْلِ وَأَوْلَادِهِ. فَإِنَّ أَهْلَ الظَّاهِرِ لَا يُسَلِّمُونَ لِأَهْلِ البَاطِنِ فِي هَذَا المَعْنَى، وَكَذَلِكَ تَخْرِيْبُ الظَّاهِرِ، وَإِتْلَافُ المَالِ الَّذِي يَشْغَلُ البَاطِنَ. فَإِنَّ غَالِبَ النَّاسِ يَعْيِبُونَ عَلَى مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ. وَقَدْ فَسَّرَ بَعْضُهُم العَوَازِلَ وَالرِّقْبَا، وَالأَعَادِي بِالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَالهَوَى وَالدُّنْيَا؛ وَكُلُّ مَا يَشْغَلُ عَنِ اللّٰهِ. ذَكَرَهُ فِي شَرْحِ تَائِيَةِ ابْنِ الفَارِضِ وَقَالَ: هَذَا مِرَادُ الصُّوفِيَّةِ. بِالعَوَازِلِ وَالرِّقْبَا وَهُوَ حَسَنٌ. ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ العَوَازِلُ؛ وَهِيَ القَوَاطِعُ الَّتِي تَقْطَعُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى؛ هِيَ فِي الظَّاهِرِ قَوَاطِعٌ. وَفِي البَاطِنِ مَحْسُوسَاتٌ. وَمَوْضَلَاتٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى هَذَا الوَجْهِ ذَكَرَهُمْ صَاحِبُ الحِكْمِ العَطَائِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَقَالَ فِي شَأْنِ النَّفْسِ: حَرَّكَ

النَّفْسَ عَلَيْكَ لِيُدُومَ إِقْبَالُكَ عَلَيَّ. وَقَالَ فِي شَأْنِ الشَّيْطَانِ: إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَغْفُلُ عَنْكَ، فَلَا تَغْفُلْ أَنْتَ عَمَّنْ نَاصِبِيكَ بِيَدِهِ. وَقَالَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا: إِنَّمَا جَعَلَهَا مَحَلًّا لِلْأَكْثَادِ تَرْهِيدًا لَكَ فِيهَا. وَقَالَ فِي شَأْنِ النَّاسِ: إِنَّمَا جَرَى الْأَذَى عَلَيْهِمْ كَيْ لَا تَكُونَ سَاكِنًا إِلَيْهِمْ. أَرَادَ أَنْ يُزَعِّجَكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى لَا يُشْغَلَكَ عَنْهُ شَيْءٌ. وَقَدْ كَانَ شَيْخٌ شَيْخَنَا مَوْلَايَ الْعَزْبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي شَأْنِ النَّفْسِ إِذَا اشْتَكَى لَهُ أَحَدٌ بِنَفْسِهِ. جَزَاهَا اللَّهُ خَيْرًا عَنِّي. وَاللَّهُ مَا رَبِحْنَا إِلَّا مِنْهَا. يَغْنِي أَنَّهُ جَاهِدَهَا وَرَبِّضْهَا. حَتَّى انْقَادَتْ، وَأَسْلَمَتْ وَتَرَوَحَّتْ. فَجَعَلَتْ تَأْتِيهِ بِالْعُلُومِ وَالْمَوَاهِبِ مِنْ أَسْرَارِ الْعَيْبِ، فَإِنَّ الرُّوحَ كَانَ أَضْلَاهَا عَلَامَةً دَرَاكَةً. فَمَا حَجَبَهَا إِلَّا الشَّهَوَاتِ، وَالْعَوَائِدِ الَّتِي تَعَوَّدَتْ بِهَا. حَتَّى تَظَلَّمَتْ. فَسُمِّيَتْ نَفْسًا. فإِذَا مَنَعَتْ مِنْ شَهَوَاتِهَا وَعَوَائِدِهَا، رَجَعَتْ إِلَى أَضْلِيلِهَا. وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى، أَشَارَ ابْنُ الْبَنَّا فِي مَبَاحِثِهِ حَيْثُ قَالَ:

وَلَمْ تَزَلْ كُلُّ نَفُوسِ الْأَخْيَا عَلَامَةً دَرَاكَةً لِلْأَشْيَا
وَإِنَّمَا تَعَوَّدَتْهَا الْأَبْدَانُ وَالْأَنْفُسُ النَّزَاغَ وَالشَّيْطَانَ
فَكُلُّ مَنْ أَذَاقَهُمْ جِهَادَهُ أَظْهَرَ لِنَقَاعِ خَرْقِ الْعَادَةِ
ثم قال رضي الله عنه:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا مِنْ مَحَبَّتِهِ فَإِنَّهَا حَسَنَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فَإِنْ يَقُولُوا بِأَنَّ الْحُبَّ مَغْصِيَةٌ فَالْحُبُّ أَحْسَنُ مَا يُلْقَى بِهِ اللَّهُ

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ: أَيُّ أَطْلُبُ مَغْفِرَتَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَصْدُرُ مِنِّي، قَوْلًا وَعَمَلًا وَعَقْدًا. إِلَّا مِنْ مَحَبَّتِهِ، فَإِنَّهَا لَا يَدْخُلُهَا خَلَلٌ؛ لِأَنَّهَا مَحْمُودَةٌ فِي كُلِّ حَالٍ. فَلَا تَحْتَاجُ إِلَى اسْتِغْفَارٍ فَتَقُولُ لَهُ: الْحُبُّ أَحْسَنُ مَا يُلْقَى بِهِ اللَّهُ. لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ». وَلَا يُحِبُّ لِقَاءَ اللَّهِ. إِلَّا مَنْ تَمَكَّنَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ. فَظَهَرَ أَنَّ الْمَحَبَّةَ أَفْضَلَ الْمَقَامَاتِ، وَأَكْمَلَ الْحَالَاتِ، فَلَا تَفْتَقِرُ إِلَى اسْتِغْفَارٍ وَلِلذَلِكَ قَالَ الْقُطْبُ ابْنُ مَشِيشٍ: وَاعْلَمْ أَنَّ حُبَّ اللَّهِ قُطْبُ تَدْوَرٍ عَلَيْهِ الْخَيْرَاتِ. وَأَصْلُ جَامِعٍ لِجَمِيعِ الْكِرَامَاتِ. إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ فِي بَعْضِ وَصَايَاهُ. ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ الْمَقَامَاتِ؛ إِنَّمَا تَكُونُ مَعَ تَمَامِ الْمَعْرِفَةِ، إِذِ الْمَحَبَّةُ بِلَا مَعْرِفَةٍ، قَدْ يَصْدُرُ مِنْ صَاحِبِهَا سُوءُ أَدَبٍ. بِمَا يَصْحُبُهَا مِنَ الْقَلْتِ، أَوْ الْإِذْلَالِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ. فَيُطْرَدُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِخِلَافٍ مَنْ تَرَقَّى إِلَى

مَقَامِ الْمَعْرِفَةِ، بَعْدَ كَمَالِ الْمَحَبَّةِ . فالأدبُ مُحَقِّقٌ لَدَيْهِ . إذْ الْمَعْرِفَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا
 بَعْدَ التَّهْذِيبِ وَالتَّأْدِيبِ . فَيَلْزِمُهُ الرِّضَى وَالتَّسْلِيمُ . وَالصَّبْرُ وَالتَّوَكُّلُ . وَغَيْرَ ذَلِكَ
 مِنَ الْمَقَامَاتِ ؛ لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ ضَمَّتْهُ لِجَمِيعِ ذَلِكَ . إِذْ لَا يَسْلُكُ لَهَا إِلَّا وَيَقْطَعُ هَذِهِ
 الْمَقَامَاتِ . بِخِلَافِ الْمَحَبَّةِ وَخَدَّهَا : فَقَدْ تَوْجَدَ مَعَ الْحِجَابِ . فَيَكُونُ صَاحِبُهَا
 غَيْرَ كَامِلٍ ، كَمَا هُوَ شَأْنُ كَثِيرٍ مِنَ الْعُبَادِ وَالزُّهَادِ ، وَالْعُشَّاقِ . وَأَمَّا الْمَعْرِفَةُ فَلَا
 تَخْضَلُ إِلَّا بَعْدَ التَّرْبِيَةِ وَالتَّأْدِيبِ ، وَالتَّهْذِيبِ بَعْدَ التَّدْرِيبِ وَالتَّهْذِيبِ . فَصَاحِبُهَا
 مَأْمُونٌ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ فِي الْعَالَمِ . مَتَّحِنًا لِلَّهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ الْكَامِلَةِ أَوْفَرَ نَصِيبٍ ،
 إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مَجِيبٌ . بِجَاوِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ ، أَفْضَلَ كُلِّ مُجِيبٍ وَحَبِيبٍ .
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَعِثْرَتِهِ وَأَخْرَابِهِ . وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ .

تلمذت لشيخ من اديبان ماله قلب من يسمع فيهما
 من لهم داري ليزيدوا فيهم ذلتيك ارفع من ارفع الماء

شرح بعض مقتطفات الششتري للعارف بالله، سيدي أحمد بنعجية، رضي الله عنه

سُبْحَانَ مَنْ اخْتَصَّ بِالْحَمْدِ وَالثَنَاءِ مِنَ الْعِبَادِ. وَتَقَدَّسَ ذَاتًا وَصِفَاتًا عَنِ الشُّرَكَاءِ وَالنُّظَرَاءِ وَالْحُلُولِ وَالْإِتْحَادِ. حَخَّصَ أَقْوَامًا بِكَمَالِ الْمَحَبَّةِ وَالْوَدَادِ. فَهُمْ بَيْنَ سَائِلِكَ وَمَجْدُوبٍ، وَمُحِبِّ وَمُحْبُوبٍ. لَا يَطْرُقُ سَاحَةَ قُلُوبِهِمُ الْأَغْيَارُ وَالْإِنْكَارُ. وَاخْتَصَّ أَقْوَامًا بِغَايَةِ الْخِدْمَةِ وَالْإِجْتِهَادِ فَهُمْ بَيْنَ عِبَادٍ وَزُهَّادٍ، وَبَدَلَاءَ وَتَجْبَاءَ. وَصَالِحِينَ وَأَوْلَادٍ، يَقُومُونَ فِي دِيَارِجِي اللَّيْلِ بِمُنَاجَاةِ الْحَبِيبِ. وَالتَّعْلُقِ بَيْنَ يَدَيِ الْقَرِيبِ الْمَجِيبِ. وَإِذَا هَبَّ عَلَيْهِمْ نَيْسِمُ الْأَسْحَارِ. فَاصْتُ أَعْيُنَهُمُ بِالْبُكَاءِ وَالتَّجِيبِ. فَكُلُّ هَوْلَاءٍ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا. ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾. نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَشْكُرُهُ حَمْدًا وَشُكْرًا يَقْضِيَانِ بِتَوَالِي الْإِمْدَادِ. وَيُعْطِفَانِ عَلَيَّ قَائِلَهُمَا بِالتَّعْرِيفِ وَالْوَدَادِ. وَنُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَيَّ مِنْ مَنبَعِ الْأَنْوَارِ. وَمَعْدِنِ الْمَعَارِفِ وَالْأَسْرَارِ سَيِّدِ الْوُجُودِ، وَمَنْبَتِ الْكِرَمِ وَالْعُجُودِ. سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَفْضَلَ كُلِّ حَامِدٍ وَمَحْمُودٍ. وَرَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَبْرَارِ. وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَطْهَارِ. أَمَّا بَعْدُ: كُلُّ شَيْءٍ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ فَعَلِمَ الْبَاطِنِ عِلْمٌ كَبِيرٌ. وَفَضَّلَهُ مِنْ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ شَهِيرٌ بِذَلِكَ الْمَهْجِ وَالْأُرُوحِ فِي نَيْلِهِ نَزْرٌ يَسِيرٌ وَرُكُوبٌ بَخْرُهُ الْهَائِلُ أَمْرٌ خَطِيرٌ. إِلَّا مَنْ رَكِبَهُ مَعَ رَيْسِ عَارِفٍ كَبِيرٍ. عَالِمٍ بِأَحْوَالِ الْبَحْرِ وَأَهْوَالِهِ. عَارِفٍ بِاسْتِخْرَاجِ يَوَاقِيْتِهِ وَوَلَاكْتِهِ. إِذَا تَعَاصَفَتْ عَلَيْهِ الْأَمْوَاجُ وَالرِّيَّاحُ. أَوْى إِلَى سَفِينَةِ السَّنَةِ وَالْأَخْبَارِ الصَّحَاحِ. وَمَدَّارَ هَذَا الْعِلْمِ عَلَى تَرْبِيَةِ الْيَقِينِ وَتَحْقِيقِ شَهُودِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَبِدَايَتِهِ مَجَاهِدَةٌ. وَنَهَايَتُهُ مُشَاهَدَةٌ. وَمِمَّنْ خَاضَ هَذَا الْبَحْرَ الْخَطِيرَ، وَتَضَلَّعَ مِنْ مَاءِ عِلْمِهِ الْغَزِيرِ الشَّيْخَ الْكَامِلِ الْمَحْقُوقِ الْوَاصِلِ بِحُرِيِّ زَمَانِهِ. وَرَيْسِ دَهْرِهِ وَأَوَانِهِ. أَبُو الْحَسَنِ سَيِّدِي عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّمِيرِيِّ الشَّشْتَرِيِّ، الْأَنْدَلِسِيِّ الْأَصْلِ. الرِّبَاطِيِّ الدَّارِ. وَشُشْتَرِ بَشِيئَتَيْنِ مُعْجَمَتَيْنِ، أَوْلَهُمَا مَضْمُومَةٌ، وَثَانِيَهُمَا سَاكِنَةٌ، بَعْدَهَا تَاءٌ مَضْمُومَةٌ فَوْقِيَّةٌ، هِيَ قَرْيَةٌ بِالْأَنْدَلَسِ. وَشُشْتَرٌ أَيْضًا. مَدِينَةٌ بِالْعِرَاقِ.

سَكَنَ الشَّيْخَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الرِّبَاطَ. ثُمَّ جَاءَ فِي الْبِلَادِ. فَدَخَلَ فَاسَ

ومكناس، ثم رَحَلَ إلى المشرق فجال في بلادها. وبها توفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّامِ. نَزَلَ بِسَاحِلِ دِمِيَاطَ؛ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَتَزَلَّ قَرْيَةَ هُنَاكَ، عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرَّومِيِّ. يَضْطَادُ فِيهَا السَّمَكُ. فَقَالَ: مَا اسْمُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ؟ فَقِيلَ لَهُ: الطَّيْنَةُ. فَقَالَ: حَتَّى الطَّيْنَةُ إِلَى الطَّيْنَةِ قَوَّضِي أَنْ يُدْفَنَ بِمَقْبَرَةِ دِمِيَاطِ. فَحَمَلَهُ الْفُقَرَاءُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَتُوفِيَ بِهَا يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ تَاسِعَ عَشَرَ صَفَرَ، سَنَةَ ثَمَانِيَةَ وَسِتِينَ وَسِتْمِائَةَ (19 صفر سنة 668هـ).

كَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ الْأَمْرَاءِ، وَأَوْلَادِ الْأَمْرَاءِ. فَصَارَ مِنْ سَادَةِ الْفُقَرَاءِ. أَخَذَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ طَرِيقَ التَّجْرِيدِ وَالتَّخْرِيبِ، فَجَالَ غَايَةَ التَّفْرِيدِ وَالتَّقْرِيبِ. رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا التَقَى شَيْخَهُ ابْنَ سَبْعِينَ، وَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ عَنْهُ: قَالَ لَهُ الشَّيْخُ: لَا تَتَأَلَّ مِنْ عَلَمْنَا هَذَا حَتَّى تُسْقِطَ جَاهَكَ. وَتُفْنِي مَالَكَ. فَبَاعَ كُلَّ مَا عِنْدَهُ وَتَصَدَّقَ بِهِ. وَلبس قَشَابَةَ، وَأَتَى إِلَى الشَّيْخِ، فَقَالَ: خُذْ بِنَدِيرٍ وَأَدْخِلِ السُّوقَ. فَقَالَ لَهُ: مَا نَقُولُ؟ فَقَالَ: قُلْ: بَدَأْتُ بِذِكْرِ الْحَبِيبِ، فَدَخَلْتُ السُّوقَ. وَجَعَلْتُ يُعْنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. ثُمَّ خَرَقْتُ لَهُ الْحَجَبَ. وَفَاضَتْ عَلَيْهِ الْمَوَاهِبُ. فَزَادَ عَلَى مَا قَالَ لَهُ الشَّيْخُ: بَدَأْتُ بِذِكْرِ الْحَبِيبِ، وَهَمُّتُ وَعَيْشِي يَطِيبُ. وَبَحْتُ بِسِرِّ عَجِيبٍ. لَمَّا دَارَ الْكَاسُ مَا بَيْنَ الْجِلَاسِ. وَاحْتِيهِمُ الْأَنْفَاسُ. عَنْهُمْ زَالَ الْبَاسُ الْخِ كَلَامِهِ. هَكَذَا سَمِعْتُ الْحِكَايَةَ مِنْ شَيْخِنَا، وَسَمِعْتُهَا أَيْضًا مِنْ غَيْرِهِ. مِمَّنْ لَهُ اغْتِنَاءٌ بِكَلَامِهِ. وَلَمْ أَقْفَ عَلَيْهَا. وَلَهُ تَأْلِيفٌ مِنْهَا: كِتَابُ الْعُرْوَةِ الْوَثْقَى، فِي بَيَانِ السَّنَنِ، وَإِخْصَاءِ الْعُلُومِ. وَمَا يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَغْلَمَهُ وَيَعْتَقِدَهُ إِلَى وَفَاتِهِ. وَمِنْهُ اخْتَصَرَ رِسَالَتَهُ، الَّتِي اخْتَصَرَهَا التَّجِيبِيُّ فِي الْإِنَالَةِ، وَمِنْهَا الْمَقَالِيدُ الْوُجُودِيَّةُ فِي أَسْرَارِ إِشَارَاتِ الصُّوفِيَّةِ. وَلَهُ الرِّسَالَةُ الْقُدْسِيَّةُ، فِي تَوْحِيدِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَالْمَرَاتِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالْإِيمَانِيَّةِ، وَالْإِحْسَانِيَّةِ. وَلَهُ أَشْعَارٌ وَأَزْجَالٌ وَمَقْطَعَاتٌ فِي غَايَةِ النَّبْلِ. جَمَعَتْ فِي دِيْوَانٍ كَبِيرٍ. وَمِنْهَا قَصِيدَتُهُ الَّتِي أَرَدْنَا الْكَلَامَ عَلَيْهَا. الَّتِي أَوْلَاهَا: صَحَّحَ عِنْدِي الْخَبْرُ، وَسَرَى فِي سَرِي... إِلَى آخِرِهَا. وَقِيلَ هِيَ لِشَيْخِهِ عَبْدِ الْحَقِّ ابْنِ سَبْعِينَ. لَكِنِّي رَأَيْتُهُ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ جُمْلَةِ أَشْعَارِهِ. فَاللهُ أَعْلَمُ. وَتُوفِيَ شَيْخُهُ ابْنَ سَبْعِينَ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِسَنَةٍ. قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «المقتطفة الأولى».

(ص) (1) صَحَّحَ عِنْدِي الْخَبْرُ... وَسَرَى فِي سَرِي... إِنَّ عَيْنَ النَّظَرِ... عَيْنُ عَيْنِ الْفِكْرِيِّ...

أَغْمَضَ طَرْفَكَ تَرَى... وَتَلُوحُ أَسْرَارُكَ... وَافِنَ عَنِ الْوَرَى... وَتَبْدُو لَكَ
أَخْبَارُكَ...

(ش)⁽¹⁾ يقول رضي الله عنه: صَحَّ عِنْدِي الْخَبْرُ وَحَقَّقْتَهُ. وَسَرَى فِي قَلْبِي
وَرُوحِي وَسِرِّي حَتَّى ذَقْتَهُ وَهُوَ أَنَّ عَيْنَ النَّظَرِ، الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِاسْتِعْمَالِهَا، وَالنَّظَرُ بِهَا
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. وَبِقَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾. هِيَ عَيْنُ الْقَلْبِ؛ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ
الْفِكْرِ وَالْإِغْتِبَارِ. لَا عَيْنَ الْبَصَرِ الْحِسِّيِّ؛ لِأَنَّ عَيْنَ الْقَلْبِ؛ وَهِيَ عَيْنُ الْفِكْرِ. لَا
تَرَى إِلَّا الْمَعَانِي الْقَدِيمَةَ وَالْأَنْوَارَ الْقَدْسِيَّةَ. وَتَسْمَى الْبَصِيرَةَ. بِخِلَافِ عَيْنِ الْبَصَرِ
الْحِسِّيِّ، لَا يَرَى إِلَّا الْمَحْسُوسَاتِ الْحَدِيثَةَ الْمَفْرُوقَةَ. فَإِذَا انْفَتَحَتِ الْبَصِيرَةُ؛ وَهِيَ
عَيْنُ الْفِكْرِ، اسْتَوْلَتْ عَلَى الْبَصَرِ الْحِسِّيِّ. فَلَا يَرَى الْبَصَرُ حِينَئِذٍ إِلَّا الْمَعَانِي الَّتِي
تَرَاهَا الْبَصِيرَةُ. فَيَسْتَوْلِي الْمَعْنَى عَلَى الْحِسِّ. وَالْجَمْعُ عَلَى الْفَرْقِ. وَتَسْتَوْلِي
الزَّوْحَانِيَّةَ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ. فَتَخْسَنُ الْبَشَرِيَّةَ، وَلَمْ يَبْقَ لَهَا أَثْرٌ. فَيَغِيبُ الْأَثْرُ، وَيَبْقَى
الْمُؤَثَّرُ. وَحِينَئِذٍ يَقُولُ صَاحِبُ هَذَا الْمَقَامِ: طَلَعَ النَّهَارُ عَلَى الْأَقْمَارِ، وَلَا بَقِيَ إِلَّا
رَبِّي. وَيَقُولُ أَيْضًا:

مُذْ عَرَفْتُ الْإِلَهَ لَمْ أَرْ غَيْرًا وَكَذَا الْعَمِيرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعٌ
مُذْ تَجَمَّعَتْ مَا خَشِيتُ افْتِرَاقًا فَأَنَا الْيَوْمَ وَاصِلٌ مَجْمُوعٌ
وَيَقُولُ أَيْضًا:

لَوْ كُنْتُ أَنْ أَرَى غَيْرَهُ لَمْ أَسْتَطِعْ. فَإِنَّهُ لَا غَيْرَ مَعَهُ حَتَّى أَشْهَدَهُ فَمَشْهُدُ الْبَصَرِ
وَالْبَصِيرَةِ ضِدَّانِ. يَحْجُبُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ. فَمَنْ وَقَفَ مَعَ الْمَحْسُوسَاتِ الَّتِي هِيَ
مَشْهُدُ الْبَصَرِ. وَاسْتَعْلَى بِحِسِّيَّتِهَا. وَاعْتَزَّ بِزُخْرِفِهَا، حُجِبَ عَنِ الْمَعَانِي اللَّطِيفَةِ؛ الَّتِي
هِيَ مَشْهُدُ الْبَصِيرَةِ وَصَارَ مَخْجُوبًا عَنِ اللَّهِ. وَاقْفَا مَعَ الْقِشْرِ الظَّاهِرِ. لَمْ يَنْفِذْ إِلَى
اللَّبِّ الْبَاطِنِ. قَالَ فِي الْحِكْمِ: الْأَكْوَانُ ظَاهِرًا غَرَّةً. وَبَاطِنًا عِبْرَةً. فَالْنَفْسُ تَنْظُرُ
إِلَى ظَاهِرِ غَرَّتِهَا. وَالْقَلْبُ يَنْظُرُ إِلَى بَاطِنِ عِبْرَتِهَا هـ. وَقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَنْ
أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. فَقَالَ: «الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ
الدُّنْيَا، حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا وَاهْتَمُّوا بِأَجْلِ الدُّنْيَا. حِينَ اهْتَمَّ النَّاسُ
بِعَاجِلِهَا. فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشَوْا أَنْ يَمِيتَهُمْ. وَتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنْ سَيَتْرُكُهُمْ. فَمَا

(1) ش: شرح سيدي أحمد بنعجبية له. توضيح من المصحح.

عَارِضُهُمْ مِنْ نَائِلِهَا عَارِضٌ إِلَّا رَفُضُوهُ. وَلَا خَادِعُهُمْ مِنْ رَفَعْتِهَا خَادِعٌ إِلَّا وَضَعُوهُ. خلقت الدنيا في قلوبهم فما يُجَدِّدُونَهَا. وخربت بيوتهم فما يُعْمَرُونَهَا. وماتت في صدورهم فما يُحْيُونَهَا. بل يُهْدِمُونَهَا، فينبون بها آخِرَتَهُمْ. ويبيعونها فيشترون بها ما يَبْقَى لَهُمْ. نَظَرُوا إِلَى أَهْلِهَا صَرَغَى قَدْ خَلَّتْ بِهِمِ الْمَثَلَاتُ. فَمَا يَرَوْنَ أَمَانًا دُونَ مَا يَرْجُونَ، وَلَا خَوْفًا دُونَ مَا يَجِدُونَ» هـ. ويحتمل أن يريد بعين النظر محله أو ذاته. فيكون المَعْنَى حَيْثُ يَنْبَغُ: صَحَّ عِنْدِي الْخَبَرُ. إِنَّ مَحَلَّ النَّظَرِ، هُوَ مَحَلُّ الْفِكْرِ؛ وَذَلِكَ لِاتِّحَادِهِمَا عِنْدَ الْعَارِفِ؛ لِأَنَّ مَا كَانَ غَيْبًا يُدْرِكُ بِالْفِكْرِ، صَارَ عِنْدَهُ شَهَادَةً يُدْرِكُ بِالنَّظَرِ. فَصَارَ عَيْنُ النَّظَرِ. هُوَ عَيْنُ الْفِكْرِ. وَعَيْنُ الْفِكْرِ هُوَ عَيْنُ النَّظَرِ؛ لِأَنَّ الْبَصِيرَةَ إِذَا فَتَحَتْ، اسْتَوْلَتْ عَلَى الْبَصَرِ فَاتَّخَذَ مَذْرُكُهُمَا. وَأَمَّا غَيْرُ الْعَارِفِ، فَفَكَرْتُهُ فِي الْمَعَانِي الْغَيْبِيَّةِ، وَنَظَرُهُ فِي الْأَشْيَاءِ الْحَسِيَّةِ. قَالَ فِي الْحِكْمِ: الْفِكْرَةُ فِكْرَتَانِ: فِكْرَةُ تَصْدِيقٍ وَإِيمَانٍ. وَفِكْرَةُ شَهُودٍ وَعِيَانٍ فَالْأُولَى لِأَرْبَابِ التَّصْدِيقِ وَالْآخِرَةُ لِأَرْبَابِ الشَّهُودِ وَالْإِسْتَبْصَارِ. هـ وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ كَلِمًا يَغْمُضُ بَصَرَهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْحَسِيَّاتِ الْفَانِيَّةِ، تُشْرِقُ عَلَيْهِ أَنْوَارُ الْمَعَانِي الْبَاقِيَّةِ. وَإِلَيْهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: اغمض طرفك، ترى وتلوح أسرارك. أي اغمض طرفك عن المحسوسات الحادثة الفانية، ترى المعاني القديمة الباقية. اغمض طرفك من وجودك الوهبي تلوح أسرارك الحقيقية الأزلية؛ وهي العلم الوهبي فالحس في الحقيقة عين المعنى. لكنه رداء وحجاب للمعاني. فإذا تنحى رداء الصُّوْنِ عَنِ الْكَوْنِ. أشرقت أنوار القِدَمِ، على صفحات العَدَمِ. فتلاشى الحادث، وبقي القديم. وقد أشرت إلى هذا المَعْنَى فِي عَيْنِي قَلْتُ:

تَنَحَّى رِذَاءُ الصُّوْنِ عَنِ كَوْنِ رَبِّنَا قَصِرْنَا إِلَى نُورِ الْحَبِيبِ نُسَارِعُ
فَقَالَ لَنَا أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فَهَذَا جَمَالِي حَقًّا فِيهِ تَمَتَّعُ

أَوْ نَقُولُ الْمَحْسُوسَاتِ أَوَانِي، حَامِلَةٌ لِلْمَعَانِي، فَإِذَا تَكَسَّرَتِ الْأَوَانِي، سَقَطَتِ الْمَعَانِي، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ النَّاطِمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا تَنْظُرْ إِلَى الْأَوَانِي وَخُضْ بِخَرِّ الْمَعَانِي لَعَلَّكَ تَرَانِي.

وَأَكْبَرُ الْحُجْبِ: النَّظَرُ إِلَى ظَاهِرِ الْخَلْقِ. وَالْغَيْبَةُ عَنِ الْمَلِكِ الْحَقِّ. وَالْإِغْتِرَابُ بِمَا هُمْ فِيهِ. وَالْخَوْضُ مَعَهُمْ فِي جِسْمِهِ الَّذِي هُوَ لَعِبٌ وَلَهْوٌ. فَمَنْ قَتَى عَنْهُمْ، وَغَابَ عَنِ جِسْمِهِمْ، لَاحَتْ لَهُ أَنْوَارٌ. وَظَهَرَتْ لَهُ أَسْرَارٌ وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: وَافَنَّ عَنِ الْوَرَى، تَبْدُو لَكَ أَخْبَارَكَ. أَيِ افَنَّ عَنِ رُؤْيَةِ الْوَرَى؛ بِعَيْنِ الْفَرْقِ. تَبْدُو لَكَ

أَخْبَارِك أَي عُلُومِك، حَتَّى تَرَاهُمْ بَعَيْنِ الْجَمْعِ. وَفِي هَذَا الْمَعْنَى، قَالَ شَيْخُ شَيْوَحْنَا الْمَجْدُوبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْخَلْقُ نُوَازُ وَأَنَا زَعِثُ فِيهِمْ هُمُ الْحُجُبُ الْأَكْبَرُ. وَالْمَدْخَلُ فِيهِمْ هُمُ الْحُجُبُ الْأَكْبَرُ لِمَنْ وَقَفَ مَعَ ظَاهِرِهِمْ. وَالْمَدْخَلُ فِيهِمْ، لِمَنْ نَقَدَ إِلَى شُهُودِ خَالِقِهِمْ فِي ظَاهِرِهِمْ. قَالَ فِي لَطَائِفِ الْمِنَنِ: فَمَا نُصِبَتِ الْكَائِنَاتُ لَتَرَاهَا، وَلَكِنْ لَتَرَى فِيهَا مَوْلَاهَا. فَمُرَادُ الْحَقِّ مِنْكَ. أَنْ تَرَاهَا بِعَيْنٍ مَنْ لَا يَرَاهَا. تَرَاهَا مِنْ حَيْثُ ظُهُورُهُ فِيهَا. وَلَا تَرَاهَا مِنْ حَيْثُ كَوْنِيَّتِهَا. قَالَ: وَلَنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى: مَا أَثْبَتَ لَكَ الْمَعَالِمَ إِلَّا لِتَرَاهَا بِعَيْنٍ مَنْ لَا يَرَاهَا.

فَارَقَ عَنْهَا رُفَى مَنْ لَيْسَ يَرْضَى حَالَةَ دُونَ أَنْ يَرَى مَوْلَاهَا هـ. فَالناظر للكَائِنَاتِ غَيْرَ شَاهِدٍ لِلْحَقِّ فِيهَا، غَافِلٌ. وَالْقَائِي عِنْتُهَا عَبْدٌ بِسَطَوَاتِ الشُّهُودِ ذَاهِلٌ. وَالشَّاهِدُ لِلْحَقِّ فِيهَا عَبْدٌ مَخْتَصِرٌ كَامِلٌ. وَإِنَّمَا تُزْفَعُ الْهِمَّةُ عَنِ الْكَوْنِ مِنْ حَيْثُ كَوْنِيَّتُهُ، لَا مِنْ حَيْثُ ظُهُورِ الْحَقِّ فِيهِ فَاغْضَاءُ الرَّهَادِ وَالْعِبَادِ وَأَهْلُ الْإِرَادَةِ، عَنِ الْكَوْنِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا ظُهُورَ الْحَقِّ فِيهِ. وَذَلِكَ لِإِدْمَامِ نُفُودِهِمْ إِلَيْهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَا لِإِدْمَامِ ظُهُورِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ. فَإِنَّهُ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ. حَتَّى إِنَّهُ ظَهَرَ فِيهَا بِإِخْتِجَابِ بِلَا حِجَابٍ هـ.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه، في بعض كتب الله. المنزلة على أنبيائه: «مَنْ أَطَاعَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ، بِهِجْرَانِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ أَطَعْتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. بِأَنْ أَتَجَلَّى لَهُ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى يَرَانِي أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ». قَالَ: وَهَذِهِ طَرِيقُ أَوْلَى. وَهِيَ طَرِيقُ السَّالِكِينَ. وَطَرِيقُ أُخْرَى كُبْرَى: مَنْ أَطَاعَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ، بِإِقْبَالِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. لِحَسَنِ إِرَادَةِ مَوْلَاهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. أَطَعْتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. بِأَنْ أَتَجَلَّى لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى يَرَانِي كَأَنِّي كُلُّ شَيْءٍ هـ. قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ فِي لَطَائِفِهِ: وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَاغْلَمْ أَنَّهُمَا وَوَلِيَّانِ. وَوَلِيَّ يَفْتَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. فَلَا يَشْهَدُ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا. وَوَلِيَّ يَفْتَى فِي كُلِّ شَيْءٍ. فَيَشْهَدُ اللَّهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَهَذَا أَنْتُمْ: لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُظْهِرِ الْمَمْلَكَةَ إِلَّا حَتَّى يُشْهَدَ فِيهَا. فَالكَائِنَاتُ مِرْآةُ الصِّفَاتِ. فَمَنْ غَابَ عَنِ الْكَوْنِ، غَابَ عَنِ شُهُودِ الْحَقِّ فِيهِ هـ. وَقَالَ فِي الْحِكْمِ: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ رَأَى فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَمَنْ فَتَى فِيهِ، غَابَ عَنِ كُلِّ شَيْءٍ. وَمَنْ أَحْبَبَهُ، آثَرَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ هـ.

وفي بعض الأثر: «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا، إِلَّا رَأَيْتُ اللَّهَ فِيهِ». وَلَا تَحْصُلُ هَذِهِ الرُّؤْيَةُ إِلَّا لِمَنْ صَقَلَتْ مِرْآةَ قَلْبِهِ. وَتَطَهَّرَتْ مِنَ الْأَغْيَارِ وَحِينَئِذٍ تَتَجَلَّى فِيهِ الْحَقَائِقُ وَالْأَسْرَارُ وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ بِقَوْلِهِ:

(ص) وَبِصْقَلِ الْمِرْآةِ... بِهِ تَزُولُ أَعْيَارُكَ... وَتَلُوحُ لَكَ أَسْرَارُ...
 مِنْ أَعْيُونِكَ تَسْرِي... وَالتَّغِيثُ إِذَا ظَهَرَ... فِي سَمَاكَ الدَّرِّي.

(ش) قلت: المِرْآةُ بِكَسْرِ المِيمِ، هي المِرْآةُ التي تنطبعُ فيها الأشياءُ عندَ مُقَابَلَتِهَا، إِذَا صُقِلَتْ مِنَ الصَّدَا. وَكَذَلِكَ عَيْنُ البصيرة؛ وهي عَيْنُ الفِكْرِ أَوْ عَيْنُ القَلْبِ، مثل المِرْآةِ كلما اشتدَّ صقلها وَصَفَاؤها. اشتدَّ ظهور الأنوار فيها. وصقلها يكون بِذِكْرِ اللّهِ بِالْحُضُورِ وانجماع القَلْبِ. والتفرغُ من الاشتغال. وفي الحديث: «لِكُلِّ شَيْءٍ مِصْقَلَةٌ. وَمِصْقَلَةُ القلوبِ ذِكْرُ اللّهِ، وقال (ص) أَيضاً: «إِنَّ القلوبَ تُضْدى كَمَا يُضْدى الحديدي. وَإِن الإيمانَ يَخْلُقُ كما يَخْلُقُ الثُّوبُ الجديدي». أَي يَبْلَى كَمَا يَبْلَى الثوبُ. فَإِذَا صُقِلَ القَلْبُ مِنَ الأَعْيَارِ أَشْرَقَتْ فِيهِ شَمُوسُ المَعَارِفِ والأَنْوَارِ. فرغ قلبك مِنَ الأَعْيَارِ. يُمَلَأُ بِالمَعَارِفِ والأَسْرَارِ فَأَسْرَارُ الدَّاتِ العالِيةِ. وَأَنْوَارُ الصِّفَاتِ الأزليةِ، ظَاهِرَةٌ بِأَدِيَةِ. وَمَا مَنَعَ القلوبَ أَنْ تشهدَ إِلاَّ انطباعَ صورِ الأَكْوَانِ فِي مِرْآةِهَا. فتظلمت القلوبُ بِالأَكْدَارِ. وَفِي الحِكمِ كَيْفَ يَشْرُقُ قَلْبُ صُورِ الأَكْوَانِ مُنطَبِعَةً فِي مِرْآةِهَا. أَمْ كَيْفَ يَرْحَلُ إِلَى اللّهِ وَهُوَ مُكَبَّلٌ بِشَهَوَاتِهِ أَمْ كَيْفَ يَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَ حَضْرَةَ اللّهِ؛ وَهُوَ لَمْ يَتَطَهَّرْ مِنْ جَنَابَةِ غَفْلَاتِهِ. أَمْ كَيْفَ يَفْهَمُ دَقَائِقَ الأَسْرَارِ؛ وَهُوَ لَمْ يَتَبَّ مِنْ هَفَوَاتِهِ هـ. وقال الشاعر:

إِنَّ تَلَأَسَى الكَوْنُ عَنْ عَيْنِ قَلْبِي شَاهَدْتُ غَيْبَهُ فِي بَيَانِي
 فَاطْرَحَ الكَوْنُ عَنْ عَيْنِكَ وَانْح نُقْطَةَ العَيْنِ إِذَا أُرِدْتُ تَرَانِي

وَهَذَا مَعْنَى قولِ النَّاطِمِ: وَبِصْقَلِ المِرْآةِ - أَي مِرْآةِ - القَلْبِ بِهِ تَزُولُ أَعْيَارُكَ. أَي بِذَلِكَ الصَّقْلِ يَزُولُ أَعْيَارُكَ. أَي مَا يُغَيِّرُ قَلْبَكَ عَنِ الشُّهُودِ. وَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رُؤْيَةِ المَلِكِ المعبودِ. جَمْعُ غَيْرِ بِكَسْرِ العَيْنِ، وَغَيْرُ بِفَتْحِهَا وَهُوَ مَا سِوَى الحَقِّ. وَإِذَا زَالَتْ عَنِ القَلْبِ الأَعْيَارُ. أَشْرَقَتْ فِيهِ الأَنْوَارُ والأَسْرَارُ. أَعْنِي أَنْوَارَ الصِّفَاتِ، وَأَسْرَارَ الدَّاتِ. فَيَرَى الوجودَ كُلَّهُ نوراً متصلاً بِأَنْوَارِ الجَبْرُوتِ. هُوَ الأَوَّلُ والأَخْر. وَالظَّاهِرُ والبَاطِنُ. وَلَا يَدْرُقُ هَذَا إِلاَّ مَنْ مِنَ اللّهِ عَلَيْهِ بِصَحْبَةِ شَيْخِ كَامِلٍ يَأْتِيهِ مِنَ ظِلْمَةِ عَالَمِ الأَشْبَاحِ. إِلَى أَسْرَارِ الجَبْرُوتِ. وَإِلاَّ فَالغالبُ عَلَيْهِ احتجابه بِظِلْمَةِ الأَعْيَارِ. أَوْ وَقوفه مَعَ الأَنْوَارِ. وَفِي الحِكمِ: رُبَّمَا وَقَفَتِ القلوبُ مَعَ الأَنْوَارِ، كَمَا حَجَبَتِ النَّفُوسُ بِكَثَائِفِ الأَعْيَارِ وَقَالَ النَّاطِمِ رضي اللّهُ عَنْهُ فِي نُونِيته:

تَقَيَّدَتْ بِالْأَوْهَامِ لَمَّا تَدَاخَلَتْ عَلَيْنِكَ وَتَوَرَّ العَقْلُ أَوْرَثَكَ السُّجُنَا

وَهَمَّتْ بِأَنْوَارٍ فَهَمْنَا أَصُولَهَا وَمَنْبَعَهَا مِنْ أَيْنَ كَانَ فَمَا هَمْنَا
وَقَدْ تَحْجُبُ الْأَنْوَارُ لِلْعَبْدِ مِثْلَ مَا تَبَعْدُ مِنْ أَظْلَامٍ تَنْفِسُ حَوْتَ ضِعْمًا
والله تعالى أعلم .

وقوله: وتلوح لك الأسرار، معطوفة على نزول. أي وبسبب صقل مرآة قلبك، تزول عنك الأغيار. وتلوح لك الأسرار؛ وهي أسرار الذات. مُرتدية بأنوار الصفات. أو تقول تلوح لك أسرار الملكوت. فائضة من بحار الجبروت، جارية بالقُدرة. مُرتدية بحجاب الحكمة؛ التي مدارها على عالم الملك. فالملك ما ظهر من التجليات. والملكوت ما بطن من أسرار الذات. والجبروت. ما سبق قبل التجليات. فإذا ضمت الفروع إلى الأصول، صار الجميع جبروتاً ولأهوتاً؛ وهذه الأسرار مجموعة فيك أيها الإنسان. فظاهرك ملك. وباطنك ملكوت. فإذا تَلَطَّفْتَ عَوَالِمَكَ، وفنيت دائرة حسك، صرت جبروتاً. فتكون تلك الأسرار تُسري منك إليك. وهذا معنى قوله: من عيونك تُسري. أي تُسري إليك من عيني وجودك والجمع للتعظيم. وهذا كقوله في بعض أشعاره: مِنِّي عَلَيَّ دَارَتْ كُؤُوسِي. وكقوله أيضاً:

يَا قَاصِدَ عَيْنِ الْخَبَرِ غَطَّاهُ أَيُّنُوكِ
الْخَبْرُ مِنْكَ وَالْخَبْرُ وَالشُّرُوعُ نُنُوكِ
ارْجِعْ لِدَاتِكَ وَاعْتَبِرْ مَائِمَ عَيْرُوكِ
وكقول صاحب العينية:

نَفْسُكَ تَخْوِي بِالْحَقِيقَةِ كُلَّهَا
أَشْرَتْ بِجِدِّ الْقَوْلِ مَا أَنَا خَادِعُ

وقوله: والتفت إن ظهر في سما قلبك... الخ أي التفت إلى الوجود تجده ظاهراً في سما قلبك الصافي كالذر؛ لأن القلب إذا صفا، اتسع دائرة شهوده، فانطبع فيه الوجود بأسره من عرشه إلى فرشه. وصار فيك كنقطة من بحر ولذلك قال بعضهم:

لَوْ كَانَ الْعَرْشُ فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا قَلْبِ الْعَارِفِ. مَا أَحْسَبُهُ. وقال آخر:
العرش والكرسي مُتَدَقَّانِ فِي تَرْسِي. وقال صاحب المباحث:

أَلَيْسَ فِيكَ الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ . . . وَالْعَالَمُ الْعُلُويُّ وَالسُّفْلِيُّ . . . مَا الْكَوْنُ إِلَّا
رَجُلٌ كَبِيرٌ . . . وَأَنْتَ كَوْنٌ مِثْلُهُ صَغِيرٌ . قُلْتُ؛ كَوْنُ الْكَوْنِ رَجُلًا كَبِيرًا وَالْإِنْسَانُ
كَوْنًا صَغِيرًا . مَحَلَّهُ مَا لَمْ يَبْصُرْ عَارِفًا بِاللَّهِ . وَأَمَّا إِذَا كَانَ عَارِفًا؛ فَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ،
وَالْكَوْنُ رَجُلٌ صَغِيرٌ لَا تَسَاعُ دَائِرَةُ شَهْوَدِهِ . فَتَسْرَحُ فِكْرَتَهُ . حَتَّى تَسْتَوْلِي عَلَى الْوُجُودِ
بِأَسْرِهِ . وَمِمَّا يُنْسَبُ لِأَبِي عَبَّاسِ الْمَرْسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

يَأْتَاهَا فِي مَهْمِهِ عَنْ سِرِّهِ انْظُرْ تَجِدُ فِيكَ الْوُجُودَ بِأَسْرِهِ
أَنْتَ الْكَمَالُ طَرِيقَةٌ وَحَقِيقَةٌ يَأْجَامِعُ أَسْرَ الْإِلَهِ بِأَسْرِهِ
وَقَالَ النَّاطِمُ أَيْضًا فِي بَعْضِ أَشْعَارِهِ

وَأَنْتَ مَرَّالٌ لَطَّظَ قُطِبُ الرَّمَانِيِّ . . .
وَفِيكَ يَطْوِي مَا انْتَشَرَ مِنْ الْأَوَانِيِّ

وَقَالَ أَيْضًا فِي بَعْضِ أَرْجَالِهِ : إِذَا رَأَيْتَ الْوُجُودَ قَدْ لَاحَ فِي ذَاتِكَ كَذَا وَلَا زِمَ
الْجُحُودَ ذَاكَ صِفَاتِكَ وَاضْرِبْ بِتُرْسِكَ الْعُقُودَ . وَأَلْقِ عَصَاتِكَ . وَأَشَارْ إِلَى هَذَا
الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ :

(ص) : الْفُلُكُ فِيكَ يَدُوزُ وَيُضِيءُ وَيَلْمَعُ . . . وَالشُّمُوسُ وَالْبُدُورُ . . . فِيكَ
تَغِيْبُ وَتَطْلُعُ . . . فَافْرَأْ مَعْنَى السُّطُورُ . . . الَّتِي فِيكَ أَجْمَعُ . . . لَا تُغَادِرُ سِطْرَ مَنْ
سَطُورِكَ وَادْرِي . . . اِشْرَهُ مَعْنَى الْقَمَرِ . . . الَّذِي فِيكَ يَسْرِي .

(ش) قُلْتُ : الْفُلُكُ شَيْءٌ مُسْتَدِيرٌ بِكُرَّةِ الْأَرْضِ عِنْدَ أَهْلِ التَّنْجِيمِ ؛ وَهُوَ عِنْدَهُمْ
مُتَعَدِدٌ إِلَى تِسْعَةِ أَفْلَاقٍ . وَهَلْ هِيَ السَّمَاوَاتُ أَوْ غَيْرَهَا قَوْلَانِ عِنْدَهُمْ . فَيَحْتَمَلُ أَنْ
يُرِيدَ بِهِ الْحُسِّيَ ؛ لِأَنَّ الْعَارِفَ اتَّسَعَ عَلَيْهِ الْفِضَاءُ ؛ فَلَا يَخْصِرُهُ الْكَوْنُ ؛ لِأَنَّ رُوحَانِيَّتَهُ
اسْتَوْلَتْ عَلَى الْوُجُودِ بِأَسْرِهِ . مِنْ عَرْشِهِ إِلَى فَرْشِهِ . فَالْأَفْلَاقُ تَدُورُ فِي جَوْفِهِ ،
بِشَّمْسِهَا وَقَمَرِهَا وَنَجْمِهَا ؛ فَهِيَ تَغِيْبُ وَتَطْلُعُ فِي وَسْطِ رُوحَانِيَّتِهِ . وَتُضِيءُ وَتَلْمَعُ
فِي عَيْنِ فِكْرَتِهِ . هَذَا بِإِغْتِبَارِ الرُّوحَانِيَّةِ . وَأَمَّا بِإِغْتِبَارِ الْبَشَرِيَّةِ ؛ فَهِيَ مَخْصُورَةٌ
بِالْأَكْوَانِ دَائِرَةً عَلَيْهَا . قَالَ فِي الْحِكْمِ : وَسِعَكَ الْكَوْنُ مِنْ حَيْثُ جُثْمَانِيَّتِكَ ، وَلَمْ
يَسْغَكَ مِنْ حَيْثُ ثُبُوتِ رُوحَانِيَّتِكَ . وَلَا يَفْهَمُ هَذَا إِلَّا مَنْ غَلَبَتْ رُوحَانِيَّتَهُ عَلَى
بَشَرِيَّتِهِ . وَفِي الْحِكْمِ أَيْضًا : الْكَائِنُ فِي الْكَوْنِ ؛ وَلَمْ يَفْتَحْ لَهُ مَيَادِينَ الْغُيُوبِ ،
مَسْجُونٌ بِمُحِيطَاتِهِ . مَخْصُورٌ فِي هَيْكَلِ ذَاتِهِ هـ . فَيَكُونُ حِينَئِذٍ مِنْ أَهْلِ الدَّلِيلِ
وَالْبُرْهَانِ ، يَسْتَدِلُّ بِوُجُودِهِ عَلَى وُجُودِ خَالِقِهِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَرَبِّكَ أَشْهَدُ أَنَّكَ أَفَلَا

بُصِرُونَ ﴿١﴾. وَإِلَى هَذَا الْقِسْمِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: فَأَقْرَأْ مَعْنَى السُّطُورِ الَّتِي فِيكَ أَجْمَعُ. وَهُوَ مَا سَطَّرْتَهُ الْقُدْرَةُ فِي ظَاهِرِ الْبَشَرِيَّةِ، مِنْ تَسْوِيَةِ الْأَعْضَاءِ، وَحُسْنِ التَّقْوِيمِ. فَقَدِ انطَوَى فِي هَذِهِ الْبَشَرِيَّةِ الْحَسَنِيَّةِ مَا وُجِدَ فِي الْوُجُودِ الْحَسَنِيِّ، مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الْفَرْشِ. وَالرَّأْسِ كَالْعَرْشِ. وَالصُّدْرُ كَالْكُرْسِيِّ وَالْأَمْعَاءُ كَالْأَفْلَاقِ. وَالْعِظَامُ كَالجِبَالِ. وَاللِّخْمُ كَالثَّرَابِ. وَالشَّعْرُ كَالشَّجَرِ. وَالْقَمَلُ كَالدَّوَابِّ. وَالْعُرُوقُ الَّتِي تَجْرِي فِيهَا الدَّمُ، كَالْعَيْونَ وَالْأَنْهَارَ. فَسُبْحَانَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ. فَتَحَصَّلَ مِنْ هَذَا أَنَّ الرُّوحَ إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِا، وَرَجَعَتْ إِلَى أَصْلِهَا، اسْتَوَلَّتْ عَلَى الْوُجُودِ بِأَسْرِهِ. فَتَكُونُ الْأَفْلَاقُ تَدُورُ فِي بَاطِنِهَا. وَإِلَيْهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ:

الْفَلَكَ فِيكَ يَدُورُ إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ. وَإِنْ لَمْ يُفْتَحْ عَلَيْهَا، وَبَقِيَتْ مَحْضُورَةً فِي هَيْكَلِ ذَاتِهَا اسْتَدَلَّتْ بِحُسْنِ صُورَتِهَا عَلَى وُجُودِ خَالِقِهَا. كَمَا يَسْتَدِلُّ الْقَارِيءُ بِالرِّسُومِ عَلَى الْمَعَانِي وَالْفُهُومِ. وَإِلَيْهِ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: فَأَقْرَأْ السُّطُورَ، الَّتِي فِيكَ أَجْمَعُ لَا تَغَادِرُ... أَي لَا تَتْرَكَ سَطْرًا وَاحِدًا مِنْ سَطُورِكَ الَّتِي سَطَّرْتَهَا فِيكَ الْقُدْرَةُ الْأَزَلِيَّةُ. وَالْحِكْمَةُ الْبَاقِيَّةُ. وَادْرُ حَيْثُذِ مَعْنَى قَمَرِ التَّوْحِيدِ؛ الَّذِي نُورُهُ يَسْرِي فِي قَلْبِكَ. فَتَهْتَدِي بِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ رَبِّكَ. فَإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ بِصُخْبَةِ عَارِفٍ. أَخْرَجَكَ مِنْ سَجْنِ نَفْسِكَ إِلَى فِضَاءِ شُهُودِ رَبِّكَ. فَتَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ؛ الَّذِينَ تَدُورُ الْأَفْلَاقُ فِي وَسْطِ رُوحَانِيَّتِهِمْ، وَتَطْلُعُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ، وَتَغِيبُ فِي جَوْفِ فِكْرَتِهِمْ. فَبَدَأَ النَّاطِقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْقِسْمِ الْعَالِيِّ. ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْقِسْمِ الْأَسْفَلِ، مِنْ بَابِ التَّدَلِّيِ. كَقَوْلِهِ ﷺ فِي تَفْسِيرِ الْإِحْسَانِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ. فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». فَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِمَّنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَى. فَكُنْ مِمَّنْ يَعْْبُدُ كَأَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ، عَلَى أَحَدِ التَّفَاسِيرِ. وَعِنْدَ أَهْلِ الْإِشَارَةِ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ، فَحَيْثُذِ تَرَاهُ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَيَحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِالْفَلَكَ فَلَكَ الْحَقِيقَةَ؛ وَهِيَ الْأَنْوَارُ الْمَحِيطَاتُ بِالْأَغْيَارِ الْمَاحِيَةِ لِلْأَثَارِ. قَالَ فِي الْحِكْمِ: مَحَقَّتْ الْأَثَارَ بِالْأَثَارِ. وَمَحَوَّتْ الْأَثَارَ بِمَحِيطَاتِ أَفْلَاقِ الْأَنْوَارِ. هـ. فَالْأَثَارُ الَّتِي مَحَقَّتْ بِالْأَثَارِ؛ هِيَ الْأَكْوَانُ الَّتِي اخْتَوَى عَلَيْهَا الْعَرْشُ. فَإِنَّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، كَحَلْقَةٍ فِي فِلَاةٍ. فَقَدْ مَحَقَّتْ فِي جَانِبِ الْعَرْشِ وَاضْمَحَلَّتْ. وَلِلْأَثَارِ الَّتِي مَحِيتْ بِمَحِيطَاتِ أَفْلَاقِ الْأَنْوَارِ؛ هِيَ الْعَرْشُ وَمَا اخْتَوَى عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ لَا وَجُودَ لَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَفْلَاقِ الْأَنْوَارِ الْأَزَلِيَّةِ الْمَحِيطَةِ بِهِ. فَقَدْ مَحَقَّتْهُ وَأَفْنَتْ وَجُودَهُ. وَلِذَلِكَ قِيلَ: حَقِيقَةُ الْفَنَاءِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ هُوَ مَخْرُ وَاضْمَحَلَالٌ وَدَهَابٌ عِنْدَكَ وَرَوَالٌ هـ. أَي يَفْنَى مَا لَمْ يَكُنْ، وَيَبْقَى مَا لَمْ يَزَلْ. وَالْمُرَادُ بِالشَّمُوسِ حَيْثُذِ شَمُوسِ الْمَعَارِفِ. وَبِالْبُدُورِ بُدُورِ التَّوْحِيدِ الذَّاتِيِّ وَالصِّفَاتِيِّ وَالْفِعْلِيِّ. فَإِذَا غَابَتْ

شموس المعارف، أغني الأذواق. أشرقت عليهم بدور التوحيد، ونجوم العلم. فإذا أردت أن تترقى إلى هذا المقام. فاقراً معنى السطور التي سطرتها القدرة في ظاهر بشرتك. حتى تتعشق إلى صانعك، فإذا رأى تعطشك رزقك من يأخذ بيدك إلى أن يوصلك إلى شهوده. فتكون من هذا الطريق الأعلى؛ الذي تدور الأفلاك في وسط قلوبهم، وتشرق شموس المعارف على روحانيتهم، فتكون من المقرين مع الثيبين والصدّيقين. وحسن أولئك رفيقاً. والحمد لله رب العالمين. جعلنا الله منهنم وحشرنا معهم آمين بيمينه وكرمه، وبسيدنا محمد نبيه. ثم قال رضي الله عنه:

بَحْرُ فِكْرِي عَمِيقٌ ... رِيحُ مَسْكَ يَغْبِقُ ... مَنْ دَخَلُوا حَقِيقُ ... لَا شَاحِجَ أَنْ يَغْرُقَ ... يَذْرِي هَذَا الطَّرِيقُ ... مَنْ كَانَ عَبْدَ الْحَقِّ.

يقول رضي الله عنه: بحر فكري عميق. أي لا قعر له ولا حد ينتهي إليه؛ لأن الفكرة إذا تسرحت تبعت المعاني. ومعاني الربوبية لا نهاية لأوليئها ولا لأخريئها. هو الأول والآخر والظاهر والباطن. ولهذا المعنى أشار ابن الفارض في خمريته بقوله:

فَلَا قَبْلَهَا قَبْلٌ وَلَا بَعْدَهَا بَعْدٌ وَقَبْلِيَّةُ الْأَبْعَادِ هِيَ لَهَا خْتَمٌ

فإذا سبحت الفكرة في بحر عظمه الأزلية وجدته لا ساحل له. وإذا سبخت في بحر عظمة الأحدية. وجدته لا ساحل له. وكذلك بحر الفوقية والتحتية. لا حد له ولا نهاية، لا تحيط به الأفكار. ولا تذركه الأبصار. ولا تكتفه العقول. فالعارفون يعومون بسفن أفكارهم في بحر العظمة الأزلية والأبدية. فإذا خافوا من الغرق رجعوا إلى عش عبودية. فأقروا بالعجز وتأدّبوا بين يدي الربوبية. روي أن ملكاً استأذن ربه أن يطير إلى سماء العظمة العلوية. فطار ثلاثين ألف سنة. فقال يا رب أين أنت؟ فقال له: أنا معك. ثم طار كذلك، فقال يا رب. أين أنت؟ فقال له: أنا معك. فقال: سبحانك. ما أعظم شأنك! فطلب من الحق تعالى أن يرده إلى موضعه فرجع إلى عبوديته. وكذلك فكرة العارفين، تعود في بحر العظمة الأزلية والأبدية. والفوقية والتحتية. فلا تجد له ساحلاً ينتهي إليه. فترجع إلى عش العبودية والعجز. فتقول حينئذ العجز عن الإدراك إذراك.

وقوله: ريح مسك يغبق: يعني أن من دخل بحر الفكرة، وعام فيه، هب عليه نسيم الوصال. وريحان الجمال. حتى يلج به جنان الكمال، فيسكن في روح وريحان وجنة نعيم. وقوله: من دخلوا حقيق... الخ أي من دخل هذا البحر مع رئيس عارف

كالشيخ الناظم وأمثاله، لا يخاف أن يغرق؛ لأنَّ الرئيس عارف بأهوال البحر، كلما هاجت عليهم عواصف الريح آوى بهم إلى سفينة السنة المحمدية: وهي مضمونة من الغرق، كسفينته نوح عليه السلام. وقوله: لأش يخاف. يحتمل أن تكون الشين زائد. أي حقيق بأن يقال في حقه: لأني شيء يخاف أن يغرق؛ وهو مأمون إن آوى إلى سفينة النجاة. وقوله: يذري هذا الطريق... الخ يعني أن طريق استعمال الفكرة ودخول بحرهما يعرفها من كان عبداً لله حقيقة حراً بما سواه. وأما إن كان عبداً لنفسه وهواه. فهو ضال في علمه. جاهل بحكمه. قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾... الآية. فإن تبخر أو دخل البحر وخذته، هاجت عليه الرياح وتلاطمت عليهم الأمواج. فكان من المغرقين في بحر الزندقة والكفر. وفي قوله: عبد الحق: إشارة لطيفة إلى تعظيم شيخه: عبد الحق بن سبعين أي يذري هذا الطريق، من كان مثل عبد الحق. في معرفته وتحقيقه. وإن كانت القصيدة لشيخه، فيكون أشار إلى أن هذا الطريق، لا يذريها إلا من علا قدمه، من التجريد والتخريب. والله تعالى أعلم. ثم قال رضي الله عنه: (ص) إن ذاك البحر... لأش يقاس بخري... بحر فكري درز... والزهر في بري.

(ش) قلت: الإشارة والله أعلم إلى البحر الحسي. وإن كان لم يتقدم له ذكر بالخصوص. أي إن ذاك البحر الحسي، لأي شيء يقاس بخري أو لا يقاس بخري؛ لأنَّ البحر الحسي مخلودٌ مخلودٌ. وبخري عميق لا نهاية له بخري كله درز الحكم، ويواقيت العلوم بخلاف البحر الحسي. فدرزه حسيه حجرية. وهي مع ذلك قليلة نادرة. وبخري أيضاً داخله درز. وظاهره أزهار أعني باطنه تحقيق. وظاهره تشريع. باطنه منور بنور الحقيقة الأزلية. وظاهره مبهج بزهر جمال الشريعة المحمدية. والله تعالى أعلم. ثم قال رضي الله عنه:

(ص) فالتفت الخطاب... وسمعت مني... كُلي عن كل غاب... وأنا عتي مني... وارتفع لي الحجاب... وشهدت أني...

- (ش) يقول رضي الله عنه: لما دخلت فكرتي ميدان التوحيد، وحاصت في بحر التفريد. حصل لي الجمع الكلي. حين جمع الله شملتي، فاجتمعت الفروع بالأصول. وصرت بالوصول نصول. فاتحد عندي الوجود وصقل لي غاية الشهود. فالتفت إلى الخطاب الصادر من الأخباب. فإذا هو مني لي. حين صار بعضي كُلي. فصرت بالله أنطق. ومن الله أسمع. قد غاب كُلي عن كل شيء، في شهود

الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . فَأَنَا عَنْ شَهودِ نَفْسِي مَفْنِي . حِينَ غَبْتُ عَنْ وُجُودِي
الْوَهْمِي . فَارْتَفَعَ عَنِّي الْحِجَابُ . وَدَخَلْتُ مَعَ الْأَحْبَابِ . وَانْقَشَعَ عَنْ عَيْنِ قَلْبِي
الْعَيْنِ . وَشَهِدْتُ أَنِّي عَيْنُ الْعَيْنِ . فَإِنْ لَمْ تَذُقْ مَا ذَاقَتِ النَّاسُ فِي الْهَوَى . فَلِلَّهِ يَا
خَالِي الْحَشَا لَا تُعْتَفْنَا . . . إِنْ لَمْ تَرَ الْهَلَالَ فَسَلِّمْ . . . لِأَنْبَاسِ رَأَوْهُ بِالْأَبْصَارِ . . . ثُمَّ قَالَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مَا بَقِيَ لِي أَثَرٌ . . . غَبْتُ عَنْ أَثَرِي . . . لَمْ أَحِذْ مِنْ حَضْرٍ . . . فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرِي .

أَخْبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ غَابَ عَنْ حِسِّهِ ، وَشَهِدَ رَسْمِهِ . فَانطَوَى وُجُودُهُ فِي
وُجُودِ مَحْبُوبِهِ . وَشَهِدَهُ فِي شَهِودِ مَعْبُودِهِ ؛ فَهُوَ غَرِيقُ الْأَنْوَارِ . مَطْمُوسِ الْأَنْوَارِ قَدِ
اتَّخَذَ عِنْدَهُ الْوُجُودَ ، فَصَارَ وُجُوداً وَاحِداً . فَلَمْ يَجِدْ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرَ وُجُودِهِ ؛ لِأَنَّ
وُجُودَهُ صَارَ مُوَضُوعاً بِالْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ ؛ وَالْأَنْوَارِ الْأَزَلِيَّةِ . فَلَمْ يَشْهَدْ فِي الْحَقِيقَةِ
سِوَاهُ . وَلَمْ يَرِ فِي الْكَوْنَيْنِ إِلَّا إِيَّاهُ . فَإِنْ قُلْتَ : الْعَيْبَةُ عَنِ الْأَثَرِ بِالْكُلِّيَّةِ ، نَقْصٌ
بِاعْتِبَارِ مَا بَعْدَهُ مِنْ شَهِودِ الْأَثَرِ وَالْمُؤَثِّرِ . كَمَا قَالَ فِي الْحِكْمِ وَأَكْمَلَ مِنْهُ رَجُلٌ
شَرِبَ . فَازْدَادَ صَخُوعاً ، وَغَابَ ، فَازْدَادَ حُضُوراً . فَلَا فَرْقَ يَحْجُبُهُ عَنْ جَمْعِهِ . وَلَا
جَمْعُهُ يَحْجُبُهُ عَنْ فَرْقِهِ . وَلَا فَنَاءُ يَصُدُّهُ عَنْ بَقَائِهِ . وَلَا بَقَاؤُهُ يَصْرِفُهُ عَنْ فَنَائِهِ .
يُعْطِي كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ ، وَيُؤْفِي كُلَّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ . قُلْتُ : لَا طَرِيقَ لِشَهِودِ الْأَثَرِ
وَالْمُؤَثِّرِ ، إِلَّا الْعَيْبَةُ أَوْ لَا عَنِ الْأَثَرِ ؛ فَهِيَ قَنْطَرَةٌ تُوَدِّي إِلَيْهَا . وَكُلُّ مَنْ دَخَلَ مَقَامَ
الْفَنَاءِ لَا بُدَّ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى مَقَامِ الْبَقَاءِ . إِنْ كَانَ لَهُ شَيْخٌ يُرِيبُهُ ، كَالنَّاطِمِ وَأَمْثَالِهِ . فَلَعَلَّهُ
فِي هَذَا الْوَقْتِ ، كَانَ غَرِيقُ الْأَنْوَارِ ثُمَّ تَكْمَلُ بَعْدَ ذَلِكَ . فَالْفَنَاءُ ضَامِنٌ لِلْبَقَاءِ لَا
مَحَالَةَ . بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَسْلُكْ مَقَامَ الْفَنَاءِ ، لَا يَطْمَعُ فِي مَقَامِ الْبَقَاءِ أَبَداً . وَقَدْ رَأَيْتُ
كَثِيراً مِمَّنْ غَلَطَ فِي نَفْسِهِ ، فَأَدْعَى الْمَقَامَ الثَّانِي ؛ وَهُوَ الْبَقَاءُ ، قَبْلَ سُلُوكِهِ مَقَامَ
الْفَنَاءِ . بَلْ هُوَ ظَاهِرِي مَخْضٍ ، لَمْ يَصْحَبِ الرُّجَالَ ، وَلَا سَلَكَ عَلَى أَيْدِي الْكُمَّالِ
وَهُوَ يَتَرَامَى عَلَى هَذَا الْمَقَامِ الرَّفِيعِ . فَإِنْ لَيْلَهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

فصل : وَقَدْ تَكَلَّمْتُ مَعَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَجَمِّدِينَ عَلَى ظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ فَقَالَ
لِي : نَحْنُ هُمْ أَهْلُ مَقَامِ الْإِحْسَانِ إِذْ هُوَ فِيهِمُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ . فَقُلْتُ لَهُ : وَاللَّهِ مَا
هُوَ الَّذِي تَهْمَمُ . ثُمَّ قُتِمَتْ عَنْهُ وَتَرَكْتُهُ فَاللَّهُ يَعِصِمُنَا مِنَ الْعَلَطِ وَالزَّلِيلِ وَيُؤَفِّقُنَا لِصَالِحِ
الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ . ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

(ص) سَادَتِي وَافْتَهَمُوا . . . الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِي . . . هَذَا لِأَنَّ نَكْتِمُوا . . . عَنْ أَحَدٍ
مِنْ أَهْلِي . . . سِرِّي لَا يَفْهَمُوهُ . . . إِلَّا مَنْ هُوَ مِثْلِي . . .

(ش) أمرَ رضي الله عنه من سمعَه، أن يفهم المراد من تلك العبارات، وما وراء تلك الإشارات من دقائق الأسرار. وحقائق الأنوار؛ فإن علمنا كُله إشارة. فإذا صار عبارة خفي ثم عاتب من فهم تلك الأسرار ثم كتمها عن أحد من أهلها. لقوله عليه السلام: «لا تُوثوا الحكمة غير أهلها، فتظلموهم ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم». وأهل هذا السر: هو من أعطى كليلته لله. أعطى نفسه وفلسه. وزهد في جنسه. وتجرد ظاهراً وباطناً فإذا فعل حرم كتم السر عنه. كما حرم التصريح به لغير أهلِهِ، لقول سيدنا علي كرم الله وجهه: «خاطبوا الناس بقدر ما يفهمون أتريدون أن يكذب الله ورسوله». وقال الشاعر: ومن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم. . . وقد كان الجنيد رضي الله عنه يلقي الحقائق على رؤوس الأشهاد. ف قيل له في ذلك. فقال: علمنا محفوظ من أن يأخذه غير أهلِهِ. أو كلام هذا معناه. وإليه أشار الناظم بقوله: سرّي لا يفهموه. إلا من هو مثلي أي ممن دخل الفناء وعرف مقام الإحسان وإلا لم يذق منه شيئاً. وباللّه التوفيق. ثم اعتذر عن إظهار تلك الحقائق للناس وفيهم الخاص والعام. بكون السكر غالباً عليه فقال:

(ص) سلك عقدي انتثر. . . وبدا لي دري. . . نظموه يا جواز. . . إنني في سُكري.

(ش) قلت: سلك العقيد بكسر العين: هو الخيط الذي انتظمت فيه الجواهر. وانتثاره قطعه. فإذا قطع انتثرت الجواهر وسقطت. يقول رضي الله عنه: كانت هذه الأسرار التي نطق بها في هذا النظم: جواهر ويواقيت في سرّي محفوظة، منظومة في سلكها. فلما غلب علي السكر انقطع عقدها وانتثر. فنطقت بها والسكر غالب علي. فانظموها أيها السامعون وضوئوها عن غير أهلها. وقيدوها، واحفظوها كي لا تضيع. فإنني غائب في سُكري والجوار بكسر الجيم، جمع جار أو جارية، أطلقه على أصحابه المجاورين له. وعبر عنهم بالجوار مجازاً وتلميحاً: لأن الشعر يحسن فيه استعمال الجوّاري والمغنيات وغير ذلك ممن هو مفزون بالخمير الحسي. والله تعالى أعلم. وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلّم.

هذا آخر التقييد المبارك بحول الله وقوته. وكان الفراغ من تبييضه زوال يوم الخميس سابع صفر عام أربعة عشر ومائتين وألف بمنزل الشريبي من بساتين تطوان. عمّرها الله بالإسلام والإيمان. وبالصالحين أهل الشهود والعيان أمين والحمد لله رب العالمين هـ.

«المقتطفة الثانية: في الاسم المفرد».

وقال رضي الله عنه: في قصيدة يذكر فيها الاسم المفرد، وما فيه من الأسرار، فقال:

(ص) أَلِفٌ قَبْلَ لَامَيْنِ .. وَهَاءُ قَرَّةَ الْعَيْنِ ..

(ش) أَي هُوَ قَرَّةَ الْعَيْنِ وَقَرَّةَ الْعَيْنِ: بُرُودَتِهَا بِدَمْعِ الْفَرَحِ؛ لِأَنَّهُ بَارِدٌ. وَالقُرَّةُ فِي اللُّغَةِ: هُوَ البَرْدُ. وَهُوَ بِضَمِّ الْقَافِ عَلَى الْمَشْهُورِ. وَدَمَعُ الْفَرَحِ بَارِدٌ، كَمَا هُوَ مَجْرَبٌ أَي هَذَا الْاسْمُ، هُوَ فَرَحٌ قَلْبِي وَسُرُورَةٌ، وَبِهِجَتِهِ وَحُبُورِهِ وَالْاسْمُ هُنَا هُوَ عَيْنُ الْمُسَمَّى. إِذِ الْفَرَحُ إِنَّمَا هُوَ بِالذَّاتِ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(ص) أَلِفٌ أَوَّلُ الْاسْمِ .. وَلَا مَانٍ بِلَا جِسْمٍ .. وَهَاءُ آيَةُ الرَّسْمِ ... تَهْجَا سِرِّ حَرْفَيْنِ .. تَجِدُ اسْمًا بِلَا أَيْنِ ..

قلت: هَذَا تَقْرِيرٌ لِمَا قَبْلَهُ وَتَوْضِيحٌ لَهُ. وَقَوْلُهُ: وَلَا مَانٍ: الصَّوَابُ أَنَّهُ مَرْفُوعٌ، مَعْطُوفٌ عَلَى الْأَلْفِ. وَقَوْلُهُ: بِلَا جِسْمٍ. [أَي] مُسَمَّى ذَلِكَ الْاسْمِ هُوَ بِلَا جِسْمٍ بَلْ مُنْزَعٌ عَنِ الْحَضَرِ فِي الْجِسْمِيَّةِ وَالْأَيْنِيَّةِ. وَقَوْلُهُ: آيَةُ الرَّسْمِ. أَي عَلَامَةٌ تَمَامِيَّةٌ فِي الرَّسْمِ وَالْحَطِّ. لَا فِي الْمَعْنَى. إِذْ لَا نِهَائِيَّةَ لَهُ. قَوْلُهُ: تَهْجَا سِرِّ حَرْفَيْنِ هُمَا الْهَاءُ وَالْوَاوُ. مِنْ هُوَ كَأَنَّهُ تَكَلَّمَ عَلَى الْمَفْرُودِ وَلَفِظَهُ هُوَ لِأَنَّ طَرِيقَ الْمَشَارِقَةِ يَذْكُرُونَ اسْمَ الْجَلَالَةِ مَفْرُودًا ثُمَّ يَذْكُرُونَهُ هُوَ هُوَ. حَتَّى يَسْتَعْرِقُوا فِي الْهُوِيَّةِ. وَهِيَ الْحَقِيقَةُ وَقَوْلُهُ تَجِدُ اسْمًا بِلَا أَيْنِ. أَي تَجِدُ مَسْمَى ذَلِكَ الْحَرْفَيْنِ هُوِيَّةً وَحَقِيقَةً بِلَا جِهَةٍ وَلَا أَيْنِيَّةٍ. لِأَنَّ زَمَانِيَّةً وَلَا مَكَانِيَّةً. كَانَتْ قَبْلَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ. وَقَدْ بَقِيَ الْأَمْرُ عَلَى مَا كَانَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

(ص): «حُرُوفٌ كُلُّهَا تُثَلَّى .. تَرَى الْقَلْبَ بِهَا يُجَلَّى .. وَيَسْلَى بَعْدَ مَا يَيْلَى ... وَيَنْدَرُجُ بَيْنَ كَفْتَيْنِ .. بِرَمْزَيْنِ رَقِيقَيْنِ.

(ش) قلت: المراد بالحروف التي تُثَلَّى: حروف اسم الجلالة. وذلك إذا ذكرت الحروف كلها، صار مدخولها: الله. وإذا حُدِفَتِ الْهَمْزَةُ وَاللَّامَانُ صَارَ: هُ وَلَا تُحْدَفُ الْهَاءُ؛ لِأَنَّهَا آيَةُ الرَّسْمِ. وَعَلَامَتُهُ كَمَا تَقَدَّمَ فَحُرُوفُ اسْمِ الْجَلَالَةِ كُلُّهَا تُثَلَّى مَعَ صِحَّةِ الْمَعْنَى. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ. وَقَوْلُهُ: تَرَى الْقَلْبَ فِيهَا يُجَلَّى؛ أَي يُضَقَّلُ وَتَنْجَلِي عَنْهُ عَظْمَةُ الْغَفْلَةِ وَصُورُ الْأَكْوَانِ؛ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشُّهُودِ وَالْعِيَانِ. إِذَا دَامَ عَلَى مَذْكَرٍ مَدْخُولِ تِلْكَ الْحُرُوفِ، وَهُوَ اللَّهُ: أَوْ هُوَ لَمَنْ اسْتَعْرِقَتْ فِكْرَتُهُ فِي الْهُوِيَّةِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «لِكُلِّ شَيْءٍ مِضْقَلَةٌ وَمِضْقَلَةُ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللَّهِ». وَقَوْلُهُ: وَيَسْلَى بَعْدَ مَا يَيْلَى؛

أَي وَيَتَسَلَّى عَنِ الْهُمُومِ وَالْأَكْدَارِ بِالْغَيْبَةِ عَنْهَا فِي ذِكْرِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ بَعْدَ مَا بَيَّنَّا وَيَخْتَبِرُ بِالْفِكْرَةِ فِيهَا، وَالنَّصُوصِ فِي ظَلَمَتِهَا. فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ أَنْجَلَى عَنْهُ ذَلِكَ تَسْلَى عَنْهَا. وَأَنْسَ بِاللَّهِ وَخَذَهُ. وَاسْتَوْحَشَ مِمَّا سِوَاهُ. وَقَوْلُهُ: يَنْدَرُجُ بَيْنَ كَفَنَيْنِ: الضَّمِيرُ فِي يَنْدَرُجُ يَعُودُ عَلَى الْقَلْبِ. وَالْمُرَادُ بِالْكَفَنَيْنِ: الْبَشَرِيَّةُ وَالرُّوحَانِيَّةُ؛ أَوْ الْحِسُّ وَالْمَعْنَى أَوْ الْقُدْرَةُ وَالْحِكْمَةُ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا مَاتَ عَنِ حُطُوطِهِ وَشَهَوَاتِهِ. كُفِّنَ بِرَدَائِينَ رِذَاءِ نُورَانِي رُوحَانِي، وَرِذَاءِ ظَلَمَانِي جِسْمَانِي؛ وَهُوَ مُقِيمٌ بَيْنَهُمَا. يُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. وَيُوفِي كُلَّ ذِي قَسْطٍ قَسْطَهُ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى جَعَلَ فِيهِ عَيْنَيْنِ: إِحْدَاهُمَا تَنْظُرُ لِلْبَشَرِيَّةِ وَالْحِكْمَةَ. وَالْأُخْرَى تَنْظُرُ لِلرُّوحَانِيَّةِ وَالْقُدْرَةَ. فَإِذَا نَظَرَتْ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ أَعْطَتْهَا حَقَّهَا مِنَ الْعِبَادِيَّةِ. قِيَاماً بِرِسْمِ الْحِكْمَةِ. وَإِذَا نَظَرَتْ إِلَى الرُّوحَانِيَّةِ، أَعْطَتْهَا حَقَّهَا مِنَ الشُّهُودِ وَالْمَعْرِفَةِ. قِيَاماً بِحَقِّ الْقُدْرَةِ. فَإِذَا أَهْمَلَ الْقَلْبُ النَّظَرَ إِلَى إِحْدَى الْجِهَتَيْنِ، كَانَ أَعْوَرَ وَإِذَا أَهْمَلَهَا مَعاً كَانَ أَعْمَى وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾. وَقَوْلُهُ: بِرَمْزَيْنِ رَقِيقَيْنِ: أَي بِإِشَارَتَيْنِ رَقِيقَتَيْنِ لَطِيفَتَيْنِ؛ لَا يَفْهَمُهَا إِلَّا مَنْ تَلَطَّفَتْ رُوحُهُ. وَرَقَّتْ بَشَرِيَّتُهُ. إِذْ لَا يَعْرِفُ الْبَشَرِيَّةَ وَالرُّوحَانِيَّةَ، وَالْقُدْرَةَ وَالْحِكْمَةَ، وَالْحِسَّ وَالْمَعْنَى، إِلَّا مَنْ تَلَطَّفَتْ عَوَالِمُهُ، وَرَقَّتْ بَشَرِيَّتُهُ. وَفَنِيَتْ دَائِرَةُ حَسَنِهِ وَإِلَّا فَحَسَبَهُ الْإِيمَانَ بِالْغَيْبِ، وَالتَّسْلِيمَ لِأَرْبَابِ الْمَعْرِفَةِ. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(ص): عَرَامِي فِي الْهَوَى قَدْ بَاخَ . . وَفَجْرِي بَعْدَ لَيْلِي لِأَخ . . وَصِرْتُ لِلْوُجُودِ مِصْبَاحَ . . وَشَمْسُ بَيْنَ قَمَرَيْنِ . . وَلَا أَذْرِي أَيْنَ أَيْنِ . . (ش) قلت: الْعَرَامُ: هُوَ الْعِشْقُ. وَالْهَوَى: مَا تَمِيلُ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَتَنْجَذِبُ إِلَيْهِ، فِي الْحَقِّ أَوْ فِي الْبَاطِلِ. فَأَخْبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ عِشْقَهُ فِي هَوَى الْحَبِيبِ قَدْ بَاخَ. أَي ظَهَرَ وَاشْتَهَرَ. وَفَجَّرَ وَصُولَهُ لِلْمُخْبُوبِ، بَعْدَ لَيْلٍ قَطِيعَتَهُ عَنْهُ قَدْ لَأَخَ. أَي طَلَعَ وَانْتَشَرَ. وَصَارَ مِصْبَاحَ أَهْلِ زَمَانِهِ. يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي ظُلْمَةِ الْجَهْلِ وَالْكَفْرِ وَيُهْتَدَى بِهِ فِي سَلُوكِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ. وَقَوْلُهُ: وَشَمْسُ بَيْنَ قَمَرَيْنِ: يَوْجَدُ فِي النَّسْخِ بِالرَّفْعِ. أَي وَأَنَا شَمْسُ بَيْنَ قَمَرَيْنِ. وَيَصْخُ فِيهِ النَّضْبُ لِلْعَطْفِ عَلَى مِصْبَاحٍ لِأَنَّهُ مَنْصُوبٌ. وَوَقَفَ عَلَيْهِ بِالسُّكُونِ، عَلَى لُغَةِ رَبِيعَةَ لِلْوَزْنِ. وَالْمُرَادُ بِالْقَمَرَيْنِ: قَمَرُ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ الظَّاهِرَةِ، وَقَمَرُ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ الْبَاطِنَةِ. أَخْبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ صَارَ مِصْبَاحاً لِلْفَرِيقَيْنِ، يَقْتَبِسُ مِنْ نُورِهِ أَهْلُ الظَّاهِرِ، وَأَهْلُ الْبَاطِنِ كَمَا يَقْتَبِسُ الْقَمَرُ نُورَهُ مِنْ نُورِ الشَّمْسِ. وَقَوْلُهُ: وَلَا أَذْرِي أَيْنَ أَيْنِ. أَي لَا أَذْرِي أَيْنَ وَجُودِي وَأَثْرِي لِغَلْبَةِ سُكْرِي. وَهَذِهِ حَالَةٌ شَرِيفَةٌ، وَمَرْتَبَةٌ مَنِيفَةٌ. وَلِلَّهِ دَرَجَاتٌ الْفَارِضِ حَيْثُ قَالَ:

فَلَا عَيْشَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ عَاشَ صَاحِبِيًّا وَمَنْ لَمْ يَمُتْ سَكْرَانٍ بِهَا فَاتَهُ الْحَزْمُ
عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْنِكْ مَنْ ضَاعَ عُمُرُهُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْهَا نَصِيبٌ وَلَا سَهْمٌ

فالسُّكْرُ ضَامِنٌ لِلصُّخْرِ وَالْفَنَاءُ ضَامِنٌ لِلْبَقَاءِ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَيَحْتَمَلُ أَنْ
يُرِيدَ بِالْقَمَرَيْنِ : قَمَرَ تَوْحِيدِ الْأَفْعَالِ وَقَمَرَ تَوْحِيدِ الصِّفَاتِ . أَوْ قَمَرَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ،
وَقَمَرَ أَهْلِ الْإِيمَانِ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ . ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

(ص) : فَمَعْنَى حُبِّي الْأَتَقَى . . بِأَنْ أَفْتَى فِيهِ عِشْقًا . . وَأَفْتَى فِي الْفَنَاءِ حَقًّا . .
بِوُجُودِ دُونَ فَقْدَيْنِ . . حَيَاةٍ فِي فَنَاءَيْنِ . . (ش) قلت : الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحَبِّ
هُنَا هُوَ النَّبِيُّ ﷺ . لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أَنَا أَتَقَاكُمْ لِلَّهِ . وَأَنَا أَعْرَفُكُمْ بِهِ» أَوْ كَمَا قَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَسَبَ مَا هُوَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَلَا بُدَّ مِنْ حَذْفِ مُضَافٍ قَبْلَ
الْمَبْتَدَأِ . وَمَتَعَلَّقِ الْخَبَرِ قَبْلَ الْخَبَرِ . وَالتَّقْدِيرُ : فَشَهَادَةُ مَعْنَى حُبِّي الْأَتَقَى يَحْصُلُ بِأَنْ
أَفْتَى فِيهِ عِشْقًا ، فَيَكُونُ الشَّيْخُ أَخْبَرَ أَوْلَى عَنْ جَذْبِهِ وَقَنَائِهِ . بِقَوْلِهِ : وَشَمَسَ بَيْنَ
قَمَرَيْنِ . وَأَخْبَرَ ثَانِيًا عَنْ صَخْرِهِ وَبَقَائِهِ . بِشَهَادَةِ الْوَاسِطَةِ ، بَعْدَ شَهَادَةِ الْمَوْسُوطِ
بِقَوْلِهِ : فَمَعْنَى حُبِّي . . الْخ . فَيَكُونُ كَقَوْلِ الشَّيْخِ ابْنِ مَشِيشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي
تَصْلِيَتِهِ الْمَشْهُورَةِ : وَاجْعَلِ الْحِجَابَ الْأَعْظَمَ حَيَاةً رُوحِي . أَيِ وَاجْعَلِ شَهَادَةَ
الْحِجَابِ الْأَعْظَمِ ؛ وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ . سَبَبَ حَيَاةٍ رُوحِي . بَعْدَ أَنْ قَالَ : وَأَعْرَفْنِي فِي
عَيْنِ بَحْرِ الْوَحْدَةِ . . الْخ . وَقَوْلُهُ : وَأَفْتَى فِي الْفَنَاءِ حَقًّا . هُوَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ . أَيِ
وَأَفْتَى فِي ذِي الْفَنَاءِ حَقًّا ؛ وَهُوَ الْحَقُّ تَعَالَى . لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يَفْتَى فِيهِ دُونَ
غَيْرِهِ . خَافَ أَنْ يَقِفَ مَعَ الْوَاسِطَةِ ، دُونَ شَهَادَةِ الْمَوْسُوطِ . فَأَخْبَرَ أَنَّهُ فَتَى فِي الذَّاتِ
الْعَالِيَةِ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى شَهَادَةِ الْوَاسِطَةِ . لَكِنْ عَلَى وَجْهِ بَحْثٍ لَا تَخْجُبُهُ عَنِ
الْمَوْسُوطِ ؛ وَهُوَ الْحَقُّ تَعَالَى فَهُوَ كَقَوْلِ الْقُطُبِ ابْنِ مَشِيشٍ أَيْضًا . «بِتَحْقِيقِ الْحَقِّ
الْأَوَّلِ» أَيِ اجْعَلِ شَهَادَةَ الْحِجَابِ الْأَعْظَمِ حَيَاةً رُوحِي مَعَ تَحْقِيقِ شَهَادَةِ الْحَقِّ
الْأَوَّلِ ؛ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى . ثُمَّ كَمَّلَ هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ : «بِوُجُودِ دُونَ فَقْدَيْنِ» . فَهُوَ
عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ . وَالبَاءُ بِمَعْنَى مَعَ . أَيِ مَعَ شَهَادَةِ وَجُودِ قَدِيمٍ بَاقٍ دُونَ فَقْدِ فِي
أَوَّلِهِ ، وَلَا فَقْدِ فِي آخِرِهِ . بَلْ هُوَ وَاجِبُ الْوُجُودِ لَا يَتَصَوَّرُ فَقْدَهُ أَوْلَى وَلَا آخِرًا . «هُوَ
الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ» . فَإِذَا تَحَقَّقَ وَجُودَ هَذِهِ الذَّاتِ الْقَدِيمَةِ الْبَاقِيَةِ . مَعَ
شَهَادَةِ الْوَاسِطَةِ الْمَحْمُودِيَةِ . فَقَدْ حَصَلَتْ حَيَاةٌ فِي فَنَاءَيْنِ . فَنَاءٌ فِي ذَاتِ الْحَقِّ ؛ وَهُوَ
الْمَوْسُوطُ . وَفَنَاءٌ فِي ذَاتِ الرَّسُولِ ﷺ ؛ وَهُوَ الْوَاسِطَةُ ؛ وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ .
وَالعَيْشَةُ الرَّاضِيَةُ . مَتَّعَنَا اللَّهُ بِهَا عَلَى أَكْمَلِ حَالِ نَحْنُ وَأَجْبَاؤُنَا ، وَمَنْ تَعَلَّقَ بِنَا
آمِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(ص) مُنَائِي مَنْ بِهِ هِمْتُ . . وقوت الرُّوحِ إِنَّ مِثْ . . وَحَرْفِ الْبَيْنِ أَنْشَدْتُ . .
مَتَى يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ . . أَرَى وَضْلاً بِلَا أَيْنِ .

(ش) قلت: المُنَا: هو ما يتمنى الإنسان ويقصده. والْبَيْن: هو الفرق والبُعد
أخبر رضي الله عنه أَنَّ مُنَاهُ وَهَوَاهُ؛ هو مَنْ هَامَتْ بِهِ رُوحُهُ. وانجذب إليه سيرُهُ؛
وهو الحق تعالى. وهو قوت الرُّوح، لمن ماتت نفسه عن شهواتها وحظوظها، فقد
سئل سهل بن عبد الله رضي الله عنه عن القوت فقال: هو الحين الذي لا يموت.
ف قيل: إِنْ مَا سَأَلْنَاكَ عَنِ الْقِيَامِ فَقَالَ: الْقِيَامُ: هو الْعِلْمُ فَقِيلَ: سَأَلْنَاكَ عَنِ الْغَدَاءِ
فَقَالَ: الْغَدَاءُ هو الذُّكْرُ، فَقِيلَ: سَأَلْنَاكَ عَنِ طَعْمِ الْجَسَدِ. فَقَالَ: مَا لَكَ وَلِلْجَسَدِ
دَغٌ مَنْ تَوْلَاهُ أَوْلًا. يتولاهُ آخِرًا إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ عِلَّةً، رَدَّهُ إِلَى صَانِعِهِ. أَمَا رَأَيْتَ
الصَّنْعَةَ إِذَا عَيْثَ رَدَّوَهَا إِلَى صَانِعِهَا حَتَّى يُضْلِحَهَا هـ. وَأَنْشَدُوا:

كَمَلْ حَقِيقَتَكَ الَّتِي لَمْ تَكْمَلْ . . وَالْجِسْمَ دَعُهُ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ . .
أَتَكْمَلُ الْقَانِي وَتَتْرِكُ بَاقِيًا . . هَمَلًا وَأَلْتِ بِأَمْرِهِ لَمْ تَحْفَلْ . . فَالْجِسْمُ لِلنَّفْسِ التَّقْسِيَّةِ
آيَةٌ . . مَا لَمْ تَحْصُلْ فِيهَا لَمْ يَحْصُلْ . . يَفْتَى وَتَبْقَى دَائِمًا فِي غِبْطَةٍ أَوْ شَقْوَةٍ وَنَدَامَةٍ
لَا تَنْجَلْ . . أُعْطِيتَ جِسْمَكَ خَادِمًا فَخَدَمْتَهُ . . أَتَمَلَّكَ الْمَفْضُولُ رِقَ الْأَفْضَلِ . .
شِرْكَ كُنْتُ أَنْتَ فِي حِبَالِهِ . . مَا دَامَ يُمَكِّنُكَ الْخَلَاصُ فَعَجَّلْ . . مَنْ يَسْتَطِيعُ بُلُوغَ
أَعْلَى مَنْزِلٍ . . مَا لَهُ يَرْضَى بِأَذْنِي مَنْزِلٍ هـ.

وقال آخر⁽¹⁾:

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِهِ وَتَطْلُبُ الرِّيحَ فِيمَا فِيهِ حُسْرَانُ
عَلَيْكَ بِالنَّفْسِ فَاسْتَكْمِلْ فَضِيلَتَهَا فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ

والمراد بالنفس الرُّوح؛ لِأَنَّهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ. وإنما تفترق التسمية، باعتبار
التَّصْفِيَّةِ. فالرُّوحُ هي الْمُنْعَمَةُ فِي عَالَمِ الْبَرَزَخِ وَمَا بَعْدَهُ. أَوْ مُعَدَّبَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ
لَهَا. وللعَرَّالِي رضي الله في قصيدة وَجَدْتَ تَحْتَ عِمَامَتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ. وَقِيلَ لغيره:
قال فيها:

قُلْ لِإِخْوَانِ رَأَوْنِي مَيْتًا . . فَبِكُونِي وَرَثَوْنِي حَزْنًا . . أَتَطُّوْنَ بِأَنِّي مَيْتُكُمْ . .
لَيْسَ ذَلِكَ أَلْمِيَّتْ وَاللهُ أَنَا . . أَنَا فِي الصُّورِ وَهَذَا جَسَدِي . . كَانَ لِبَسِي وَقَمِيصِي
زَمَنًا . . أَنَا كُنْتُ وَطَلْسَمٌ وَحِجَابٌ . . مِنْ تَرَابٍ قَدْ تَهَيَّأَ لِفَنَائِي . . أَنَا دُرٌّ قَدْ حَوَانِي

(1) أبو الفتح علي بن محمد الباشي/الجواهر المختارة.

صَدَفٌ . . طَرِثُ عَنْهُ فَتَخَلَّى وَهَنَا . . أَنَا عَضْفُورٌ وَهَذَا قَفْصِي . . كَانَ سَجْنِي
 قَالَيْتُ السُّجْنَ . . فَأَشْكُرُ اللَّهَ الَّذِي خَلَصَنِي . . وَبَتَى لِي فِي الْمَعَالِي وَطَنَا . .
 كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ مَيْتًا بَيْنَكُمْ فَحَيِّتُ وَخَلَعْتُ الْكَفَنًا . . فَأَنَا الْيَوْمَ أَنَا حَيٌّ مَكْلَمًا . .
 وَأَرَى الْحَقَّ جَهَارًا عَلَنًا . . عَاكِفًا فِي اللُّوحِ أَفْرَأُ وَأَرَى . . كُلَّمَا كَانَ أَوْ يَأْتِي أَوْ
 دَنَا . . وَطَعَامِي وَشَرَابِي وَاحِدٌ . . وَهُوَ زَمْرٌ قَافَهُمُوهُ حَسَنًا . . لَيْسَ حَمْرًا سَائِعًا
 أَوْ عَسَلًا . . لَا وَلَا مَاءً وَلَكِنْ لَبَنًا . . هُوَ مَشْرُوبٌ رَسُولِ اللَّهِ إِذْ . . كَانَ سِرًّا فِطْرَةً
 فَطَرْنَا . .

انتهى المراد منها:

وقوله: وحرف البين أنشدت: حرف البين هو ياء النداء. لأنه يتأدي بها
 البعيد. وأما من كان حاضراً، فلا يحتاج إلى نداء. وإنما استعملت في حقه
 تعالى، مع كونه قريباً من الداعي تنزيلاً للداعي منزلة البعيد. تحقيراً لشأن
 النفس وخستها. وأما من غلب عليه الحضور والقرب فلا يحتاج إلى نداء؛
 وهذا الحرف الذي أنشده الشيخ، هو قوله: متى يا قرّة العين الخ. أي يا قرّة
 عيني، متى أرى وضلاً متابداً. لا يصحبه بين ولا فرق. ومزاده والله أعلم ما
 يخلص بعد الموت من الروح والريحان وجنة النعيم؛ وهو الشهود الدائم.
 والنعيم المقيم. فهو كقول الشيخ ابن مشيش رضي الله عنه، مخاطباً لروجه
 على اقتباس أهل الإشارة: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدِكَ إِلَى مَعَاذٍ﴾.
 ويحتمل أن يريد بحرف البين، ما أنشده في القصيدة كلها من التغزلات
 والإشارات؛ لأن الإشارات بها تدل على البين والبعد قال في الحكم: ما العارف:
 من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته. بل العارف من لا إشارة له، لفنايته
 في شهوده. وانطوائه في وجوده. هـ. قال فالعارفون حين حصل لهم الوصول.
 فتوا عن رؤية وجودهم، في وجود محبوبهم. فلا مشير غير المشار إليه قد اتحد
 الوجود، ولم يبق إلا الملك المعبود؛ وهذا هو الذي تمناه الناظم بقوله: متى يا
 قرّة العين. . أرى وضلاً بلا أين. . أي بغير وجودي، ولا شهود نفسي. وقد حقق
 الله له ذلك بلا منين. كما يشهد بذلك كلامه في قصائده وأزجاله. إذ الكلام صفة
 المتكلم. وما فيك، ظهر على فيك. وكل إناء بالذي فيه يرشح. فالله تعالى يمنحنا
 وأحباءنا ما منحهم به، أو أعظم. بيمينه وكرمه. ويسيدنا محمد نبيه وحبيبه صلى
 عليه وسلم وعلى آله وصحبه.

وَهَذَا آخِرِ التَّقْيِيدِ الْمُبَارَكِ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ . وَتَوْفِيقِهِ وَحَسَنِ عَوْنِهِ . كَسَاهُ
اللَّهُ جِلْبَابَ الْقَبُولِ . وَبَلَغَ بِهِ الْقَضْدَ وَالْمَأْمُولَ آمِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
وَوَافِقِ الْفِرَاقِ مِنْ تَبْيِضِهِ زَوَالِ يَوْمِ الْخَمِيسِ أَوْاسِطِ صَفَرٍ . عَامِ أَرْبَعَةِ عَشَرَ ،
وَمَائَتَيْنِ وَأَلْفٍ فِي تَغْرِ وَادِي اللَّيَّانِ . عَمَّرَهُ اللَّهُ بِأَهْلِ الْإِحْسَانِ آمِينَ . سُبْحَانَ رَبِّكَ
رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
المؤلف : أحمد بن محمد بن عجيبة .

شُرْحُ الْأَبْيَاتِ الثَّلَاثَةِ لِأَبِي الْقَاسِمِ الْجُنَيْدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله وحده . وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا إلى أختين الفقيه الأجلّ السيد علي بن عبد الرحمن . أضلحك الله ورعاك . وأعانك على الدين والذنيا . سلامُ الله تعالى عليك وبركاته . وبعد فقد وردَ علينا كتابك ومسطورك . وتأمّلناه ، فظهر لنا أنك تريد الجواب عن مسألة الأبيات الثلاثة المنسوبة لشيخ الطريقة ، وإمام الصوفية ، ومُحيي الحقيقة ، الشيخ : أبو القاسم الجُنَيْد ، نفعنا الله ببركاته آمين :

تَوْضُأً بِمَاءِ الْعَيْبِ إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٍّ وَإِلَّا تَيَمَّمْ بِالصَّعِيدِ أَوْ الصَّخْرِ
وَقَدِّمْ إِمَامًا كُنْتَ أَنْتَ إِمَامَهُ وَصَلِّ صَلَاةَ الْفَجْرِ فِي أَوَّلِ الْعَصْرِ
فَهَذَا صَلَاةَ الْعَارِفِينَ بِرَبِّهِمْ فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَانصَحِ الْبِرَّ بِالْبَخْرِ

فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْأَخُ : أَنَّ كَلَامَ الْأَوْلِيَاءِ الْعَارِفِينَ ، والعلماء العاملين ، الذي ليس بمنقول عَمَّنْ تَقَدَّمَ . وَإِنَّمَا تَكَلَّمُوا بِهِ مِنْ قَرِيحَةٍ أَنْفُسِهِمْ . فيكون منطويًا على أشرار مصونة ، وجواهر مكنونة ، لا يكشفها إلا هُم . وَلَا تَتَبَّنِ حَقَائِقَهَا بِالتَّلَقِّي عَنْهُمْ . ومثل هذا يسأل عنها الأولياء العارِفُونَ . وَأَمَّا أَنَا بِمَعزِلٍ عَنْ هَذَا . وبعيد لكثرة جهلي ، ومخالفة ربي ، وكثرة زلتي ، وَعَمَى بصيرتي . ونقصان عقلي . لكن لما أتاني كتابك . استحييت أن أهمله . ولم أجبه ؛ لأنّ الكتاب يتوب على صاحبه . وَأَجِيبُ عَلَى قَدْرِ مَا مَنَحَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِفَضْلِهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ . فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَلَهُ الشُّكْرُ . على قَدْرِ فَهْمِنَا كَلَامَ الْمُتَقَدِّمِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْأَخُ بِأَنَّ الطَّهَارَةَ طَهَارَتَانِ : طهارة حسية ، وطهارة معنوية . فالطهارة الحسية ، صغرى وكبرى ، كما هي معلومة والطهارة المعنوية طهارتان : ظاهريّة وباطنيّة . فالطهارة الظاهرة ، طهارة الجوارح من المعاصي والباطنة طهارة القلب من الأذناس والأغيار

وَمِنْ مَخَالَفَةِ الدِّيَانِ: الْمَلِكُ الْجَبَّارُ. وَأَنْ يُمَثِّلَ الْإِنْسَانَ بِجَمِيعِ جَوَارِحِهِ مَا أَمَرَ بِهِ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ فَجَمَعَ الْمَصْنَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ: الطَّهَارَةَ الْمَغْنَوِيَّةَ كُلِّهَا، وَعِلْمَ الصُّوفِيَّةِ. وَالْحَقِيقَةَ وَالشَّرِيعَةَ. فَقَوْلُهُ: «تَوَضَّأَ بِمَاءِ الْغَيْبِ إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٍّ» أَي تَطَهَّرَ لِلدَّخُولِ فِي الْحَضْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ؛ أَي تَطَهَّرَ مِنَ الْمَعَاصِي بِالتَّوْبَةِ. وَالتَّجْرِيدِ مِنَ الْأَغْيَارِ وَالتَّدَمُّعِ عَلَى مَا فَاتَ مِنْ عُمْرِكَ، وَكَثْرَةِ الْإِسْتِغْفَارِ، وَالنِّيَّةِ، وَصِحَّةِ الْيَقِينِ. كَمَا لَا تَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ إِلَّا بِالطَّهَارَةِ الْحَسِيَّةِ. فَكَذَلِكَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ فِي حَضْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ. فَتَطَهَّرْ وَتَوَضَّأْ بِمَاءِ الْغَيْبِ. أَي الْيَقِينِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَا شَكَّ مَعَهُ. وَالنِّيَّةِ، وَالصَّدْقِ، وَالْإِخْلَاصِ. وَدَلِيلُ مَاءِ الْغَيْبِ هُوَ الْيَقِينُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. فَقَوْلُهُ تَعَالَى: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ يَتَّبِعُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْنُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِمَّا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ». وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ». أَي يُؤْمِنُونَ بِقُلُوبِهِمْ، وَيُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ الْآخِرَةَ غَيْبٌ. وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ إِلَّا الْمَوْقِنُونَ. فَلِذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ: تَوَضَّأَ بِمَاءِ الْغَيْبِ؛ الَّذِي هُوَ الْيَقِينُ، وَفَسَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ إِلَى قَوْلِهِ: يُوقِنُونَ». بِقَوْلِهِ: «أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ». فَهَذِهِ مَرْيَةٌ هَذَا الْوُضُوءِ، وَأَيُّ مَرْيَةٍ أَعْلَى، لِمَنْ شَهِدَ اللَّهُ لَهُ بِالْهُدَى وَالْفَلَاحِ. وَقَوْلُهُ: «إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٍّ». أَي إِنْ كُنْتَ صَاحِبَ سِرٍّ. وَالسِّرُّ هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ لِأَنَّهَا شَرْطٌ فِي جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ. فَإِذَا انْتَقَى الشَّرْطَ، انْتَقَى الْمَشْرُوطَ. وَقَوْلُهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. هُوَ سِرُّ الْأَسْرَارِ. وَأَضْلُ جَمِيعِ أَعْمَالِ الْآخِيَارِ؛ لِأَنَّ لَوْ فَرَضْنَا أَنْ أَحَدًا يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ كُلِّهَا؛ مِنْ صَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَقِرَاءَةٍ، وَيَأْتِي بِجُوهِ الْعِبَادَاتِ كُلِّهَا، وَاسْتَكْبَرَ عَنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. أَوْ نَطَقَ بِهَا وَلَمْ يَعْرِفْ مَعْنَاهَا، بَلْ نَطَقَ بِهَا خَاصَّةً، فَلَا يَنْفَعُهُ عَمَلٌ مِنَ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا. وَإِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ الْمُبَارَكَةُ؛ هِيَ أَضْلُ الْأَسْرَارِ الرَّبَّانِيَّةِ. وَالْمَوَاهِبِ الْإِلَهِيَّةِ؛ وَبِهَا يَسْتَحَقُّ الْمُؤْمِنُ رِضَاءَ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَجْهَ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَهَا. وَبَيْنَ الْوُضُوءِ الْمَذْكُورِ. حَتَّى جَعَلَهَا شَرْطًا فِي صِحَّةِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْكُفْرَ نَجَسٌ. لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «يَتَّابِعَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَّا مَا شَرَكُوا فَتَبَسُّوا». الْآيَةُ. وَبِقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَذْكُورَةِ، يَطْهَرُ ذَلِكَ النَّجَسُ مِنْ حِينِهِ. وَيَصِيرُ مِنْ نَفْسِ قَوْلِهَا. وَاعْتِقَادِهَا وَلِيَّا اللَّهُ تَعَالَى. وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ. فَهَذَا مُرَادُ النَّاطِمِ بِقَوْلِهِ: «إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٍّ». وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ تَدْخُلُ تَحْتَهَا جَمِيعُ الْأَسْرَارِ الرَّبَّانِيَّةِ. وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ ذِكْرَهَا

مفتاح الولاية الكبرى. فَأَيُّ سِرٍّ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا السَّرِّ. وقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالِإِلَّا تَيَّمَّمُ بِالصَّعِيدِ أَوْ الصَّخْرِ»: أي إذا عدت الغيب؛ وهو اليقين. وكنت من أصحاب السَّرِّ. فَيَتَيَّمَّمُ بِالصَّعِيدِ أَوْ بِالصَّخْرِ؛ لِأَنَّكَ لَا تَدْخُلُ الْحَضْرَةَ حَضْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى، إِلَّا بِالطَّهَارَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ. كما لا تَدْخُلُ لِلصَّلَاةِ إِلَّا بِالْوُضُوءِ، أَوْ بِالتَّيَّمُّمِ إِنْ عَدِمَ الْمَاءَ كَمَا هُوَ مَقْرَّرٌ. ومراده بالصَّعِيدِ هُنَا: مخالطة الأولياء العارفين. والعلماء العاملين، أهل اليقين. لِأَنَّ الطَّبَاعَ تَسْرُقُ الطَّبَاعَ. فتقتدي بأهل اليقين. وتهتدي بهم، حتى تكون من أهل اليقين؛ ولذلك اتَّفَقَ أَهْلُ هَذَا الطَّرِيقِ عَلَى أَنَّ الشَّيْخَ لَا بُدَّ مِنْهُ. قال الشيخ أبو القاسم الخليل: «مَنْ لَا شَيْخَ لَهُ. فالشيطان شيخه». وقال: ومخالطة الأخيار محببتهم من أعمال الخير وإن كان جنبا. لقولهم: إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ، فَعَلَيْكَ بِمَحَبَّتِهِمْ؛ لِأَنَّكَ بِحَبِّكَ لَهُمْ تَصِلُ إِلَيْهِمْ. ولقوله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُسْرًا مَعَهُمْ» وقال بعضهم: «مَنْ فَاتَتْهُ دَرَجَةُ الْوَلَايَةِ وَالصَّلَاحِ، فَعَلَيْهِ بِمَحَبَّةِ أَهْلِهَا؛ لِأَنَّ مَحَبَّتَهُمْ وَوَلَايَةَ». ومن أحب أهل الخير، وإن كان جنبا، فلا بد أن يتطهر بمخالطتهم فهذا مراد الناظم بالتيمم بالصَّعِيدِ. والمراد بالجنابة: الجنابة المعنوية؛ وهي الغفلة عن طاعة الله. والإنهماك في معاصي الله؛ والإصرار عليها فيجب على العبد أن يتطهر من غفلته، وسوء فعله، بتوبته، ورجوعه إلى ربه، ووقوفه عند أمر الله ونهيه. واتباع سنة رسول الله ﷺ. إن كان عارفاً بذلك وكثرة اليقين. والتصديق، والنية والإخلاص. وإن كان جاهلاً بذلك، وغلبه الأمر فعليه بمخالطة الأخيار العارفين، وأهل اليقين. نسأل الله التوفيق لنا ولكم: وقوله رضي الله عنه: أَوْ بِالصَّخْرِ. أي أنك إذا لم تجد ماء الغيب الذي يرفع الحدث الأكبر؛ وهي الغفلة، فلا غنى لك عن التيمم بالتراب؛ وهي مخالطة الأولياء العارفين والعلماء العاملين. لِأَنَّ التُّرَابَ يَنْبِتُ فِيهِ كُلَّ نَبَاتٍ. فكذلك الأولياء العارفون كلامهم حكمة، ينبت في القلوب شيئا فشيئا. والانتفاع بهم حاصل. نفعنا اللهم بهم. فَإِنْ لَمْ تَطَّلِعْ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ عَرَائِسٌ، وَالْعَرَائِسُ لَا يَرَاهُنَّ إِلَّا مَحْرَمٌ مِنْهُمْ فَعَلَيْكَ بِمَخَالَطَةِ عُلَمَاءِ الشُّؤْمِ وَالْمُنْتَسِبِينَ وَالْمُدَّعِينَ؛ لِأَنَّكَ رُبَّمَا تَسْمَعُ كَلِمَةً تَنْتَفِعُ بِهَا مِنْ نَيْتِكَ وَصِدْقِكَ؛ لِأَنَّ مِنَ اعْتِقَادِ الْخَيْرِ فِي صَخْرَةٍ نَالَ مِنْهَا. وَمُرَادُ النَّاطِمِ بِالصَّخْرِ: الحجر لكونه لا ينبت فيه نبات في غالب الأحيان، وربما ينبت في بعض بكثرة الأمطار. أو بكثرة مرور الماء عليه. فكذلك علماء السوء، والمنتسبون، لا ينتفع بهم في غالب الأحوال، لكن إذا دام على مجالستهم، فربما ينتفع بهم؛ أي بأقوالهم؛ ولأن من تشبه بقوم فهو منهم. ولذلك أمر بالإنصات للوراق، والخطيب. وقراءة كتب أهل التصوف؛

لأنه ربما يسمع كلمة فيتعظُ بها. قال الشيخ زروق رحمه الله تعالى في صدرِ شرحه على المباحثِ الأصلية، قال:

تَشَاخَرَ الحق والباطلُ، فَعَلَبَهُ الباطلُ فقتله. فخافَ أن يطلبَ به، فأخرقَهُ. فجاءَ أهلُهُ وَقَرَّ مِنْهُمُ الباطلُ. وجمعوا رماذِ الحق وجعلوه في المَحَابِرِ وَكَتَبُوا بِهِ الكُتُبَ. فَمَنْ أَرَادَ الحق في زماننا هَذَا فَلَا يَجِدْهُ إِلَّا فِي الكُتُبِ. فهذا مُرَادُ الناظم بالصَّخْرِ لِكُونِهِمْ يَسْمَعُ مِنْهُمْ مَا كَانَ موافقاً، ويتركُ فِعْلَهُمْ لِمَا قِيلَ: «الْحَجْنُ الثُّمَارَ وَخَلَّ العودَ لِلثَّارِ». ولذلك قِيلَ وربما يسمع كلمة، ينتفع بها سَامِعُهَا وَيُحْرَمُ مِنْهَا قَاتِلُهَا. والله الموفق بِمَنْهُ للصواب. وقوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَقَدْ مَ إِماماً كُنْتَ أَنْتَ إِمامَهُ». فالإمامُ هو المتبوع، والمأموم هو التابع. والمراد به هُنَا. هو النبي ﷺ. فيجبُ على الإنسان أن يتبعَهُ، ويُقدِّمه، ويتخذَهُ إماماً. باتِّباعِ الكتابِ والسُّنَّةِ. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. فهو إمامٌ بِاتِّباعِهِ لَهُ. وقوله: كُنْتَ أَنْتَ إِمامَهُ. فَإِنَّ الإنسانَ لِمَا كَانَ مُرتكباً لِلْمَعْاصِي، والكبائرِ، قبل التَّوْبَةِ في حالِ الْمُؤْمِنِ العاصِي. أَوْ حَالِ الكَافِرِ، أَوْ مُشْرِكٍ؛ لِمَنْ كَانَ كَافِراً قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ وهو يَقْرَأُ مِنَ التَّوْبَةِ، والإسلام. وَدَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ تَتَّبِعُهُ. حتى عَمَّتِ الآفاقَ كُلَّهَا بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى فَعَلَى هَذَا المُتَّبِعِ هُوَ الكَافِرُ. حيثُ قَرَّ مِنَ الحقِّ لِلْبَاطِلِ. فَالْمُتَّبِعُ: إِماماً. والتابع: المأموم؛ وهو التابعُ لَهُ؛ وهو رسولُ الله ﷺ. طول حياته: بالمعجزاتِ والبَراهِينِ، والحجة، والأمر والنهي، والنذر والوعظ، والقتال وهم فارُونَ مِنْهُ؛ وهم يتبعهم؛ حرصاً على هِدَايَتِهِمْ حَتَّى هَدَاهُمُ اللهُ لِلإِسْلَامِ، فَأَمَرُوا بِاتِّباعِهِ. فحينَ كَانُوا مُتَّبِعِينَ لَهُ. كَانُوا أُمَّةً لَهُ. لِكُونِ المُتَّبِعِ كَانَ إِماماً لِتَابِعِهِ. وَالآنَ أَمَرَهُمُ الشَّرْعُ العَزِيزُ بِأَنْ يَتَّبِعُوا النَّبِيَّ ﷺ. فَصَارَ إِمامَهُمْ بِاتِّباعِهِمْ لَهُ. وكذلك عصاة المؤمنين لَم يَزَالُوا هَارِبِينَ مِنْ سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ وطاعته. والأولياء يتبعونهم بالمواعظِ، من الكتابِ والسُّنَّةِ. ويأمرونهم بالمعروف. وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ المُنْكَرِ. وكذلك العلماء. ولم يَزَلْ كتابُ الله تعالى يُخاطِبُهُمْ وَسُنَّةُ رسولِ الله ﷺ، إلى أَنْ اسْتَبَقُوا مِنْ نَوْمِ العَفْلَةِ. وسكرة الأهواء. وبادروا إلى التَّوْبَةِ، بالرجوعِ إلى اللهِ، على قَدْرِ صِدْقِهِمْ فيعزلونَ نَفْسَهُمْ مِنْ هذه التَّبعية. ويكونون تابعينَ لِلكتابِ والسُّنَّةِ، والعلماءِ، فكانوا قبل التَّوْبَةِ مُتَّبِعِينَ، والمُتَّبِعِ إِماماً لِمَنْ تَبِعَهُ كَمَا تَقَدَّمَ، وَالآنَ حينَ تَابُوا أَمَرُوا بِالكتابِ والسُّنَّةِ، والعلماءِ، والأولياء الَّذِينَ كَانُوا تَابِعِينَ لَهُمْ، صَارُوا مَأْمُومِينَ لِمَنْ كَانَ إِماماً لَهُمْ. وهذا مراد الناظم بقوله: «وَقَدْ مَ إِماماً كُنْتَ أَنْتَ إِمامَهُ». والله تعالى أَعْلَمُ.

وقوله: «وَصَلِّ صَلَاةَ الْفَجْرِ فِي أَوَّلِ الْعَصْرِ». أي مراده واللَّهُ أَغْلَمُ بِالْفَجْرِ: الطَّاعَةَ فِي حَالَةِ الشَّبَابِ، وَالْعَصْرَ آخِرَ الْعَمْرِ.

وَلَمَّا كَانَ خَالَ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَأَوَانَ مَوْتِهِ مَجْهُولًا، لَا يَعْلَمُ كُلُّ أَحَدٍ بِمَوْتِهِ. أَي يَوْمَ أَوْ أَي سَاعَةٍ. وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُوتُ صَغِيرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُوتُ كَبِيرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُوتُ شَبَابًا. وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُوتُ شَيْخًا. صَارَ كُلُّ إِنْسَانٍ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا فِي عَصْرِ يَوْمِهِ. أَي آخِرِ عُمُرِهِ. وَيُصَلِّي صَلَاةَ الْفَجْرِ فِي حَالَةِ شَبَابِهِ. بَأَنَّ يَطِيعَ اللَّهَ تَعَالَى، وَيَتُوبُ فِي أَوَّلِ عَصْرِه أَي فِي أَوَّلِ عُمُرِهِ؛ لِأَنَّ صَلَاةَ الْفَجْرِ فِي كَلَامِ النَّاطِمِ: الطَّاعَةُ وَالتَّوْبَةُ، وَالتَّدَمُّ، وَالرَّجُوعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي حَالَةِ الشَّبَابِ، وَهُوَ أَوَّلُ الْعَصْرِ أَي أَوَّلُ الْعُمُرِ؛ لِأَنَّ عَصْرَ النَّهَارِ هُوَ آخِرُهُ. وَكُلُّ سَاعَةٍ مِنَ السَّاعَاتِ عَلَى الْإِنْسَانِ؛ فَهِيَ آخِرَ عُمُرِهِ لَا يَذْرِي هَلْ يَفُوتُهَا أَمْ لَا. فَهَذَا مُرَادُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَاللَّهُ أَغْلَمُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَضِيحَ، فَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِالْمَسَاءِ. وَإِذَا أَمْسَى فَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِالصَّبَاحِ. وَقَوْلُهُ: «فَهَذِهِ صَلَاةُ الْعَارِفِينَ بِرَبِّهِمْ»؛ لِأَنَّ الْعَارِفِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مَهْمَا تَفَكَّرُوا أَوْ تَيْقَظُوا مِنَ الْعَقْلَةِ، رَجَعُوا إِلَى اللَّهِ. وَتَابُوا تَوْبَةً تَصُوحًا. خَوْفًا أَنْ يَذْرَكَهُمُ الْمَوْتُ قَبْلَ الْقَوْتِ. وَيَنْدُمُونَ عَلَى مَا قَاتَ مِنْ عُمُرِهِمْ. فَهَذِهِ حَالَةُ أَكْبَرِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُؤَقِّينَ فِي حَالِ شَبَابِهِمْ. بَلْ كَانُوا عُصَاةَ مُذْنِبِينَ. فَلَمَّا كَانُوا فِي آخِرِ عُمُرِهِمْ. تَذَارَكَهُمُ اللَّهُ بِعَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ. فَكَانَ أَوَّلُ عَصْرِهِمْ، وَصَلَاةَ فَجْرِهِمْ فَتَابُوا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَرَجَعُوا إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. وَبَلَّغَهُمْ حَضْرَةَ قَدْسِهِ فِي الْحَيِّ، بِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ. كَالْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَأَكْبَرِهِمْ مِنْهُمْ. بَلْ جَلَّهُمْ نَفَعَنَا اللَّهُ بِبَرَكَاتِهِمْ فَكَانَ الْوَقْتُ الَّذِي تَفَكَّرُوا فِيهِ، هُوَ صَلَاةَ فَجْرِهِمْ وَأَوَّلَ عَصْرِهِمْ. وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا فِي أَوَّلِ الشَّبَابِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ الْمُبَادَرَةُ إِلَى التَّوْبَةِ. مَهْمَا تَفَكَّرَ وَتَيْقَظَ. سِوَاهُ فِي حَالَةِ الشَّبَابِ. أَوْ فِي حَالَةِ الْكُهُولَةِ أَوْ الشَّيْخُوخَةِ. وَمِنْهُمْ نَفَعَنَا اللَّهُ بِبَرَكَاتِهِمْ، كَانَ مُوَافِقًا فِي حَالِ الصَّغَرِ، كَمَعْرُوفِ الْكَرَّخِيِّ، وَالشَّيْخِ الْجِيلَانِيِّ، وَالشَّيْخِ مَوْلَانَا عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مَشِيشٍ، وَأَمْثَالِهِمْ، فَقَلِيلُونَ، نَفَعَنَا اللَّهُ بِبَرَكَاتِهِمْ. وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ بِمَنْئِهِ. وَقَوْلُهُ: «فَإِنْ كُنْتُ مِنْهُمْ فَأَنْصَحِ الْبَرَّ بِالْبَحْرِ». التَّنْصِيحُ: هُوَ الرَّشُّ بِالْيَدِ تَقُولُ: نَضَعْتُ الشَّيْءَ إِذَا رَشَشْتَهُ بِالْمَاءِ. وَالْبَرُّ: الشَّرِيعَةُ، وَالْبَحْرُ: الْمَرَادُ بِهِ الْحَقِيقَةُ. أَي كُنْ مُلْتَبَسًا بِالشَّرِيعَةِ. مُلَازِمًا لِلْحَقِيقَةِ.

الشرعية هي أَنْ تَعْبُدَهُ؛ وهي أَمْرٌ وَنَهْيٌ. والحقيقة أَنْ تُشَاهِدَهُ؛ وهي قَضَاءٌ وَقَدْرٌ، فيجب عليك أَنْ تَقِفَ مَعَ الشريعة في حالِ الأَمْرِ والنَّهْيِ. وَلَا تَخْرُجَ عَنِ الحَقِيقَةِ، في حالِ القَضَاءِ والقَدْرِ. وَدُمْ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَحِينِ المَمَاتُ.

القُسَيْرِيُّ: الشريعة: مُلَازِمَةُ العبودية. والحقيقة: مُشَاهِدَةُ الرَبوبية. فكل شريعة غَيْرُ مَقِيدَةٍ بِالحَقِيقَةِ غير مقبولة. وكل حَقِيقَةٌ غير مَقِيدَةٌ بِالشريعة؛ فهي غير محمودة. وهذا مُرَادُ النَّاطِمِ بِقَوْلِهِ: «فَانْضَحِ البَرَّ بِالبَحْرِ». أَي انْضَحِ الشريعة بِالحَقِيقَةِ. أَي اجْمَعْ بَيْنَهُمَا.

قَالَ الشَّيْخُ الشَّرِيفِيُّ:

وَلِلشَّيْخِ آيَةٌ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ عِلْمٌ لَدَيْهِ بِظَاهِرٍ
فَمَا هُوَ إِلَّا فِي لَيْالِي الهَوَى يَسْرِي
وَلَا بَاطِنٍ قَاضِرٍ بِهِ لُجَجِ البَحْرِ

فَعِلْمُ الشريعة هو عِلْمُ الظَّاهِرِ. قَالَ الشَّيْخُ: عِلْمٌ لَدَيْهِ بِظَاهِرٍ. وَعِلْمُ الحَقِيقَةِ: هو عِلْمُ البَّاطِنِ الَّذِي قَالَ الشَّيْخُ: وَلَا بَاطِنٍ إِلَّا أَنْ عِلْمَ الشريعة مُحْصُورٌ فِي خَمْسَةِ أَقْسَامٍ عَلَى مَا قَالَ المَطْرَفِيُّ. وَعَلَى مَا قَالَ ابْنُ السَّبْكِ بِسِتَّةِ بَزِيَادَةِ الأُولَى. وَعِلْمُ الحَقِيقَةِ مَوَاهِبٌ لَا تُحْصَى. وَهَذَا مَا حَضَرَ لِأَخِيكُمْ فِي اللَّهِ فِي هَذَا الجَوَابِ.

وَأَمَّا هَذِهِ الأَبْيَاتُ، فَقَدْ اِخْتَوَتْ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ العُلُومِ لَوْ جَعَلْنَا عَلَيْهَا المُجَلَّدَاتِ، وَالدَّوَاوِينَ وَالأَسْفَارِ، مَا اِخْتَوَتْ عَلَى أَحَدِهَا بِكَوْنِهِ كَلَامٌ مَثُورٌ، صَدَرَ مِنْ شَيْخٍ كَامِلٍ جَلِيلٍ. فَكَيْفَ لِعَاجِزٍ مِثْلِي تَحْوُمُهُ⁽¹⁾ وَكَيْفَ لِناقِصٍ بِطَاعَةِ مِثْلِي يَتَسَوَّقُ سَوْقَهُ. فَنَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِفَتْحِ بَصِيرَتِنَا، وَأَنْ يَتَجَاوَزَ عَنِ سَيِّئَاتِنَا بِجَاهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ المِصْطَفَى ﷺ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَإِلَيْهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا

(1) قَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَيْفَ لِعَاجِزٍ مِثْلِي الخ. قَالَه تَوَاضَعًا لِلَّهِ تَعَالَى. أَوْ كَانَ هَذَا الشَّرْحُ فِي بَدَايَةِ الفَتْحِ عَلَيْهِ فِي عِلْمِ البَّاطِنِ. لِأَنَّهُ بَعْدَ الفَتْحِ الأَكْبَرِ غَرِقَ فِي عُلُومِ المَعَانِي، وَعَابَ عَنِ الأَوَانِي. كَلَامُ الحُجِّجِ العِمْرَانِيِّ الخَالِدِيِّ عَبْدِ السَّلَامِ.

شرح الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الأجرومية

قال الشيخ الإمام، الحبرُّ الهمام، العارف الرباني، والقطب الصمداني، قذوة السالكين. وثمار الواصلين، بحر العرفان، ومشرق شمس العيان، موضح الطريقة. الجامع بين الشريعة والحقيقة. أبو العباس، سيدي أحمد بن سيدي محمد بن عجيبة الحسيني رضي الله عنه آمين.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْمَثَانِ، الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ، وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَفَضَّلَهُ بِالْعَقْلِ عَلَى سَائِرِ الْأَكْوَانِ، ثُمَّ خَصَّ الْعَرَبَ الْعَرَابَةَ بِالْبَرَاةِ وَالْبَلَاغَةِ، وَفَصَاةَ اللِّسَانِ، فَأَنْزَلَ عَلَى لِسَانِهَا، وَمَحَاوَرَةَ كَلَامِهَا الْقُرْآنَ، فَأَعْجَزَ بِبَلَاغَتِهِ وَبِرَاعَتِهِ الْإِنْسَ وَالْجَانَ، وَأُخْرَسَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ فِرْسَانَ الْبَرَاةِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانَ. نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَوْلَانَا مِنْ سَوَائِبِ الْإِحْسَانِ. وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. شَهَادَةَ أَهْلِ الذُّوقِ وَالْعِيَانِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ قُطْبَ دَائِرَةِ الزَّمَانِ. وَأَفْصَحَ مَنْ نَطَقَ بِالْحَقِّ وَالتَّبَيَّنِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَعِثْرَتِهِ وَأَخْرَابِهِ الَّذِينَ أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِمْ مَنَارَ الْإِسْلَامِ. وَأَشْرَقَ بِهِمْ أَنْوَارَ الْإِيمَانِ، وَشُمُوسَ الْعِرْفَانِ.

وَبَعْدُ: فَأَهْمُ مَا يَغْتَنِي بِهِ الْإِنْسَانَ، بَعْدَ إِصْلَاحِ دِينِهِ بِتَحْقِيقِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، إِصْلَاحُ لِسَانِهِ مِنَ اللَّحْنِ فِي الْكَلَامِ. وَذَلِكَ بِالتَّغْلُغِ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَةِ. إِذْ بِذَلِكَ يَتَقَوَّى عَلَى فَهْمِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ لِلَّذِينَ بِهِمَا قَامَ الدِّينُ. وَاسْتَقَرَّ بَقَاؤُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَلَوْلَا هَذَا الْعِلْمُ الشَّرِيفُ لَدَخَلَ فِي السُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ التَّغْيِيرُ وَالتَّحْرِيفُ، وَلَوْ قَعَّ الْخَلَلُ فِي فَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ الْحَكِيمِ، فَتَعَيَّنَ حِفْظُ هَذَا الْعِلْمِ وَتَحْصِيلُهُ عَلَى كُلِّ عَاقِلٍ لَيِّبٌ. ثُمَّ يَجِبُ عَلَيْهِ بَعْدَ إِصْلَاحِ لِسَانِهِ، إِصْلَاحُ عَقْلِهِ وَجَنَانِهِ بِتَضْفِيفَتِهِ مِنَ الرَّدَائِلِ، وَتَحْلِيلَتِهِ بِأَنْوَاعِ الْقَضَائِلِ لِيَتَأَهَّلَ بِذَلِكَ قَلْبُهُ لِإِشْرَاقِ أَنْوَارِ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ، وَأَسْرَارِ التَّفْرِيدِ فإِصْلَاحُ اللِّسَانِ كِمَالِ دُونَ كِمَالِ، وَإِصْلَاحُهُمَا مَعًا. كِمَالِ الْكِمَالِ. وَلَهُ دَرٌّ سَيَّبُوهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ يَقُولُ:

لِسَانَ فَصِيحٍ مُّغْرَبٍ فِي كَلَامِهِ فَيَأْتِيَتْهُ مِنْ حَسْرَةِ الْعَرَضِ يَسْلَمُ
وَمَا يَنْفَعُ الْإِعْرَابُ إِنْ لَمْ يَكُنْ ثَقَى وَمَا ضَرَّ ذَاتُ ثَقْوَى لِسَانَ مُعْجَمُ

وقال الشيخ الصالح، الفقيه الميموني رضي الله عنه: وأقبح من القبيح، أن يتعلم الإنسان، أو يعلم إصلاح اللسان. ولا يتعلم أو يُعلم إصلاح القلب، الذي هو محلّ الربّ. فالتخو على قسمين، نحو لسان القم، ونحو القلب، ومعرفة نحو القلب عند العقلاء أكد وأنفع من معرفة اللسان بدليل: أننا نجد من لا يُحسن التلقظ بكلام العرب، فيلحن في كلامه، برفع المنصوب، ونصب المرفوع، ويكون في حاله متخلفاً بالكتاب والسنة. وهذا هو الغالب في زماننا هذا. وهذا مذموم عند الله ورَسُولِهِ. ولذلك قال ﷺ، فساق أمتي قراءها. وقال أيضاً: العلم علمان، علم اللسان، فذلك حجة الله على ابن آدم. وعلم القلب، فذلك العلم النافع هـ، وعلم القلب هو اليقين الكبير، ومعرفة الله بنعت العيان؛ وهو هو النحو القلبي؛ وهو فرض عين على كل مسلم، أعني علاج القلب من الأمراض، كحب الدنيا الذي هو رأس الخطايا وهم الرزق، وخوف الخلق وغير ذلك من الأمراض التي تعوق عن معرفة الحق وشهوده. وهذا النحو القلبي؛ تسميه الصوفية المخو بالميم؛ لأنه يمحو من القلب كل ما سوى الله. وهذا العلم هو محط رحالهم، ومجال أفكارهم، قد استغنوا به عن جميع العلوم، قيل للولي الكبير سيدي أحمد بن موسى رضي الله عنه: هل قرأت شيئاً من النحو، فقال: قرأت بيتين من الألفية. قوله: فمالنا إلا اتباع أحمد. وقوله: فما أبيع أفعلاً ودع ما لم يُبَّخ. وقال شيخ شيخنا ومادة طريقنا مولاي العربي رضي الله عنه: ما عرفت من النحو إلا إعراب قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. إن شرط، ويُغْنهم جواب الشرط، والمراد بالغنا الأكبر، فيكون خطاباً للمتوجهين على طريق أهل الإشارة. وأجل ما صُتف في علم النحو للمبتدي، وفتح به على المنتهي: المقدمة الجرومية، المباركة الميمونة. عمّ نفعها المشارق والمغارب، وتلقاها بالقبول كل سالك وطالب، فذل ذلك على خلوص نية مؤلفها وصلاحه. وقد أردت بعون الله أن أضع عليها شرحاً متوسطاً، متوشحاً بِنُكْتِ عجيبة قل أن توجد في غيره من المطولات. وإشارات صوفية غريبة قل أن يغوص عليها من له شأن في علم الأذواق والإشارات.

وَسَمَّيْتُهُ الْفَتْوحَاتِ الْقُدُوسِيَّةِ، فِي شَرْحِ الْمُقَدِّمَةِ الْأَجْرُومِيَّةِ. وكل علم لا ينبغي الشروع فيه، حتى يعلم الخائض فيه حدة وموضوعه وواضعه، واشتماده، وسائر

مبادئه العشرة التي أشار إليها الفقيه العالم، المحرز، سيدي أحمد بن زكريا التلمساني بقوله:

الْحَدُّ وَالْمَوْضُوعُ ثُمَّ الْوَأَضِغُ وَالاسْمُ الْاِسْتِعْدَادُ حَكْمُ الشَّارِعِ
تَضَوُّرُ الْمَسَائِلِ الْفَضِيلَةُ وَنِسْبَةُ فَائِدَةٍ جَلِيلَةُ
حَقٌّ عَلَى طَالِبِ عِلْمٍ أَنْ يُحِطَ بِفَهْمِ ذِي الْعَشْرَةِ مِيْزَهَا يُنِيْطُ

أما حدة. فهو علم مستخرج بالمقاييس، المستنبطة من استقراء كلام العرب، أو علم يعرف به أحوال أواخر الكلام إغراباً وبناءً، وموضوع الكلمات الثلاث، الاسم والفعل والحرف؛ لأنه يُنَحِّثُ عنها. من حيث إعرابها وبنائها، وإفزاها وتركيبها. وواضعه أمير المؤمنين. سيدنا عليّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، بسبب شكوى أبي الأسود الدؤلي لحن بنوه فقال له: يَا أَبَا الْأَسْوَدِ، اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، الكلمة اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أُنبِئُ عن المُسَمَّى. والفعل ما أنبأ عن حركة المُسَمَّى، والحرف مُوَصَّلٌ بينهما. وانحُ على هذا النُحُو، أي انسج على هذا الشُّبُه. ولهذا سُمي علم النحو؛ وهو من إطلاق لفظ المُضَدِّ على المفعول، فالنحو بمعنى المنحُو. كالنَّسِجِ بِمَعْنَى المنسوج. واعلم أن إعراب الكلام كان للعرب سجية لا يقدرُونَ على اللُّحْنِ. فلما ظَهَرَ الإسلامُ، ونكحت الصحابة بنات العجم. اختلطت الألسن، فكادت العربية تتلاشى. فوضع عليّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ علم النُّحُو. وقال الفخر الرازي في كتابه المحرر في علم النحو: رَسَمَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ لأبي الأسود باب إن. وباب الإضافة، وباب الإمالة. ثم صنف أبو الأسود باب العطف، وباب التثنية ثم صَنَّفَ باب التعجب، وباب الإستفهام. وقيل: واضعه أبو الأسود من غير واسطة. وقيل أول من وَضَعَهُ نصر بن عاصم، وقيل عبد الرحمن بن هُرْمُز، والمشهورُ الأول. وتقدم وجه تسميته بالنُّحُو. والمتصف به نُحُوِيٌّ، يجمع على نُحُوِيَّيْنِ. وأما نحاة، فجمع ناح. كقاض وقضاة. واستمداؤه من كلام العرب نظماً ونشراً. وحُكْمُهُ فَرَضُ الكفاية؛ لأنه وسيلة لحفظ العلم ومفتاحه. إلا من تصدَّى لتفسير كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ، فيكون في حقه فَرَضٌ عَيْنٌ لقوله عليه السلام: «مَنْ كَذَّبَ عَلَيَّ مَتَعَمَّداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». والجاهل ملحق بالعامد في كثير من الأحكام. وقال الإمام الرازي في المحصول: اعلم أن معرفة اللُّغَةِ، والنحو والتصريف، فرض كفاية؛ لأن معرفة الأحكام الشرعية واجبة بالإجماع؛ ومعرفة الأحكام دون معرفة أدلتها مستحيل. فلا بد من

معرفة أدلتها، والأدلة راجعة للكتاب والسنة، وهما إردان بلغة العرب. فقد توقف علم الأحكام على الأدلة، ومعرفة الأدلة تتوقف على معرفة اللغة والنحو. وما يتوقف عليه الواجب المطلق، فهو واجب، وقال عز الدين بن عبد السلام: من أنواع الواجبات، الاشتغال بعلم النحو الذي يفهم كلام الله. وكلام رسوله ﷺ. وذلك لأن حفظ الشريعة واجب، ولا يتأتى حفظها إلا بذلك. وما لا يتم الواجب المطلق إلا به، فهو واجب. وتصور مسائله، هي معرفة كون الفاعل مرفوعاً، والمفعول منصوباً، والمضارع معرباً، والماضي والأمر مبنيين.

والضمير لا يعود على ما بعده إلا في مسائل. وقس على هذا من قواعد، وفضيلته: معرفة كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وصونهما من اللحن والتحريف. ونأهيك به شرفاً. وقد قال عليه السلام: «نَصَرَ اللَّهُ أُمَّراً سَمِعَ منا حَدِيثاً فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ عَنَّا كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى لَه مِن سَامِعٍ» رواه الترمذي. ومعنى نَصَرَ: حَسَنَ وَبَهَجَ. وعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: إعراب القرآن أحب إلي من حفظ بعض حروفه. وعن عمر رضي الله عنه: تعلموا العربية، فإنها تزيد في العقل والمروءة. وعن علي رضي الله عنه:

النحو يصلح من لسان الألكن
وإذا كلبت من العلوم أجلها
والمزء تعظمه إذا لم يلحن
فأجلها منها مقيم الألسن
وكان عمر رضي الله عنه: يضرب ولده على اللحن. وعن الحسن البصري رضي الله عنه: من لحن في القرآن، فقد كذب على الله هـ. وقال أبو حيان في قصيدة له بعد كلام:

وقد قصرت أعمارنا وعلومنا
وفي كلها خير ولكن أضلها
يطول علينا حصرها ونكايده
هو النحو فاحذر من جهول يعانده
هما أضل دين الله ذو أنت عابده
به يعرف القرآن والسنة التي
وقال ابن الوردي في أول تحفته:

وبعد فالجاهل بالنحو اختقر
وقال السيوطي في ألفيته:

النحو ما به خير ما به المزء عني
إذ ليس علم عنه حقاً يغتني

وقال آخر:

لو تعلم الطير ما في النحو من أدبٍ لَعَثْتُ وَرَثْتُ عَلَيْهِ بِالمَنَاقِرِ

وقال آخر:

ازكَبَ جَوَادِ النَّحْوِ لِمَا لِيَكُنْ لَكَ عَلَى المَنْطِقِ إِكْبَابُ
تَفَلَسَّفَ ثُمَّ تَقَوَّفَ فَلَيْسَ إِلَّا لِلْعِلْمِ مِنْهُمَا بَابُ

ونسبته من العلوم الجزئية؛ لأنه جزئي لها، وآلة توصل إليها. ولأعلم إلا وهو محتاج إليه كمالاً أو شرطاً كما تقدم. وفائدته، أي غايته: ملكة يحترز بها من الخطأ في النطق: حتى لا يفت يخرج عن القواعد العربية في الغالب. واعلم أن النحو مُركب من علم الإعراب، وعلم التعريف. فهما كالفن الواحد. لا تَتِمُّ إِلَّا بهما. ولذا يجمعان غالباً في الموضوعات، غير أن الكثير يصدرون بالإعراب؛ لأنه هو الأول وَضَعاً كما تَقَدَّمَ عن سيدنا علي كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، ثم وضع علم التصريف، ومنهم من يبدأ بالتعريف؛ لأنَّ مَبْحَثَهُ المُفْرَدُ، وهو قبل المركب. وقد تذكر جملة من التعريف في علم الإعراب، كبناء صيغة المضارع، والأمر، وأبنية المَصَادِرِ. وأسماء الفاعلين والمفعولين. والصفة المشبهة بها. واسم التفضيل، والزَّمان، والمكان، والإصالة، والتكسير والتصغير ونحو ذلك. فإن هَذَا شعبة من علم التصريف. أدرج في علم الإعراب، وذلك؛ لأنَّ علم التصريف على قسمين. قسم يرجع لتغيير الكلمة لمعنى. كبناء الفاعل والمفعول؛ وهو المذكور غالباً في باب الإعراب، وقسم يرجع إلى تغييرها لغير معنى، وهو المذكور في باب التصريف. والكتب الموضوععة لهذا العلم ثلاثة أقسام: مختصرة، ومتوسطة، ومُطَوَّلَةٌ. فالأولى كهذه المقدمة. وجمل المجراد، وقواعد ابن هشام. والثانية كالفية ابن مالك، والسيوطي، ومغنى ابن هشام وأضرابها. والثالثة: ككتاب سيبويه، وتسهيل ابن مالك وأضرابهما. فقد قال أبو حيان: من قرأ التسهيل؛ لم يكن تحت إديم السماء أنحى منه. وقد حلف ألا يقرأ من كتب النحو إلا هُوَ. وها هُنَا اصطلاحات قد يتوقف عليها في علم النحو، مِنْهَا تفسير الشاذ والضعيف والضرورة. فالشاذ من: خالف القياس من غير نظر إلى قلة وجوده، وكثرته والضعيف ما قلَّ وجوده في كلام العرب. والضرورة ما ليس للشاعر عنه مندوحة. وقد يستعملون غالباً، وكثيراً ونادراً وقليلاً ومُطَرِّداً. فالْمُطَرِّدُ: مَا لَا يَتَخَلَّفُ، والغالبُ ما كثر لكن يختلف. والكثير دونه والقليل دونه. والنادر: أقل من القليل،

وَلَا يُقَاسُ إِلَّا عَلَى الْكَثِيرِ وَالْمَطْرُدِ عَلَى الْمَشْهُودِ. وَالشَّاهِدُ: مَا يَذْكَرُ لِتَقْرِيرِ قَاعِدَةِ
 مِنْ كَلَامِ اللَّهِ، أَوْ كَلَامِ رَسُولِهِ، أَوْ كَلَامِ الْعَرَبِ. وَالْمِثَالُ: مَا يَذْكَرُ لِإِبْضَاحِ تِلْكَ
 الْقَاعِدَةِ. وَالْبَصْرِيُّونَ هُمُ النَّحْوِيُّونَ النَّاشِثُونَ بِالْبَصْرَةِ، كَسِيْبِيُّوَيْهِ، وَمَنْ أَخَذَ هُوَ عَنْهُمْ
 كَالْخَلِيلِ، وَيُونُسَ، وَأَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ. وَمَنْ تَبَعَ هَؤُلَاءِ فِي الْمَذْهَبِ، وَإِنْ لَمْ
 يَنْشَأْ بِالْبَصْرَةِ. لَكِنْ أَخَذَ بِمَذْهَبِهِمْ. وَالْكُوفِيُّونَ: هُمُ النَّحْوِيُّونَ النَّاشِثُونَ بِالْكُوفَةِ،
 وَأَشْهَرُهُمُ الْكِسَائِيُّ الْمَقْرِي، وَمَنْ أَخَذَ عَنْهُ كَيْحِيىِ بْنِ زَكْرِيَا. وَخَلْفَ الْأَحْمَرِ،
 وَهَشَامِ الضَّرِيرِ. وَأَبِي إِسْحَاقِ الْبَغْوِيِّ وَأَضْرَابِهِمْ. وَمَنْ تَبَعَ مَذْهَبَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَنْشَأْ
 بِالْكُوفَةِ.

وَاعْلَمْنَا أَنَّ الْعِلْمَ إِنْ كَانَ عَقْلِيًّا أَوْ ذَوْقِيًّا لَمْ يَحْتَاجْ إِلَى نِسْبَةِ قَائِلِهِ. إِذْ بُرْهَانُهُ فِي
 نَفْسِهِ، وَشَاهِدُهُ مَعَهُ. فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ قَائِلِهِ إِلَّا حَيْثُ الْكَمَالُ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ
 نَقْلِيًّا، فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ قَائِلِهِ؛ لِأَنَّهُ مُوَكَّلٌ إِلَى أَمَانَتِهِ، فَمَنْ اعْتَمَدَ فِي نَقْلِهِ عَلَى مَنْ
 لَا يُعْرِفُ حَالَهُ، كَانَ كَالْبَانِيِّ عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ. ثُمَّ مَا تَرَكَ مِنْهُمَا كَالْفَقِيهِ وَالنَّحْوِيِّ،
 فَإِنَّ كِلَيْهِمَا مَنْقُولٌ مَعْقُولٌ، لَكِنْ يَغْلِبُ فِيهِ جَانِبُ النَّقْلِ، فَيَنْبَغِي مَعْرِفَةَ الْقَائِلِ،
 لِتَطْمَئِنَّ النَّفْسَ، فَإِنَّ الْمَوْلِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدِ الصَّنَهَاجِيِّ،
 عَرَفَ بِابْنِ أَجْرُومَ، بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ الْمَمْدُودَةِ، وَضَمِّ الْجِيمِ وَالرَّاءِ الْمَشْدُودَةِ، وَمَعْنَاهُ
 بَلِغَةُ الْبَرْبَرِ، الْفَقِيرُ الصُّوفِي. وَلَعَلِمَهُ فِي لُغَتِهِمُ بِالْقَافِ الْمَعْقُودَةِ، وَوَصَفَهُ بَعْضُ
 الشُّرَاحِ بِالْفَقِيهِ، الْإِمَامُ الصَّالِحُ الْبَرَكَةُ. وَبَعْضُهُمُ بِالْأُسْتَاذِيَّةِ وَالْأُسْتَاذِ بِالذَّالِ
 الْمَعْجَمَةِ، وَهَمْزَةُ مَضْمُومَةٌ، لِفِظَةِ فَارْسِيَّةٍ عَرَبَتْهَا الْعَرَبُ. وَمَعْنَاهُ عِنْدَ الْفَرَسِ الْعَالَمِ
 بِالشَّيْءِ. الْمَاهِرُ فِيهِ، وَالْجَمْعُ أَسَاتِيذُ. وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَالِمًا بِالْقُرْآنِ، مَاهِرًا فِيهَا.
 شَرَحَ حِرْزَ الْأَمَانِيِّ شَرْحًا عَجَبِيًّا، وَتَمَهَّرَ فِي الْعَرَبِيَّةِ، فَكَانَ مُجْتَهِدًا فِيهَا، لَا يَتَّقِي
 بِمَذْهَبِ الْبَصْرِيِّينَ. وَلَا مَذْهَبِ الْكُوفِيِّينَ، بَلْ يَمِيلُ مَعَ الْحَقِّ أَيْنَمَا ظَهَرَ لَهُ. أَخَذَ
 عَنْ أَبِي حَيَّانَ، وَمَغْبِيْرَةَ. وَوُلِدَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَامَ اثْنَيْ وَسَبْعِينَ وَسِتْمِائَةَ، وَفِي هَذِهِ
 الْمِائَةِ تُوْفِيَ جَمَالُ الدِّينِ. ابْنُ مَالِكٍ، صَاحِبُ الْأَلْفِيَّةِ: فَكَانَ يَقُولُ: تُوْفِيَ نَحْوِي،
 وَوُلِدَ نَحْوِي، وَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةَ، فَعَمَّرَهُ إِحْدَى
 وَخَمْسُونَ سَنَةً. رُوِيَ أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِجَّ وَأَلْفَ هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ تَجَاهُ الْكُفْبَةِ،
 وَلِذَلِكَ عَمَّتْ بَرَكَتُهَا. وَلَمْ يَفْتَحْ كِتَابَهُ بِالْحَمْدِ لَهُ، بَلْ اِكْتَفَى بِالْبِسْمَلَةِ أَوَّلًا فَقَالَ:
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَالْبَاءُ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحْذُوفٍ، يَقْدَرُ كُلُّ وَاحِدٍ، مَا جَعَلَتْ
 التَّسْمِيَةَ مَبْدَأً لَهُ. فَيَقْدَرُ هُنَا، أَوْلَفَ، وَيَقْدَرُ مُؤَخَّرًا لِلْإِبْتِدَاءِ بِالْحَضَرِ وَالِإِخْتِصَاصِ،
 وَالْبَاءُ لِلِاسْتِعَانَةِ، أَوْ الْمَصَاحِبَةِ وَالْمَلَابَسَةِ، وَطَوَّلَتْ خَطًّا، عَوْضًا مِنَ الْأَلْفِ

المحذوف. والاسم مشتق من السَّمُو عند البصريين؛ وهو العلو والارتفاع؛ لأنه يَدُلُّ على مسماءٍ ويظهره. وأضله سمو حذف لأمه، وعوض عنها همزة وصل. وعند الكوفيين من الوشم؛ وهو العلامة؛ لأنه علامة على مسماء. حذف فأوه، وعوض عنها همزة وصل فَوَزَنه عند البصريين أفع، وعند الكوفيين اعل. واللُّ عَلَمٌ على الذات الواجبة الوجود، المستحقة للكمالات؛ وهو أعرف المعارف عند الجمهور، وبعده الضمير، وهل هو مترجل أو منقول خلاف. والرَّحْمَنُ والرحيم صفتانِ بنيتا للمبالغة من رَحِمَ بعد نقله إلى فَعَلٍ بالضم لأنَّ الصِّفَةَ المَشْبَهَةَ لا تكون إلا من القاصِر، والجمهور على أنَّ الرَّحْمَنَ أبلَغ من الرحيم؛ لأنَّ كثرة المبتى تدلُّ على كثرة المعنى. واختلف في تعيين معنهما، فقبل الرَّحْمَنُ في الدنيا، والرحيم في الآخرة. ولا شك أن الرحمة في الدنيا أعم؛ لأنها تشمل المؤمن والكافر. وفي الآخرة خاصَّة بالمؤمن. وقيل: الرَّحْمَانُ بجلال التَّعَمُّ، والرحيم بدقائقها. وقيل: الرَّحْمَانُ بنعمة الإيجاد. والرحيم بنعمة الإمداد، وهذا أحسنها، ويجوز فيهما سبع إعرابات جرَّهما ورفعهما ونصبهما. ورفع الثاني ونصبه، مع جر الأول ورفع الأول، ونصب الثاني، وعكسه. ولا يجوز جر الثاني مع رفع الأول أو نصبه. إذ لا يجوز الاتباع بعد القطع على المشهور.

إعلان: علامة الصاد في هذا الكتاب تدل على المصنف. وعلامة الشين تدل على الشارح هـ. ولما كان المقصود من عِلْمِ النَّحْوِ، إصلاح الكلام من اللُّخْنِ، بدأ به فقال رحمه الله. (ص): الكلام هو اللَّفْظُ المركب المفيد بالوضع. (ش). قلت: الكلام عند اللُّغَوِيِّينَ، كل ما يفهم المقصود، كان قولاً أو غيره. وعند النحويين ما أشار إليه المصنف بقوله: هو اللفظ، أي الصُّوْتُ المشتمل على بعض الحروف الهجائية، فاحترز به، مما يفهم المعنى وليس بلفظ كالخط. تقول العرب: الخط أحد اللسانين، والإشارة كقول الشاعر:

حَوَاجِبُنَا تَقْضِي الحَوَائِجَ بَيْنَنَا ونحن صُموت والهوى يتكلم

ولسان الحال كقول الشاعر:

امتلاً الحوض وقال خطني مهلاً رُوْنِدَا قَدْ مَلَأَتْ بَطْنِي

وحديث النَّفس. قال الشاعر:

إن الكلام في الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

والتكليم؛ وهو مصدر كَلَّمَ. كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

قالوا كلامك هنداً وهي مصغية يشفيك قلت صحيح ذاك لو كانا
فأطلقَ الكلامَ على التكليم، الذي هو معنى؛ وهو إيصال الكلام إلى الغير؛
فهذه الأمور كلها تُسمى كلاماً في اللغة لا في اصطلاح النحويين. قال في الكلام،
عوضاً عن المضاف إليه، أي كلام النحويين، وقيل للاستغراق. قال المبرد: الكلام
كله عربيٌّ وعجميٌّ لا يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة: اللفظ والتركيب والإفادة.
ويقوله بالوضع، يخرج غير كلام العرب. والمركب: ما تركب من كلمتين فأكثر،
سواء كان ملفوظاً أو مقدراً كاستقم.

وسواء تركب في اسمين، أو من فعل واسم، أو من فعل واسمين، أو من
فعل وثلاثة أسماء، أو من جملتين. واحترز به من الكلمة الواحدة. إما حقيقة،
ككَمْ وَهَلْ وَبَلْ، أو حكماً كَبَعْلَبَكْ. وامرئ القيس وتأبط شراً علماً. وأسقط هذا
الشرط أي التركيب، كثير من النحويين، استغناء عنه بالمفيد.

تنبيه: لا يشترط في المركب أن يكون من متكلم واحد، فلو اتفق رجلان أن
يقول أحدهما كلمة، والآخر كلمة وحصلت الفائدة للسامع، لكان كلاماً. كما أن
الكاظم لا يشترط اتحاده، في كون الخط خطه، قال ابن مالك، وغيره. والمفيد:
ما أفاد فائدة يحسن سكوت المتكلم عليها، بحيث لا يصير السامع منتظراً لشيء
آخر. واحترز به، مما لا فائدة فيه. لتوقفه على غيره لجملة الشرط دون الجزاء أو
ما هو معلوم عند المخاطب كالسما فوقنا، والأرض تحتنا، والثار حارة، واللّه
ربنا، إذا خاطب به المؤمن. هكذا قال الجمهور. وقال أبو حيان، لا وجه
لاشتراط كون الفائدة جديدة. وإلا لزم في كل ما علم مذكوره ألا يكون كلاماً.
واللازم باطل. قلت: أما الإخبار بمعلوم فلا وجه للنطق به؛ إلا على وجه التبرك
والتلذذ أو الترقى في اليقين، أو التحذير والتبشير في الوعظ. فهذا لا بأس بذكره.
ويسمى كلاماً باعتبار قلبه والله تعالى أعلم. وقوله بالوضع: المراد به الوضع
العربي؛ وهو جعل اللفظ دليلاً على المعنى. احترز به من كلام العجم. وهو كل
ما خالف العربية، كالعبرانية، والسريانية، والشلمية، وغير ذلك. فلا يسمى شيء
من ذلك كلاماً عند النحويين، إذ لا بحث لهم فيه بإعراب ولا بناء. وقيل المراد
بالوضع: القصد. وهو أن يقصد المتكلم إفادة السامع، فاحترز به من كلام النائم،
والسكران. ومحاكاة الطيور، فلا يسمى شيء من ذلك كلاماً. وهذا القيد اعتبره

الجزولي، وابن مالك، وابن عصفور وغيرهم. ورد بأن المفيد يغني عنه. فإن حصلت الفائدة للسامع من هؤلاء، وأيقن بصحة كلامهم، سمي كلاماً في حقه. قال الأزهري، وهذا الخلاف له التفات إلى الخلاف في دلالة الأحكام، هل هي وضعية أو عقلية، والأصح الثاني. فإن من عرف مسمى زيد، وعرف مسمى قائم. وسمع زيد قائم بإعرابه المخصوص فيهم بالضرورة معنى هذا الكلام هـ. يغني أن الخلاف في تفسير الوضع بالوضع العربي، أو بالقصد مبني على الخلاف في دلالة الكلام وعلى المعنى، هل هي وضعية أو عقلية. فإن قلنا دلالة الكلام على المعنى وضعية. فسرنا الوضع بالقصد. وقوله: والأصح الثاني: فيه نظر، بل الأصح. أن دلالة الكلام وضعية؛ لأن العرب، كما وضعت المفردات تدل على الأشخاص، وضعت الجمل تدل على النسب، لكن وضع المفردات بالشخص، بأن وضعت كل مفرد يدل على مسماه. ووضع الجمل بالنوع بأن وضعت بعض الجمل تدل على النسب، بأن تكلمت ببعض الجمل، وسكتت عن الباقي. فقس ما لم تتكلم به على ما تكلمت به. فانظر الشنواني. هذا ما يتعلق بالكلام. وأما الكلم فهو اسم جنس جمعي، أفله ثلاثة. أفاد أم لا. فقولك قام زيد كلام لا كلم. وقولك إن قام زيد كلم لا كلام. وقولك قد قام زيد كلام، وكلم. والكلمة: اسم مفرد كزيد. والقول عام. فيصدق بالكلام والكلم والكلمة. وينفرد بقولك غلام زيد، فبين الكلام والكلم عموم وخصوص من وجه، ويبحث فيه الأزهري بعد اتحاد المادة، فانظره، والله تعالى أعلم.

الإشارة: الكلام عند الأكياس، هو اللفظ المركب من المقال والحال. بأن يكون المتكلم ممن ينهض حاله. ويدل على الله مقاله، المفيد في قول المستمعين. إما علوماً أو أنواراً، أو أسراراً. وفي الحكم: تسبق أنوار الحكماء أقوالهم، فحيث ما سار التنوير، وصل التعبير. فيفيد بمجرد وضعه في القلوب، نهوضاً واشتياقاً إلى الحضرة المقدسة، أو خوفاً زاجراً عن المعصية. والحاصل أن الكلام إذا خرج من القلب، وضع في القلب. فيفيد إما خوفاً مزعجاً، أو شوقاً مقلقاً. وإذا خرج من اللسان، كان حده الآذان. أو تقول: الكلام عند الحكماء هو اللفظ المركب من القول والعمل. فإذا كان الكلام خالياً عن العمل، كان غيره مفيداً في القلوب لكون الحال يكذب المقال؛ لأن المتكلم الواعظ، إذا عمل أولاً. ثم تكلم ووعظ، نفع قوله. وأنهض حاله. وإلا كان ضرباً من حديد بارد، وفي ذلك يقول الشاعر:

يا أيها الرجل المَعْلَمُ غَيْرُهُ هَلْ لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ

تَصِفُ الدَّوَاءَ لذي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَاءِ
وَتَرَكَ تُصْلِحَ بِالرِّشَادِ عَقُولَنَا
إِنْدَا بِنَفْسِكَ فَانْهَاهَا عَن غِيَّهَا
فَهِنَاكَ يُقْبَلُ إِن وَعَظْتَ وَيَقْتَدِي
لَا تُنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ
وَمِنَ الضَّنَاءِ وَجَوَاهُ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
نُضْحَاً وَأَنْتَ مِنَ الرِّشَادِ عَدِيمٌ
فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَتَنْفَعُ التَّغْلِيمُ
عَارَ عَلَيْنِكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

وإن شئت قلت: الكلام الذي يعود بالنفع على صاحبه هو اللفظ المركب من القلب واللسان. المفيد بوضعه في القلب؛ تنويراً أو ترقية وشهوداً؛ وهو الذكر الحقيقي باللسان والقلب. أو بالقلب والروح، أو بالروح والسر؛ وهو دوام الشهود، أو المفيد أجراً جزئياً، وإحساناً جميلاً. وهو ذكر اللسان والقلب. إذا كان بلا شيخ، أو أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر. وما سوى ذلك لغو وهدر، ولهو وتضييع العمر. واشتغال بما لا يغني. قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾. وقال عليه السلام: «من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يغنيه». فالكلام كله عليك لا لك. إلا ذكر الله وما والآه. وفي الحديث: «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَكَتَ فَسَلِمَ، أَوْ تَكَلَّمَ فغَنِمَ». ويرحم الله القائل:

لَوْ يَكُونُ الْكَلَامُ فِي الْقِيَّاسِ
إِذَا لَكَانَ الصَّمْتُ مِنْ عَيْنِ الدَّهَبِ
مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءٍ عِنْدَ النَّاسِ
فَافْهَمَ هَذَاكَ اللَّهُ آدَابَ الطَّلَبِ

وسمعت شيخنا البوزيدي رضي الله عنه يقول: الفقير الصادق، يتكلم بكلمة واحدة، يقضي بها ألف حاجة، والفقير الكاذب، يتكلم بألف كلمة، يقضي بها حاجة واحدة هـ. وقلت في بعض الرسائل لبعض الإخوان بعد كلام: طالب الوصول، لا تجده إلا ذاكراً، أو متفكراً، أو تالياً، أو مُصلياً، أو مذكراً، أو مستمعاً. أوقاته معمورة، وحركاته وسكناته بالإخلاص ملحوظة، إن تكلم فبذكر الله. أو ما يقرب إلى الله، وإن صمت فعن الغيبة في الله يجول في عظمة الله. أو فيما يقربه إلى الله. وإن تحرك فبالله وإلى الله. وإن سكن فمع الله، مستأنساً بالله مشتغلاً بربه، غائباً عن نفسه ليس له عن نفسه إخبار، ولا مع الله قرار. أنسه بالله، ومجالسته مع الله التقوى زاده، والقناعة رفاده. ومن بحر العرفان استمداده. قد استغنى بالله عما سهواه. ورفض وراء ظهره دنياه وهواها، قد اتخذ الله صاحباً.

وتركَّ النَّاسَ جانِباً، وفي الصَّمْتِ عن غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ حِكْمٌ وأسْرَارٌ لا يدوْقها إِلَّا مَنْ استعمله وتخلق به. والله تعالى أعلم: هذا ما يتعلق بكلام الخلق عبارة وإشارة. وأما كَلَامُ الحقِّ تعالى، فهو معنى قائم بذاته، قديم بقديم الذات، مُتَزَّهٌ عن الحروف والأصوات، وعن التركيب والتقديم والتأخير، وسائر أنواع التغيرات المتعلقة تعلق دِلَالَةٌ بما يتعلَّق به العلم من المتعلقة.

ولما كانت المعنى لا تظهر إلا بالحس، خَلَقَ اللهُ حُرُوفاً وَأَصْوَاتاً تدلُّ على ذَلِكَ المَعْنَى، فتارة يخلقها من الجمادات كالشجرة وغيرها مثلاً، وتارة من الحيوانات كالملائكة والآدمي وغيرهما. فكَمَا أَنَّ الذَّاتَ لا تظهر إلا في مظاهر التجليات الخليفة. فالكلام معنى قائم بالذات، وَلَا تقبض المعنى إلا بالحس فأظهر الله حروفاً وَأَصْوَاتاً تدلُّ على معنى كَلَامِهِ تَعَالَى. ولما كانت كل صفة من صفاته تعالى لا تتناهى. كان ما يدل عليها لا يتناهى جنسه ونوعه. فالكلام الذي هو معنى قائم بذاته تعالى؛ لا نِهَائِيَّةٌ لَهُ؛ لأنَّه تابع لِعِلْمِهِ. كَذَلِكَ ما يَدُلُّ عليه، لا يتناهى جنسه ونوعه: «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا». «وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ». وقول المتكلمين: كُلَّمَا دَخَلَ الْوُجُودَ مُتَنَاوِ حَاصِصٍ بالمخلوقات وِصِفَاتِهَا. وأما ذاتُ الحقِّ تَعَالَى وِصْفَاتِهِ فَلَا نِهَائِيَّةَ لَهَا، وَلَا لِمَا يَدُلُّ عَلَيْهَا فَتَجَلِّيَاتُ الذَّاتِ لا تنحصر وَلَا تَتَنَاهَى. وكذلك تجليات الصفات لا تنحصر وَلَا تَتَنَاهَى نوعاً وِجْنَاساً. فالكلام الخلق يتناهى لفظاً ونوعاً، وكَلَامُ الحقِّ لا يتناهى نوعاً، وَإِنْ كَانَ يتناهى لفظاً. فكل كلمة برزت للوجود تتناهى في نفسها؛ لأنها مخلوقة، وَلَا تَتَنَاهَى في نوعِهَا؛ لأنها دالَّةٌ على معنى لا نهاية لَهَا. فإذا انقضت كلمة من جهة لفظها، فلا بد من كلمة أخرى، تدل على المعنى الذي لا نهاية له. وهكذا: لأنَّ الكَلَامَ تابع للعلم، وعلمه تعالى لا نهاية له. فكذلك كَلَامُهُ الدَّالُّ عليه. فالحروف والأصوات مخلوقة حادثة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾. والمعنى قديم بقديم الذات والله تعالى أعلم.

ولما كان كل مركب لا بد له من أجزاء يتركب منها، بَيَّنَّ ذَلِكَ فقال: (ص): وأقسامه ثلاثة: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، (ش). قلت: الضمير يعود على الكلام؛ فهو من تقسيم الشيء إلى أجزائه لا إلى أنواعه، والفرق بينهما أن تقسيم الشيء إلى أنواعه، يصح حمل المقسوم على كل نوع من أنواعه كتقسيم الإعراب

إلى أربعة كما يأتي فيصح أن يقول: الرفع إعراب، والنصب إعراب، والخفض إعراب بخلاف تقسيم الكلام إلى الاسم والفعل والحرف. فلا يصح أن تقول: الاسم كلام، والفعل كلام، والحرف كلام. فهو من تقسيم الشيء إلى أجزائه، أي أجزاء الكلام التي يتركب منها، من حيث مجموعها لا جميعها ثلاثة. والتحقيق أن التقسيم إنما هو الكلمة التي يتركب الكلام منها. فلو قال: وأقسامه الكلمة التي يتركب منها ثلاثة، لكان أحسن؛ لأن الكلام قد يتركب من جزئين فقط. فلا يفي بتمام التقسيم. وحقيقة الاسم: ما دل على معنى في نفسه؛ ولم يتعرض بصيغته للزمان؛ وهو على ثلاثة أقسام، ظاهر، ومضمر، ومُبهم كالموصولات والإشارات. وحقيقة الفعل ما دل على معنى في نفسه، وتعرض بصيغته للزمان؛ وهو ثلاثة: ماضٍ، ومضارع، وأمر، وحقيقة الحرف: ما دل على معنى في غيره فقط؛ وهو ثلاثة: مختص بالأسماء، كحرف الجر، ومختص بالأفعال كالتواصب والجوازم، ومشترك بينهما، كهل وبل وكم. وقولنا في مد الحرف فقط، احتراز من أسماء الشروط وإنها تدل في نفسها وفي غيرها. فهي أسماء لا حروف. وسُمي الاسم اسماً لسُمُوهُ؛ لأنه يدل على شرف مسماه، غالباً، ولأنه يخبر به وعنه. ولذلك استحق التقديم، وسُمي الفِعْل فِعْلاً؛ لأنه يدل على فِعْلٍ صَدَرَ مِنَ الْفَاعِلِ، ولذلك قال سيدنا عليّ كرم الله وجهه، ورضي عنه الاسم ما دل على المسمى. والفعل ما دل على حركة المسمى. وقد لا يدل على فعل كَمَاتَ وَهَلَكَ. فيدل على الاتصاف بالشيء أي اتصف بالموت والهلاك. ومنه عزّ وذو أي اتصف بالعزّ والذل. وسُمي الحرف حرفاً لوقوعه طرفاً من الكلام ليس مقصوداً بالذات، ومن حرف الجبل، أي طرفه. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾. أي طرف من الدّين غير متمكّن منه بل أقل شيء يُزلزله عنه. واختَرَزَ بِقَوْلِهِ، جاء لمعنى من حروف المعاني التي هي جزء الكلمة، كالضاد من ضرب. والعين من عمر. ومن حروف المُعْجَم التي هي أضل مدار اللّغة عربيها وعجميها. وهي ألف، وباء، وتاء إلى آخره فإنها أسماء، والمعنى الذي جاء إليها الحرف هي المعنى في غيره كمين لتبعض الكلام فهي تدل على تبعض غيرها لا نفسها أو ابتداء غاية غيرها، وهكذا. وكذلك إلى تدل على انتهاء غيرها. الواقع بعدها، وكذلك سائر حروف المعاني كإن لتوكيد ما بعدها وليت للتمني وقس على ذلك.

الإشارة: وأقسام الكلام الذي يصل به العبد إلى حضرة مولاه ثلاثة اسم أي ذكر الاسم المفرد؛ وهو الله. قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ أُمَّتَ رَبِّكَ وَبُنْتَ لِيهِ تَبْتِيلاً﴾. أي

انقطع إليه انقطاعاً كلياً ليلاً ونهاراً. فالاسم المفرد هو سلطان الأسماء؛ وهو اسمُ الله الأعظم، فلا يزال المرید يذكره بلسانه، ويستهلُّ به، حتى يمتزج بلحمه ودمه. وتَسْرِي أنواره في كليتيه وجزئياته. فيتحد الذَّكْر والمذكور، فينتقل الذَّكْر إلى القلب، ثم إلى الرُّوح، ثم إلى السُّرِّ، فحينئذٍ يخرس اللسان، ويحصل على محلِّ الشهود والعيان. فيصير ذكْر اللسان ذنباً من الذنوب عند مُشاهدة عَلَامِ الغيوب حَسَنَات الأبرار، سيئات المقربين. وفي ذلك يقول الشاعر:

مَا إِنْ ذَكَرْتِكَ إِلَّا هَمَّ يَلْعَنُنِي سِرِّي وَقَلْبِي وَرُوحِي عِنْدَ ذِكْرِكَ
حَتَّى كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكَ يَهْتِفُ بِي إِيَّاكَ وَيَحْكُ وَالْتِدْكَارِ إِيَّاكَ
أَمَا تَرَى الْحَقَّ قَدْ لَاحَتْ شَوَاهِدُهُ وَوَصَلَ الْكُلُّ مِنْ مَعْنَاهُ مَعْنَاكَ
فَالذُّكْرُ مَنْشُورُ الْوِلَايَةِ، وَلَا بُدَّ مِنْهُ فِي الْبِدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ. وهو باب عظيم للدخول على الله، كما قال الشاعر:

الذُّكْرُ بَابٌ عَظِيمٌ أَنْتَ دَاخِلُهُ فَاجْعَلْ بِمَنْزِلِهِ الْأَنْفَاسَ حُرَّاسَا
والثاني الفِعْلُ: والمراد به مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ فِي حَزَقِ عَوَائِدِهَا، كيف تخرق لك العوائد، وأنت لم تغير من نفسك العوائد. فتخرق كثرة الكلام بالصُّمْتِ، وكثرة الثَّوْمِ بالسُّهْرِ. وكثرة الأكل بشيءٍ من الجوع. وأهمُّ العَوَائِدِ الشَّاقَّةُ عَلَى النَّفْسِ حُبُّ الرِّيَاسَةِ وَالنَّجَاهِ، فيتخرقها بِالذِّلِّ وَالْفَقْرِ، والنزول بها إلى أرض الخُمُولِ. اذقن وجودك في أرض الخُمُولِ، فما نبت ممَّا لم يُدْفَنَ لا يتم نتاجه. والمراد بالخُمُولِ، كل ما يسقط جاهها. ويخط قدرها عند النَّاسِ فقد قالوه: هم كُلُّ ما سقط من عين الخلق، عَظَمَ مني عين الحقِّ. وبالعكس فإذا صار الذِّلُّ والضعفة والخمول عنده أَخْلَى مِنَ الْعِزِّ. فقد ملك نفسه. ومن ملك نفسه، مَلَكَ الْوُجُودَ بِأَسْرِهِ. وَوَصَلَ إِلَى خَضْرَةِ رَبِّهِ. قال بعضهم: انتهى سَيْرُ السَّائِرِينَ بِالظَّفْرِ لِنَفْسِهِمْ. فَإِنْ ظَفِرُوا بِهَا وَصَلُوا.

والثالث: الحرف. والمراد به الهمة والقريحة، وطلب الوصول إلى اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا الْحَرْفُ لَا بُدَّ مِنْهُ فِي الْبِدَايَةِ. فَإِذَا وَصَلَ إِلَى اللَّهِ حَذَقَهُ. قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه. إِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ مِنَ الْحَرْفِ، فَحَرْفُ بَيْنِكَ وَبَيْنَ اللَّهِ، خَيْرٌ مِنَ الْحَرْفِ يَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْخَلْقِ. والمراد بالحرف الطمع في الوصول إلى مرتبة من المراتب. فالحرف الثوراني، هو الطمع في الوصول إلى اللَّهِ أَوْ إِلَى رِضْوَانِهِ أَوْ إِلَى

كرامة من كرامة أوليائه، أو إلى تعينه الدائم. والحرف الظلماني، هو الطمع في الوصول إلى حظ من حظوظ النفس العاجلة، كالرياسة والتعظيم والجاه، وحب الدنيا وغير ذلك من المقاصد الدنيوية، التي يقصدها أهل الهيم الدنيية. والحاصل من الإشارة، أنها ترجع إلى الأقسام الثلاثة التي يقطعها المريد؛ وهي الشريعة، والطريقة، والحقيقة فالشريعة أقواله عليه السلام. والطريقة أفعاله والحقيقة أخواله. قال ﷺ: «الشريعة مقالي والطريقة فعالي والحقيقة حالي» فالشريعة أن تعبده، والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده، فالشريعة جلها أقوال. والطريقة جلها أفعال، أي مجاهدة ومكابدة. والحقيقة جلها أخلاق وأذواق، وإلى هذا ترجع الإشارة بقوله: اسم وفعل وحرف، كما تقدم فالشريعة للعوام، والطريقة للخواص، والحقيقة لخواص الخواص. فالعوام اقتصروا على التمسك بالشريعة الظاهرة. والخواص تمسكوا بالشريعة في الظاهر وزادوا سلوك الطريق إلى الحقيقة بهتذيب النفوس، وتطهير القلوب. وهم السائرون من المريدين. وخواص الخواص: تمسكوا بالشريعة في الظاهر. وبالطريقة في الباطن. فأشرقت عليهم أنوار الحقائق، فتخلقوا بأخلاقه عليه السلام وورثوا حاله ومقاله. فهن الورثة الحقيقيون ورثوا التركة بتمامها، أقواله، وأفعاله، وأخواله، وإلى هذا أشار صاحب المباحث حيث قال:

تَبِعَهُ الْعَالِمُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْعَابِدُ النَّاسِكَ فِي الْأَفْعَالِ
 وَفِيهِمَا الصَّوْفِيُّ فِي السَّبَاقِ لِكِنَّهُ قَدْ زَادَ بِالْأَخْلَاقِ
 وَذَكَرَ الْقَشِيرِيُّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ
 وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ قال الظالم لنفسه: هو المتمسك بأقواله عليه السلام
 والمقتصد، أي المتوسط، المتمسك بأقواله وأفعاله، والسابق بالخيرات المتمسك
 بأخلاقه عليه السلام هـ. أي المتمسك بأخلاقه. بعد التمسك بأقواله وأفعاله والله
 تعالى أعلم، ثم ذكر ما يتميز به كل واحد من هذا الأقسام الثلاثة. فقال (ص):
 فالاسم يعرف بالخفض والتنوين ودخول الألف واللام، وحروف الخفض. (ش)
 قلت الفاء فصيحة جواب عن سؤال مقدر، كأن قائلًا قال: فِيمَاذَا يَعْرِفُ كُلَّ وَاحِدٍ
 مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ فَقَالَ، فَإِلْسِمُ يَعْرِفُ بِالْخَفْضِ؛ لِأَنَّ الْأَفْعَالَ لَا خَفْضَ فِيهَا.
 والحروف كلها مبنية؛ وهو عبارة عن الكسرة التي يحدثها العامل في آخر الكلمة،
 سواء كانت بالحرف، أو بالإضافة، أو بالتبعية. وقد اجتمعت في البسملة، أو
 بالمجاورة كقول الشاعر:

كَأَنَّ أَبَانَا فِي أَفَانِينِ وَدَقِهِ كَبِيرِ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مَزْمَلٍ فَمَزْمَلٌ نَعْتٌ لِكَبِيرٍ خَفْضٌ،
مِجَاوِرَةٌ بِجَادٍ، أَوْ بِالتَّوَهُمِ.

كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

بَدَا لِي أَنِّي لَسْتُ مَدْرِكَهَا مَضَى وَلَا سَابِقَ شَيْئاً إِذَا كَانَ جَائِياً
فسابق عطف على مدرك المنصوب، لكنّه خفض على توهّم دخول بَاء الجبر
في خبر لَيْسَ أَيُّ لَسْتُ يَمْدُرِكُ شَيْئاً لَمْ يَسْبِقْ بِهِ الْقَدْرُ، وَلَا لِأَحَقِّ شَيْئاً سَبَقَ بِهِ
الْقَدْرُ قَبْلَ وَقْفِهِ. وَعَبَّرَ الْمَصْنِفُ بِالْخَفْضِ، وَهُوَ عِبَارَةٌ الْكُوفِيِّينَ، وَعِبَارَةٌ الْبَصْرِيِّينَ
الْجَرِّ؛ وَهُوَ أَفْصَحُ، وَيَعْرِفُ أَيْضاً بِالتَّنْوِينِ؛ وَهُوَ مُضَدَّرٌ تَوْنَتْ الْكَلِمَةُ، أَدْخَلْتُ
عَلَيْهَا نَوْنًا، وَفِي الْإِصْطِلَاحِ: نُونٌ سَاكِنَةٌ زَائِدَةٌ تَلْحَقُ الْآخَرَ، تَثْبِتُ لَفْظًا لَا خَطَأَ،
لِغَيْرِ تَوْكِيدٍ، فَنُونٌ جِنْسٌ وَسَاكِنَةٌ: أَخْرَجَ بِهِ ضَيْفِينَ وَرِعْشِينَ لُغَةً فِي الضَّيْفِ
وَالْمَزْتَعَشِ. وَزَائِدَةٌ: أَخْرَجَ بِهِ نُونٌ لَدُنْ. وَتَلْحَقُ الْآخِرُ: أَخْرَجَ نَحْوَ عَصْفَنَفَرٍ. اسْمٌ
لِلْأَسَدِ، وَلِغَيْرِ تَوْكِيدٍ: أَخْرَجَ كِنَسْفَعًا وَلِيكُونًا، فَإِنَّهَا نُونٌ التَّوْكِيدِ. وَكُتِبَتْ بِالْأَلْفِ
مِرَاعَاةً لِلْوَقْفِ؛ لِأَنَّهَا تَبْدَلُ فِي الْوَقْفِ أَلْفًا. قَالَ فِي الْأَلْفِيَةِ: وَأَبْدَلْنَاهَا بَعْدَ فَتْحِ أَلْفًا.
وَقَفًا كَمَا تَقُولُ فِي قِضْنٍ قِضًا. وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ، تَنْوِينُ التَّمْكِينِ؛ وَهُوَ الَّذِي يَدُلُّ
عَلَى تَمْكِينِ الْاسْمِ فِي بَابِ الْإِسْمِيَّةِ. بَحِيثٌ لَا شِبْهَ فِيهِ لِلْحَرْفِ فَيُنْتَى، وَلَا لِلْفِعْلِ
فَيَمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ، كَزَيْدٍ وَرَجُلٍ وَتَنْوِينُ النِّكَرَةِ، وَهُوَ الَّذِي يَدْخُلُ عَلَى بَعْضِ
الْأَسْمَاءِ الْمَبْنِيَّةِ، فَيَدُلُّ عَلَى تَنْكِيرِ الْكَلِمَةِ أَيُّ شَيْعِهَا إِنْ وُجِدَ وَعَلَى تَعْرِيفِهَا أَيُّ
تَشْخِصِهَا إِنْ قَدِمَ كَسَيِّبِيَّهِ، فَإِنْ تَوْنَتْهُ دَلَّ عَلَى كُلِّ شَخْصٍ اسْمُهُ سَيِّبِيَّهِ، وَإِنْ لَمْ
تَنْوَنْتَهُ دَلَّ عَلَى النَّحْوِيِّ الْمَعْلُومِ إِمَامِ النَّحْوِيِّينَ. وَكَذَلِكَ قُلٌّ: إِنْ تَوْنَتْهُ دَلَّ عَلَى أَيِّ
سُكُوتٍ، كَانَ وَإِنْ لَمْ تَنْوَنْتَهُ دَلَّ عَلَى سُكُوتٍ مَعْلُومٍ، وَكَذَلِكَ آيَةٌ بِمَعْنَى حَدَّثَ، فَإِنْ
تَوْنَتْهُ دَلَّ عَلَى الْأَمْرِ بِأَيِّ حَدِيثٍ، كَانَ. وَفِي الْحَدِيثِ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «آيَةُ يَابْنَ
الْخَطَابِ». أَيُّ حَدَّثَ بِمَا شِئْتَ. وَإِنْ لَمْ تَنْوَنْتَهُ، دَلَّ عَلَى الْأَمْرِ بِحَدِيثٍ مَعْهُودٍ،
وَتَنْوِينُ الْعِيُوضِ؛ وَهُوَ الَّذِي يُعْوِضُ عَنْ حَرْفٍ، كَجَوَارٍ وَعَوَاشٍ. فَأَصْلُهُ جَوَارِي
وَعَوَاشِي مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ، ثُمَّ اسْتَشْقَلَتِ الضَّمَّةُ فَحَذَفَتْ، فَصَارَ جَوَارِي
وَعَوَاشِي، ثُمَّ حَذَفَتْ الْيَاءُ وَعُوِضَ مِنْهَا التَّنْوِينُ، عَلَى الْمَشْهُورِ، أَيُّ عَنْ كَلِمَةٍ
كَتَنْوِينُ كُلِّ وَبَعْضُ عَنِ الْجُمْهُورِ. أَيُّ عَنْ جُمْلَةٍ كَيَوْمُنِيذٍ وَحِينُنِيذٍ، وَسَاعَتُنِيذٍ وَعَامَتُنِيذٍ.
نَحْوُ: «وَيَوْمُنِيذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ» وَأَنْتُمْ حِينُنِيذٍ تَنْظُرُونَ». وَالْأَصْلُ يَوْمٌ إِذَا غَلَبَتِ الرُّومُ
فَارْسًا يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. وَحِينَ إِذَا بَلَغَتِ الرُّوحُ الْحَلْقُومَ. فَعُوِضَ التَّنْوِينُ عَنِ
الْجُمْلَةِ. وَتَنْوِينُ الْمُقَابَلَةِ؛ وَهُوَ الَّذِي يَدْخُلُ عَلَى جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ؛ فَهُوَ فِي

مُقَابِلَةِ الثُّونِ . فِي الْجَمْعِ الْمَذَكَّرِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى تَمَامِ الْكَلِمَةِ . فَإِنَّ التَّنْوِينَ يَدُلُّ عَلَى تَمَامِهَا فِي الْمَفْرَدِ . وَالتَّنْوِينَ فِي الْمَفْرَدِ . وَالتَّنْوِينَ يَدُلُّ عَلَى تَمَامِهَا فِي الْجَمْعِ الْمَذَكَّرِ السَّالِمِ بِدَلِيلِ خَذْفِهَا لِلْإِضَافَةِ ، فَجَعَلَ التَّنْوِينَ يَدُلُّ عَلَى التَّمَامِ فِي جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ فِي مُقَابِلَةِ الثُّونِ فِي الْمَذَكَّرِ . وَيُعْرَفُ أَيْضاً بِدُخُولِ الْأَلِفِ وَاللَّامِ . سِوَاةِ كَانَتْ لِلتَّعْرِيفِ ، أَوْ زَائِدَةً ، كَالْحَارِثِ وَالضَّحَّاكِ ، أَوْ مُوَصُولَةً كَالضَّارِبِ وَالْقَائِمِ عَلَى قَوْلِ الْأَكْثَرِ . وَقِيلَ الْمَوْصُولَةُ غَيْرُ مُخْتَصَّةٍ بِالْأَسْمَاءِ . فَقَدْ تَدَخَّلَ عَلَى الْمَضَارِعِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ التَّرَضَى حُكُومَتُهُ وَلَا الْأَصِيلِ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْجَدَلِ
أَيِ الَّذِي تُرَضَى حُكُومَتُهُ . وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ ضَرُورَةٌ . وَهَلْ أَلِ بُرْمَتَهَا لِلتَّعْرِيفِ ؛ وَهُوَ مَذْهَبُ الْخَلِيلِ ، أَوْ اللَّامُ فَقَطْ ؛ وَهُوَ مَذْهَبُ سَيِّبُونِيهِ ، خِلَافَ . وَيَعْرِفُ أَيْضاً بِحُرُوفِ الْخَفْضِ ، وَيُسَمِّيهَا الْبَصْرِيُّونَ حُرُوفَ الْجَرِّ ؛ لِأَنَّهَا تَجْرُ مَا بَعْدَهَا . نَحْوُ بَزِيدِ وَبِكَ وَمَنْكَ وَإِلَيْكَ وَفِي ذَلِكَ . فَهَذِهِ كُلُّهَا أَسْمَاءٌ ، وَقَدْ تَجْتَمِعُ عَلَى مَتَانٍ فَأَكْثَرَ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ .

الإِشَارَةُ : فَالاسْمُ الَّذِي تَذَكَّرَهُ وَتَسْتَهْلُ بِهِ وَهُوَ اللَّهُ ؛ لِأَنَّ الْاسْمَ هُوَ عَيْنُ الْمُسَمَّى يَعْرِفُ بِالْخَفْضِ ؛ وَهُوَ التَّحْقِيقُ بِالذَّلِّ وَالسُّفْلِيَّاتِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

تَذَلَّلْ لِمَنْ تَهْوَى فَلَيْسَ الْهَوَى سَهْلٌ إِذَا رَضِيَ الْمَحْبُوبُ صَحَّ لَكَ الْوَضَلُ
وَقَالَ آخَرُ :

تَذَلَّلْ لِمَنْ تَهْوَى لِتَكْسِبَ عِزَّةً فَكَمْ عِزَّةً قَدْ نَالَهَا الْمَرْءُ بِالذَّلِّ
إِذَا كَانَ مِنْ تَهْوَى عَزِيزاً وَلَمْ تَكُنْ ذَلِيلًا لَهُ فَاقْرَأِ السَّلَامَ عَلَى الْوَضَلِ

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : اللَّهُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ حَكَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالذَّلِّ حَتَّى عَزُّوا ، وَحَكَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالْفَقْدِ حَتَّى وَجَدُوا . وَالْمُرَادُ بِالذَّلِّ ، هُوَ ذُلُّ النَّفْسِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ . يُظْهِرُ ذَلِكَ بَيْنَ الْأَقْرَانِ ، لَتَمُوتَ بِهِ النَّفْسُ سَرِيعاً فَتَحْيَا الرُّوحَ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَشَهُودِهِ ؛ وَذَلِكَ كَالْمَشْيِ بِالْحَقِّ . وَتَعْرِيةُ الرَّأْسِ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَرَاهَا النَّاسُ ، وَالسُّؤَالُ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَالْحَوَانِيتِ ، فَهَذَا هُوَ الذَّلُّ الَّذِي يَعْقِبُهُ الْعِزُّ بِاللَّهِ . وَتَحْيَا بِهِ الرُّوحُ بِشَهُودِ مَوْلَاهَا . وَيَعْرِفُ بِهِ اللَّهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ ؛ وَهُوَ مَعْرِفَةُ الْعِيَانِ لَا مَعْرِفَةَ الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ . وَيَعْرِفُ اللَّهُ تَعَالَى أَيْضاً بِالتَّنْوِينَ ، إِذَا تَّنَوَّنَ التَّمَكِينُ بِأَنْ يَمَكِّنَهُ اللَّهُ مِنْ صَحْبَةِ شَيْخِ كَامِلٍ عَارِفٍ بِاللَّهِ . ثُمَّ يَمَكِّنُهُ مِنْ

خِدْمَتِهِ وَصَحْبِيَّتِهِ، ثُمَّ يُمْكِنُهُ مِنْ شَهُودِ الْحَقِّ وَمَعْرِفَتِهِ وَإِمَّا تَنْوِينِ التَّنْكِيرِ، بِأَنْ يَتَنَكَّرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ، وَيَفْرُ مِنْهُمْ، حَتَّى يَتَأَنَّسَ بِاللَّهِ، فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ فِي شَأْنِ مَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ تَنَكَّرَ لِمَنْ تَعْرِفُ، وَلَا تَتَعَرَّفُ لِمَنْ لَا تَعْرِفُ. وَفِي الْحِكْمِ: مَهْمَا أَوْحَشَكَ مِنْ خَلْقِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُوَسِّكَ بِهِ. وَقَالَ أَيْضاً: مَا نَفَعَ الْقَلْبَ شَيْءٌ مِثْلَ عُرْزَلَةٍ يَدْخُلُ بِهَا مِيدَانُ فِكْرَةٍ. وَإِمَّا تَنْوِينِ الْعَوَظِ، بِأَنْ يُعَوِّضَ الْغِنَا بِالْفَقْرِ، وَالْعِزَّ بِالذُّلِّ. الْخَلْطَةُ بِالْعُرْزَلَةِ، وَهَكَذَا يُبَدَّلُ الْأَشْيَاءُ الْقَبِيحَةَ بِأَصْدَادِهَا. وَإِمَّا تَنْوِينِ الْمَقَابِلَةِ، فَيُقَابِلُ عِزَّ الرَّبُوبِيَّةِ بِذُلِّ الْعِبُودِيَّةِ. تَحَقُّقُ بِوَصْفِكَ، يَمُدُّكَ بِوَصْفِهِ تَحَقُّقُ بِفَقْرِكَ، يَمُدُّكَ بِغِنَاهُ. تَحَقُّقُ بِضَعْفِكَ، يَمُدُّكَ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ. وَلَنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى:

تَحَقُّقُ بِوَصْفِ الْفَقْرِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ	فَمَا أَسْرَعَ الْغِنَا إِذَا صُحِّحَ الْفَقْرُ
وَإِنْ تُرِدَنَّ تَبْسِطَ الْمَوَاهِبِ عَاجِلاً	فَفِي الْفَاقَةِ رِيحُ الْمَوَاهِبِ يُنَشَّرُ
وَإِنْ تُرِدَنَّ عِزّاً مَنِيعاً مُؤَبِّداً	فَفِي الذُّلِّ يَخْفَى الْعِزُّ بَلْ ثُمَّ يَظْهَرُ
وَإِنْ تُرِدَنَّ رَفْعاً لِقَدْرِكَ عَالِياً	فَفِي وَضْعِكَ النَّفْسِ الدُّنْيَا يَخْضَرُ
وَإِنْ أَرَدْتَ الْعِزَّ فَاغْنِ عَنِ الْوَرَى	وَعَنْ كُلِّ مَطْلُوبٍ سِوَى الْحَقِّ تَظْفُرُ
تَرَى الْحَقَّ فِي الْأَشْيَاءِ حِينَ تَلَطَّفْتَ	فَفِي كُلِّ مَوْجُودٍ حَبِيبِي ظَاهِرُ

وَيُقَابِلُ أَيْضاً الْأَوْصَافَ الْمَذْمُومَةَ، بِالْأَوْصَافِ الْمَحْمُودَةَ، كَالْبُخْلِ بِالسَّخَاةِ، وَالتَّكْبَرِ بِالتَّوَاضِعِ، وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ بِسَلَامَةِ الصُّدْرِ. وَالقَلْقُ وَالْجِدَّةُ بِالرِّزَانَةِ وَالتَّأَنِّي. وَهَكَذَا يُقَابِلُ الْمَسَاوِي بِالْمَحَاسِنِ، وَيُقَابِلُ الدَّاءَ بِالدَّوَاءِ. وَيَعْرِفُ أَيْضاً بِدُخُولِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ؛ وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى دُخُولِهِ الْحَضْرَةَ الْمَقْدَّمَةَ، فَإِنَّهَا مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْعَارِفِينَ، وَمَعْرِفَتُهَا بِتَعْرِيفِ اللَّهِ إِيَّاهَا عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ وَخُلَفَائِهِمْ؛ وَهِيَ مَحَلُّ الْمَشَاهِدَةِ وَالْمَكَالِمَةِ، وَالْمُوَاجَهَةِ وَالْمُكَافَحَةِ. وَدُخُولُهَا يَكُونُ بِتَحْقِيقِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْعَلَامَاتِ الْمَتَقَدِّمَةِ. وَيُعْرَفُ اللَّهُ تَعَالَى أَيْضاً الَّذِي هُوَ سَمَّى الْأَسْمَاءَ بِحُرُوفِ الْخَفْضِ، أَي بِأَسْبَابِ الْخَفْضِ؛ وَهِيَ كُلُّ مَا يَخْفِضُ النَّفْسَ وَيَنْزِلُ بِهَا إِلَى أَرْضِ التَّوَاضِعِ وَالسُّفْلِيَّاتِ كَمَا تَقَدَّمَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ بَيَّنَّ حُرُوفَ الْخَفْضِ فَقَالَ: (ص): وَهِيَ مِنْ: (ش) مَبْنِيَّةٌ عَلَى السُّكُونِ، إِلَّا إِنْ وَلِيَهَا سَاكِنٌ كَالْأَلْفِ وَاللَّامِ، فَتُفْتَحُ عَلَى خِلَافِ أَضْلُ التَّقَاءِ السَّاكِنِينَ. قَالَ الْجَرِيرِيُّ إِنَّمَا ذَلِكَ لِكُسْرَةِ الْمِيمِ، فَكْرَهُوا التَّقَاءَ كَسْرَتَيْنِ. قُلْتُ: يَرِدُ بِمَا إِذَا كَانَ السَّاكِنُ غَيْرَ الْأَلْفِ وَاللَّامِ. فَإِنَّهُمْ يَكْسِرُونَهُ نَحْوَ فَفَرَّتْ مِنْ اعْتِدَاءِ زَيْدٍ وَإِنَّمَا فَتَحَ مَعَ الِ التَّحْقِيقِ. وَبَقِيَ عَلَى أَضْلِهِ فِي

غير ال . وقال الكِسائي والفرّاء . أضلها مئاً ، فخففت بحذف الألف وتسكين الثون ، كثرة الاستعمال هـ . فإذا وليها ال رجعت إلى أصلها من فتح الثون ولها معان ، أشهر ابتغاء الغاية ، أي ابتداء شيء له غاية في المكان كثير ، وفي الزمان قليل ، فمن الأول . «من المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَا» «مِنْ تَرَابِ ثَمَ مِنْ نَطْفَةِ» . من محمد رسول الله إلى هرقل . ومن الثاني : «مِنْ أَوَّلِ يَوْمِ أَحَقَّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ» . مُطْرِنَا مِنْ الجُمُعَةِ إِلَى الجُمُعَةِ . وللتبويض ؛ وهي التي يصح موضعها بعض . نحو : «مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّهُ» . «لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ» . وللبيان : أي لبيان الجنس ، وكثيراً ما تقع بعدما ، ومهما ، لكثرة إنباهما ، كقوله تعالى : ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾ «مَا يَفْتَحُ اللّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ» «مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ» . ومن غيرهما . «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ» . «يَلْبَسُونَ ثِيَاباً خَضِراً مِنْ سُندُسٍ» . وتزاد للتصنيف على العموم ، مسبوقه بنفي أو نهي أو استفهام بهل . نحو : «مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ» ونحو : لا تضرب من أحد . «هَلْ تُجِيسُ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ» . زاد في المعنى : أن يكون المزيد فيه فاعلاً أو مفعولاً أو مبتدأ ، بخلاف الخبر ، أو الحال أو التمييز المنفيين . ولها معانٍ غير هذا تركنا ذكرها خوف الإطالة ، وهي أقوى حروف الجر . ولذلك اختصت بالدخول على عند ولدن من ظروف المكان . (ص) : وإلى (ش) لانتهاه الغاية في الزمان والمكان . نحو : «إلى المسجد الأقصى» . «ثم أتموا الصيام إلى الليل» . وتكون بمعنى في ، وبمعنى اللأم ، وبمعنى من . كما في التسهيل . (ص) : وَعَنْ (ش) : للتجاوز . نحو : رميت السهم عن القوس . وبمعنى على نحو : «وَمَنْ يَخْلُ فَإِنَّمَا يَخْلُ عَنْ نَفْسِهِ» أي على نفسه . وقد تجيء بمعنى بعد . كقوله تعالى : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبِقٍ﴾ . أي حالاً بعد حال . (ص) : وَعَلَى (ش) ، للاستغلاء حساً . نحو : «وعليها وعلى الفلک تخملون» . أو معنى نحو . «أولائك على هدى من ربهم» أي راكبين على متن الهداية . مُتَمَكِّنِينَ مِنْهَا . وبمعنى في ، نحو : «على ملك سليمان» . (ص) : وَفِي (ش) : للظرفية ، مكانية أو زمانية . نحو : «عَلَيْتِ الرُّوحُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ» . «فصيام ثلاثة أيام في الحج» ، أي في زمانه . والسببية ، نحو : «لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفْضَيْتُمْ» . أي بسبب ما أفضتكم فيه من حديث الإفك . (ص) : وَرُبَّ (ش) : للتقليل دائماً عند الأكثر ، أو للتكثير دائماً عند الغرض ، أو للتقليل غالباً ، والتكثير قليلاً . وقيل : لم توضع ليوحد منهما ، وإنما يفهم ذلك من خارج ، واختاره أبو حيان . وقيل : وضعت لهما معاً من غير غلبة . وقال الأعلام ، وإن السيد بكسر السين للتكثير في موضع الافتيحار ، وللتقليل فيما عداه . وهل يجب

نُعت مجرورها قولان. قال في التسهيل: لا يلزم وصف مجرورها، خلافاً للمبَرّد
 ومَن وافقهُ. وَلَا مَضِيّ ما تتعلق به، بل يلزم تصديرها، وتنكير مجرورها. فإن
 دَخَلَتْ عَلَيْهَا مَا دَخَلَ عَلَى الْجُمْلِ، وزال اختصاصها بالأسماء. نحو: «رُبَّمَا يَوَدُّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا». وتخفيف المبالغة فيها. وقد تدخل عليها تاء التأنيث في اللغتين
 معاً. (ص) وَالْبَاءُ (ش): للإلصاق، نحو أَمْسَكَتْ بَزِيدٍ. ومنه: «وَأَمْسَحُوا
 بِرُؤُوسِكُمْ» عند مالك، وللتبويض عند الشافعي. وتكون للاستعانة، نحو: كَتَبْتُ
 بِالْقَلَمِ. والمصاحبة كالبسملة، وللتغذية، نحو مَرَزْتُ بَزِيدٍ، إذا كَانَ الفِعْلُ قَاصِراً
 عُدِّي بِهَا. وللعوض «ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون». أي عَوَضَ ما كنتم تعملون؛
 لأنَّ الَّذِي يُعْطِي بِعَوَضٍ، قد يُعْطِي مَجَاناً، أي بِلَا عَوَضٍ، بخلاف الَّذِي يُعْطِي
 بِسَبَبٍ. فلا بُدَّ من وُجُودِ سَبَبِهِ. فليست الباء حينئذٍ سَبَبِيَّةً. لقوله عليه السلام: «لَنْ
 يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ». فينتفي التعارف بين الآية والحديث. ويُجاب أيضاً بأنَّ
 الآية شرعت، والحديث حقق. فالجمعُ بينهما لازم. (ص) والكاف (ش) للتشبيه.
 نحو: «وَرَزَدَ كَالدَّهَانِ». وللتعليل: «وَأَذْكُرُهُ كَمَا هَذَاكُمْ». ومنه قول القطب ابن
 مشيش في تعليته المشهورة: كما هُوَ أَهْلُهُ. وللمبادَرة، كقول صاحب الرسالة:
 وَلِيْرِقَ الْمِنْبَرِ كَمَا يَدْخُلُ. وقد تزداد نحو: «ليس كمثلته شيء». (ص) واللّامُ. (ش)
 للاستحقاق: الحمد لله. وللملك: «الله ما في السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ». وللتَّمْلِكِ
 نحو: وهبْتُ لَزَيْدٍ مَالاً، وشبه التملك، نحو: «جعل لكم الأرض مهاداً» وللتعليل؛
 نحو: «لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ». أي فليعبُدُوا لِأَجْلِ إِيْلَافِهِمُ الرَّحْلَيْنِ؛ وهي مَكْسُورَةٌ. إِلاَّ
 إِنْ دَخَلَتْ عَى الْمُضْمَرِ فَتُفْتَحُ، بخلاف الباء، مكسورة مطلقاً. وزوي فتحتها مع
 الظاهر فيقال يزيد. قال السوداني: (ص) وحروف القَسَمِ (ش) يصح أن يقرأ بالرفع
 عطفاً على من، وبالحذف عطفاً على بالحفْضِ، بناء على أَنَّ العَاطِفَ إِذَا تَعَدَّدَتْ
 هل تعطف على الأول أو كل واحد على ما يليه؛ قولان أو خلاف. والقسم: اسم
 مصدر أقسَمَ؛ وهو الحلف، وهو في عِزِّ الفقهاء: تحقيق، ما لم يجب بذكر
 اللّهِ، أو صفته. (ص) وهي الواو (ش)، وتختص بالظَّاهِرِ نحو: «وَاللّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا
 مُشْرِكِينَ». «وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى». ويجب مَعَهَا إِضْمَارُ فِعْلِ الْقَسَمِ، فلا
 يظهر أبداً. وهل هذه الواو هي العاطفة، كواو رَبِّ عَطَفْتُ عَلَى مَقْدَرٍ، قاله البيهقي
 وغيره. أو بدل من الباء والتاء بدل منها، وبه جَزَمَ الزَّمخشرى وابن مالك
 وغيرهما، قولان، والأصح الثاني. (ص) والتاء، (ش) وتختص باللّهِ، نحو تَأَلَّه
 لقد أرسلنا، فلا تجزّ غيره ظاهراً ولا مضمراً، وسمع تالرحمان وتربّ الكعبة

وتحياتك . وتقدم أنها بَدَلٌ من الباءِ . وقال قطرب هي حرف مستقل للقَسْمِ اكتفاءً بِذِكْرِهَا ، في حروف الجرِّ؛ لِأَنَّ القَسْمَ معنَى من معاني الباءِ . والقسم في الباءِ أَصْلِي ، ولذلك جاز إِظهار فِعْلِ القَسْمِ ، أَي يرفع على المبتدأ ، نحو قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقْوَلُ ﴾ قريء بالوجهين معاً في الأول . والله تعالى أَعْلَمُ . وبقي من عَلامات الاسم النَّدَاءُ . والإسناد إليه ، نحو : يا زَيْدُ ، وقمت ، وعلمت ، فالتاء اسمٌ ، لِأَنَّكَ أسنَدتَ إليها القِيَامَ والعِلْمَ ، فالاسم يُسَنَدُ ويُسَنَدُ إليه ، بخلاف الفِعْلِ ، فَإِنَّهُ يُسَنَدُ وَلَا يُسَنَدُ إليه . وبالله التوفيق .

الإشارة : فَمِنْ : إشارة إلى ابتداء السَّيْرِ ، وإلى إشارة إلى انتهائه ، فَلِلْمُرِيدِ بداية ؛ وهي المجاهدة ، ونهاية ، وهي المشاهدة . فَمَنْ أَشْرَقَتْ بِدَآئِئُهُ ، أَشْرَقَتْ نَهَايَتُهُ . فإِشْرَاقُ البِدَايَةِ . هي القريحة الوَقَّادَةُ ، والكَدُّ والجدُّ في مجاهدة النَّفْسِ ، وعمارة الأوقات ، وإشراق النهاية : هي دَوَامُ شهود الحقِّ ، والعكوف في حضرة القدس ، ومحل الأنس . والنَّاسُ ثلاثة أقسام : قَوْمٌ قَتَعُوا بمقام الإيمان ، ولم تُرْفَعْ هِمَّتُهُمْ إلى طلب العيان . فَهَؤُلَاءِ لَا سَيْرَ لَهُمْ فَهَمٌّ من عَوَامِ المسلمين . وقوم تعلقت هِمَّتُهُم بالوصول ، واستعملوا شيئاً من عبادة الظَّاهِرِ ، لكن لَمْ يظفروا بشيخ التزبية ، ولم يَقْدروا على صحبتهِ ، ولم تسمح نفوسهم بالتجريد وخرق العوائد ، فهؤلاء صالحون أبرار ؛ وهو أيضاً من عامة أهل اليمين . سواء كانوا من العبادِ ، أو الزُّهادِ ، أو العلماء الأجداد ؛ لأنهم ، حيث لم يخرقوا عوائد أنفسهم لَمْ يتحقق سَيْرُهُمْ ، فَلَوْلَا مَيَادِينُ النَّفْسِ ، ما تحقق سَيْرُ السَّائِرِينَ ، كيف تخرق لك العوائد . وَأَنْتَ لم تخرق من نفسك العوائد ، وقوم ارتفعت هِمَّتُهُم إلى الوصول وظفروا بشيخ التربية ، وقوَّاهم الله على صُحْبَتِهِ وخدمتهِ . وتجرَّدوا من عوائدهم ، فَأَشْرَقَتْ بِدَآئِئِهِم بالمجاهدة والمكابدة . وَأَشْرَقَتْ نَهَايَتُهُم بِدَوَامِ المشاهدة . فهؤلاء خاصَّةُ الخاصَّةِ ؛ وهم المقرَّبُونَ السابقُونَ جعلنا الله من خواصِّهم ، بمنه وكرمه . وعن تشير إلى المجاورة عن العلائق والشواغل . إِذْ لَا يَصِحُّ السَّيْرُ مع العلائق والشواغل . وكان شيخنا البوزيذي رضي الله عنه يقول : إن شئتم أن تُقسِمَ لَكُمْ : لَا يَدْخُلُ عالم الملكوت وفي قلبه علقه . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدًا كَمَا خَلَقْتَكُمْ ﴾ أي فرادى من علائق القلب وشواغله وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ ، أي يتيماً من السَّوَى فَأَوَاكَ إِلَى حَضْرَتِهِ . وقال الشاعر :

فَارَ مَنْ خَلَّ الشواغل ولمَّوَلَاهُ توجه . وَعَلَى : إشارة على الاستغلاء على

النفس بالقهر والغلبة. وعلى السَّيْرِ بالنَّضْر والزعاية. وعلى الهداية بالتمكين والعناية. «أولئك على هدى من رَبِّهِمْ. وأولئك هم المفلحون». وفي، إشارة إلى دخول الحضرة والتمكن فيه، تمكَّن المظروف في الظرف، فتصير مأواه. ومعشش قلبه فيها سَكَن، وإليها يأوي، أو تشير إلى الذَّهاب في الله، بعد الذَّهاب إليه قال تعالى حاكياً عن خليله عليه السلام: «وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهِدِينَ»، إلى الذَّهاب فيه، بعد الذَّهاب إِلَيْهِ؛ وهو الغرق في بَحْرِ الأَحْدِيَةِ. فالذَّهاب إليه حال السَّائِرِينَ، والذَّهاب فيه حال الواصلِينَ، وَرُبَّ إشارة إِلَى قِلَّةِ وَجُودِ أَهْلِ الْخِصْوصِيَّةِ. قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾. فَهُمُ إِكْسِيرُ الْوَجُودِ. مَنْ ظَفِرَ بِهِمْ ظَفِرَ بِالْغِنَا الْأَكْبَرِ وَالسَّرِ الْأَبْهَرِ، أَوْ إِلَى كَثْرَتِهِمْ لَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ الْعِنَايَةُ، وَحَسَنَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ وَبِعِبَادِهِ. وَالبَاءُ إشارة إِلَى اسْتِعَانَتِهِمْ بِاللَّهِ فِي سَيْرِهِمْ. وَظَفَرَهُمْ بِاللَّهِ فِي وَصُولِهِمْ، فَمَنْ كَانَتْ بِاللَّهِ بَدَايَتُهُ. كَانَتْ إِلَيْهِ نَهَايَتُهُ. فَهُمُ مَبْرُؤُونَ مِنْ حَوْلِهِمْ وَقَوْتِهِمْ. فِي سَيْرِهِمْ وَوُصُولِهِمْ أَوْ إشارة إِلَى مُصَاحَبَتِهِمْ لَهِ فِي غَيْبَتِهِمْ وَحُضُورِهِمْ، وَفِي جَمِيعِ شُؤْنِهِمْ. قَدْ اتَّخَذُوا اللَّهَ صَاحِبًا. وَتَرَكُوا النَّاسَ جَانِبًا. «فَلَمَّا اعْتَرَزْلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ اسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ». فَالْإِغْتِزَالُ عَنِ الْخَلْقِ سَبَبٌ فِي مَوَازِينِ الْحَقِّ. أَوْ إِلَى مُصَاحَبَتِهِمْ، لَمْ يَدُلْ عَلَى اللَّهِ بِمَقَالِهِ، وَبِنَهْضِ إِلَيْهِ بِحَالِهِ. فَالصَّحْبَةُ عِنْدَ هَؤُلَاءِ رُكْنٌ كَبِيرٌ مِنْ أَرْكَانِ التَّصَوُّفِ، يُدْرِكُ بِهَا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، مَا لَا يُدْرِكُ فِي سِنِينَ بِالْمَجَاهِدَةِ وَالْمَكَابِدَةِ. وَجَرَّبَ، فَإِنَّ التَّجْرِبَ عِلْمَ الْحَقَائِقِ. وَالْكَافُ تَشِيرُ إِلَى التَّشْبِيهِ بِالْقَوْمِ، فِي رَبِّهِمْ وَسَيْرِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ. فَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ بِشَرْطِ الْعَمَلِ وَالْإِخْلَاصِ، وَالتَّجْرِيدِ مِنَ الْعَلَائِقِ، حَتَّى تَشْرُقَ عَلَيْهِ أَنْوَارُ الْحَقَائِقِ، وَيَمْلِكُ الْوَجُودَ بِأَسْرِهِ مِنْ عَرْشِهِ إِلَى فَرْشِهِ. يَتَصَرَّفُ فِيهِ بِهَيْمَتِهِ. وَيُدَوِّرُهُ فِي لَمِحَةٍ بِفِكْرِهِ. وَيُقَالُ لَهُ حَيْثُودٌ:

لَكَ الدَّهْرُ طَوْعٌ وَالْأَنَامُ عَبِيدٌ فِعِشْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكَ عَيْدٌ

وحروف القسم، إشارة إلى كَوْنِهِمْ: لَوْ أَقْسَمُوا عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُمْ فِي قَسْمِهِمْ. وَهَذَا مَقَامُ الْمُحْبِوبِينَ، جَعَلْنَا اللَّهَ مِنْ خَوَاصِّهِمْ بِمَنْهُ وَكَرَمِهِ. ثُمَّ ذَكَرَ عَلَامَةَ الْفِعْلِ فَقَالَ: (ص). وَالْفِعْلُ يَعْرِفُ بِقَدِّ وَالسَّيْنِ وَسَوْفَ وَتَاءِ التَّائِيثِ السَّائِكَةِ. (ش): يَعْنِي أَنَّ الْفِعْلَ يَتَمَيَّزُ عَنِ صَاحِبِيهِ بِقَدِّ. فَهِيَ مَخْتَصَّةٌ بِالْفِعْلِ الْمُتَصَرِّفِ الْخَبْرِيِّ الْمَثْبُوتِ الْمَجْرُودِ مِنْ نَاصِبٍ وَجَازِمٍ. فَلَا تَدْخُلُ عَلَى الْجَامِدِ، كَعَسَى وَلَيْسَ، وَلَا عَلَى الْإِنشَائِيِّ كَبِعْتَ وَأَنْكَحْتَ، وَلَا عَلَى الْمَنْفِيِّ، وَلَا عَلَى الْمُقْتَرَنِ بِنَاصِبٍ أَوْ جَازِمٍ.

ومعناها: التوقع في المضارع، نحو قد يقدم الغائب إذا كان ينتظر وقوعه، وتقريب الماضي والحال، تقول: قام، فتحتمل الماضي والقريب والبعيد. فإذا قلت: قد قام، اختصَّ بالقريب، والمشهور من أحوالها. أنها تفيد التحقيق مع الماضي، والتقليل مع المضارع. إلا في كتاب الله؛ فإنها تفيد التحقيق فيهما، ولا تفيد التقليل في كتاب الله إلا بتأويل. وقد تفيد التكثير، نحو: «قد نرى تقلب وجهك في السماء». وقد تدخل على الجملة الاسمية، كقول المشتري:

لقد أنا شيء عجيب لمن رأني أنا المحبِّ والحبيب لشراً مأم ثاني
ويحمله أن يحمل على حذف الفعل، أي لقد علمت أنني أنا شيء عجيب، وقد تكون اسماً بمعنى حسب، فتضاف إلى الاسم نحو: قد زيد دزهم. والسين وسوف؛ وهما مختصان بالمضارع فالسين التنفيس، وسوف للتشويق، وهو أوسع زماناً من التنفيس، هذا مذهب البصريين، وقال الكوفيون زمانهما واحد. ويؤيده تعاقبهما على معنى واحد. قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وفي سوف لغات سو وسني. وسف. وتاء التانيث الساكنة؛ وهي مختصة بالفعل الماضي، واحترز بالساكنة من المتحركة، فإنها مختصة بالاسماء كرحمة ونعمة، ومن المتحركة بحركة البناء كلات وربت وتمت، فإنها تلحق الحروف، وبهذه العلامة استدل على فعلية ليس، وعسى، وبيس ونعم. لقولهم: نعمت وبيست وليست وعست، خلافاً لمن زعم اسميه نعم وبيس، وهم الكوفيون. وبحرفية عسى. وهو ثعلب. وحرفية ليس وهو الفارسي، وبقي من علامة الفعل تاء الفاعل نحو قمت، وباء المخاطبة كقولي. ونون التوكيد كاضر بن والله تعالى أعلم.

الإشارة: والفعل الذي يتصل به إلى الله تعالى، ويحصل به الوصول إلى حضرة القدس، يعرف بقدر التي تفيد الجزم والتصميم؛ وهو العزم على البر والتقوى، والجزم بدوام السير حتى يصل أو يموت فهذا يحصل للمريد الوصول. فقد قالوا في شروط الفقير، هي حسن الخدمة، وحفظ الحرمة، وتعظيم النعمة، ونفوذ العزيمة هو تصميم العزم على السير إلى الوصول فإذا كل أو ضعف جدد العزم حتى يصل. وفي ذلك يقول القائل:

قد جدوا في السير حتى ملَّ أكثرهم وعائق المجد من وفي ومن صبر

فإذا خاف على نفسه المَلَل والرجوع، نَفَس لها شيئاً مآ، بتزك المجاهدة. وسوف لها بالرَّاحَة والبشارة بالوصول وإليه الإشارة بقوله: والسين وسوف. ويحتمل أن يكون على حذف مُضَافٍ، أي يُعرف بتركِ السِّين وسوف، أي بتركِ التسويف، فيكون إشارة إلى المبادرة، وانتهاز الفرصة قَبْلَ فواتِ الوقتِ، وإليه أشار ابن الفارض بقوله:

وَجَدَ بِسَيْفِ الْعِزْمِ سَوْفَ فَإِنْ تَجَدَّ تَجَدَّ نَفْسًا فَالْنَفْسُ إِنْ جُدَّتْ جُدَّتْ
وكذا يُقال في قوله: وتاء التأنيث، أي وترك صحبة التأنيث، فإنَّ صحبةَ
النِّسَاءِ من أعظم القواطع للمريد. قال عليه السلام: «ما تَرَكْتُ بَعْدِي أَصْرَ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ
النِّسَاءِ» وقد حَذَّر كثير من الصوفية الفقير من التزوُّج، قبل الوصول، إلا إن كان في
صحبة الشيخ، ملتصقاً به، وقد أذن له في التزوج، فقد لا يضره، والله تعالى
أَعْلَمُ. ثم ذكر علامة الحذف فقال: (ص): وَالْحَرْفُ مَا لَا يَضْلِحُ مَعَهُ دَلِيلُ الْاسْمِ
وَلَا دَلِيلُ الْفِعْلِ، (ش) يَعْنِي أَنَّ الْحَرْفَ هُوَ الَّذِي لَا يَقْبَلُ شَيْئاً مِنْ عِلَامَاتِ
الْأَسْمَاءِ، وَلَا مِنْ عِلَامَاتِ الْأَفْعَالِ، كَهَلْ، وَقَدْ. فلا تقبل علامات الأسماء، وَلَا
عِلَامَاتِ الْأَفْعَالِ. فلا تقول: الْهَلْ، وَلَا الْقَدْ، وَلَا شَيْئاً مِنْ حُرُوفِ الْجَرِّ، وَلَا
السِّينِ وَلَا سَوْفَ، وَلَا تاء التأنيث. فَعِلَامَةُ الْحَرْفِ هُوَ تَرْكُ الْعِلَامَةِ، فمثاله كَحَرْفِ
الجيم والحاء والخاء، فالجيم يعرف بالنقطة من تحت. والحاء بالنقطة من فوق.
والحاء بالإهمال، وإليه أشار بعضهم بقوله:

وَالْحَرْفُ مَا لَيْسَتْ لَهُ عِلَامَةٌ تَرَكَ الْعِلَامَاتِ لَهُ عِلَامَةٌ
الإشارة: والحذف. أي وذو الحرف الظلماني؛ وهو الذي يعبد الله على
حَرْفٍ أَي طَرَفٍ مِنَ الدِّينِ وَطَمَعٍ، فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَأَنَّ بِهِ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ
عَلَى وَجْهِهِ، لَا يَضْلِحُ لِلسَّيْرِ بِالذِّكْرِ وَلَا بِالْعَمَلِ. وهو الذي دَخَلَ فِي طَرِيقِ الْقَوْمِ
طَمَعاً فِي رِيَاةٍ أَوْ عِزٍّ أَوْ جَاهٍ أَوْ مَالٍ. فَلَا يَأْتِي مِنْهُ شَيْءٌ. حَسِيرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،
ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ. والعياذ بالله.

الإعراب في اللغة هو البيان، يقال: أَعْرَبَ الرَّجُلُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ، أَي بَيَّنَّهُ.
وفي الحديث: «الْبِكْرُ تُسْتَأْمَرُ، وَالثَّيْبُ تَعْرَبُ عَنْ نَفْسِهَا» أَي تَبَيَّنُ. وفي الاصطلاح
على أنه لَفْظِي. ما جيء به لبيان مقتضى الغايل، من حَرَكَةٍ أَوْ حَرْفٍ أَوْ سُكُونٍ أَوْ
حَذْفٍ؛ وهو مذهب البصريين، وعلى أن مَعْنَوِي، ما قاله المصنف. (ص): تَغْيِيرُ
أَوْ آخِرِ الْكَلِمِ لِاخْتِلَافِ الْعَوَامِلِ الدَّاخِلَةِ عَلَيْهَا. (ش) فاخترز بالأواخر، من تغيير
الْوَسْطِ، كما في التَّصْغِيرِ، كزَيْدٌ وَزَيْدٌ. والتكسير، كدرهم ودرَاهِمُ، والمراد

بالآخر حقيقة أو حكماً، كَيَدٍ وَدَمٍ. فأصله يدي وَدَمِي، فحذفت لأمه، بدليل رده في الثنية والجمع، فقالوا: يديان، ودميان، واحترز باختلاف العوامل، من التغيير الذي يكون بلا اختلاف الْعَامِلِ كاختلاف اللغات في كلمة واجدة نحو: حَيْثُ ففِيهَا ثلاث لغات. الضَّمُّ وهو المشهور، والفتح والكسْر. وكحركة الثقل فَيَمَنْ قَرَأَ بِهِ، نحو: قد أَفْلَحَ من أَمَنَ. فالسكون أَضْلُ، والحركة نُقْلٌ. وحقيقة العامل: ما بِهِ يَتَقَوَّمُ الْمَعْنَى الْمُقْتَضَى لِلإِعْرَابِ. فالشأن في اختلاف الإعراب، أن يكون لاختلاف العامل. وقد يكون مع اتحاده، كما في مَعْمُولِ الصَّفَةِ، فإنه يجوز رفعه ونصبه وجره مع اتحاد العامل نحو: الحسن الوجه، فيجوز رفعه على أنه فاعل ونصبه على التشبيه بالمفعول به. وجره بالإضافة، وكذلك نحو: زَيْدٌ قائم الأب. فيجوز رفعه ونصبه وَجَرُهُ. وكذلك اسم المفعول المضاف مفعوله. نحو: زيد مضروب الأب، فتجوز فيه الثلاثة أيضاً. واحترز بالداخلية عليها، مما يتغير لاختلاف العوامل الداخلة على غيره كحركة الحكاية. كقولك مَنْ زَيْدٌ؟ لِمَنْ قال جاء زيدٌ. وَمَنْ زَيْدٌ؟ لِمَنْ قال: رأيت زيدا. وَمَنْ زَيْدٌ لِمَنْ قال: مَرَزْتُ بزئيد، فإنها في الجميع حركة حكاية، لا حركة إعراب، فمن مبتدأ، وزيد خبر مَرْفُوعٌ. وعلامة رفعه ضمة مقدرة لاشتغاله اللفظي يكون في الصحيح الآخر كزيد ونحوه، والتقدير يكون في المعتل، نحو: موسى، والقاضي، ويرمي، ويغزو. فالألف يُقَدَّرُ فيه الإعراب كله، نحو جاء موسى، ورأيت موسى، ومَرَزْتُ بموسى. فالحركات الثلاث، مقدرة في المانع، المانع من ظهورها التَعَدُّر. وَالنِّبَاءُ يُقَدَّرُ فيه الرفع والجر، نَحْوُ جاء القاضي، مَرَزْتُ بالقاضي، ويظهر نصبه نحو أن القاضي لن يَزِمِي. وَالْوَاوُ يُقَدَّرُ فيه الرفع، ويظهر نصبه، نحو: «إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُو». والجزم بحذف الجميع، وسواء كَانَ هَذَا الْحَرْفُ الَّذِي يُقَدَّرُ فيه الإعراب مَوْجُوداً أَوْ مَحذُوفاً، نحو جاء قاضٍ، ومرزت بقاضٍ، أو جاء فتى، ومررت بفتى، وَرَأَيْتُ فتى. ويحتمل أن يرجع قوله: لفظاً أو تقديراً، للعوامل، فالعامل اللفظي ما تقدم ذكره، والمقدَّرُ كباب الاشتغال، والإغراء، نحو: زيدا ضَرَبْتَهُ. أي ضَرَبْتُ زيدا ضَرَبْتُهُ. والعِلْمُ العِلْمُ، أي الزم العِلْمُ وغير ذلك من حذف العوامل، وهو كثير، ويكون في عوامل: الرفع والنصب والجر، كما هو مقرر في مَحَلِّهِ.

الإِشَارَةُ: كَمَا يَتَغَيَّرُ أَوْاحِرُ الْكَلِمِ، لاختلاف العوامل تتغير أحوال القلوب، لاختلاف الواردات الداخلة عليها. فتارة يرد عليها وارد القبض، وتارة يرد عليها وارد البسط. فالقبض والبسط حَالَتَانِ يَتَعَاقَبَانِ على العبد تعاقب الليل والنهار.

القشيري؛ إذا كاشف العبد بنعمة جَمَّاله بَسَطَه، وإذا كاسف بنعمة جلاله قَبَضَه. فالقبض يوجب إِيحاشه، والبسط يوجب إِيئاسه. وَاغْلَمُ أَنَّهُ يَرُدُّ الْعَبْدَ إِلَى أَحْوَالِ بَشْرِيَّتِهِ، فَيَقْبِضُهُ حَتَّى لَا يَطِيقُ ذَرَّةً. وَيَأْخُذُهُ مَرَّةً عَنِ نَعْوَتِهِ، فَيَجِدُ لِحَمْلٍ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ قُوَّةَ وَطَاقَةٍ. قَالَ الشَّبْلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ حَمَلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى شَعْرَةٍ مِنْ شَعْرَاتِ جَفْنِ عَيْنَيْهِ. وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَى. فَلَوْ تَعَلَّقَ بِهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ فَجَحَّ. فَحَمَلَ مِنْهُ هَذَا عَلَى حَالَتِي الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ. وَقَالَ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ: إِذَا قَبِضَ قَبِضٌ حَتَّى لَا طَاقَةَ. وَإِذَا بَسَطَ بَسَطٌ حَتَّى لِإِفَاقَةٍ. وَهَذَا سَيِّدُ الرِّسْلِ ﷺ، حِينَ وَرَدَ عَلَيْهِ وَارِدَ الْقَبْضِ شَدُّ الْحَجَرِ عَلَى بَطْنِهِ. وَحِينَ وَرَدَ عَلَيْهِ وَارِدَ الْبَسْطِ، أَطْعَمَ أَلْفًا جِيعَاءَ مِنْ صَاعٍ. وَلِكُلِّ مِنَ الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ آدَابٌ. فَآدَابُ الْقَبْضِ السُّكُونُ تَحْتَ مَجَارِي الْأَقْدَارِ، وَانْتِظَارُ الْفَرْجِ مِنَ الْكَرِيمِ الْغَفَّارِ. وَآدَابُ الْبَسْطِ كَفُّ اللِّسَانِ، وَقَبْضُ الْعِنَانِ، وَالْحَيَاءُ مِنَ الْكَرِيمِ الْمَثَانِ، وَالْبَسْطُ مَنْزِلَةُ أَقْدَامِ الرِّجَالِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: فَتَحَ عَلِيٌّ بَابَ مِنَ الْبَسْطِ، فَزَلَّتْ زَلَّةً، فَحَجَبَتْ عَنْ مَقَامِي ثَلَاثِينَ سَنَةً. وَلِذَلِكَ قِيلَ: قِفْ بِالْبَسْطِ، وَإِيَّاكَ وَالْإِنْبِسَاطِ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَبْضَ وَالْبَسْطَ فَوْقَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ. وَفَوْقَ الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ الْهَيْبَةُ وَالْأُنْسُ لِلْعَارِفِينَ. ثُمَّ الْمَخَوْفُ فِي وَجُودِ الْعَيْنِ، لِلْمُتَمَكِّنِينَ، فَلَا هَيْبَةَ لَهُمْ وَلَا أُنْسَ، وَلَا عِلْمَ وَلَا حَسْرَةَ. وَأَنْشُدُوا:

فلو كنت من أهل الوجود حقيقة لغبت عن الأكوان والعرش والكرسي
وكنت بلا حالٍ مع الله واقفاً ثمَّازِعِنِ التذكار للجن والإنس

وإن قلنا الإعراب هو البيان، فتقول في الإشارة، الإعراب عمَّا في البواطن؛ هو تغيير أحوال الظواهر، لاختلاف الواردات الداخلة عليها، فَمَا كَمُنَ فِي السَّرَائِرِ، ظَهَرَ فِي شَهَادَةِ الْخَوَاطِرِ، تَنَوَّعَتْ أَجْنَاسُ الْأَعْمَالِ، بِتَنَوُّعِ وَارِدَاتِ الْأَحْوَالِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ ذَكَرَ أَنْوَاعَ الْإِعْرَابِ فَقَالَ: (ص) وَأَقْسَامَهُ أَرْبَعَةٌ: رَفْعٌ وَنَصْبٌ وَخَفْضٌ وَجَزْمٌ. (ش) قُلْتُ: تَقَدَّمَ الْفَرْقُ بَيْنَ تَقْسِيمِ الشَّيْءِ إِلَى أَجْزَائِهِ وَإِلَى أَنْوَاعِهِ، فَهَذَا مِنَ التَّقْسِيمِ النَّوْعِيِّ، وَوَجْهَ انْحِصَارِهِ فِي الْأَرْبَعَةِ، أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ، فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، إِلَّا حَرَكَةٌ وَسُكُونٌ. وَالْحَرَكَةُ لَهَا ثَلَاثَةٌ مَخَارِجٍ. إِمَّا فَمِ الشَّفَتَيْنِ؛ وَهُوَ مَخْرَجُ الضَّمَّةِ، أَوْ كَسْرِ السُّفْلِيِّ؛ وَهُوَ مَخْرَجُ الْكَسْرَةِ، أَوْ مَجْرَدِ فَتْحِهِمَا؛ وَهُوَ مَخْرَجُ الْفَتْحَةِ. وَأَمَّا السُّكُونُ فَهُوَ سَلْبُ الْحَرَكَةِ؛ فَهُوَ قِسْمٌ رَابِعٌ. فَالرَّفْعُ مَا أَخَذْتَهُ عَامِلُ الرَّفْعِ؛ وَهُوَ خَاصٌّ بِالْعَمْدِ أَوْ مَا نَابَ عَنْهَا. وَالنَّصْبُ مَا أَخَذْتَهُ عَامِلُ النَّصْبِ،

وغالب وجوده في الفضلات، والجزم ما أحدثه عامل الجزم. وهو ملحق بالفضلات. والجزم ما أحدثه عامل الجزم؛ وهو خاص بالأفعال. وأسقط الكوفيون. والمازني الجزم؛ لأنه عدم الحركة، وجعلوا الإعراب ثلاثة. والله تعالى أعلم.

الإشارة: وأقسام التغيير؛ الذي يعترى الإنسان، وينزل به أربعة: رفع: أي رفع القدر، والعز والجاه عند الله تعالى. وعاملة: العلم بالله، والعمل بطاعته، وصحبة أهل العز والغناء؛ وهم الأولياء، وضده الخفض؛ وهو الذل والهوان، وعاملة الجهل وارتكاب المعاصي، واتباع الهوى كما قال الشاعر:

لَأَتَشْبِعَ النَّفْسَ فِي هَوَاهَا إِنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى هَوَانٌ
وقال آخر:

إِنَّ الْهَوَى هُوَ الْهَوَانُ بِعَيْنِهِ فَإِذَا هَوَيْتَ فَقَدْ لَقَيْتَ هَوَانًا
وَإِذَا هَوَيْتَ تَعَبَّدْتَ الْهَوَى فَاخْضِعْ لِحَبِيبِكَ كَائِنًا مِنْ كَائِنَا

والمراد بالهوى: ما تهواه النفس، وتعشقه من الحظوظ الجسمانية: المحرمة أو المكروهة، أو المباحة قبل الوصول. والنفس نصب العين لمجاري الأقدار؛ وهو مقام الرضى والتسليم؛ وهو حال أهل الطمأنينة من العارفين الواصلين. والجزم: هو التصميم والعزم على السير والمجاهدة والمكابدة، إلى الوصول إلى تمام المشاهدة. فأهل الرفع والتضبط عارفون واصلون. وأهل الخفض التلون تائهون. وأهل الجزم سائرون. وقد يتلون العبد بين الرفع والخفض. فتارة يغلب نفسه فترتفع، وتارة تغلب عليه نفسه، فتتخفض. وهؤلاء أهل التلون قبل التمكين. وقد يكون التلون بعد التمكين؛ وهو تلون العارف مع المقامات، فيتلون في كل مقام بلونه. فتارة يظهر عليه الهيبة، والخوف. وتارة يظهر عليه الرجاء والبسط. وتارة يظهر عليه الورع والكف، وتارة يظهر عليه الرغبة والأخذ. وتارة يظهر عليه الشوق والقلق، وتارة يظهر عليه السكون والطمأنينة. وهكذا. وقد يطلب العبد الرفع؛ فينخفض، وهو من سبق له الجزمان والعياذ بالله. وقد يطلب الخفض فيرتفع، وهو: من سبق له العناية، فلا تضره الجنابة. ربما قضى عليك بالذنب فكان سبب الوصول والله تعالى أعلم. ثم قسم الإعراب على الأسماء والأفعال فقال: (ص): فللأسماء من ذلك الرفع والتضبط والخفض ولا جزم فيها. وللأفعال من ذلك، الرفع والتضبط والجزم ولا خفض فيها. (ش) قلت: الفاء

فصيحة، والتقدير: إن أردت معرفة مواردِهِ. فَلِلْأَسْمَاءِ الْمَتَمَكِّنَةِ، بِحَيْثُ لَمْ يَشْبَهْهُ الحرف شَبْهًا قَوِيًّا فَتَبَيَّنَ. فَإِذَا سَلِمَتْ مِنَ الشَّبْهِ الْقَوِيِّ، أَعْرَبَ. فَلَهَا الرِّفْعُ، وَهُوَ لِلْعَمَدِ. وَمَا نَابَ عَنْهَا وَالثُّنْبُ، وَهُوَ لِلْفُضْلَاتِ غَالِبًا. وَالخَفْضُ، وَهُوَ لَمَّا تَرَدَّدَ بَيْنَ الْعَمَدِ وَالْفُضْلَاتِ، فَقَدْ يَقَعُ فِي مَوْضِعِ يَكْمَلُ الْعَمَدَةَ، نَحْوَ جَاءَ غَلَامٌ زَيْدٌ، فَعُلَامٌ عُمَدَةٌ، وَزَيْدٌ مَكْمِلٌ لَهُ. وَيَقَعُ فِي مَوْضِعِ الْفُضْلَةِ، نَحْوَ هَذَا ضَارِبٌ زَيْدٌ، فَزَيْدٌ مَفْعُولٌ، لَكِنَّهُ أُضِيفَ إِلَى عَامِلِهِ بِجَرٍّ، وَلَا جَزْمَ فِيهَا، أَي فِي الْأَسْمَاءِ؛ لِأَنَّ الْجَزْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْعَوَامِلِ وَعَوَامِلُ الْجَزْمِ خَاصَّةٌ بِالْأَفْعَالِ، وَلِلْأَفْعَالِ مِنْ ذَلِكَ الْإِعْرَابُ، الرِّفْعُ حَالُ التَّجْرِيدِ، وَالثُّنْبُ وَالْجَزْمُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ عَامِلُهُمَا، وَالْمُرَادُ بِالْأَفْعَالِ. الْفِعْلُ الْمَضَارِعُ الْخَالِي مِنْ نُونِ التَّوَكِيدِ الْمُبَاشِرَةِ، وَمِنْ نُونِ الْإِنَاثِ، فَإِذَا بَاشَرَتْهَا نُونُ التَّوَكِيدِ بَنِيَتْ. نَحْوُ: لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي». وَنُونُ الْإِنَاثِ بُنِيَتْ أَيْضًا؛ نَحْوُ: «إِلَّا أَنْ يَعْيُبُونَ». وَإِنَّمَا بَنِيَتْ لِشَبْهِ التَّرْكِيبِ. وَأَمَّا الْمَاضِي وَالْأَمْرُ، فَمُبْنِيَانِ عَلَى مَا يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَلَا خَفْضَ فِيهَا. أَي فِي الْأَفْعَالِ؛ لِأَنَّ عَوَامِلَ الْخَفْضِ خَاصَّةٌ بِالْأَسْمَاءِ فَتَحْصَلَ. أَنَّ الرِّفْعَ وَالثُّنْبَ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ. وَالْجَزْمُ مَخْتَصٌّ بِالْأَفْعَالِ. وَالْخَفْضُ مَخْتَصٌّ بِالْأَسْمَاءِ، وَإِنَّمَا اخْتَصَّتْ الْأَفْعَالُ بِالْجَزْمِ، لِأَنَّهُ ثَقِيلٌ، وَالْجَزْمُ خَفِيفٌ. فَاعْطِيَ الْخَفِيفَ لِثِقَلِهَا لِيَتَعَادَلَا. وَوَجْهٌ ثَقُلَهَا أَنَّهَا حَامِلَةٌ، إِذْ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ فَاعِلٍ مُضْمَرٍ أَوْ ظَاهِرٍ. وَإِنَّمَا اخْتَصَّتْ الْأَسْمَاءُ بِالْخَفْضِ؛ لِأَنَّهَا خَفِيفَةٌ، وَالْخَفْضُ ثَقِيلٌ، فَلَوْ أُعْطِيَ الْخَفِيفَ لِلْخَفِيفِ لَطَارَ. كَمَا لَوْ أُعْطِيَ الثَّقِيلُ لِلثَّقِيلِ لَسَقَطَ، فَاعْطِيَ الْخَفِيفَ لِلثَّقِيلِ، وَالثَّقِيلَ لِلْخَفِيفِ، لِيَتَعَادَلَ الْأَمْرُ، وَوَجْهُ خِيفَةِ الْأَسْمَاءِ، أَنَّهَا فَارِغَةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى فَاعِلٍ، إِلَّا إِذَا اشْتَبَهَتْ الْأَفْعَالِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الإِشَارَةُ: تَقَدَّمَ أَنَّ الْقِسْمَةَ ثَلَاثِيَّةٌ: شَرِيعَةٌ، وَطَرِيقَةٌ، وَحَقِيقَةٌ. فَأَهْلُ الشَّرِيعَةِ قَائِمُونَ بِأَقْوَالِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَأَهْلُ الطَّرِيقَةِ قَائِمُونَ بِأَفْعَالِهِ، وَأَهْلُ الْحَقِيقَةِ قَائِمُونَ بِأَخْوَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ. فَأَهْلُ الْأَقْوَالِ؛ هُمُ الْمَعْبُورُونَ عَنْهُمْ بِالْأَسْمَاءِ. لِأَنَّهُمْ قَائِمُونَ فِي الْأَسْمَاءِ؛ لِأَنَّ ذِكْرَهُمْ جُلَّهَ لِسَانِي، وَعَمَلُهُمْ جُلَّهَ بَدَنِي. فَيَقَالُ مِنْ طَرِيقِ الْإِشَارَةِ، فَالْأَهْلُ الْأَسْمَاءِ مِنْ ذَلِكَ الرِّفْعِ تَارَةً، إِنْ اسْتَعَاصَتْ أَخْوَالُهُمْ، وَقَوِيَتْ دَلَائِلُهُمْ فَيَرْتَفِعُونَ إِلَى دَرَجَةِ الصَّالِحِينَ. وَالثُّنْبُ، أَيِ التَّوَسُّطِ بَيْنَ الْارْتِفَاعِ وَالْإِنْخِفَاضِ فَيَتَبَعُونَ لِمَجَارِي الْأَقْدَارِ؛ وَهُوَ حَالُ فَتَوَرُّهُمْ وَبِرُودَتِهِمْ عَنِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْخَفْضِ تَارَةً أُخْرَى. وَهُوَ حَالُ عَصِيَانِهِمْ، فَيَسْقُطُونَ عَنْ دَرَجَةِ الصَّلَاحِ. وَيُنْخَفِضُونَ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ، حَيْثُ لَمْ تَسْبِقْ لَهُمْ عَنَايَةٌ مُقَرَّبِينَ. وَلَا جَزْمَ لَهُمْ.

جزم أهل كالعيان. إذ لا يخلص الجزم الحقيقي، إلا لأهل الشهود والعيان، فليس الخَبْرُ كالعِيَانِ، إذ لا يسلم صاحب الدليل، من الخواطر الرديئة، والشبه الشيطانية، فجلهم يعبدون الله على ظن قوي، لذلك عَبَّرَ تعالى بالظن في مقام الجزم، فقال تعالى: ﴿يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ﴾ تيسيراً أو تخفيفاً على أهل الدليل من أهل الإيمان إذ لو عبر بالعلم لخرج من دائرة الإسلام خلق كثير. والحاصل، أن الإنسان لا يخرج من مقام الظنون، حتى يضحب العارفين، أهل اليقين الكبير، وقد قال عليه السلام: «تَعَلَّمُوا اليقين فَإِنِّي أتعلمه». في رواية، بمجالسة أهل اليقين. ثم أشار إلى أهل الطريقة؛ الَّتِي تُوصِلُ إلى عين الحقيقة بقوله: وللأفعال، أي ولأهل الأفعال التي هي المجاهدة والمكابدة. الرِّفْعُ إلى أعلى عليين، والنَّصْبُ، أي نَصْبُ أبدانهم إلى مَجَارِي أقدار ربهم، بالرَّضَى والتَّسْلِيمِ. والجزم في عقائدهم وعلومهم؛ لأنها عين شهود وعيان. وَلَا خَفْضَ فيها، لأنهم سبقت لهم من الله العناية، فلا تضرهم الجنابة. فكلما طلبهم عامل الخفض، استدرجهم عامل الرِّفْعِ، فيرفَعَهُمْ، فلا خَفْضَ لَهُمْ أبداً. جعلنا الله من خواصهم آمين.

بَابُ مَعْرِفَةِ عِلَامَاتِ الإِعْرَابِ:

قلت: الناظم إن الإعراب إما معنوي؛ وهو التغيير والانتقال، من حال إلى حال. وهذا التغيير له علامات؛ وهي الأشكال والحروف الثابتة عنها. فالرفع مثلاً معنى. وهو كون الكلمة مرفوعة، والضممة علامة على رفعها، وقس على هذا أنواع الإعراب كلها. وإما على أنه لفظي فالضممة والألف والواو مثلاً. هي عين الرفع، وكذلك الفتحة والألف والكسرة، هي عين النصب، ولذلك قيل في حقيقته ما جيء به لبيان مقتضى العامل، من حركة أو حرف، إلى آخر ما تقدم.

الإشارة: ذكر هنا علامة تقال العبد من حال إلى حال، على حسب الواردات القلبية، والخواطر السنية، والرديئة، إما من الرفع إلى الخفض، أو العكس أو من حالة القبض إلى البسط، أو العكس. وهكذا من تخالف الآثار، وتنقلات الأطوار، فلكل واحد من هذه الآثار علامات تظهر على صاحبه كما تقدم، ولكل واحد من القبض والبسط آداب، وقد أشرت في قصيدتي العينية فقلت:

وإن جئت لئيل من القبض حالكِ فهيء له صبراً فصوله تابع
سكون وتسلم لِمَا قد جرى به قضاء محنتم من الحق واقع
وللبسط آداب إذا لم تنضم بها نزل بك الأقدام والقلب تابع

خضوعٌ وهَيْبَةٌ وتَعْظِيمٌ نِعْمَةٌ وَمَسْكٌ لِسَانِ الْقَوْلِ إِنَّهُ رَاتِعٌ
 ثُمَّ بَيَّنَّ الْعَلَامَةَ فَقَالَ: (ص) لِلرَّفْعِ أَرْبَعٌ عِلَامَاتٍ: الضَّمَّةُ وَالْوَاوُ وَالْأَلْفُ
 وَالتَّوْنُ. (ش) يَعْنِي، أَنَّ الْكَلِمَةَ إِذَا كَانَتْ مَرْفُوعَةً، بَانَ طَلَبُهَا عَامِلَ الرَّفْعِ، فَلْيَرْفَعْهَا
 أَرْبَعٌ عِلَامَاتٍ، أَوَّلُهَا الضَّمَّةُ فِي آخِرِهِ ظَاهِرَةٌ. نَحْوُ: «وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ». وَمَقْدَرَةٌ
 نَحْوُ: «وَقَالَ مُوسَى». وَبَدَأَ بِهَا؛ لِأَنَّهَا الْأَقْلَى، ثُمَّ الْوَاوُ؛ لِأَنَّهَا بِنْتُهَا، وَنَاشِئَةٌ عَنْهَا،
 وَلِذَلِكَ ذَكَرْتُهَا بَعْدَهَا. ثُمَّ الْأَلْفُ؛ لِأَنَّهَا أَخْتُهَا فِي الْعِلَّةِ وَاللِّينِ، ثُمَّ التَّوْنُ لِقُرْبِ
 مَخْرَجِهَا مِنَ الْوَاوِ، وَلِذَلِكَ أُذْغِمْتُ فِيهَا إِذَا سَكُنَتْ، وَآخِرُهَا لِبُعْدِ الشَّبَهِ،
 وَلاِخْتِصَاصِهَا بِالْأَفْعَالِ وَسَيَّاتِي أَمْثَلُهَا بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَمَنْ قَالَ: إِنْ الْإِعْرَابَ
 لَفْظِي، قَالَ: إِنَّهَا مَرْفُوعَةٌ بِنَفْسِ الضَّمَّةِ، وَالْوَاوِ وَالْأَلْفِ وَالتَّوْنِ. فَالْإِعْرَابُ هُوَ
 نَفْسُ الْحَرَكَاتِ. أَوْ الْحُرُوفِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الإِشَارَةُ: لِلرَّفْعِ إِلَى مَقَامِ الْمُقَرَّبِينَ أَرْبَعٌ عِلَامَاتٍ، أَوَّلُهَا الضَّمَّةُ، أَي ضَمَّ
 الْمُرِيدَ إِلَى الشَّيْخِ، وَصَحْبَتَهُ وَخِدْمَتَهُ، وَتَعْظِيمَهُ وَمَحَبَّتَهُ. وَاللَّهُ مَا أَفْلَحَ مَنْ أَفْلَحَ.
 إِلَّا بِصَحْبَةِ مَنْ أَفْلَحَ.

وثانيتها: واو الهوية والحقيقة. فلا بُدَّ للمريد أن يفطن في الذات حقيقة، فمن
 لا فناء له، لا بقاء له. فيفطن أولاً في الاسم ثم في الذات، فبقدر الفناء، يكون
 البقاء. وبقدر السكر، يكون الصحو. وثالثها: ألف الوحدة، فلا بُدَّ أن يكون فرد
 الفرد، فيكون له قُضد واحد. ومحببة واحدة، وإرادة واحدة، ويكون ذلك بقلب
 مفرد فيه توحيد مجرد. ورابعها نون الأثانية، فلا يزال يذكر الاسم، حتى يكون
 عين المسمى. فيقول حينئذ: أنا من أهوى ومن أهوى أنا، فيغيب الدأكر في
 المذكور، فلقد قال غير واحد في مقام الفنا أنا. وقال آخر في مقام البقا هو. فيقال
 للأول صدقت وما كذبت. ويقال للثاني: أحسنت وتأدبت، كما قال بعض
 العارفين. وهنا إشارة أخرى، فيسير بالضم إلى ضم النفس وكفها عن حُظوظها
 وهواها، بلجام المجاهدة والمخالفة، فيرجع إلى مقام المشاهدة، وبالواو إلى الود
 والمحبة في الله ورسوله، والشيخ الذي يوصله إلى حضرته. والإخوان وسائر عباد
 الله. فالمحبة أضل الطريق. وبها يقع السير إلى عين التحقيق. فإذا وصل، أحبه
 الله، فكان سمعه وبصره وكليته. لقوله: «فإذا أحببته كتته». فإذا أحبه الله، نادى
 في السماوات، فيجبه أهل السماء. ثم تنزل محبته إلى الأرض، كما في الحديث.
 قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ وَيُسَيِّرُ

بالألف إلى ألف الوَحْدَة كما تقدّم. وبالثون إلى ثون التَّوَجُّه، ثم نون المَوَاجَهَة، فنور التوجه للسائرين، ونور المواجهَة للواصلين. والمراد بنور التوجه، خَلَاوَة المعاملة، وما يجده المُريد في سيره من النشوة والسكرَة، ونور المواجهَة، هو نور الشهود، يواجهه الحق تعالى بأسرار ذاته فيغيب عن رؤية الوجود، سوى ذات المعبود، وفي ذلك يقول الجُنَيْد رضي الله عنه:

وَجُودِي أَنْ أَغْيِبَ عَنِ الْوُجُودِ بِمَا يَبْدُو عَلَيَّ مِنَ الشُّهُودِ

ثُمَّ عَيَّنَ الْمَوَاضِعَ الَّتِي تَنُوبُ فِيهَا الضَّمَّةُ عَنِ الرَّفْعِ فَقَالَ: (ص) فَأَمَّا الضَّمَّةُ فتكون عَلَامَةً لِلرَّفْعِ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ، فِي الْاسْمِ الْمَفْرُودِ (ش) نحو: «وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ». «وَقَالَ مُوسَى». وَالْمُرَادُ بِالْمُفْرَدِ هُنَا: مَا لَيْسَ مَجْمُوعًا وَلَا مَثْنَى وَلَا وَاحِدًا مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ، مُتَصَرِّفًا أَوْ غَيْرَ مُتَصَرِّفٍ، مُذَكَّرًا أَوْ مُؤنَّثًا. اسْمًا أَوْ صِفَةً، تَابِعًا أَوْ مُتَبَوِّعًا. مَقْصُورًا أَوْ مُنْقُوصًا. فَالْمَقْصُورُ مَا كَانَ آخِرَهُ أَلْفًا؛ قَبْلَهُ فَتَحَةٌ لِأَزْمَةِ، كَمُوسَى وَعَيْسَى، وَعَصَى وَفَتَى، وَالْمُنْقُوصُ: مَا كَانَ آخِرَهُ يَاءٌ؛ قَبْلَهَا كَسْرَةٌ لِأَزْمَةِ. كَالْمُتَعَالِي وَالذَّاعِي، وَوَالٍ وَهَادٍ، فَالْمَقْصُورُ يُرْفَعُ بِضَمَّةٍ مُقَدَّرَةٍ، الْمَانِعُ مِنْ ظَهْوَرِهِ التَّعَدُّرُ. إِذْ يَتَعَدَّرُ ظَهْوَرُهَا الْاسْتِثْقَالُ، إِذْ يَثْقُلُ ظَهْوَرُ الضَّمَّةِ أَوْ الْكَسْرَةِ عَلَى الْيَاءِ. (ص) وَجَمْعُ التَّكْسِيرِ (ش) وَهُوَ فِي اللَّغَةِ التَّغْيِيرُ وَتَفْرِيقُ الْأَجْزَاءِ. وَفِي الْإِضْطِلَاحِ: مَا تَغَيَّرَ بِنَاءُ مُفْرَدِهِ، تَغْيِيرًا ظَاهِرًا أَوْ مُقَدَّرًا، لِغَيْرِ إِعْلَالٍ. وَالتَّغْيِيرُ الظَّاهِرُ إمَّا بِزِيَادَةٍ فَقَطْ نَحْوُ: صِنُوْ أَوْ صِنَوَانٍ، أَوْ بِنَقْصٍ فَقَطْ نَحْوُ: تُخْمَةٌ وَتُخْمٌ، وَشَجْرَةٌ وَشَجَرٌ. أَوْ تَبْدِيلِ شَكْلِ فَقَطْ نَحْوُ: أَسَدٌ وَأَسْدٌ، أَوْ بِنَقْصٍ مَعَ تَبْدِيلِ شَكْلِ، نَحْوُ كِتَابٍ وَكُتُبٍ، أَوْ بِزِيَادَةٍ مَعَ تَبْدِيلِ شَكْلِ، نَحْوُ رَجُلٍ وَرَجَالٍ، أَوْ بِنَقْصٍ وَزِيَادَةٍ وَتَبْدِيلِ شَكْلِ، نَحْوُ غَلَامٍ وَغِلْمَانٍ، وَالتَّغْيِيرُ الْمَقْدَرُ، كَمَا فِي فُلْكَ، فَإِنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ. وَيَتَمَيَّزُ الْمَفْرُودُ مِنَ الْجَمْعِ بِالْوَصْفِ. تَقُولُ: عِنْدِي فُلْكَ جَيِّدٌ، وَفُلْكَ كَثِيرَةٌ. فَحَرَكَةُ الْمَفْرُودِ غَيْرُ حَرَكَةِ الْجَمْعِ، وَإِنْ تَسَاوَتَا فِي اللَّفْظِ وَقَلْنَا: لِغَيْرِ إِعْلَالٍ احْتِرَازَ مِنْ نَحْوِ قَاضِيُونَ، فَإِنْ وَاحِدَةٌ مُغَيَّرٌ. لَكِنْ لَا إِعْلَالَ فَاصله قَاضِيُونَ، اسْتِثْقَالُ الضَّمَّةِ عَلَى الْيَاءِ فَحَذَفْتُ، ثُمَّ حَذَفْتُ الْيَاءَ لِالتَّعَالُفِ السَّاكِنِينَ، ثُمَّ قَلَبْتُ الْكَسْرَةَ ضَمَّةً، لِتَنَاسُبِ الْوَاوِ. وَيَدْخُلُ فِي جَمْعِ الْكَسْرِ اسْمُ جَمْعٍ، كَقَوْمٍ وَرَهْطٍ، وَاسْمُ الْجِنْسِ، كَشَجَرٍ وَنَخْلٍ، وَسِيَّاتِي الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فِي جَمْعِ الْمَذْكَرِ. (ص) وَجَمْعُ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ. (ش) وَحَقِيقَتُهُ: مَا جَمَعَ بِأَلْفٍ وَتَاءٍ مَزِيدَتَيْنِ، نَحْوُ: «وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ» إِذَا جَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ. فَالسَّمَاوَاتُ مُبْتَدَأٌ، الْمُؤْمِنَاتُ فَاعِلٌ، وَالضَّمَّةُ

ظاهرة فيه . واحترز بقيد الزيادة من إقالة الألف نحو: قضاة، جمع قاض، وأضله قضية . مال في الألفية: في نحو رام واضطراد فعله . فقلبت الياء أيضاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها؛ فهو جمع تكسير أيضاً . ولما كان الغالب في هذا الجمع، أن يكون لمؤنث . قيل فيه: جمع المؤنث . وقد يستعمل في غير المؤنث، ويطرَد في ست مسائل، في كل ما فيه تاء زائدة للتأنيث اللفظي، نحو: طَلْحَة وَطَلْحَات بفتحها، والتاء في الجمع غير التاء في المفرد؛ لأن تاء المُفْرَد تحذف عند الجَمْع . قال في الألفية . وتاء ذي التأنيث الزمن تحيه . ويطرَد أيضاً فيما كان مقصوراً كذفرى وذكري . تقول: ذفريات وذكريات . وفي نحو درهم مقفّر . تقول: ذُرْهَمَات، وفيها كان اسماً ممدوداً نحو صحراء وصحراوات، وسماء، وسموات، وفيما كان مؤنثاً بغير تاء، نحو زينب، وهند تقول: زينبات وهندات . وفيما كان وصفاً لغير العاقل . نحو جبال راسيات وشامخات . وقد نَظَّمها بعضهم فقال:

وقسُن في ذي التَّاء ونحو ذِكرى ودرهم مصغرٍ وصحراء
وزينبٌ وغير وصف العاقل وغير ذي مسلم للعاقل

وقد يستعمل في غير هذه المواضع سماعاً، نحو حمامات واصطبلات . والاصطبل بقطع الهمزة وفتح الطاء . الأزوى الذي يكون فيه الدواب . وتكون الضمة علامة للرفع أيضاً: (ص) وفي الفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره شيء (ش) نحو: «وإذ يقول الله» . «ويوم تشقق السماء بالغَمِّم» . فيقول . وتشقق مضارع مرفوع بضمه ظاهرة . واحترز بقوله، لم يتصل بآخره شيء، مما إذا اتصل به، واوا جمع، أو ألف اثنين، أو ضمير المؤنثة المخاطبة، فإنه يرفع بالحروف، كما يأتي، وأما إذا اتصل به ضمير نون التوكيد المباشرة أو نون الإناث، فهو مبني كما تقدم؛ فلا يدخل هنا؛ لأن الكلام هنا في المَعْرَب . ويشمل ما إذا لم يتصل به شيء الصحيح نحو: «ونمير أهلنا» . والمعتل بالألف كيخشى، وبالأوا وكيدعو . وبالياء كبيرة فلكن معرب بضمه مقدرة . والله أعلم .

الإشارة: فأما الضم بالأولياء، والصحة لهم، فيكون علامة للرفع إلى مقام المُقَرَّبِينَ . وسبباً في نيل مقام السابقين؛ في ذكر الاسم المفرد والفناء فيه . سمعت شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول: بقيت فانياً في الاسم المفرد أربَع سنين . حتى كان بدني كله يتحركُ بغير اختيار مني، إذا شددت على الرجل الواحد انهز الآخر هـ . فالفناء في الاسم مقدمة للفناء في الذات . بقدره يعظم ويقل،

ويكون أيضاً علامة للرفع في صحبة جميع الأولياء، الذين هم أهل التكسير والإكسير، يتصرفون في الوجود بهمهمهم، يكسرون من شاءوا، ويَجْبِرُونَ مَنْ شَاءُوا، يكسرون أعداءهم ومن ناوهم، بزيادة مؤلأهم ويَجْبِرُونَ أخابهم بمشيئة مؤلأهم، كما قال القائل في وصفهم:

هِمُّهُمْ تَقْضِي بِحُكْمِ الْوَقْتِ مُنْكَرُهُمْ مُعْرِفٌ لِمَقْتِ

ويرتفع أيضاً بضمه إلى الشيخ في جمع المؤنث، أي في جمعه بالمؤنث، على طريق التزوج، السالم من عوائله، وشغله عن ربه؛ لأن التزوج للفقير المعنتي، يزيد في تزبية يقينه، ويوسع أخلاقه، فتتسع معرفته، فإذا علم أنه لا يسلم، فالسلامة في تزكيه، وكان شيخ شيخنا رضي الله عنه يقول:

الصُّوفِيَّةُ حَذَرُوا مِنَ التَّزْوِجِ لِلْفَقِيرِ. وَأَنَا أَمُرُّ بِهِ؛ لِأَنَّ الْفَقِيرَ إِذَا تَزَوَّجَ. تَقَوَّى يَقِينُهُ. وَاتَّسَعَتْ أَخْلَاقُهُ، وَتَسَّعَ مَعْنَاهُ. أَوْ كَلَامًا مَا هَذَا مَعْنَاهُ. وَيَرْتَفَعُ أَيْضًا بِالْفِعْلِ الْمَضَارِعِ: الْعَمَلُ الْمَشَابِهَ لِفِعْلِ الْأَضْفِيَاءِ، بِمُوَافَقَتِهِ لِلسَّئَةِ. وَسَلَامَتِهِ مِنَ الْبِدْعَةِ، وَتَحَقُّقِهِ فِيهِ بِالْإِخْلَاصِ، وَالتَّبَرِّيِ فِي الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَمْذًا﴾. وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، هُوَ الَّذِي يَصْحَبُهُ الْإِخْلَاصُ فِي أَوَّلِهِ، وَالِاتِّقَانُ فِي وَسْطِهِ. وَالغَيْبَةُ عَنْهُ فِي آخِرِهِ. وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: لَمْ يَتَّصِلْ بِآخِرِهِ شَيْءٌ مِنَ الْعِلَلِ كَالْإِظْهَارِ لَهُ، وَالْبَجْحُ بِهِ. وَفِي الْحَكْمِ: لَا عَمَلٌ أَرْحَبُ لِلْقُلُوبِ، مِنْ عَمَلٍ يَغِيبُ عَنْكَ شَهُودَهُ وَيَحْتَقِرُ لَدَيْكَ وُجُودَهُ. وَفِي نَسْخَةِ أُخْرَى لِلْقَبُولِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ. ثُمَّ ذَكَرَ الْعَلَامَةُ الثَّانِيَةَ لِلرَّفْعِ فَقَالَ: (ص) وَأَمَّا الْوَاوُ فَتَكُونُ عِلَامَةً لِلرَّفْعِ فِي مَوْضِعَيْنِ، فِي جَمْعِ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ (ش). وَهُوَ مَا دَلَّ عَلَى ثَلَاثَةِ فَاكْثَرِ، بِزِيَادَةِ فِي آخِرِهِ مَعَ سَلَامَةِ بِنَاءِ وَاحِدَةٍ، فَخَرَجَ مَا دَلَّ عَلَى أَقَلِّ كَاتِبَيْنِ. وَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ لَا بِزِيَادَةِ كَاسْمِ الْجَمْعِ، وَمَا لَمْ يُسَمَّ بِنَاءِ وَاحِدٍ، فَهُوَ جَمْعُ التَّكْسِيرِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ يَعْرَبُ بِالْحَرَكَاتِ. وَمَفْرَدٌ هَذَا الْجَمْعِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ اسْمًا كَزَيْدٍ وَعَمْرُو، فَتَقُولُ: زَيْدُونَ وَعَمْرُونَ. وَشَرْطُهُ أَنْ يَكُونَ مُذَكَّرًا عَاقِلًا، خَالِيًا مِنْ تَاءِ التَّانِيثِ، وَمِنْ التَّرْكِيبِ، فَلَا يَجْمَعُ هَذَا الْجَمْعُ نَحْوَ صَائِفٍ، وَزَيْنَبِ، لِعَدَمِ التَّذْكِيرِ، وَلَا وَاشِقَ عَلِمًا لِكَلْبٍ وَسَابِقِ، صِفَةَ لِفَرَسٍ، لِعَدَمِ الْعَقْلِ وَلَا طَلْحَةَ، وَعِلَامَةَ لِنَاءِ التَّانِيثِ، وَلَا بَغْلَبِكُ، وَبِرْقِ نَحْرِهِ لِلتَّرْكِيبِ الْمَزْجِيِّ، وَالْإِسْنَادِ، وَأَمَّا الْمُرْتَكِبُ الْإِضَافِيُّ، فَإِنَّهُ يَجْمَعُ صَدْرَهُ وَيُضَافُ إِلَى عَجْزِهِ. وَقِيلَ يَجْمَعُ الْجَزْآنَ مَعًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ صِفَةً كَصَالِحٍ وَعَالِمٍ، فَتَقُولُ: صَالِحُونَ وَعَالِمُونَ. وَشَرْطُهُ أَنْ يَقْبَلَ

التاء أو يدل على التفضيل، كقائم ومذنب، وأفضل، بخلاف نحو جريح وصبور، فلا يُجمع هذا الجمع؛ لأنه لا يقبل التاء، لأنه يستوي فيه المذكر والمؤنث، تقول: رجل جريح، وامرأة جريح. ورجل صبور، وامرأة صبور. وكذلك سكران وأحمر، إذا لم يقولوا سكرانة ولا أحمرة. بل سكراء وحمرء. وحملوا على هذا الجمع أربعة أنواع. فأعربوها إعراب جمع المذكر السالم. وإن لم تتوفر فيها الشروط، أحدها أسماء جموع؛ وهي أولو، وعالمون، وعشرون وبابه إلى التسعين، فإنها تعرب بالواو رفعا، وبالياء نصبا. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. فاعتبروا يا أولي الأبصار، وتمثيل الباقي ظاهرا. وجعل عالمين اسم جمع هو رأي ابن مالك. والتحقيق، أنه جمع عالم، ويقصد به نوع من أنواع العلم. فلا يكون المفرد أوسع من جمعه، كما قال: من فعل اسم جمع. الثاني: جموع التكسير، نحو بنون وإخرون بكسر الهمزة جمع حرة؛ وهي الأرض ذات حجارة سوداء. ومنه أرضون وسئون وبابه. فإن هذا الجمع شائع في كل ثلاثين، حذفت لامه، وعوض منها هاء التانيث وإن لم يُكسر نحو سنة وسنين وعضة وعضين، وعزة وعزين، وثبة وثبين. قال تعالى: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾. ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْفِرْعَانَ عِضِينَ﴾. ﴿وَعَنِ الثَّمَالِ عِزِينَ﴾. وأصل مفردا سنو وعضو أو عضه. وعززي، وبتو. فحذفت منها اللام وعوض منها تاء التانيث، ولا يجوز ذلك في نحو ثمرة، لعدم الحذف. ولا في نحو عدة وزنة؛ لأن المحذوف الفاء، ولا في نحو يد ودم لعدم التعويض. وشرابون وأخوان، ولا في نحو اسم وأخت وبت؛ لأن العوض غير الهاء، ولا في نحو شاة وشفة؛ لأنها كسرا على شياء وشفاه. الثالث: جموع تصحيح؛ لأنها لم تستوف الشروط، كأهلون ووابلون؛ لأن أهلا ووابلا، وهو المطر الغزير، ليس علمين ولا صفتين؛ لأن وابلأ اسم للمطر لا صفة، الرابع: ما سمي به من هذا الجمع، وما ألحق به، كعليين وزيدين مسمى به، ويجوز في هذا النوع أن يجري مجرى غسلين في لزوم الياء، والإعراب بالحركات على الثون منونة، ودون هذا أن يجري مجرى عربون في لزوم الواو كقوله:

طَالَ لَيْلِي وَبَتَ كَأَمْجُوثٍ واعتراني الهموم بالماطرون

ودون هذا أن تلزمه الواو وفتح النون، وبعضهم يجري سنين وباب سنين

مجري غسلين في لزوم الياء في الأحوال الثلاثة. قال الشاعر:

وَكَانَ لَنَا أَبُو حَسَنٍ عَلَى أَبَا بَرَاءٍ وَنَحْنُ لَهُ بَنِينَ
ومنه الحديث :

«اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِينَ يَوْسُفَ» تذييل : اعلم أَنَّ الجمع هو الاسم الموضوع للأحاد المجتمعة ذَالاً عَلَيْهَا دلالة الواحد بالعطف؛ وهو أَرْبَعَةٌ أَقْسَامٌ : اسم الجمع، واسم الجنس، وجمع التكسير، وجمع السَّالِمِ أما اسم الجمع، فهو الاسم الموضوع للأحاد ذَالاً عَلَيْهَا، ودلالة المفرد على جملة أَجْزَاءِ مُسَمَّاءُ. وَلَا مفرد له لفظاً، كقومٍ وَرَهْطٍ وَرَكْبٍ وَصَحْبٍ. وأما اسم الجنس؛ فهو الاسم الموضوع للحقيقة. ملغى فيها اعتبار الفردية وهو قَسَمَانٍ : إفرادي وَجَمْعِي، فالأول كالماء والعسل. والثاني كتركٍ وَرُومٍ. والفرق بينهما أَنَّ الأول ينتفي الواحد بنفيه، بخلاف الثاني. فإنه لا ينتفي الواحد والاثنان بنفيه، فإذا قلت: لَيْسَ هُنَا مَاءٌ انتفى كل فَرْدٍ من أفراد الماء، وإن قلت: لَيْسَ هُنَا تَرْكٌ، لَا يُنَافِي أَنْ يَوْجِدَ تَرْكِي أَوْ تَرْكِيَانٍ؛ وهو اسمُ الجنسِ على ثلاثة أقسام، ما يميز واحده عنه ببناءِ التَّسْبِيبِ، كَرُومٍ وَرُومِي، وَتَرْكٍ وَتَرْكِي، وَمَا يُمَيِّزُ وَاحِدَهُ عَنْهُ بِنَاءِ التَّأْنِيثِ، كشمرةٍ وَثَمَرٍ، وَنَخْلَةٍ وَنَخْلٍ، وَنَبْقَةٍ وَنَبْقٍ، وَكَلِمَةٍ وَكَلِمٍ؛ وهو الغالب وَمَا يُمَيِّزُ هُوَ عَنْ مُفْرَدِهِ بِنَاءِ التَّأْنِيثِ، كَكَمَاءَةٍ وَكَمَا فَكصَاءَةٍ جمع، ومفرده كما. وأما جمع التكسير، وجمع السلامة، مذكراً أَوْ مؤنثاً، فقد تَقَدَّمَ الكَلَامُ عليه، والله تعالى أَعْلَمُ. وتكون الواو أيضاً علامة للرفع. (ص): في الأسماء الخمسة؛ وهي أَخُوكَ وَأَبُوكَ وَحَمُوكَ وَفُوكَ (ش). قلت: أما أَخُوكَ وَأَبُوكَ، فأصلهما أَخُوكَ وَأَبُوكَ، فاستثقلت الضمة على الواو، فحذفت، ثم حذفت الواو الأولى لالتقاء الساكنين، وقد تشدد الخاء والباء، من أخ وأب. وقد يُقال: أَخُوكَ بِسُكُونِ الخاء. قال الشاعر:

مال المرء أخوك إن لم تلفه وزراً عند الكريهة مغواناً على الثوب
ويجمع الأخ من التَّسْبِيبِ على إخوة، ومن الصُّدَاقَةِ والخلة على إخوان، ومن الدِّينِ عليهما، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. فإخوانكم في الدِّينِ. وأما حَمُوكَ فَلَا يُقال إِلَّا بِكسْرِ الكَافِ؛ لأنه لَا يكون خطاباً إِلَّا لِلْمُؤنَّثِ؛ لأن الأحماء أقارب الزَّوجِ كما أَنَّ الأختان أقارب المرأة. والأصهار يطلق عليهما؛ لأنه مِن الصُّهْرِ وهو الاختلاط. هذا أَخُوكَ وَأَبُوكَ وَحَمُوكَ. فيعرب بالحركة الظاهرة. قال الشاعر:

بابه اقتدى عدي في الكرم وَمَنْ يُشَابِهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ

وقد تلزم الألف في الأحوال الثلاثة، فيقال: هَذَا أَحَاكَ وَأَبَاكَ وَحَمَاكَ، فيقدر الإعراب في الألف. وأما فُوكُ، فيعرب بالحروف، ما لم تظهر فيه الميم، فيعرب حينئذٍ بالحركة، تقول: هَذَا فَمَكَ، وقد تشدد ميمُهُ، وتثلث فاؤُهُ، قال في التسهيل: وقد يُثَلَّثُ ما فم منقوصاً أو مقصوراً، أو يضعف مفتوح الفاء. أو مضمومها أو تتبع فاؤه حرف إعرابه في الحركة، كأفعل بفاء مرء وعيني أمرى وأبتم، ونحوهما. وأصل فم فوه، بدليل أفواه وفويه، وأما ذو، فأصلها ذُووا. وهل المحذوف لامها أو عينها قولان. وهل وزنها فعل وهو مذهب الخليل، أو فَعَلٌ بالفتح، وهو مذهب سيبويه قولان. وَلَا تضاف إلا لظاهرٍ على المشهور. وشُدُّ قول الشاعر: أفضل المعروف ما لم تبدل فيه الوجوه» إنما يعرف ذا الفضل من الناس ذاووه. وَلَا يكون ذلك الظاهر إلا ما فيه شَرَفٌ كذي علم، وذو عزٍّ وجلالٍ، وَلَا يُقال ذُو حَجَامَةٍ وذو حياكة. مما ليس فيه شَرَفٌ. قال الزياتي، وترك المصنف الهن؛ وهو الفَرْجُ، أو ما يستقبَّح مِنَ الإنسان. وقد ذكره بغضهم من الأسماء الخمسة، والمشهور فيه النقص، وإعرابه بالحركات، قال في الألفية:

والنقص في هَذَا الأخير أَحْسَنُ. ويشترط في إعراب هذه الأسماء بالحروف، أن تكون مكبرة لا مصغرة وَلَا مجموعة. وأن تكون مُضَافَةً لغيرِ ياء المتكلم. فإن أضيفت للياء، أغربت بالحركات المقدرة. فيما قبل ياء المتكلم، والله تعالى أعلم.

الإشارة: وَأَمَّا وَاو المودة والمحبة من الخلق. فتكون علامة للرفع عند الخلق في موضعين: في جمع المذكر أي إذا كانت تلك المحبة من الجمع الكثير، والجمع الغفير من أهل العقل السليم، والرأي المستقيم، وَلَا عبرة بمحبة السفهاء وَلَا بغضهم، إذ ليسوا من العقل السليم، وأن يكون ذلك الودّ سالماً من الأغراض والأهواء، بل يكون لله، وفي الله، ومن الله، بلا عَوْضٍ وَلَا حَرْفٍ. فهذه المحبة التي تدلُّ على رفع قدر صاحبها عند الله، وتكون أيضاً علامة لرفعِهِ في الأسماء الخمسة، أي إذا وقعت من الأجناس الخمسة، الإنس والجن والملائكة والحيوانات، والجمادات فإنَّ الله تعالى، إذا أَحَبَّ عبداً، قَدَفَ محبته في قلوب جميع خلقِهِ، فيشتاق إليه كل شيء، ويطيعه كل شيء. ويدل على هذا تسخير الحيوانات، والجمادات للأولياء، وتقديم الحديث. إذا أَحَبَّ الله عبداً نادى جبريلُ إنِّي أحب فلاناً فأحبهُ. فيحبه جبريل، ثم يُنادي جبريل في السماوات. إنَّ الله يحبُّ فلاناً فأحبُّهُ. جنهم وإنسهم. وفي الحديث: إن العالم يستغفر له دوام البرِّ وأنعامه، ودوام البحر وهوامه.

وفي حديث آخر: «إن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان في جوف الماء، وإن العلماء ورثة الأنبياء، لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه، بحظ وافر» هـ. والمراد بالعلماء، العلماء باللّه، أو بأحكام اللّه، إذا خلصت النيّة والاستغفار يدل على المحبة، والله تعالى أعلم، ثم قال: (ص): وأما الألف فتكون علامة للرفع في تشنية الأسماء خاصة. (ش) قلت: التشنية مصدر أطلقه على اسم المفعول في مثنى الأسماء. قال في التسهيل في حقيقة التشنية: جعل الاسم القابل لدليل اثنين متفقين في اللفظ غالباً وفي المعنى. على رأى بزيادة ألف في آخره رفعاً، وياء نصباً وجرأ، تليهما نون مكسورة فتحها لغة. وقد تُضَمّ وتسقط للإضافة والضرورة، أو لتقصير صلة هـ. وأقرب منه ما قاله غيره: ما دلّ على أقل أو أكثر. ويقول بزيادة في آخره، ما دلّ على اثنين بلا زيادة، كزوج وشفع وزكى وكلاً وكِلْتَا. إلا أن كلا وكِلْتَا ملحقاً بالتشنية في الإعراب على ما يأتي. ويقول صالحاً للتجريد: اثنان واثنان، فإنهما ملحقان بهما. ويقول: وعطف مثله عليه، ما لا يعطف عليه مثله. بل غيره، كالقمرين والعمرين، في التغليب. فإنهما مما يلحق بالتشنية، وقال ابن هشام: والذي أراه أنهما مثنى حقيقة لا ملحقان بهما. وقوله في التسهيل: القابل خرج بلا ما لا يقبل التشنية، والذي يقبلها ما توفرت فيه ثمانية شروط، جمعها بعضهم فقال:

وَلِلَّذِي تُسِي قَل ثَمَانِ مِنْ الشَّرْطِ قُزْتُ بِالْبَيَانِ
أَوْلُهَا الإِعْرَابُ وَالتَّنْكِيرُ وَعَدَمُ التَّرْكِيبِ وَالنَّظِيرِ. وَأَنْ يَكُونَ مُفْرَدًا وَأَلَّا يَغْنِي
عنه غيره عين نقلاً. كذا اتفاق اللفظ والمعنى فذي، شروطها مجموعة للمبتدي.
فلا يثنى المبني كالضمير وأسماء الشروط، والاستفهام، والموصولات،
والإشارات. وأما اللذان واللتان وهذان فملحق بالتشنية، ولا تثنى المعارف حتى
يقدر شيوعها، فلا يثنى العلم باقياً على علميته، بل إذا أريد تشنيته، قدر تنكيهه،
بدليل دخول الألف واللام عليه، نحو الزيدان والعمران، ولا المركب تركيب إسناد
اتفاقاً. وفي المزجي ثالثها إن لم يختم بويه، ولا ما لا نظير له كالشمس والقمر،
إلا على سبيل التغليب، فقد قالوا؛ القمران للشمس والقمر، والعمران لأبي بكر
وعمر، ولا تثنى الجمع والمثنى باقياً على جمعيته وتشنيته، غير مسمى بهما، ولا
يثنى أيضاً ما أغنى عنه غيره كسواء، فلم يقولوا سَواءِ، بل قالوا: سَيَّانِ، فأغنى
تشنية سي عن تشنية سواء، وشذ قول الشاعر:

يَارَبَّ إِنْ لَمْ تَجْعَلِ الحَبَّ بَيْنَنَا سَواءَ بَيْنَ فَاجِعَلُنِي عَلَى حُبِّهَا جَلداً

وَلَا يَشْنِي أَيْضاً مَا اخْتَلَفَ لَفْظاً. كَزَيْدٍ وَعَمْرُو، إِلَّا مَا تَقَدَّمَ مِنَ التَّغْلِيْبِ: فَقَدْ
 قَالُوا: الْأَبْوَانُ لِلْأَبِ وَالْأُمَّمُ. وَالذَّرْهَمَانُ، لِلذَّرْهَمِ وَالذَّيْنَارِ، وَالْأَذَانَانِ، لِلأَذَانِ
 وَالْإِقَامَةِ، وَالْعِشَاءَانِ، لِلْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ. وَالْفَاطِمَاتُ كَثِيرَةٌ. وَالتَّغْلِيْبُ يَكُونُ لِلأَخْفِ.
 أَوْ لِلأَفْضَلِ، فَالْمَفْرَدُ أَخْفُ مِنَ الْمَرْكَبِ، وَالْمَذْكَرُ، أَفْضَلُ مِنَ الْمَوْثِقِ، فَلذَلِكَ
 قَالُوا: الْعُمْرَانِ وَالْقَمْرَانِ، وَكَذَلِكَ مَا اخْتَلَفَ مَعْنَى، كَأَنَّ يَكُونُ أَحدهمَا حَقِيقَةً،
 وَلِأَخْرَجِ مَجَازاً، فَلَا تَقُولُ: جَاءَ الْأَسَدَانِ، وَتَعْنِي السَّبْعُ الْمَعْلُومُ بِالرَّجُلِ الشَّبِيهُ بِهِ.
 تَنْبِيْهَاتٍ، الْأَوَّلُ: هَذِهِ الشَّرُوطُ الثَّمَانِيَةُ الَّتِي جَرَتْ فِي الْمَعْنَى، كُلُّهَا تَجْرِي أَيْضاً فِي
 جَمْعِ الْمُدَّكَّرِ السَّالِمِ، فَلَا يَجْمَعُ جَمْعَ سَلَامَةٍ إِلَّا بِهَا. وَإِلَّا كَانَ مُلْحَقاً بِالْجَمِيعِ.
 هَكَذَا سَمِعْتُ مِنْ شَيْخِنَا ابْنِ قَرِيْشٍ، وَأُظْهِرَ نَقْلَهُ عَنِ الزِّيَاتِيِّ. الثَّانِي: مِمَّا أَلْحَقَ
 بِالْمَثْنِيِّ كَيْلاً وَكَلْتاً، يَشْتَرِطُ إِضَافَتَهُمَا إِلَى الضَّمِيرِ. تَقُولُ: جَاءَ الْجَيْشَانِ كَيْلَاهُمَا.
 وَالْقَبِيلَتَانِ كَيْلَتَاهُمَا. وَرَأَيْتَ الْجَيْشَيْنِ كَيْلَيْهِمَا، وَالْقَبِيلَتَيْنِ كَيْلَتَيْهِمَا، وَمَرَرْتُ بِالْجَيْشَيْنِ
 كَيْلَيْهِمَا، وَبِالْقَبِيلَتَيْنِ كَيْلَتَيْهِمَا، وَإِعْرَابُهُمَا تَوْكِيْدُ تَابِعِ لِلْمَوْكَدِ. فَإِذَا أُضِيْفَ لِلظَّاهِرِ،
 أَعْرَبَ بِالْحَرَكَةِ الْمَقْدَّرَةِ، نَحْوَ كَيْلَتَا الْجَيْتَيْنِ آتَتْ أَكْلَهَا، فَكَلِمَتُ مَبْتَدَأٌ، مَرْفُوعَةٌ بِضَمَّةٍ
 مَقْدَرَةٌ فِي الْأَلْفِ. وَجَمَلَةٌ آتَتْ خَبَرَ. وَإِنَّمَا أَعْرَبَ بِالْحَرَكَةِ إِذَا أُضِيْفَ لِلظَّاهِرِ إِعْطَاءً
 الْأَضْلَ لِلأَضْلِ، فَأَصْلُ الْإِضَافَةِ أَنْ تَكُونَ لِلظَّاهِرِ، وَأَضْلُ الْإِعْرَابِ أَنْ يَكُونَ
 بِالْحَرَكَاتِ، فَجِيْنَ أُضِيْفَتْ لِلظَّاهِرِ، رَجَعَتْ لِأَضْلِيْهَا، فَأَعْرَبْتَ بِالْحَرَكَاتِ. الثَّلَاثُ:
 الْبَاعِثُ عَلَى التَّنْبِيْهِ الْاِخْتِصَارُ، وَكَذَلِكَ الْجَمْعُ، وَأَضْلُهُمَا الْعَطْفُ، بِدَلِيلِ رَجُوعِ
 الشَّاعِرِ إِلَيْهِ فِي الْاِضْطِرَارِ كَقَوْلِهِ إِنَّ الرِّزِيَّةَ لِأَرْزِيَّةٍ مِثْلَهَا، فَقَدَانِ مِثْلِ مُحَمَّدٍ
 وَمُحَمَّدٍ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الإِشَارَةُ: وَاللَّهُ أَلِفُ الْوَحْدَةِ، أَيِ التَّحَقُّقِ بِهَا. فَيَكُونُ عَلَامَةً لِرَفْعِ صَاحِبِهَا
 وَكَمَالِهِ، فِي تَنْبِيْهِ الْأَسْمَاءِ خَاصَّةً. أَيِ فِي التَّمَسُّكِ بِالشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ فَقَطْ. فَمَنْ
 تَحَقَّقَ وَلَمْ يَتَشَرَّعْ فَقَدْ تَزَنَّدَقَ. إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَجْذُوباً. أَوْ تَقُولُ: تَكُونُ أَلِفُ الْوَحْدَةِ
 عَلَامَةً لِرَفْعِ فِي تَنْبِيْهِ الْأَشْيَاءِ الدَّالَّةِ عَلَيْهَا الْأَسْمَاءِ. وَتَنْبِيْهِهَا جَعْلُهَا وَرُؤْيِيهَا قَائِمَةٌ بَيْنَ
 الضَّادِ بَيْنَ الْحِسِّ وَالْمَعْنَى، بَيْنَ الْحِكْمَةِ وَالْقَدْرَةِ. بَيْنَ عِبُودِيَّةٍ وَرَبُوبِيَّةٍ. بَيْنَ مَلِكٍ
 مَلَكُوتٍ، بَيْنَ أَثَرٍ وَمَوْثَرٍ. بَيْنَ كَوْنٍ وَمُكُونٍ، بَيْنَ خَلْقٍ وَحَقٍّ. فَلَا يَكُونُ الْعَارِفُ
 كَامِلاً حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ، فَإِنْ وَقَفَ مَعَ الضَّادِ الْأَوَّلِ، كَانَ مَحْجُوباً مَطْمُوساً
 الْبَصِيرَةَ. وَفِيهِ قَالَ الْمَجْذُوبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ نَظَرَ الْكَوْنَ بِالْكَوْنِ. عِزَّةٌ فِي عَمَى
 الْبَصِيرَةِ. وَمَنْ نَظَرَ الْكَوْنَ بِالْكَوْنِ، صَادَفَ عِلَاجَ السَّرِيرَةِ. وَإِنْ وَقَفَ مَعَ الضَّادِ
 الثَّانِي، كَانَ سَكْرَاناً غَيْرَ صَاحٍ. فَانِيّاً غَيْرَ بَاقٍ، مَجْذُوباً غَيْرَ سَالِكٍ. فَلَا يَكُونُ

كأَمْلاً. وبالله التوفيق. ثم قال (ص) وأما النون فتكون علامة للرفع في الفعل المضارع. إذا اتَّصَلَ بِهِ ضمير تثنية. أو ضمير جمع، أو ضمير المؤنثة المخاطبة. (ش) قالت: ضمير تثنية، نحو الزَّيْدَانِ يَقُومَانِ، أو يَقُومَانِ الزَّيْدَانِ، وضمير جمع، نحو الزَّيْدَانِ يَقُومُونَ، أو يَقُومُونَ الزَّيْدَانِ، على لغة عدم تجريد الفعل فيهما، وضمير المؤنثة المخاطبة. أنت يا هند تقومين. فالنون علامة للرفع. في الجميع، سواء كان الألف والواو ضميرين، أو حرفين، دالِّين على التثنية والجمع، وَلَا فَرْقَ فِي هَذَا الْفِعْلِ الْمَتَّصِلِ بِضَمِيرٍ تَثْنِيَةٍ، أَوْ ضَمِيرٍ جَمْعٍ، بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُؤَكِّدًا بِنُونِ التَّوَكِيدِ الشَّقِيْلَةِ. أَمْ لَا. فإنه في كل ذلك مرفوع بالنون، نحو قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾، فَأَصْلُهُ تَبْلُوونَ، كَتُنْصَرُونَ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها. فقُبلت أَلْفًا، فَصَارَ تَبْلَاوُنَ، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين. فصار تَبْلُوونَ. ثم أكد بنون التوكيد، فصار تَبْلُونِ، اجتمع ثلاث نونات، فحذفت نون الرفع لاجتماع الأمثال. فالتقى ساكنان: سكون الواو وسكون نون التوكيد المشددة. فحركت الواو بالضممة لمجانستها له، فهذا الفعل مرفوع بالثون المحذوفة، لاجتماع الأمثال. ومثله لتخرجن يا هند، أصله تخرجين. فأكد، فصار تخرجين. فالتقى ثلاث نونات، فحذفت نون الرفع لاجتماع الأمثال. وكذلك تقول يا زيدان. والله لتخرجان، أصله لتخرجانن، فاجتمع ثلاث نونات، فحذفت نون الرفع كما تقدم، وكسرت نون التوكيد. وما ذكره المصنف، من أن ياء المخاطبة ضمير هو مذهب الجمهور. وقال الأخفش والمازني، إنها حرف، والفاعل على ضمير مستتر. قال بعضهم: أصل هذه الثون بسكون، وإنما حركت لالتقاء الساكنين. سكونها، وسكون ما قبلها، فكسرت بعد الألف على أصلها، وفتحت بعد الواو والياء تخفيفاً، لاشتغال الكسرة بعدهما، وقيل تشبيهاً للأول بالمشئى. وللثاني بالجمع. وقد تفتح بعد الألف، قُريء أَعَدَّ اِنْبِيَا. وقد تضم قريء شاذاً (طعام ترزقانه) بضم الثون. وقد تحذف الثون في الأمر. وفي الصحيح: «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَفِي النِّظْمِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: أَيْبَتِ أُسْرِي تَبِينُ تَذَلُّكِي» وجهك بالعنبر والمِسْكُ الذُّكِّي. وإذا اجتمعت هذه النون، مع نون الوقاية، جاز فيهما الفك والإدغام والحذف. وقريء بالجميع. وهل المحذوف حيثئذ نون الرفع أو نون الوقاية قولان. تشبيه: قد تلتبس هذه الثون بنون الإناث. التي يبنى المضارع معها، وذلك في المضارع المُعْتَلِّ به الواو والياء، نحو الزَّيْدُونَ يَدْعُونَ. والهَيْدَاتُ تَدْعُونَ، أو الرِّجَالُ يَغْزُونَ. والنِّسَاءُ يَغْزُونَ. فالأول مُعْرَبٌ، والثاني مَبْنِيٌّ. ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَعْثُوكَ﴾ وقوله

تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اَلْسَبْعُنْ اَحَبُّ اِلَيَّْ وَمَا يَدْعُوْنِيْ اِلَيْهِ﴾ «والقواعد من النساء التي لا يرجون». فهذه الأفعال الثلاثة كلها مبنية لاتصالها بنون الإناث. فالنون فيها فاعل. والواو عين لام الكلمة؛ بخلاف. «وقال الذين لا يرجون». فإنه معرب، والواو فاعل وأضله يرجون، على وزن يفعلون، وأما: «القواعد من النساء اللاتي لا يرجون». فأضله يرجون. على وزن يفعلن، فالواو أضلي، والنون فاعل. وقس على ذلك نظائره، وكذلك الهندات ترمين، مبنية. والنون فاعلا بخلاف أنت يا هند ترمين، فمعرب بثبوت النون. والياء فاعل، وهذه مسألة ابن خميسة مع أهل سبته التي ذكرها ابن غازي في حاشيته على الألفية. فانظرها فيه، إذ لم تحضر لي الآن.

الإشارة: وأما نون الأنانية؛ وهو مقام الفنا الذي يقول فيه صاحبه. أنا من أهوى ومن أهوى أنا. فيكون علامة لرفع صاحبه، اتصل به ضمير، أي قلب تشبیهة: وهو الذي يقر الشريعة في محلها، والحقيقة في محلها. والشريعة للظواهر، والحقيقة للبواطن. فلا يكمل مقام الفناء إلا بالبقاء. الذي يعطى فيه كل ذي حق حقه كما تقدم. أو تقول ضمير تشبیهة. هو رؤيته الضدين في جميع التجليات كما تقدم. أو ضمير جمع على الله في جميع الأوقات، وكل الحالات، فيكون مستغرقاً في الشهود، غائباً عن كل موجود، مستديم الشرب والورود. غارقاً من عين المنة والجود. أو ضمير المؤنثة، أي ذي البصيرة المؤنثة المخاطبة، بالواردات الإلهية، والعلوم اللدنية. والأسرار الربانية. وبالله التوفيق. ثم ذكر علامة النصب. فقال (ص): وللنصب خمس علامات: الفتحة والألف والكسرة، والياء وحذف الثون. (ش). قلت: قدم الفتحة لأضليها. وثنى بالألف لأنه بنتها. وثلث بالكسرة لأنها أختها. وذكر الياء بعدها لأنها بنتها، وأخت الألف في اللين. وختم بالنون. لأنه مختص بالأفعال، اختصاص الألف والياء. والكسرة بالأسماء. وتشارك الفتحة بين الأسماء والأفعال.

الإشارة: ولينصب العبد نفسه للمقادير في مقام الرضى خمس علامات. الفتحة، أي فتح قلبه لمعرفة الحق. فإن من عرف الحق رضي بحكمه. ومن جهله سخط أحكامه. قيل لبعض العارفين: قال: ما يقضي الله. وقال آخر، أخلجت ومالي سرور إلا في مواقع القدر. وفي الحكم: العاقل إذا أصبح، نظر إلى ما يفعله الله. والغافل ينظر ما يفعل بنفسه. وعلامة النصب للمقادير أيضاً، والرضى بما يجري من عنصر القدرة، أليف الوحدة. فلا يرى إلا الله. ولا يزكن إلى شيء سواه؛ لأن من رضي بالله رباً. لا يعرف غيره. وعلامته أيضاً: الكسرة. أي

الخضوع والسكون تحت مجاري أقداره. والدّل والافتقار إليه. وعلامته أيضاً: اليقين التام، والطمأنينة الكبرى. فالياء يُشار بها هنا إلى اليقين. وعلامته أيضاً: حذف نون الأنانية، بخروجه إلى البقاء. فالفاني يقول: أنا. والباقي يقول: هو. كما تقدّم. ثم فضّل ما تقدّم. فقال (ص): فأما الفتحة فتكون في ثلاثة مواضع. (ش) الأول (ص) في الاسم المفرد (ش)؛ وهو ما ليس مشئ ولا مجموعاً. ولا واحداً من أسماء الخمسة. نحو: رأيت زيدا، وعبد الله، والفتى والقاضي. (ص) و(ش) الثالث (ص) الفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره شيء. (ش) نحو: «لن يتألّ الله لُحومها» ولن يخشى الله من يعصيه.

الإشارة: لا يكون الفتح ذاته على تحقق العبد بمقدم الرضى. إلا بعد تحققه بثلاثة أمور، في بدايته: الاستغراق في الاسم المفرد، وصحبته للذاكرين، وتمسكه بالعمل الصالح، الذي لم يتصل بآخره شيء من العليل؛ وهو التمسك بالشرعية المحمدية. وبالله التوفيق. ثم قال (ص) وأما الألف فيكون علامة للتضيب في الأسماء الخمسة (ش) المتقدمة في علامات الرفع. (ص) نحو رأيت أخاك وأباك وما أشبه ذلك. (ش) نحو رأيت حماك لي. وقبّلت فاك. ورأيت ذا مال. فأخاك وما بعده منصوبات. وعلامة نصبها الألف.

الإشارة: وأما ألف الوحدة، إذا تحقق به المرید، وتمكّن منه، فيكون علامة لتضيبه للمشيخة والتذكير، في خمسة أمور. فإذا تحقق بها، كانت علامة على صحة تضيبه وظهوره بذكر ثلاثة في سيره؛ وهي الضحبة للشيخ. وخرق عوائد نفسه، وإذن له من شيخه. واثان بعد وُصوله؛ وهو التحقق بمقام الفنا، والبقاء. وبالله التوفيق. (ص): فأما الكسرة فتكون علامة للتضيب في جمع المؤنث السالم. (ش) نحو قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فالسماوات مفعول به منصوب. وعلامة تضيبه الكسرة النائية عن الفتح. وهاهنا بحث، وهو أنّ من شأن المفعول به أن يكون موجوداً قبل الفعل، ثم يجيء الفاعل. فيفعل فيه فعله، نحو زيداً ضربت، فزيد موجود قبل الضرب، ثم وقع الضرب عليه. والسماوات لم تكن موجودة قبل الخلق، بل وجدت به؛ فهو أشبه شيء بالمفعول المطلق، الذي من شأنه أن يوجد بالفعل والجواب، أنّ هذه القاعدة، إنما هي في غير أفعال الإيجاد الاختراع. وأما ما يدل على الإيجاد والاختراع، فالمفعول يوجد بها، نحو صنعت شيننة وقضعة، ونحوهما. وقد تقدّم الكلام على جمع المؤنث السالم، فلا نعيد الكلام عليه.

الإشارة: وأما الكسرة. أي الزلّة والهفوة، فتكون علامة على نصب العبد وجهه لجهة التوجه، بحيث لم تضره ولم تفتره. بل تزيده انكساراً وإيحاشاً في ربه. في جمع المؤنث السالم أي إذا كان ذلك ميلاً منه بطبعه، لجهة النساء. ثم سلم من غائلتهن، ورحل إلى ربه بانكساره. معصية أوزرت ذلاً وافتقاراً. خير من طاعة أوزرت عزاً واستكباراً. وباللّه التوفيق. (ص): وأما الياء فتكون علامة للنّصب (ش) أي نائبة عن الفتحة (ص) في التثنية. (ش) نحو رأيت الزّيدين. وقوله تعالى في قراءة أبي عمرو: «إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ» فالياء نائبة عن الفتحة فيهما. (ص) والجمع (ش) نحو رأيت الزّيدين. وقوله تعالى: «وَإِنَّ الْفَالِغِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» فالياء نائبة عن الفتحة فيهما. مفتوح ما بعدها، مكسور ما قبلها، بخلاف التثنية، فإن ما قبلها مفتوح، وما بعدها مكسور. وإنما خص المثنى بالكسر، والجمع بالفتح لما بعد الياء، لخفة المثنى، وثقل الجمع، فأعطي الثقيل للتحفيف. والخفيف للثقل، ليتعادل. والله تعالى أعلم.

الإشارة: وأما اليقين والطمأنينة، فيكون علامة لنّصب العبد وتوجهه إلى ربه، في التثنية، أي في ضمّ الشريعة إلى الحقيقة. فإن ظاهره متمسكاً بالشريعة، وباطنه منوراً بأسرار الحقيقة علمنا كماله وصحة توجهه. وإن أخل بأحدهما علمنا نقصانه، وإن ظهر أثر اليقين عليه من سكون الظاهر وطمأنينته. فإن كثيراً من العباد والزهاد ظهر عليهم أثر اليقين؛ وهم غير كمال. ثم هم أشد حجاً عن اللّه. ويظهر أيضاً نضبه وتوجهه في الجمع الدائم. والقلب الهائم، فيكون شربه متواليّة، وشكره متواصلة، كما قول الشاعر:

مِنْ أَحْسَنِ الْمَذَاهِبِ سَكَرَ عَلَى الدَّوَامِ
وَأَكْمَلَ الرُّغَائِبِ وَضَلَّ بِإِلْهَامِ

(ص) وأما حذف الثون فيكون علامة للنّصب في الأفعال التي رفعها بثبات الثون. (ش) وهي الفعل المضارع الذي اتّصل به ضمير تثنية، أو ضمير جمع. أو ضمير المؤنثة المخاطبة، نحو: لن تفعلوا، ولن تفعلوا. ولا تفعلوا. فلن حذف نصب واستقبال. وتفعلوا فعل مضارع منصوب، وعلامة نضبه، حذف الثون، الكميات في كلام المصنّف مصدر. يقال: ثبت ثبوتاً، وثباتاً. فالأول مقيس والثاني سماعي. ومثله: ذهب ذهاباً وذهباً. واللّه تعالى أعلم.

الإشارة: وأما حذف نون الإنانية، بالخروج إلى التحقق بالهوية. في مقام

البقاء . وقد تقدّم أنّ الفاني أنا . والباقي يقول : هو . فعَلَامَةٌ نُضِبِهِ فِي مَقَامِهِ ، اِسْتِعَالَه بِالْأَفْعَالِ الَّتِي تَرْفَعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى . بِشَبُوتِ الثُّورِ الَّذِي يَحْفَقُهَا . وَهُوَ الْإِخْلَاصُ وَالْإِتْقَانُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . ثُمَّ ذَكَرَ عِلْمَةَ الْخَفِضِ فَقَالَ (ص) : وَلِلْخَفِضِ ثَلَاثُ عِلْمَاتٍ . الْكِسْرَةُ (ش) نَحْوَ بِسْمِ اللَّهِ . (ص) وَالْيَاءُ (ش) نَحْوَ رَبِّ الْعَالَمِينَ . (ص) وَالْفَتْحَةُ (ش) نَحْوَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ . قَدَّمَ الْكِسْرَةَ لِأَصَالَتِهَا . وَتُئِي بِالْيَاءِ ؛ لِأَنَّهَا ابْتَهَتْهَا . وَتُلْتُّ بِالْفَتْحَةِ لِأَنَّهَا أَخْتَهَا .

الإِشَارَةُ : وَلِخَفِضِ الْعَبْدِ وَتَوَاضَعِهِ ثَلَاثُ عِلْمَاتٍ : إِنْكَسَارُ لِرَبِّهِ دَائِمًا . هَيْئَةً مِنْهُ وَاجْتِلَالًا لَهُ ، وَلِعِبَادِ اللَّهِ تَوَاضَعًا . وَأَوْلِيَاءِهِ تَعْظِيمًا . وَتَحَقُّقَهُ بِيَاءِ النَّسَبِ . أَيِ يَكُونُ مَنْسُوبًا إِلَى الصُّوفِيَّةِ ، مُتَحَقِّقًا بِمَقَامِهِمْ . حَتَّى يُقَالَ فِيهِ صُوفِي ، أَوْ مَنْسُوبًا لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ مُضَافًا إِلَيْهِ . الثَّلَاثُ : أَنْ يَكُونَ مَفْتُوحًا عَلَيْهِ . قَدْ تَحَقَّقَ الْفَتْحُ الْكَبِيرُ . وَفِي الْحِكْمِ : التَّوَاضَعُ الْحَقِيقِيُّ ، مَا كَانَ نَاشِئًا عَنْ شَهْوَدِ عَظَمَتِهِ . وَتَجَلَّى صِفَاتِهِ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ . (ص) فَأَمَّا الْكِسْرَةُ فَتَكُونُ عِلْمَةً لِلْخَفِضِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ . فِي الْاسْمِ الْمَفْرُودِ الْمَنْصَرَفِ . (ش) نَحْوَ مَرَرْتُ بِرِجَالِ . وَاجْتَرَزْتُ مِنْ غَيْرِ الْمَنْصَرَفِ ، نَحْوَ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَسِيَّاتِي . (ص) وَ (ش) فِي (ص) جَمْعِ الْمُؤْنِثِ السَّالِمِ (ش) نَحْوُ : «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ» . فَإِنَّ حَرْفَ تَوْكِيدِ وَنَسْبِ ، وَفِي السَّمَاوَاتِ جَارٍ وَمَجْرُورٍ وَعِلْمَةٌ جَزْءٍ . كِسْرَةٌ فِي آخِرِهِ . وَهُوَ خَيْرٌ إِنَّ مَقْدَمَ . وَآيَاتِ اسْمُهَا مُؤَخَّرٌ . مَنْصُوبٌ بِالْكَسْرِ نَائِبَةٌ عَنِ الْفَتْحَةِ : لِأَنَّهُ جَمْعُ مُؤْنِثٍ سَالِمٍ كَمَا تَقَدَّمَ . وَلَمْ يُقَيِّدْهُ بِالْمَنْصَرَفِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَنْصَرَفًا عَلَى الْمَشْهُورِ .

الإِشَارَةُ : فَأَمَّا الْإِنْكَسَارُ فَيَكُونُ عِلْمَةً لِلتَّوَاضَعِ الْحَقِيقِيِّ . فِي ثَلَاثِ ، أَوْلَاهَا الْإِسْتِغَالُ بِذِكْرِ اللَّهِ . وَأَعْظَمُ الذِّكْرِ . الْاسْمُ الْمَفْرُودُ ؛ لِأَنَّهُ سُلْطَانُ الْأَسْمَاءِ ، فَإِنَّ الذِّكْرَ يَهْدَبُ وَيُؤَدَّبُ . قَالَ تَعَالَى : «وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ» . ثَانِيهَا : جَمْعُهُ مَعَ الْأَوْلِيَاءِ ، أَهْلُ الْإِكْبَارِ وَالتَّكْسِيرِ . ثَالِثُهَا : تَحْصِيلُهُ لِلْسَّنَّةِ ، وَإِحْرَازُهُ لِذِيئِهِ . بِجَمْعِهِ بِالْمُؤْنِثِ السَّالِمِ مِنْ غَوَائِلِهِ . وَهُوَ التَّزْوِجُ . فَلَا يَظْهَرُ تَوَاضَعُ الْعَبْدِ وَحُسْنُ خُلُقِهِ إِلَّا مَعَ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ . قَالَ ﷺ خَيْرِكُمْ لِنِسَائِهِ . وَأَنَا خَيْرِكُمْ لِنِسَائِي» . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ . (ص) وَأَمَّا الْيَاءُ فَتَكُونُ عِلْمَةً لِلْخَفِضِ . فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ . فِي الْأَسْمَاءِ الْخُمْسَةِ (ش) أَيِ الْمَتَقَدِّمَةِ . نَحْوِ مَرَرْتُ بِأَخِيكَ ، وَأَبِيكَ ، وَحَمِيكَ . وَنَظَرْتُ إِلَى فَيْكَ . وَذِي مَالٍ . وَفِي الثَّنِيَّةِ ، نَحْوِ مَرَرْتُ بِالزَّيْدَيْنِ ، وَالْجَمْعِ ، نَحْوِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

الإِشَارَةُ : وَأَمَّا يَاءُ النُّسْبَةِ الَّتِي تَحَقُّقُهُ بِاللَّحُوقِ بِالصُّوفِيَّةِ ، فَتَكُونُ عِلْمَةً عَلَى

حَفْضُهُ وتَوَاضَعُهُ حتى يتحقق بما تحققوا بِهِ في ثلاثة مَوَاضِع، في الأَسْمَاءِ الخَمْسَةِ، أي يظهر تَوَاضَعُهُ في الأَسْمَاءِ الخَمْسَةِ، في الإنس والجنّ والملائكة، والحيوانات، والجمادات. فَإِنَّ العَارِفَ يتَوَاضَعُ مَعَ الحِجَرِ والمَدَرِ، ومع الأَشْيَاءِ كُلِّهَا؛ لأنَّ تَوَاضَعُهُ ناشيء عن شَهْوَ عَظْمَةِ الذَّاتِ التي تَجَلَّتْ في كل شَيْءٍ. وفي التثنية، أي في شَهْوَ الضِّدِّينِ في الأَشْيَاءِ كُلِّهَا. فيتَوَاضَعُ مع الربوبية، ويقوم بحقوق العبودية. وفي الجمع، أي في جمع الإخْوَانِ، فيتَوَاضَعُ مع صغيرهم وكبيرهم، ويرحم صغيرهم، ويؤقر كبيرهم. وفي الحديث: «إِزْحَمُوا صَغِيرَكُمْ، ووقروا كبيركم، أو كما قال عليه السَّلَامُ. كما في الجامع. والله در القائل. ارحم بني جميع الخلق كلهم. وانظر إليهم بعين الحِلْمِ والشفقة.

وَقُرَّ كَبِيرُهُمْ وَازْحَمَ صَغِيرُهُمْ وِرَاعَ فِي كَلِّ خَلْقٍ حَقٍّ مِنْ خَلْقِهِ

(ص) وأما الفتحة فتكون علامة للخفض في الاسم الذي لا ينصرف. (ش) قلت: الاسم على قسمين، معرب وهو الأصل. ومبني وهو الفرع، وإنما بني الاسم إذا أشبه الحرف شهاً قوياً، يقربه من الحروف، فيبنى حينئذٍ؛ لأنَّ الحروف كلها مبنية، وأنواع الشبه ثلاثة: أحدها الشبه الوضعي؛ وهو أن يكون الاسم على حرفٍ أو حرفين، كتاء قمت، فإنها شبيهة ببَلٍ وقد، فالضماير كلها مبنية، إذ جلها على حرفٍ أو حرفين، وما وجدنا منها على ثلاثة؛ فهو شبيهة بمنذ الحرفية. والثاني: الشبه المعنوي؛ وهو أن يتضمَّن الاسم معنى من معاني الحروف، أي المعاني التي حقها أن تؤدِّي الحروف، سواء وُضِعَ لذلك المعنى حرف أم لا، فالأول كمتى، فإنها تستعمل شرطاً، فهي شبيهة حينئذٍ بإما الشرطية. وتستعمل استفهاماً؛ فهي شبيهة حينئذٍ بهمزة الإستفهام، وإنما أعربت أي الشرطية في نحو: «أَيُّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ»، والإستفهامية في نحو: «أَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بالأَمْنِ». لضعف الشبه بما عَارَضَهُ مِنْ لُزُومِهَا الإِضَافَةَ؛ التي هي من خِصَائِصِ الأَسْمَاءِ، والثاني: وهو المعنى التي لم يوضع لها حرف، نحو هُنَا، فإنها مضمنة لمعنى الإشارة؛ وهذا المعنى لم توضع له العرب حرفاً، ولكنه من المعاني التي حقها أن تؤدِّي بالحروف، ومعنى الإشارة؛ هو المعنى الذي لا يصحُّ النطق به؛ لأنه لا يؤدِّي بالكلام. وأما إذا مثلاً، فاسمٌ للمشارِ إليه، لكنه تضمن معنى الإشارة التي لم تقع لها العرب حرفاً يدل عليها مع أنها من المعاني التي من حقها أن تؤدِّي بالحروف، كالتثنية والخطاب، وإنما أعرب هَذَا وَهَاتَانِ لضعف الشبه بمجيئها على صورة

المثنى التي هي من خصائص الأسماء. والثالث: الشبه الإستعمالي. وضابطه أن يلزم الاسم طريقة من طرائق الحروف، كأن ينوب عن الفعل، ولا يدخل عليه عامل فيؤثر فيه، وكان يفترق افتقاراً. موصلاً إلى جملة، فالأول كهيئات وصة وأي، فإنها نائبة عن بُعد، واسكنت وأتوجع، ولا يصح أن يدخل عليها عامل، فيؤثر فيها، فأشبهت لعل ولينت مثلاً، ألا ترى إنها نائبة في المعنى عن أترجى وأتمنى. ولا يدخل عليها عامل، واحترز بالتأثير، من المضدر النائب عن فعله، فإنه يتأثر بالفعل النائب عنه، فأعرب. والثاني؛ وهو: الشبه الإفتقاري كإذ رميت والموصولات، فإنها مفتقرة إلى ما بعدها. فلا يتم معناها إلا بذكر ما بعدها. فأشبهت الحروف في الإفتقار، إذ من شأن الحرف ألا يستقل بنفسه، وإنما أعرب اللذان واللتان. وأي الموصولة، لضعف الشبه كما تقدم. وإذا سلّم الاسم من شبه الحرف أعرب؛ وهو على قسمين، متمكن أمكن؛ وهو المتصرف. وممكن غير أمكن؛ وهو الممنوع من الصرف، وسبب منعه من الصرف، لشبهه بالفعل؛ لأن الفعل لا يدخله الخفض ولا التنوين. فإذا أشبهه الاسم منع منهما، فيكون غير منصرف، والصرف هو التنوين الذي يدل على خفة الاسم وتمكنه في باب الإسمية، وشبهه بالفعل؛ أن توجد فيه علتان فرعيتان، أو علة تقوم مقام علتين، فإن كان كذلك، منع مما يمنع منه الفعل. وكذلك أن الفعل فيه أمران زائدان على مجرد معناه، أحدهما راجع إلى لفظه، والآخر إلى معناه، فالراجع للفظ اشتقاقه أي أخذه عن المصدر، كقام من القيام، وعلم من العلم، ونحو ذلك. والأصل في الأشياء عدم أخذها عن غيرها، والراجع إلى معناه، افتقاره إلى فاعل فإن الأصل في الأشياء استقلالها بنفسها، وعدم افتقارها إلى غيرها. أما وجه جعلهما علتين، فليوجهين، أحدهما كونهما أمرين زائدين على أصل المعنى، وازدتين عليه، فهما بمنزلة العلة الواردة على الأجسام الصحيحة، والآخر كونهما صالحين للإلحاق بمحلها، والجمع بهما، كما شأن القياس، وأما جعلهما فرعيتين، فلا يخفى أن الأصل في الكلمة ألا تكون مشتقة، ولا مأخوذة من غيرها، وإن عدم الاستثقال والإحتياج إلى الغير فرع عن الاستثقال. وعدم الإحتياج إلى الغير. فإذا كان الاسم مشتقاً على علتين فرعيتين، إحداهما راجعة إلى اللفظ. والأخرى إلى المعنى. حصل له الشبه بالفعل فمنع مما منع منه الفعل وليست العلتان الموجودتان في الفعل، هما اللتان تكونان في الاسم، وإنما المراد أنهما يتشابهان في مجرد وجود

العَلْتَيْنِ . وَجُمْلَةُ الْعِلَلِ الَّتِي تُوْجَدُ فِي الْأَسْمِ؛ فَيُشْبِهُ بِهَا الْفِعْلُ تَسْعُ جَمْعُهَا بَعْضُهُمْ فِي بَيْتِ فَقَالَ:

أَجْمَعُ وَزْنَ عَادِلًا أَنْتَ بِمَغْرِفَةٍ رَكْبٌ وَزِدْ عَجْمَةً فَالْوَصْفُ قَدْ كَمَلَا

فَقَوْلُهُ: أَجْمَعُ، يُشِيرُ بِهِ إِلَى صِيغَةِ مَتَهَى الْجُمُوعِ؛ وَهُوَ مَا كَانَ عَلَى وَزْنِ مَفَاعِلٍ، أَوْ مَفَاعِيلٍ، وَمَا أَشْبَهَهُ، كَفَوَاعِلٍ وَتَفَاعِيلٍ؛ لِأَنَّهُ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الْمَفْرَدَاتِ، نَحْوُ: «مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ». وَدِرَاهِمٍ. فَمَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَدِرَاهِمٍ مَجْرُورَةٌ بِالْفَتْحَةِ نَائِبَةٌ عَنِ الْكُسْرَةِ؛ لِأَنَّهُ اشْتَمَلَ عَلَى عِلْتَيْنِ فَرْعِيَّتَيْنِ؛ إِحْدَاهُمَا مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ؛ وَهُوَ صِيغَةُ الْجَمْعِ، وَالْأُخْرَى مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى، وَهُوَ عَدَمُ النَّظِيرِ فِي الْآحَادِ، فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، إِلَّا أَنَّ التَّخَوِيلِينَ يَقُولُونَ فِي هَذَا. فِيهِ عِلَّةٌ وَاحِدَةٌ تَقُومُ مَقَامَ عِلْتَيْنِ؛ لِأَنَّ الْعِلَّةَ الظَّاهِرَةَ، هِيَ كَوْنُهُ جَمْعًا؛ وَهِيَ لَفْظِيَّةٌ، وَأَمَّا عَدَمُ النَّظِيرِ؛ فَهِيَ عِلَّةٌ لِأَزْمَةِ لَا صِيغَةَ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ مَتَهَى الْجُمُوعِ؛ لِأَنَّ الْمَفْرَدَ قَدْ يَجْمَعُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً؛ فَإِذَا انْتَهَى إِلَى هَذَا الْجَمْعِ، لَمْ يُجْمَعْ بَعْدَهُ ذَلِكَ. تَقُولُ: كَلْبٌ وَأَكْلَبٌ، وَأَكَالِبٌ، وَلَا تَزِدُ. وَقَوْلُهُ وَزْنَ أَسَارَ بِهِ إِلَى وَزْنِ الْفِعْلِ نَحْوُ: أَحْمَدٌ وَيَعْلَى. فَأَحْمَدٌ عَلَى وَزْنِ أَكْرَمٍ. وَيَعْلَى عَلَى وَزْنِ يَعْلَمُ، وَتَكُونُ فِي الْأَسْمِ، كَأَحْمَدٍ، وَالْوَصْفُ كَأَحْسَنَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَحَبِؤُا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ فَأَحْسَنَ مَجْرُورٌ بِالْبَاءِ، وَعِلَامَةٌ جَرُّهُ، الْفَتْحَةُ نَائِبَةٌ عَنِ الْكُسْرَةِ، وَالْمَانِعُ لَهُ مِنَ الصَّرْفِ: الْوَصْفُ وَوَزْنُ الْفِعْلِ، كَمَا أَنَّ أَحْمَدَ، الْمَانِعُ لَهُ الْعِلْمِيَّةُ، وَوَزْنُ الْفِعْلِ. وَالْمَرَادُ بِوَزْنِ الْفِعْلِ الْمُخْتَصِّ بِهِ. أَوْ الْغَالِبُ فِيهِ، فَالْأَوَّلُ كَشْمُرُ اسْمٍ لِفَرَسٍ. وَالثَّانِي كَأَحْمَدَ وَأَحْسَنَ. وَقَوْلُهُ عَادِلًا، أَشَارَ بِهِ إِلَى الْعَدْلِ وَحَقِيقَتِهِ صَرَفَ لَفْظَ أَوْلَى بِالْمَسْمُومِ إِلَى لَفْظِ آخِرِ لَعْلَةٍ، وَيَكُونُ فِي الْعِلْمِ وَالْوَصْفِ، فَالْأَوَّلُ، نَحْوُ: عُمَرُ وَمُضْمَرٌ، نَحْوُ مَرَزَتْ بِعُمَرَ، فَعُمَرَ مَجْرُورٌ بِالْفَتْحَةِ نَائِبَةٌ عَنِ الْكُسْرَةِ، وَالْمَانِعُ لَهُ مِنَ الصَّرْفِ الْعِلْمِيَّةُ وَالْعَدْلُ؛ لِأَنَّهُ عَدْلٌ بِهِ عَنِ عَامِرٍ وَمَا ضَرَّ لِلخَفَةِ، لِأَنَّ عُمَرَ وَمُضْمَرَ أَخْفَ مِنْ عَامِرٍ وَمَا ضَرَّ. فَانْعَدَلَ عِلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ وَالْعِلْمِيَّةُ. وَالْعِلْمِيَّةُ مَعْنَوِيَّةٌ، وَمِثَالُهُ الْعَدْلُ فِي الْوَصْفِ: مِثْنَى وَثَلَاثٌ وَرُبَاعٌ وَأُخْرَى. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَّلِي أَجِينَعُمُ مِثْنَى وَثَلَاثَ وَرُبْعَ﴾. فَمِثْنَى وَمَا بَعْدَهَا نَعْتٌ لِأَجْنِحَةِ، مُخْفُوضَةٌ بِالْفَتْحَةِ، وَالْمَانِعُ لَهُ مِنَ الصَّرْفِ؛ الْوَصْفُ وَالْعَدْلُ، فَالْعَدْلُ لَفْظِيٌّ، وَالْوَصْفُ مَعْنَوِيٌّ. وَمَعْنَى الْعَدْلِ فِيهَا، كَوْنُهَا مَعْدُولَةٌ عَنِ إِعْدَادِهَا الْمَكْرُورَةِ، فَمِثْنَى مَعْدُولٌ عَنِ اثْنَيْنِ. وَثَلَاثٌ، عَنِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثٌ، وَرُبَاعٌ عَنِ أَرْبَعٍ أَرْبَعٌ، بِحَسَبِ مَا وَقَعَتْ وَصْفًا لَهُ وَاحِدًا. وَأَمَّا أُخْرَى. كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، صَلَاةَ اللَّيْلِ مِثْنَى مِثْنَى.

وتقع حالاً، كقوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثَلًا لِّمَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ﴾. أي اثنين اثنين. وثلاث ثلاث، وأربع أربع لكل واحد. وأما آخر، فمعدول عن آخر؛ لأن اسم التفضيل، إذا جرد لزم الإفراد والتذكير. فحقه هنا أن يكون مفرداً، فعدل به إلى الجَمْعِ للتحفة، كعمر وقوله: أَيْتُ: أشار به إلى التأنيث، وهو على قسمين: الأول ما فيه ألف التأنيث المقصورة، كحُبلى. والممدودة، كصحراء، وحمراء، فهذا يُمنع صَرْفُهُ، على أي حال، كان اسماً ووضفاً. تقول: مَرَزت بِحُبلى وبحراء، فالأول مجرور بالفتحة المقدرة، والثاني ظاهرة؛ وهذا القسم يقول فيه النحويون، فيه عِلَّةٌ وَاحِدَةٌ تقوم مقام عِلَّتَيْنِ؛ لأنَّ التأنيث عِلَّةٌ. ولزومه عِلَّةٌ أُخْرَى؛ لأنَّ هذه لأزمة للتأنيث، لا تخرج عنه أبداً، بخلاف التاء؛ فقد تكون لغير التأنيث بغير ألف. وهذا إنما يَكُونُ مع العلمية. وسواء كان التأنيث لفظياً أو معنوياً؛ وهو على قسمين، ما كان مؤنثاً بالتاء، كطلحة وفاطمة وهبة علماً، فهذا يُمنع مطلقاً ثلاثياً أو رباعياً. والمانع له: العِلْمِيَّةُ والتأنيث. فَالْعِلْمِيَّةُ معنوية. والتأنيث لفظية، وما كان مؤنثاً بغيرها، نحو زينب، فإن كان رباعياً كزينب، أو عجمياً كجور بضم الجيم اسم امرأة، أو محرکاً وسطه كسَقَرٍ أو أضله المذكور. وَسُمِّيَ بِهِ مؤنثاً، كزيد، مُنْعٍ مِنَ الصَّرْفِ على كل حال، وإن كان مسكناً الوسط. نحو هند ودغد، ففيه وجهان، أشهرهما المَنْعُ. والعِلَّتَانِ فيه: العِلْمِيَّةُ والتأنيث كما تقدّم، وأشار بقوله: بمعرفة، إلى عِلَّةِ التعريف، والمراد به العِلْمِيَّةُ. وتكون مَعَ العَدَلِ والتأنيث، ومع التركيب الذي أشار إليه بقوله: مَرْكَبٌ. والمراد به التركيب المَرْجِي، نحو بَغْلَبِكْ وَمَعْدِيكْرِب. نحو مررت بِبَغْلَبِكْ: اسم بلدة. فبَغْلَبِكْ مجرور بفتحة نائية، والمانع من الصَّرْفِ، العِلْمِيَّةُ والتَّرْكِيبُ، الأولى معنوية. والثانية لفظية، وتكون العلمية مع زيادة الألف والنون، وإليه أشار بقوله، وَرِذُّ نَحْوِ عِمْرَانَ وَعِشْمَانَ، وتزاد أيضاً في الوصف، نحو سكران وعطشان، فالمانع في الأول العلمية والزيادة، وفي الثاني، الوصف وزيادة الألف والنون. فالوصف مغنوي، والزيادة لفظية، لكن يُشْتَرَطُ في الوصف الألف والنون بالتاء، احترازاً من نحو ندمان، من المُتَادِمَةِ؛ وهي المصاحبة، فهذا يُصْرَفُ، تقول: مَرَرْتُ بِنَدْمَانَ بالتونين؛ لأنَّ مؤنثه نَدْمَانَةٌ بِالتاء، فليس له كَعَضْبَانٌ، لأنَّ مؤنثه عَضْبَى. وكذلك نَدْمَانٌ مِنَ النَّدْمِ، ومؤنثه نَدْمَى، فيمنع مِنَ الصَّرْفِ.

تنبيه: إذا احتملت النون أن تكون أصلية أو زائدة، كان فيه وجهان: الصَّرْفُ وعدمه. وكذلك نحو حسان وشيطان ورمّان، فيحتمل أن يكون من الحسن فيُمنع. أو من الحسن فيصرف. وكذلك شيطان يحتمل فيه أن يكون من شاط أي بعد أو

من شطن، وكذلك رمان، يحتمل أن يكون من الرم، أو من الرمن. انظر المرادي. والمشهور في الثلاثة الصّرف كما في القرآن. وتكون العَلَمِيّة أيضاً مع العُجْمَة وإليه أشار بقوليه، عجمة. نحو: إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وَيَعْقُوبَ، فكلّها مجرورة بالفتحة الثابتة. والمانع، العَلَمِيّة والعُجْمَة؛ الأولى معنوية. والثانية لفظية، ولأبد أن يكون معرفة عند العَجَم. وأمّا إن كان عندهم نكرة، وصار عند العرب علماء، فلا يُمنع على المشهور. ولأبد أيضاً أن يكون زائداً على ثلاثة أحرف. فإن كان ثلاثياً صُرف، كنوح ولوط. قوله: وَالْوَصْفُ قَدْ كَمَلًا. أشار إلى علّة الوصفية، وقد سبق ذكرها، مع ما تجتمع من العِلَل، إذ هو لا تستقبل بالمنع كالعَلَمِيّة. فَتَحْصُلُ فِي الْعِلَلِ الْمَذْكُورَةِ، أَنَّهَا أَرْبَعَةٌ أَقْسَامٌ: قِسْمَانِ يَسْتَقِلَّانِ بِالْمَنْعِ؛ وهما ألف التأنيث، وصيغة منتهى الجموع، وقِسْمَانِ لَا يَسْتَقِلَّانِ؛ وهما العَلَمِيّة والوصفية. فالعَلَمِيّة تمنع مع العَدَلِ. والتأنيث، والتركيب الزيادة، والعُجْمَة والوصفُ يمنع مع العَدَلِ ووزن الفِغْلِ، والزيادة السابقة، فكل ما أثر فيه التعريف بالعلمية، يُصرف إذا نكر وإليه أشار في الألفية بقوليه:

واضْرِفَنَّ مَا نَكَّرَا مِنْ كُلِّ مَا تَعْرِيفُ فِيهِ أَثَرَا
تقول: رَبُّ أَحْمَدَ وَعُمَرُ وَفَاطِمَةُ وَمَعْدِيكِرَبَ وَعِثْمَانُ لِقِيَّتِهِمْ، وما أثر فيه ألف التأنيث، أو صيغة منتهى الجموع، أو الوصف، فلا يصرف أضلاً، وأعلم أن الاسم الذي لا ينصرف، إنّما يُمنع من التصريف ما لم يُضَفْ، أو يك بعد ال، وإلا صُرف بكقوليه تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ فِي السَّجْدِ﴾. وقوله تعالى: ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وقد يُصرف الممنوع من الصّرف للضرورة، أو للتناسب، كقول الشاعر:

وَيَوْمَ دَخَلْتَ الْحَذْرَ حَذْرَ غَنَيْرَةٍ فَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ رَاجِلٌ

والثاني، كقوله تعالى: ﴿سَلْبِيلاً وَأَعْلَلًا﴾ فهي قراءة نافع والكسائي. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخُونَا وَيَعْوَقَا﴾ في قراءة الأعمش، فصرف سلاسلًا ليناسب أغللاً، وصرف يغوثا ويعوقا مع كونه عجمياً، ليناسب نقرأ. والله تعالى أعلم.

الإشارة: قد يكون الفتح على العبد في علم الحقائق سبباً لطرده، وعلامة لخفضه عن مقام الأكابر. وذلك في العبد الذي لا ينصرف عن هواه، ولا ينفك عن طبعه ومتابعة مناه. وذلك لوجود علتين، وهما حب الرياسة والجاه، وعلّة تقوم مقامهما؛ وهي حب الدنيا التي هي رأس الخطايا. وأعلم أن علم الحقائق، لا تطيقه إلا الأقوياء، والرجال الذين قتلوا نفوسهم بالمجاهدة والمخالفة، وتفرغوا

من جميع الشواغل والعلائق القلبية. وصحبوا المشايخ وخدموهم. ورسخت أحكام الشريعة في ظواهرهم. فحينئذ إذا دخلوا بلد الحقائق، أشرقت عليهم أنوارها وأسرارها. وذاقوا خلوة معانيها. ورسخت في قلوبهم أسرار المعارف. وأما قبل ذلك، فإمّا أن يتزندقوا. ويرفضوا الشريعة وراء ظهورهم، فينسل الإيمان من قلوبهم أنسال الشعرة من العجين. وإمّا أن يتقهقروا ويرجعوا إلى مقام العمومية. وليست القلوب كلها تطيق أنوار الحقيقة، بل بعضها فقط، وربما تكون بعض القلوب تفر من الذكر، وتتعشق إلى اللهو والغنا، فهي كالجعل، الذي تقول فيه العامة أبو فساس، فإن من شأنه إن قرب منه رائحة طيبة مات من ساعته. ولا يعيش إلا بالثمن والخيث، فكذلك بعض الأرواح الخبيثة، تتعش باللهو، وتفتر من الذكر ينسحب عليها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِرُونَ﴾ وبالله التوفيق. ثم ذكر علامة الجزم، فقال (ص): وللجزم علامتان: السكون والحذف. (ش): قلت: السكون: حذف الحركة. والحذف: حذف حرف العلة، أو نون الرفع للجازم. وقولنا للجازم احترازاً من نحو: «وَيَمُحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ» «سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ» فَإِنَّ الْوَأُو خُدِفَتْ خَطَأً تَبَعاً لِحَدْفِهَا فِي الْلَفْظِ. فَإِنَّ يَمُحُ مَضَارِعَ مَجْرُودٍ مَرْفُوعٍ، وَلَيْسَ مَعْطُوفاً عَلَى مَا قَبْلَهُ. بِدَلِيلِ رَفْعِ مَا بَعْدَهُ مِنْ قَوْلِهِ: «وَيُحِقُّ الْحَقَّ» وَكَذَلِكَ سَدَّعُ، لَا سَبَبَ لِحَدْفِهِ إِلَّا مَا تَقَدَّمَ. وَاحْتِرَازاً أَيْضاً مِنْ نَحْوِ لَتَبْلُؤُنَّ، فَإِنَّ الثُّونَ خُدِفَتْ لِتَوَالِي الْأَمْثَالِ كَمَا تَقَدَّمَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ..

الإشارة: وللجزم بمعرفة الحق والرسوخ فيها بحيث ينقطع عن القلب التهمم والخواطر والشكوك والأوهام، علامتان، السكون: أي سكون القلب وطمأنينته، فيكون كالجبل الراسخ، لا تحل بساحته الهموم، ولا تطرقه عوارض الغموم، ولو انطبقت السماء على الأرض، فلا تحركه واردات الأحوال ولا تهزه الزلازل والأهوال. وفي أمثاله يقول الشاعر:

لأتهدي نوب الزمان إليهم ولهم على الخطب الجليل لجام

فيسكن الظاهر من تعب المجاهدة، ويرتاح الباطن في ظل المشاهدة، إذ لا تجتمع المجاهدة، مع المشاهدة. إنما يكون التعب في حالة السير. وأما من وصل إلى الحبيب، فلا تعب له ولا نصب. قال تعالى في جنات الزخارف: «لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ». وأولى جنّة المعارف. وعلامة الجزم أيضاً: شهود الحق حذف علائق

الْقَلْبِ، وَشَوَاعِلِهِ، فَلَا يَبْقَى إِلَّا قَلْبٌ مُفْرَدٌ، فِيهِ تَوْحِيدٌ مُجَرَّدٌ. مَنْ جَعَلَ الِهْمُومَ وَاحِدًا فَكَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَا، وَضَمَّنَ لَهُ عَاقِبَةَ أُخْرَاةٍ. جَعَلْنَا اللَّهَ مِنْهُمْ، بِمَنْهٍ وَكَرَمِهِ آمِينَ. ثُمَّ فَصَّلَ مَا تَقَدَّمَ فَقَالَ (ص): فَأَمَّا السُّكُونُ فَيَكُونُ عِلَامَةً لِلجَزْمِ فِي الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الصَّحِيحِ الْآخِرِ (ش) أَي إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ لِأَزْمٍ وَلَمْ يَتَّصِلْ بِآخِرِهِ شَيْءٌ مِنْ الْأَشْيَاءِ الْمُتَقَدِّمَةِ، نَحْوُ: «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» فَلَمْ حَزَفْ جَزْمٌ وَنَفِي وَقَلْبٌ، وَيَلِدُ مَجْزُومٌ بِالسُّكُونِ الظَّاهِرِ. أَي لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ شَبِيهًا لَهُ. (ص): وَأَمَّا الْحَذْفُ فَيَكُونُ عِلَامَةً لِلجَزْمِ فِي الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الْمُغْتَلِ الْآخِرِ. (ش) أَي الَّذِي فِي آخِرِهِ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الْعِلَّةِ: الْأَلْفُ وَالْوَاوُ وَالْيَاءُ، نَحْوُ: «وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ». وَلَمْ يَدْعُ، وَلَمْ يَزِم. فَهَذِهِ الْأَفْعَالُ مُجْزُومَةٌ، وَعِلَامَةٌ جَزَمَهَا حَذْفُ حَرْفِ الْعِلَّةِ. وَإِبْقَاءُ الشُّكْلَةِ دَلِيلٌ عَلَيْهِ. وَمَا مَشَى عَلَيْهِ الْمُصَنِّفُ، مِنْ كَوْنِ الْمُحَذَّوفِ حَرْفِ الْعِلَّةِ، إِنَّمَا يَتِمُّشَى عَلَى قَوْلِ ابْنِ السَّرَاجِ وَمَنْ تَبِعَهُ، إِنْ هَذِهِ الْأَفْعَالُ لَا يَقْدَرُ فِيهَا الْإِعْرَابُ بِالْفَتْحَةِ وَالضَّمَّةِ، وَعَلَّلَ ذَلِكَ، بِأَنَّ الْإِعْرَابَ فِي الْفِعْلِ فَرُغَ. فَلَا حَاجَةَ لِتَقْدِيرِهِ. وَجَعَلَ الْجَازِمَ كَالدَّوَاءِ الْمَسْهَلِ، إِنْ وَجَدَ فَضْلَةً أَخَذَهَا. وَإِلَّا أَخَذَ مِنْ قَوَى الْبَدَنِ. وَذَهَبَ سَبَبِيوِيهِ إِلَى تَقْدِيرِ الْإِعْرَابِ فِيهَا. فَعَلَى قَوْلِ سَبَبِيوِيهِ: لَمَّا دَخَلَ الْجَازِمُ، أَخَذَ الْحَرَكَةَ الْمَقْدَرَةَ، وَاسْتَفَى بِهَا، ثُمَّ لَمَّا صَارَتْ الْمَجْزُومُ وَالْمَرْفُوعُ وَاحِدَةً فَارْتَفَعَا بَيْنَهُمَا بِالْحَذْفِ بِحَرْفِ الْعِلَّةِ فَحَرَفَ الْعِلَّةَ مُحَذَّوْفٌ عِنْدَ الْجَازِمِ لَا بِهِ وَعَلَى قَوْلِ ابْنِ السَّرَاجِ: الْجَازِمُ حَذَفَ نَفْسَ الْحَرْفِ هـ. وَقَدْ ثَبَتَتْ هَذِهِ الْحُرُوفُ الثَّلَاثَةُ مَعَ الْجَازِمِ ضَرُورَةً كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

إِذَا الْعَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلَّقِي وَلَا تَرْضَاهَا وَلَا تَمْلُقِي

وقول آخر:

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَأَقْتَ لِبَنِي بَنِي زِيَادٍ

وقول الشاعر: لَمْ تَهْجُوا وَلَمْ تَدَّعِي هـ. وَيَكُونُ الْحَذْفُ أَيْضًا عِلَامَةً لِلجَزْمِ (ص) فِي الْأَفْعَالِ الَّتِي رَفَعَهَا بِشُبُوتِ النُّونِ. (ش) وَهُوَ الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ الْمُتَّصِلُ بِهِ أَلْفُ الْاِثْنَيْنِ، نَحْوُ: «وَلَا تَتَّبِعَانَّ». فَلَا نَاهِيَةَ جَازِمَةً، وَتَتَّبِعَانَّ مَجْزُومٌ بِحَذْفِ النُّونِ. وَالبَاقِي نُونُ التَّوَكِيدِ، وَكُسِّرَتْ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ. أَوْ وَاوُ الْجَمْعِ، نَحْوُ: «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا، وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ». أَوْ ضَمِيرُ الْمُؤَنَّثَةِ الْمُخَاطَبَةِ، نَحْوُ: «وَأَمَّا تَرَيْنَّ» أَضْلُهُ: تَرَيْنَّ، تَحَرَّكَتِ الْيَاءُ وَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا، فَقَلْبَتْ أَلْفًا، فَصَارَتْ تَرَايْنِ، التَّقَى سَاكِنَانِ، فَحَذَفَتْ الْأَلْفُ، فَصَارَتْ تَرَيْنِ. فَلَمَّا دَخَلَ الْجَازِمُ، وَهُوَ مَا حَذَفَ النُّونَ.

فصار تري، ثم أتى بنون التوكيد، فالتقى ساكنان، فحُرِّكت الياء لمُجانستها وهو الكَسْر، فصار ترين، فهو معرب؛ لأنَّ نون التوكيد لم تباشِرُهُ لَانْفِصَالِهِ عَنْهُ بِالْيَاءِ الفاعلة، واللَّهُ تعالى أَعْلَمُ.

الإشارة: فأما سكون الظاهر، من تعب المجاهدة، فيكون علامة لجزم الباطن، ورُسُوخِهِ في مَقَامِ المشاهدة، في الفعل المضارع، أي في العمل الصالح، المشابه لأفعال المخلصين، بموافقة السنَّة، ومجانبة البدعة. الصحيح الآخر، أي الصافي من العليل، التي تلحقه بعد تمامه، كالتبجُّج به، واعتقاد المزية على الناس بسببه، أو طلب العوض عليه، كيف تطلب عن عمل لست أنت فاعله. والحاصل أنَّ سكون الظاهر بعد التعب، يدلُّ على جزم الباطن وتحققه بمعرفة الله؛ وهي الحياة الطيبة، والعيش الهناء. قال السري السقطي: مَنْ عَرَفَ اللهَ عاشَ، وَمَنْ مالَ إِلَى الدُّنْيَا طاشَ، والأحمتق يغدو ويروح في لاش. واعلم أنَّ سكون الظاهر من تعب المجاهدة، قد يكون مع سُكُونِ الباطن براءة المشاهدة، وقد يكون مع بقاء تعبهِ، بالأهوال والخواطر الدنيوية، وذلك أنَّ المرید إذا التقى بالشيخ، وأخذ عنه. جاء جُندُ الثور يُريد أن يُخرج جُندَ الظلمة من القلب. ويريد جُندَ الظلمة البقاء في وَطَنِهِ، فتشتعل الحرب بينهما، وهذا سبب اضطراب الظاهر، وتوارد الأحوال عليه. وَذِكْرُ اللِّسَانِ كالمذفع، يدوي عليه من خارج، فإذا دخل يذكر القلب وخالط معه البلاد. سكت اللسان وما بقي إلا السيوف تضرب ثم يرتحل جُندَ الظلمة من القلب، وَيَزْتاح القلب من تعب التدبير والاختيار، وأهوال الدنيا، ويسكن الظاهر أيضاً: من تعب المجاهدة. وقد ينزل جند الثور على جند الظلمة، فلا يقدر على إخراجهِ من القلب فيرتحل الثور من حيث الثور على جند الظلمة، فلا يقدر على إخراجهِ من القلب فيرتحل الثور من حيث جاء ويسكن الظاهر على جند الظلمة وَيَبْقَى الباطن متعوباً كما كان. فهذا حال من رجع من الفقراء قبل. واشتغل بالأسباب قبل الوصول والعياذ بالله من السلب بعد العطاء. وبالله التوفيق.

وأما حذف الشواغل والعلائق الظاهرة، كانت ظلمانية أو نورانية، فيكون علامة لجزم الباطن، وتحققه بمقام الأذواق والوجدان، تخلصه لمقام العيان، في الفعل المضارع، أي العلم الشائب وفعال الصالحين، المعتل الآخر، بما تقدَّم فإنَّ حَذْفَ عِلَلِهِ وصفاء وطهره من تلك العليل كان ذلك علامة على جزمه وتحققه بالعرفان، على نعت الشهود والعيان. وإن لم يحذف عِلَلُهُ، ولم يطهره ممَّا يشوبهُ،

كَانَ عَلَامَةً عَلَى ثُبُوتِ جِزْمَانِيهِ، وَكَذِبِهِ فِي دَعْوَاهُ. يَغْنِي أَنْ الْعَبْدَ إِذَا تَجَرَّدَ وَانْقَطَعَ لِيْلِهِ، وَتَرَكَ شَوَاغِلَ الظَّاهِرِ، كَانَتْ تِلْكَ الشَّوَاغِلُ ظَلْمَانِيَّةً، كَكُونِهَا دُنْيَاوِيَّةً، أَوْ نَوْرَانِيَّةً، كَكُونِهَا دِينِيَّةً، لِكَيْفِهَا تَشْتَتِ الْقَلْبَ، وَتَفْرُقَ الِهْمَ، كَتَدْرِيسِ الْعِلْمِ الظَّاهِرِ، وَتَتَّبِعَ الْفَضَائِلَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُفَرِّقُ قَلْبَ الْمُرِيدِ وَيُشْتَتُهُ، فَلَا يَلِيْقُ بِهِ إِلَّا ذَكَرَ وَاحِدًا، حَتَّى يَذُوقَ مَرَّةً، فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عَلَامَةً عَلَى جِزْمِ صَاحِبِهِ، وَطَمَآنِيْنَتِهِ حَتَّى يَصْلَحَ عَمَلُهُ، وَيَخْلُصَهُ مِنَ الْعِلَلِ؛ الَّتِي تَلْحَقُهُ ظَاهِرًا أَوْ بَاطِنًا، وَيَكُونُ عَلَامَةً عَلَى جِزْمِهِ، وَتَحْقِيقِهِ فِي الْأَفْعَالِ، الَّتِي رَفَعَهَا بِثُبُوتِ الثُّبُونِ، أَيْ فِي الْأَفْعَالِ الَّتِي تَرْفَعُ صَاحِبِهَا، بِثُبُوتِ نَوْرَانِيَّتِهَا، وَوُجْدَانِ حَلَاوَتِهَا فَوْجْدَانِ الْحَلَاوَةِ عَاجِلًا، دَلِيلَ عَلَى وَجْدَانِ الْقَبُولِ آجِلًا. فَإِذَا تَحَقَّقَ جِزْمُهُ. وَعَقَدَهُ فِي أَسْرَارِ التَّوْحِيدِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ.

(ص) فصل: (ش): وهو لغة: الحاجز بين الشيتين، وفي الاصطلاح: اسم لطائفة من المسائل، اشتركت في حكم، وهو هنا بمعنى الفذلكة لما تقدم اعتناء لباب الإعراب؛ لأنه معظم النحو، وأصل قواعده، فمن أتقنه، أتقن ما بعده، ومن لم يتقنه، لم يدرك ما بعده. وكان بعض من يقرأ هذه المقدمة من النحويين، يصل إلى هذا الفعل، ثم يرجع إلى إعادة ما تقدم، حتى يتحققه من يأخذها عنه اعتناءً بأمر الإعراب، ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى. (ص): المعربات قسمان: قسم يعرب بالحركات، وقسم يعرب بالحروف (ش). قلت: المعربات مبتدأ. وقسمان خبر، فإن قلت: الخبر لا بد أن يطابق المبتدأ في التثنية والجمع، وهنا غير مطابق. قلت: لما كان قوله قسمان في معنى أقسام، ساغ ذلك؛ لأن كل قسم من القسمين فيه أقسام. فكأنه قال: المعربات أقسام، فهو كقوله تعالى: «هذان خصمان اختصموا». لأن المراد بالخصم جماعة المسلمين والكفار، قيل نزلت في المبارزين يوم بدر، فكان في كل فرقة من المبارزين ثلاثة. وقوله قسم. إما بدل مفعول من قسمين، وجملة يعرب صفة له، أو مبتدأ. ويعرب خبره والمسوغ للابتداء بالتركبة التقسيم كقول الشاعر:

فَيَوْمَ عَلَيْنَا وَيَوْمَ لَنَا وَيَوْمَ نَسَاءَ وَيَوْمَ نَسْرَ

وحصل ما ذكر أن المعربات التي تقدمت، منحصرة في قسمين: قسم يعرب بالحركات الظاهرة، أو المقدره، وقسم يعرب بالحروف الثابتة عنها، ثم بين ذلك فقال (ص): فالذي عرب بالحركات أربعة أنواع: الاسم المفرد، وجمع التكسير، وجمع المؤنث السالم، والفعل المضارع الذي لم يتصل بأخرو شيء (ش) قلت:

وتقدم أمثلة ذلك كله . ثم ذكر ضابطها فقال (ص): فالذي يعرب بالحركات أربعة أنواع: اسم المفرد، وجمع التكسير، وجمع المؤنث السالم، والفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره شيء. (ش) قلت: وتقدم أمثلة ذلك كله . ثم ذكر ضابطها فقال (ص) وكلها ترفع بالضمة (ش) أي. إما ظاهراً، أو مقدرة. (ص) وتُنصَب بالفتحة. (ش) ظاهراً أو مقدرة. (ص) وتخفّض بالكسرة. (ش) أي كذلك (ص) وتجزم بالسكون. (ش) أي إن كان الفعل صحيحاً. قال في الألفية:

فَارْفَعْ بِضَمٍّ وَأَنْصِبَنَّ فَتُحَا وَجُزْ كَسْرًا كَذِكْرِ اللَّهِ عِنْدَهُ يَسُزْ
 واجزم بتسكين. ثم استثنى من هذه القاعدة أموراً فقال (ص) وخرج عن ذلك ثلاثة أشياء، جمع المؤنث السالم، نصب بالكسرة (ش) نحو: «إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ» فَإِنَّ حَرْفَ توكِيدٍ وَنُصِبٌ وَفِي السَّمَاوَاتِ جَارٌ وَمَجْرورٌ خبرها مقدم، ولآيات اسمها مؤخر، منصوب بالكسرة الثابتة عن الفتحة (ص) والاسم الذي لا ينصرف، خُفِفَ بالفتحة. (ش) كقوله تعالى: ﴿لَذِي بِبَكَّةَ﴾ أي مكة. والمائع له: العلمية والتأنيث. (ص) والفعل المضارع المعتل الآخر، جُزِمَ بِحَذْفِ آخِرِهِ (ش) نحو: «مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ». «وإن تشكروا يرضه لكم» «وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ» (ص) والذي يُعْرَبُ بِالْحُرُوفِ أَرْبَعَةٌ أَنْوَاعٌ: التثنية، وجمع المذكر السالم والأسماء الخمسة، والأفعال الخمسة (ش). ثم بيّنها بقوله: (ص) وهي يَفْعَلَانِ (ش) ببناء الغيبة (ص) وَتَفْعَلَانِ (ش) ببناء الخطاب (ص) وَيَفْعَلُونَ (ش) بِالْغَيْبَةِ. (ص) وَتَفْعَلُونَ (ش) بِالْخَطَابِ (ص) وَتَفْعَلِينَ (ش) ببناء المؤنثة المخاطبة، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ كَوْنِ الْأَلْفِ وَالْوَاوِ ضَمِيرًا وَعِلَامَةً، فتصل إلى عشرة ستة في التثنية؛ وهي الزيدان يقومان، يقومان الزيدان، أنما يا زيدان تقومان، الهندان أنتما يا هندان تقومان، وثلاثة في الجمع؛ وهي: الزيدون يقومون، يقومون الزيدون، أنتم تقومون، وواحدة في المؤنثة المخاطبة: أنت يا هند تقومين، ويقال لها: الأمثلة الخمسة، وهي أحسن ليدخل فيها غيرها من الصيغ، نحو يَفْعَلَانِ، ويستفعلان، ويتفعلون، وشبه ذلك من أمثلة الأفعال. بخلاف الأسماء الخمسة، فإنها محصورة بالعد، ثم فصل ما أجمل فقال (ص) فأما التثنية فترفع بالألف (ش) نحو: إن هذان لساحران في قراءة من رفع، فقيل: إِنَّ هُنَا مُهْمَلَةٌ، بِمَعْنَى نَعَمْ، وهذان مبتدأ، ولساحران خبر. أي لهما ساحران، وقيل غير ذلك. (ص) وتُنصَبُ وتخفّف بالياء. (ش) فَالنُّصَبُ نحو: قوله تعالى: ﴿يَصْحَبِي السَّيْحَانُ﴾ فَيَا حَرْفٌ نِدَاءٌ، وَصَاحِبِي مُتَادِي مضاف

منصوب الياء، وحذفت الثون للإضافة والجزء، نحو قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ
أُنَكِّحَكَ بِحَدَى ابْنَتِي هُنْتَيْنِ﴾، فإحدى مفعول، وابنتي مضاف مجرور بالياء،
وحذفت الثون للإضافة، وهاتين بذل تابع له. (ص) وأما جمع المذكر السالم،
فيزفع بالواو. (ش) ونياية عن الضمة. كقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾، أصله
الأغلوون تحركت الواو وانفتح ما قبلها، فقبلت ألفاً، فصارت الأعلاون، فحذفت
الألف للالتقاء الساكنين، فصار الأعلون، فالواو الباقية هي علامة الرفع. (ص)
ويُنصَب ويخفف بالياء (ش). فَالْتَصَب نحو: «إن المتقين في جنات ونهر» والجر
نحو: «لمن المصطفين الأخيار» وأصله المصطفين «استثقلت الكسرة على الياء،
فحذفت، فبقت الياء ساكنة، فحذفت للالتقاء الساكنين، أو تقول: تحركت الياء،
وانفتح ما قبلها، فقبلت أيضاً، فصار مصطفين، فحذفت الألف للالتقاء الساكنين،
فصار مصطفين. (ص) وأما الأسماء الخمسة، فترفع بالواو (ش) نحو: «وأبونا
شَيْخٌ كَبِيرٌ»، وتقول: هذا أخوك وأبوك وحموك وفوك وذو مالٍ (ص) وتنصب
بالألف (ش) «إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ». وقال تعالى: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ﴾. (ص)
وتخفف بالياء، (ش) نحو: «أَيْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ». وتقول: مَرَزْتُ بِأَخِيكَ،
وحميك، ونظرتُ إلى فيك، وذو مالٍ، قال الأضمعي رضي الله عنه: بينما أنا في
بعض الطرق إذ أنا بصبيّة تحمل قربة وقد غلبتها وفيها ماء، فقالت: يا أبت أدرك
فأها، غلبتي فوها لا طاقة لي بفيها. وقيل كان ذكراً. قال الأضمعي: واللّه لقد
جمعت العربية في ثلاث كلمات، وروي أنه بقي ستة عشر سنة يطوف في قبائل
العرب، يجمع اللّغة العربية من كلام العرب، التي بقيت على لغتها الأصلية التي لم
تختلط، حتى قال له بعض العرب: أنت مثل الحفظة تكتب لفظ اللفظة. فقال له
الأضمعي، هذا مما أكتب. (ص) وأما الأفعال الخمسة، فترفع بالثون، (ش)
نحو: «أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ». فيقسمان بالله، أنت يا هند تقومين. (ص)
وتنصب وتجزم بحذف الثون (ش) نحو: «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ»
فجملة لن تفعلوا اغترابية بين الشرط والجواب. وحاصل علامة الإعراب أربع
عشرة: أربعة أصول، وفي الحركات الثلاث، والسكون، والباقي فروع: ثلاثة،
تنوب عن الضمة. وهي الألف والواو والثون. وأربعة تنوب عن الفتحة، وهي
الألف والياء والكسرة. وحذف الثون، واثنان تنوبان عن الكسرة؛ وهي الياء
والفتحة، وواحد ينوب عن السكون، وهو الحذف للثون، أو يحذف العلة. والله
أَعْلَمُ.

الإِشَارَةُ: أسرار المعربات هي الْمُظْهَرَاتُ من عَالَمِ الْغَيْبِ إلى عَالَمِ الشَّهَادَةِ. أو من تجر الجبروت إلى عَالَمِ الْمَلَكُوتِ وَالْمُلْكِ وهي أسرار الذَّاتِ الْأَزَلِيَّةِ، قسمان: قسم يعرب. أي يظهر بالحروف، أو بالرسوم، وقسم يُعرب، أي يظهر بالأشكال. ويُقال للجميع: التجليات، وذلك أن الذَّاتِ الْعَالِيَةَ في حالة الْكُنْزِيَّةِ، كانت ذاتاً لطيفة خفية قديمة أزلية، متصفة بأوصافِ الْكَمَالِ، ثم تجلَّتْ وظهرت بالرسوم والأشكال، فالرسوم هي التجليات العظيمة، كالعرش والكرسي، والسموات والأرضين، والجبال، وغير ذلك من الأجرام الكبيرة، والأشكال هي التجليات الرقيقة، كبعض الملائكة، وأصناف الحيوانات، شبهوا التجليات العظام، بالحروف والرسوم، والتجليات الرقيقة، بالأشكال وأسرار الذَّاتِ الْأَزَلِيَّةِ بِالْمَعْنِيِّ. وشأن المعاني أن تفهم من الحروف والأشكال، فما ظهرت الكائنات الحسية، إلا لتقبض منها المعاني الأزلية، فما نُصِبَتْ الْكَائِنَاتُ لِتَرَاهَا، بل لترى فيها مَوْلَاهَا، فمن رأى الْكُونِ، ولم يشهد الحق فيه، أو قبله، أو معه، أو بعده، فقد أعوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شمس المعارف بسُحْبِ الْآثَارِ كما في الْحِكْمِ: فما ظَهَرَ في عالم الشهادة، هو عين ما في عَالَمِ الْغَيْبِ، الْأَكْوَانِ ثَابِتَةٌ بِإثْبَاتِهِ. مَمْحُودَةٌ بِأَحْدِيَّةِ ذَاتِهِ. وقد أشار ابن الفارض في خمرة، في وصف الذَّاتِ الْأَزَلِيَّةِ، في حال الْكُنْزِيَّةِ فقال:

صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلَطْفٌ وَلَا هَوَاً وَنُورٌ وَلَا عَنَاءٌ وَلَا رُوحٌ وَلَا جِسْمٌ
تَقْدِمُ كُلَّ الْكَائِنَاتِ حَدِيثُهَا قَدِيمٌ وَلَا شَكْلٌ هُنَاكَ وَلَا رَسْمٌ

أي صفاء كصفاء الماءِ وَلَا مَاءَ، ولطف كلطف الهواءِ وَلَا هَوَاً. ونور كنور النَّارِ وَلَا نَارَ وَرُوحَ، أي حياة كحياة الأجسام، وَلَا جِسْمَ. ويسمى هذا الحال الْأَزَلِيَّ بِالْعَمَاءِ. قيل يا رسول الله أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ، قَالَ: كَانَ فِي عَمَاءٍ لَيْسَ فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَلَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، أَي كَانَ فِي خَفَاءٍ وَلَطَافَةٍ، لَيْسَ فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَلَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، بل عظمته عَمَّتْ فَوْقَ الْفَوْقِ، وَتَحْتَ الْتَحْتِ، وَقَبْلَ الْقَبْلِ، وَبَعْدَ الْبَعْدِ، ثم أشار إليها بعد التجلي بالرسوم والأشكال فقال:

وَقَامَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ ثُمَّ لِحْكْمَةٍ احْتَجَبَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ لَأَنَّهُ فَهْمٌ

وقد أَوْضَحْنَا الْمَسْأَلَةَ وَبَيَّنَّاها فِي شَرْحِنَا عَلَيْهَا، فَلْيَنْظُرْهُ مِنْ أَرَادِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ إِشَارَاتِ الرَّفْعِ وَالتَّصْبِيبِ وَالخَفْضِ وَالجَزْمِ وَمَا يَنْبُوبُ عَنْهَا، ففیه، كفاية، وعلمنا كله إشارة. وبالله التوفيق، ولما أنهى الكلام على المقدمات؛ وهي الكلام وأجزاؤه، ما

تعرف به تلك الأجزاء، وحدّ الإعراب وأقسامه وموارده ومعرفة علاماته، بسطاً وإيجازاً، شرع في المقاصد فقال:

بَابُ الْأَفْعَالِ:

وإنما قدّم الأفعال؛ وكان حقها التأخير؛ لأن الاسم قبل الفعل لسموه بالإخبار به وعنه. لأن الأفعال لما كان الكلام عليها قليلاً قدّمها، ليتفرغ للأسماء، لتنوعها إلى المرفوعات والمنصوبات، والمخفوضات. وتكون تابعة ومتبوعة، ونكرة ومعرفة، إلى غير ذلك من كثرة أنواعها. ومن شأن المؤلفين تقديم ما هو أقصر، وتأخير ما يستدعي طولاً. قال رحمه الله (ص) الأفعال ثلاثة، ماضٍ ومضارع وأمرٌ (ش) قلت: ماضٍ بَدَلٌ من ثلاثة، مرفوع بضمة مقدرة في الياء، وأصله ماضيٌّ، استثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان، فحذفت الياء، ووجه الانحصار في الثلاثة، أنّ الزمان الذي هو أحد مذلولي الفعل، إمّا أن يكون مَضَى وقته، أو حاضراً أو مستقبلاً، بفتح الباء على المشهور، والقياس كسرها، اسم فاعل، لأن الزمان هو المتصف بالاستقبال، أو الماضي أو الحال. ومما يؤيد الانحصار في الثلاثة قول زهير:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلِكَيْنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدِ عَمِي

وقال آخر:

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا الْيَوْمُ وَالْأَمْسُ أَوْ غَدُ كَلِ الدَّهْرِ فِيمَا بَيْنَنَا يَتَرَدُّ

وقدّم الماضي لأنه سابق في الوجود على المضارع، الذي هو أجزاء من طرف الماضي والمستقبل، يعقب بعضها بعضاً، من غير فرض مهلة، وتراخ، ويسمى الحال، ولذلك قيل: هو أقل من طرفة العين، وآخر الأمر، لأنه يدل على المستقبل الذي هو بعد الحال، فحقيقة الماضي: ما دل على حدث في زمن ماضٍ. وحقيقة المضارع: ما دل على حدث مقترن بالحال والاستقبال. وحقيقة الأمر: ما دل على طلب حدث في زمن مستقبل، فتحصل أن الماضي: ما دل على زمن ماضٍ. والمضارع: ما دل على زمن حاضرٍ أو مستقبل. فالأمر مستقبل أبداً. وقد يخرج كل واحد منهن على أصله.

قال في التسهيل: وينصرف الماضي إلى الحال بالإنشاء، أي كعبت ونحوه. وإلى الاستقبال بالطلب، نحو: عَفَرَ اللهُ لَكَ. والوعد: نحو: «إِنَّ أُعْطِيْنَاكَ

الكَوْثَرُ». وبالعطف على ما علم استقباله، نحو: «يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ»، وبالثني بلام؛ نحو: «لَا عَقَرَ اللَّهُ لَكَ». وإن في جوابِ الْقَسَمِ، نحو ولئن زالتنا إن أمسكتهما من أحدٍ من بعدي». ويحتمل الماضي والاستقبال، بعد هَمْزَة المنسوبة، وحرف التخفيض، وكلّما، نحو: «كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذْبُوهُ». فهذا مثال الماضي، ومثال المستقبل: «كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ». ويَبْدُ حيث، فالماضي نحو: «فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكَمُ اللَّهُ». والمستقبل، نحو: «وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ». ويَكُونُ صِلَةً، فالماضي، نحو: «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ». والاستقبال: «لِلَّذِينَ تَأْتُوا». أو صفة لنكرة عامة، وقال أيضاً: والأمرُ مستقبل أبداً، والمضارع صالح له وَلِلْحَالِ. ولو نفي بلامٍ خِلافاً لَمَنْ خصصها بالمستقبل، وترجع الحال مع التجريد، ويتعيّن عند الأكثر، بمصاحبة الآن، وما في معناه، أي كالساعة والحين، وبلام الابتداء، مثاله: إن زيدا لا يقوم. وينفيه بليس، نحو: إن زيدا يقوم، أي الآن، وبما وإن. ويتلخص الاستقبال بظرف المستقبل. نحو: أزورك إذا تزورني، وبإسناده إلى متوقع، أي كقول الشاعر:

يَهْوُلُكَ أَنْ تَمُوتَ وَأَنْتَ مَلَقِي لِمَا فِيهِ النِّجَاةُ مِنَ الْعَذَابِ

وبإقتضائه طلباً، أي نحو: «وَالْوَالِدَاتِ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ». أو وَغْد، نحو: «يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ». أو بمصاحبة ناصب، أي ظاهر، مقدراً أو أداة تَرَجَّح، نحو: «لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابِ». أو اشفاق، نحو: لعل زيدا يهلك. أو مجازات، نحو: إن يقيم زيد يقيم عمرو. أو ذُو الْمَضْرِيَةِ، نحو: «يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ». أو نون توكيد، أي مطلقاً، أو حرف تنفيس، وهو السين وسوف. نحو: «سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ». «وَسَوْفَ يَوِيَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ» مع زيادة الأمثلة.

تنبيه: ما ذكر عليه المصنف، من أن الأفعال ثلاثة؛ هو مذهب جمهور البصريين، وَجَرَى عليه أكثر المتأخرين، وَدَهَبَ الكُوفِيُّونَ والأخفش، إلى أن الأفعال اثنان. وأسقطوا فعل الأمر وقالوا: إنه مقتطع من المضارع، فهو عندهم معرب بلام مقدرة. قال في المغني: ويقولهم أقول، لأن الأمر معنى، أحقه أن يؤدى بالحروف، إنه أخو الثني، ولم يدلوا عليه إلا بالحروف، ولأن الفعل إنما وُضِعَ لتقييد الحدث بالزمن المحصل فيه، وكونه أمراً أو خبراً خارج عن مقصوده. ولأنهم قد نطقوا بذلك الأصل، كقول الشاعر في شأن زين العابدين، رضي الله عنه.

لَتَقْتُمْ أَنْتَ يَا بَنَ خَيْرِ قَرِينِشْ كَيْ لَتَقْضِي حَوَائِجَ الْمُسْلِمِينَ
ثم أطال في ذلك فانظره فيه، والله تعالى أعلم.

الإشارة: الأفعال التي سبق بها القدر ثلاثة: أفعال سابقة، وأفعال لاحقة تابعة للسابقة، وأفعال حاصلة، والناس فيها أربعة أقسام، قسم غلب عليهم خوف السابقة، وقسم غلب عليهم خوف العاقبة. وقسم غلب عليهم الاشتغال بعمارة الأوقات، وما كلفهم به مقدر الأوقات. غائبين عن السوابق واللواحق؛ وهم العباد والزهاد، وقسم غلب عليهم الاستغراق في شهود الفاعل المختار، فأثون عن أنفسهم، غائبون عن وجودهم، في وجود مغبودهم لم يخطر على بالهم سوابق ولا لواحق. مستسلمون لمولاهم في حكمه وقضائه؛ وهؤلاء هم العارفون بالله، وإن شئت قلت: الأفعال التي تصدر من العبد ثلاثة: فعل مضي، وفعل هو مشتغل به في الحال. وفعل يأتي، لا يدري ما الله مانع فيه. وبين أجل، قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبية قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت، فوالذي نفس محمد بيده. ما بعد الموت بمستغيب، ولا بعد الدار من دار إلا الجنة أو النار هـ. فأداب الماضي نسيانته والغيبة عنه، فإن تذكر ما مضى من إساءته، جدد الندم والاستغفار، وإن تذكر ما سلف من إحسانه، حمد وشكر. وآداب الأمر: الغيبة عنه، والنظر لما يبرز من عنصرة القدرة، تاركاً للتدبير والاختيار، مستسلماً كما يبرز من عند الواحد القهار؛ لأن من لم يدبر، دبر له. وما دبر، دبره الحق لك، إحسن من تدبيرك لنفسك، فعسى أن تدبر شيئاً وتختاره وهو وبال عليك، فالله أرحم بك من نفسك، وأعلم بمصالحك منك. والله در القائل:

وَكَمْ رَمَتْ أَمْرًا خَرْتُ لِي بِي انصرافه
فلا زلت لي مني أبر وأرحمًا
عزمت على ألا أحس بخاطر
على القلب إلا كنت أنت المقدما
وألا تراني عند من قد نهيتني
لأنك في قلبي كبير معظما

وآداب الحاصل اغتنام الوقت قبل الممات، وانتهاز الفرصة قبل الفوات، والمسابقة على فعل الخيرات، كما قال الشاعر:

السباق السباق قولاً وفِعْلاً حذر النفس حشرة المسبوق
وبالله التوفيق، ثم مثل للأفعال الثلاثة فقال (ص) نحو ضربت يضرب

واضْرِبَ. (ش) فالأول ماضٍ، والثاني مضارع، والثالث أمر، فإن كان الماضي فَعَلَ بالفتح، فالمضارع يفعل بالكسْرِ، نحو ضَرَبَ يضربُ، ما لم يشتهر بالضمِّ، كدخل وخرَجَ ونَصَرَ. فمضارعه يفعل بالضمِّ، وما لم يكن حلقي العين، كسأل وسقى وذهل، فمضارعه بالفتح، تقول: يسأل ويسعى ويذهل وقس عليه، وإن كان فَعِلَ بالكسْرِ، فالمضارع يُفَعَلُ بالفتح، كَعَلِمَ يَعْلَمُ وَفَرِحَ يَفْرَحُ، وخاف يَخَافُ، وإن فَعَلَ بالضمِّ، فمضارعه كذلك. نحو كَرُمَ يَكْرُمُ وَحَسَنَ يَحْسُنُ. والأمر تابع للمضارع في الأوجه الثلاثة. تقول: اضْرِبْ وَاعْلَمْ وَأَكْرِمْ. وإن كان رُبَاعِيًّا فمضارعه يُفَعَلُ بضمِّ حَرْفِ المضارعة. نحو يَكْرُمُ ويحسُنُ، مضارع أكرم وأحسن. والأمر منه إِفْعَلُ بقطع الهمزة، والله تعالى أَعْلَمُ، ثم ذكر أحكامها في البناء والإعراب فقال (ص) فالماضي مفتوح الآخر أبداً. (ش) يعني أن الماضي مبني على الفتح أبداً. أمّا بناؤه فلا سؤال عليه؛ لأنه أصلٌ في الأفعال. وأما تحريكه مع أن الأصل في المبني أن يُسَكَّنَ، لشبهه بالمضارع، لوقوعه صلةً وصفةً، وخبراً، وحالاً، وشرطاً وجزاءً. وأمّا كَوْنُ الحركة فتحة، فلطلب التخفيف، والفتح الذي يُبْنَى عليه الماضي. إمّا أن يكون ظاهراً كضربَ؛ وهو الذي لم يتصل بآخره، ضميراً رفع كضربوا، فَيُضَمُّ، لمناسبة الواوِ أو ضمير تكلم أو خطاب. فيسكَّنُ، كضربنا وضربتُ؛ فهو مبني على فتحة مقدرة فيما قبل الواوِ، المانع من ظهورها، اشتغال المحلِّ بحركة المناسبة، أو فيما قبل الثون والتاء. المانع من ظهورها أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة؛ لأنَّ الفاعل لشدة لصوقه صار كالجُزءِ من الكلمة، والعرب لا تجمعُ بين أزيد متحركات في الكلمة الواحدة، وإلما ضربنا زَيْدٌ، فالمفعول منفعلٌ عن الفعلِ بالفاعلِ، فصار كأنه كلمة أخرى. (ص) والأمر مجزوم أبداً (ش) أي بُنِيَ على السكون، وفي عبارته، تجوز؛ لأنَّ الجزم من ألقاب الإعراب. والسكون من ألقاب البناء، كالفتح، والكسر، والضمِّ. وألقاب الإعراب، والرفع والنصب، والخفض والجزم، فيقال: مبني على الضمِّ، أو على الفتح، أو على الكسر، أو على السكون. كما يقال في المُعْرَبِ. معرب بالرفع أو النصب، أو الخفض أو الجزم. وإنما بُنِيَ الأمر على السكون، إذا كان صحيح الآخر. وأمّا إن كان معتلاً الآخر، فبُنِيَ على ما يجزم به مضارعه، من حذف الألف أو الواو أو الياء. أو حذف الثون إن أُسْنِدَ إلى ضمير تشبية، أو جمع، أو مؤنثة مخاطبة. وقد نظم بعضهم فقال: والأمر مبني على ما يجزم به مضارعه يا مَنْ يفهم. كَصَمَّ وصل واخش واذع وارغبوا، وكازغبا وكازغبي يا زينب. هذا. وكَوْنُ

الأمر مبيناً، هو مذهب البصريين، وقال الكوفيون؛ هو معرب مجزومٌ بلامِ الأمر، لأنه مقتطع منه، كما تقدم عنهم.

تنبيه: الأصل في الأسماء الإعراب، لأنها قد تتوارد عليها المعاني المختلفة بلفظٍ واحدٍ. فلا يتميز المعنى إلا بالإعراب تقول: مَا أَحْسَنَ زَيْدٌ بِالْوَقْفِ، فلا يدري هل تعجب أو نفي أو استفهام. فإذا نصبت، علمنا أنه تعجب. وإذا رفعت علمنا أنه نفي، وإذا جررت علمنا أن ما استفهامية. أي أي شيء فيه حسن. وأما الأفعال، فالأصل فيها هو البناء على مذهب البصريين. وإنما أعرب المضارع لشبهه بالاسم كما يأتي. والأصل في المبني هو السكون، فإذا بُني الاسم على السكون تَوَجَّهَ إليه سؤال واحد؛ وهو لِمَ بُنِيَ؟ وقد تقدم أنه لشبه الحرف، وإذا بُني على حركة؛ توجه إليه ثلاث أسئلة: لِمَ بُنِيَ؟ وَلِمَ كَانَتْ حركة؟ وَلِمَ كَانَتْ فتحة أو ضمة مثلاً. وإذا بني الحرف أو الفعل فلا سؤال عليه؛ لأنه جاء على أصله. وإنما يُسأل إذا بُني على حركة فيقال: لِمَ بُنِيَ على حركة؟ وَلِمَ كَانَتْ كذا؟ وقد ذكر المرادي في شرح الألفية، أسباب البناء على الفتح والضم والكسر، تركناه خشية الإطالة. ثم ذكر المضارع فقال: (ص) والمضارع ما كَانَتْ في أوَّلِهِ إحدى الزوائد الأربع بجمعها قولك أَتَيْتُ (ش) قلت: الْمُضَارِعَةُ، هي المشابهة: يُقال: ضَارَعَهُ. أي شابهه. وَسُمِّيَ الْمُضَارِعُ به. لأنه أشبه اسم الفاعل في الحركات والسكنات؛ وعَدَد الحروف. وأشبه مُطْلَقَ الاسم في الإبهام والتخصيص، ودخول لام الابتداء عليه، وأيضاً قد تتوارد عليه المعاني المختلفة بلفظ واحدٍ كما تقدم في الاسم. نحو تأكل السمكة وتشرب اللبن. بالنصب والرفع والجزم. ولكل إعراب معنى يخصه على ما يأتي في النواصب. وقال بعضهم: المضارعة من الضرع، كَأَنَّ الفعل ضَرَعَ مع الاسم ضرعاً واحداً. وَعَتَوْا بِذَلِكَ مشابته له فيما تقدم ثم عَرَفَهُ بِكُونِهِ ما افتتح بأحد هذه الحروف الهمز والثون، والياء والتاء يجمعها قولك أَتَيْتُ. أي أدركت. من أَنَا يَأْتِي أدرك. فيشترط في الهمزة أن تكون زائدة تدل على المتكلم وخذته نحو أقام فخرج أتيت لإصالة الهمزة، وأيدع اسم لعدم دلالتها على المتكلم، ويشترط في الثون، أن تكون زائدة، وأن تدل على المتكلم المُعْظَم نفسه، أو معه غيره، فالأول كقوله: «إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا»، والثاني كقول الملائكة: «وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ».

فخرج نحو: نرجس اسم نباتٍ مَعْرُوفٍ، نَرْجَسَ الدَّوَاءَ جعل فيه النرجس، إذ لا تدل على المتكلم، فهي في الأول اسم، وفي الثاني فعل ماضٍ، ويشترط في

الياء أن تكون زائدة، وأن تدلُّ على الخطاب، نحو: أنت تقول: وأنتما تقولان، وأنتم تقولون، وأنت تقولين، وأنثنُ تقلن، أو على التانيث والغيبة، نحو: هند تقوم، والهندان تقومان، والهندات تقمن، والهنود تقمن، وتقوم الهندان، ونحو ذلك. فخرج نحو تَبَّ أي حَسِر. وتَرَمَسَ بمعنى رَمَسَ. أي تَسَرَ. فهذا كله ماضٍ، لإصالة التاء في الأوَّل ولعدم الدلالة على الخطاب، أو غيبة المؤنث في الثاني.

حِكَايَةٌ: روي عن بعض ملوك سبته من المعروفين، أنه طلب من الشيخ أبي إسحاق الغافقي شارح الجمل لأبي إسحاق الزجاجي حتى انتهى إلى هذا الموضع؛ فقال له: يجمعه قولك نأيت، بتقديم النون على الهمزة، فقال له التلميذ، يا سيدي، ينبغي أن تقدم الهمزة على النون، فيقول: أنيت لما في ذلك من حسن اللفظ والمناسبة. يكون لكل واحد من هذه الحروف ضعف ما قبله. فإن الهمزة لمعنى واحد للمتكلم وحده. والنون للمعنيين؛ للمعظم نفسه ومعه غيره. والياء لأربعة. فضعف ما قبلها للغائب وللغائبين، وللغائبات. والتاء لثمانية معانٍ. ضعف ما قبلها للواحد المخاطب، وللواحد المخاطبة، وللمذكَّرين المخاطبين، وللمؤنثين المخاطبتين. ولجماعة الذكور المخاطبين. ولجماعة الإناث المخاطبات، وللواحدة الغائبة. نحو هُنْدُ تقوم. وللغائبتين نحو الهندان تقومان وما أشبه ذلك، فلما سمع الشيخ كلام تلميذه قال: من يفهم هذه المسألة ليس بمحتاج إلى من يشغله. بل يستحق أن يشغل غيره. ولم يشغله بعد ذلك هـ من السوداني.

الإشارة: فالماضي، أي الزمن الماضي الذي اشتغل فيه صاحبه بأنواع الطاعات والمجاهدات والسياحات في طلب الحق، مفتوح آخره، بالفتح الكبير أبدأ؛ لأن البدايات مجلات النهايات، فمن أشرقت بدايته، أشرقت نهايته. والأمر الذي يُوصل صاحبه إلى حضرة الأنس مجزم ومعزوم عليه أبدأ، لا يصحبه فتور ولا قصور. ولا عي ولا ملل بل لم تزل مطية عزمه، لا يقر قرارها دائماً تسيارها إلى أن ناخث في حضرة القدس، ومحل الأنس: محل المشاهدة والمواجهة والمكالمة والمفاتحة والمؤانسة: فتصير حضرة معشش قلبه فيها يسكن وإليها يأوي والمضارع أي المتشبهه بالقوم. وليس في ناهضة حب وإنما قُضده التزي بأحوال القوم، والتطفل عليهم؛ وهو ما كانت فيه إحدى العلل الأربع الزائدة على الروح والعارضة فيها؛ وهي حب الدنيا، والعزُّ وخوف الخلق، وهم الرزق يجمعها الرضى عن النفس، الذي هو أصل كل معصية، وغفلة وشهوة. وينشأ عن الرضى عن النفس الدعوى فيدعي الوصول، ويقول: أنيت أي قربت من الحضرة ووصلت

إِيَّهَا. وَبَيَّنَّهُ وَبَيْنَهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَسَبَبَ ذَلِكَ الْغَلَطَ وَالْجَهْلَ الْمَرْكَبَ. وَسَبَبَ الْغَلَطَ عَدَمَ صَحْبَةِ الرِّجَالِ. إِذْ لَا تَعْرِفُ الْمَقَامَاتِ، إِلَّا بِصَبْحَةِ أَهْلِ الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ. ثُمَّ ذَكَرَ حِكْمَهُ فَقَالَ (ص) وَهُوَ مَرْفُوعٌ أَبَدًا حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهِ نَاصِبٌ أَوْ جَازِمٌ (ش) يَعْنِي أَنَّ الْمَضَارِعَ إِذَا تَجَرَّدَ عَنِ النَّاصِبِ وَالْجَازِمِ، كَانَ مَرْفُوعًا دَائِمًا. وَهَلْ رَافِعُهُ التَّجْرُدُ، وَهُوَ مَذْهَبُ حَدَاثِ الْكُوفِيِّينَ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ مَالِكٍ أَوْ وَقَّوعَهُ مَوْضِعَ الْاسْمِ؛ وَهُوَ مَذْهَبُ سَيُويْنَةَ، وَجَمْهُورِ الْبَصْرِيِّينَ. أَوْ بِحَرْفِ الْمَضَارِعَةِ؛ وَهُوَ قَوْلُ الْكَسَائِيِّ، أَيْ بِنَفْسِ الْمَضَارِعَةِ؛ وَهُوَ قَوْلُ ثَعْلَبِ، أَقْوَالٌ لَا يَنْبَغِي عَلَيْهِ شَيْءٌ. رُبَّمَا يَفْهَمُ مِنْ أَغْنِيَاءِ الْمُصَنِّفِ بِقَوْلِهِ، حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهِ نَاصِبٌ أَوْ جَازِمٌ، إِنْ رَافِعَهُ التَّجْرُدُ كَمَا اخْتَارَهُ ابْنُ مَالِكٍ. وَقَالَ إِنَّهُ سَالِمٌ مِنَ النَّقْضِ.

الإِشَارَةُ: وَالْمُتَشَبِّهُ بِالْقَوْمِ الْمُتَزَيِّنِ بِزَيِّهِمْ مَرْفُوعٌ أَبَدًا؛ لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُسْرًا مَعَهُمْ، وَمَنْ تَزَيَّنَا بِزَيِّ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ. فَلَا يَزَالُ عَزِيزًا مَرْفُوعًا مَا دَامَ مَنْخَرَطًا فِي سِلْكِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهِ نَاصِبٌ فَيَنْصَبُ بِطَلَبِ الدُّنْيَا. أَوْ جَازِمٌ يَرُدُّهُ فَيَقْهَرُهُ عَلَى الرَّجُوعِ عَنِ طَلَبِ الْمَوْلَى، فَيَتْرِكُ صَحْبَةَ الْمَشَائِخِ وَالْفُقَرَاءِ، وَالْوَصُولَ إِلَيْهِمْ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ رَجُوعِهِ إِلَى مَقَامِ الْعُمُومِيَّةِ وَالْعِيَاذِ بِاللَّهِ. ثُمَّ ذَكَرَ النَّوَاصِبَ الَّتِي تَنْصَبُ الْمَضَارِعَ فَقَالَ (ص) النَّوَاصِبُ عَشْرَةٌ (ش) أَي إِذَا أَرَدْتَ مَعْرِفَةَ النَّوَاصِبِ، فَهِيَ عَشْرَةٌ مِنْ جِهَةِ التَّقْرِيبِ؛ وَهِيَ عَلَى قِسْمَيْنِ، قَسْمٌ يَنْصَبُ بِنَفْسِهِ. وَقَسْمٌ يَنْصَبُ بِأَنْ مَضْمُرَةٌ بَعْدَهَا. فَالْأُولَى أَرْبَعَةٌ؛ وَهِيَ: (ص) أَنْ (ش) بِالْفَتْحِ وَالسَّكُونِ، وَهِيَ الْمَصْدَرِيَّةُ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾. فَإِنَّ النَّاصِبَةَ مَسْبُوقَةَ بِالْمَصْدَرِ مَبْتَدَأٌ وَخَيْرٌ خَيْرٌ، أَيْ صَوْمُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ. وَأَمَّا التَّفْسِيرِيَّةُ فَلَا عَمَلَ عَلَيْهِ؛ وَهِيَ الْمَسْبُوقَةُ بِجُمْلَةٍ فِيهَا مَعْنَى الْقَوْلِ دُونَ حُرُوفِهِ كَقَوْلِكَ أَشْرْتُ لَزِيدٍ أَنْ يَفْعَلَ، وَكَذَلِكَ الرَّائِدَةُ، نَحْوُ: «وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا»، وَالْمَخْفِيفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ؛ وَهِيَ الْمَسْبُوقَةُ بِعَلِمٍ، نَحْوُ: «عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرَضِيٌّ». أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا». وَفِي الْمَسْبُوقَةِ بِظَنْ وَجْهَانِ، قَرِيءٌ بِهِمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحَسْبُوا أَلَّا تَكُونُوا فَتَنًا﴾. وَاعْلَمْ أَنَّ نَاصِبَةَ، هِيَ أُمُّ النَّوَاصِبِ، بِدَلِيلِ إِعْمَالِهَا ظَاهِرَةً وَمَقْدَّرَةً. وَبِكَوْنِهَا تَخْلُفُ الْفِعْلَ لِلِاسْتِقْبَالِ، وَالْبَاقِي مَحْمُولٌ عَلَيْهَا. قَالَ أَبُو حَيَّانَ وَغَيْرُهُ. وَالثَّانِي مِنَ النَّوَاصِبِ (ص) لَنْ (ش)؛ وَهِيَ حَرْفٌ نَصَبٌ وَنَفْيٌ وَاسْتِقْبَالٌ. وَهِيَ بَسِيطَةٌ لَا مَرْكَبَةَ مِنْ لَأْ. وَإِنْ حَذَفْتَ الهمزة تخفيفاً. وَالْألفُ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ. مُسْتَدَلًّا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ فَاحْتِجَّ بِسَبَبِ ذَلِكَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَرْفَعَهُ﴾ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى أَبَدًا؛ وَهُوَ بَاطِلٌ. قَالَ فِي الْكَافِيَةِ:

ولن يرى النفس بلن مؤبداً فاردد كلامه وغيره أعضدا
 وَرَدَ عَلَيْهِ بِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ تَفِيدُ التَّأْيِيدَ بِذَاتِهَا لَمْ يَقَيِّدْ نَفْسَهَا بِالْيَوْمِ، فِي قَوْلِهِ
 تَعَالَى: ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْشِيَاءً﴾. ولم يصح التوقيت في قوله تعالى: ﴿لَنْ نَنْجَحَ
 عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوقِنِينَ﴾ وَأَمَّا التَّأْيِيدُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾
 فَاسْتَفِيدَ مِنْ خَارِجٍ قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ: هَذَا فِي إِفَادَتِهِ التَّأْيِيدَ. وَأَمَّا التَّأْيِيدُ
 فَمُسَلَّمٌ. وَمَعْنَاهُ مَكَابِدَةٌ. فَلَا شَكَّ أَنَّ قَوْلَكَ: زَيْدٌ لَنْ يَقُومَ، أَوْ كَذُّ مِنْ قَوْلِكَ زَيْدٌ لَا
 يَقُومُ. وَقَدْ تَرَدَّدَ لِلدَّعَاءِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

لَنْ تَزَالُوا كَذَلِكَمْ ثُمَّ لَا زِلْتُ لَكُمْ خَالِدًا خُلُودَ الْجِبَالِ
 قَالَ ابْنُ عَصْفُورٍ، وَخَالَفَهُ الْجُمْهُورُ، وَمَا قَالَهُ ابْنُ عَصْفُورٍ ظَاهِرٌ مِنْ بَيْتِ
 الشَّاعِرِ. وَالثَّلَاثُ: (ص) إِذْنٌ (ش) وَهِيَ حَرْفٌ جَزَاءٌ غَالِبًا، وَجَوَابٌ دَائِمًا. تَقُولُ:
 أَزُورُكَ غَدًا. فَيَقُولُ: إِذْنٌ أَكْرِمَكَ. وَقَدْ تَمَحَّضَ لِلجَوَابِ دُونَ جَزَاءٍ، تَقُولُ إِنِّي
 أَجِبُكَ. فَيَقُولُ إِذْنٌ أَصَدِّقُكَ. وَلِنُضْبِهَا ثَلَاثَةَ شُرُوطٍ: أَحَدُهَا أَنْ تَكُونَ مُصَدَّرِيَّةً فِي
 أَوَّلِ الْكَلَامِ، فَلَوْ لَمْ تُصَدَّرْ لَمْ تُنْصَبْ. نَحْوُ: وَاعْتَظِرَ الْفَضْلُ بِالْقِسْمِ؛ لِأَنَّ الْقِسْمَ
 يُقْصَدُ بِهِ تَوْكِيدُ الْكَلَامِ، فَكَأَنَّهُ مِنْهُ، تَقُولُ: إِذْنٌ وَاللَّهِ أَكْرِمَكَ. وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

إِذْنٌ وَاللَّهِ نَزَمِيهِمْ بِحَرْبٍ تُشَيِّبُ الطِّفْلَ مِنْ قَبْلِ الْمَشِيْبِ
 وَبِلَا الثَّانِيَةِ، نَحْوُ: إِذْنٌ لَا أَهْيَنُكَ. وَأَجَازَ ابْنُ بَابِشٍ إِذَا لِفَصْلِ الْبِنْدَاءِ،
 نَحْوُ: إِذَا يَا زَيْدٌ أَحْسَنَ إِلَيْكَ، وَأَجَازَ ابْنُ عَصْفُورٍ وَالْأَبْرِيُّ الْفَصْلَ بِالظَّرْفِ، نَحْوُ:
 إِذْنٌ غَدًا أَكْرِمَكَ. وَثَالِثُهَا: أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ مُسْتَقْبَلًا. فَلَوْ كَانَ دَالًّا عَلَى الْحَالِ
 لَأَهْمِلْتُمْ، نَحْوُ: إِذْنٌ أَكْرِمَكَ الْآنَ؛ لِأَنَّ الْجَزَاءَ إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَأَمَّا
 الْأَمْرُ الْحَاصِلُ فَلَا يُسَمَّى جَزَاءً. وَإِنْ وَقَعَتْ بَعْدَ عَاطِفٍ؛ فَلَا أَكْثَرَ إِهْمَالِهَا، كَقَوْلِهِ
 تَعَالَى: ﴿وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَكَ خِلْفَكَ﴾ «وَإِذْنٌ لَا يَأْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا». وَقَرِءَ شَادًا.
 وَإِذْنٌ لَا يَلْبِثُوا فَمَنْ أَلْعَى رَعَى تَقَدَّمَ الْحَرْفُ فَكَأَنَّهُ لَمْ تُصَدَّرْ، وَمَنْ نَصَبَ رَعَى كَوْنُ
 مَا بَعْدَ جُمْلَةٍ مُسْتَقْلِمَةٍ. وَنَظَّمَ بَعْضُهُمْ هَذِهِ الشَّرُوطَ فَقَالَ:

إِذَا إِذْنٌ أَتَتْكَ أَوْلًا
 وَسُقِّتْ فِعْلًا بَعْدَهَا مُسْتَقْبَلًا
 وَإِذَا إِذْنٌ أَعْمَلْتَهَا أَنْ تَفْقَهَ
 إِلَّا بِحَلْقِ الْأَنْدَاءِ أَوْ بِلَا
 وَأَفْصِلَ بِالظَّرْفِ أَوْ بِمَجْرُورٍ عَلَى
 رَأَى ابْنَ عَصْفُورٍ رَأَيْسَ الشُّبْلَا
 وَإِنْ تَجِيءُ بِحَرْفٍ عَظْفِ أَوْلًا
 فَأَحْسَنَ الْوَجُوهَ الْأَتْعِمَلَا

وَقَدْ تَلْفَى مَعَ تَوْفِرِ الشَّرْطِ، لَكِنَّهُ نَادِرٌ كَمَا أَلْغَيْتَ مَا الْجَازِمَةَ، لَعَدَمَ
 اخْتِصَاصِهَا بِالْأَفْعَالِ. وَهَلْ تَكْتُبُ بِالْأَلْفِ مِرَاعَاةَ لِلْوَقُوفِ عَلَيْهَا؛ وَهُوَ قَوْلُ
 الْجُمْهُورِ، أَوْ بِالثُّونِ مِرَاعَاةَ لِأَضْلَاهَا. ثَالِثُهَا: التَّفْصِيلُ، إِنْ أَعْمَلْتَ كَتَبْتَ بِالثُّونِ،
 وَإِذَا أَهْمَلْتَ كَتَبْتَ بِالْأَلْفِ. وَقِيلَ بِالْعَكْسِ. وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ: أَشْتَهَى أَنْ
 أَكُونَ يَدٌ مَنْ يَكْتُبُ إِذَا بِالْأَلْفِ؛ لِأَنَّهَا مِثْلُ أَنْ وَلَا يَدْخُلُ التَّنْوِينُ فِي الْحَرْفِ هـ.
 قَالَ السُّودَانِيُّ. وَالرَّابِعُ (ص) كَي (ش) الْمَضْرَبِيَّةُ؛ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهَا اللَّامُ. إِمَّا لِفِظًا
 كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ أَوْ تَقْدِيرًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ فَإِنْ لَمْ
 تُقَدَّرِ اللَّامُ كَانَتْ حَرْفَ جَرٍّ بِمَنْزِلَةِ لَا لِلتَّعْلِيلِ، وَكَانَتْ أَنْ مُضْمَرَةً بَعْدَهَا. هَذَا
 مَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ وَجُمْهُورِ الْبَصْرِيِّينَ، وَذَهَبَ الْكُوفِيُّونَ إِلَى أَنَّهَا حَرْفٌ نَصَبٌ دَائِمًا مِنْ
 غَيْرِ تَفْصِيلٍ، وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهَا حَرْفُ جَرٍّ دَائِمًا. الْقِسْمُ الثَّانِي، مَا يُنْصَبُ بِأَنْ
 مُضْمَرَةً بَعْدَهَا؛ وَهِيَ سِتَّةٌ. أَحَدُهَا (ص) لَامٌ كَي (ش)، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرًا
 لِتُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وَسُمِّيَتْ لَامٌ كَي لِمَسَاوَاتِهَا لَكَيِّ فِي التَّعْلِيلِ. وَالثَّانِي
 الْحَقِيقَةُ، إِنَّمَا هُوَ أَنْ مُقَدَّرَةً بَعْدَهَا. وَيَجُوزُ إِظْهَارُهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرًا لِأَنَّ أَكُونَ
 أَوْلَ السُّلَيْمِينَ﴾. وَيَجِبُ إِظْهَارُهَا إِنْ وَقَعَتْ بَعْدَهَا لَا، نَحْوُ: «لِيَلَّا يَعْلَمَ». وَثَسَاوِيهَا
 لَامُ الصَّبْرِ فِي إِضْمَارِ أَنْ، نَحْوُ: «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا».
 وَالثَّلَاثَةُ الرَّائِدَةُ نَحْوُ: «يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ». وَثَانِيهَا: (ص) لَامٌ الْجُحُودِ (ش) أَي
 النَّفْيِ، وَهِيَ الدَّاخِلَةُ عَلَى حَبْرٍ كَانَ، أَوْ لَمْ يَكُنِ الْمَنْفِيَّتَيْنِ. نَحْوُ: «وَمَا كَانَ اللَّهُ
 لِيُعَذِّبَهُمْ» لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُعْذِّبْ لَهُمْ». أَي مَا كَانَ اللَّهُ مُرِيدًا لِيُعَذِّبَهُمْ، فَالْفِعْلُ مَنْصُوبٌ
 بَعْدَهَا بِأَنْ مُضْمَرَةً. وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ، مَنْصُوبٌ بِنَفْسِ اللَّامِ. وَثَالِثُهَا (ص) حَتَّى (ش)
 وَهِيَ الْجَارَةُ. وَالفِعْلُ بَعْدَهَا مَنْصُوبٌ بِأَنْ مُضْمَرَةً وَجُوبًا، نَحْوُ: «حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا
 مُوسَى». هَذَا مَذْهَبُ الْبَصْرِيِّينَ. خِلَافًا لِلْكُوفِيِّينَ، الْقَائِلِينَ بِنُصْبِهَا. وَلَعْمَلِهَا النَّصْبُ
 شَرْطٌ: إِحْدَاهَا أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ بَعْدَهَا مُسْتَقْبَلًا. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَنَّبِلُوا آلِيَّ تَبَيَّنَ حَتَّى
 تَفِيءَ إِلَيَّ أَمْرُ اللَّهِ﴾ «حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى» فَلَوْ كَانَ حَالًا يَرْفَعُ، نَحْوُ: مَرَضَ زَيْدٍ حَتَّى
 لَا يَرْجُوهُ؛ لِأَنَّهُ فِي التَّقْدِيرِ، حَتَّى أَنَّهُمْ لَا يَرْجُوهُ، فَهُوَ فِي قُوَّةِ الْمَجْرُودِ وَالِاسْتِقْبَالِ
 يَكُونُ زَمَنَ التَّكَلُّمِ. وَقَدْ يَكُونُ بِاعْتِبَارِ مَا قَبْلَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ
 الرَّسُولُ﴾ فِي قِرَاءَةِ النَّصْبِ. فَإِنْ قَوْلُ الرَّسُولِ وَمِنْ مَعَهُ مُؤَخَّرٌ عَنِ الزَّلْزَلَةِ. وَأَمَّا
 بِاعْتِبَارِ زَمَنِ الزَّلْزَلِ، فَإِنَّهُ إِخْبَارٌ عَمَّا مَضَى. فَتَكُونُ مُؤَوَّلَةً بِالْحَالِ، فَيَكُونُ رَفْعُهُ،
 وَعَلَيْهِ تَجْرِي قِرَاءَةُ الرَّفْعِ. وَالْمَعْنَى، وَزُلْزِلُوا حَالَةَ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ. يَقُولُونَ:
 مَتَى نَضُرُّ اللَّهَ. فَتَقْدَرُ الْمَاضِي وَالْفِعْلُ الْآنَ، وَتَحْكِيهِ كَأَنَّهُ وَقَعَ، فَلِرفْعِ الْمَاضِي بَعْدَ

حتى ثلاثة . فيؤيد . أخذها : أن يكون حالاً ، أو مؤولاً بالحال كما تقدّم . ثانيها : أن يكون المضارع مسبباً عما قبله ، كما في المثال المتقدم ، فإن المرض سبب في عدم الرجاء . وتقول : سرت حتى أدخل البلد بالرفع بخلاف ما : سرت حتى أدخلها فالنصب واجب ؛ لأنّ السبب منفي ، والقيد الثالث : كَوْن المضارع في ذلك في محلّ الفضلة ، نحو : سرت حتى أدخلها بخلاف إذا كان في محلّ العُمدة ، نحو : سيّري حتى أدخلها ، فالنَّصْب واجب ؛ لأنّ الفعل في محلّ الخبر ، وكذا قولك : كان سيّري أمين حتى أدخلها ، إن جعلت كان ناقصة ، والخبر المجرور ، فالنَّصْب واجب ، وإن جعلتها تامّة ، فالرَّفْعُ أو جعلت الظرف الخبر . والضابط في حتى التي يرتفع الفعل بعدها ، هو أن يصحّ في موضعها الفاء . فتقول في قوله : مرض حتى لا يرجونه ، وزلزلوا ، فيقول الرسول حينئذٍ حتى نُضِرَّ اللهُ ، لأنّ الفاء تؤذن بالتسبب ، وضابط حتى التي ينتصب ما بعدها أن تجعل في موضعها كي التعليلية ، أو إلى الغائية . فتقول : «فَقَاتِلُوا التي تَبْغِي حتى تَفِيءَ إلى أمر الله» ، وكذلك قوله تعالى : ﴿لَا تُفْسِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُسُوا﴾ أي كي ينفُسُوا ونظم بعضهم هذه القيود ، وهذا الضابط فقال :

ترفع حتى الحال أو مؤولاً به فضلة مسبباً علاً
ما قبله كحى لا يرجونه يُخبر ذا يجعل فاء دونه
وما سواه فانصبته أبداً واخبر بكى كذا إلى نلت الهدى

ومعنى يخبر يختبر ، أي تختبر حتى التي يرتفع بعدها الفعل ، يجعل الفاء موضعها ، واختبر التي ينصب بعدها ، يجعل موضعها كي . وقال في التسهيل : وإن كان الفعل حالاً أو مؤولاً به رفع . وعلامة ذلك . صلاحية جعل الفاء مكان حتى ، وكون ما بعدها فضلة مسبباً عما قبلها ذا محل صالح للابتداء هـ . فحتى الرافعة ابتدائية ؛ وهي مختصة بالدخول على الجملة اسمية أو فعلية ، وحتى التي ينصب الفعل بعدها ، جارة لمصدر مسبك من أن والفعل الذي بعدها . ثم ذكر الثامن فقال (ص) والجواب بالفاء (ش) وفي عبارته قلق ، والصواب أن يقول : والفاء في الجواب ؛ لأن الجواب هو ما بعد الألف ، لا الفاء . والمعنى أن الفعل المضارع ينتصب بعد فاء السببية في الجواب في أمور : أخذها النفي المحض ، نحو : «لا يُفْضَى عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا» . والثاني : النهي ، نحو : «لَا تَطْعَمُوا فِيهِ فَيَجِلَّ عَلَيْكُمْ عَصِي» .

والثالث: الطلب، فيشمل الأمر، نحو: اضرب زيدا فيستقيم، والدعاء، نحو: رب وفقني فلا أعدل عن سنن الماضين، في خير سنن. والاستفهام، نحو: «فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا». والعرض، نحو: لا تنزل علينا فنكركمك. والتخصيص، نحو: هَلَا تَأْتِنَا فتنزل عندنا. والفرق بينهما، أن العرض تكون برفق ولين. والتخصيص يكون بحت وإزعاج، والرابع التمني. نحو: «يَلِيَّتِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ». والخامس: الترجي، نحو: «لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ». قراءة حفص؛ وهو مذهب الكوفيين، ورجح ابن مالك ثبوته في النثر الصحيح كما تقدم في الآية وإليه أشار في الألفية بقوله:

وَالْفَاءُ بَعْدَ الْفَاءِ فِي الرَّجَاءِ نُصِبَ كَنُصِبِ مَا إِلَى التَّمَنِّي يَنْتَسِبُ

فرع: إذا أسقطت هذه الفاء وقصد الجواب، جزم الفعل. نحو: اضرب زيدا ليستقيم، ومنه قوله تعالى: «قُلْ تَكَلَّوْا أَتْلُ». وهل جزمه بأن مقدرة أو بالجملة لتضمها معنى الشروط، قولان. وهي الحكم يجري في الأمور الخمسة. إلا في النفي المنخض. فلا يجزم الفعل بإسقاطها؛ لأنه لا يستقيم تقدير أن قبله. ويشترط في جواب النفي تقدير ألا تفعل موضعه، فإن لم يصح تقديره رفع. تقول: لا تَدُنْ مِنَ الْأَسَدِ تَسَلَّمْ بِالْجِزْمِ، لأنك تقول: لا تمدن تسلّم بخلاف لا تَدُنْ مِنَ الْأَسَدِ يَأْكُلُكَ. فيجب رفعه؛ لأنه لا يصح أن تقول: ألا تدن من الأسد يأكلك. قال في التسهيل: فإن لم يُحَسَّنْ إِقَامَةٌ أَنْ يَفْعَلَ مَقَامَ الْأَمْرِ. وألا تفعل مقام النفي لم يجزم جوابها خلافاً للكسائي هـ. وقال أيضاً: ويرفع مقصوداً به الوصف أو الإستناد هـ. قلت: مثال الأمرين قوله تعالى: «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْثُنِي». «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ» فيصح فيه الجزم على الجواب، والرفع على الوصفية، أو الاستئناف. ثم قال: والأمر المدلول عليه بالخبر قولك: اتق الله امرؤ، وأفعل خيراً تثب عليه، ومنه قوله تعالى: «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَمِ شُجْرِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ نُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُؤْمِنُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ» ثم قال: «يَغْفِرْ لَكُمْ». أي آمنوا وجاهدوا يغفر لكم. ومثال اسم الفعل صه نكلمك، وحسبك الحديث ينم الناس.

تنبيه: إذا نصبت الفعل بعد الفاء. في جواب ما تقدم، ثم عطفت عليه فعلاً آخر يصح فيه الجزم بالعطف على المحل، والنصب عطفاً على اللفظ. ثم اعلم أن هذه الفاء، مع كونها تؤذن بالجواب، هي على أصلها من العطف عطفت مضدراً مسبوكاً من الفعل بعدها على مصدر موهم مأخوذ من الفعل السابق. فالتقدير في

قوله تعالى: ﴿لَا يُضَعْنَ عَلَيْهِمْ فِيمَوْثُوا﴾ أي لا يكون قضاء بمؤت. «وَلَا تَطْعُوا فِيهِ فَيَجْلُ» أي لا يكن طغياناً فحل غضب. وهكذا فيما بقي ولذلك لم يجز التُّضْبُ في غير الثَّغْيِ والطلبِ المَخْضَيْنِ. فتأملهُ. وما قوله (ص) والواو (ش) فينبغي أن يجعل معطوفاً على قَوْلِهِ. والجواب أن يكون مرفوعاً على الفاء، لئلاً يقتضي أن الواو تكون في الجواب. فإن الواو هنا ليست للجواب فقط. وإنما هي واو المعية التي أضلها العطف. فالمراد حينئذ أن المضارع ينتصب بعد الواو التي تفيد معنى مع. حيث وقعت بعد الثَّغْيِ والطلب بأقسامه السابقة، على مقتضى القياس لكن لم يُسمع ذلك في جميعها، والمسموع من ذلك في النفي. نحو: «وَلَمَّا يَغْلِمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ». أي لم يكن علم جهاد منكم مع علم صبر. والمراد على ظهور. وفي الثَّغْيِ نحو قوله:

لَأَتْنَهَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارَ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ
وقوله لا تأكل السمكة وتشرب اللبن بالتُّضْبِ. أي لا تجمع بينهما، ويصح الجزم، فيكون نهي عن كل واحد منهما. والرَّفْع على الاستئناف. أي لا تأكل السمكة، ولك شرب اللبن. وفي الأمر كقول الشاعر:

قلت ادعي وأدعو أن أندى لصوت أن ينادي ذاعيان
أي ليكن منك دعاء مع دعائي، وفي الثَّمْنِي كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَلَيْتُنَا نُرْدُ وَلَا نَكْذِبَ بِكَايَتِ رَبِّنَا﴾. ونكون في قراءة للتُّضْبِ في نكون وأما نُرْدُ فخير ليت، ونكذب عطف عليه، أي يا ليتنا يكون مثا رد للذنيا مع إيمان. وفي الاستفهام، كقول الشاعر:

أتيت ريان الجفون من الكرا وأبيت منك بلسعة الملسوع
وتقول في العرف والتضيض والدعاء: ألا تأتنا وتحدثنا. هلاً تأتنا وتحدثنا. رب وفقتني وأتوب علي. وأما إن كانت الواو لا تفيد المعية، وإنما هي لمجرد العطف: والفعل بعدها معطوف على ما قبله، فيجزي عليه ما جرى على ما قبله، من رفع وتضيب وجزم، وقد تجتمع الوجوه الثلاثة في مثال واحد، كما تقدم في قولهم: لا تأكل السمكة وتشرب اللبن. فإن أراد الثَّغْيِ عنهما معاً اجتماعاً وانترافاً، جُزِماً معاً، وكسر الثاني للقاء الساكنين. وإن أراد الثَّغْيِ عن اجتماعهما فقط نَصَبَ وإن نهي عن الأول فقط، وأباح الثاني رَفَعَ. والله تعالى أعلم. (ص) أو (ش) فإنها

تنصب المضارع بعدها بأن مضمرة وجوباً، وضابطها أن يصلح موضعها إلى وإلا أو حتى، فالأول: إذا كان ما قبلها ينقضي شيئاً فشيئاً كقول الشاعر:

لَا تَسْتَسْهَلَنَّ الصَّغْبَ أَوْ أَدْرِكَ الْمُنَا فَمَا انْقَادَتِ الْأَمَالُ إِلَّا لِصَابِرٍ
أي لا تتركبن الأمور الشاقة، واستسهل الصعب إلى أن أدرك ما تتمناه.
والثاني: إذا كان ينقضي دفعةً ولعدة، كقول الشاعر:

وَكُنْتُ إِذَا غَمَزَتْ فَتَاةٌ يَوْمَ كَرَّتْ كَعُوبِهَا أَوْ تَسْتَقِيمُ

أي إلا أن تستقيم. أو تقول: لأقتلن الكافر أو يسلم، أي إلا أن يسلم.
والثالث: إذا كان علةً لما قبله، نحو: لا تنظرنه أو يجيء أي حتى يجيء؛ وهي في هذا كله عاطفة مصدرأ مؤولاً، من دخولها على مصدر متوهم من الفعل الذي قبلها، فإذا قلت: لأقتلن الكافر أو سلم، كانت تقدير: ليكن مني قتل للكافر أو إسلام منه. وقس عليه أمثاله. فإن لم تكن أو بمعنى الحروف المذكورة، فقد ينتصب المضارع بعد ما بأن. لكن لأي جب إضمارها، بل يجوز الأمران، ومنه قوله تعالى، في قراءة ابن كثير: «أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا» فأو عاطفة على وخياً، أي أن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَخِيًا، أو إرسال رسول، وإليه أشار في الألفية بقوله:

وإن علم اسم خليص فعلاً عُطِفَ نصبه أن ثابتاً أو من حذف

فَتَحَصَّلَ أَنَّ أَنْ بِالنُّسْبَةِ إِلَى إِظْهَارِهَا وَإِضْمَارِهَا ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٌ: قسم يجب إضمارها، وذلك بعد الفاء الواقعة في جواب الطلب والنفي المخضين، وبعد واو المعية. وبعد حتى، وبعد أو المقيدة بما مر، وبعد لام الجحود. فهذه خمسة مواضع. وقسم يجب فيه إظهارها وإضمارها وذلك بعد لام كي، من غير لا. وبعد أو، والواو والفاء، وثم العاطفة على اسم خالص، كما تقدّمت الإشارة إليه والله تعالى أعلم. ثم شرع في الجوازم فقال (ص): والجوازم ثمانية عشر (ش). قلت: التحقيق أنها خمسة عشر فقط. وأما ألم وألماً، فهي لم ولماً، بزيادة همزة التقرير، وهي على قسمين. ما يجزم فعلاً واحداً. وهي ثمانية على ما ذكر الناظم فأشار إلى أولها بقوله: (ص) وهي لم (ش)، نحو: لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. فلم حرف جزم ونفي وقَلْب؛ لأنها تقلب المضارع إلى الماضي. وفي قلبها للمعنى أو اللفظ قولاً. فعلى الأول، هي داخله على المضارع الصالح للحال أو الاستقبال. فتقلب معناه إلى النفي في الماضي، وعلى الثاني؛ هي داخله على لفظ الماضي فقلبت لفظه إلى

المضارع . والأول أَرْجَحُ . (ص) وَلَمَّا (ش) وهي أيضاً حَزَمٌ وَتَفِي وَقَلْبُ .
 كما في لَمْ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ . «وَلَمَّا يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ» «وَلَمَّا يَذُوقُوا
 عَذَابٍ» . وتشترك م لَمْ في أُمُورٍ . وتفترق في أُمُورٍ . فيشتركان في الحرفية ، والجزم
 والثني والقلب . ويفترقان في أن الثني قد يتصل بزَمَانِ الحال ، وقد لا يتصل .
 تقول : لَمْ يَقَمْ زَيْدٌ بِالْأَمْسِ . وَإِنْ كَانَ قَدْ قَامَ بَعْدَ ذَلِكَ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿هَلْ أَتَى
 عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ . وقد كَانَ بِخِلَافِ الثَّنِيِّ بَلَمَّا ، فَلَا بُدَّ
 أَنْ يَتَّصِلَ بِزَمَانِ الحال . تقول : لَمْ يَقَمْ زَيْدٌ . إِذَا كَانَ ثَنِي قِيَامِهِ مُسْتَمِرًّا لِرِمَانِ
 الحالِ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَ ﴿لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ﴾ فَإِنَّ كِفَارَ قَرِينِش لَمْ يَكُونُوا ذَاقُوا
 العذاب حِينَ نَزَلَتْ الْآيَةُ . وفي أن منفي كما يتوقع ثبوته في الغالب ، كالأية
 المتقدمة ، أي وسيدوقه ، وكقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ . أي وسيأتهم تأويله .
 «وَلَمَّا يَجْتَمِعُ الضُّدَّانِ» . وَلَا يَصِحُّ أَنْ تَقُولَ : وَلَمَّا يَتَّبِ إبليسُ . وتقول : لَمْ يَتَّبِ
 إبليسُ ؛ لِأَنَّ تَوْبَتَهُ مُحَالٌ عَرْضِي ، وفي إن لَمْ قد يَدْخُلُ عَلَيْهَا أدوات الشرط ، نحو :
 «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا» ، بِخِلَافِ لَمَّا ، وفي أن لما يجوز ، حذف مجزومها ، كَقَوْلِ
 الشاعر :

فَجِئْتُ قَبُورَهُمْ بَدْءًا وَلَمَّا أَي وَلَمَّا أَكُنْ بَدْءًا
 بِخِلَافِ لَمْ . فلا تقول : جئت بَعْدَادَ ولم ، أي ولم أدخلها إلا في الضرورة .
 قال في التسهيل : وقد تلي لَمْ معمول مجزومها اضطراراً . وقد لا يجزم بها جملاً
 على لا هـ . وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَنْصَبُ بِهَا ، كَقِرَاءَةِ بَعْضِهِمْ . ألم نشرح .
 (ص) وَالْمُ وَالْمَا (ش) : هما لَمْ ولما . دَخَلَتْ عَلَيْهِمَا هَمْزَةُ التَّنْوِينِ أَوْ التَّوْبِيخِ .
 فالأول كقوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ والثاني : كقول الشاعر : «على حين
 عاتبت المشيب على الصبا» فقلت ألما أصح والمشيب وانزع . فالهمزة للتوبيخ .
 وَأَصْحَ مَجْزُومٍ بِحَذْفِ الْوَاوِ ، وَيُقَالُ صَحَّاحًا يَضْحُوحُ . إِذَا فَاقَ مِنْ سَكْرَتِهِ ، وَقَالَ آخِرُ :
 الْمَاتَعَرَفُوا مَتَا الْيَقِينِ الْمَاتَعَرَفُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ
 كَشِبَابٍ يَطْعَمَنَ وَيَرْتَمِينُ .

(ص) وَلَامُ الْأَمْرِ (ش) : نحو : «لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ» (ص) والدعاء .
 (ش) نحو : «لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبِّكَ» . ابن هشام وجزمهما فعلى المتكلمين المبنيين
 للفاعل قليل نحو قوموا فلا حال لكم . ولتحمل خطاياكم . وأقلُّ منهما جزمهما
 لفعل الفاعل الْمُخَاطَبِ ، نَحْوُ : فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا فِي قِرَاءَةِ يَعْقُوبِ . وقوله عليه

السلام: لتأخذوا مصافكم، والأكثر الإغناء عن هذا بفعل الأمر هـ. وهما لأم الطلب، فإن كان من الأعلى إلى الأدنى فأمر، وإن كان من الأدنى فذعاء، وإن كان من المتماثلين فالتماس كقولك لِمَنْ يُساويك لتستقم يا زيد. وتسكينها بَعْدَ الواو والفاء، أكثر من تحريكها. نحو: «فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي». وقد تسكن بَعْدَ ثم. نحو: «ثم ليَقْضُوا» في قراءة من سَكَنَ. قال في التسهيل: منها لأم الطَّلَبِ مكسورة، وفتحها لغة. وقد تسكَّنَ بَعْدَ الفاء والواو، ثم وتلزم في الثَّثِرِ، في فِعْلٍ غيرِ الفعل المخاطب به مطلقاً خلافاً لِمَنْ أجاز حذفها في نحو: قُلْ لَهُ لِيَفْعَلْ هـ. ومَنْ حذفها قول الشاعر:

مَحَمَّدٌ تَفْدِي نَفْسَكَ كُلَّ نَفْسٍ إِذَا مَا خَافَتْ مِنْ أَمْرٍ تَبَالَا

أي لتفدي. (ص) وَلَا فِي التَّهْيِ (ش): نحو: «لَا تَوَاخِذْنَا» والفرق بينهما ما تقدّم في الأمر والذعاء، فإنَّ التَّهْيِ طلب الكفِّ. فَإِنْ كَانَ مِنَ الْأَعْلَى فَتَهْيٌ. وَمِنْ الْأَدْنَى ذُعَاءٌ. ومن المساوي التماس. والطلب يشمل الجميع، ولذلك اقتصر في الألفية عليه فقال:

قَالَتْ بَنَاتُ الْعِلْمِ يَا سَلْمًا وَإِنْ كَأَنَّ فَقِيرًا مَعْدُومًا قَالَتْ وَإِنْ

أي وإن كان فقيراً معدوماً تتزوجهُ، ومنها جواز حذفها عند بعضهم، والجمهور منعه، ومنها أنه يجوز إيلاؤها الاسم على إضمار الفِعل، نحو: «وإنَّ أَحَدًا مِنَ الْمَشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ» أي، وإن استجارك أحد (ص) وَمَا (ش)، نحو: «وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ». «مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا»، وهي اسم موضع للدلالة على من لا يفعل ثم ضمن معنى الشرط (ص) ومن (ش) وهي اسمٌ وُضِعَ للدلالة على مَنْ يَفْعَلُ، ثم ضَمَّنَ مَعْنَى الشَّرْطِ، نحو: «وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ» (ص) وَمَهْمَا (ش)؛ وهي اسم موضع للدلالة على مَنْ لَا يَفْعَلُ، كما ثم ضمن معنى الشرط، نحو قوله تعالى: «مَهْمَا تَأْتَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا تَخُنْ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ» ومن آية حال من الضمير المجرور، ولتسحرنا منصوب بلام كني، وجُمْلَةٌ فَمَا تَخُنْ الخ جَوَابُ الشَّرْطِ. (ص) وَإِذْمَا (ش) عند سيبويه حرف موضوع للدلالة، على مجرّد تعليق الجواب على الشرط. وعند غيره اسم موضع للدلالة على الزَّمانِ، ثم ضَمَّنَ مَعْنَى الشَّرْطِ كقول الشاعر:

وَإِنَّكَ إِذْ مَا تَأْتِ مَا أَنْتِ أَمِيرٌ بِهِ تَلْقَى مِنْ إِثَاهِ تَأْمُرَاتِيَا

فتأت فعل الشرط: وتلق جوابه: جُزِماً بحذف الياء (ص) وأي (ش) وهو اسم مُتردّد بَيْنَمَا تَقَدَّمَ، وَمَا سِيَّاتِي، بِحَسَبِ مَا يُضَافُ إِلَيْهِ، فَهُوَ فِي قَوْلِكَ: أَيُّهُمْ يَاقُمُ أَقِمُ مَعَهُ: بِمَنْزِلَةِ مَنْ فِي قَوْلِكَ: أَيُّ دَوَابِّ تَرْكَبُ تَرْكَبُ أَرْكَبُ، بِمَنْزِلَةِ مَا. وَفِي قَوْلِكَ: أَيُّ يَوْمٍ تَصُومُ أَصُومُ بِمَنْزِلَةِ مَتَى. وَفِي قَوْلِكَ: أَيُّ مَكَانٍ تَجْلِسُ أَجْلِسُ فِيهِ، بِمَنْزِلَةِ أَيْنَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَيُّمَا مَا تَدْعُوا﴾ لَا بِمَعْنَى أَيُّ اسْمٍ تَدْعُوا. فَأَيُّاً مَفْعُولٌ بِتَدْعُوا. وَمَا صِلَةٌ، وَتَدْعُوا فِعْلُ الشَّرْطِ مَجْزُومٌ بِحَذْفِ التَّوْنِ. وَجُمْلَةٌ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فِي مَحَلِّ جَزْمِ جَوَابِ أَيُّ قَالَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَعْرَبِينَ، وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي أَنَّ الْجَوَابَ مَحذُوفٌ، دَلٌّ عَلَيْهِ جُمْلَةٌ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى. وَالتَّقْدِيرُ: أَيُّ اسْمٍ تَدْعُوا بِهِ فَهُوَ اسْمُهُ. فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْكَثِيرَةُ الْحُسْنَى، فَبأَيِّ اسْمٍ دَعَوْتُمُوهُ فَهُوَ اسْمُهُ. (ص) وَمَتَى وَأَيَّانَ (ش) وَهُمَا مَوْضُوعَانِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الزَّمَانِ، ثُمَّ ضُمَّنَا مَعْنَى الشَّرْطِ، فَمِثَالُ الْأَوَّلِ، قَوْلُ الشَّاعِرِ:

مَتَى تَأْتِيْنَا تَلْمَسُ بِنَافِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَطْباً جَزْلاً وَتَاراً تَأْجَجَا
ومثال الثاني قوله:

أَيَّانَ نُؤْمِنُكَ تَأْمَنُ غَيْرِنَا وَمَتَى لَمْ تُدْرِكِ الْأَمْنَ مِمَّا لَمْ تَزَلْ حَظْرَا
فمتى وأَيَّانَ منصوبان على الظرفية الزمانية، بمعنى أي وقت، والعامِلُ فِيهِمَا فِعْلُ الشَّرْطِ التَّالِي لهُمَا. فَهُمَا عَامِلَانِ مَعْمُولَانِ، وَالْجِهَاتُ مَنْفُكَةٌ. (ص) وَأَيْنَ (ش) كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾. وَهِيَ مَوْضُوعَةٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمَكَانِ، ثُمَّ ضُمَّنْتُ مَعْنَى الشَّرْطِ. (ص) وَأَيُّ (ش) هِيَ كَأَيِّنَ فِي الْمَعْنَى، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

خَلِيلِي أَنَّى تَأْتِيَانِي تَأْتِيْنَا أَخَا غَيْرِ مَا يَرْضِيكَمَا لَا يَحَاوِلُ
فتأتَيَانِي فِعْلُ الشَّرْطِ مَجْزُومٌ بِحَذْفِ النَّونِ، وَالنَّونُ الْبَاقِيَةُ: نونُ الْوَقَايَةِ، وَتَأْتِيْنَا جَوَابُهُ مَجْزُومٌ بِحَذْفِ التَّوْنِ. وَقَدْ تَكُونُ اسْتِفْهَامِيَّةً فَقَطْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ أَيُّ مِنْ أَيْنَ. وَتَكُونُ ظَرْفِيَّةً فَقَطْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَتُوا حَرَكَكُمْ أَنَّى سِئْتُمْ﴾ أَيُّ مِنْ أَيِّ مَكَانٍ سِئْتُمْ، مَعَ اتِّحَادِ الْمَحَلِّ. وَفِي أَيِّ وَقْتٍ سِئْتُمْ (ص) وَحَيْثُمَا: (ش) هِيَ ظَرْفٌ مَكَانٍ أَيْضاً، ضَمِنَ مَعْنَى الشَّرْطِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

حَيْثُمَا تَسْتَقِمُ يُقَدَّرُ لَكَ اللَّهُ نَجَاحاً فِي غَايِرِ الْأَزْمَانِ

أَيُّ أَيُّ مَكَانٍ تَسْتَقِمُ فِيهِ مَعَ زَيْدٍ، يُقَدَّرُ لَكَ نَجَاحاً وَفَلاحاً وَظَفرأ، بِكُلِّ مَا

تريد في الأزمانِ الباقية من عمرك؛ لأن استقامة الصُّعْرِ تَصُونُ عَوَاقِبَ الْكِبَرِ، وتقي أَرْدَلَ الْعُمُرِ، وَلَا تُجْزَمُ حَيْثُ إِلَّا إِذَا كَانَتْ مَعَهَا مَا. وَإِلَّا لَمْ تَجْزَم. وكذلك إِذْ مَا وَأَمَّا (ص) كَيْفَمَا (ش) فَلَا تَجْزَمُ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ. وقال الكُوفِيُّونَ: تَجْزَمُ قِيَاساً عَلَى حَيْثَمَا، وَوَأَفْقَهُمْ قَطْرَبُ كَالْمَوْلَفِ؛ وَهِيَ مَوْضُوعَةٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْحَالِ، ثُمَّ ضَمِنَتْ مَعْنَى الشَّرْطِ. وَلَا تَجْزَمُ إِلَّا فَعْلَيْنِ مُتَّفَقَيْنِ لَفْظاً وَمَعْنَى. نحو: كَيْفَمَا تَصْنَعُ أَصْنَعُ، وَكَيْفَمَا تَجْلِسُ أَجْلِسُ وَظَاهِرُهُ حَيْثُ نَطَقَ بِهَا، بِمَا أَنَّهَا لَا تَجْزَمُ إِلَّا مَقْرُونَةً بِهَا كَحَيْثَمَا؛ وَهِيَ رَأْيُ قَوْمٍ. وقال الكُوفِيُّونَ تَجْزَمُ بِهَا مُطْلَقاً. وقال البَصْرِيُّونَ لَا مُطْلَقاً. وَإِنَّمَا يَجَازِي بِهَا وَلَا تَجْزَمُ، وَيُوجَدُ فِي بَعْضِ النُّسخِ بَعْدَ الثَّمَانِيَةِ عَشْرَ (ص) وَإِذَا فِي الشَّعْرِ: (ش) قَالَ الزَّجَاجِيُّ فِي الْجَمَلِ: وَلَا يَجْزَمُ بِإِذَا إِلَّا فِي الشَّعْرِ:

وَأَنْشُدُ:

إِذَا قَصَرْتَ أَشْيَافَنَا كَانَتْ وَصَلْنَا خُطَاباً إِلَى أَعْدَائِنَا فَنَضَارِبُ
قال بعض شراحه: وَإِنَّمَا لَمْ يَجْزَمُ بِهَا؛ لِأَنَّ حَقَّ مَا يَجْزَمُ بِهِ، أَلَا يَدْرِي
أَيُّ كَوْنٍ أَمْ لَا. وَمَا بَعْدُ إِذَا مَعْلُومٌ؛ كَوْنُهُ، كَقَوْلِكَ: إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَأَتَيْتَنِي. وَلَوْ
قُلْتَ: إِنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ لَمْ يُحْسَنَ. وَمِنْ أَعْمَالِهَا أَيْضاً قَوْلُ الشَّاعِرِ:

اسْتَعْنِ مَا أَغْنَاكَ رَبُّكَ بِالْغِنَا وَإِذَا تُصِيبُكَ خُصَاصَةٌ فَتَجْمَلِي
أَيُّ اسْتَعْنِ بِاللَّهِ عَمَّنْ سِوَاهُ. وَلَا تَفْتَقِرْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا تَطْمَعْ فِي أَحَدٍ
سِوَى خَالِقِكَ. مَدَّةٌ مَا أَغْنَاكَ اللَّهُ بِغِنَاهُ الْحَسْبِيِّ أَوْ الْمَعْنَوِيِّ. وَإِذَا تُصِيبُكَ حَاجَةٌ وَفَاقَةٌ
فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا؛ وَهُوَ الَّذِي لَا شَكْوَى مَعَهُ لِأَحَدٍ.

تَنْبِيهَاتٌ: الْأُولَى: هَذِهِ الْأَدْوَاتُ مِنْهَا مَا هُوَ حَرْفٌ بِاتِّفَاقٍ، وَمِنْهَا مَا هُوَ
مُخْتَلَفٌ فِيهِ كَمَا تَقَدَّمَ. وَمِنْهَا مَا هُوَ اسْمٌ غَيْرُ ظَرْفٍ. وَمِنْهَا مَا هُوَ اسْمٌ غَيْرُ ظَرْفٍ.
وَمِنْهَا مَا هُوَ ظَرْفٌ مَكَانٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ ظَرْفٌ زَمَانٌ، وَقَدْ نَظَّمْتُ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ:

سَائِلًا عَنِ أَدْوَاتِ الشُّرْطِ فَاصْغِ لِمَا ذَكَرْتَ وَأَفْهَمْ بَسْطِ
إِنْ بِاتِّفَاقٍ حَرْفٌ إِذْ مَا لِلْإِمَامِ وَعِنْدَ غَيْرِهِ لِلْأَسْمَاءِ تُضَمُّ
مَهْمَا وَمَا وَمَنْ وَكَيْفَمَا اجْعَلَا أَسَاسِيًّا غَيْرَ مَظْرُوفٍ مُسْتَجَلَا
وَحَيْثَمَا أُنَى وَأَيْنَ لِلْمَكَانِ مَتَى وَأَيَّانَ وَإِذْ مَا لِلزَّمَانِ
إِذَا بِشِعْرِهِمْ لَوْ قَتَّ تَنْسَبُ أَيُّ لِمَا أَضْفَتُ حَقًّا تُخَسَّبُ

الثاني: هذه الأدوات، بالنسبة إلى لحوق ما بها على ثلاثة أقسام قسم لا يجوز لحوقها بها وهي: مَنْ، وَمَا، وَمَهْمَا، وقسم يكون لحوقها بها شرطاً في عَمَلِهَا، وهي إِذْ وَحَيْثُ، وقسم يجوز لحوقها بها وعدمه، وَهُوَ إِنْ وَمَتَى وَأَيْنَ وَأَيُّ وَأَيَّانَ .

وأما كَيْفَمَا فَمِنْ الْقِسْمِ الثَّانِي عِنْدَ قَوْمٍ؛ وَهُوَ ظَاهِرُ كَلَامِ الْمُصَنَّفِ، وَمِنَ الْقِسْمِ الثَّالِثِ فِي رَأْيِ الْكُوفِيِّينَ وَقَطْرِبَ. وَأَمَّا إِذَا، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مِنَ الْقِسْمِ الثَّالِثِ هـ. قَالَهُ السُّودَانِيُّ. الثَّالِثُ: فَعَلَ الشَّرْطَ وَالْجَوَابَ، قَدْ يَكُونَانِ مَاضِيَيْنِ أَوْ مُضَارِعَيْنِ، أَوْ مُتَخَالِفَيْنِ. فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ مَاضِيًا وَالثَّانِي مُضَارِعًا جَازَ رَفَعُ الْمُضَارِعِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وإِنْ أَتَاهُ الْخَلِيلُ يَوْمًا مَسْأَلَةً يَقُولُ لَا غَائِبَ مَالِي وَلَا حَرَمَ
 وَجَازَمَ الشَّرْطَ الْأَدْوَاتِ عَلَى الْمَشْهُورِ. وَأَمَّا الْجَوَابُ، فَقَالَ مُحَقِّقُو
 الْبَصْرِيِّينَ: الْأَدْوَاتُ. وَالْأَخْفَشُ: الشَّرْطُ، وَسَبِيوِيهِ وَالْخَلِيلُ هُمَا مَعًا. وَالْكُوفِيُّونَ
 الْجَوَازُ. وَنَقَلَ ابْنُ جَنِيٍّ عَنِ الْأَخْفَشِ أَيْضًا أَنَّهُمَا تَجَازَا مَا قَالَ فِي التَّسْهِيلِ: وَجَزَمَ
 الْجِزَاءَ بِفَعْلِ الشَّرْطِ لَا بِالْأَدَاةِ وَحَدَّهَا وَلَا بِهِمَا. وَلَا عَلَى الْجَوَازِ، خِلَافًا لِلزَّاعِمِي
 ذَلِكَ. الرَّابِعُ: إِذَا لَمْ يَصِحَّ الْأَدَاةُ لِمَبَاشَرَةِ الشَّرْطِ، قُرِنَ بِالْفَاءِ، أَوْ بِإِذَا الْفَجَائِيَّةِ؛ إِنْ
 كَانَتِ الْجُمْلَةُ اسْمِيَّةً، وَعَدِمَ صِلَاحِيَّةُ ذَلِكَ فِي سِتِّ مَسَائِلَ: الْأُولَى: أَنْ تَكُونَ
 الْجُمْلَةُ اسْمِيَّةً، نَحْوُ: أَيِ يَقُمُ زَيْدٌ فَعَمْرُوٌّ قَائِمٌ وَنَحْوِهِ، وَإِنْ تَجَدَّدَ إِذَا لَنَا مِكَافَاةً.
 وَمِنهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يِمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾. الثَّانِيَّةُ: أَنْ
 تَكُونَ فِعْلِيَّةً فِعْلُهَا جَامِدٌ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَىٰ
 رَبِّي﴾ الخ. الثَّالِثَةُ: أَنْ يَكُونَ فِعْلُهَا إِنْشَائِيَّةً، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
 فَاتَّبِعُونِي﴾. الرَّابِعَةُ: أَنْ يَكُونَ فِعْلُهَا مَاضِيًا لَفْظًا أَوْ مَعْنَى. إِمَّا حَقِيقَةً نَحْوُ: «إِنْ يَسْرِقُ
 فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلٍ». وَإِمَّا مُجَازًا، نَحْوُ: «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ
 فِي النَّارِ». هَذَا الْفِعْلُ لِتَحَقُّقِ وَقُوعِهِ مَنزِلَةً مَا وَقَعَ، وَإِنَّمَا لَمْ يَصِحَّ مَبَاشَرَةُ هَذَا
 الْفِعْلِ لِلأَدَاةِ، لِأَنَّهَا تَخْلُصُ لِلِاسْتِقْبَالِ، وَالغَرَضُ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ، هُوَ بَقَاؤُهُ عَلَى
 مَضِيهِ، فَلَا يَصِلِحُ لِمَبَاشَرَةِ. الْخَامِسَةُ: أَنْ تُقَرَّنَ بِحَرْفِ اسْتِقْبَالِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ
 يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ
 يُكْفَرُوا﴾. السَّادِسَةُ: أَنْ تُقَرَّنَ بِحَرْفٍ لَهُ الصُّدْرُ نَحْوُ: إِنْ تَأْتِيَنِي فَمَا تَرَىٰ مِنِّي إِلَّا
 الْخَيْرَ الْجَزِيلَ. وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذَا كُلِّهِ فِي الْأَلْفِيَّةِ بِقَوْلِهِ:

وَأَقْرَبُ بِهَا حَثْمًا جَوَابًا لَوْ جُعِلَ شَرْطًا لِأَنَّ أَوْ غَيْرَهَا لَمْ يَنْجَعِلْ
وَتَخَلَّفُ الْفَاءُ إِذَا الْمُفَاجَأَةُ كَمَا تَسْجُدُ إِذَا لَنَا مَكْأَفَاةُ

الخامس: يجوز حذف الشرط إن كانت الأداة إن مقرونة.

كقول الشاعر:

فَطَلَّقْتُهَا فَلَسْتُ لَهَا بِكُفٍ وَإِلَّا يَغْلُ يَفْرُقُكَ الْحُسَامُ

أي وإلا تطلقها، وهو كثير. ويجوز حذف الجواب إذا علم. كقوله تعالى: ﴿إِنِ اسْتَمْتَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية. أي فافعل، ويجب حذفه إن دل عليه ما تقدم، نحو: أنت صالح إن فعلت. وقد يحذفان معاً، إن دل عليهما دليل كما تقدم في قول الشاعر:

وإن كان فقيراً معدوماً قالت. وإن، وبالله التوفيق.

الإشارة: والنواصب التي تنتصب للعبد، وتمنعه من الوصول إلى ربه، عشرة حب الدنيا، والجاه والمال، وهم الرزق، وخوف الفقر، ومراقبة الخلق وسوء الظن بأهله النسبة، وإنكار، وجود أهل الخصوصية. وإنكار أهل التربية، والشفقة على النفس، حتى لا يقدر على مخالفتها، ورذها عن هواها.

والجوازم التي تجزمه، وتحرمه من الخصوصية ثمانية عشر: الكبر، والحسد، وحب العلو، والعجب، والرياء، وعدم الخضوع للأولياء، والانتقاد عليهم، والطمع على الفقراء، والطمع في الخلق، والخوف منهم، والميل إلى أهل الظلم والركون إليهم. والوقوف مع المقامات والكرامات، وحلاوة الطاعات. والاستغراق في علم الرسوم والتجمد مع ظاهر الشريعة، والتعرف للعلويات، والظهور قبل التمكين. وبالله التوفيق.

ولما فرغ من الأفعال، شرع في الأسماء؛ وقسمها إلى ثلاثة أقسام: مرفوعات، ومنصوبات، ومخفوضات، وبها ختم، وبدأ بالمرفوعات فقال:

بَابُ مَرْفُوعَاتِ الْأَسْمَاءِ: أي هذا بابٌ أذكر فيه المرفوعات من الأسماء، فالإضافة على معنى من. وإنما جاز جمع المرفوعات والمنصوبات والمخفوضات بالألف والناء، مع أن معناها مذكر، لأنها صفة للفظ، وما لا يغفل، يجوز فيه الأمران، كقوله تعالى: ﴿الْعَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ﴾. وبدأ بالمرفوعات لأنها عند، لا يخلو منها كلام، فإن قلت: قد يكون عمدة وهو منصوب، كاسم إن، وخبر كان،

ومفعولي ظَنٌّ. والفاعل المجرور بالباء، قلت: أضل هذه الأشياء كلها عند مرفوعة، وتَضْبُهَا عارضٌ. وكذلك جرُّ الفاعل بالباء الزائدة، كقوله تعالى: ﴿وَكُنِّي بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾، أضله: كَفَى اللّهُ شَهِيدًا، كما قال الشاعر:

كَفَى الشَّيْبِ وَالإِسْلَامَ لِلْمَرْءِ نَاهِيًا. قال ابن عُقَيْل: حقيقة العُمْدَة: ما عُدِم الاستغناء عنه. أصيلاً لا عارضاً كالمبتدأ هـ. والفضلة: ما جاز الاستغناء عنه، أصيلاً لا عارضاً. وعروض امتناع الاستغناء عن الفضلة، لا يُخرجها عن كونها فضلة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ ثم عَدَّهَا فقال: (ص) المرفوعات سبعة وهي الفاعل والمفعول الذي لَمْ يَتَمَّ فاعله. (ش) ويقال فيه الثائب عن الفاعل، وسيأتي. (ص) والمبتدأ وخبره (ش) نحو: اللّهُ رَبُّنَا. ومحمّد نبينا. (ص) واسم كان وأخواتها (ش) نحو: «كَانَ اللّهُ غَفُورًا رَحِيمًا». (ص) وخبر إن وأخواتها (ش) نحو: «إِنَّ اللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ». (ص) والتابع للمرفوع (ش) قدّم الفاعل؛ لأنه أضل المرفوعات، ثم نائبه؛ لأنه مبتدأ وخبره، لأنه فاعل معنى. لكون الخبر مسنداً، والمبتدأ مسنداً إليه، فقولك زيد قائم، بمنزلة قام زيد. ثم اسم كان وأخواتها؛ لأنه مبتدأ في الأصل، ثم خبر إن وأخواتها؛ لأنه خبر في الأصل، ثم التابع؛ لأنه مؤخر عن المتبوع، وبينه فقال (ص) وهو أربعة أشياء: الثغث والعطف والتوكيد والبدل. (ش) ودليلك الخضر، أن الأول إمّا إن يكون مقصوداً بالحكم أم لا. الثاني البدل والأول إمّا أن يتخلل بينه وبين متبوعه شيء أو لا. الأول العطف، والثاني إمّا أن يدل على أمر في المتبوع، وإمّا أن يقرر أمره في النسبة والشمول. الأوّل الثغث، والثاني التوكيد. والله تعالى أعلم.

الإشارة: الأسماء المرفوعة؛ هي أسماء الحق تعالى؛ وهي كثيرة. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْمُسَمَّيَاتُ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ والذي ورد بها التوقيف تسعة وتسعون، والذي ظهر منها في الوجود، وقام بها عالم التكوين سبعة؛ وهي التي نشأت عن صفات المعاني؛ التي هي: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، فيقال: قادر ومريد وعالم وحى وسميع وبصير ومتكلم. فظهور الأثر؛ وهي: تجليات الحق، يدل على وجود الأسماء؛ والأسماء تدل على وجود الصفات والصفات تدل على وجود الذات في تلك التجليات؛ لأن الصفة لا تفارق الموضوع؛ فظهور هذا العالم، يدل على وجود القادر؛ الذي أظهره بقدرته. والقادر يدل على قيام القدرة به. والقدرة تدل على وجود الذات في تلك التجليات؛

لأنَّ الصِّفَةَ لَا تُفَارِقُ الْمَوْصُوفَ فَمَهْمَا ظَهَرَتِ الصِّفَاتُ ظَهَرَتِ الذَّاتُ. ومهما
 ظهرت الذَّاتُ، ظهرت الصفات وهذا مَعْنَى من قال: الذَّاتُ عَيْنُ الصِّفَاتِ أَي
 مُتَلَازِمَانِ فِي الظُّهُورِ وَالتَّجَلِّيِّ. وفي الْحِكْمِ: دَلَّ بِوَجُودِ آثَارِهِ، عَلَى وَجُودِ أَسْمَائِهِ.
 وبوجودِ أَسْمَائِهِ، عَلَى وَجُودِ صِفَاتِهِ، وبوجودِ صِفَاتِهِ عَلَى وَجُودِ ذَاتِهِ. فَالسَّالِكُ
 يُكْشِفُ لَهُ أَوَّلًا عَنِ وَجُودِ أَسْمَائِهِ ثُمَّ يَرْتَقِي إِلَى شُهُودِ صِفَاتِهِ ثُمَّ يَكْشِفُ لَهُ عَنِ
 كَمَالِ ذَاتِهِ، وَالمَجْدُوبُ بِالعَكْسِ الخ. فَالْفَاعِلُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ اللّهُ، وَالثَّابِتُ عَنْهُ
 خَلِيفَتُهُ؛ وَهُوَ الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وَهُوَ آدَمُ
 وَذَرِيَّتُهُ الْكُمَّالُ. وَالمَبْتَدَأُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ اللّهُ. وَالخَبَرُ هُوَ الَّذِي تَجَلَّى بِهِ مِنَ
 الْأَثَرِ؛ لِأَنَّهُ يَخْبِرُ عَنِ الذَّاتِ وَكَمَالَاتِهَا. وَاسْمُ كَأَنَّ؛ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ فَاعِلُ
 الْكُونِ؛ الَّذِي هُوَ مُصَدِّرٌ لَهَا؛ وَهُوَ أَيْضًا خَبَرٌ إِنَّ؛ لِأَنَّهُ بِهِ تَأَكَّدَتِ النِّسْبُ، وَعَزَمَ
 عَلَيْهَا. وَالتَّابِعُ لِلْمَرْفُوعِ؛ هُوَ الْوَلِيُّ الْكَامِلُ؛ لِأَنَّهُ تَابِعٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الَّذِينَ هُمَا أَضَلُّ
 كُلِّ رَفْعَةٍ وَشَرَفٍ وَعِزٍّ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

ثم بدأ بالفاعل فقال: بَابُ الْفَاعِلِ:

الفاعل لغة: مَنْ صَدَرَ مِنْهُ فِعْلٌ، وَاصْطِلَاحًا مَا عَرَّفَهُ المَصْنِفُ بِقَوْلِهِ. (ص)
 هُوَ الْاسْمُ (ش) أَي الصَّرِيحُ، نَحْوُ: «وَقَالَ اللّهُ». أَوْ المَوْوَلُ نَحْوُ: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ
 ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّهِ». فَأَنْ تَخْشَعَ فَاعِلٌ؛ لِأَنَّهُ مَوْوَلٌ بِخُشُوعٍ. أَي أَلَمْ
 يَحْضُرُ لِلَّذِينَ آمَنُوا خُشُوعُ قُلُوبِهِمْ لِذِكْرِ اللَّهِ (ص) المَرْفُوعُ (ش): إِمَّا لِفِظًا إِذَا خَلَا
 مِنَ الْبَاءِ، أَوْ مِنَ الزَّائِدَتَيْنِ، أَوْ حُكْمًا. إِذَا جَرَّ بِهِمَا، أَوْ بِإِضَافَةِ المَصْدَرِ. (ص)
 المَذْكُورُ قَبْلَهُ فِعْلُهُ (ش) المُسْتَدُّ إِلَيْهِ. إِمَّا لِكُونِهِ صَدْرًا مِنْهُ كَقَامٍ وَضَرْبٍ، أَوْ اتَّصَفَ
 بِهِ، كَعَلِمَ وَمَاتَ. وَاعْتَرَضَ عَلَى المَصْنِفِ إِذْخَالَهُ الرِّفْعَ وَتَقَدَّمَ الفِعْلُ فِي حَدِّ
 الْفَاعِلِ، مَعَ أَنَّهُمَا حَكَمَ مِنْ أَحْكَامِهِ. وَقَدْ قَالَ فِي السُّلْمِ:

وَعِنْدَهُمْ مِنْ جُمْلَةِ المَزْدُودِ أَنْ تَدْخُلَ الْأَحْكَامُ فِي الْحُدُودِ

والحدّ السَّالِمُ: أَنْ يُقَالَ: هُوَ اسْمٌ أَوْ مَا فِي تَأْوِيلِهِ، أُسْنَدٌ إِلَيْهِ فِعْلٌ، أَوْ مَا فِي
 تَأْوِيلِهِ، أَضْلَى المَحَلِّ، وَالصَّيْغَةُ كَمَا فِي المَوْضُحِ، وَقَوْلُهُ: أُسْنَدٌ إِلَيْهِ فِعْلٌ أَوْ مَا فِي
 تَأْوِيلِهِ، يَشْمَلُ الفِعْلَ الجَامِدَ: كَنِعْمَ وَيَسَّرَ وَلَيْسَ وَعَسَى. وَالمُتَّصِرُ؛ كَضَرَبَ
 وَنَحْوَهُ، وَالَّذِي فِي تَأْوِيلِ الفِعْلِ، اسْمُ الْفَاعِلِ، نَحْوُ: «مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ». وَمُنِيرٌ
 وَجْهُهُ. وَالصِّفَةُ المَشْبَهَةُ، نَحْوُ: الحَسَنُ وَجْهُهُ. وَالمَصْدَرُ، نَحْوُ: «وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ
 حِجَابٌ مِّنَ البَيِّنَاتِ مَنِ اسْتَطَاعَ» عَلَى قَوْلِ. وَاسْمُ الفِعْلِ نَحْوُ: هِنَهَاتِ العَقِيقِ. وَالظَّرْفُ

وَسِبْهُهُ . نَحْوُ أَعْنَدُكَ زَيْدٌ . «أَفِي اللَّهِ شَكٌّ» . وَقَوْلُهُ : أَصْلِي الْمَحَلُّ ، خَرَجَ نَحْوُ : قَائِمٌ زَيْدٌ ، فَرَزِيدٌ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ لِأَفَاعِلٍ . لِأَنَّ قَائِمًا أَصْلُهُ التَّأخِيرُ . وَاعْتَرَضَ هَذَا الْقَيْدُ ، بِأَنَّهُ غَيْرٌ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِيهَا فِي تَأْوِيلِ الْفِعْلِ ، عَلَى مَذْهَبِ الْبَصْرِيِّينَ ؛ لِأَنَّهُ عِنْدَهُمْ لَا يَلْحَقُ بِالْفِعْلِ إِلَّا بَعْدَ الشَّرْطِ وَهُوَ الْإِعْتِمَادُ . وَأَمَّا عَلَى مَذْهَبِ الْكُوفِيِّينَ ، فَالْمِرَادُ دُخُولُهُ ، وَخَرَجَ بِقَوْلِهِ : أَصْلِي الصِّيغَةُ . نَحْوُ : ضَرَبَ زَيْدٌ ، مُبْنِي لِلْمَفْعُولِ ، فَإِنْ صِيغَتُهُ مَفْرَعَةٌ عَنِ ضَرْبِ الْمُبْنِيِّ لِلْفَاعِلِ . وَقَوْلُ الْمَصْنُفِ : الْمَذْكُورُ قَبْلَهُ فَعَلَّهُ ، فَإِنْ ظَهَرَ مَا صَوَّرَتْهُ فَاعِلٌ مُقَدَّمٌ جُعِلَ مُبْتَدَأً . وَالْفَاعِلُ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَيْهِ ، نَحْوُ زَيْدٌ قَامٌ . وَقَدْ يُذَكَّرُ الْفِعْلُ وَلَا يَظْهَرُ فَاعِلٌ لَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ ، فَيَجِبُ أَنْ يُجْعَلَ ضَمِيرًا مُسْتَتْرَأً ، يَعُودُ إِذَا عَلَى اسْمِ فَاعِلٍ مَأْخُوذٍ مِنَ الْفِعْلِ نَفْسِهِ . كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «لَا يَزِينِي الرَّأْيِي حِينَ يَزِينِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» . فَفَاعِلٌ يَشْرَبُ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الشَّارِبِ ، الْمَفْهُومُ مِنْ يَشْرِبُ ، وَإِذَا عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ . أَي الرُّوحَ الْمَفْهُومَةَ مِنَ السِّيَاقِ .

تَنْبِيهَاتُ : الْأَوَّلُ : إِنَّمَا رُفِعَ الْفَاعِلُ ، وَنَصَبَ الْمَفْعُولُ لِلْفَرْقِ بَيْنَهُمَا . وَنَاسِبُ الرَّفْعِ لِلْفَاعِلِ ، لِرَفْعَةِ قُدْرَةٍ فِي الْمَعْنَى ؛ لِأَنَّهُ فَاعِلٌ . وَنَاسِبُ النَّصْبِ لِلْمَفْعُولِ ؛ لِأَنَّهُ مَنْصُوبٌ ، لَوْقُوعِ الْفِعْلِ الصَّادِرِ مِنَ الْفَاعِلِ عَلَيْهِ ، كَالْغَرَضِ الْمَنْصُوبَةِ لِلرَّمْيِ وَالْغَرَضِ فِي اللُّغَةِ هُوَ الْمَسْمُومُ الْيَوْمَ بِالْبَشَارَةِ . **الثَّانِي :** رَافِعُ الْفِعْلِ مَا اسْتَنْدَ إِلَيْهِ مِنَ الْفِعْلِ ، وَشَبَّهَهُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ . وَقِيلَ الْإِسْنَادُ ، وَقِيلَ كَوْنُهُ فَاعِلًا فِي الْمَعْنَى ، **الثَّلَاث :** يُفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ : الْمَذْكُورُ قَبْلَهُ فَعَلَهُ ؛ أَنَّ الْفَاعِلَ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَى فِعْلِهِ ؛ وَهُوَ مَذْهَبُ الْبَصْرِيِّينَ . وَأَجَازَ الْكُوفِيُّونَ تَقْدِمَهُ ، مُسْتَدْلِينَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

مَالِ الْجَمَالِ مَشِيهًا وَثِيْدًا أَجْنَدًا يَحْمَلُنْ أُمَّ حَدِيدًا

فَتَأَوَّلَهُ الْبَصْرِيُّونَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ . وَحَذَفَ الْخَبَرَ ، أَي مَشِيهًا يَظْهَرُ وَثِيْدًا . **الرَّابِع :** قَيَّدَ بَعْضُهُمْ فِعْلَ الْفَاعِلِ ، بِكَوْنِهِ تَامًا قَضْدًا ؛ لِإِخْرَاجِ اسْمِ كَانَ ، بِنَاءٍ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فَاعِلًا . وَمَذْهَبُ سِيبَوِيهِ أَنَّهُ فَاعِلٌ ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ لَا يُسَمَّى فَاعِلًا ، وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْقَيْدَ فِي التَّسْهِيلِ ، فَقَالَ : الْفَاعِلُ : هُوَ الْاسْمُ الْمَسْنَدُ إِلَيْهِ فِعْلٌ أَوْ ضَمْنٌ مَعْنَاهُ تَامَ الْخَبَرُ ، قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ ، سَمِيَ سِيبَوِيهِ اسْمَ كَانَ فَاعِلًا عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ وَالتَّوَسُّعِ . ثُمَّ قَالَ : (ص) وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ : ظَاهِرٌ وَمُضْمَرٌ . (ش) : أَيُّ مِنْهُ ظَاهِرٌ ، وَمِنْهُ مُضْمَرٌ . (ص) فَالظَّاهِرُ نَحْوُ قَوْلِكَ ، قَامَ زَيْدٌ وَيَقُومُ زَيْدٌ . (ش) فَحَقِيقَةُ الظَّاهِرِ : مَا

دَلَّ بلفظه وحروفه على معناه، فيدخل فيه النكرات والأغلام، وأسماء الإشارات، والموصولات، إلا أن الإشارات والموصولات، يُقال فيهما المُبهمات، ولَا فَرْقُ فِي الْفَاعِلِ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُفْرَدًا كَمَا ذَكَرَ، أَوْ تَثْنِيَةً أَوْ جَمْعًا، أَوْ وَاحِدًا مِنَ الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ. وَلَا فَرْقُ أَيْضًا بَيْنَ كَوْنِ الْفِعْلِ مَاضِيًا أَوْ مُضَارِعًا، وَلِذَلِكَ نَوَّعَ الْأَمْثَلَةَ فَقَالَ: (ص) وَقَامَ الزُّيْدَانِ. وَيَقُومُ الزُّيْدَانِ. وَقَامَ أَخُوكَ وَيَقُومُ أَخُوكَ (ش) وَقَدْ يَكُونُ جَمْعٌ تَكْسِيرٌ، كَقَامَ الرَّجَالِ، وَقَامَتِ الْهِنُودُ، أَوْ اسْمٌ جَمْعٌ، نَحْوُ: «كَذَّبَ بِهِ قَوْمَكَ». أَوْ اسْمٌ جِنْسٌ نَحْوُ: أَوْرُقُ الشَّجَرِ. وَسَقَطَتِ النَّخْلُ اللَّبْنِ. وَيَجِبُ تَجْرِيدُ الْفِعْلِ مِنْ عِلْمَةِ التَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ قَالَ فِي الْأَلْفِيَّةِ:

وَجَرِّدِ الْفِعْلَ إِذَا مَا أَسْنَدًا لائِثِينَ أَوْ جَمْعٍ كَفَارَ الشَّهْدَا

قال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾. وقال الظالمون. وقد تلحقه علامة التثنية والجمع، فيقال: سعدا الزيدان، وسعدا والزيدون. وقالوا: أكلوه البراغيث، وهي لغة أزد شنوءة، يلحقون علامة التثنية والجمع للفعل، مع إسناده للظاهر، فهي عندهم حروف علامات المثني والجمع لا ضمائر. وما بعدها مبتدأ أو بدل، خلافاً لِمَنْ زَعَمَ ذَلِكَ. ويجب إلحاق تاء التانيث للفعل الماضي والمضارع، إذا كان الفاعل مؤنثاً حقيقي التانيث؛ وهو ماله فَرْجٌ نَحْوُ: قَامَتِ هِنْدٌ، وَتَقُومُ هِنْدٌ، وَقَامَتِ الْهِنْدَانِ، وَتَقُومُ الْهِنْدَانِ. وَقَامَتِ الْهِنْدَاتِ، وَتَقُومُ الْهِنْدَاتِ. فَإِنْ كَانَ مَجَازِي التَّانِيثِ، جَازَ الْأَمْرَانِ تَقُولُ: طَلَعَتِ الشَّمْسُ. وَطَلَعَ الشَّمْسُ. وَسَقَطَتِ اللَّبْنَةُ، وَسَقَطَتِ اللَّبْنَةُ. إِلَّا إِنْ كَانَ الْفَاعِلُ ضَمِيرًا مُسْتَتِرًا مُتَّصِلًا، فَيَجِبُ التَّانِيثُ مَطْلَقًا، نَحْوَ الشَّمْسِ طَلَعَتْ، أَوْ الشَّمْسِ تَطَلَّعُ. وَنَحْوُ هَذَا فِي التَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ، وَأَمَّا الْجَمْعُ. كُلُّهَا سِوَى جَمْعِ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ فَيَجُوزُ فِيهَا تَذْكَيرُ الْفِعْلِ، وَتَأْنِيثُهُ. تَقُولُ: قَامَ الرَّجَالِ وَقَامَتِ الرَّجَالِ، وَقَامَ الْهِنُودُ، وَقَامَتِ الْهِنُودُ. «وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمَكَ». «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمَ نُوحٍ». وَأَوْرُقُ الشَّجَرِ. وَأَوْرَقَتِ الشَّجَرِ. وَكَذَلِكَ الْمَضَارِعُ. فَتَحْصُلُ، أَنَّ جَمْعَ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ، يَجِبُ تَذْكَيرُهُ مِنَ التَّاءِ. وَجَمْعُ الْوُنْثِ السَّالِمِ يَجِبُ تَأْنِيثُهُ، وَالْبَاقِي؛ وَهُوَ جَمْعُ التَّكْسِيرِ. وَاسْمُ الْجَمْعِ، وَاسْمُ الْجِنْسِ يَجُوزُ فِيهِ الْأَمْرَانِ. فَإِنَّ أَنْثَتِ الْفِعْلُ مَعَ أَخْذِ هَذِهِ الْجَمْعِ، ثُمَّ أَعْدَتِ ضَمِيرًا عَلَى ذَلِكَ الْجَمْعِ، وَجِبَ تَأْنِيثُهُ. ثُمَّ قَامَتِ الرَّجَالُ لِإِخْوَتِهَا. وَإِنْ ذَكَرْتَ ثُمَّ أَعْدَتِ ضَمِيرًا عَلَيْهِ، وَجِبَ تَذْكَيرُهُ، تَقُولُ: قَامَ الرَّجَالُ لِإِخْوَتِهِمْ. يَجُوزُ تَرْكُ التَّاءِ فِيمَا يَجِبُ فِيهِ، مَعَ الْفِعْلِ بِالْمَفْعُولِ وَنَحْوِهِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ إِلَّا مَعَ الْفَضْلِ

بإلّا. فَإِنَّ تَرَكَ التَّاءَ حِينَئِذٍ هُوَ الْمَخْتَارُ. نَحْوُ: مَا قَامَ إِلَّا هِنْدُ؛ لِأَنَّ الْإِسْتَادَ حِينَئِذٍ فِي الْمَعْنَى إِلَى اسْمِ مَذْكَرٍ. وَهُوَ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ. لِأَنَّ التَّقْدِيرَ: مَا قَامَ أَحَدٌ إِلَّا هِنْدُ. وَمَنْ أَثَبَتَ التَّاءَ رَأَى أَنَّ مَا بَعْدَ إِلَّا فَاعِلًا فِي الظَّاهِرِ. وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

مَا بَرَرْتُ مِنْ رَيْبَةٍ وَدَمٌّ فِي جِزِينَا إِلَّا بَنَاتِ الْعَمِّ
 تَنْبِيهَانِ: الْأَوَّلُ، إِذَا أَخْبَرَ بِمَضَارِعٍ عَنْ ضَمِيرٍ غَيْبَةٍ لِمَوْثِقٍ، نَحْوُ: الْهِنْدَانِ هُمَا يَفْعَلَانِ. جَازَ فِي الْمَضَارِعِ التَّانِيثُ، حَمَلًا عَلَى الْمَعْنَى. وَرَجَّحَهُ أَبُو حَيَّانَ، وَالتَّذْكِيرُ حَمَلًا عَلَى اللَّفْظِ، وَهُوَ الظَّاهِرُ الثَّانِي: هَذَا التَّعْرِيفُ بَيْنَ حَقِيقَةِ التَّانِيثِ وَمَجَازِهِ فِي لُزُومِ التَّاءِ فِي الْحَقِيقِيِّ وَجَوَازِهَا فِي الْمَجَازِيِّ. إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ الْفِعْلِ، وَالصِّفَةِ الْجَارِيَةِ مَجْرَاهُ، وَأَمَّا فِي غَيْرِ هَذَا الْبَابِ مِنَ الْأَبْوَابِ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْحَقِيقِيِّ وَغَيْرِهِ، بَلْ يَجْرِي كُلُّهُ عَلَى سَبِيلِ التَّانِيثِ فِي الْإِضْمَارِ. وَالْإِشَارَةُ إِلَيْهِ. وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ. قَالَ السُّودَانِيُّ عَنِ الرَّاعِي، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَضْمَرَ فَقَالَ (ص) وَالْمَضْمَرُ، نَحْوُ قَوْلِكَ، ضَرَبْتُ (ش) بِضَمِّ التَّاءِ، لِلْمَتَكَلِّمِ الْوَاحِدِ، مَذْكَرًا أَوْ مُؤنَّثًا. (ص) وَضَرَبْنَا (ش) لِلْمَتَكَلِّمِ الْمَعْظَمِ نَفْسَهُ، أَوْ مَعَهُ غَيْرُهُ. (ص) وَضَرَبْتُ (ش) يَفْتَحُ التَّاءَ، لِلْمَذْكَرِ الْمُخَاطَبِ. (ص) وَضَرَبْتُ (ش) يَكْسِرُ التَّاءَ لِلْمُخَاطَبَةِ الْمُؤنَّثَةِ. (ص) وَضَرَبْتُمَا (ش) لِلْمُخَاطَبَيْنِ. مُذْكَرَيْنِ أَوْ مُؤنَّثَيْنِ. (ص) وَضَرَبْتُمْ (ش) لِلْمُخَاطَبَيْنِ الْمَذْكَرَيْنِ، (ص) وَضَرَبْتُنَّ (ش) لِلْمُخَاطَبَاتِ الْمُؤنَّثَاتِ. (ص) وَضَرَبَ (ش) لِلْغَائِبِ الْمَذْكَرِ الْوَاحِدِ (ص). وَضَرَبْتُ (ش) لِلْغَائِبَةِ الْوَاحِدَةِ. (ص) وَضَرَبَا (ش) لِلْغَائِبِ الْمَذْكَرِ الْوَاحِدِ (ص). وَضَرَبْتُ (ش) لِلْغَائِبَةِ الْوَاحِدَةِ. (ص) وَضَرَبَا (ش) لِلْغَائِبَيْنِ الْمَذْكَرَيْنِ، وَمِثْلُهُ ضَرَبْتَنَا. لِلْغَائِبَتَيْنِ الْمُؤنَّثَتَيْنِ. وَبَقِيَ عَلَى الْمُؤَلِّفِ (ص) وَضَرَبُوا (ش) لِلْغَائِبَيْنِ الْمَذْكَرَيْنِ. (ص) وَضَرَبْتِنِ. (ش) لِلْغَائِبَاتِ. وَبَقِيَ عَلَيْهِ مِنْ أَقْسَامِ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ بِيَاءِ الْمُؤنَّثَةِ الْمُخَاطَبَةِ. نَحْوُ: تَقْوِمِينَ يَا هِنْدُ. وَقَوْمِي يَا هِنْدُ. وَالْمَنْفَصِلِ اثْنَا عَشَرَ، نَحْوُ قَوْلِكَ: مَا قَامَ إِلَّا أَنَا، وَمَا قَامَ إِلَّا نَحْنُ، وَمَا قَامَ إِلَّا أَنْتَ، وَمَا قَامَ إِلَّا هُمْ، وَمَا قَامَ إِلَّا هُنَّ. تَكْمِيلٌ: يَجُوزُ حَذْفُ الْفِعْلِ، وَإِثْقَاءُ الْفَاعِلِ؛ وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ: مَا يَحْذَفُ وَجُوبًا. وَمَا يَحْذَفُ جَوَازًا. كَقَوْلِهِ تَعَالَى، «وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ»، فَأَحَدٌ فَاعِلٌ بِفِعْلِ مَحْذُوفٍ، وَجُوبًا؛ لِأَنَّهُ مَفْسَرٌ بِمَا بَعْدَهُ، مِنْ بَابِ الْإِسْتِغَالِ فِي الْمَرْفُوعِ، وَالثَّانِي، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾. فَاللهُ فَاعِلٌ، أَي خَلَقَهُنَّ اللَّهُ. وَقَدْ أَظْهَرَهُ فِي قَوْلِهِ: خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللهُ مُبْتَدَأً وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهُ خَبْرًا، أَي اللهُ خَلَقَهُنَّ، وَاللهُ تَعَالَى أَكْبَرُ.

الإشارة: الفاعل الحقيقي؛ هو الاسم المرفوع القدر، العظيم الشأن؛ وهو الحق جل جلاله، المذكور قبله فعله عند الغافلين. والمذكور بعده فعله عند الداكرين. المذكور قبله فعله عند الطالبين أو السائرين. والمذكور بعده فعله عند العارفين الواصلين. المذكور قبله فعله عند أهل الدليل والبرهان، والمذكور بعده فعله عند أهل الشهود والعيان. أهل الدليل والبرهان بذكرون فعله، ويستدلون به عليه. وأما الواصلون من العارفين، فيذكرونه ويروونه قبل رؤية فعله فهم يستدلون بالله على غيره، فلا يرون إلا هو، كما قال شاعرهم:

مُذْعَرَفْتُ إِلَهَ لَمْ أَرَّ غَيْرَا وَكَذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعُ
مُذْتَجَمَعْتُ مَا خَشِيتُ افْتِرَاقَا فَأَنَا الْيَوْمَ وَاصِلٌ مَجْمُوعُ

فروية الفعل قبل الفاعل، هي مقام العموم، من أهل الدليل والبرهان، ورؤية الفاعل قبل الفعل، أو معه، مقام الخصوص من أهل الشهود والعيان.

وفي الحكم: فمن رأى الكون ولم يشهد الحق فيه أو قبله أو معه أو بعده، فقد أغوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شمس المعارف بسحب الآثار هـ. وفيه أيضاً: شتان بين من يستدل به، أو يستدل عليه. المستدل به عرف الحق لأهله، وأثبت الأمر من وجود أضله، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه، وإلا فمتى غاب حتى يحتاج إلى دليل يدل عليه، ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه. قال الشاعر:

عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْغِي عَلَيْكَ شَهَادَةً وَأَنْتَ الَّذِي أَشْهَدْتَهُ كُلُّ شَاهِدٍ

ثم قال: وهو على قسمين: ظاهر عند العارفين، لا يخفى على أحد عندهم إلا على الأعمى، كما قال الشاعر:

لَقَدْ ظَهَرْتَ فَمَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَكْمَه لَا يُبْصِرُ الْقَمَرَا

ومضمراً، أي مستتراً، باطن عند الغافلين، كما قال في الشطر الثاني.

لَكِنْ بَطُنْتُ بِمَا أَظْهَرْتُ مُحْتَجِبَا وَكَيْفَ يُبْصِرُ مَنْ بِالْعِزَّةِ اسْتَتَرَا

وفي مناجاة الحكم: إلهي، كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفترق إليك. أكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، وفي عبارته نوع من الفرق. فلو قال: إلهي كيف يستدل عليك، بما هو سر من أسرار ذاتك. ونور من أنوار تجلياتك الخ، وقال أيضاً، كيف تخفى وأنت

الظاهر. أم كيف تَغيبُ وأنت الرقيب الحاضر. فالحق جَلُّ جلاله، قد تجلَّى وظهر في الأشياء كلها، ثم بطنَ في ظهوره، فَمَا ظَهَرَ سِوَاهُ. وكَمَا تجلَّى إِلَّا نُورَ بَهَائِهِ وَسَنَاهُ. وقد قلت في حَمْرِيَّتِي:

فَمَا ظَهَرَ فِي الْكَوْنِ غَيْرَ بَهَائِهَا وَمَا اخْتَجَبَتْ إِلَّا لِحُجْبِ سَرِيرَتِي
إلى آخر القصيدة. قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ أي هُوَ
الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية. والظاهر فيما تجلَّى به من أسرار ذاته، وأنوار
صفاته. وهو الباطن في عين ظهوره، ظهر بذاته. وبطن بآثار صفاته. وفي الحكم:
أظهر كل شيء بأنه الباطن. وطوى وجود كل شيء بأنه الظاهر، أي أظهر جسَّ
الكائنات، بسبب اسمه الباطن. وطوى وجود كل شيء، بسبب اسمه الظاهر. إذ لا
ظاهر معه. وهذا الأمر لا يفهمه إلا أهل الأذواق، الذين يشبتون الضدين في مظهر
واحد. ويعطون كل ذي حق حقه. وحسب من لم يدرك مقامهم، التسليم لما
رَمَزُوا إِلَيْهِ:

إِنْ لَمْ تَرَ الْهِلَالَ فَسَلِّمْ لِأَنْبَاسِ رَأُوهُ بِالْأَبْصَارِ
وبالله التوفيق

بَابُ الْمَفْعُولِ الَّذِي لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ: قلت: عبارة الثائب عن الفاعل أحسن،
لاختصاصها وكونها جامعة. وأمَّا المفعول الذي لم يُسَمَّ فَاعِلُهُ، فقد يصدق على
المفعول الثاني في قولك: أُعْطِيَ زَيْدٌ دِرْهَمًا، فِدْرَهْمَ مَعْطَى، لَمْ يَذْكَرْ فَاعِلُهُ. مع
كونه منصوباً. وعلى معمول المصدر، في قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَمَهُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ
يَتِيمًا﴾. فهذان المثالان، يصدق عليهما أنهما مفعولان لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُمَا مع كونهما
بِمَعْرُوفٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ، ثُمَّ عَرَفَهُ الْمُصَنِّفُ بِقَوْلِهِ: (ص) وَهُوَ الْأَسْمُ (ش) أَي
صريحاً أو مؤولاً. نحو: «قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ» أَي اسْتَمَعَ نَفَرٌ. (ص)
المرفوع. (ش) تقدم البحث فيه بأنه حكم، فلا ينبغي إدخاله في الحد. وقد يجاب
بأنه لم يقصد به هنا الحكم، وإنما هو عنده فعل، أخرج به المنصوب في المثالين
المتقدمين (ص) الَّذِي لَمْ يَذْكَرْ مَعَهُ فَاعِلُهُ (ش) بَلْ يُخْذَفُ، وَيُنَوَّبُ عَنْهُ الْمَفْعُولُ بِهِ.
فيستحق ما كان يستحقه الفاعل من الرفع والعمدية. وتأنيت الفعل له، وتجريده من
علامة التشية والجمع. وغير ذلك من الأحكام المتقدمة. وإنما يُخْذَفُ الْفَاعِلُ لِعَرَضٍ
مِنَ الْأَعْرَاضِ. بَعْضُهَا مَعْنَوِيَّةٌ، وَبَعْضُهَا لَفْظِيَّةٌ، جَمَعَهَا أَبُو حَيَّانٍ فِي بَيِّنِينَ فَقَالَ:

وَخَذَفُهُ لِلْخَوْفِ وَالْإِبْهَامِ وَالْوَزْنَ وَالْتَّخْقِيرِ وَالْإِعْظَامِ

وَالْعِلْمُ وَالْجَهْلُ وَالْاِخْتِصَارُ وَالسَّجْعُ وَالْوِفَاقُ وَالْإِيْثَارُ
 وَهَذِهِ النَّكْتُ، هِيَ مِنْ وَظِيْفَةِ عِلْمِ الْبَيَانِ، لَا مِنْ وَظِيْفَةِ عِلْمِ النُّحُو، وَإِذْخَالُهَا
 فِي عِلْمِ النُّحُو، زِيَادَةٌ فَائِدَةٌ. فَمِثَالُ الْخَوْفِ: وَهُوَ شَامِلٌ لِلْخَوْفِ، مِنْهُ أَوْ عَلَيْهِ.
 فَالْأَوَّلُ: نَحْوُ: قُتِلَ زَيْدٌ. إِذَا خِفْتُ مِنْ قَاتِلِهِ، بَأَنَّ كَانَ ظَلُمًا عَشُومًا. فَإِنْ كَانَ
 الْقَاتِلُ ضَعِيفًا. كَانَ مِثَالًا لِلْخَوْفِ عَلَيْهِ. وَمِثَالُ الْإِيْهَامِ عَلَى السَّامِعِ: تَصَدَّقَ الْيَوْمَ
 بِكَذِّإِ إِخْفَاءٍ لِلْعَمَلِ، خَوْفًا مِنَ الرِّيَاءِ. وَهَذَا عَرَضَانِ مَعْتَوِيَانِ. وَمِثَالُ الْوِزْنِ قَوْلُ
 الشَّاعِرِ:

عَهْدتْ مَغْنِيًا مَغْنِيًا مَنْ أَجْرَتْهُ فَلَمْ أَتَّخِذْ إِلَّا قَنَاءَكَ مَوْئِلًا
 وَقَالَ آخَرُ:

يَذَاكَ يَدَا مَجْدُ فَكَفْ مَفِيْدَةٌ وَكَفُّ إِذَا مَا ضُنَّ بِالْمَالِ تَنْفَقُ
 قَضُنَّ مَبْنِيٍّ لِلْمَجْهُولِ، مِنْ ضُنَّ، بِمَعْنَى بَخْلٍ. فَلَوْ قَالَ: ضُنَّ النَّاسُ بِالْمَالِ.
 لَمْ يُوزَنَ. وَمِثَالُ التَّحْقِيرِ. طُعِنَ عَمْرُو، وَقُتِلَ الْحَسِينُ، تَرَكَ ذِكْرَ الْفَاعِلِ احْتِقَارًا
 لَهُ. وَمِثَالُهُ لِلْأَعْظَمِ: حُدَّ الشَّارِبُ، وَجَلَدَ الزَّانِي، فَحَذَفَ الْفَاعِلُ؛ وَهُوَ الْحَاكِمُ.
 إِعْظَامًا لَهُ. وَمِثَالُ الْعِلْمِ بِالْفَاعِلِ: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ»، «أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ
 الْبَحْرِ». إِذْ مَعْلُومٌ، اسْمُ الْمُحْرَمِ وَالْمَحَلُّ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَمِثَالُ الْجَهْلِ: ضُرِبَ
 فُلَانٌ، إِذَا لَمْ تَدْرِ فَاعِلُهُ. وَمِثَالُ الْاِخْتِصَاصِ، نَحْوُ: سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، عَمَا يَلْبَسُ
 الْمُحْرَمُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَمِثَالُ السَّجْعِ. وَالْمُرَادُ بِهِ: تَقَارُبُ الْفَوَاصِلِ بَعْضُهَا مِنْ
 بَعْضٍ، لَيْلًا تَبْعَدُ بُعْدًا يَنْفِرُ مِنْهُ الطَّبِيعُ. كَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ فِي الْمَقَامَاتِ: مَا طَلَعَ
 هَلَالٌ، وَسَمِعَ إِهْلَالَ. فَلَوْ قَالَ، وَسَمِعَ النَّاسُ إِهْلَالَ لَبُعْدَتِ الْفَاصِلَةُ، وَتَغَيَّرَتْ.
 فَهَذَا الْمِثَالُ يَصْلِحُ لِلْوِفَاقِ الْآتِي بَعْدُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ أَيْضًا: حَتَّى نَأْمَنَ مِنْ خَصَائِدِ
 الْأَلْسِنَةِ. وَتُكْفَى غَوَائِلَ الرُّخْرِفَةِ. فَلَوْ بَنَاهُ لِلْفَاعِلِ فَقَالَ، وَيَكْفِينَا اللَّهُ غَوَائِلَ
 الرُّخْرِفَةِ. لَطَالَتِ الْفَاصِلَةُ. وَمِثَالُ الْوِفَاقِ فِي إِعْرَابِ الْقَوَافِي، أَوْ إِعْرَابِ الْفَوَاصِلِ.
 فَالْأَوَّلُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشُّهَابِ وَضَوْثِهِ بِحُورٍ رَمَادًا بَعْدَمَا هُوَ سَاطِعٌ
 وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيْعَةٌ وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تُرَدُّ الْوَدَائِعُ
 فَلَوْ قَالَ: يَرُدُّ النَّاسُ الْوَدَائِعَ. لِاخْتَلَفَتِ الْقَافِيَاَتِ، وَالثَّانِي: وَهُوَ وَفَاقُ
 الْفَوَاصِلِ. مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ: مَا طَلَعَ هَلَالٌ، وَسَمِعَ إِهْلَالَ، وَمِثَالُ الْإِيْثَارِ. وَمَعْنَاهُ:

إيثار غرض السامع على غيره. كما إذا كان غرض السامع، ألا يُذكَرَ الفاعل. إما لكرهه سماع ذكره. أو خوف منه، أو عليه، ونحو ذلك. فيقول: أكرم فلان، أو ضرب. ويحذف الفاعل. فهذه اثنا عشر غرضاً. بعضها لفظية، وبعضها معنوية، ولا يخفى التمييز بينهما، ولما كانت صيغة الفعل المبني للمفعول، مغايرة لصيغة المبني للفاعل؛ ليقع الفرق بينهما؛ وهي من مسائل التصريف، نبه المصنف على ذلك فقال: (ص) فإن كان الفعل ماضياً ضمَّ أوله وكسره ما قبل آخره. (ش) إما تحقيقاً. كضرب، وحمد، أو تقديرًا، كقيل وغيض وسيء. وأضله: قول. وغوض، وسوء. فاستثقلت الكسرة على الواو، فنقلت إلى فاء الكلمة. وقلبت الواو ياء، لمناسبة الكسرة. وكذلك شدُّ، ورذُّ أضله شدَّدَ ورذَّدَ. فأذغم أحد المثلين في الآخر. فكسره ما قبل الآخر مقدراً في هذه الأمثلة. وهذا التغيير شامل للماضي الثلاثي، كضرب. والرباعي كأكرم، ودخرج. والخماسي، كأنطلق، والسداسي كاستخرج. والمبدوء بهمزة الوصل كالمثاليين. والمبدوء بتاء مزيدة، كتعلم وتكبر. فضم الأول، وكسر ما قبل الآخر، واجب في الجميع، ويجري أيضاً في نحو اختار وانقاد وشبههما، فتقول: أختير وانقيد بإخلاص الكسرة والإشمام، وإن كان مبدوءاً بتاء زائدة، ضمَّ ثانيه أيضاً، كتعلم وتكلم. وإن كان مبدوءاً بهمزة وصل، ضمَّ ثالته كأنطلق واستخرج ونحوهما. (ص) وإن كان مضارعاً ضمَّ أوله، وفتح ما قبل آخره. (ش). أي سواء كان صحيحاً أو معتلاً، مفتوحاً ما قبل آخره، أو مكسوراً من الثلاثي أو غيره. فتقول: يضرب زيد، ويكرم عمرو. وينطلق به. ويستخرج، ويتدخرج. والفتحة في المبني للمفعول، غير الفتحة في المبني للفاعل. ومثله: يُقال ويُباع، ويُستعان به. وأضله يقول ويُستعون، فقلبت الواو ألفاً، حسبما هو مقرَّر في علم التصريف. (ص) وهو على قسمين، ظاهر ومضمَّر، فالظاهر نحو قولك ضرب زيد. (ش) أضله: ضرب عمرو زيداً، فحذف الفاعل لغرض كما تقدم، وأقيم المفعول مقامه. فصار مرفوع عمدة متصلاً بفعله، متأخراً عنه كما كان الفاعل (ص) ويضرب زيد (ش) أضله: يضرب عمرو زيداً. ففعل به ما فعل بالماضي. (ص) وأكرم عمرو ويكرم عمرو (ش). هذا مثال للرباعي، والأصل أكرم الله عمراً أو يكرمه. فحذف الفاعل كما تقدم. وفعل به ما فعل بالماضي. (ص) والمضممر (ش) قسمان. متصل ومنفصل، فالمتصل اثنا عشر: اثنان للمتكلم، وخمسة للمخاطب، وخمسة للغائب، وبقي عليه واحد للمخاطبة. وذلك. (ص) نحو قولك ضربت (ش) يضم التاء للمتكلم.

وأضله: ضَرَبْتَنِي زَيْدًا، فالياء مفعول بِضَرَبَ، فلما أُريد نِيَابَتُهَا عَنِ الْفَاعِلِ، وَكَانَتْ الْيَاءُ لَا تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ؛ لِأَنَّ يَاءَ الْمُتَكَلِّمِ لَا تَكُونُ إِلَّا مَجْرُورَةً أَوْ مَنْصُوبَةً، وَلَا تَكُونُ مَرْفُوعَةً أَبَدًا. فَأَتَى بِنَاءِ الْمُتَكَلِّمِ، الصَّالِحَةَ لِذَلِكَ مَعَ كَوْنِهَا فِي الْمَعْنَى كَالْيَاءِ. فَقِيلَ: ضَرَبْتَنِي. (ص) وَضَرَبْتَنَا (ش) وَأَضْلَهُ: ضَرَبْنَا زَيْدًا، فَلَمَّا أُريد حَذْفُ الْفَاعِلِ، وَنَابَ الْمَفْعُولُ، بَقِيَ الضَّمِيرُ بِحَالِهِ لِصِلَاحِيَّتِهِ، لِلْمَحَالِّ الثَّلَاثَةِ. قَالَ فِي الْأَلْفِيَةِ:

لِلرَّفْعِ وَالنُّصْبِ وَجَرْنَا صَلَحٌ كَاغْرِفَ بِنَا فَايْتَانَا يَلْنَا الْمَيْخَ

أَي يَلْنَا الْمَوَاهِبَ الْعَطَائِيَةَ، وَالْأَسْرَارَ الْقُدْسِيَةَ. (ص) وَضَرَبْتَنِي (ش) بِنَاءِ الْخُطَابِ. وَأَضْلَهَا ضَرَبْتَنِي زَيْدًا. فَلَمَّا أُريد بِنَاؤُهُ لِلْمَفْعُولِ، وَحَذْفِ الْفَاعِلِ، وَكَانَتْ الْكَافُ غَيْرَ صَالِحَةٍ لِمَحَلِّ الرَّفْعِ، أَتَى بِالنَّاءِ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى الْكَافِ، وَصَالِحَةٌ لِمَحَلِّ الرَّفْعِ (ص) وَضَرَبْتَنِي (ش) بِكُسْرِ النَّاءِ لِلْمَخَاطَبَةِ، وَأَضْلَهَا ضَرَبْتَنِي زَيْدًا، ففَعَلَ بِهَا مَا تَقَدَّمَ (ص) وَضَرَبْتُمَا (ش) لِلْمَخَاطَبَيْنِ: مُذَكَّرَيْنِ وَمَوْثِقَيْنِ، وَأَضْلَهَا: ضَرَبْتُمَا زَيْدًا. (ص) وَضَرَبْتُمْ (ش) لِلْمَخَاطَبَيْنِ الْمُذَكَّرَيْنِ. وَأَضْلَهُ: ضَرَبْتُمْ فَلَانَ. (ص) وَضَرَبْتُنِي (ش) لِلْمَخَاطَبَاتِ الْمُؤَنَّثَاتِ، وَ (ص) وَضَرَبَ (ش) وَأَضْلَهُ زَيْدٌ ضَرَبَهُ عَمْرُو، فَلَمَّا حَذَفَ الْفَاعِلَ، وَأُريد نِيَابَتُهُ عَنْهُ، وَلَمْ تَكُنْ الْهَاءُ صَالِحَةً لِلرَّفْعِ، لِأَنَّ الْهَاءَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلْجَرِّ وَالنُّصْبِ، أَتَى بِمَا يَصْلُحُ لِذَلِكَ. مِمَّا فِيهِ مَفَادُهَا مِنَ الْغَيْبَةِ؛ وَهُوَ: هُوَ، فَقِيلَ: ضَرَبَ أَي هُوَ. (ص) وَضَرَبْتَنِي (ش) لِلْمَوْثِقَةِ الْغَائِبَةِ؛ وَأَضْلَهُ هِنْدٌ ضَرَبَهَا زَيْدًا فَاجْرِي عَلَى مَا ذَكَرْنَا؛ لِأَنَّ الْهَاءَ غَيْرَ صَالِحَةَ لِلرَّفْعِ، فَأَتَى بِهَيِّ الصَّالِحِ لِلرَّفْعِ، وَاسْتَتَرَ، لِتَقَدُّمِ الظَّاهِرِ. (ص) وَضَرَبْنَا (ش) لِلْغَائِبَيْنِ الْمُذَكَّرَيْنِ، وَأَضْلَهُ الزَّيْدَانِ ضَرَبَهُمَا عَمْرُو، ثُمَّ جَرَى فِيهِ مَا ذَكَرَ؛ لِأَنَّ الْهَاءَ غَيْرَ صَالِحَةَ لِلرَّفْعِ. (ص) وَضَرَبْنَا (ش) وَكَذَلِكَ ضَرَبْنَا لِلْمَوْثِقَيْنِ الْغَائِبَيْنِ، وَأَضْلَهُ الْهِنْدَانِ ضَرَبَهُمَا عَمْرُو، فَفَعَلَ بِهِ كَذَلِكَ (ص) وَضَرَبُوا (ش) لِلْغَائِبِينَ الْمُذَكَّرِينَ. وَأَضْلَهُ الزَّيْدُونَ ضَرَبَهُمْ عَمْرُو. (ص) وَضَرَبْنَا (ش) لِلْغَائِبَاتِ، وَأَضْلَهُ: الْهِنْدَاتُ ضَرَبَهُنَّ عَمْرُو، قَالَ الْأَمْرُ فِيهِ إِلَى مَا ذَكَرْنَا، وَبَقِيَ الضَّمِيرُ الْمَوْثِقَةَ الْمَخَاطَبَةَ، نَحْوُ: أَنْتِ يَا هِنْدُ تُضَرِبِينَ.

وَالْمُنْفَعِلِ اثْنَا عَشَرَ، نَحْوُ مَا أَكْرَمَ إِلَّا أَنَا، وَمَا أَكْرَمَ إِلَّا نَحْنُ، وَمَا أَكْرَمَ إِلَّا أَنْتِ، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا أَنْتِ، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا أَنْتُمَا. وَمَا ضَرَبَ إِلَّا أَنْتُمْ، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا أَنْتَنَ، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا هُوَ، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا هِيَ، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا هُمَا، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا هُنَّ، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا هُنَّ.

تثبية: قد يفهم من قوة كلام المصنف، أي صيغة فعل المفعول. مفرعة عن فعل الفاعل؛ وهو كذلك عند الجمهور. وقال المبرد والكوفيون؛ هو أضل، بدليل لزومه في أفعال لم تنطق بها العرب إلا مبنية للمفعول، كزهي علينا، أي تكبر، وعني بحاجتك، وجن وطل ذمه، أي هدر، ونفست المرأة، أي تنفس رحمها بالحيض والنفاس، واختاره ابن مالك، ولذلك قال في الألفية في باب التصريف: وزد نحو ضمن هـ. تيمتان: الأولى: الأفعال ثلاثة، قسم لا يجوز بناؤه للمفعول اتفاقاً، وهي الأفعال التي لا تتصرف؛ وهي نعم وبس، وعسى، وليس، وحبذا. وفعل التعجب، وقلما وطالما، ويذر، ويدع، وتبارك الله.

وقسم فيه خلاف، وهي كان وأخواتها المتصرفة، وقسم لا خلاف في جواز بنائه للمفعول وهي ما بقي من الأفعال التي تتصرف، والخلاف الذي في كان وأخواتها، ذكره ابن السراج فقال: وأجاز قوم في كان زيد قائماً. أن كان فعل غير حقيقي، وإنما تدخل على المبتدأ والخبر فاعلها غير فاعل حقيقة، ومفعولها غير مفعول به على الصحة. فليس فيه مفعول يقوم مقام الفاعل هـ. قلت: وكذلك مفعولاً ظن. فإن أضلها المبتدأ والخبر، وفيهما خلاف. قال في الألفية:

في باب ظن وأرى المنع اشتَهَزَ وَلَا أَرَى مَنَعًا إِذَا الْقَضْدُ ظَهَرَ

وأما باب كسى وأعطى، فيجوز بناء الأول اتفاقاً. تقول: كسى زيد جبّة. وكذلك الثاني، إذا أمن اللبس. والله تعالى أعلم. الثانية: إذا فقد المفعول به، جاز إقامة غيره، من ظرف وجار ومجرور أو مصدر، وشروط إقامة الظرف، إن يكون مختصاً فلا يقال: سير وقت، ولا جلس مكان، ويقال: سير وقت صعب، وجلس مكان بعيد. وأن يكون متصرفاً. بخلاف نحو: سحر وعند، وقبل وبعد، ودون، وثم، مما لزم الظرفية. وشروط المصدر أن يكون متصرفاً. بخلاف نحو: سبحان الله. ومعاذ الله، وأن لا يكون مؤكداً، بخلاف نحو قام زيد قياساً. وشروط المجرور ألا يلزم حالة واحدة كمد ومنذ، والكاف، ورب، وما خص بقسم واستثناء. وأن لا يكون التعليل كاللام والباء، ومن إذا دلّت على التعليل. ذكره بغض النحويين، وإذا اجتمعت الثلاثة، فأنت مخير في إنابة ما شئت على المشهور. والله تعالى أعلم.

الإشارة: المفعول الذي لم يسم فاعله معه. بل يصير عين الفاعل حقيقة، هو العارف بالله، المتحقق بمقام الفناء والبقاء؛ وهو الثائب عن الفاعل الحقيقي. في

تصريف أحكامه التكليفية، والتعريفية الجَلالية، والجمالية، وهو القطب الجامع، ويقال فيه العُوث، وسُمِّي قطباً، تشبيهاً له بقطب الرِّحَا؛ وهو قلبُها الذي تَدورُ عليه؛ وكذلك القطب، هو قطب الكون. عليه يدور من عرشه إلى فرشه، فينقبض بقبضه، ويتبسط بتبسطه؛ وهو الذي يصل منه المَدَدُ الروحاني إلى ذوات الأولياء؛ من نجيبٍ وتقيب، وأوتاد وأبدال إلا الأفراد، فإنهم خارجون عن دائرته؛ وله الإقامة، والأرث، والنيابة والخلافة الباطنة؛ وهو روح الكون الذي عليه مداره. ما يشير إلى ذلك. كونه بمنزلة إنسان العين من العين. ولا يعرف ذلك، إلا من كحل عين بصيرته بأئمة التوحيد الخاص، وكان له قسط ونصيب من سير البقاء باللّه. وأما تسميته بالعوث؛ فمن حيث إغائته للعوالم بهمة ومادته، ورُبُتته الخاصة. فهذا يكون واحداً في الوجود، وله علامات يميّز بها. قال القطب الشهير، سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: للقطب خمسة عشر علامات: فمن ادّعاها أو شيئاً منها، فليبرز بمدد الرِّحمة والعِصمة، والخلافة، والنيابة؛ ومدد حملة العرش العظيم، ويكشف له عن حقيقة الذات، وإحاطة الصفات. ويكرم الحكم والفصل بين الوجودين، وانفصال الأول عن الأول. وما انفصل عنه إلى منتهاه. وما ثبت فيه. وحكم ما قبل، وحكم ما بعد. وما لا قبل ولا بعد، وعلم البدء، وهو العلم المحيط بكل معلوم. وما يعود إليه هـ. وقد بيّنا معناها، في كتابنا معراج التشوف إلى حقائق التصوف. وفي تفسير الفاتحة الكبير. ولا يشترط في القطب معرفة معاني هذه الشروط، وإنما يشترط وجودها فيه بالدور والكشف، بحيث لو بين معنى كل واحد منها لوجدنا فيه ذوقاً وكشفاً؛ لأن القطب قد يكون أمياً في علم الظاهر، وفي معرفة معاني الألفاظ، لكنه متخلق بكل كمال. والله تعالى أعلم.

قوله: وهو الاسم المرفوع قدره. العظيم شأنه. لكونه خليفة الله في كونه يعني الثائب عن الفاعل الحقيقي. وقوله: الذي لم يذكر معه فاعله، أي بل صار عين الفاعل الحقيقي، لغناؤه في وجوده. وانطوائه في شهوده. قد انطوى وجوده في وجود فاعله. فانتقل من المفعولية إلى الفاعلية بل صار عين العين، كما قال بعض المشارفة، في بغض أزجاله:

قَبْلَ الْيَوْمِ كُنْتُ مَقِيداً بِقِيُودِ الْبَيْنِ مَخْجُوباً بِالرَّهْمِ نَحْسِبُ مُفْرَدِي اثْنَيْنِ
فَلَمَّا تَبَدَّى جَمَالِكَ زَالَ عَنِّي الضُّمَيْنِ شَهِدْتُ عَيْنِي بِعَيْنِي صِرْتُ عَيْنَ الْعَيْنِ
وَكُلُّ مَنْ تَحَقَّقَ بِمَقَامِ الْفَنَاءِ، يَصِيرُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، فَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ الَّذِي

صدر مِنْهُ مَاضِياً ضَمُّ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، وَصَارَ وَقْتاً وَاحِداً؛ وَهُوَ إِسْقَاطُ الْهُوَى، وَمَحَبَّةُ الْمَوْلَى، وَكُسر مَا قَبْلَ آخِرِهِ، أَي تَوَاضَعُ فِي آخِرِ نَهَائِيَّتِهِ، مَعَ عَظِيمِ قَدْرِهِ، وَكَبْرِ شَأْنِيهِ. لِيَعْتَمَ الْإِنْتِفَاعَ بِهِ، كَمَا عَمَّ الْإِنْتِفَاعَ بِمَوْرَثِهِ ﷺ. وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ الْوَاقِعَ مِنْهُ مُضَارِعاً، أَي مُشَابِهاً لِأَفْعَالِ أَهْلِ السُّلُوكِ، بِأَنْ تَنْزِلَ إِلَى سَمَاءِ الْحَقُوقِ، أَوْ أَرْضِ الْحُطُوطِ، بِالْإِذْنِ وَالتَّمَكِينِ، وَالرَّسُوخِ فِي الْيَقِينِ ضَمُّ أَوَّلِهِ لِآخِرِهِ، وَفَتْحُ لَهُ قَبْلَ آخِرِ عَمْرِهِ فِي التَّرْقِيِ أَيْدِئاً سَزَمَداً، إِلَى مَا لَا نَهَائِيَّةَ لَهُ. قَالَ تَعَالَى لِسَيِّدِ الْعَارِفِينَ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾. وَهُوَ عَلَى قَسْمَيْنِ: ظَاهِرٌ وَمُضْمَرٌ، ظَاهِرٌ «لِمَنْ سَبَقَتْ لَهُ الْعِنَايَةُ، وَوَجِبَتْ لَهُ الْوِلَايَةُ. وَمُضْمَرٌ، أَي خَفِيَ عَمَّنْ سَبَقَ لَهُ الْخِذْلَانُ. وَحِظِي بِالْخَيْبَةِ وَالْخُسْرَانِ. فَالْأَوْلِيَاءُ عَرَائِسُ الرَّحْمَنِ، لَا يَعْرِفُهُمْ إِلَّا مَنْ أَكْرَمَهُ الْكَرِيمُ الْمَنَّانُ، فَلَا يَعْرِفُ الْعَرَائِسَ الْمَجْرُمُونَ. فَلَا يُوَصِّلُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ، إِلَّا مَنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوَصِّلَهُ إِلَيْهِ. سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ الدَّلِيلَ عَلَى أَوْلِيائِهِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُوَصِّلْ إِلَيْهِمْ، إِلَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يُوَصِّلَهُ إِلَيْهِ. وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَاتِلِ، حَيْثُ يَقُولُ:

وَمَنْ نَفَى الْخُصُوصَ فِي زَمَانِهِ فِذَاكَ مَكْرُزِيْدِي خِذْلَانِيهِ
يَخْفِيهِمْ عَنِ خَلْقِهِ فِي خَلْقِهِ وَذَاكَ فَاغْلَمَ مِنْ عَظِيمِ لَطْفِهِ
لَأَنَّهُمْ عَرَائِسُ الرَّحْمَنِ يَسْخَجِبُهُمْ عَنِ كُلِّ ذِي خِذْلَانٍ
وَلَمْ يُوَصِّلْ لَوْلِي سَاعَتِيهِ إِلَّا الَّذِي أَهْلُهُ لِحَضْرَتِهِ
إِنْ لَمْ تَلَأَقِ عَارِضاً فِي مُدَّتِكَ لِأَعَاشِ عُمَرِ عَيْشَةٍ كَعَيْشَتِكَ
وَالظَّاهِرُ هُوَ الَّذِي يَظْهَرُ عَلَيْهِ خَوَارِقُ وَكِرَامَاتُ، وَالْخَفِيُّ مَنْ لَمْ يَظْهَرِ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

بَابُ الْمُبْتَدِئِ وَالْخَبْرِ: الْمُبْتَدَأُ اسْمٌ مَفْعُولٌ، حُذِفَ مَتَعَلِّقُهُ بِكُسرِ اللَّامِ أَي الْمُبْتَدَأُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ ابْتَدِئَ بِهِ الْكَلَامَ، وَالْخَبْرُ اسْمٌ مِنْ بَابِ تَسْمِيَةِ الْجُزْءِ بِاسْمِ الْكُلِّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتِمُّ الْخَبْرُ إِلَّا بِإِضْمَامِهِ لِلْمُبْتَدِئِ. وَخَصُّ اسْمِ الْخَبْرِ؛ لِأَنَّهُ كَمَالٌ مَا أُرِيدَ أَنْ يَخْبَرَ بِهِ الْمُتَكَلِّمُ. وَعَرَفَهُ الْمُصَنِّفُ بِقَوْلِهِ: (ص) هُوَ الْاسْمُ (ش) الصَّرِيحُ، كَقَوْلِكَ: اللَّهُ رَبُّنَا. وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ نَبِيُّنَا. قَصِداً لِلتَّعْظِيمِ، أَوْ إِخْبَارِ الْمُشْرِكِ أَوْ الْمُؤَوَّلِ، نَحْوُ: «أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ» أَي صَوْمُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ. نَزَلَتْ الْآيَةُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، حِينَ كَانَ النَّاسُ مَخْتَارِينَ بَيْنَ الصَّوْمِ وَالْإِطْعَامِ. ثُمَّ نُسِخَ بِقَوْلِهِ: «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ». أَي فَمَنْ حَصَرَ مِنْكُمْ فِي الشَّهْرِ، وَلَمْ يَكُنْ مُسَافِراً فَلْيَصُمْ. (ص) الْمَرْفُوعُ (ش) تَقْدِمْ الْبَحْثَ فِيهِ وَالْجَوَابَ. (ص) الْعَارِيُّ عَنِ الْعَوَامِلِ اللَّفْظِيَّةِ (ش)

غَيْرِ الزَّائِدَةِ. زَادَ فِي الْمَحَاذِي: مَخْبِرٌ عَنْهُ، أَوْ وَاصِفٌ رَافِعٌ لِمَكْتَفِي بِهِ. فَخَرَجَ بِقَوْلِهِ: الْعَارِي عَنِ الْعَوَامِلِ، اسْمٌ كَانَ، وَإِنَّ وَظْنَ، وَلَا الْمَجَازِيَةَ. وَقَوْلُهُ: غَيْرِ الزَّائِدَةِ. وَأَمَّا الزَّائِدَةُ فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ، نَحْوَ بِحَسْبِكَ دَرَاهِمٌ، فَحَسْبُكَ مُبْتَدَأٌ، وَدَرَاهِمٌ خَبَرٌ. وَالْعَامِلُ لِلزَّيَادَةِ، لَا عِبْرَةَ بِهِ. وَقِيلَ: بِحَسْبِكَ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، وَدَرَاهِمٌ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ. وَاخْتَارَهُ الْكَافِيحِيُّ؛ قَالَ: لِأَنَّهُ مَحَطُّ الْفَائِدَةِ؛ لِأَنَّ الْقَصْدَ الْإِخْبَارَ عَنِ الدَّرَاهِمِ؛ لِأَنَّهُ كَافِيهِ. وَدَخَلَ فِي الْعَامِلِ الزَّائِدِ، نَحْوُ: رُبُّ رَجُلٍ صَالِحٍ لِقَيْتِهِ، فَرَجُلٌ مُبْتَدَأٌ، وَلَا أَثَرَ لِرُبِّ، لِأَنَّهَا فِي حُكْمِ الزَّائِدِ، إِذْ لَا تَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ، وَفِي قَوْلِهِ: الْعَارِي عَنِ الْعَوَامِلِ الْخ. إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ عَامِلَ الْمُبْتَدَأِ مَعْنَوِيٌّ؛ وَهُوَ الْإِبْتِدَاءُ، وَهُوَ الصَّحِيحُ وَالْإِبْتِدَاءُ هُوَ التَّجَرُّدُ عَنِ الْعَوَامِلِ، أَي كَوْنُ الْمُبْتَدَأِ مَعْرَى عَنْهَا. وَقَوْلُهُ مَخْبِرًا عَنْهُ، نَحْوُ: زَيْدٌ عَالِمٌ، أَوْ وَصَفٌ رَافِعٌ لِمَكْتَفِي بِهِ، نَحْوُ: أَقَاتِمُ الزَّيْدَانِ، أَمْضَرُوبُ الْعِمْرَانِ. وَقَوْلُ الشَّاعِرِ:

خَلِيلِي مَا وَافٍ بِعَهْدِي أَتْمَا إِذَا لَمْ تَكُونَا لِي عَلَى مَنْ أَقَاطِعُ

فَقَاتِمٌ مُبْتَدَأٌ، وَالزَّيْدَانِ فَاعِلٌ أَغْنَى عَنِ الْخَبَرِ، وَكَذَلِكَ مَا وَافٍ مُبْتَدَأٌ، وَأَنْتَمَا فَاعِلٌ أَغْنَى عَنِ الْخَبَرِ، وَلَا بَدَأُ أَنْ يَعْتَمِدَ هَذَا الْوَصْفُ عَلَى نَفْيٍ أَوْ اسْتِفْهَامٍ، فَإِنَّ لَمْ يَعْتَمِدَ تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْوَصْفُ خَبْرًا مُقَدَّمًا. وَالاسْمُ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ وَلَا بَدَأُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ الْوَصْفُ مُفْرَدًا وَالْمَكْتَفِي بِهِ تَشْبِيهُ أَوْ جَمْعًا، فَإِنْ كَانَا مُفْرَدَيْنِ مَعًا جَارَ الْوُجْهَانِ، نَحْوُ أَرَاغِبٌ عَنِ آلِهَتِي، فَيَجُوزُ فِي رَاغِبٍ أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً، وَأَنْتَ فَاعِلٌ أَغْنَى عَنِ الْخَبَرِ. وَأَنْ يَكُونَ خَبْرًا مُقَدَّمًا، وَأَنْتَ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، وَإِنْ اسْتَوِيَا فِي التَّشْبِيهِ وَالْجَمْعِ، تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْوَصْفُ خَبْرًا وَمَا بَعْدَهُ مُبْتَدَأً، نَحْوُ: أَقَاتِمَانِ الزَّيْدَانِ، أَوْ أَقَاتِمُونَ الزَّيْدُونَ، فَتَحْصُلُ أَنَّ الْمُبْتَدَأَ قَسْمَانِ، مُسْتَدٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي لَهُ خَبَرٌ وَمُسْتَدٌّ؛ وَهُوَ الرَّافِعُ لِمَا أَغْنَى عَنِ الْخَبَرِ، ثُمَّ عَرَفَ الْخَبَرَ بِقَوْلِهِ: (ص) وَالْخَبَرُ (ش) هُوَ الْاسْمُ أَي الْجُمْلَةُ عَلَى مَا يَأْتِي. (ص) الْمَرْفُوعُ (ش) تَقَدَّمَ مَا فِيهِ. (ص) الْمُسْتَدُّ إِلَيْهِ. (ش) أَي إِلَى الْمُبْتَدَأِ فَالْخَبَرُ مُسْتَدٌّ، وَالْمُبْتَدَأُ أَسْنَدٌ إِلَيْهِ، وَلَوْ قَالَ: وَالْخَبَرُ هُوَ الْجُزْءُ الَّذِي حَصَلَتْ بِهِ الْفَائِدَةُ لَكَانَ أَحْسَنَ وَأَبْيَنَ. وَالرَّافِعُ لِلْخَبَرِ هُوَ الْمُبْتَدَأُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ. قَالَ فِي الْأَلْفِيَةِ:

وَرَفَعُوا مُبْتَدَأً بِالْإِبْتِدَاءِ كَذَلِكَ رَفَعُ خَبَرٍ بِالْمُبْتَدَأِ

قَالَ ابْنُ مَالِكٍ: وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، لِسَلَامَتِهِ، لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ مَوَارِدِ الصَّحَّةِ، وَبِحُثِّ فِيهِ بِأَنَّهُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ رَفْعُ مَعْمُولَيْنِ بِعَامِلٍ وَاحِدٍ مِنْ غَيْرِ تَبَعِيَّةٍ. فِي

نحو أقائم أبوه منطلق. وبأن معمول الاسم الجامد لا يتقدم عليه. وبأن المبتدأ يكون ضميراً. والضمير لا يعمل وأجيب عن الأول، بأن جهة طلبه للفاعل، غير جهة طلبه للخبر. وإذا اختلفت الجهة زال المنع، وعن الآخرين بأن عمل المبتدأ بالأقالة لا بالشبهة بالفعل. وما ذكره إنما يؤثر فيما يعمل بالشبهة أنظر السوداني (ص) نحو قولك زيد قائم، والزيدان قائمان، والزيدون قائمون (ش) والزيدون قيام، وهند قائمة، والهندان قائمتان، والهندات قائمات، فلا بُد من مطابقة الخبر للمبتدأ في الإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث، وتقدم الجواب عن قوله: المعربات قسمان. وأما قوله تعالى: ﴿الْعَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ فالأصل فيه الحج في أشهر. وسيأتي الكلام عليه في الإخبار بالظرف. وقد يتحد المبتدأ والخبر في اللفظ. وإذا قصد التعظيم والمبالغة، نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْثُونَ كَالسِّبْطُونَ﴾. وقول الشاعر: أنا أبو النجم شعري شعري. (ص) والمبتدأ قسمان: ظاهر ومضمّر، فالظاهر ما تقدم ذكره. والمضمّر (ش) أي المنفصل. (ص) خمسة للغائب، وسبعة للحاضر، اثنان للمتكلم، وخمسة للمخاطب. (ص) وهي أنا (ش) للمتكلم وحده، مذكراً كان أو مؤنثاً. ومذهب البصريين، أن الضمير: الهمزة والنون دون الألف، فإنه زائد. وحرك فرقاً بينه وبين أن المصدرية (ومذهب الكوفيين. واختاره ابن مالك أن المجموع هو الضمير. (ص) ونحن (ش) للمتكلم المعظم نفسه. أو معه غيره. حرك لالتقاء الساكنين. وكانت ضمة، لأنه لما تضمّن معنى الجمع أعطي أقوى الحركات، قاله المبرّد، بفتح الراء المشددة وأصله المبرّد بكسرهما؛ لأنه كان يبزّد العلوم. ففتحوا راءه حسداً (ص) وأنت (ش) بفتح التاء للمخاطب المذكر. (ص) وأنت (ش) بكسرها للمؤنثة المخاطبة (ص): وأنتما (ش) للتثنية مطلقاً (ص) وأنتُم (ش) للمخاطبين المذكرين. (ص) وأنتن (ش) لجمع النسوة. والأصل في الجميع، أن الضمير الهمزة والنون فقط، والتاء حَزَفَ خطاب. وقال القرّاء: الضمير المجموع. وقال ابن كيسان: الضمير التاء فقط. (ص) وهُوَ (ش) للغائب المذكر. والأصح أن الضمير المجموع، وقالت الكوفية، التاء فقط، والواو إشباع، ويصحّ تشديده. وهي لغة همدان كما في التسهيل. (ص) وهي (ش) للغائبة. والخلاف فيها، كالخلاف في هو. وقد تشدد الياء كهو. (ص) وهما (ش) للغائبتين مطلقاً. (ص) وهُم (ش) للغائبتين المذكرين. (ص) وهُنَّ (ش) للغائبات المؤنثات. والضمير فيها عند البصريين الهاء؛ وعند الفارسي المجموع. (ص) نحو قولك: أنا قائم، ونحن قائمون، وما أشبه ذلك. (ش) نحو أنت قائم، وأنت

قائمة، وأنتما قائمان؛ وقائمتان، وهم قائمون، وهُنَّ قائمات. (ص) والخَبَر (ش) من حيث هو (ص) قسمان، مُفرد وَغَيْر مُفرد. (ش) والمراد بالمفرد هنا: ما ليس جملة، وَلَا شبيهاً بالجملة، فيدخل في المفرد هُنَا التثنية والجمع بأنواعه؛ وهو قسمان جامدٌ فلا يتحمل ضميراً، نحو زيد أبوك. وَمُشتق؛ وهو الذي يختمل الضمير، نحو زيد عالم. وَقَدْ يرفع ظاهراً ملتبساً بضمير يعود على المبتدأ. نحو زيد عالم أبوه (ص) فالمُفرد، نحو زيد قائم. (ش) فقائم خبر مشتق، يتحصل ضمير المبتدأ، وهل لضرورة الاشتقاق أَوْ لِلرِّبْطِ قَوْلَانِ، الأول للمُحَقِّقِينَ، وقاله أبو البقاء ويشهده إنه نفس المبتدأ في المعنى، وإنما الرِّبْطُ بَيْنَ المتغايِرِينَ. وهذه المسألة مما فاتت التسهيل، وجمع الجوامع، قاله السُّودَانِي رحمه الله، ثم قال: فَإِنِ قلت زيد قائم هُوَ. فَعَن سيبويه، فيه وَجْهَانِ، كونه فاعلاً بِقَائِمٍ، أَوْ توكيداً للضمير المُستتر في قائم. نقله ابن عَقِيل في شرح الألفية. (ص) وَغَيْرُ المفرد أَرْبَعَةٌ أشياء. المجرور والظرف. (ش) التامان؛ وهما اللذان يُفهم معناه بما مجرد ذكروهما. فلا يجوز زيد فيه، وَلَا زيد أمس، ويتعلقان بالإستقرار المحذوف، أَوْ الكون. وهو الخبر عند المُحَقِّقِينَ، ولا بد أن يكون كوناً مطلقاً. فلا يجوز في نحو زيد في الدار، أن يقدر ضاحك أَوْ نائم. ونحو ذلك. وإنما يُقَدَّرُ مَا يدلُّ على مطلق الثبات والحصول وَتَجُوزُ أن يقدر اسماً أَوْ فِعْلاً؛ وهل الراجح الاسم؛ لأنَّ الأصل في الخَبَرِ الإفراد. ولتعيينه في بعض المواضع، نحو: إمَّا عندك فزيد، إذ لَا يفصل بَيْنَ أمَّا والفاء بجملة تامة. وخرجت فإذا عندك زيد؛ لأن إذا الفجائية لَا تدخل على الفِعلِ، وَرَجَّحَ ابن الحَاجِبِ تبعاً للزُّمَخْشَرِي والفارسي الفِعل؛ لأنه أَضلُّ في العمل، ولتعيينه في الصلة. (ص) والفعل مع فاعله. والمبتدأ مع خبره (ش) ويسمى الفعل مع فاعله، جملة فعلية، والمبتدأ مع خبر، جملة إسمية، ثم إن بينت من مبتدأ وَخَبَرٍ فصغرى، وَإِن كَانَ خبرها جُمْلَةً فَكَبْرَى، والكُبْرَى إذا كان صدرها اسماً، وعجزها فِعْلاً، تسمى ذات وجهين، نحو زيد قائم أبوه. ثم مثل للجار والظرف فقال. (ص) نحو زيد في الدار (ش) هذا مثال للمجرور، أي حاصل أَوْ كائن في الدار، أَوْ حصل لَوْ كَانَ في الدار. (ص) وزيد عندك (ش) وهذا مثال للظرف، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ ظرف الزمان والمكان، نحو: السفر يوم الجمعة. وزيد أمامك، وَلَا يكون اسم زمانٍ خبراً عن اسم عين، فلا تقول زيد أمس وَلَا زيد اليوم لعدم الفائدة. ويكون اسم الزمان خبراً عن المعنى، نحو: الصيام غداً، أَوْ السُّفْرُ يوم الجمعة، ثم إن وَقَعَ في جميعه أَوْ أَكثَرُه. وكان نكرة، رفع غالباً، نحو

السفر يوم، أو السفر شهر، إذا كان السفر في أكثره، لأنه لا اشتغاقه إيّاه، صَارَ كأنه هو، ومنه قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ لوقوع الحج في أكثرها، ولا يمتنع نَضْبُهُ وَلَا جَرُّهُ خِلافًا لِلْكُوفِيِّينَ. وإن كَانَ الزَّمانَ معرفة، نحو الصيام يوم الجمعة لم يكن إِلَّا الرِّفْعَ غَالِبًا، كما في الأول عند البصريين. فَإِن وَقَعَ الفِعْلُ لا في أكثر الزمان، سواء كان الزَّمانَ معرفًا أو منكرًا، فالأغلب نضبه أو جرّه يعني اتفاقًا بين الفريقيين. نحو: الخروج يومًا أو في يوم، والسفر يوم الجمعة، أو في يوم الجمعة، ويجوز رفعه قال في التسهيل: وربما رفع خبر الزَّمانَ الموقَّعَ في بعضه، ويفعل ذلك في المَكَانَ المتصرف، بعد اسم عين، راجحًا إن كَانَ المَكَانِي نكرة، وَمَرْجُوحًا إن كَانَ معرفة. أنظر بقيته فيه، ثم مثلَ للجُمْلَةِ فقال. (ص) وَزَيْدٌ قام أبوه (ش) وهو مثال للفعل مع فاعلٍ. (ص) وَزَيْدٌ جاريتُه ذاهبة (ش) وهو مثال للمبتدأ مع خبره، فجملة قام أبوه خبر. وهي جُمْلَةٌ صغرى بأنضمامها إلى المبتدأ، تكون كبرى ذات وخبرين، وجاريتُه ذاهبة، خبر عن زيد جملة صغرى ومع المبتدأ جملة كبرى، ذات وجه واحد، وَلَا بَدْءَ لِلجُمْلَةِ الواقعة خبرًا من رابطٍ يربطها مع المبتدأ، كانت اسمية أو فعلية، يكون ضميرًا؛ وهو الأَصْل، كالهاء في زيد قام أبوه. ويعني عنه اسم الإشارة، كقوله تعالى: ﴿وَلِيَّاسَ النَّقُوتَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾. فيمن رَفَعَ أو تكرر المبتدأ بلفظه، كقوله تعالى: ﴿الْفَكَارَةَ مَا الْقَارِعَةَ﴾ أو مغناها، نحو زيد جَاءَنِي، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِذَا كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ كُنْيَةَ لَهُ. قاله الأخفش، مستدلًا بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُسَيِّئُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضْمِعُ أَجْرَ الصَّالِحِينَ﴾. أو عموم يدخل تحته المبتدأ. نحو زيد نغم الرجل. وهذا ما لَمْ يَكُنِ الجُمْلَةُ هي نفس المبتدأ في المعنى. وإلا فلا تحتاج إلى رابط. نحو: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. وقول القائل هجيراً أبي بكر لا إله إلا الله. أي ديدنه وشغله هو هذه الكلمة.

تَنْبِيْهُ تَتَعَدَّدُ المبتدئيات إلى عشرة فأكثر، ويخبر عنها بخبر واحد، نحو زيد أبوه أخوه خاله ابنه ابنته، ضمرها جاره جاريتته. سيدها صديقه قائم. فقائم خبر عما قبله؛ وهو مع خبره، خبر عما قبله، وهكذا إلى الأول، ولا بد في كل جُمْلَةٍ من رابطٍ كالمثال المذكور. فَإِن قلت: أي فائدة في تعدد المبتدأ في قولك، زيد أبوه منطلق، وهلاً قلت: أبو زيد منطلق، فيكون أخص. فالجواب: إن ذكر الشيء مرتين أوكد من ذكره مرة. وأيضاً: قد وقع الإلباس في قولك: أبو زيد منطلق. فلا يُدْرَى هل أبوه النسب أو الكنية، وأيضاً في جعل زيد وشبهه مبتدأ، عناية واهتمام بشأنه بخلاف ما إذا كان خشواً مضافاً. وبهذه المسألة استدلت الصوفية، على أن

الفقير الصابر، أعظم من الغني الشاكر. وذلك أَنَّ سيدنا سليمان عليه السلام ذُكر مضافاً لأبيه، ومنخرطاً في سِلْكِه، ممتثلاً به عليه. وَلم يُذكر مستقلاً بنفسه، وكان من الأغنياء الشاكرين، بخلاف سيدنا أيوب عليه السلام، فإن ذكر له ترجمة مستقلة فقال: «وَأَذْكَرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ». فتأملهُ. ذكر ذلك صاحب القوت. فائدة: الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة. والأصل في الخبر أن يكون نكرة، فإن قلت: ما الفرق بين المبتدأ أو الفاعل، حتى جوزوا تنكير الفاعل، من غير مسوِّغ دون المبتدأ. فأجازوا جاء رَجُلٌ، ولم يجيزوا رجل جاء، وَكِلَاهُمَا مُسْنَدٌ إِلَيْهِمَا فِي الْمَعْنَى. فالجواب، إِنَّ الْعَرَبَ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَتَأَنَّقَ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ، لِيَقَعَ الْإِضْغَاءُ إِلَيْهِ. فإذا كَانَ أَوَّلَ الْكَلَامِ مَجْهُولاً ولم تلتفت إِلَيْهِ، ولم تتشوق إلى تمامه. والنكرة مجهولة، بخلاف الفعل، فإنه يدل على وقوع شيء، فتتشوق إلى فاعله، فيقع الإضغاء إلى ذلك الْكَلَامِ، والله تعالى أعلم. وقد تكلم النَّاسُ في مسوغات الإبتداء بالنكرة، فمنهم الْمُقَلِّلُ، ومنهم الْمُكَثِّرُ. ولم يشترط سببونه إلا حُصُولَهُ أَوْ يَنْكَرَانَ، بشرط الفائدة، وحصولها غالباً عند تنكير المبتدأ بأن يكون وُضْعاً أَوْ مَوْضُوفاً، ظاهراً ومقدراً، أو عاملاً أو معطوفاً عليه، أو مقصوداً به العموم أو الإبهام، أو ما في الاستفهام، أو نفي لولا. أو واو الحال أو فاء الجزاء، أو ظرف مختص، أو لاحق به، أو ما يكون دعاءً أو جواباً، أو واجب التَّصْدِيرِ، أو مقدراً إيجابه بعد نفي هـ.

ومن المصوغات، أن يدلَّ المبتدأ على خرق العادة، كقولك: ذيب تكلم، أو بقرّة تكلمت. تنبيه: يَجُوزُ حَذْفُ مَا عَلِمَ مِنْ مَبْتَدَأٍ أَوْ خَبَرٍ، أَوْ هُمَا مَعاً. فَمِنْ حَذْفِ الْمَبْتَدَأِ. قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ أَسَاءَ فَلَعَلَّهَا﴾ أي فَعَمَلَهُ لِنَفْسِهِ، وَمِنْ أَسَاءَ، فإساءته عليها، ومنه قوله تعالى: ﴿فَصَبِّرْ جَبِيلٌ﴾. أي فَأَمْرِي صَبْرٌ جَمِيلٌ. ويجوز أن يكون مِنْ حَذْفِ الْخَبَرِ، أي فَصَبِرْ جَمِيلٌ أَمْثَلُ، ومن حذف الْخَبَرَ، خرجت فإذا زِيدَ، أي حَاضِرٌ. وقد يجب حذفه إذا وَقَعَ بَعْدَ لَوْلَا الْإِمْتِنَاعِيَّةِ. إذا علق الإمتناع على نفس المبتدأ، نحو: لولا زيد لأكرمتك، أي موجود، وَمِنْ حَذْفِهِمَا مَعاً، إذا دَلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَلْبَسِي لِرَبِّكِ حِجْرًا﴾ أي فَعِدَّتَهُنَّ ثَلَاثَةٌ أَشْهُرٌ، ومن حذفهما مفترقين، قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلِمْتُ لِقَوْمِ سُكْرُونَ﴾. أي عليكم سلام، أنتم قوم منكرون فرع، قال في التسهيل، وقد يكون للمبتدأ خبران فصاعداً بعطفٍ وبغير عطفٍ. وليس من ذلك ما تعدد لفظاً دون معنى. ولأما تعدد بتعدد صاحبه. حقيقة أو حكماً والله تعالى أعلم.

الإشارة: المبتدأ به والمنتهى إليه هو الحق جلَّ جلاله. قال تعالى: ﴿الْأَوَّلُ

وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ» وقال تعالى: «وَأَنَّ إِلَيْنَا الْمُنْتَهَى». والمبتدأ: إشارة إلى الذات العلية الأزلية، في حال الكنزية قبل التجلي. والخبر إشارة إلى حال الذات بعد التجلي؛ لأن ما وقع به التجلي من الفروع الكونية، أسماء لمسميات متعددة لفظاً. متحدة معنئ. وهي مُسْتَدَّة إلى ما وقع به الإبتداء: وهو الذات العلية الأزلية؛ لِإِنِّهَا فَرَعٌ عَنْهَا وَمِنْ تَجَلُّلٍ مِنْ تَجَلِّيَاتِهَا، قال صاحب العينية:

تَجَلَّى حَبِيبِي فِي مِرَاةِ جَمَالِهِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ لِلْحَبِيبِ طَلَائِعُ
فَلَمَّا تَبَدَّى حُسْنُهُ مَتْنَوَعًا، تَسَمَّى بِأَسْمَاءٍ فِيهِ مَطَالِعُ. وفي الحديث القدسي
«كُنْتُ كَنْزًا لَمْ أُعْرَفْ. فَأَخْبَيْتُ أَنْ أُعْرَفَ. فَخَلَقْتُ خَلْقًا فَتَعَرَفْتُ لَهُمْ. فِيَّ عَرَفُونِي». أي فأظهرت من سري الكنز خلقاً. وجعلت فيهم عقلاً. فتعرفت لهم، فعرفوني بي لا بعيري، إذ لا شيء معي. فالمبتدأ هو الاسم المرفوع القدر، العظيم الشأن العاري عن العوامل، أي المنزه عن التأثر والإنفعال، الذي هو الواجب الوجود، السابق غير مسبوق. والعامل غير معمول هو المؤثر في الأشياء كلها بقدرته وإرادته. وقهرته وإحاطته. تعالى جده. وتعاضم شأنه: أن يلحقه نقص، أو يحتاج إلى شيء، بل هو العني عما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه. (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد)، والخبر: هو الاسم المتحد بالذات وإن تعددت أسماؤه؛ وهو ما وقع به التجلي من الفروع الكونية، والتجليات الجمالية والجلالية، المرفوع، أي المرفوعة القدر، من حيث أنها سر من أسرار الذات، ونور من نورها، وإن وقع في الظاهر نقص في بغض أنواعها. فمن جهة الباطن عين الكمال، وفي ذلك يقول الجيلاني رضي الله عنه:

وكل قبيح إن نسبت لحسنه أتتك معاني الحسن فيه تسارع
يكمل نقصان القبيح جماله فماتم نقصان ولائم باشع
المسند إليه فعلاً وإبداعاً، واختراعاً وتجلياً، والمبتدأ قسماً، ظاهر عند العارفين، بظهور تجلياته، فلا يرون معه غيره كما قال شاعرهم:

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ لَمْ يَبْقَ كَائِنٌ فَمَاتَمَ مَوْضُوعٌ وَلَا تَمَّ بَائِنٌ
بِذَا جَاءَ بُرْهَانِ الْعِيَانِ فَمَا أَرَى بَعَيْنِي إِلَّا عَيْنَهُ إِذْ أَعَايِنُ
ومضمر، أي خفي عند الغافلين. يستدلون بالأشياء عليه، وفي الحكم: شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه المستدل به عرف الحق لأهله، وأثبت الأمر

من وجود أَضْلِيهِ. والاستدلال عليه، من عَدَم الوصول إليه هـ. والخَبَرُ الذي ظَهَرَ للعيان، من عَالَم الغيبِ إلى عالم الشهادة، قسمان أيضاً. مفرد وهو ما لَيْسَتْ له مادةٌ محصورة، كالملائكة والجن. وغير مُفْرَدٍ؛ وهو مَالُهُ مَادَّةٌ محصورة؛ وهو المركَّبُ من جِسْمٍ وَلَحْمٍ وَدَمٍ، أو من جَوَاهِر حَسِيَّةٍ، والكلُّ منه وإليه، وبالله التوفيق.

بَابُ العَوَامِلِ الدَّاخِلَةِ عَلَى المَبْتَدِ وَالخَبَرِ؛ وَتَسْمَى التَّوَاسِخُ؛ لِأَنَّهَا نَسَخَتْ حَكْمَ الإِبْتِدَاءِ؛ العَامِلُ فِي الخَبَرِ، وَصَارَ العَمَلُ لَهَا؛ وَهِيَ شِيَأَنٌ: أفعالٌ وحروفٌ، فَالأفعالُ كَانِ وَأَخَوَاتُهَا، وَظَنَنْتُ وَأَخَوَاتُهَا، والحروفُ أَنْ وَأَخَوَاتُهَا، وَلَا وَلَاتٌ وَأَنْ المشبهات بليْس. (ص) وهي ثلاثة أشياء. (ش) ما يرفع المبتدأ، وَ يَنْصَبُ الخَبَرَ. وهي: (ص) كَانٌ وَأَخَوَاتُهَا (ش). وما يَنْصَبُ المَبْتَدَأَ وَيُرفِعُ الخَبَرَ؛ وهي: (ص) إِنَّ وَأَخَوَاتُهَا (ش) وما يَنْصَبُ الجَزَيْنِ؛ وهي: (ص) ظَنَنْتُ وَأَخَوَاتُهَا (ش) ثُمَّ بَيَّنَّ عَمَلُهَا فَقَالَ: (ص) قَامًا كَانِ وَأَخَوَاتُهَا، فَإِنَّهَا تَرْفَعُ الأَسْمَ. (ش) رَفَعًا جَدِيدًا عِنْدَ البَصْرِيِّينَ. وَقَالَ الكُوفِيُّونَ، هُوَ مَرْفُوعٌ بِمَا كَانِ مَرْفُوعًا بِهِ قَبْلَ دُخُولِهَا. وَزَدَ بِاتِّصَالِ الضَّمِيرِ بِهِ فِي كِنْتِهِ، وَلَا يَتَّصِلُ إِلَّا بِالأفعالِ. (ص) وَتَنْصَبُ الخَبَرَ (ش) اتِّفَاقًا، لَكِنْ انْتَصَبَ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ لَهَا. وَعِنْدَ الكُوفِيِّينَ عَلَى أَنَّهُ حَالٌ. وَقَدْ يُسَمَّى اسْمُهَا فاعلاً مجازاً، وخبرها مفعولاً مجازاً. (ص) وهي كَانِ (ش) نحو كان اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا. وهي لا تَصِفُ المَخْبِرَ عَنْهُ بِالخَبَرِ فِي المَاضِي. إِذَا مَعَ الدَّوَامِ، كَالْمَثَالِ. وَإِذَا مَعَ الإِنْقِطَاعِ، نَحْوُ: كَانِ الشَّيْخُ شَابًا. وَهِيَ أَمُ البَابِ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ دَاخِلٌ تَحْتَ الكَوْنِ، لَا يَنْفَكُ شَيْءٌ عَنْ مَعْنَاهَا، وَمَنْ ثُمَّ صَرَفُوهَا تَصْرِفًا تَامًا عَلَى مَا يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ. وَحَذَفُوا نَوْنَهَا، نَحْوُ: «وَلَمْ تَكُ شَيْئًا» (ص) وَأَمْسَى (ش) وَهِيَ لِاتِّصَافِ المَخْبِرِ عَنْهُ بِالخَبَرِ فِي المَسَاءِ، نَحْوُ أَمْسَى زَيْدٌ عَالِمًا. (ص) وَأَضْحَى (ش) وَهِيَ لِاتِّصَافِ المَخْبِرِ عَنْهُ بِالخَبَرِ فِي الضُّحَى بِنَحْوِ: أَضْحَى زَيْدٌ وَرَعًا. (ص) وَظَلَّ (ش) وَهِيَ لِاتِّصَافِ المَخْبِرِ عَنْهُ بِالخَبَرِ فِي النِّهَارِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا﴾ (ص) وَبَاتَ (ش) وَهِيَ لِاتِّصَافِ المَخْبِرِ عَنْهُ بِالخَبَرِ فِي اللَّيْلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَيِّثُوكَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (ص) وَصَارَ (ش) وَهِيَ لِلتَّحْوِيلِ؛ وَالإِنْتِقَالِ. نَحْوُ صَارَ الطَّيْنُ إِبريقًا (ص) وَلَيْسَ (ش) وَهِيَ لِنفْيِ الحَالِ عِنْدَ الإِطْلَاقِ، وَالتَّجَرُّدِ عَنِ القَرَائِنِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ (ص) وَمَا زَالَ وَمَا انْفَكَّ وَمَا فَتِيَءٌ وَمَا بَرِحَ (ش) وَهَذِهِ الأفعالُ تَفِيدُ مُلَازِمَةَ المَخْبِرِ عَنْهُ لِلخَبَرِ عَلَى حَسَبِ مَا يَتَّقَضِيهِ الحَالُ، نَحْوُ: مَا زَالَ الجُودُ مَحْبُوبًا. وَمَا انْفَكَّ عَمَرُو جَالِسًا.

وَمَا فَتِيءَ الْعِلْمُ نَافِعًا. وما برح الجهل مضرًا (ص) وَمَا دَامَ (ش) وهي للإستمرار، نحو لَأَ رَاحَةَ لِلْعَبِيدِ مَا دَامَ مُسْجُونًا بِمَحِيطَاتِهِ، محصوراً في هيكل ذاته؛ وهذه الأفعال المذكورة، منها ما تَعْمَلُ بِلَا شَرْطٍ؛ وهي ثمانية: كان وليس وما بينهما. ومنها ما تَعْمَلُ بِشَرْطٍ تَقْدِمُ نَفْسِي أَوْ شَبِيهِه؛ وهي زال وفتيء وانفك. وَبَرَحَ وَالْمُرَادُ بِشَبِيهِ النَّفْسِي النَّهْيِ وَالذَّعَاءُ بِلَا خَاصَّةٍ. مِثَالُهَا بَعْدَ النَّفْسِي: «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ». «لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ». ومثله: «تالله تفتأ تذكر يوسف». أَي لَأَ تَفْتَأُ. وقول الشاعر:

عَئِيرَ مَنْفِكَ أَسِيرَ هَوَى كَلْ مَنْ لَهَى وَلَيْسَ يَفْتَقِرُ
وقال آخر:

لَيْسَ يَنْفِكَ ذَا غَيْئِي وَاعْتِزَّازِ كَلْ ذِي عَفَا يَقْلُ قَنْسُوعِ
وقال آخر:

فَلَمَّا بَرِحَ اللَّيْبُ إِلَى مَا يورث المجد ذاعياً ومجيباً
ومثالها بعد النهي قول الآخر:

صَاحِ شُمْرِهِ وَلَا تَزَلْ ذَاكَرَ الْمَوْتِ فَنَسِيَانِهِ ضَلَالِ مَبِينِ
ومثالها بعد الذعاء:

أَلَا يَا سَلَمْتِي يَا دَارَ مَتِي عَلَى الْبَلَاءِ وَلَا زَالَ مَشْهَلًا بِجَرِّ عَائِكَ الْقَطْرِ

ومنها ما يعلم بشرط تَقْدُمِ ما المَصْدَرِيَّةُ الظَّرْفِيَّةُ، وهي دَامَ، نحو ما دمت حياً، أَي أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَدَّةَ دَوَامِي حَيًّا، فَإِنْ لَمْ يَتَقَدَّمْ عَلَيْهَا مَا، أَوْ كَانَتْ غَيْرَ ظَرْفِيَّةٍ، كَانَتْ تَامَّةً، نحو دام زيد صحيحاً، أَوْ يعجبني ما دام زيد صحيحاً، أَي يعجبني دَوَامُهُ صحيحاً فما مصدرية، لكنها غير ظرفية، فصحيحاً حال المثاليين. وقوله: (ص) وَمَا تَعْرِفُ مِنْهَا. (ش) يَغْنِي يَعْمَلُ عَمَلَهَا كَالْمَصْدَرِ. واسم الفاعل، واسم المفعول، ثم هي باعتبار التصرف وعدمه على ثلاثة أقسام، منها ما يتصرف تصرفاً تاماً؛ وهي سبعة، كَانُ وَصَارَ، وَمَا بَيْنَهُمَا. ومنها ما يتصرف تصرفاً ناقصاً. وهي زال وأخواتها، فقد سمع لها المضارع، واسم الفاعل، ومنها ما لا يتصرف؛ وهو ليس باتفاق. ودام عند الجمهور ثم مثل بقوله: (ص) نحو كَانَ وَيَكُونُ وَكُنْ (ش) قال تعالى: «وَلَمْ أَكْ بِغَيًّا». ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً﴾. وقال الشاعر:

وَمَا كَانَ مَنْ يُبْنِي الْبَسَاشَةَ كَائِنًا أَخَاكَ إِذَا لَمْ تَلْفُهُ لَكَ مَنْجِدًا

وقال آخر:

ببَدَلٍ وَجَلْمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ الْفَتَى
 وَكَوْنَهُ إِيَّاهُ عَلَيْكَ يَسِيرُ
 وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَاتِنٌ لَكُمْ أَجْرًا
 وَكَاتِنٌ لَكُمْ وَزْرًا». وقس على هذا. (ص) تقول: كَانَ زَيْدٌ قَائِمًا. وليس عمرو
 شاخصًا. (ش) أَي مَسَافِرًا. (ص) وما أَشْبَهَ ذَلِكَ (ش). وقد تَسْتَعْمَلُ هَذِهِ الْأَفْعَالُ
 تَامَّةً، تَسْتَعْنِي بِالْفَاعِلِ عَنِ الْخَبَرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرٍ﴾ أَي حَضَرَ.
 ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ أَي تَدْخُلُونَ فِي الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ، مَا
 دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، أَي وَجَدْتَهَا، إِلَّا لَيْسَ وَزَالَ وَفَتِيءٌ، فَلَا تَسْتَعْمَلُ إِلَّا
 نَاقِصَةً، ثُمَّ شَرَعَ فِي إِنْ وَأَخْوَاتِهَا فَقَالَ: (ص) وَأَمَّا إِنْ وَأَخْوَاتِهَا، فَإِنَّهَا تَنْصِبُ
 الْأِسْمَ وَتَرْفَعُ الْخَبَرَ (ش) أَي رَفَعًا مَجْدَدًا؛ وَهُوَ مَذْهَبُ الْبَصْرِيِّينَ، وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ
 لِأَنَّ هُوَ بَاقٍ عَلَى رَفْعِهِ السَّابِقِ قَبْلَ دُخُولِهَا، وَإِنَّمَا عَمِلَتْ هَذِهِ الْحُرُوفُ، بِالْجَمَلِ
 عَلَى الْأَفْعَالِ؛ لِأَنَّ أَضْلَ الْجَمَلِ، وَإِنَّمَا هُوَ الْأَفْعَالُ دُونَ الْأَسْمَاءِ وَالْحُرُوفِ. فَإِنْ
 وَجَدَ عَامِلٌ لِلْحُرُوفِ أَوْ الْأَسْمَاءِ، فَلَشَبَّهَهَا بِالْأَفْعَالِ فِي اللَّفْظِ، أَوْ فِي الْمَعْنَى؛
 وَهَذِهِ الْحُرُوفُ، لَمَّا أَشْبَهَتْ الْمَاضِي فِي الْبِنَاءِ عَلَى الْفَتْحِ، وَكَوْنِهَا عَلَى ثَلَاثَةِ
 أَحْرَفٍ، وَدُخُولِ نُونِ الْوَقَايَةِ عَلَيْهَا، وَتَضَمْنِهَا مَعْنَى الْأَفْعَالِ، فَمَعْنَى: إِنْ وَأَنْ
 حَقَّقَتْ، وَكَأَنَّ شَبَّهَتْ، وَلَكِنْ اسْتَدْرَكْتَ، وَلَيْتَ تَمْنَيْتَ، وَلَعَلَّ تَرْجَيْتَ عَمِلَتْ
 بِالْحَمْلِ عَلَيْهَا، وَهَذَا فِي عَمَلِ النَّضْبِ وَالرَّفْعِ. وَأَمَّا الْحُرُوفُ الَّتِي تَجْرُ فَعَمَلُهَا
 أَضْلِي مِنْ غَيْرِ شَبِّهِ. كَمَا قَالَ ابْنُ جَنِّي وَغَيْرُهُ. ثُمَّ عَدَّهَا فَقَالَ: (ص) وَهِيَ إِنْ (ش)
 يَكْسِرُ الْهَمْزَةَ، وَشَدَّ الثُّونَ. (ص) وَأَنْ (ش) يَفْتَحُ الْهَمْزَةَ وَالشَّدَّ. وَالْمَكْسُورَةُ هِيَ
 الْأَصْلُ. وَالْمَفْتُوحَةُ فَرَعُهَا؛ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ مَعَ الْمَكْسُورَةِ مُسْتَقْلِلَةٌ بِنَفْسِهَا، غَيْرُ مُؤَوَّلَةٌ
 بِالْمَفْرُودِ، وَالْمُسْتَقْبَلُ أَضْلُ الْمُؤَوَّلِ، وَقِيلَ الْمَفْتُوحَةُ أَضْلُ، وَقِيلَ: كِلَاهُمَا أَضْلُ
 (ص) وَكَأَنَّ وَلَكِنَّ (ش) بِشَدِّ الثُّونِ. (ص) وَلَيْتَ وَلَعَلَّ تقول: إِنْ زَيْدًا قَائِمٌ وَلَيْتَ
 عَمْرًا شَاخِصٌ. (ش) وَكَأَنَّ زَيْدًا أَسَدٌ. «وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ» يَا لَيْتَنِي
 كُنْتُ مَعَهُمْ «وَلَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ». وَعَمِلَ هَذِهِ الْحُرُوفُ مُقِيدًا؛ إِذَا لَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهَا
 مَا الزَّائِدَةُ. فَإِنَّ دَخَلَتْ عَلَيْهَا بَطَلَ عَمَلُهَا، لِزَوَالِ اخْتِصَاصِهَا بِالْأَسْمَاءِ نَحْوُ: «إِنَّمَا
 اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ». «كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ» إِلَّا لَيْتَ فَيَجُوزُ فِيهَا الْوَجْهَانِ؛ الْعَمَلُ
 وَعَدَمُهُ. قَالَ الشَّاعِرُ:

أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا وَنَصْفِهِ فَقَدْ

وروي بنصب الحمام ورفعها، وقيل يجوز الإغمال بقله. فما الزائدة قد تبطل العمل كما هنا، وقد توجه كما تقدم في حيثما وإذ ما وألغز الجلال السيوطي فقال:

ألا أيها النحوي إن كنت بارعاً وأنت لأقول النحاة تفضل
وأحكمت أبواب الأحاجي بأسرها ابن لي عن حرف يولي ويعزل

فإن قلت لم، أبطلت العمل في إن وأخواتها. ولم تبطله في حروف الجر. قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ﴾. ﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾. قلت: لأن حروف الجر عملها بالأصالة كما تقدم بخلاف إن وأخواتها، فبالحمل على الفعل كما قدمنا، فضعف أمرها. فأقل شيء يبطل عملها. (ص) فمعنى: إن وأن للتوكيد (ش) أي توكيد التسمية، ونفي الشك عنها، إذا كان المخاطب متردداً. فإن كان جاحداً، زيد التوكيد بالقسم. والحاصل: أن المخاطب إذا كان خالي الذهن. ألقى إليه الكلام غير مؤكد بشيء. فإن كان متردداً أكد له الكلام بأن. وإن كان منكراً له بأن والقسم. كقوله تعالى في قصة رسل عيسى: قالوا ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾. فألقوا إليهم الكلام غير مؤكد باللام. فلما أنكروا وجحدوا قالوا ربنا يعلم إننا إليكم لمرسلون، فربنا يعلم بمنزلة القسم. فالتوكيد لنفي الشك مستحسن. ولنفي الإنكار واجب. ولغيرهما لا ولا. (ص) وكأن للتشبيه. (ش) المؤكد لتركيبه من كاف التشبيه. وإن المفيدة للتوكيد، نحو: كأن زيدا أسد، أو حمارة. مما الخبر فيه أرفع من الاسم أو أخفض (ص) ولكن للاستدراك (ش) وهو تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه نحو زيد شجاع لكنه بخيل؛ لأن إثبات الشجاعة توهم ثبوت السخاء؛ لأن من سخى بنفسه، فيماله أولى فرجع بذلك الإيهام بالاستدراك. وتقول: زيد بخيل لكئه شجاع، لأن ثبوت البخل، يوهم نفي الشجاعة فأثبتته بالاستدراك. (ص) وليت للتمني (ش) وهو ما لا طمع فيه، أو ما فيه عشر فالأول كقول الشيخ: ليت الشباب يعود يوماً. والثاني: كقول الفقير المنقطع الرجاء: ليت لي مالا فأحج به. (ص) ولعل للترجي (ش) ويكون في المحبوب، نحو: لعل الحبيب قادم (ص) والتوقع. (ش) أي الانتظار. كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَبُرَ بَعْثُكَ﴾. ويكون في المحبوب والمكروه غير أن المحبوب فيه الترجي. والمكروه يقال فيه الإشفاق والتوقع. يصدق عليهما معاً فلو اقتصر على التوقع. أو قال الترجي والإشفاق لكان أقرب. وفي لعل لغات، تركنا ذكرها إذ ليس فيها غرض،

نحو: وقال المؤلف: ومعنى: إِنَّ وَأَنَّ للتوكيد. الصواب إسقاط اللام، فيقول: ومعنى إِنَّ وَأَنَّ للتوكيد الخ تتمات: الأولى: إذا خفقت إن المكسورة قل عملها كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ﴾ ومن إعمالها قراءة نافع. «وإن كلاً لَمَا لِيُوقِيَتَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ». وإذا أهملت فالأكثر أن يليها فعل ناقص. ليبقى أثرها في الجملة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَاذِبُ الْإِنِّ كَفَرُوا﴾. «وَإِنْ تَطَّنْكَ لِيَنَّ الْكَذِبِينَ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَتْسِقِينَ»، وإذا خَفَقَتِ المفتوحة لم تُهْمَل. ويكون اسمها ضمير شأن ويفصل خبرها إن بُدِيَء بفعل متصرف غير دعاءٍ بقَدْ. «وَتَعْلَمُ أَنَّ قَدْ صَدَقْنَا» أو نفي عَلِمَ أَنَّ لَنْ تحصوه. أو تنفيس. نحو: «عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرَضَى» أو لَوْ، نحو: «وَأَنَّ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ». وإنما فصلت بهذه الأشياء. لئلا تلتبس بأن المصدرية؛ لأنَّ المصدرية لا تدخل على هذه الأشياء أبداً. وإذا خَفَقَتْ كَانَتْ أُعْمِلَتْ محذوفة الاسم. والجملة بعدها خَبَر. ويجوز إظهاره كقول الشاعر:

وَيَوْمًا تَوَافَيْنَا بِوَجْهِ مَقْسَمٍ كان ظبية تعطوا إلى ورقة السلم
رُوي برفع ظبية ونصبها وجرها، على زيادة أن، أي كظبية. وتفصل بقدر إن
بُدِئَتْ بماض، نحو: كَانَ قَدْ قَامَ زَيْدٌ وَبِكَمْ، إن بُدِئَتْ بِمضارع كقوله تعالى: ﴿كَانَ
لَمْ تَقَعِ بِالْأَمْسِ﴾ وتخفف، فكن فَتُهْمَل، وتكون حَرْفٌ عطف، نحو ما قام زيد
لكن عمرو وعن يوسف والأخفش جواز إعمالها. الثانية: يجوز تقديم خبر هذه
الحروف على اسمها، إذا كان مجروراً وظرفاً. نحو: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ». ونحو: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ» وَإِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا». وأما تقديم خبرها عليها
فلا يجوز بخلاف كان وأخواتها فيقدم، ويتوسط. ويكون ذلك جائزاً أو واجباً، إن
كَانَ لَهُ صَدْرُ الْكَلَامِ. نحو: كَيْفَ كَانَ بَدَأَ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. الثالثة:
يجوز حذف اسمها، إذا عَلِمَ. قال في التسهيل: وَلَا يَخْتَصُّ حَذْفُ الْأَسْمِ الْمَفْهُومِ
معناه بالشعر. وقل ما يكون إلا ضميراً لشأن عليه يُخْمَلُ: إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَصُورُونَ. أي إنه من أشد الخ. لا على زيادة خلافاً للكسائي. وإذا
علم الخبر جاز حذفه مطلقاً، خلافاً لِمَنْ اشترط تنكير الاسم. وقد يستد مصدره
واو المصاحبة والحال، والتزم الحذف في لَيْت شعري، مردفاً باستفهام. ومن
حذف لخبر، قول الشاعر:

أَلَا إِنَّ نَاسًا مِنْ قَرِيشٍ تَفَضَّلُوا على الناس وابن المكارم تهشلا
أَي تَفَضَّلُوا عَلَى النَّاسِ، وقد تنصب الجزئين معاً، كقول القائل: إِنَّ حِرَاسَنَا

أسدأ، قال في التسهيل، ويجوز نصبها بليت عند الفراء. وبالخمسة عند بعض أصحابه. وما استشهد به محمول على الحال، أو على إضمار فعل؛ وهو أي الكسائي، ثم شرع في القسم الثالث فقال: (ص) وأما ظنٌ وأخواتها فإنها تنصب الاسم والخبر، على أنهما مفعولان لها. (ش) أي عند البصريين. وقال الكوفيتون الثاني حال. ونازع السهيلي في دخولها على المبتدأ والخبر (ص) وهي (ش) قسمان، فعل قلب، وفعل حاسّة الثاني. سمعت والأول ما سواها؛ وهي ثلاثة أقسام: قسم يدل على اليقين. وقسم يدل على الرجحان، وقسم يدل على التحويل، فمما يدل على الرجحان (ص) ظننت (ش) نحو ظننت زيدا صديقاً. وقد تدل على اليقين، كقوله تعالى: ﴿يُظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلِقُوا رِيبَهُمْ﴾ إذ لا يكفي الظن في اعتقاد البعث، وإنما عبر الحق تعالى بالظن اغتفاراً للخواطر، ولطفاً بالضعفاء. قال الورتجبي: وإنما أقام الظن مقام اليقين؛ لأن في الظن طرفاً من اليقين. وإنما ذكر الظن إبقاء على المُدْبِئِينَ. وتوفراً على العاصين الذين ليس لهم صفاء اليقين، ولو ذكر اليقين صرفاً لخرجوا من الجملة. (ص) وحسبت (ش). نحو قول الشاعر:

حَسِبْتُ التَّقَى وَالْجُودَ خَيْرَ تَجَارَةٍ إِذَا مَا الْمَرْءُ أَضْبَحَ ثاقلاً
(ص) وَخَلْتُ (ش) كقول الشاعر:

ضعيف النكايه أعداؤه
يخال الفرار يراضي الأجل
(ص) وَزَعَمْتُ (ش) نحو:

زعمتني شيخاً ولست بشيخ
إنما الشيخ من يدب دبيبا
وَمِمَّا يَدْخُلُ عَلَى الْيَقِينِ (ص) رَأَيْتُ (ش) كقول الشاعر:

رَأَيْتُ اللَّهَ أَكْبَرَ كُلِّ شَيْءٍ مَحَاوِلَةَ وَأَكْثَرَهُمْ جَنُودًا
(ص) وَعَلِمْتُ (ش)؛ وهي كَرَأَيْتُ. قد تُفِيدُ الْيَقِينِ، كقوله تعالى: ﴿قَالَ

أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾. وقد تُفِيدُ الظَّنَّ، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ وَقَدْ تُفِيدُ الْعِرْفَانَ، فَتَتَعَدَّى إِلَى وَاحِدٍ فَقَطْ.

نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَقْلُبُوكَ شَيْئًا﴾. أَيْ لَا تَعْرِفُون. (ص) وَوَجَدْتُ (ش) وَقَدْ تُفِيدُ الْيَقِينِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَحْسَنَهُمُ لَفَنَسِيقِينَ﴾. وَمَا يَدُلُّ عَلَى

التحويل (ص) اتَّخَذْتُ (ش) نَحْوُ: «وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا». (ص) وَجَعَلْتُ (ش) نَحْوُ: «فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا». وَذَكَرَ الْمُصَنِّفُ جَعَلْتُ إِثْرَ اتَّخَذْتُ، يَدُلُّ عَلَى

أنه أزداد التحويلية. وقد تكون كاعتقاد، نحو: «وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً». وأما (ص) سمغت (ش) فعند الجمهور تتعدى إلى مفعول واحد، نحو: سَمِغَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ. النبي مفعول به. ويقول حال. وعند أبي علي تنصب المفعولين، وعليه ذهب المصنف. فجملة يقول: مفعول ثان، وهذا الخلاف إنما هو إذا دخلت على ما لا يصح أن يسمع. كسمعت زيداً يتكلم. وأما إن دخلت على ما يصح أن يسمع، كسمعت كلام زيد، فلا تتعدى إلا لواحد فقط اتفاقاً، ثم مثل بقوله: (ص) نحو: ظننتُ زيداً منطلقاً. وحلت عمراً شاخصاً. وما أشبه ذلك. (ش) قلت: بقي على المصنف، أفعال من أفعال القلوب، تتعدى إلى مفعولين، منها ما تفيد اليقين. ومنها ما تفيد الرجحان. وقد نظمها بعضهم فقال:

الفى درأ كذا تعلم وجذ كل مفيد لليقين إن ورذ
ولليقين غالباً رأى علم وظن وخل وحسب عكس علم. أصار للتقصير صير
واتخذ، جعل ردّ ووهب ثم اتخذ.

وقد تتعدى رأى العلمية إلى مفعولين كعلم، لكونها مثلها، في كونها إدراكاً بالعلمي الباطني، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرِنِّي أَخَصِرُ خَمْرًا﴾ فالياء مفعول أول وأعصر في محل الثاني. وقول الشاعر:

أراهم رفقتي حتى إذا ما تجافى الليل وانخذل انخذالاً
تتميم: قد تُلغى هذه الأفعال إذا تقدم عليها معمولاً ما أو توسطت. وقد تعلق
إذا فصل بينها وبين معمولها ماله صدر الكلام، نحو: ظننت ما زيد قائم. أو ظننت
زيداً ما هو قائم قال تعالى: ﴿وَطَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ حَيَاتٍ﴾. وقد تسد أن المفتوحة ما
سد مفعولها، نحو ظننت أن زيداً عالم. ومنه: «يظنون أنهم ملأوا ربهم». وقد
يحذف المفعولان أو أحدهما للدليل، كقول الشاعر في شأن أهل البيت: بأي
كتاب أو بأي سنة ترى حُبهم عاراً علي وتحسب، أي وتحسب حبتهم عاراً علي.
قال في الألفية:

ولأجزهم بلا دليل سقوط مفعولين أو مفعول..
والله تعالى أعلم.

الإشارة: نواسخ الابتداء، إشارة إلى نواسخ الأحكام الذاتية؛ التي تتعلق
بالذات القديمة؛ التي هي مبتدأ الأشياء، ومنتهانها. ويكون النسخ في الأحكام

الشرعية، ومعناه: ابتداء الحكم إلى وقت معلوم ثم يستأنف حكماً آخر على سابق الإرادة. ويكون في شرائع الملل، وفي الشريعة الواحدة، ينسخ بعضها بعضاً، كما هو مقرر في محلّه. ويكون في الأقضية البارزة، إلى عالم الشهادة، فيظهر الله تعالى للملائكة أموراً يعلّقها على أسباب وشروط، عَلِمَ أَنَّهَا لَا تَوْجِدُ، فإذا أَرَادَ الْمَلِكُ الْمَوْكَلُ بِذَلِكَ الْفِعْلَ إِبْرَازَهُ. أظهر الله خلاف ذلك ليظهر اختصاصه تعالى بالعلم الحقيقي الذي لا يتبدّل ولا يتغيّر؛ هو أم الكتاب. فيقع النسخ بهذا المعنى بالسعادة، والشقاوة، والأعمار، وغيرها من القضايا، التي تبرز عند الحق تعالى. ولذلك كَانَ سَيِّدَنَا عَمْرُ وَابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولَانِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنِي مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فامحيني واكتبني من أهل السعادة. وأما العلم الأصلي الذي هو الأم، فلا يتبدّل ولا يتغيّر. وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُنْسَخَ فِي الْأَخْبَارِ؛ لأنه يلزم عليه الكذب. ويقع النسخ أيضاً في واردات القلوب الصافية. فيتجلى في طلب الولي أمر، فيخبر به، ثم ينسخه الله تعالى، ويظهر خلافه وَلَا يَقْدَحُ ذَلِكَ فِي وِلَايَتِهِ. وقد يشار هنا بالنسخ إلى تلوين الخمرة الأزلية، بالفروع التكوينية.

ويشير إلى كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ حَيْثُ لَا شَكْلٌ وَلَا رَسْمٌ، وَأَنْسَى وَأَصْبَحَ وَأَضْحَى إلى تلوينها بمرور الفلك، بالصباح والمساء والضحى، وبطلّ وبنات إلى تولينها بمرور الليل والنهار ويصار إلى تحويلها بالظهور والبطون، وبلينس إلى تنزيها، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَيَمَا زَالَ وَأَخَوَاتِهَا إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى؛ مَا لَا زَالَ وَلَا يَزَالُ وَلَا يَحُولُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ. فالتغيير عليه تعالى مُحَالٌ. وبِذَامٍ إِلَى دَوَامِ رُبُوبِيَّتِهِ أَرْزَالًا وَأَبْدًا. ومن شأن هذه الأفعال، أن ترفع الاسم، وتُعظّمه وتُجَلِّه، وهو الذي كَانَ مُبْتَدَأَ الْأَشْيَاءِ، وَأَضَلَّ ظُهُورَهَا، ورفعا له، دلالتها على تلون الآثار، وتنقل الأطوار، فندلّ على عظمة الواحد القهار. وتنصب الخبر؛ الذي هو عبارة عن الآثار لتجري أحكام الواحد القهار. وَأَمَّا إِنْ وَأَخَوَاتِهَا فتشير إلى أحوال الخلق، البارزة من حضرة الحق. وذلك ما يعتبر بها من تأكيدات الأمور، والعزم عَلَيْهَا لِإِدْرَاكِ نَتَائِجِهَا. إِمَّا دُنْيَوِيَّةً، أَوْ دُنْيَوِيَّةً. إِذْ لَا تُدْرِكُ الْأُمُورَ إِلَّا بِالْعَزْمِ وَالْجِدِّ وَسِيَّاتِي الْكَلَامِ عَلَيْهَا فِي بَابِ التَّوَكُّيدِ، وتشير أيضاً إلى ما ينزل بها من الرجاء والخوف، أو التمني والطمع الفارغ. وقد نهى الله عنهما فقال: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الآية، والمأمور به قوله: ﴿وَسَقَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا. وَأَمَّا ظَنَنْتُ وَأَخَوَاتِهَا فتشير إلى أحوال القلوب، فإن منها ما يدخل فيها اليقين الكبير الناشئ عن الشهود والعيان. وهو مقام

عين اليقين، أو حق اليقين، وهو مقام العارفين الراسخين في العلم باللّه، ولا سبيل له إلا بصحبة شيخ التربية، والدخول تحت تربيته. ومنها ما يدخلها الظنّ القوي الراجح؛ وهي قلوب أهل البُزْهان والاستدلال، فتارة يقوى عليهم الدليل، فيستشرفون على عين اليقين، وتارة يكر عليهم الخواطر الرديئة. فلا يبقى لهم إلا الظنّ القوي. ومنهم من تلعب عليهم الشكوك والأوهام فيموتون على الشك والعياذ باللّه. ولقد نقل عن الرّازي أنه كان يقول عند الموت: اللهم إيماناً كإيمان العجائز. وكتب إليه ابن العربي الحاتمي، فقال له: ايتني نعرفك قبل أن تموت جاهلاً به، فتنكره فيمن أنكره حين يتجلى لخلقِهِ هـ. وقال بعضهم: إيمان علماء الكلام، كالخيط المعلق بالهواء يميل مع كل ربح، والعياذ باللّه من الفتن، وسوء المِحن. وما رأيت أحداً حصل عن اليقين الكبير الذي هو عين اليقين، أو حق اليقين. الناشئ عن الشهود والعيان في زمننا هذا إلا شيخ شيخنا قطب دائرة التربية النبوية، مولاي العربي الدرقاوي الحسني، وشيخنا البوزيدي الحسني، وخواص أصحابهما رضي الله عنهُم. وأما الباقي فكلهم في سجن الأكوان، يستدلون بها على المُكوّن. فتارة يقوى يقينهم، ويتنور دليلهم، فيحصلون على علم اليقين. وتارة يضعف يقينهم، فتكّر عليهم الخواطر الرديئة. والوساوس الشيطانية. فيحصلون على الظنّ القوي: عالماً كان أو صالحاً، أو عابداً، أو زاهداً وبالله التوفيق.

بَابُ النَّعْتِ

قلت: النّعتُ عبارة الكوفيين، والوصف عبارة البصريين، وهل هما مترادفان. المشهور كذلك. وحال بعضهم: النّعت يتغيّر. والوصف لا يتغيّر، ولذلك يُقال: أوصاف الله، ولا يُقال نعوتُهُ. وبدأ بالنّعت، ثم بالنسق، ثم بالتوكيد ثم بالبَدَل. وعكس غيره، وإذا اجتمعت في كلام واحد، قدّم النّعت، ثم البيان، ثم التوكيد، ثم البَدَل، ثم النسق. ورَمَزَ بعضهم بقوله:

نَبَتْ دُوقٌ، فَالْثُونُ لِلنّعْتِ، وَالبَاءُ لِلبَيَانِ، وَالثَّاءُ لِلتوكِيدِ. وَالدَّالُّ لِلبَدَلِ.
والقاف للنسق. تقول: جاء زيد العاقل برهان الدين نفسه أخوك وعمرو، وحقيقة النعت هو التابع لما قبله، لعلامة فيه، أو فيما تعلق به. وهو على ثلاثة أقسام، حقيقي ومجازي وسببي فالحقيقي هو الجاري على ما قبله، مع رفعه لضميره، نحو: جاء زيد العاقل، والمجازي: هو الجاري على ما بعده، لضمير ما قبله، نحو: جاء زيد الكريم الأب. والحسن الوجه، والسببي هو الجاري على ما بعده، ما رفعه لظاهر متلبس بضمير الموصوف، نحو: جاء زيد العاقل أمه. أو زيد العاقل أبوه،

ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾. فإذا علمت هذا، (ص) فالنعت (ش) [أكان] حقيقياً أو مجازياً (ص) تابع للمنعوت في رفعه ونصبه وخفضه وتعريفه وتنكيره. (ش) ثم إن رَفَعَ ضميرَ الموصوف، وَكَانَ حَقِيقاً أو مجازياً، تبعد أيضاً في تذكيره وتأنيثه، وفي إفراده وتثنيته وَجَمَعَهُ. (ص) نحو جاء زيد العاقل، ورأيت زيدا العاقل. ومررت بزيد العاقل. (ش) وفي المجازي: جاء زيد الكريم الأب، ورأيت زيدا الكريم الأب. ومررت بزيد الكريم الأب. وإن رَفَعَ ظاهراً ملتبساً بضمير الموصوف، فَهُوَ كَالْفِعْلِ، فيلزم إفراده، كما يجرد الفعل من علامة التثنية والجمع، ويتبع منوعته في الإعراب والتذكير والتأنيث فقط. فتقول: جاء الزيدان العاقله أمهما، وجاء الهندان العاقل أبوهما. وجاء الزيدون العاقل أبواهم. فتحصل: أن النعت الحقيقي يتبع منوعته في أربعة من عشر، الغالب الإعراب الثلاث، والتعريف والتنكير، والتذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع. وكذلك المجازي. وأما السببي، فيتبعه في اثنين من خمسة الغالب، الإعراب والتعريف والتنكير، وأمثلة ذلك ظاهره والله تعالى أعلم.

الإشارة: الوصف تابع للموصوف لا يفترقان أبداً، وبعبارة أخرى، الصفة لا تفارق الموصوف. فمهما ظهرت الصفات، ظهرت معها الذات. ومهما تجلّت الذات، تجلّت الصفات، فامتحن حينئذ وجود الأثر، بظهور المؤثر إذ الأثر لا يظهر إلا بالقدرة؛ وهي لا تفارق الذات. فأفهمم وإلا فسلمن. ومنهم من يعبر عن هذا بقولهم الذات عين الصفات. وإنما أراد بالعين التزام الظهور. وإلا فالذات حينئذ لطيفة لا تدرك. والصفات معنى قائم بها. وإن شئت قلت عين الذات تابع لها في الكمالات، وعدم النهايات. فكما أن الذات لا نهاية لها، ولا حصر. فأسرار الذات وكمالاتها خارجة عن مدارك العقول، كذلك الصفات. أو تقول: نعت الذات في مظاهر التجليات، يتبع المنعوت في تلواته، فقد سئل الجنيد رضي الله عنه عن التوحيد فقال: لون الماء لون إنائه. يعني أن أسرار المعاني، حين تجلّت في قوالب الأواني، تلوّنت بتلون القوالب، بين أبيض وأسود، وأحمر، وأضفر وأخضر، إلى غير ذلك من ألوان الخمرة الأزلية في حال التجلي. وأما قبل التجلي؛ فهو سرّ لطيف ثوراني، له قدرة على التجلي كيف شاء. وإن اختلفت ألوانه بعد التجلي. قال الجيلاني رضي الله عنه في عينيته:

تجلّى حبيبي في مرآتي جماله ففي كل مرءٍ للحبيب طلائع

ثم قال :

وكل اسوداد في تصافف طرة وكل اخمرار في الضلائع باضع

ثم قال :

وأطلق عنان الحق في كل ما ترى لتلك تجليات من هو صانع

ويدخل في بعض هذه التلونات، قول المصنف: التُّعْتُ تابع للمنعوت في رفعه، إن تجلّى بمظهر رفيع، وخفضه، إن تجلّى بمظهر مخفوض، فظاهره خفض، وباطنه رفع وعزّ. ونُصِبِه: إن تجلّى بمظهر منصور، لسهام الأقدار، فظاهره منصوبٌ لقهرة العبودية. وباطنه مخض عزّ الرّبوبية. وتعريفه إن تجلّى فيه باسمه الظاهر. فأظهره للانتفاع به. حتى عرفه الخاصّ والعامّ. وتنكيره، إن تجلّى فيه باسمه الباطن. فأنكره جلّ الخلق؛ وهو في مقام عليّ عند الحقّ. وقد أشار شيخ شيوخنا، ومادّة طريقتنا، رئيس البحرية، وإمام أهل الخُمرة الأزلية. سيدي علي العمراني المُكَنَّى بالجَمَل رضي الله عنه، إلى هذا المعنى في كتابه. فقال ما نُصِبُه: انظر يا أخي وتأمّل هذه الخمرة، كيف كَمَلت فيها الأوصاف، وتوفّرت فيها الشروط، وكيف كَمَلت نقصانها، كما كَمَل كمالها. فسُبْحان من أظهرها بالكَمال في النقص والكَمال، حتى صار الكلُّ كَمالاً ولا نُقص. فانظر يا أخي ما أقربها في بعدها. وما أبعداها في قُرْبها. وما أرفعها في أسفلها، وما أوضعها في علوّها، وما أكبرها في صغرها، وما أصغرها في كبرها، وما أقواها في ضغفها، وما أضعفها في قوتها، وما أغناها في فقرها، وما أفقرها في غنائها، وما أعزّها في ذلّها، وما أدلّها في عزّها إلى آخر كلامه. فقد اجتمعت الضدّان، بل أضدادٌ في مظهر واحد. وإلى ذلك أشار الجيلاني أيضاً بقوله:

تجمعت الأضداد في واحد البها وفيه تلاشت فهو عنهنّ شائع

ولا يبلغ هذا، إلا أهل الأدواق والوجدان، ممن خاض بحر الشهود والعيان وحسب من لم يبلغ هذا التسليم، وبالله التوفيق.

تنبية: قول أهل الحقيقة: إنّ الضدّين أو الأضداد تجتمع في محلّ واحد، معناه اختلاف الحيثية والجهة، ثم إنّ الأضداد على قسمين: أضداد عقلية، وأضداد عادية، فالأضداد العقلية، مثلها القدم، والوجود، والقيام والقعود، والبياض والسواد، والرّبوبية والعبودية، والقدم والحدوث، وشبه ذلك مما لا يتصور في

العقل اجتماعهما. والأضداد العادية، مثالها: النار والماء، والحرّ والبرّد، والنهار والليل، وغير ذلك ممّا يُمكن اجتماعهما عقلاً ويستحيل عادة. أمّا الأضداد العقلية، فلا تجتمع أبداً في محلّ واحد، كالآدمي مثلاً. فالعبودية من حيث الغالب الحسي، والزبوية من حيث المظهر المعنوي، العبودية مُرتبة على الحسي البشري. والزبوية مُرتبة على المظهر المعنوي، العبودية ظاهرة، والزبوية كائنة. وكذلك القِدَم والحدوث، القِدَم من جهة مَعْنَاهُ. والحدوث من جهة جِسْمِهِ العارض ظهوره. وكذلك العِزُّ والذَلُّ، والغنا والفقر، فالعِزُّ والغِنَا محلّهما البَوَاطِن. والذَلُّ والفقر، محلّهما الظواهر. وقد تجتمع فيه، في وَقت واحد. لكن مَعَ اختلاف الجِهَةِ كَمَا قُلْنَا، ومن يقل: إنّ الضدين أو الأضداد تجتمع في محلّ واحد، مع اتِحَادِ الجِهَةِ والنَوَاقِ، فَجَاهِلٌ؛ لأنّ القدرة لا تتعلق بالمحال. ولو تعلقت بالمحال، لزم تعلقها بإعدام الذات العلية، وإثبات الشريك لله تعالى وموهوس عظيم، لا يقول به عاقل. وأما الضدان العاديان، أو الأضداد العادية فتجوز اجتماعهما في محلّ واحد. وفي وقت واحد، إذ القدرة صالحة لذلك ولم تقع في عالم الحكمة إلا معجزة، كمنار إبراهيم عليه السلام، وإنما وقع اجتماعهما متفرقة المحلّ، مع اتِحَادِ الوجود عند أهل الباطن، فالماء في محلّ، والنار في محلّ. وكذلك الحرّ والبرّد، والموت والحياة، والجنّة والنار. ولو جَمَعَ الله ذلك في محلّ واحد لكان جائزاً. وقول الجيلاني رضي الله عنه: تجمعت الأضداد العقلية، مع اختلاف الحيثية كما تقدم، والأضداد العادية، مع اختلاف الجِهَةِ في عالم الحكمة، أو مطلقاً في عالم القدرة، والوجود لله متحد. ذات واحدة. ومظهر واحد كما قال الشاعر:

هَذَا الوجود وإن تعدّد ظاهراً وحياتك ما فيه إلا أنتم

وقد اجتمعت فيه أضداد كثيرة؛ عقلية وعادية؛ لكن مع اختلاف الحيثية أو الجهة. فتحصل: أن الأحكام العقلية: الواجبة والمستحيلة والجائزة، لا تنخرم عن أهل الباطن، وإنما بعض الممكنات عند أهل الظاهر، تصير واجبة عند أهل الباطن لجمعها بأصلها، وشهود الحق فيها، والجائز عند أهل الباطن هو تلوين الخمرة على سابق المشيئة. والله تعالى أعلم. (ص) والمعرفة خمسة أشياء: الاسم المُضْمَر نحو: أنا وأنت، والاسم العَلَمُ: نحو زيد ومكة؛ والاسم المُبْهَم، نحو: هذا وهذه وهؤلاء. والاسم الَّذِي فِيهِ الألفُ اللامُ، نحو: الرجل والغلام. وما أُضِيفَ إِلَى واحدٍ من هذه الأربعة. والنكرة: كل اسم شائع في جنسِهِ، لا يختص

به واحد دون الآخر. وتقريبه: كل ما صلح دخول الألف واللام عليه. نحو الرجل والفرس. (ش) قلت: حَصَرَ المعرفة بالعد، ولم يحصرها بالحد؛ لأن حدّها بحد جامع قد يتعدّر؛ لأن من الأسماء ما هو معرفة لفظاً نكرة معنًى. كأسامة. وثعالة، ومنها ما هو نكرة لفظاً. معرفة معنًى نحو كان ذلك عام أوّل. ومنها ما يستعمل بالوجهين، نحو: واحد أمه. وفريد عَصْره. وعبد بطنه، فمنهم من يستعملها معرفة بالإضافة، ومنهم من ينصبها على الحال، فتكون نكرة، ومثلها واللام الجنسية. ولذلك يوصف بالمعرفة اعتباراً بلفظه، وبالنكرة، اعتباراً بمعناه. وإذا كان كذلك، فأحسن ما تعرف به المعرفة ذكر أقسامها ثم وما سوى ذلك نكرة. وبغضه عَرَفَ النكرة، وقال: وما سوى ذلك معرفة؛ كآبن مالك وغيره. ومنهم من عَرَفَها معاً فقال: المعرفة: ما وُضِعَ لِيُستعمل في معيّن. والنكرة ما شاع في جنس موجود أو مقدر، فالأوّل كَرَجُلٍ وقرس. والثاني كشمس وقمر فالشمس كوكب نهاري. والقمر كوكب ليلي؛ وهما صالحان للتعدّد، لكن لم يوجد في الخارج إلا واحداً. وعدّ بعضهم المعارف سبعة، الخمسة التي ذكر المؤلف. والمُنَادَى المعين. وأمثلة التأكيد، كأجمع وجمعاً، فإنَّهُمَا عَلِمَ عَلَى جنس التوكيد. والجهور، أن المعارف متفاوتة في التعريف. فأعرفها عند سبويه: اسم الجلالة الله، ثم الضمير العائد عليه، نحو هو. وقد رُئي في النوم فقال: غفر اللّهُ لي بقولي: أعرف المعارف الله. وقال غيره: أعرفها الضمير، ثم العلم، ثم الإشارة، ثم الموصول. وقد نظم السيوطي في الألفية فقال:

فَمُضَمَّرَ أَعْرَفَهَا ثَمَّ الْعَلَمُ وَاسْمُ إِشَارَةٍ وَمَوْصُولٌ مَتَمٌ
 وَذُو أَدَاةٍ مِّنَادَى عُنَيْنَا وَذُو إِضَافَةٍ بِهَا تَعَيَّنَا
 والمضاف في طبقة ما أضيف إليه، إلا المضاف للضمير، فإنه في درجة العلم. وثمرة هذا تظهر، إذا كان المبتدأ والخبر معرفتين. واسم كان وخبرها. فالأعرف يكون مبتدأ أو الأدنى منه يكون الخبر. وتظهر أيضاً إذا نصب الفعل ضميرين، فإن تقدم الأخص وهو الأعرف، جاز في الثاني الاتصال والانفصال، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كُفْرَهُمْ﴾. ﴿سَبَّحُوا لِلَّهِ﴾. والوصل أرجح. ومن الفضل، قول القطب سيدي عبد السلام بن مشيش في تضليته: وَعَرَفْنِي إِيَّاهُ، فارتكب غير الراجح أدباً معه عليه السلام، ليلاً يأتي بضميره عليه السلام، متصلاً بضمير نفسه. فانظر، ما أدق نظره، وأكمل أدبه رضي اللّهُ عَنْهُ. ولو تقدّم غير الأخص، وجب

الفضل، كقوله عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ مَلَكَهُمْ إِيَّاكُمْ، ولو شاءَ لَمَلَكَكُمْ إِيَّاهُمْ». تَبْيِيهِ: قال الجمهور: المعارف كليات وضعاً. جزئيات استعمالاً. فزِيد مثلاً كَلْيِي يصلح لكل شَخْصٍ، فإذا وضع له صار معيناً، وهكذا سائر المعارف، وبدأ المصنف بالمعرفة؛ لأنها أشرف، إذ يجوز الابتداء بها، والحكم عليها، بالحال وغيره، وأيضاً: التعريف وجودي، والتنكير عَدَمِي، ومعرفة المكلّمات مقدمة على الإعدام، وعكس غيره؛ لأنَّ مَسْمَى التَّكْرَةِ، أَسْبَقُ لِلذَّهْنِ من مَسْمَى المعرفة، لأنَّ التعريف طار على التنكير، وما سلكه المصنّف أَحْسَن. وعدّها خَمْسَةَ، مَعَ أَنَّهَا سَبْعَةٌ؛ لأنه أَدْرَجَ الموصولَ في المُبْهَمِ. وأما المُتَادِي المُعَيَّنُ فإنما تعرف بالإقبال عليه، ويتكلّم عليه في باب المنادى. وَبَدَأَ بِالضَّمِيرِ لأنه أعرَفها بعد اسم الجلالة. وَيُسَمَّى عند البصريين بالمضمر، والضّمير اسم مفعول من أَضْمَرْتَهُ إذا أَخْفَيْتَهُ، وإطلاقه على البارز توسع، والكوفيون يسمونه الكناية، والمكئى بأنه ليس باسم صريح. والكناية تقابل الصريح. قال ابن هانبي:

فَصْرَخَ بِمَنْ تَهَوَى وَدَعْنِي مِنَ الْكِنَا فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سَتَرَ
وقبل هذا البيت:

أَلَا فَاسْقِنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمَكْنَ الْجَهْرُ
وللصوفية من هذين البيتين شربٌ غزيرٌ. وحقيقة الضمير عند النحاة: مَا وُضِعَ لتعيين مَسْمَاهُ مشعراً بتكلمه، أو خطابه، أو غيبته؛ وهو عَلَى قسَمَيْنِ، بارزٌ ومستترٌ. فالبارز ماله صورة في اللفظ، والمستتر ضِدُّهُ، وهو على قسَمَيْنِ: ما يجب استتاره، وهو ما لا يخلفه الظاهر، وذلك في عشرة مواضع، أشار إليها السُّيُوطِي في أَلْفَيْتِهِ فقال:

وستر مرفوع بأمر حتما ودون يامضارع واشتنيهما
وأفعال التفضيل والتعجب وفعل الاستثناء فاحفظ تُصِبِ
وَدَخَلَ في الأَمْرِ المصدرُ النَّاتِبُ عن فِعْلِهِ. نحو: «فَصْرَبُ الرقاب» وما يستتر جوازاً؛ وهو ما يخلفه الظاهر؛ وهو ما سوى ما تقدّم، والبارز قسَمَانِ: مُتَّصِلٌ؛ وهو مَالاً يبتدأ به. وَلَا يَقَعُ بعد إلا في الاختيار. وَمُنْفَصِلٌ، وهو ما يبتدأ به ويقع بعد إلا في الاختيار والمُتَّصِلُ إمَّا مَرْفُوعٌ أو مَنْصُوبٌ أو مَجْرُورٌ. وكل من هذه الثلاثة، إمَّا متكلم، أو مخاطب، أو غائب، فالمرفوع للمتكلم؛ فعَلْتُ وَفَعَلْنَا

والمخاطب فَعَلْتَ وَفَعَلْتِ، وَفَعَلْتُمَا، وَفَعَلْتُمْ، وَفَعَلْتُنَّ، وللغائب: فَعَلَ وَفَعَلَتْ، وَفَعَلَا وَفَعَلْتَا، وَفَعَلُوا وَفَعَلْنَ. والمنصوب للمتكلم: أَكْرَمَنِي أَكْرَمْنَا. وللمخاطب: أَكْرَمَكَ أَكْرَمَكَ، أَكْرَمَكُمَا، أَكْرَمَكُمُ، أَكْرَمَكُنَّ. وللغائب: أَكْرَمَهُ أَكْرَمَهَا، أَكْرَمَهُمَا، أَكْرَمَهُمْ، أَكْرَمَهُنَّ. والمجرور المتكلم: مَرَّ بِي، مَرَّ بِنَا، وللمخاطب: مَرَّ بِكَ مَرَّ بِكِ، مَرَّ بِكُمَا، مَرَّ بِكُمُ، مَرَّ بِكُنَّ. وللغائب: مَرَّ بِهِ، مَرَّ بِهَا، مَرَّ بِهِمَا، مَرَّ بِهِمْ، مَرَّ بِهِنَّ، فهذه سبعة وثلاثون ضميراً، والثامن والثلاثون ياء المخاطبة نحو قومي، والتحرير أن الضمائر تبلغ إحدى وستين ضميراً، فالمرفوع المتصل اثنا عشر، والمنفصل كذلك. فهذه أربعة وعشرون، والمنصوب المتصل اثنا عشر، والمنفصل كذلك فهذه ثمانية وأربعون. والمجرور لا يكون إلا متصلاً: اثنا عشر؛ بعد إلا في الاضطرار، كقول الشاعر:

وما تبالي إذا كنت جارتنا ألا يجاورنا إلاك ذيأر
وقال آخر:

أعوذ برَبِّ العَرْشِ مِنْ فِتْنَةٍ بَعَثَ عَلَيَّ فَمَالِي عِوَضٍ إِلَّا هُوَ نَاصِرُ
والثاني من المعارف: الاسم العَلَم. وهو مشتق من العِلْم؛ لأنه يُعْلَم به مَسْمَاه. وَيُطَلَّقُ العَلَمُ عَلَى الجَبَلِ. وقال الشاعر:

رُبَّمَا أَلْفَيْتَ فِي عِلْمٍ تَرَبَعَن ثُوبِي شِمَلَاتِ
حقيقة ما وُضِعَ لِمُعَيَّنٍ خَارِجاً أَوْ ذَهْنًا، لَا يَتَنَاوَلُ غَيْرَهُ. فَالَّذِي وُضِعَ لِمُعَيَّنٍ فِي الْخَارِجِ، يَسْمَى عِلْمَ شَخْصٍ، وَالَّذِي وُضِعَ لِمُعَيَّنٍ فِي الذَّهْنِ، يَسْمَى عِلْمَ جِنْسٍ، فَالْأَوَّلُ لِلْعَاقِلِ، كَزَيْدٍ وَعَمْرُو، وَزَيْنَبِ، وَلِغَيْرِ عَاقِلٍ، كَسَابِقِ عِلْمًا لِفَرَسٍ وَشَذَقِمٍ لِحِمْلٍ، وَهَيْلَةَ لِشَاةٍ. وَوَأَشَقُّ لِكَلْبٍ، وَيَكُونُ لِلْبُلْدَانِ، كِمَكَّةَ، وَدِمَشَقَ، وَفَاسَ وَمَرَآكَشَ. وَأَمَّا عِلْمُ الْجِنْسِ؛ وَهُوَ الَّذِي وُضِعَ لِلْحَقِيقَةِ بَعْدَ تَعْيِينِهَا، وَتَشْخِصِهَا فِي الذَّهْنِ كَأَسَامَةِ لِلْأَسَدِ، وَثَعَالَةَ لِلثَعْلَبِ. وَأَمَّ عَرِيضَ لِلْعَقْرَبِ، وَيَكُونُ لِلْمَعَانِي، كَنِكْرَةَ عِلْمٍ عَلَى جِنْسِ الْبُرُورِ وَفَجْرَ عَلَى جِنْسِ الْفَجُورِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

إذا اقتسمنا خطيتنا بيننا فجملة برة واحتملت فجار

والفرق بين النكرة وعلم الجنس. إن النكرة تدل على الحقيقة الشائعة، من غير تعيين لها من الذهن. وعلم الجنس وضع للحقيقة بعد تعيينها وتشخصها في الذهن. فلذلك يتبدى بها، ويأتي الحال منها، فتقول أسامة اجراً من ثعالة. وهذا

أَسَامَةٌ مَقْبَلًا، وَلَا تَقُولُ: هَذَا أَسَدٌ مَقْبَلًا. إِذْ لَا يَكُونُ صَاحِبَ الْحَالِ إِلَّا مَعْرِفَةً، وَيَكُونُ الْعَلْمُ اسْمًا كَمَا تَقَدَّمَ، وَكُنْيَةٌ؛ وَهُوَ مَا صُدِّرَ بِأَبٍ أَوْ أُمٍّ. كَأَبِي الْقَاسِمِ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَأُمُّ الْخَيْرِ، وَأُمُّ كَلْثُومٍ، وَلَقَبًا. أَمَّا الْمَدْحُ، كَزَيْنِ الْعَابِدِينَ، أَوْ ذَمُّ كَقَفَّةٍ، وَبَطَّةٍ، وَأَنْفِ النَّاقَةِ، وَلَمْ يُسْمَعْ مِنَ الْعَرَبِ تَلْقِيبِ النِّسَاءِ، وَإِذَا اجْتَمَعَ الْأَسْمُ وَاللَّقَبُ كَزَيْنِ الْعَابِدِينَ. وَلَا تَرْتِيبَ بَيْنَ الْكُنْيَةِ وَغَيْرِهَا. وَالثَّالِثُ مِنَ الْمَعَارِفِ: الْأَسْمُ الْمُبْهَمُ، وَشَمِلَ الْإِشَارَةَ وَالْمَوْصُولَ. فَأَمَّا الْإِشَارَةُ فَقَالَ فِي التَّسْهِيلِ: مَا وُضِعَ لِمَسْمُومٍ وَإِشَارَةٌ إِلَيْهِ، ثُمَّ إِنَّ الْمَشَارَ إِلَيْهِ، إِمَّا مُذَكَّرًا أَوْ مُؤَنَّثًا، وَكُلٌّ مِنْهُمَا، إِمَّا مُفْرَدًا أَوْ مَثْنِيًّا: أَوْ مَجْمُوعًا، فَلِلْمَذَكَّرِ ذَا، وَلِلْمُؤَنَّثِ ذِي، أَوْ ذُو، أَوْ تِي، أَوْ تَيْهٍ، أَوْ ذِهْيٍ، أَوْ تَيْهِيٍّ، أَوْ تَا. وَلِلْمَثْنِيِّ الْمُدَكَّرِ، ذَانِ رَفْعًا، وَذَيْنِ نَصْبًا وَجَزَاءً، وَلِلْمُؤَنَّثِ تَانِ رَفْعًا. وَتَيْنِ جَزَاءً وَنَصْبًا، وَلِجَمْعِهِمَا أَوْلَى مَقْصُورًا فِي لُغَةِ تَمِيمٍ مَمْدُودًا فِي لُغَةِ الْحِجَازِيِّينَ، فَإِنَّ كَانَ الْمَشَارَ إِلَيْهِ بَعِيدًا قَرْنَ بِالْكَافِ حَرْفًا مُطَابِقَةً لِلْمَخَاطَبِ فِي التَّذْكِيرِ وَالتَّنْثِثِ، وَالْإِفْرَادِ وَضَدَهُ مَجْرَدَةٌ مِنَ اللَّامِ، وَمَقْرُونَةٌ بِهَا، إِلَّا فِي الْمَثْنِيِّ وَالْجَمْعِ، فِي لُغَةِ مَنْ مَدَّهُ، وَفِيمَا سَبَقَتْهَا التَّنْبِيهُ، وَيُشَارُ بِهِنَا لِمَكَانِ الْقَرِيبِ، وَبِهِنَّكَ أَوْ بِهِنَا لِيكَ، أَوْ ثُمَّ هِنَا بِالْفَتْحِ، وَالْكَسْرِ لِلْمَكَانِ الْبَعِيدِ. وَأَمَّا الْمَوْصُولُ فَحَقِيقَتُهُ مَا افْتَقَرَ أَبَدًا إِلَى عَائِدٍ، أَوْ خَلْفِهِ، وَجُمْلَةٌ صَرِيحَةٌ أَوْ مُؤَوَّلَةٌ؛ وَهُوَ الَّذِي لِلْمُفْرَدِ الْمَذَكَّرِ، وَالتِّي: لِلْمَفْرَدَةِ الْمُؤَنَّثَةِ، وَالتَّذَانِ لِلتَّنْثِثَةِ الْمَذَكَّرِ. وَالتَّتَانِ لِلتَّنْثِثَةِ الْمُؤَنَّثِ. رَفْعًا. وَالتَّذَيْنِ وَالتَّتَيْنِ نَصْبًا وَجَزَاءً. وَالتَّذِينَ لَجَمْعِ الْمَذَكَّرِ مُطْلَقًا. وَالتَّتَيْنِ وَالتَّتَائِي لَجَمْعِ الْمُؤَنَّثِ، وَمَنْ لِيَمَنْ يَغْفُلُ مُفْرَدًا أَوْ مَثْنِيًّا أَوْ مَجْمُوعًا. وَمَا لِمَا لَا يَغْفُلُ، إِلَّا إِذَا نُزِلَ مَا لَا يَغْفُلُ، بِمَنْزِلَةِ مَا يَغْفُلُ فَيُغْفَلُ عَنْهُ بِمَنْ. وَكَذَلِكَ إِذَا نُزِلَ مَنْ يَغْفُلُ، بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَا يَغْفُلُ، لِحِفَّةِ عَقْلِهِ، فَيَعْبَرُ عَنْهُ بِمَا. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعَاقِلُ مَعَ غَيْرِهِ خَيْرِ النَّاطِقِ بَيْنَ مَنْ وَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَسْتَعِدُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. وَمِنْ الْمَوْصُولَاتِ الِ وَذُو، فِي لُغَةِ طِيءٍ. وَذَا بَعْدَ مَنْ وَمَا الْاسْتَفْهَامَتَيْنِ، مَاذَا صَنَعَ كَذَا، وَمَاذَا صَنَعْتَ، أَيُّ مَا الَّذِي صَنَعْتَ، وَكَذَلِكَ أَيُّ تَقُولُ: أَعْجَبَنِي أَيُّهُمْ قَامَ. أَيُّ الَّذِي قَامَ. وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ مَوْصُولَاتٍ؛ لِأَنَّهَا لَا تَفِيدُ إِلَّا إِذَا وَصِلَتْ بِشَيْءٍ تَصِيرُ بِهِ ذَالَةٌ عَلَى مَعْنَى. وَاشْتَمَلَتْ تِلْكَ الصَّلَةُ عَلَى رَابِطٍ يَرْبِطُهَا بِالْمَوْصُولِ، حَتَّى لَا تَكُونَ أَجْنِبِيَّةً. قَالَ فِي الْأَلْفِيَّةِ:

وَكُلُّهَا يَلْزَمُ بَعْدَهَا صِلَةٌ عَلَى ضَمِيرٍ لَا يُقْبَلُ مَشْتَمِلَةٌ

وَتَقَدَّمَ. أَنْ مَنْ. تَقَعَ عَلَى الْمَذْكُورِ وَالْمَوْثُ، وَالْمَفْرَدِ وَالْمَثْنَى وَالْجَمْعِ، فَلَفْظُهُمَا مَجْرَدٌ، وَمَعْنَاهَا يَقَعُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، فَالضَّمِيرُ إِنْ عَادَ عَلَيْهَا، يَصَحُّ فِيهِ مِرَاعَاةُ لَفْظِهَا. لِأَنَّ لَفْظَهَا مُفْرَدٌ مَذْكُورٌ، فَيَفْرَدُ وَيَذْكَرُ ذَاتِماً. وَمِرَاعَاةُ مَعْنَاهَا، فَيَطَابِقُ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ، فَمِنْ مِرَاعَاةِ لَفْظِهَا، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾. فَإِنْ رَاعَيْتَ اللَّفْظَ، فَلَاكَ أَنْ تَرَاعِيَ الْمَعْنَى بَعْدَ ذَلِكَ، تَقُولُ: مَنْ عَرَفْتَهُ فَأَحْسَنْتَ إِلَيْهِمْ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾. وَإِنْ رَاعَيْتَ الْمَعْنَى أَوْلَىٰ. فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَرَاعِيَ اللَّفْظَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: جَاءَنِي مَنْ عَرَفْتَهُمْ فَأَحْسَنْتَ إِلَيْهِ. وَذَكَرَ فِي التَّسْهِيلِ، أَنَّهُ يَجُوزُ عَلَى قِلَّةٍ. قَالَ: وَيَعْتَبَرُ الْمَعْنَى بَعْدَ اعْتِبَارِ اللَّفْظِ كَثِيراً. وَقَدْ يَعْتَبَرُ اللَّفْظُ بَعْدَ ذَلِكَ هـ. فَرَعٌ: يَجُوزُ حَذْفُ الْمَوْصُولِ، وَإِبْقَاءُ صَلْتِهِ إِذَا عَلِمَ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَاةَ وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾. أَيِ وَمَنْ عَبَدَ الطَّاغُوتَ، وَيَجُوزُ حَذْفُ الضَّلَّةِ فِي مَقَامِ التَّهْوِيلِ وَالتَّفْخِيمِ، تَقُولُ: مَا فَعَلْتُ كَذَا إِلَّا بَعْدَ التِّي، وَالتِّي؛ أَيِ بَعْدَ الْمَشَقَّةِ الَّتِي يَكُلُّ اللِّسَانَ عَنِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا، وَالتِّي تَفُوتُ التَّعْبِيرَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

والرابع من المعارف: الاسم الذي فيه الألف واللام، نحو الرجل والغلام؛ وهو المعروف بأداة التعريف. وهَلْ الأداة: ال بَرَمْتَهَا؛ وَهُوَ مَذْهَبُ الْخَلِيلِ، فَهِيَ عِنْدَهُ كَهَلْ، وَقَدْ وَالْهَمْزَةُ هَمْزَةٌ قَطْعٌ عُمِلَتْ مَعَامِلَةٌ هَمْزَةُ الْوَصْلِ لِكثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ، أَوْ اللَّامُ فَقَطْ. وَالْهَمْزَةُ هَمْزَةٌ وَضَلُّ، اجْتَلَبَتْ لِلِابْتِدَاءِ بِالسَّاكِنِ؛ وَهُوَ مَذْهَبُ سَبِيئِيهِ. دَلِيلُهُ: أَنَّ حَرْفَ التَّنْكِيرِ حَرْفٌ وَاحِدٌ. وَهُوَ التَّنْوِينُ، فَكَذَلِكَ دَلِيلُ نَقِيضِهِ وَهُوَ التَّعْرِيفُ. وَلِذَلِكَ كَانَتْ سَاكِنَةٌ كَالْتَّنْوِينِ؛ وَهِيَ إِمَّا لِبَيَانِ الْحَقِيقَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ؛ وَهِيَ الَّتِي لَا يَخْلُفُهَا كُلٌّ. نَحْوُ: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا». وَإِمَّا لَشُمُولِ أَفْرَادِ الْجِنْسِ؛ وَهِيَ الَّتِي يَخْلُفُهَا كُلٌّ. إِمَّا حَقِيقَةٌ، نَحْوُ: «وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا». «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ». أَوْ مَجَازاً نَحْوُ: أَنْتَ الرَّجُلُ عِلْمًا. أَيِ اجْتَمَعَ فِيكَ مَا افْتَرَقَ فِي الرُّجَالِ. وَإِمَّا عَهْدِيَّةٌ. وَالْعَهْدُ إِمَّا ذِكْرِيٌّ. نَحْوُ: «فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ». أَوْ ذَهْنِيٌّ، نَحْوُ: «بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى». «إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ». وَخُصُورِيٌّ: نَحْوُ: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ». وَبَلَّغَهَا بَعْضُهُمْ إِلَى عَشْرِينَ. سِتْ مَعْرِفَاتٍ. وَأَرْبَعُ مَوْصُولَاتٍ، وَعَشْرُ زَائِدَاتٍ، وَنَظْمٌ ذَلِكَ الْقَاضِي شِعْبَانٌ قَالُ:

عَرَفَ بِأَلٍ وَلَا مَهَ وَصِلٌ وَرِذٌ وَأَقْسِمُ عَلَى عِشْرِينَ قِسْمًا تَسْتَعِثِلُ
عَرَفَ بِسِتٍ نَصْفَهَا لِلْعَهْدِ وَنَصْفَهَا جِنْسِيَّةً فِي الْعَدِّ

ووصل بأربع ما اسم الفاعلُ وصنوه والوصف والمماثلُ
 وزد بِعَشر والتزم بِأربعةٍ وغير لَأزم ترى لِلثَّامَةِ
 وانظر التوضيح والتصريح، تستخرج ذلك إن شاء اللّهُ. واللّهُ تعالى أَعْلَمُ.
 الخامس من المعاني: ما أُضيف إلى واحدٍ من هذه الأربعة. نحو غلامك، وغلَام
 زَيْد، وغلَام هذه، وغلَام الَّذِي قام أبوه، وغلَام الرَّجُل، ثم ذكر النَّكْرَةَ فقال: (ص):
 والنكرة: كُلُّ اسمٍ شائعٍ في جِنْسِهِ، لا يَخْتَصُّ به واحدٌ دونَ آخر. (ش) فإذا قلت:
 رجلٌ أو امرأة، صَدَقَ ذلك على جِنْسِ الرجال، أو النساءِ. وكذلك أَسَدٌ بخلاف
 أسامة، فإنه وُضِعَ للحقيقة بعد تعيينها في الذّهن. وإن صدقت على كثير، فإن العلم قد
 يعرف له الاشتراك والعموم في اللفظ بعد التعيين. وقوله: لا يَخْتَصُّ به واحد، أُدْخِلَ
 الباء على المقصور عليه. والأكثر دخولها على المقصور عليه. تقول: خصصت العطاء
 بزيد، أحسن من قولك: خصصت زيدا بِالْعَطَاءِ، ونظمه بعضهم فقال:

والباء بَعْدَ الاختصاص يكثر دُخُولُها على الَّذِي قد قصروا
 وعكسه مستعملٌ وجيدٌ ذكرها الحَبْرُ الهمام السَيِّدُ
 ولو قال: لا يَخْتَصُّ بواحدٍ بسلك طريق الأكثر ثم ذكر ضابطاً آخر فقال:
 (ص) وتقريبه: كل ما صَلَحَ دخول الألف واللام عليه. (ش) يريد أو يقع موقع ما
 يقبلها، نحو: ذُو، بِمَعْنَى صاحب، فإنه لا يقبل ال، ولكن وقع موضع صاحب.
 فتقول: الصاحبُ. وكذلك مَنْ وَمَا الاستفهام والشرطة، فإنهما لا يقبلانها،
 ولكنهما واقعانِ مَوْقعٍ ما يقبلها؛ وهي شيء.

وتقول: مررت بِمَنْ معجب لك. أي مررت بإنسان، وبما معجب لك، أي
 بشيء. وقال الجَزُولِي: علامة الاسم: النكرة إذا كَانَ مُفْرَداً قبُول الألف واللام، أو
 أداؤه معنى لا يكون إلا نكرة. وإن كَانَ مضافاً، فقبُول ما أُضيف إليه الألف واللام
 مباشراً أو بواسطة، أو جواز جَزِيه نعتاً على النكرة هـ وكل ما دَخَلَ عليه رَبُّ فهو
 نكرة.

تنبيه: أنكر النكرات شيء ثم موجود ثم محدث، ثم جسم، ثم قال، ثم
 حيوان، ثم إنسان، ثم بالغ، ثم ذكر، ثم رَجُل. والأصح أن المعدوم ليس لشيء.
 وعليه فليس لشيء أعلى من موجود. وقوله: (ص) نحو الرجل والفرس. (ش) هو
 تمثيل لِمَا يَصْلُح دُخُولُ أَلٍ عليه، مع دخولها بالفعل والفرس. يقع على الذكور

والأنثى. وَيَتَمَيَّزُ بالوصفِ، تقول: فرَسَ أنثى، وقيل، يُقال الأنثى فرسه بالهاء، والجمع لهما أفراس وفروس. واللَّهُ تعالى أعلم.

الإِشَارَةُ: والمعرفة باللَّهِ، تظهر في خَمْسَةِ أَشْيَاءَ، فَمَنْ عَرَفَ الله فيها فهو عارف، وَمَنْ جهلها، أو أثبتها مع الله فَهُوَ تالف:

أولها الكنايات: نحو: أنا وأنت، فما دمت تقول: أنا فَعَلْتُ أو أنت فَعَلْتَ، فأنت جَاهِلٌ مُشْرِكٌ. وَإِنْ غَبِثَ عَنْكَ وعن غيرك، فأنت مُوَحَّدٌ عارف. ثانيها: أسماء الأشخاص والأماكن، فَإِنْ عَرَفْتَ اللهَ فِيهَا فأنت عارف. وَإِنْ أَثْبَتَهَا مَعَ الله فأنت جَاهِلٌ. الأَكْوَانُ ثابتة بإثباتِهِ. محووة بأحدية ذاته، مَا نُصِبَتْ لَكَ العوالم لِتَرَاهَا، بَلْ لَتَرَى فِيهَا مَوْلَاهَا. ثالثها: المبهمات؛ من الكائنات، كَهَذَا فعل كَذَا، وهذه فَعَلْتَ كَذَا. فما دام العبد ينسب التأثير للغير، ويتوقَّع منه ضرراً أو نفعاً فهو جَاهِلٌ باللَّهِ. رابعها: المعرف عند الناس بالرِّيَاسَةِ والجاه، كالسلاطين والقواد، وغيرهما، وأهل الرياسة الظاهرية، وكذلك أهل الرياسة الباطنية، كالأولياء، والصالحين، فَمَنْ عَرَفَ الله فيهم، ورأى أنهم مصرفون تحت قهرية الحق، يتصرفون بقدرته وإرادته، ليس بيد أحد منهم شيء، بل لا وجود لهم مع الحق؛ فَهُوَ عارف. ومن أثبت لهم ضرراً أو نفعاً، ودَخَلَ قَلْبُهُ منهم جزع أو خَوْف؛ فهو جَاهِلٌ بالله. دعواه أكبر من قدمه. خامسها: ما أضيف لواحد من هؤلاء، كالأضحابِ والعشائر؛ فهو بِمَنْزِلَتِهِمْ، لا وجود لهم ولا تأثير، كَانَ اللهَ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ. وهو الآن على ما كَانَ عليه. نَعَمْ الإضافة لها تأثير في المُضَافِ، فَمَنْ انضاف إلى أهل العِزِّ باللَّهِ تَعَزَّزَ، ودَامَ عِزُّهُ. ومن انضاف إلى أهل العِزِّ بالخلقِ أو بالمال، مات عِزُّهُ، وأَغْقَبَهُ الدَّلُّ. والله دَرَّ القائل حيث قال:

عَلَيْكَ بِأَزْبَابِ الصُّدُورِ فَمَنْ عَدَا مُضَافاً لِأَرْيَابِ الصُّدُورِ تَصَدَّرَا
وإِيَّاكَ أَنْ تَرْضَى بِضُحْبَةِ سَاقِطٍ فَتَنحَطَّ قَدْرًا مِنْ عِلَاكَ وَتَحْقِرَا

وأزباب الصدور؛ هُمُ العارفون باللَّهِ الَّذِينَ صدرهم اللهُ لِنَفْعِ عِبَادِهِ، والدعاء إِلَيْهِ، على قدم رسول الله ﷺ. والساقط: هو الجاهل باللَّهِ وبِأَحْكَامِهِ كائناً مَنْ كَانَ. وَكَانَ الإمام مالك رضي الله عنه كثيراً ما ينشدُ هَذَا البَيْتَ:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْتَلْ وَأَسْأَلْ عَنْ خَلِيلِهِ فَكُلَّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ مُفْتَدٍ

وبالله التوفيق.

بَابُ الْعَطْفِ: العطفُ في اللُّغَةِ: الرَّجُوعُ والتَّشْبِيهُ، يُقَالُ: عَطَفَ الفَارِسُ عَلَى قَرْزِهِ إِذَا رَجَعَ. وَعَطَفْتَ هَذَا الثَّوْبَ عَلَى هَذَا، إِذَا أَتَيْتَهُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا فِي الاصطلاحِ، فِقِسْمَانِ عَطْفِ بَيَانٍ وَعَطْفِ نَسْقٍ، وَلَمْ يَتَكَلَّمِ المَوْئَلَفُ عَلَى عَطْفِ البَيَانِ لِقَلْتِهِ. وَإِمْكَانِ إِذْرَاجِهِ فِي البَدَلِ؛ لِأَنَّهُ مُوَافِقٌ لَهُ غَالِبًا. وَالفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ البَدَلَ عَلَى نِيَّةِ تَكَرُّرِ العَامِلِ. وَعَطْفُ البَيَانِ العَامِلِ فِيهِ، هُوَ العَامِلُ فِيهِمَا قَبْلَهُ. فَلِذَلِكَ كُلُّ مَوْضِعٍ يَصْلُحُ لِلبَيَانِ. يَصْلُحُ لِلبَدَلِ، إِلَّا إِذَا كَانَ العَامِلُ فِي الأَوَّلِ، لَا يَصْلُحُ لِمُبَاشَرَةِ الثَّانِي، نَحْوُ يَا زَيْدَ الحَارِثِ فَيَتَعَيَّنُ فِيهِ البَيَانُ، إِذْ لَا يَصِحُّ أَنْ تَقُولَ يَا لِحَارِثِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أنا ابن الشارك البكري بَشْرٍ عليه الطير ترقيه وقوعًا
فبشر عطف بيان، وَلَا يَصِحُّ فِي البَدَلِيَّةِ، إِذْ لَا تَقُولُ: أَنَا ابْنُ الثَّارِكِ بَشْرٍ، إِذْ لَا يَصِحُّ المَقْرُونُ بِأَلٍ، إِلَى المَجْرَدِ مِنْهَا. وَعَطْفُ البَيَانِ، هُوَ كَمَا قَالَ ابْنُ الحَاجِبِ: تَابِعٌ غَيْرُ صِفَةٍ، يُوضَحُ مَتبوعه. وَقَالَ فِي الأَلْفِيَّةِ:

فَدُو البَيَانِ تَابِعٌ شِبْهُ الصِفَةِ حَقِيقَةُ القَضْدِ بِهِ مُنْكَشِفَةٌ
فَالنُّعْتُ يُوَضَّحُ مَا قَبْلَهُ بِصِفَتِهِ، وَالبَيَانُ يُوَضَّحُ مَا قَبْلَهُ لِبَيَانِ ذَاتِهِ. وَيَكُونُ فِي المَعَارِفِ وَالنِّكَرَاتِ، فَمِثَالُهُ فِي المَعَارِفِ، قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وثبأ قسم بالله أبو حفص عُمَرُ ما مسها من نقيب ولا دبر
فَعُمَرَ عَطْفُ بَيَانٍ، لِأَبِي حَفْصٍ. وَمِثَالُهُ فِي النِّكَرَاتِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾. فزَيْتُونَةُ بَيَانٌ لِشَجَرَةٍ. وَلَا التَّفَاتُ لِمَنْ مَنَعَهُ فِي النِّكَرَاتِ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ: فَقَدْ يَكُونَانِ مُنْكَرَيْنِ، كَمَا يَكُونَانِ مُعْرَفَيْنِ؛ وَهُوَ فِي مِطَابَقَةٍ لِمَا قَبْلَهُ كَالنُّعْتُ الحَقِيقِيِّ، فَيَتْبَعُهُ فِي أَرْبَعَةٍ مِنْ عَشْرَةٍ، وَقَدْ بَيَّنَّتْ فِي النُّعْتِ. وَأَمَّا عَطْفُ النُّسُقِ، فَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ المَصْنُفُ، وَالنُّسُقُ بِفَتْحِ السِّينِ. اسْمُ مَضْدَرٍ، وَنَسَقْتُ الكَلَامَ، أَنْسَقْتُهُ نَسْقًا بِالتَّسْكِينِ أَي عَطَفْتُ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ. وَالمِرَادُ بِهِ المَنْسُوقُ. وَأَمَّا فِي الاصطلاحِ، فَهُوَ تَابِعٌ لِمَا قَبْلَهُ، بِوِاسِطَةِ حَرْفٍ مُتْبِعٍ، فَتَابِعٌ جِنْسٌ، وَبِوِاسِطَتِهِ خَرَجَ سَائِرُ التَّوَابِعِ؛ لِأَنَّهَا بَغْيِيرٌ وَاسِطَةٌ. وَكَقَوْلِهِ مُتْبِعٌ مَا بَعْدَ، أَي التَّفْسِيرِيَّةُ فِي نَحْوِ قَوْلِكَ: مَرَزْتُ بِغُضْنَفَرٍ. أَي أَسَدٌ، فَأَي حَرْفٍ تَفْسِيرٍ، وَأَسَدٌ عَطْفُ بَيَانٍ. ثُمَّ عَدَّ حُرُوفَ العَطْفِ فَقَالَ: (ص) وَحُرُوفُ العَطْفِ عَشْرَةٌ (ص) أَي عِنْدَ الجُمهورِ، وَأَسْقَطَ بَعْضُهُمْ لَكِنْ، وَبَعْضُهُمْ إِثْمًا. (ص) وَهِيَ الوَاوُ (ش) وَهِيَ لِمَطْلُوقِ

الجمع، فيعطف بها اللاحق على السابق. نحو: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ». والسابق على اللاحق، نحو: «وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ». والمصاحب في الحكم، نحو: «فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَضْحَابَ السَّفِينَةِ»، وإذا قلت: جاء زيد وعمرو، وللعكس قليل، وقال كثير من النحويين: إنها تفيد الترتيب. وأخذ به الشافعي، فأوجب الترتيب في الوضوء، ونقله الرضی عن الكسائي، وابن مردويه، يعني إفادتها الترتيب. (ص) والفاء، (ش) وهي للترتيب والتعقيب، تقول: جاء زيد فعمرو. أي متصلاً به، ومنه قوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا لَبَّيَّا فَلَمَّا فَنَقَلْنَاهُ» أي كان قتله عقب اللقاء، والتعقيب في كل شيء بحسبه، تقول: تزوج فلان فكان بولد له. إذا لم يكن بينها إلا مدة الحمل، وتقول: دخلت البصرة فبغداد إذا لم يكن بينه وبين دخولها إلا ثلاثة أيام. وقد تفيد السببية، إذا عطفت جملة أو صفة، فالأول، كقوله تعالى: «فَوَكَّرُوا مُوسَىٰ فَغَضَىٰ عَلَيْهِ». «فَلَمَّا أَتَىٰ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ». والثاني؛ قوله تعالى: «فَاتَّبَعَهُمْ لَأَكَلُونَ مِنْهَا فَأَلْتُونُ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَرُّونَ عَلَيْهِ مِنْ الْقَسِيمِ» وقد تجيء في ذلك، بمجرد الترتيب، نحو: «فَرَأَىٰ إِلَىٰ أَهْلِهِ»، أي مال فجاء بعجل سمين فقربه إليهم «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ». وقد تكون بمعنى ثم كما في التسهيل. كقوله تعالى: «فَخَلَقْنَا أَلْفَاقًا مُضْغَةً» الآية، (ص) وثم (ش) وهي للترتيب مع المهلة. وقد تقع موقع الفاء كقول الشاعر:

كَمَرُ الرَّدَيْنِ تَحْتَ الْعِجَاجِ جَرَىٰ فِي الْأَنْبَابِ ثُمَّ اضْطَرَبَ

أي جرى فاضطرب. وقد تبذر تاؤها فاء. ويقال: فم، ويقال ثمث بإسكان التاء وفتحها (ص) وأو (ش) وهي موضوعة لأحد الشيتين أو الأشياء، ولها ست معانٍ. أحدها التخيير، نحو: تزوج هنداً أو أختها. الثاني الإباحة، نحو: جالس الأولياء أو العلماء، والفرق بينهما، أن التخيير لا يجوز الجمع بينهما، بخلاف الإباحة. الثالث: التقسيم، نحو: الكلمة اسم أو فعل أو حرف. الرابع: الإبهام، نحو: «وَأَنَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ». الخامس: الشك، نحو: «لَيْسْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ». والفرق بين الإبهام والشك. أن الإبهام، المتكلم عالم بالحكم، وأبهم على السامع، والشك لا علم عنده، وهو شك. السادس: الإضراب، بمعنى بل. كقوله تعالى: «وَأَرْسَلْنَاهُ بِإِكْرَامٍ أَوْ زَيْدُونَ». أثبتة ابن مالك، وتوزع فيه، وقد ترد بمعنى الواو، كقول الشاعر:

جاء الخِلافة أو كانت على قدر كما أتى موسى ربه على قدر
والمراد به: عُمَر بن عبد العزيز، أي جاء الخِلافة، وكانت على قدر سابق. لم
يتشوق إليها، ولم يطلبها، وقد ترد بمعنى التقريب، نحو: لا أدري اسلم أو ودع،
وترد بمعنى إن الشرطية، نحو: لأضربنه عاش أو مات، أي إن عاش بعد الضرب أو
مات. قاله السوداني. وفيه نظر، فإن أوفى المثال لا يصلح مَوْضِعها إن فتأملهُ هـ.
(ص) وَأَم (ش) لطلب التعيين، وتقع بعد همزة داخلة على أحد المتساويين، نحو:
أزيد عندك أم عمرو. إذا كنت قاطعاً بأن أحدهما عنده، ولكنك تشككت في عينه أو
بعد همزة التسوية. وهي المسبوقة سواء. أو ما يفيد معناها. كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ وكذلك: لا جناح عليك أو لا حرج. فَعَلتْ أم لم
تفعل. وهذه الهمزة تسبك مع ما بعدها بالمصدر، والتقدير: الإنذار وعدمه سواء
في حقهم. وهذه أم المتصلة. وأما المنقطعة؛ فهي الخالية مع هذه القيود، وتكون
بمعنى بَل الأضرابية، كقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾. وكل ما
بعدها في الآية فهو للأضراب، وكذا قوله تعالى: ﴿أَمْ هَلْ سَسَوَى أَطْلَمْتُمْ وَالتَّوْرُ﴾
وسميت منقطعة، لانقطاع الجملة التي بعدها عما قبلها. (ص) وَأَمَّا (ش) وهي مثل
أو في معانيها. بشرط تقدم إما أخرى قبلها. تقول: خُذْ مِنْ مَالِي إِمَّا دِرْهَمًا وَإِمَّا
دِينَارًا. وَجَالَسَ: إِمَّا الْعُلَمَاءَ أَوِ الْأَوْلِيَاءَ، وَهَكَذَا. وقيل: لِنِسْتِ بِعَاطِفَةٍ. وإنما
العاطف الواو وقبلها؛ وهي تفصيلية. (ص) وَبَل (ش) للإضراب والرّد على الخطأ
من الحكم بعد نفي. نحو: مَا قَامَ زَيْدٌ بَلْ عَمْرُو. وَلَصَّرَفَ الْحُكْمَ إِلَى مَا بَعْدَهَا
بعد الإيجاب، نحو: قام زيد بل عمرو. (ص) وَلَا (ش). وهي نافية، للرّد على
الخطأ في الحكم بعد الإيجاب. تقول: جاء زيد لا عمرو، رداً على من اعتقد
مجيء عمرو. وَيُعْطَفُ بِهَا أَيْضاً بَعْدَ الْأَمْرِ، نَحْوُ: اضْرِبْ زَيْدًا لَا عَمْرًا. وبعد
النداء، نحو: يا زيد لا عمرو. قال في الاتقان: لَمْ تَقَعْ لَأَعِاطِفَةٍ فِي الْقُرْآنِ.
(ص) وَلَكِنْ (ش) وهي للاستدراك، ولا تعطف إلا المفردات ويشترط خلوها من
الواو ومع تقدم نفي أو نهي نحو: ما قام زيد لكن عمرو. ولا تضرب زيداً لكن
عمراً. فَإِنْ قَرَنْتَ بِالْوَاوِ، وَكَانَتْ حَرْفَ ابْتِدَاءٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾
فرسول الله خبر كان محذوفة أي ولكن كان رسول الله. (ص) وَحَتَّى فِي بَعْضِ
المواضع. (ش) اعلم أَنَّ حَتَّى تَسْتَعْمَلُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ، أَحَدُهَا: أَنْ تَكُونَ حَرْفَ
جَزْءٍ، نَحْوُ: (حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)؛ وهي التي ينتصب المضارع بعدها بأن مُضْمَرَةً،
ثانيتها: أَنْ تَكُونَ ابْتِدَائِيَّةً؛ وهي الداخلة على الجمل الاسمية، كقول الشاعر:

فَمَا زَالَتْ الْقَتْلَى تَبِيحُ دِمَاءَهَا بِدَجْلَةٍ حَتَّى مَاءِ دَجْلَةٍ أَشْكَالٍ
 أَوْ فَعْلِيَّةٍ؛ الَّتِي فَعَلَهَا مَاضٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ عَوَّأُوا﴾ أَي كَثَرُوا. ثَالِثُهَا:
 أَنْ تَكُونَ حَرْفَ عَطْفٍ؛ وَهُوَ قَلِيلٌ. وَلَا يَكُونُ إِلَّا بَعْضًا مِمَّا قَبْلَهُ. أَوْ كَالْبَعْضِ.
 تَقُولُ: قَدِمَ الْحُجَّاجُ حَتَّى الْمَشَاءِ. أَوْ أَعْجَبْتَنِي الْجَارِيَةَ حَتَّى كَلَامِهَا، فَإِنَّ الْكَلَامَ
 لَيْسَ بَعْضًا. لَكِنَّهُ كَالْبَعْضِ. وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْطُوفُ مُبَايِنًا لِمَا قَبْلَهُ، فَيَقْدَرُ بَعْضِيَّتَهُ.
 كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

الْقَى الصَّحِيفَةَ كِي يَخْفِضَ رَحْلَهُ وَالزَّادَ حَتَّى نَعْلِهِ أَلْقَاهَا
 أَي أَلْقَى مَا يَثْقَلُهُ حَتَّى نَعْلِهِ، وَلَا يَكُونُ الْمَعْطُوفُ بِهَا أَيْضًا إِلَّا غَايَةً لِمَا قَبْلَهُ فِي
 شَرَفٍ أَوْ فِي خِسَةِ تَقُولُ: مَاتَ النَّاسُ حَتَّى الْأَنْبِيَاءِ وَجَاءَ النَّاسُ حَتَّى الْحِجَامُونَ وَقَدْ
 اجْتَمَعَا مَعًا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

قَهْرِنَاكُمْ مِنَ الْكِمَاةِ فَأَنْتُمْ تَهَابُونَنَا حَتَّى بَنِينَ الْأَصَاغِرِ
 وَاخْتَلَفَ فِي حَتَّى هَلْ هِيَ لِمَطْلُوقِ الْجَمْعِ كَالْوَاوِ، أَوْ لِلتَّرْتِيبِ كَالْفَاءِ. أَوْ بَيْنَ
 الْفَاءِ وَثُمَّ خِلَافَ (ص) فَإِنَّ عَطْفَتْ بِهَا (ش) أَي بِهَذِهِ الْحُرُوفِ الْعَشْرَةِ. (ص) عَلَى
 مَرْفُوعٍ رَفَعْتَ، أَوْ عَلَى مَنْصُوبٍ نَصَبْتَ. أَوْ عَلَى مَخْفُوضٍ خَفَضْتَ. أَوْ عَلَى
 مَجْزُومٍ جَزَمْتَ. تَقُولُ (ش) فِي الْعَطْفِ عَلَى الْمَرْفُوعِ. (ص) قَامَ زَيْدٌ وَعَمْرُوٌ.
 (ش). وَفِي عَطْفِ الْمَنْصُوبِ (ص) رَأَيْتَ زَيْدًا وَعَمْرًا وَ (ش) فِي عَطْفِ
 الْمَخْفُوضِ (ص) مَرَرْتُ بِزَيْدٍ وَعَمْرٍو. (ش)، وَفِي عَطْفِ الْمَجْزُومِ، زَيْدٌ لَمْ يَذْهَبْ
 وَيَقُمْ. وَمِنَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُضَعِّفُ لَهُ الْكُذَّابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَحْتَدُّ فِيهِ مَهْكَاتًا﴾ وَمِثَالُهُ
 فِي النَّصْبِ فِي الْفِعْلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِنُحِىَ بِهِ بَلَدَهُ مَيْتًا وَشَقِيْبَهُ﴾. وَفِي الرَّفْعِ «وَلَا
 يُودُّنَ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ». وَلَا يَشْتَرِطُ اتِّحَادُ الْفِعْلَيْنِ، فَيَجُوزُ حَذْفُ الْمَضَارِعِ عَلَى
 الْمَاضِي، مَعَ اتِّحَادِ الزَّمَانِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا﴾. ثُمَّ
 قَالَ: «وَيَجْعَلُ لَكَ قُضْرًا». فَيَجْعَلُ عَلَى قِرَاءَةِ الْجَزْمِ مَعْطُوفٌ عَلَى وَيَجُوزُ عَطْفُ
 الْأِسْمِ الشَّبِيهِ بِالْفِعْلِ، عَلَى الْفِعْلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْأَمْتِ وَيُخْرِجُ﴾.
 وَقِيلَ مَعْطُوفٌ عَلَى قَالِقٍ فَلَا دَلِيلَ فِيهِ. وَيَجُوزُ الْعَكْسُ؛ وَهُوَ عَطْفُ الْفِعْلِ عَلَى
 الْأِسْمِ الشَّبِيهِ بِهِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْلَتْ يَرَوًا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَنَعَتْ وَيَقِيضُنَّ﴾. وَقَوْلُهُ
 تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمَصْدَقَيْنِ وَالْمَصْدَقَاتِ وَأَقْرَضُوا﴾. وَإِنَّمَا صَحَّ الْعَطْفُ مَعَ اخْتِلَافِ الْجِنْسِ
 لِصَيْرُورَةِ أَحَدِهِمَا إِلَى الْآخَرَ بِالتَّلْوِينِ، فَيُؤَوَّلُ قَوْلُهُ: «وَيَقْبِضُنَّ» بِقَابِضَاتٍ.
 وَالْمَصْدَقَيْنِ بِالَّذِينَ تَصَدَّقُوا وَأَقْرَضُوا. وَاللَّائِي تَصَدَّقْنَ وَأَقْرَضْنَ وَمُخْرَجٌ، يُؤَوَّلُ

بيخرج، وهكذا، وتعطيف الجملة الاسمية على الاسمية. والفعلية على الفعلية. والعكس فيهما، والله تعالى أعلم.

الإشارة: علامة العطف من الله على عبده عشرة، هدايته وتوفيقه، وتوليته وتقريبه من حضرته. وكشف حجابيه، وانتقامه من أعدائه. وقيامه بشؤونيه بلا تعب، وقذف محبته في قلوب عباده. وإنهاض القلوب بهمته وحاله وكلامه. وعلامة العطف من العبد على مولاه: امتثال أمره واجتناب نهيه، والإكثار من كثرة، والاستسلام لقهره ومحبة كلامه. ومحبة رسوله ﷺ. ومحبة أهل بيته، ومحبة أوليائه، وصحبتهم وخدمتهم، والثقة بربه، والتوكل عليه في جميع أموره، وعدم التدبير ولا الاختيار مع ربوبيته، والرضى والتسليم لجميع أحكامه الجلالية والجمالية، وتحقيق معرفته، ودوام شهوده. والحضور معه في جل أوقاته. فهذه علامة المحبة من الجانبين. وقال الشيخ: من هذه الإشارة، وحروف العطف عشرة، أي أسبابها؛ وهي واو الجمع؛ أي جمع القلب بالله. والجمع مع أهل الله، وفاء الترتيب؛ وهي ترتيب وظائف العبودية في الظاهر، على ترتيب الشريعة. فلولا ورد ما كان وارداً لا ينكر الزود إلا جهول. وثم التي تدل على المهلة وعدم العجلة، فالتأني من الله، والعجلة من الشيطان. من تأني أصاب أو كاد، ومن استعجل أخطأ أو كاد كما في الحديث. وكان الولي الكاشف المجذوب، سيدي أحمد أبو سلهام كثيراً ما ينشد في هذا البيت، حين ندخل عليه في حال شبابي.

تَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ لِأَمْرِ رَبِّدُهُ وَكُنْ رَاحِمًا بِأَلْخَلْقِ تُبَلِّسِي بِرَاحِمِ
وَأُو التّي تفيّد التّخيير، فإذا خيّر سيّده، اختار العبودية على الحرية فيقدر ما يتحقّق بالعبودية في الظاهر. تتحقّق له الحرية في الباطن. والعبودية هي السفليات دون العلويات أو الإباحة، فيبيح ماله وعرضه لجميع الخلق، كأبي ضمضام، فالصوفي ماله مباح، ودمه هدّر أو التقسيم، فيقسم ما جعله الله على يديه، من الأرزاق الحسيّة والمعنوية، كالعلوم والأسرار على من يستحقها. «قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَتَهُمْ»، فيخاطب كل واحد على قدر فهمه وعقله، أو الإبهام. فيبهم ويكتم سرّه اكتفاء بعلم الله. استشرافك أن يعلم الناس بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك، أو التشكيك في ولايته؛ بعدم التعرّض لأسباب الظهور وفي ذلك يقول المجذوب رضي الله عنه:

اخْضَرُّ لِسِرِّكَ وَذُكُّ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ قَامًا

وَحَلُّ الخلائق تَشْكُو إلى يَوْمِ القِيَامَا. أو الإضراب: وهو إضرابه عن الدنْيَا وأهلها، وتوجهه إلى مَوْلَاهُ، فَبَقْدَرٍ مَا يَغِيبُ فِي حَسَنِ الظَّاهِرِ، تشرق عليه أنوار الباطِنِ. قال الشيخ أَبُو الحسن رضي الله عَنْهُ: غِيبَ عن حَسَنِ ظَاهِرِكَ، إِنْ أَرَدْتَ فَتَحَ باطنِكَ هـ. وأم التي يطلب بها التعيين؛ وهو تعيين الحق فَيُتَّبِعُ. ومن الباطل فَيُجْتَنَّبُ، أو تَغْيِينِ طريق السلوكِ، فَيَسْلُكُهَا على يَدِ أَهْلِ التَّسْوِيَةِ فَيَسْتَوِي عنده الذَّهَبُ والتراب، في عَدَمِ الرُّغْبَةِ والذَّلِّ والعِزِّ، والفقر والغِنَا والذَّمِّ، والمَذْحِ والمنع والَعَطَا وهكذا تستوي عنده الأحوال، فيتحقق بِمَقَامِ الاستواء. الَّذِي يتأهل به للولاية الكبرى. وَأَمَّا ما جرى في أَوْ قَبْجَرِي فيها. وَبَلَّ تشير إلى إضراب المرید عن الكَوْنَيْنِ، غَيْبَةً في المَكُونِ. فناء وشهوداً. وَلَا تُنْفِي السُّوَى، وتثبت المولى، فتقول: الحق موجود لا غَيْرَه، ولكن تشير إلى استندارك ما فات من العُمُرِ في البطالة والتقصير، بالجُذِّ فيما بقي. والاجتهاد والتشمير. قال أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عَنْهُ وَكَرَّمَ وَجْهَهُ. نعم بقیة عُمُرِ المُؤْمِنِ يدرك بها العبد ما فات. ويحيي ما أَمَاتَ، وحتى: تشير إلى انتهاء السَّيْرِ بالوصول إلى غَايَةِ المعرفة والتمكين من دوام الشهرِ. فَإِنْ عَطَفْتَ بها على مَرْفُوعِ رَفَعْتَهُ، أي زدت في معرفته، أو منصوب للتوجه والسَّيْرِ، نَصَبْتَهُ لَهُ. حَتَّى وَصَلْتَهُ، أو على مخفوض لِّلْهَوَى والنَّفْسِ بِالْمُجَاهِدَةِ والمُكَابِدَةِ، خَفَضْتَهَا. وَأَعْنَتَهُ عليهما. أو على مجزوم السَّيْرِ؛ طالب الوصول جَزَمْتَهُ، وشددت عقده، حتى يُشَاهِدَ أَسْرَارَ ذَاتِكَ، وأنوار صفاتك وبالله التوفيق. وهو الهادي إلى سواء الطريق.

بَابُ التَّوَكُّيدِ:

وهو مصدر وَكَّدَ، ويُقال التأكيد، مصدر أَكَّدَ. والأول أكثر وأفصح، وهو لغة القرآن. قال تعالى: ﴿بِمَدِّ تَوَكُّيدِهَا﴾. وهو على قسمين، لفظي وَمَعْنَوِي، فاللفظي إعادة اللفظ بعينه وتقويته بِمُرَادِفِهِ نحو: انزل نزال، ويكون في الأسماء، نحو قول الشاعر:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنْ مَنْ لَأَخَالَهُ كَسَاعَ إِلَى الهَيْجَا بِغَيْرِ سِلَاحِ
وبعده:

وإن ابن عم المَرْءِ فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح
ويكون في الأفعال كقول الشاعر:

فَأَيِّنْ إِلَى أَيِّنِ النجاة بيغيتي أَتَاكَ أَتَاكَ اللَّاحِقُونَ احبس احبس

وفي الحروف، كَقَوْلِ الشاعِر:

لَا لِأَبُوحِ بِحُبِّ بَشِينَةٍ إِثْمَا أَخَذَتْ عَلَيَّ مَوَاقِعًا وَعَهودًا
وفي الجُمْلِ نحو: أيا من لست أقلاه ولا في العبد أنساه. لك الله على ذلك
لك الله. ونحو:

قُمْ قائمًا قُمْ قائمًا قُمْ قائمًا إِنَّكَ لَا تَرْجِعُ إِلَّا سَالِمًا
قال عز الدين ابن عبد السلام: اتَّفَقَ الأدباء، أَنَّ التوكيد اللفظي في لسان
العرب لا يزيد على ثلاثة مرات هـ. وقد يكون اللفظي مكرراً بِغَيْرِ لَفْظِ الْأَوَّلِ، إِلَّا
أنه عينه في المَعْنَى. قالوا: حسن بسن وشيطان ليطان. ورجس نجس، وجائع
نائع، فالثاني تأكيد لفظي لا معنوي؛ لأنه بألفاظ مَعْلُومَةٍ، وليست هذه منها. وأما
التوكيد المعنوي، فَحَدَّهُ ابن الحاجب بقوله: تابع يقرر متبوعه في النسبة والشمول.
وعرفه المصنف بقوله (ص) التوكيد تابع لمؤكده في رفعه ونضبه وخفضه وتعريفه
(ش) ولم يقل وتنكيره، لأن مذهب البصريين، منع توكيد النكرة؛ لأنَّ المجهول لا
يؤكِّد. وجوزَه الكوفيون إن أفاد وهو الصحيح. قال في الألفية:

وَإِنْ يُفْعَلُ توكيد منكورٍ قَبْلُ وَعَنْ نُحَاةِ البُضْرَةِ المَمْنَعُ شَمِلُ
وصحة توكيد النكرة بشرطين. كونه موقته محدودة، وكون التوكيد من ألفاظ
الإحاطة والشمول وذلك نحو قولك: صممت شهراً كلُّهُ. وسنة كلِّها. ومنه قول
الشاعر:

لكنه شأنه إن قيل ذا رجب ياليت عدّة حول كله رجب
وقول الآخر:

يَالَيْتَنِي كُنْتُ صَبِيًّا مُرْضِعًا تَحْمِلُنِي الدَّلْفَاءُ حَوْلًا اكْتَعَا
إِذَا بَكَيْتَ قَبْلَتَنِي أَرْبَعًا إِذَا أَظْلَلَ أَبْكَى الدَّهْرُ أَجْمَعًا
والدَّلْفَاءُ: البُكَر. قال المصنف: (ص) ويكون بألفاظ معلومة؛ وهي النَّفْسُ
وَالعَيْنُ (ش) قلت: أما النَّفْسُ والعَيْنُ فيؤكِّد بهما يرفع توهم المجاز، من حَذَفَ
مضاف أو غيره. أو السهو أو النسيان. فإذا قلت: جاء زيد، فيحتمل جاء خبره أو
كتابه أو رحله، فإذا قلت نفسه، ارتفع ذلك الإيهام. وثبت الحقيقة، فإن أكّدا مثني
أو مجموعاً، جُمعاً على وَزْنِ أَفْعَلٍ تقول: جاء الزَّيْدَانِ أَنفُسُهُمَا، أَوْ أَعْيُنُهُمَا،
وجوز ابن مالك وولده تشنيتهما، ومنع ذلك أبو حيان. وإن اجتمعا أخرت العين

وَجُوبًا، تقول: جاء زيد نفسه عينه. ويجوز جرهما بالباء الزائدة، وامتنع ذلك في غيرهما، وأما (ص) كل وأجمع وتوابع أجمع (ش) فيذكر بهما لإرادة الإحاطة والشمول. وتوهم إطلاق البعض على الكل. ووجع في أجمع وتوابعه، أن تكون غير مضافة، فالخلو من الرباط شرط فيها. كما يشترط في الجملة المضاف إليها. (ص) تقول: قام زيد نفسه (ش) أو عينه، ورأيت زيدا نفسه أو عينه. وممرت يزيد نفسه أو عينه. أو جاء زيد بنفسه أو بعينه. وجاء الجيش كله، والقبيلة كلها، والقوم كلهم، والهندات كلهن. (ص) ورأيت القوم كلهم (ش) وجاء الجيش أجمع. والقبيلة جمعاً. (ص) وممرت بالقوم أجمعين (ش) والهندات جمع. وأما توابع أجمع؛ فهي أكتع وأبضع، وأبتع، فأكتع مشتق من ثوب كتيع، أي كامل. وتكتع الجلد: إذا اجتمع وتقبض. وأبضع قال الجوهري: البضع: هو الجمع. سمعته من بغض النحويين، وما أذري ما حجته. وأبت من البتع؛ وهو طول العنق. يقال: يتع الرجل فهو يتع طويل العنق. والأنثى بتعة، فإذا اجتمع الثلاثة، كان الأول توكيداً معنوياً، والباقي لفظياً. ومن ألفاظ التوكيد: كلاً وكلنا متصلان بضمير المؤكد، مستغنى بهما عن تثنية أجمع وجمعاً، نحو: جاء الجيشان كلاهما. والقبيلتان كلتاهما، ولا يؤكد بهما، وبكلي إلا ماله أجزاء. فلا يقال: جاء زيد كله، إذ لا يتوهم مجيء بغضه. ولا تقول: جاء الزيدان كلاهما، ولا الهندان كلتاهما؛ لعدم تجربتها، هكذا سمعت من بغض مشايختنا، ويؤده قوله تعالى: ﴿أَوْ كِلَاهِمَا﴾ فإنه توكيد لضمير الوالدين، أي هما كلاهما. فتأملهُ. فزع: إذا أردت أن تؤكد الضمير المتصل بالنفس أو بالعين أو بهما. لم يجوز ذلك، إلا بعد تأكيده بالضمير المنفصل. تقول هند خرجت هي بنفسها، أو عينها، إذ لو قلت خرجت نفسها، لا تختمل الموت، وكذلك خرجت عينها، لا تختمل خروج العين. وحمل على ذلك ما سواهما، نحو: زيد قام هو نفسه، وممرت بهم أجمعين. والكلام هنا يطول، فليُنظر في محله.

الإشارة: التوكيد في الأمور، والعزم عليها، والجد في طلبها، تابع للمؤكد المطلوب، فإن كان أمراً رفيعاً عظيماً، كمعرفة الله ورَسُوله بالعيان، فالتوكيد والعزم يكون بليغاً عظيماً. فالْحَضْرَة مَهْرهَا النفوس، فبذل الأرواح والمُهَج قليل في حَقِّهَا. فالله تعالى عزيز لا يُتَال إلا بِدَفْع العزيز عندك؛ وهو نَفْسُكَ، فبقدر أتعابها تكون راحتها، وبقدر بيعها والغيبَة يُعْظَم مَقَامُهَا. فبقدر الكد والجد تدرک المعاني، كما قال الشاعر:

بِقَدْرِ الْكَذِّ تَكْسَبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا سَهَرَ اللَّيَالِي
تُرِيدُ الْعَزْمَ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا يَغْوُصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي

وإن كان المؤكد أي المطلوب متوسطاً، كَعَلِمَ الرسوم وحروف القرآن،
فالتوكيد والجزم يكون متوسطاً. فقد يُذكره أهل الرياسة والجاه، وأهل الأسباب
والشواغل القلبية. بخلاف المقام الأول. فلا يُذكره إلا أهل التجريد ظاهراً وباطناً.
وإن كان المؤكد أمراً نبوياً، فالتوكيد والحرص فيه على قَدْرِ الهِمَّة. هذا: إشارة
قوله: تابع للمؤكّد في رفعه في المقام الأوّل مع المقرّبين. ونصبه أي توسطه في
المقام الثاني مع الأبرار الصّالحين. وخفضه في المقام الثالث مع الغافلين، ويتبعه
أيضاً في تعريفه، فبقدر كدّه واجتهاده يكون تعريفه، وكشف الحجاب عنه. وقد
يتبع في تنكيره، إن قلّت مجاهدته وتفرّغه، فيتنكّر الحق له على قدر شغله عنه.
ويكون التوكيد والجدّ في الطلب بالنفس، أي يَبْعَثُهَا وَبَدَلُهَا لِلْحَتُوفِ وَالْمَكَارَةِ أَوْلَى،
وبالغيبية عنها ثانياً. ويكون بالعين أي بالذات، باتعابها في مَرَضَاةِ اللَّهِ، وبالكل، أي
بالنفس والرّوح، وكل ما تملك، تَهَيِّئْهُ لِهَيْبَةِ اللَّهِ، ولمن يعرفك بالله. وبالله التوفيق.

بَابُ الْبَدَلِ:

البَدَلُ عبارة البصريين، ويعبّر عنه الكوفيون بالترجمة والتبيين وحده، التابع
المقصود بالحكم بلا واسطة، فالتابع جنسٌ يشمّل التّوابع الخمسة. وخرج
بالمقصود بالحكم سائر التوابع، ما عد العطف بهل بعد الإثبات. وبِلاَ واسطة.
العطف يَبْدُلُ بَعْدَ الْإِثْبَاتِ. والمراد بالمقصود بالحكم، استقلاله بالقضية، وانظر
المحاذي فقد حرّز المسألة. ثم قال المصنّف (ص) إذا أُبدِلَ اسم من اسم أو فعل
من فِعْلٍ تبعه في جميع إعرابه. (ش) فمثال الاسم من الاسم: «إلى صراط العزيز
الحَمِيدِ اللَّهِ» في قراءة الجرّ، ومثال: بدل الفعل من الفعل: «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
أَنَامًا يُضَاعَفُ». ويكون في الجمل؛ كقوله تعالى: «أَمَّا مِمَّا تَعْلَمُونَ أَمَّا مِمَّا تَعْلَمُونَ بِأَمْرٍ»
الخ. وقوله: في جميع إعرابه يُفْهَمُ مِنْهُ، أن البَدَلُ لا يتبع ما قبله فيما سِوَى ذَلِكَ.
من التعريف والتّذكير، والتذكير والتأنيث، والإفراد وضمه؛ وهو كذلك إلا في
التّذكير والتأنيث، والإفراد وضمه. فتبدل النكرة من المعرفة. كقوله تعالى: «لَسْتُمْ أَهْلًا
بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ»، والمعرفة من النكرة، كقوله تعالى: «وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»
صِرَاطِ اللَّهِ. وأما النكرة من النكرة، والمعرفة من المعرفة فواضح، كقوله تعالى:
«إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَلِيقًا». وقوله تعالى: «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ. وأما التذكير والإفراد وأضدادهما فإن كان بدل الشيء من الشيء فلا بد من المطابقة إلا لِمَانع كما تقدّم في الآية: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّيِّنِينَ مَقَارًا حَدَائِقَ﴾. فإنه مُنَع مِنْ جَمْع مَفَاز، كونه مَضْدَرًا، فَإِنَّ الْمَضْدَرَ لَا يَشْتِي وَلَا يُجْمَع. كما أنه إذا قصد تفصيل البديل لم يكن مطابقاً كقول الشاعر:

وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ رَمَى بِهَا الزَّمَانَ فَشَلَّتْ

وأما أنواع البَدَلِ الباقية، المبيّنة فيما يأتي فلا يلزم المطابقة في ذلك، ثم بيّن أنواع البَدَلِ فقال (ص) وهو عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: بَدَلُ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ، وَبَدَلُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ. وَبَدَلُ الْاِشْتِمَالِ، وَبَدَلُ الْعَلْطِ. (ش) يعني. أَنَّ الْبَدَلَ يَنْحَصِرُ فِي أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: بَدَلُ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ؛ وَيُقَالُ لَهُ بَدَلُ الْمَطَابَقَةِ، وَبَدَلُ الْكُلِّ مِنَ الْكُلِّ. وَالْعَبَارَتَانِ الْأُولَيَانِ أَحْسَنُ، لِأَفْتِضَاءِ الثَّلَاثَةِ؛ اخْتِصَاصِهِ بِمَا لَهُ أَجْزَاءٌ، مَعَ أَنَّهُ يَقَعُ فِيهَا لَيْسَ لَهُ أَجْزَاءٌ، كَذَاتِ الْحَقِّ تَعَالَى، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْآيَةِ: ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ﴾ وَمِثَالُهُ: جَاءَ زَيْدٌ أَخُوكَ. وَمِثَالُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ. أَخَذَتِ الْمَالَ نِصْفَهُ. وَحَقِيقَتُهُ مَا كَانَ مَدْلُولُهُ جُزْءًا مِنَ الْأَوَّلِ. وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي أَقْلَ مِنَ الْأَوَّلِ أَوْ أَكْثَرَ، أَوْ نِصْفَهُ. وَزَادَ بَعْضُهُمْ: بَدَلُ الْكُلِّ مِنَ الْبَعْضِ، وَمِثْلُهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَمُونَ شَيْئًا جَنَّتِ عَدْنٌ﴾. وَأَجَابَ الْجُمْهُورُ بِأَنَّهُ مِنْ بَدَلِ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ؛ لِأَنَّ الْجَنَّةَ عَامٌّ، وَجَنَاتِ عَدْنٍ بَعْضُهَا، وَمِثَالُ بَدَلِ الْاِشْتِمَالِ، أَعْجَبَنِي زَيْدٌ عِلْمَهُ. وَحَقِيقَتُهُ: مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَوَّلِ مُلَابَسَةٌ بِغَيْرِ الْكَلِمَةِ وَالْجُزْئِيَّةِ. وَقِيلَ: مَا يَصِحُّ الْاِسْتِغْنَاءُ عَنْهُ بِالْأَوَّلِ وَلَيْسَ كُلًّا وَلَا بَعْضًا. وَقِيلَ: مَا اشْتَمَلَ الْعَامِلُ عَلَيْهِ وَعَلَى مَعْنَاهُ بِطَرِيقِ الْإِجْمَالِ، اِسْتِمَالًا لَا مَعْتُوبًا. كَاسْتِمَالِ الظَّرْفِ عَلَى الْمَظْرُوفِ.

تثنية: استعمل المصنّف لفظ الكلّ والبعض بالتعريف، جائز على من يرى تنكيرها لفظاً ومعنى. وأما من قال إنهما مُلَازِمَانِ لِلإِضَافَةِ، وَتَوْنِيهِمَا لِلْعَوْضِ فَلَا يَجُوزُ، وَبِهِ جَزَمَ السُّيُوطِيُّ فِي أَلْفِيَّتِهِ:

كُلٌّ وَبَعْضٌ لَازِمَاهَا فَامْتَنِعْ تَعْرِيفُهُ بِاللَّامِ أَوْ حَالًا يَقَعُ

ثم مثل المصنّف للأقسام الأربعة فقال: (ص) تقول: قَامَ زَيْدٌ أَخُوكَ (ش) هذا مثال لبَدَلِ الْمَطَابَقَةِ. (ص) وَأَكَلْتُ الرَّغِيفَ ثُلُثَهُ (ش) هَذَا مِثَالُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ. وَتَقَدَّمَ، أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ تَقَدُّمِ الْأَكْثَرِ أَوْ الْأَقْلِ أَوْ النَّصْفِ (ص) وَتَقَعَنِي زَيْدٌ

عَلَّمُهُ. (ش) هذا مثال لبديل الاشتمال. ويشترط في هذين التَّوَعِينِ اشتمالها على رابطٍ يربطهما بالمبدل منه. إمَّا ضميراً أو ما يقوم مَقَامَهُ لفظاً أو تقديرًا. فاللفظي ما تقدم، والتقديرية، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ﴾ مِنْهُمْ ومثال المقدر في الاشتمال، قوله تعالى: ﴿قِيلَ اصْبِرْ الْأَخْذُودِ النَّارِ﴾ فالنَّارُ بَدَلٌ مِنَ الْأَخْذُودِ، أي النَّارِ فِيهِ. وقال الكوفيون: أَل نائبة عن الضَّمَّة، فلا تقدير. ثم مثَّلَ لِبَدَلِ الْغَلَطِ فَقَالَ. (ص) ورَأَيْتَ الْفَرَسَ فَسَبَقَكَ لِسَانِكَ لِذِكْرِ زَيْدٍ، ثم نطقت بها قصدت. فالفرس بدل غَلَطٌ، أي بدل من الشَّيْءِ الَّذِي ذَكَرَ غَلَطًا، لِأَنَّ الْبَدَلَ هُوَ الْغَلَطُ، كَمَا قَدْ يَتَوَهَّمُ. فالغلط إنما هو في المُبَدَلِ مِنْهُ لَا فِي الْبَدَلِ؛ وهذا هو أَحَدُ الْأَقْسَامِ فِي بَدَلِ الْغَلَطِ، وبقي عليه نَوْعَانِ، الْأَوَّلُ بَدَلُ الْإِضْرَابِ، وَيُسَمَّى بَدَلُ الْبِدَاءِ، وَالثَّانِي بَدَلُ التَّنْسِيَانِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا، أَنَّ بَدَلَ الْإِضْرَابِ الْمَقْصُودُ هُوَ الْأَوَّلُ. ثم ظهر فساد ذلك القصد. وقصدت الأول. ثم تَدَكَّرْتُ فَسَادَ قَصْدِكَ. ومثال ذلك: خذْ ثَوْبًا كِتَابًا. فيصح مثالاً للأقسام الثلاثة، فَإِنْ كَانَ الْقَصْدُ، الْأَمْرُ بِأَخْذِ الْكِتَابِ، لَكِنْ سَبَقَ اللَّسَانُ لِذِكْرِ الثَّوْبِ، فبَدَلَ غَلَطٌ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ الْأَمْرُ بِأَخْذِ الثَّوْبِ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَكَ فَسَادُ ذَلِكَ الْقَصْدِ. وَإِنْ الصَّوَابُ هُوَ أَخْذُ الْكِتَابِ فَبَدَلَ الْإِضْرَابِ وَيُسَمَّى بَدَلُ الْبِدَاءِ. وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ أَخْذَ الْكِتَابِ لَا غَيْرَ إِلَّا أَنَّهُ عِنْدَ إِرَادَةِ الْكَلَامِ وَالْأَمْرُ ذَهَبَ مِنَ الْحَافِظَةِ وَنَسِيَ وَخَطَرَ مَكَانَهُ الْأَمْرُ بِأَخْذِ الْكِتَابِ فَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَهُ زَالَ التَّنْسِيَانِ، وَتَعَيَّنَ فَسَادُ إِرَادَتِهِ. فَذَكَرَ الْكِتَابَ. فَهَذَا بَدَلُ التَّنْسِيَانِ، فَالغلط محلله اللسان، والتَّنْسِيَانُ محلله الجنان، لَكِنْ الْأَحْسَنُ فِي الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ، أَنْ يُؤْتَى بِبَدَلِ الْمَقِيدَةِ لِلْإِضْرَابِ. ومثال بَدَلِ الْإِشْتِمَالِ فِي الْفِعْلِ: إِنْ تُصَلِّ تَسْجُدَ اللَّهُ بِرَحْمَتِكَ، وَمِثَالُهُ فِي الْغَلَطِ، إِنْ تَضَرَّبَ تَكْرَمَ زَيْدًا يَعْظَمُكَ. وَيُبَدَّلُ الظَّاهِرُ مِنَ الظَّاهِرِ كَمَا تَقَدَّمَ. وَالْمُضْمَرُ مِنَ الْمُضْمَرِ، نَحْوُ: أَكْرَمْتُكَ إِيَّاكَ. وَقِيلَ تَوْكِيدًا. وَأَمَّا الْمُضْمَرُ مِنَ الظَّاهِرِ فَلَمْ يَقَعْ، نَحْوُ: أَكْرَمْتُ زَيْدًا إِيَّاهُ. وَأَمَّا الظَّاهِرُ مِنَ الْمُضْمَرِ فَجَائِزٌ. إِنْ كَانَ بَعْضًا أَوْ إِشْتِمَالًا. أَوْ ذَلَّ عَلَى إِحَاطَةٍ. فَالْأَوَّلُ، أَعْجَبْتَنِي وَجْهَكَ، وَالثَّانِي، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَمَا أَلْفَيْتَنِي حَلْمِي مِضَاعًا. وَالثَّالِثُ، نَحْوُ: جِئْتُمْ كَبِيرَكُمْ وَصَغِيرَكُمْ. وَمِنَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَكُونُ لَنَا عِبَادًا لَأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الإِشَارَةُ: إِذَا أَبْدَلَ اسْمًا مِنْ اسْمٍ فِي مَقَامِ الْفَنَاءِ فِي الذَّاتِ، فَيَتَرَقَّى مِنْ اسْمِ الْعَبْدِ إِلَى اسْمِ الرَّبِّ، حِينَ تَسْتَوْلِي عَلَيْهِ أَنْوَارُ الْحَقَائِقِ، فَيَغِيبُ الْعَبْدُ فِي وُجُودِ

الرَّبِّ؛ وهو مقام الوصال والاتصال، يغطي الحق تعالى وصف عبده بوصفه ونعته بنعته، فيوصله بما منه إليه، لا بما في العبد إليه، فيغطي وصف العبودية، بوصف الربوبية، ونعت الحدوث بنعت القدم، فيفتي الحادث، ويبقى القديم، أو فعل من فعل في مقام الفناء، في الأفعال، فلا يَرَى فاعلاً قط إلا الله. وفي هذا المقام، قال الشاعر:

إِذَا مَا رَأَيْتَ اللَّهَ فِي الْكُلِّ فاعِلاً رَأَيْتَ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ سَاحِلاً

وهذا بداية السالكين، ونهاية الصالحين ووسط الفنا في الذات للمستشرفين. قال القطب ابن مشيش رضي الله عنه. حقيقة الشُّرْب أي شُرْب الخمرة، المحبَّة: مَزَج الأوصاف بالأوصاف، والأفعال بالأفعال، والأسماء بالأسماء، والأنوار بالأنوار الخ كلامه. والمراد بالأنوار الذوات بالذوات. ومعناه: الغيبة في الله عما سواه. وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه، لله رجال محا أوصافهم بأوصافه، وأفعالهم بأفعاله، وذواتهم بذواته، وحملهم من الأشرار ما تعجز عنه عامة الأولياء هـ. فإذا أبدل اسمه باسمه، وفعله بفعله، تبعه في جميع تجلياته. فإذا تجلَّى سبحانه باسمه القابض، انقبض، وينقبض الوجود بقبضه، وإذا تجلَّى باسمه الباسط، انبسط، وينبسط الوجود ببسطه؛ لأنه خليفة الله في أرضه، فكل ما يتجلَّى به تعالى، يتجلَّى في قلب العارف؛ الذي هو بدل من الله في ملكه وتصريفه، ثم يتجلَّى في الوجود بجلال أو جمال؛ هو على أزبعة أنواع، إما أن يكون بدلاً من الحق، ونائباً عنه في الكل؛ وهو مقام الغوث الجامع؛ لأن المد كله للدائرة كلها. حسي ومعنى. وأما أن يكون بدلاً منه في البغض، كمقام الأقطاب، والأوتاد، والأبدال، والنجباء، والتقياء والصالحين، فإنهم يصرِّفون في بغض المملكة، على حسب ما ملكهم الله التصريف فيه. وإما أن يكون بدلاً منه، لاشتماله على علوم وأنوار وأسرار، ثم توجد لغيره، وهذا مقام الأفراد؛ فإن الفرد أكمل من القطب الجامع في العلم بالله. قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه: كان الجنيد قطباً في العلوم. وكان البسطامي قطباً في الأحوال. وكان سهل قطباً في المقامات هـ. وقد يكون ذلك البدل دعوىً وغلطاً. نعوذ بالله من الدعوى العريضة، من القلوب المريضة، وبالله التوفيق.

بَابُ مَنْصُوبَاتِ الْأَسْمَاءِ: أي الأسماء المنصوبات، ثم عدَّها فقال (ص) الْمَنْصُوبَاتُ خَمْسَةٌ عَشْرٌ؛ وهي المفعول به، والمصدر، وظرف الزمان، وظرف

المَكَانِ، وَالْحَالِ وَالتَّمْيِيزِ وَالمُسْتَثْنَى، وَاسْمِ لَأَ، وَالمُنَادَى، وَالمَفْعُولِ مِنْ أَجْلِهِ، وَالمَفْعُولِ مَعَهُ، وَخَبَرِ كَانْ وَأَخْوَاتِهَا. وَاسْمِ إِنَّ وَأَخْوَاتِهَا، وَالتَّابِعِ المَنْصُوبِ وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: التُّغْتُ وَالعَطْفُ وَالتَّوَكِيدُ وَالبَدَلُ (ش) قُلْتُ: ذَكَرَ أَوَّلًا؛ أَنَّهَا خَمْسَةٌ عَشْرَ. وَلَمْ يَعُدْ إِلَّا أَرْبَعَةَ عَشَرَ وَلَعَلَّ الخَامِسَ عَشَرَ هُوَ مَفْعُولًا ظَنُّ وَأَخْوَاتِهَا. وَأَمَّا خَبَرُ مَا المَجَازِيَّةِ وَلَا وَلَاآتَ، وَأَنَّ المَشْبَهَاتِ بِلَيْسَ فَتَنْدَرِجُ فِي كَانْ وَأَخْوَاتِهَا، فَمِثَالُ مَا المَجَازِيَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾. وَمِثَالُ لَأَ. قَوْلُهُمْ: لَأَ أَحَدٌ خَيْرٌ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِالعَافِيَةِ، وَمِثَالُ لَأَ وَلَاآتَ جِيئَ مَنَاصِرٍ، أَيِ وَلَيْسَ الحَيْنِ حِينَ فِرَارٍ، وَالكَلَامِ عَلَيْهَا مَبْسُوطٌ فِي مَحَلِّهِ.

الإِشَارَةُ: المَقَامَاتِ المَنْصُوبَاتِ لِلْمَرِيدِ إِذَا قَطَعَهَا وَصَلَ: خَمْسَةٌ عَشْرَ:

التَّوْبَةُ، ثُمَّ التَّقْوَى، ثُمَّ الِاسْتِقَامَةُ، وَهِيَ مُتَابَعَةُ الرِّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَخْوَالِهِ، ثُمَّ الخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، ثُمَّ الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ، أَيِ الصَّبْرُ فِي البَلِيَّةِ، وَالشُّكْرُ فِي الثُّغْمَةِ؛ مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا نِعْمَةٌ. ثُمَّ الوَرَعُ، ثُمَّ الرُّهْدُ. ثُمَّ التَّوَكُّلُ؛ ثُمَّ الرُّضَى وَالتَّسْلِيمُ، ثُمَّ الإِخْلَاصُ وَالصَّدْقُ؛ وَهِيَ التَّبَرُّيُّ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ثُمَّ الطَّمَأْنِينَةُ، ثُمَّ المَرَاقِبَةُ ثُمَّ المَحَبَّةُ. ثُمَّ المَشَاهِدَةُ ثُمَّ المَعْرِفَةُ؛ وَهِيَ الرِّسْوَخُ وَالتَّمَكُّينُ فِي شَهُودِ الحَقِّ. وَبِاللهِ التَّوْفِيقِ، ثُمَّ تَرَجَمَ المُصَنِّفُ كُلَّ وَاحِدٍ فَقَالَ: (ص) بَابُ المَفْعُولِ بِهِ: قُلْتُ: المَفَاعِيلُ خَمْسَةٌ: مَفْعُولٌ بِهِ، وَمَفْعُولٌ فِيهِ، وَمَفْعُولٌ لَّهُ، وَمَفْعُولٌ مَعَهُ، وَمَفْعُولٌ مُطْلَقٌ، وَحَدُّ الجَزْوِيِّ المَفْعُولِ الأَعْمِ الشَّامِلِ للخَمْسَةِ، فَقَالَ: المَفْعُولُ: مَا تَضَمَّنَهُ الفِعْلُ مِنْ حَدِيثِ وَزَمَانٍ، وَالتَّزَمُّهُ الحَدِثُ مِنْ مَكَانٍ، وَاسْتِدْعَاؤُهُ مِنْ مَحَلٍّ وَبَاعِثٍ وَمُصَاحِبٍ فَالأَوَّلُ: المَفْعُولُ المُطْلَقُ. وَالثَّانِي ظَرْفُ الزَّمَانِ، وَالثَّلَاثُ، ظَرْفُ المَكَانِ، وَشَمَلَهَا المَفْعُولُ فِيهِ، وَالرَّابِعُ المَفْعُولُ بِهِ. وَالخَامِسُ: المَفْعُولُ مِنْ أَجْلِهِ. وَالسَّادِسُ: المَفْعُولُ مَعَهُ. وَبَدَأَ المُصَنِّفُ بِالمَفْعُولِ بِهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَصْدُقُ عَلَيْهِ اسْمُ المَفْعُولِ عِنْدَ الإِطْلَاقِ وَكَانَ حَقُّهُ أَيْضًا أَنْ يَصْدُقَ عَلَى المَفْعُولِ المُطْلَقِ لَكِنْ صَارَ وَصْفُ الإِطْلَاقِ قِيْدًا فِيهِ، فَلَا يَذْكَرُ إِلَّا مُقَيَّدًا بِهِ فَقَالَ: (ص) وَهُوَ الاسْمُ المَنْصُوبُ (ش) فَلَا يَكُونُ فِعْلًا وَلَا حَرْفًا. وَكَوْنُهُ مَنصُوبًا حَكْمٌ مِنْ أَحْكَامِهِ. وَتَقَدَّمَ مَا فِيهِ، وَيُفِيدُ نَصْبَهُ بِمَا لَمْ يُنْبَ عَنِ الفَاعِلِ. وَقَوْلُهُ: (ص) الَّذِي يَقَعُ بِهِ الفِعْلُ (ش) أَيِ يَقَعُ عَلَيْهِ، فَيَكُونُ مَحَلًّا لِفِعْلِ الفَاعِلِ. وَيَكُونُ الفِعْلُ الوَاقِعُ عَلَيْهِ حَيْثُ تَدْبَأُ مُتَعَدِّيًا، وَضَدُّهُ اللَّزْمُ الَّذِي لَا يَطْلُبُ شَيْئًا، ثُمَّ مِثْلُ بَمِثَالَيْنِ فَقَالَ: (ص) نَحْوُ قَوْلِكَ: ضَرَبْتُ زَيْدًا، وَرَكِبْتُ الفَرَسَ. (ش) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ صِيغَةِ فِعْلٍ أَوْ فِعْلِ المُتَعَدِّيِّ. فزَيْدٌ وَالفَرَسُ وَقَعَ الفِعْلُ عَلَيْهَا حِسَابًا.

وقد يكون الوقوع معنوياً، نحو: فهمت المسألة. وكتبت العلم. (ش) وهو على قسمين: ظاهر ومضمر، فالظاهر ما تقدم ذكره (ش) أي من ضربت زيدا الخ (ص): والمضمر قسمان: متصل ومنفصل (ش) وقد تقدم حقيقتها. (ش) فالمتصل اثنا عشر (ش) اثنان للمتكلم، وخمسة للمخاطب، وخمسة للغائب. فالتكلم (ص) نحو قولك ضربني، (ش) للمتكلم وحده. (ص) وضربنا. (ش) للمعظم نفسه أو معه غيره، وللمخاطب (ص): ضربك (ش) بفتح الكاف للمذكر (ص) وضربك بكسره للمؤنث (ص) وضربكما (ش): للمخاطبتين مطلقاً مذكرين أو مؤنثين، أو مختلفين. (ص) وضربكم (ش) للمخاطبتين المذكرين (ص) وضربكن (ش) للمخاطبات المؤنثات (ص) وضربهن (ش) للمذكر الغائب. (ص) وضربها (ش) للغائبة (ص) وضربهما (ش) للغائبتين. مذكرين أو مؤنثين أو مختلفين (ص) وضربهنم (ش) وللغائبتين المذكرين. (ص) وضربهن (ش) للغائبات. (ص) والمنفصل. (ش)؛ وهو الذي يصح الابتداء به، ويقع بعد إلا في الاختيار (ص) اثنا عشر نحو قولك: إياي. (ش) أكرمت للمتكلم وخده (ص) وإيانا (ش) للمتكلم عظيماً أو مشاركاً. (ص) وإياك (ش) للمخاطب المذكر (ص) وإياك (ش) للمخاطبة. (ص) وإياكم (ش) للمخاطبتين المذكرين (ص) وإياكن (ش) للمخاطبات. (ص) وإياه (ش) للغائب. (ص) وإياها (ش) للغائبة. (ص) وإياهما (ش) للغائبتين؛ مذكرين أو مؤنثين أو مختلفين (ص) وإياهم (ش) للغائبتين الذكور (ص) وإياهن (ش) للغائبات. واختلف في هذه الضمائر المنفصلة، فقيل: إيا هي الضمير ولو احقه حروف تدل على المتكلم، أو الخطاب، أو الغيبة؛ وهو مذهب سيبويه، وذهب الخليل إلى أن إيا ضمير مضاف إلى لواحقه؛ وهي ضمائر أيضاً. وقال الزجاجي: إنها من قبيل الأسماء الظاهرة، ومعناه: حقيقة الشيء. قال: ومعنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي حقيقتك نعبد. مشتق من الآية؛ بمعنى العلامة؛ وهو بعيد. وقيل: إيا عماد. والضمير ما بعدها. فهي كحرف زائد.

فائدة: فيما يعرف المجهول به، أنه يصح أن يجعل مبتدأ ويخبر عنه باسم مفعول تام. من لفظ فعله، نحو قولك. ضربت زيدا، فتقول زيد مضروب. ويجوز حذف المفعول به؛ إن دل عليه دليل، أو أفاد حذفه العموم، ويجوز حذف ناصبه؛ إن علم. وقد يكون حذفه ملتزماً. والله تعالى أعلم.

الإشارة: المفعول به؛ هو الذي تحقق فتاؤه، وكمل بقاؤه بالله. قد غاب عن

ووجوده؛ ووجود فعله؛ فهو مفعول به في كل ما يفعل ويذُر ليس له عن نفسه إخبار، ولا مع غير الله قرار، فعله بالله، وتركّه بالله. فمثل هذا لم يبق عليه ميزان، ولا يتوجه عليه عتاب. إذا هو نائب عن الله في فعله؛ وهو عين من عيون الله؛ لأن وصفهم البشري مغطى عنهم، ومغمور بنور القدم، وإلى ذلك يشير ما ورد من قولهم: الشأن أن تكون عين الاسم، أي عين المسمى. وقولهم: أصابتك عين من عيون الله. ومن ذلك قول سيدنا عمر رضي الله عنه للرجل الذي شجّه عليّ كرم الله وجهه؛ والدم يسيل على شجتيه، أصابتك عين من عيون الله، بعد أن سأله عن سبب الضربة. فقال: رأيته مفاوضاً لامرأة، فسأني ما سمغت منه فضربتُه. ورد عن أبي بكر في قضية أخرى: أنا لا أقيّد من وزعة الله. والوزعة كبراء الجيش، الذين يحشون بين صفوف الحرب لتقويمها وتمهيدها. وذلك إشارة منهم إلى رجال القبضة المتصرفين بالله، الأمانة على أسرار الله في خليفته ومملكته؛ وهم المحبوبون؛ الذين ورد فيهم، فإذا أحببته كنته. وقال المصنف؛ وهو الاسم المنصوب لجزيان المقادير عليه؛ لم يبق له تذيير ولا اختيار؛ الذي يقع به الفعل من الله فهو آلة لفعله، وسيف من سيوفه، ينتقم به من أعدائه إذا شاء؛ وهو على قسمين؛ ظاهر معروف، أظهره لتنع عباده، أو إقامة الحجّة عليهم في الإنذار، ومضمّر خفي؛ وهو كثر من كنوز الله، صنّ به على خلقه، فهو مستور تحت أستار البشرية، حتى يلقي الله. وبالله التوفيق.

باب المضدر: الصواب: التّعبير بالمفعول المطلق؛ لأنه هو الذي يُنصب دائماً. وأما المضدر، فقد يكون مرفوعاً، نحو ضربك ضرباً شديداً، ومجروراً نحو: عجبك من ضربك، بخلاف المفعول المطلق؛ فلا يكون إلا منصوباً، والمضدر له؛ إنما لما كان الغالب أنه لا يكون إلا مضدراً عبّر عنه بالمضدر. وأما ما ورد منه غير مضدر، فإنه من باب النيابة كما يأتي. ولذلك عرفه بعضهم بقوله: المفعول المطلق؛ هو المصدر الفُضلة، المسلط عليه عامل من لفظه، أو من معناه. فالأول: نحو: ضربته ضرباً. والثاني: جلستُ قعوداً. واحترزتُ بالفضلة من العمدية، نحو: كلامك كلام حسن، وطال جلوسك، فإنه مضدر غير مفعول مطلق. وعرفه ابن هشام بقوله: اسم يؤكد عاملة، أو يبيّن نوزعه أو عدده. وليس بخبر ولا حال. وعرف المصنف المصدر الذي يكون مفعولاً مطلقاً فقال: (ص) وهو الاسم المنصوب الذي يجيء ثالثاً في تصريف الفعل نحو: (ش) قولهم في تصريف ضرب. (ص) ضرب يضرب ضرباً (ش) وقام يقوم قياماً. وأكرمه يكرمه إكراماً

(ص) وهو على قسمين؛ لفظي ومعنوي؛ فإن وافق لفظه لفظ فعله فهو لفظي، نحو: قَتَلْتُهُ قِتْلًا. (ش) ومثله: «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا» (ص) وإن وافق معنَى فعله دُونَ لفظه؛ فَهُوَ معنوي، نحو جَلَسْتُ قَعُودًا، وقمت وقُوفًا (ش) قلت: إنما سُمِّيَ الأول لفظياً؛ لاتفاق المَصْدَرِ مَعَ عامِلِهِ في اللفظ المستلزم للمعنى. وأما الثاني فلما اختلفا لفظاً، واتفقا معنَى سُمِّيَ معنويًا؛ وهذا مبني على أَنَّ العامل في الثاني الفعل المذكور وجعله كثير من التَّحْوِيينَ منصوباً بِفِعْلٍ مَقْدَرٍ من لفظه، فيكون لفظياً. فيسقط هذا القسم المعنوي؛ وهو على تقدير ثبوته؛ فَهُوَ مِنْ باب النياحة عن الأضَلِّ. الموافق لِلْفِعْلِ الفِعْلِ. فقد يحذف المصدر المفعول المطلق، وينوب عنه أشياء، فمن ذَلِكَ. كُلِّ وَبَعْضِ مُضَافَيْنِ إِلَى المصدر، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾. ﴿وَلَوْ نَفَرْنَا لَنَرَّاهُمْ كَالْعَافِيقِ﴾. وكذلك العَدَدُ، نحو: فَأَجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً. وَأَسْمَاءُ الْآلَاتِ؛ نَحْوُ ضَرْبَتُهُ سَوَاطِئًا. والصفات؛ نحو: «وَأَذْكَرَ رَبِّكَ كَثِيرًا» أي ذكراً كثيراً. ومثله: «فَكَلَّأَ مِنْهَا رَعْدًا أَيْ أَكَلًا رَعْدًا. وقيل حال من مَصْدَرِ الفِعْلِ المفهوم مِنْهُ، أي فَكَلَّأَ حَالَةَ كُؤُنِ الأَكْلِ رَعْدًا. وانظر شرح الشيخ علي بركة، فقد استوفى المَسْأَلَةَ نَثْرًا وَنَظْمًا. تَنْبِيهَاتُ: الأَوَّلُ: المَصْدَرُ هو الأَصْلُ للفعل والوصف، فَهُمَا مُشْتَقَانِ مِنْهُ على المختار. الثاني: الناصب للمفعول المطلق، إمَّا فِعْلُهُ أَوْ مَصْدَرُ مِثْلِهِ، نحو: «فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا». ووصف؛ نحو: ﴿وَالصَّغِيْرَاتُ حَقْنَ﴾ الثالث: المفعول المطلق: فائدته ثلاث: ما أن يؤكد عامله نحو: ضَرْبَتُهُ ضَرْبًا، أَوْ يَبِيْنُ تَوْعَهُ، نحو: سِرْتُ سِرًّا حَسَنًا. أَوْ عَدَدَهُ نَحْوُ، ضَرْبَتُهُ ضَرْبَتَيْنِ أَوْ ضَرْبًا. الرابع: يجوز حَذْفُ عامِلِ التَّوْعِي وَالْعَدَدِي دون التوكيدي، قَالَ فِي الخِلاصَةِ:

وَحَذْفُ عامِلِ المَوْكَّدِ امْتِنَاعٌ وَفِي سِوَاهُ لِذَلِيلِ مُتَسَعِّغٍ

واغْتَرَضَ عَلَيْهِ وَلَدَهُ بَذْرَ الدِّينِ، بِالْمَصْدَرِ النَّائِبِ عَنِ فِعْلِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَضْرِبَ الرِّقَابِ﴾. فَإِنَّ التَّقْدِيرَ؛ فَاضْرِبُوهُمْ ضَرْبَ الرِّقَابِ. فَقَدْ حَذَفَ مَعَ كَوْنِهِ مَوْكَّدًا لِعَامِلِهِ، قَالَ المَكْوْدِي. واعتراضه؛ فَتَحَهُ. وَرَدَّهُ أَبُو إِسْحَاقَ الشَّاطِبِي؛ بِأَنَّ المَصْدَرِ النَّائِبِ عَنِ فِعْلِهِ؛ لَيْسَ مِنَ المَوْكَّدِ لِعَامِلِهِ فِي شَيْءٍ. بَلْ هُوَ نَائِبٌ عَنْهُ وَقَائِمٌ مَقَامَهُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى المَعْنَى، فَلَا يَلَاحِظُ ذَلِكَ الفِعْلُ أَضْلًا، بَلْ صَارَ نِسْبًا مَنَسِيًا. قَالَ ابن غازي رَجَمَهُ اللَّهُ؛ وَقَدْ كَتَبَ بَعْضُ الأَذْكِيَاءِ فِي طَرَةِ الشَّارِحِ، قَوْلَ الشَّاعِرِ:

وَإِبْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لَزَفِي قَرْنٌ لَمْ يَسْتَطِعْ قَوْلُهُ الْبِزْلُ الْقِنَاعِيْسِ

والبزُل: الجمل الكبير؛ الذي بَلَغَ خَمْسَ سِنِينَ، أو سِتًّا فَأَكْثَرَ: والقناعيس: القوي الغليظ وهو مثال لم يتعرض على الأكابر، ولم يبلغ مَبْلَغَهُمْ. والله تعالى أعلم.

الإِشَارَةُ: المصدر ما صَدَرَ عن الحَقِّ من أنوار تجلياته، وأسرار ذاتِهِ. وهو الاسم المنسوب، أي ما نُصِبَ من الكائنات ليعرف بِهَا، ويشهد فيه، فما نُصِبَ لك الكائنات لتراها، بل لترى فيها مَوْلَاهَا. وقال صاحب العينية: فأوصافه والاسم والأثر الذي هُوَ الكَوْنُ عَيْنُ الدَّاتِ والله جامع. وقال فيها أيضاً: هُوَ موجد الأشياء وهو وجودها، وعين دَوَاتِ الكل وهو جَوَامِع. وإنما يجيء هذا ويكشف في تصريف الفعلِ ثالثاً في فعل الشريعة، والطريقة، والحقيقة. فتشتغل النفس أولاً بأفعال الشريعة. حتى تتراضَ بِهَا وتذوق حَلَاوَتَهَا، ويشتغل القلب ثانياً بأفعال الطريقة، فيتخلَّى مِنَ الرَّذَائِلِ، ويتحلَّى بالفضائل. وتشتغل الروح ثالثاً بِالْعُكُوفِ في بَحْرِ الحَقَائِقِ، حتى تَسْتَمِرَّ مَعَهَا وَيَرْسُخَ قَدَمَهَا في شهود أنوارها وأسرارها؛ وهو: أي ما صَدَرَ من الكائناتِ على قَسَمَيْنِ، قسم غلب مَعْنَاهُ على جِسْمِهِ، فصار معنوياً كالملائكة، والعارفين من بني آدَمَ، وقسم غلب حِسُّهُ على مَعْنَاهُ؛ كالجمادات والحيواناتِ، ويلحق بهم من غلب حِسُّهُ على معناه وشهوته على عقلِهِ من بني آدَمَ؛ وهم المنهمكون في العَفَلَةِ. المنكبون على الدنيا بالكلية. فانطَمَسَتْ بِصِيرَتِهِمْ، واتَّسَعَتْ دائرة جِسْمِهِمْ؛ فَهُمُ مَسْجُوثُونَ بِمَحِيطَاتِهِمْ. محضورُونَ فِي هَيْكَلِ دَاتِهِمْ، عَائِذاً بِاللَّهِ مِنْ خَالِهِمْ. قال بعض العارفين: الخَلْقُ ثلاث؛ قسم لهم عَقْلٌ بِلَا شهوة؛ وهم الملائكة. وقسم لهم شهوة بِلَا عَقْلٍ؛ وَهُمُ البِهَائِمُ؛ وسائر الحيواناتِ، وقسم لهم عَقْلٌ وشهوة؛ وهم بَنُو آدَمَ. فَمَنْ غَلَبَ عقله على شهوته، كَانَ كالملائكة أَوْ أَفْضَلَ ومن غَلَبَتْ شهوته على عقله كَانَ كالبهائم أَوْ أَضَلَّ، وَمَا شرف الآدمي وأكرمه الله إِلَّا بِمجاهدة شهوته، فَمَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ وَزَجَّرَهَا حتى ملكها وظفر بِهَا، كَانَ أَشْرَفَ مِنَ الملائكة، إِذْ لَا مجاهدة لَهُمْ، فَلَا تكمل مُشاهدتهم كمال الآدمي. وبالله التوفيق.

بَابُ ظَرْفِ الزَّمَانِ وَظَرْفِ الْمَكَانِ: هذا هو الثالث من المفاعيل؛ وهو المَفْعُولُ فِيهِ، وَيُسَمَّى البصريون الظرف، وهو في اللِّغَةِ: الوعاء. وعده بعضهم فقال: هو ما ذكر فضلة لأمرٍ وَقَعَ فِيهِ، من اسم زمان مطلقاً أو مكان مُبْهِمٍ، أو مادَّةٌ مَادَّةٌ عَامِلَةٌ هـ. وعَرَفَهُ المصنّف بيبعضِ خَوَاصِّهِ فقال: (ش) ظرف الزمان هو

اسم الزَّمانِ . (ش) أي مُبْهِمًا كَانْ أَوْ مَخْتَصًا . (ص) المنصوب (ش) أي بفعل أو شِبْهِهِ . (ص) بتقدير في (ش) أي بتضمين معنى في الدَّالَّةِ على الظرفية . وليس المراد أن في مقدرة فيه أو كانت هناك وحدها لأنَّ هذا النوع يُقال فيه مَنْصُوبٌ على إسقاطِ الخافضِ : وهو غير مطرد، إِلَّا مَعَ إِنْ وَأَنْ وَكِي وَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ .

وإنما المراد أنَّ الكلمة تَضَمَّنَتْ وقوع شيء فيها، ثم عدَّ الظروف فقال . (ص) نحو اليوم . (ش) كقوله تعالى : ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ . فالיום ظرف لأَكْمَلْتُ، واليوم عند العرب من طلوع الشمس إلى الغروب . ومثله النَّهَارُ . وَرُوي عَنِ الشَّغْبِيِّ أَنَّ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ لَيْسَ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا مِنَ النَّهَارِ . (ص) وَاللَّيْلَةُ . (ش) وهي من غروب الشمس إلى طلوع الفجرِ (ص) وَغَدْوَةٌ (ش) وهي من صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ . وقيل من طلوع الشمس إلى وقت الضحى . وَيُقَالُ لَهَا الْغَدَاةُ . وقد مَدَحَ اللهُ تَعَالَى أَهْلَ الصِّفَةِ بِقَوْلِهِ : «يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» . أي يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهَا . وفي الحديث القدسي : «يَا بْنَ آدَمَ . اذْكَرْنِي أَوَّلَ النَّهَارِ، وَآخِرَهُ أَكْفَكُ مَا بَيْنَهُمَا» . وفي حديث آخر : «ذَكَرَ اللهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ أَفْضَلَ مِنْ حَطْمِ السُّيُوفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هـ . (ص) وَبُكْرَةٌ . (ش) وهو أَوَّلُ النَّهَارِ؛ وهو قَرِيبٌ مِنَ الْغَدَاةِ . (ص) وَسَحْرَاءُ . (ش) بِالتَّنْوِينِ، إِذَا لَمْ تَرُدْ سَحْرَ يَوْمٍ بَعِيْنِهِ . وَإِذَا أَرَدْتَ ذَلِكَ لَمْ تَتَوَّنْ لَامْتِنَاعِ صَرْفِهِ لِلتَّعَدُّلِ وَالتَّعْرِيفِ؛ وهو ثَلَاثُ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْفَجْرِ (ص) وَغَدَاةٌ (ش) وهو اليوم الذي يَلِي يَوْمَكَ (ص) وَغَدَاةٌ (ش) وهو ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ مِنْ مَغِيبِ الشَّفَقِ (ص) وَصَبَاحًا (ش) وهو أَوَّلُ النَّهَارِ، كَالْغَدَاةِ . (ص) وَمَسَاءٌ (ش) وهو ما بَيْنَ الزُّوَالِ إِلَى الْغُرُوبِ (ص) وَأَبْدَأُ (ش) وَهُوَ مَا يَسْتَعْرِقُ الزَّمَانَ الْمَقْبَلِ . (ص) وَأَمْدَأُ (ش) وهو قِطْعَةٌ مِنَ الزَّمَانِ مُبْهِمَةٌ . (ص) وَحِينًا وَوَقْتًا (ش) : وهما متقاربان؛ وَمَعْنَاهُمَا مُدَّةٌ مِنَ الزَّمَانِ مُبْهِمَةٌ . فَمَنْ حَلَفَ أَنَّهُ لَا يَكَلِّمُ فَلَانًا أَمْدَأًا أَوْ حِينًا أَوْ وَقْتًا لَزِمَهُ سَنَةٌ احتياطًا . قال خليل وسنة في حينٍ وَزَمَنٍ وَعَضْرٍ وَذَهْرٍ هـ . (ص) وما أَشْبَهَ ذَلِكَ (ش) مما يدلُّ على الزَّمَانِ أَوْ أَضِيفَ إِلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ زَمَانًا، ككَلِّ وَبَعْضُ، نحو: سِرْتُ كُلَّ الْيَوْمِ، أَوْ بَعْضُ الْيَوْمِ وَنَحْوِ ذَلِكَ . (ص) وَظَرْفُ الْمَكَانِ هُوَ اسْمُ الْمَكَانِ (ش) أي الْمُبْهِمُ؛ وهو ما لَيْسَتْ لَهُ صُورَةٌ . وَلَا حُدُودَ مَخْصُورَةٌ . بخلافِ الْمُخْتَصِّ، وهو ما له صُورَةٌ، كَالدَّارِ وَالْمَسْجِدِ، وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ . فَلَا تَنْصَبُ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ، وَإِنَّمَا تَنْصَبُ عَلَى اسْتِغْثَاتِ الْخَافِضِ . (ص) الْمَنْصُوبُ بِتَقْدِيرِ فِي (ش) أي بِتَضْمِينِ فِي كَمَا تَقَدَّمَ . وَخَرَجَ مَا لَيْسَ عَلَى مَعْنَى فِي، نَحْوَ رَأَيْتُ مَكَانَ زَيْدٍ، فَإِنَّهُ مَفْعُولٌ

بِهِ، فَمِنْ الْمُبْتَهَمِ؛ الْجِهَاتُ السَّتْ. (ص) نحو: أَمَامَ وَخَلْفَ وَقُدَّامَ (ش) بِمَعْنَى أَمَامَ (ص) وَوَرَاءَ (ش) بِمَعْنَى خَلْفَ (ص) وَفَوْقَ وَتَحْتَ. (ش) وَيَمِينِ وَيَسَارِ، نَحْوَ جَلَسْتُ أَمَامَ الْخَطِيبِ، خَلْفَ السَّارِيَةِ فَوْقَ الْبَسَاطِ تَحْتَ السَّقْفِ، يَمِينِ الْمَحْرَابِ، يَسَارِ الْبَابِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفَوْقَ كَعْلٍ ذِي عُلُوٍّ عَلَيْهِ﴾. ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾. ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾. ﴿تَزَوَّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾. وَيَلْتَجِقُ بِأَسْمَاءِ الْمَكَانِ مَا أَشْبَهَهُ فِي الْإِنْبَهَامِ، كَبَرِيدٍ وَفَرَسٍ وَبَعِيرٍ. وَإِنْ كَانَتْ مَحْدُودَةً، فَمَكَانَهَا غَيْرُ مَعْيَّنٍ. وَمِنْ الْمُبْتَهَمِ (ص) عِنْدَ (ش) لِمَا قَرَّبَ مِنْ الْمَكَانِ، نَحْوُ: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ» فَعِنْدَ مَنْصُوبٌ بِالِاسْتِثْقَارِ، لِأَنَّهُ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، (ص) وَمَعَ (ش) لِمَكَانِ الْاجْتِمَاعِ؛ وَهِيَ مُلَازِمَةٌ لِلْإِضَافَةِ. وَقَدْ تُنَوَّنُ وَتَنْصَبُ عَلَى الْحَالِ، نَحْوُ جَاءَ مَعًا، وَجَاءُوا مَعًا. قَالَ الشَّاعِرُ:

ولما تفرقنا كلني ومالكاً لطول اجتماع لم يثبت ليلة مَعَا

(ص) وَإِزَاءَ وَحِذَاءَ (ش) لِلْمَكَانِ الْمَلَاقِي (ص) وَتَلْقَاءَ (ش) لِلْمَكَانِ الْمَوَاجِهِ (ص) وَهُنَا (ش) إِشَارَةٌ لِلْمَكَانِ الْقَرِيبِ. وَقَدْ تَقَدَّمَهُ هَاءُ التَّنْبِيهِ، وَإِنْ أُرِيدَ الْبَعِيدَ، أَلْحَقْتَهُ كَافَ الْخَطَابِ، أَوْ مَعَ اللَّامِ، نَحْوُ: «هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ» (ص) وَتَمَّ (ش) اسْمُ إِشَارَةٍ لِلْمَكَانِ الْبَعِيدِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَرْزُقْنَا فَمَ الْآخِرِينَ﴾. «وَإِذَا رَأَيْتُ ثُمَّ رَأَيْتُ نَعِيمًا»، أَي وَإِذَا وَقَعَتْ مِنْكَ رُؤْيَةٌ وَأَنْتَ تَمَّ، «رَأَيْتُ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا» (ص) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. (ش) مِنَ الْأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَكَانِ الْمُبْتَهَمِ، كَجَانِبٍ وَنَاحِيَةٍ، وَيَدْخُلُ فِيهِ مِنْ صَيَغٍ مِنَ الْمَصْدَرِ؛ وَإِنْ كَانَ مَخْتَصًّا كَمَقْعَدٍ وَمَجْلِسٍ وَمَزْمَى. بِشَرْطِ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ مَشَارَكَهُ فِي الْمَادَّةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ﴾ وَنَحْوَ ذَلِكَ؛ وَهُوَ يَصْلِحُ لِلزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، تَقُولُ: قَعَدْتُ مَقْعَدَ زَيْدٍ. أَي فِي مَكَانِهِ، أَوْ زَمَانٍ قُعُودِيٍّ. وَاعْلَمْ أَنَّ الظَّرْفَ عَلَى قِسْمَيْنِ، مُتَّصِرْفٌ وَغَيْرُ مُتَّصِرْفٍ، فَالْمُتَّصِرْفُ هُوَ الَّذِي يَخْرُجُ عَنِ الظَّرْفِيَّةِ إِلَى الْفَاعِلِيَّةِ وَالْمَفْعُولِيَّةِ، وَالْمَبْتَدَأُ وَالْخَبَرُ، كَالْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ وَشَبَهَهُمَا، تَقُولُ: أَعْجَبَنِي يَوْمُكَ، وَلَيْلَتُكَ لَيْلَةُ مُبَارَكَةٍ، وَأَعْجَبَنِي غَدْوٌ. صَبَاحُكَ حَسَنٌ، وَمَسَاوُكُ مُبَارَكٌ. وَعَتَمَتُكَ مُبَارَكَةٌ. «وَنَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ، وَالَّذِي لَا يَتَّصِرْفُ قِسْمَانِ: قِسْمٌ لَا يَخْرُجُ عَنِ الظَّرْفِيَّةِ قَطُّ، نَحْوُ: قَطُّ، وَعَوْضٌ. تَقُولُ: مَا فَعَلْتُ قَطُّ. أَي فِيمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ، وَلَا أَفْعَلُهُ عَوْضٌ بِفَتْحِ الْعَيْنِ، وَسَكُونِ الْوَاوِ. أَي فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ. وَقِسْمٌ يَخْرُجُ عَنِ الظَّرْفِيَّةِ؛ إِلَى مَا يُشْبِهُهَا، وَهُوَ الْجَرُّ بِمِنْ؛ لِأَنَّ الْجَرَّ بَيْنَ أَخِي الظَّرْفِ؛ وَهُوَ حَمْسَةٌ ظُرُوفٍ. قَبْلُ

وَبَعْدَ، وَدُونَ، وَعِنْدَ وَلَدُنْ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ عِنْدَ وَلَدُنْ أَنَّ لَدُنْ تَدُلُّ عَلَى الْإِتِّصَالِ
وَاللِّتِّصَاقِ دُونَ عِنْدَ، وَيَنْقَسِمُ الظَّرْفُ أَيْضاً إِلَى مُنْصَرَفٍ؛ وَهُوَ الَّذِي يَدْخُلُهُ
التَّنْوِينُ، وَإِلَى غَيْرِ مُنْصَرَفٍ؛ وَهُوَ الَّذِي لَا يَدْخُلُهُ ذَلِكَ، كَسَحَرِ إِذَا أُرِيدَ سَحَرُ يَوْمٍ
بِعَيْنِهِ وَقَدْ يَكُونُ الظَّرْفُ مَبْنِيًّا عَلَى الْكَسْرِ كَأَمْسٍ، إِذَا أُرِيدَ الْيَوْمَ الَّذِي قَبْلَ يَوْمِكَ.

فَرَعَ: قَدْ يَحْذِفُ الظَّرْفُ وَيَنْوِبُ عَنْهُ الْمَصْدَرُ، تَقُولُ: جَلَسْتُ قَرَبَ زَيْدٍ، أَيْ
مَكَانَ قَرْبِهِ، وَجِئْتُكَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، أَوْ صَلَاةِ الْعَصْرِ، أَيْ وَقْتُ طُلُوعِ الشَّمْسِ،
وَوَقْتُ صَلَاةِ الْعَصْرِ. وَفِي الْخُلَاصَةِ:

وَقَدْ يَنْوِبُ عَنِ مَكَانِ مَصْدَرٍ وَذَلِكَ فِي ظَرْفِ الزَّمَانِ يَكْثُرُ
تَنْبِيْهُ: الظُّرُوفُ كُلُّهَا مُذَكَّرَةٌ إِلَّا قُدَّامَ، وَوَرَاءَ، قَالَ ابْنُ عُصْفُورٍ فِي شَرْحِ
الْجُمَلِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الإِشَارَةُ: اعْلَمُ أَنَّ الْوُجُودَ الْمُتَجَلِّىَ بِهِ كُلُّهُ ظُرُوفٌ، وَأَوَانِي لِأَسْرَارِ الْمَعَانِي.
وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ:

لَا تَنْظُرْ إِلَى الْأَوَانِي وَخُضْ بِخَرِّ الْمَعَانِي لَعَلَّكَ تَرَانِي
وَالْأَوَانِي عَيْنُ الْمَعَانِي، إِذْ لَا اثْنَيْنِي فِي الْوُجُودِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ أَيْضاً:

إِنَّ نَطْقِي مِنْ خَلْفِ ذَاكَ الْأَوَانِي وَأَنَا ذَائِمٌ كُلِّ الْأَوَانِي أَوَانِي
فَالْكَوْنُ كُلُّهُ كَثَلَجَةٌ، وَالثَّلَجَةُ ظَاهِرُهَا ثَلَجَةٌ، وَبَاطِنُهَا مَاءٌ مَائِعٌ، كَذَلِكَ الْكَوْنُ،
ظَاهِرُهُ كَوْنٌ كَثِيفٌ، وَبَاطِنُهُ سِرٌّ لَطِيفٌ، ظَاهِرُهُ كَوْنٌ، وَحَقِيقَتُهُ مَكْوَنٌ. وَفِي ذَلِكَ
يَقُولُ الْجِيلَانِي فِي عَيْنِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَمَا الْكَوْنُ فِي التَّمْثِيلِ إِلَّا كَثَلَجَةٌ وَأَنْتَ لَهَا الْمَاءُ الَّذِي هُوَ نَائِعٌ

فَمَا الثَّلَجُ فِي تَحْقِيقِنَا غَيْرَ مَائِهِ وَغَيْرِ إِنْ فِي حَكْمِ دَعْتِهِ الشَّرَائِعِ. وَقَالَ الْقُطُبُ
ابْنُ مَشِيْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَخَاطِباً لَوَارِثِهِ أَبِي الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ:
حَدَّدَ بَصَرَ الْإِيمَانِ، تَجَدَّدَ اللَّهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَعِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَبْلَ
كُلِّ شَيْءٍ، وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَحْتَ كُلِّ شَيْءٍ. وَقَرِيباً مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ، وَمَحِيطاً بِكُلِّ شَيْءٍ. بِقَرَبٍ هُوَ وَضْفُهُ، وَبِخَيْطَةٍ هِيَ نَعْتُهُ. وَعَدُّ عَنِ الظَّرْفِيَّةِ
وَالْحُدُودِ، وَعَنِ الْأَمَاكِنِ وَالْجِهَاتِ، وَعَنِ الصَّحْبَةِ وَالْقَرَبِ فِي الْمَسَافَاتِ، وَعَنِ
الدَّوْرِ بِالمَخْلُوقَاتِ، وَامْحَقَ الْكُلَّ بِوَضْفِهِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ. وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ؛ وَهُوَ
هُوَ هُوَ. كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ؛ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ هـ. قَوْلُهُ: وَعَدُّ عَنِ

الظرفية؛ فلا تعتقد أن الحق مظروف لشيء، أو محدود بشيء؛ لأن الظرف عين المظروف. والذات العالية عمّت بكل شيء، وأخاطت بكل شيء. ومَحَتْ وُجُود كُلِّ شَيْءٍ. وفي الحِكم: كيف يحتجب الحق تعالى بشيء. والذي يَحْتَجِبُ بِهِ ظَاهِر، وَمَوْجُود حَاضِر هـ. وقوله: وعن الدور بالمخلوقات. اعلم أن الأسرار اللطيفة الباقية على كَنزيتها، لا شك أنها محيطة بالأنوار التي وقع التجلي بها، ودائرة بها. لكن لما كانت هي عينها، ومتدفقة منها، صار الكل بَحراً مُتصلاً. رتقاً منطيقاً. وصار الدائر عين المدار عليه، ولذلك قال: وامحق الكل بوصفه الأول والآخِر والظاهر والباطن. إذ لا يخرج شيء عن هذه الأسماء الأربعة؛ فهو أول كل شيء. وآخر كل شيء. والظاهر بكل شيء، والباطن في كل شيء. وقوله وهو هو هو. الأول: يشير إلى الوجود الأول الأولي قبل التجلي، والثاني: إلى حاله بعد التجلي. والثالث: إلى حال بغد طي هذا التجلي. وإظهار تجلٍ آخَرَ، يدوم وجوده وظهوره؛ وهو المعبر عنه بالآخرة. وقال بعض العارفين في هذا المعنى: الحق تعالى منزّه عن الأين والجهة والكيف. والمادة والصورة. وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَخْلُو مِنْهُ أَيْنٌ وَلَا مَكَانٌ، وَلَا كَمٌّ وَلَا كَيْفٌ. وَلَا جِسْمٌ وَلَا جَوْهَرٌ مُتَكَيِّفٌ بِكُلِّ كَيْفٍ، غَيْرِ مُتَقَيِّدٍ بِذَلِكَ، وَمَنْ لَمْ يَذُقْ هَذَا؛ وَلَمْ يَشْهَدْهُ فَهُوَ أَعْمَى الْبَصِيرَةِ. محرومٌ عن مُشَاهِدَةِ الْحَقِّ تَعَالَى هـ. وَلَا يَفْهَمُ هَذِهِ الْأَسْرَارَ، وَيَذُوقُهَا إِلَّا مَنْ صَحِبَ الرِّجَالَ، وَخَدَمَهُمْ، وَقَبَّلَ التَّرَابَ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِهِمْ وَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى هَذَا فَلْيُسَلِّمْ لِلرِّجَالِ فِيمَا رَمَزُوا لَهُ وَأَشَارُوا إِلَيْهِ:

إِنْ لَمْ تَرَ الْهَلَالَ فَسَلِّمْ لِأَنَّا سِرَّ رَأَوْهُ بِالْأَبْصَارِ

ولله در ابن الفارض رضي الله عنه حيث قال:

وَلَا تَكُنْ مَمَّنْ شَيْطَتُهُ طَرُوسُهُ بِحَيْثُ اسْتَخَفَّتْ عَقْلُهُ وَاسْتَفْرَتْ
فَتَمَّ وَرَاءَ النُّقْلِ عِلْمٌ يَدُقُّ عَن مَدَارِكِ غَايَةِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ
تَلْقِيَتِهِ مِنِّي وَعَنِّي أَخَذْتَهُ وَتَفْسِي كَأَنَّكَ مِنْ عَطَاءِ مَمْدَتِي

وَإِذَا تَنَزَّلْتَ إِلَى عَالِمِ الْحِكْمَةِ؛ وَهُوَ عَالِمُ التَّشْرِيعِ، وَجَدْتَ الظُّرُوفَ مُتَفَاوِتَةً فِي الشَّرْفِ وَالْعُلُوِّ عَلَى حَسَبِ مَظْرُوفِهَا، أَشْبَاحاً كَانَتْ أَوْ أَرْمِنَةً، أَوْ أَمَكْنَةً. فَالْأَشْبَاحُ تَعْظُمُ بِشَرَفِ الْأَرْوَاحِ، فَإِنْ كَانَتْ الرُّوحُ عَارِفَةً بِاللَّهِ، مَكَاشِفَةً لِأَسْرَارِ الذَّاتِ. كَانَ الْبَدَنُ الَّذِي اِحْتَوَى عَلَيْهَا عَظِيماً شَرِيفاً، يَقْتَسِبُ مِنْهُ الْأَنْوَارَ وَالْأَسْرَارَ، وَيُتَبَرِّكُ مِنْهُ حَيًّا وَمَيِّتاً، وَيَزْدَحِمُ النَّاسَ عَلَى قَبْرِهِ، وَيَسْتَشْفِي بِتَرَابِهِ وَإِنْ كَانَتْ عَالِمَةً

بأحكام الله، كان لها شرف دون ذلك. وكذلك إذا كانت حاملة لكتاب الله، كان لها شرف دون ذلك، ثم عامة المؤمنين، وإن كانت لا إيمان لها، كان جسدها جيفة لا قدر له ولا قيمة. وأما الأزمنة فتعظم أيضاً بقدر ما يقع فيها من الطاعة والإحسان. كليلة القدر والليالي العشر، ويوم عرفة، وأيام العشر، ويوم عاشوراء، وليلة المولد لأنه ظهر فيها سيد الوجود. فالظرف تابع لمظروفه في الشرف، وضده. ولذلك كانت أوقات العارفين كلها ليلة القدر؛ لأنها كلها عندهم عظيمة. لاشتمالها على العبادة الكبيرة؛ وهو شهود الحبيب، والقرب منه. وفي ذلك يقول الشاعر:

لَوْلَا شُهُودُ جَمَالِهِ فِي دَاتِي مَا كُنْتُ أَزْضَى سَاعَةً بِحَيَاتِي
فَمَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ الْمُعْظَمُ شَأْنَهَا إِلَّا إِذَا عَمَّرْتُ بِكُمْ أَوْقَاتِي
إِنَّ الْمَجِبَّ إِذَا تَمَكَّنَ فِي الْهَوَى وَالْحَبُّ لَمْ تَحْتَجْ إِلَى مِيقَاتِ

وقال آخر:

وكل الليالي ليلة القدر إن بدا كما كل أيام اللقاء يوم الجمعة
وكان الشيخ المرسي رضي الله عنه يقول: نحن والحمد لله؛ أوقاتنا كلها ليلة القدر؛ لأن عبادتهم التي يعمرُونَ بها أوقاتهم كلها فكرة واعتبار، وشهود واستبصار. وفكرة ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة، كما في الحديث. وكذلك الأمكنة، تعظم بقدر ما يقع فيها من الطاعات، كجبل عرفة، والمساجد الثلاثة، ثم مساجد الباقية والزوايا، وخلوات الأولياء ونحو ذلك، مما عظمته الشريعة، وعند العارفين: الأماكن كلها عرفة، لأن الأماكن تشرف بهم، وتطيب بحضورهم، وفي ذلك قال شاعرهم:

كُلُّ وَقْتٍ مِنْ حَبِيبِي قَدْرُهُ كَأَلْفِ حَاجَّةٍ
وينخرط في سلك هذا، تفضيل آيات القرآن بعضها على بعض؛ وذلك على حسب ما تدل عليه، من تعظيم الربوبية، وكشف حجابها. وكذلك تفضيل الأذكار فبهذا المعنى، وتفضيل بعض الصلاة على رسول الله ﷺ على بعض، بحسب ما تدل عليه من تعظيم الرسول، وتمجيده ﷺ. وبالله التوفيق.

باب الأحوال: هو الخامس من المنصوبات، والحال في اللغة: هيئة الإنسان، وتطلق على الزمان؛ الذي بين الماضي والمستقبل. وروح الإنسان، وما يعتره من

فرح أو ضده. وهو يُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ. يقال له: حَالٌ حَسَنٌ، وحَسَنَةٌ، وَحَقِيقَتُهُ: وَضَفٌ فَضْلَةٌ مُتَّصِبٌ مُفْهِمٌ فِي حَالٍ كَذَا. وقال الفاكهي: هو الوُضْفُ الْفُضْلَةُ الْمَسْوُوقُ لِبَيَانِ هَيَاةِ صَاحِبِهِ. وَعَرَّفَهُ الْمَصْنِفُ بِقَوْلِهِ: (ص) الْحَالُ هُوَ الْاسْمُ (ش) أَي فَلَا يَكُونُ فِعْلًا وَحَدًّا. وَلَا حَرْفًا وَيَكُونُ جُمْلَةً فِي تَأْوِيلِ الْاسْمِ (ص) الْمَنْصُوبِ (ش) بِفِعْلٍ أَوْ شَبِيهِهِ. خَرَجَ بِهِ الْوَصْفُ الْمَرْفُوعُ أَوْ الْمَجْرُورُ وَسَائِرُ التَّوَابِعِ. (ص) الْمَفْسَّرُ لِمَا انبَهَمَ (ش) أَي جُهْلٌ. خَرَجَ بِهِ سَائِرُ الْمَنْصُوبَاتِ، وَ (ص) مِنَ الْهَيَاتِ (ش) خَرَجَ التَّمْيِيزُ؛ لِأَنَّهُ يُفْسَّرُ لِمَا انبَهَمَ مِنَ الدَّوَابِّ. وَنَقَلَ الرَّاعِي عَنْ شَيْخِهِ: سَمِعْتُ أَنَّهُ قَالَ: قَوْلُ النَّحَاتِ، انبَهَمَ فِي حَدِّ الْحَالِ. وَالتَّمْيِيزُ مَفْقُودٌ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَوْجَدْ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ. وَالصُّوَابُ: اسْتَبْهَمَ. وَأَيْضًا: لِأَنَّ الْفِعْلَ مَخْتَصًّا بِالْعِلَاجِ، وَالتَّأْوِيلُ فِي الْعَالِبِ. تَقُولُ: عَجَنْتِ الدَّقِيقَ فَانْعَجَنْ، وَضَرَبْتِ فَلَانًا فَانْضَرَبَ. وَقَدْ يَكُونُ لِعَلَّامِ الْعِلَاجِ كَانْضَرَفَ. وَيَكُونُ الْحَالُ مِنَ الْفَاعِلِ (ص) نَحْوُ جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا. وَ (ش) مِنَ الْمَفْعُولِ نَحْوُ: (ص) رَكِبْتُ الْفَرَسَ مُسْرَجًا. وَ (ش) يَحْتَمِلُهَا نَحْوُ: (ص) لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ رَاكِبًا وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ (ش) مِنَ الْأَمْثَلَةِ، وَيَكُونُ مِنَ الْمَجْرُورِ بِالْحَرْفِ، نَحْوُ: مَرَزْتُ بِهِنْدٍ جَالِسَةً. وَلَا يَكُونُ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، إِلَّا إِذَا عَمِلَ فِيهِ الْمُضَافُ، نَحْوُ: «إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا» أَوْ كَانَ جُزْءًا مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، نَحْوُ: «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا» أَوْ مِثْلَ جُزْئِهِ، نَحْوُ: «وَاتَّبَعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا». وَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ الْعَامِلَ فِي الْحَالِ؛ هُوَ الْعَامِلُ فِي صَاحِبِهِ. فَإِنْ كَانَ الْمُضَافُ الْأَوَّلُ غَيْرَ عَامِلٍ فِي الْحَالِ، لَزِمَ أَنَّ الْعَامِلَ فِي الْحَالِ غَيْرَ الْعَامِلِ فِي صَاحِبِهِ؛ وَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ جُزْءًا أَوْ مِثْلَ الْجُزْءِ، فَلَمَّا كَانَ يَصْحُ إِسْقَاطُ الْأَوَّلِ، صَارَ كَأَنَّهُ عَامِلٌ فِيهِمَا، أَلَّا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ». «وَاتَّبَعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ». فَيَصْحُ الْكَلَامُ. وَيَأْتِي الْحَالُ مِنَ الْمَبْتَدِئِ أَوْ مِنَ الْخَبَرِ. إِلَّا أَنَّ مَجِئَهُ مِنَ الْمَبْتَدِئِ ضَعِيفٌ. قَالَ الشَّيْخُ السَّنُوسِيُّ فِي شَرْحِ عَقِيدَةِ الْجَزَائِرِيِّ. (ص) وَلَا يَكُونُ الْحَالُ إِلَّا نَكْرَةً (ش) فَإِنْ عُرِّفَ لَفْظًا فَاعْتَقِدْ تَنْكِيرَهُ مَعْنَى، نَحْوُ وَخَدَّكَ اجْتَهِدْ. أَي اجْتَهِدْ أَي مَفْرَدًا أَوْ اذْخُلُوا: الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، أَي مَتَرْتَيْنِ (ص) وَلَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ الْكَلَامِ (ش) أَي بَعْدَ اخْتِذِ الْفِعْلِ فَاعِلُهُ، وَالْمَبْتَدِئِ خَبْرُهُ؛ لِأَنَّهُ فَضْلَةٌ. وَمَنْ ثَمَّ قِيلَ: إِنَّهُ لَا يَأْتِي مِنَ الْمَبْتَدِئِ. (ص) وَلَا يَكُونُ صَاحِبَهَا إِلَّا مَعْرِفَةً (ش) أَي غَالِبًا؛ لِأَنَّهُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ بِالْحَالِ. وَلَا يَصْحُ الْحُكْمُ عَلَى الْمَجْهُولِ إِلَّا بِمَسْوُوعٍ مِنْهَا تَأْخِرُهُ عَنِ الْحَالِ، نَحْوُ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

لمية مسوحش طلل يلووح كأنه خلل

أي لمية طلل؛ موحش. والطلل ما شخص من الديار بعد خرابها، وانتقال أهلها عنها. ومنها تخصيصه بالوصف، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا﴾. أو يتقدم عليه نفي، نحو: «وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ» أو نهي نحو قول الشاعر:

لَا يَزْكُنُنْ أَحَدٌ إِلَى الْإِحْجَامِ يَوْمَ الْوَعَى مُتَخَوِّفًا لِجَمَامِ
والإحجام: التأخر، والوعا: الحزب. والجمام: بكسر الحاء: الموت. أو استفهام: كقول الشاعر:

يَا صَاحِ هَلْ حَمَّ عَيْشٌ بَاقِيًا فَتَرَى لِنَفْسِكَ الْعُذْرَ فِي أَرْفَادِهَا الْأَمَلَا
أي يا صاح هل قدر عيش يدوم فيتعذر في تأخير الأمل. بل لا عيش يدوم، فشمز، وتزود، واجعل الموت نصب عينك. يضح أو يُمسي عليك، ومن غير الغالب، وهو إثبات الحال من التكررة بلا مسوغ. وقوله في الحديث: صلى رسول الله ﷺ قاعداً. وصلى وراءه رجال قياماً. وأخذ الشافعي بهذا الحديث؛ لأنه الآخر من فعله عليه السلام، وقال أبو حنيفة. يجلسون معه أخذاً بالحديث الصحيح. وأما مالك فلم رأى تعارض الحديثين، لم يأخذ بواحد منهما، إلا أن يستورا في العذر والله تعالى أعلم.

الإشارة: الحال عند الصوفية، وارد يرد على القلب من كشف أسرار الذات وأنوارها، فتدهش الروح وتهيم وتسكر، ويظهر ذلك في الجوارح، فيهتز الرأس، ويشطح البدن، ويقال فيها الوجد وربما وقع صاحبه في المهالك، وهو لا يشعر وقد حكى أن الشبلي أخذه حال في موضع مقصبة فيه بقية قصب قطع. فقام عليها، فدخلت في رجليه فمات من ذلك. وقد مات كثير من الصوفية بالحال. وقد أشار الشيخ أبو مدين رضي الله عنه إلى شيء من ذلك فقال:

فَقُلْ لِلَّذِي يَنْهَى عَنِ الْوَجْدِ أَهْلَهُ إِذَا لَمْ تَذُقْ مَعْنَى شَرَابِ الْهَوَى دَعْنَا
إِذَا اهْتَزَّتْ الْأَزْوَاحُ شَوْقًا إِلَى اللَّقَا نَعَمْ تَرْقُصُ الْأَشْبَاحُ يَا جَاهِلَ الْمَعْنَى
أَمَّا تَنْظُرِ الطَّيْرَ الْمُقْفَصَ يَا فَتَى إِذَا ذُكِرَ الْأَوْطَانُ حَنَّ إِلَى الْمَعْنَى
يُفْرَخُ بِالتُّغْرِدِ مَا يَسْفُؤَادِهِ فَتَهْتَزُّ أَرْبَابُ الْعُقُولِ إِذَا عَنَّا
وَيَرْقُصُ فِي الْأَقْفَاصِ شَوْقًا إِلَى اللَّقَا فَتَضْطَرِبُ الْأَعْضَاءُ فِي الْحَسِّ وَالْمَعْنَى

كَذَلِكَ أَرْوَاحُ الْمُحِبِّينَ يَأْتِي
 أَنْلِزِمُهَا بِالصَّبْرِ وَهِيَ مَتَشَوِّقَةٌ
 تُهَزِّزُهَا الْأَشْوَاقُ لِلْعَالَمِ الْأَسْنَا
 وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الصَّبْرُ مَنْ شَاهَدَ الْمَعْنَا
 وَإِنَّمَا إِذَا طَبْنَا وَطَابَتْ قُلُوبُنَا
 وَخَامَرْنَا خَمْرَ الْعَرَامِ تَهْتِكُنَا
 فَلَا تَلِمُ السُّكْرَانَ فِي حَالِ سُكْرِهِ
 فَقَدْ رُفِعَ التَّكْلِيفُ فِي سُكْرِنَا عَنَّا

بَعْدَ الْحَالِ الْمَقَامِ؛ وَهُوَ السُّكُونُ وَالطَّمَأِينَةُ، بِالْخُرُوجِ مِنَ السُّكْرِ إِلَى الصَّخْوِ. فَتَطْمَئِنُّ الرُّوحُ، وَتَسْكُنُ فِي مَقَامِ الْمَشَاهِدَةِ؛ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكَ مُقْتَدِرٍ. وَفِي هَذَا الْمَقَامِ، قِيلَ لِلْجَنِّيِّدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا لَكَ كُنْتَ تَتَحَرَّكَ عِنْدَ السَّمَاعِ وَتَرْقُصُ. وَالْيَوْمَ لَمْ يَظْهَرِ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. فَقَرَأَ: «وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ». وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْقَى فِي الْحَالِ بَعْدَ تَمَكُّنِهِ، مِنَ الشُّهُودِ. فَيَكُونُ قَطْبَ الْأَحْوَالِ كَمَا تَقْدَمُ عَنِ الْبَسْطَامِيِّ، إِلَّا أَنَّ صَاحِبَ الْمَقَامِ يُوَهِّلُ لِلْاِقْتِدَاءِ، وَالْاِهْتِدَاءِ. بِخِلَافِ صَاحِبِ الْأَحْوَالِ، فَلَا يَقْتَدِي بِهِ فِي حَالِ سُكْرِهِ. وَقُلٌّ مِنْ يَنْجَحُ عَلَى يَدِهِ، لَصُعُوبَةِ تَرْبِيَّتِهِ، كَحَالِ أَبِي الشَّيْخِ. فَقَدْ حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ يَلْقَى الْمَرِيدَ رَأْسَهُ أَسْفَلَ، وَرِجْلَهُ فَوْقَ، وَيُوقِدُ النَّارَ تَحْتَهُ فَأَوَّلَ السَّيْرِ عِلْمٌ، ثُمَّ عَمَلٌ، ثُمَّ حَالٌ؛ وَهُوَ الذُّوقُ، ثُمَّ الشَّرْبُ وَالسُّكْرُ، ثُمَّ الْمَقَامُ؛ وَهُوَ الصَّخْوُ وَيُقَالُ: الْأَحْوَالُ مَوَاهِبٌ، وَالْمَقَامَاتُ مَكَّاسِبٌ. وَكَسْبُهَا هُوَ تَقْدَمُ الْأَحْوَالِ عَلَيْهَا. كَأَنَّهَا نَتَائِجُهَا، وَكَوْنُ الْأَحْوَالِ مَوَاهِبٌ، يَغْنِي بَعْدَ التَّحَرُّكِ فِي جَلْبِهَا، كَخَرْقِ الْعَوَائِدِ، وَحُضُورِ جَلْقِ الذِّكْرِ، أَوِ السَّمَاعِ، مَعَ تَفْرِغِ الْبَاطِنِ مِنَ الْعَلَائِقِ. وَقَدْ تَكُونُ الْأَحْوَالُ ظَلْمَانِيَّةً، أَوْ نَفْسَانِيَّةً، أَوْ شَيْطَانِيَّةً. فَإِنَّ أَهْلَ اللَّهْوِ قَدْ يَنْحَدِبُونَ فِي لَهْوِهِمْ، فَيَقْطَعُونَ اللَّيْلَ أَوْ النَّهَارَ وَاقْفِينَ فِي لَهْوِهِمْ غَائِبِينَ عَنْهُمْ. وَالْأَحْوَالُ الرِّئَاسِيَّةُ؛ هِيَ الَّتِي تَنْشَأُ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ، مِنَ الْقُلُوبِ الْمُنَوَّرَةِ، وَعَنِ سَمَا مَا يَحْرُكُ إِلَى الْحَضْرَةِ. وَقَدْ تَنْشَأُ عَنِ سَمَاعِ اللَّهْوِ إِذَا كَانَ عَارِفًا يَضْرِفُهُ مِنَ الْبَاطِلِ إِلَى الْحَقِّ. كَمَا وَقَعَ لِلرُّجُلِ الَّذِي سَمِعَ الْقَائِلَ يَقُولُ:

إِذِ الْعَشْرُونَ مِنْ شَعْبَانَ وَتَلْتِ
 وَلَا تَشْرَبُ بِأَقْدَاحِ صَغَارِ
 فَوَاصِلَ شُرْبِ لَيْلِكَ بِالشَّهَارِ
 فَقَدْ ضَاقَ الزَّمَانُ عَلَى الصُّغَارِ

فَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ، وَذَهَبَ إِلَى مَكَّةَ، فَبَقِيَ بِهَا مُجَاوِرًا حَتَّى مَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَفَهِمَ أَنَّ الْعُمُرَ إِذَا ذَهَبَ جُلَّةً. فَقَدْ قَرِبَ الرُّحِيلُ وَضَاقَ الزَّمَانُ عَلَى الْعِبَادَةِ الصُّغْرَى. فَطَلَبَ الْمَوَاضِعَ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا الْعِبَادَةُ كُبْرَى، فَتَضَاعَفَ فِيهَا الْأَعْمَالُ،

وَهَذَا الرَّجُلُ كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُجْتَهِدِينَ، وَلَوْ كَانَ مِنَ الْعَارِفِينَ لَمْ يَحْجَّ إِلَى ذَهَابِ
مَكَّةَ بِلِ عِبَادَةِ الْقُلُوبِ مَضَاعِفَةً بِأَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، فِي أَيِّ مَوْضِعٍ كَانَتْ. وَلِذَلِكَ قَالَ
بَعْضُهُمْ: «الذُّرَّةُ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ، أَفْضَلُ مِنْ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ.
وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: رُكْعَةٌ مِنْ عَالَمٍ بِاللَّهِ. أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ رُكْعَةٍ مِنْ جَاهِلٍ
بِاللَّهِ». ذَكَرَهُ فِي الْجَامِعِ. وَلِنَزْجِ إِلَى مَا كُنَّا بِصَدْدِهِ مِنَ الْإِشَارَةِ فنَقُولُ:

الْحَالُ هُوَ الْاسْمُ، أَيِ الْوَصْفِ الْفُضَّلَةِ؛ لِأَنَّهُ مُؤَهَّبَةٌ وَمَخْضُ فَضْلِ الْمُتَنْصِبِ
لِلْمُرِيدِينَ السَّائِرِينَ. يُرْقِيهِمْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ. وَمِنْ مَقَامٍ إِلَى مَقَامٍ. فَأَوْلُ الْأَحْوَالِ
وَأَرَادَ الْإِنْتِبَاهَ؛ فَيَنْتَبِهُ مِنْ نَوْمِ الْبَطَالَةِ وَالتَّقْصِيرِ إِلَى حَالِ الْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ، ثُمَّ وَارَدَ
الْيَقِظَةَ، فَيَنْتَبِهُ مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ، إِلَى حَالِ الذِّكْرِ الدَّائِمِ. ثُمَّ وَارَدَ السَّيْرَ، فَيَتَجَرَّدُ مِنَ
الْعَلَاتِقِ، لِتَشْرِيقِ عَلَيْهِ أَنْوَارِ الْحَقَائِقِ. ثُمَّ وَارَدَ الْوِصَالَ فَيُخْرِجُ مِنْ سِجْنِ الْأَكْوَانِ،
إِلَى شَهُودِ الْمُكُونِ. وَقَدْ أَشَارَ فِي الْحِكْمِ إِلَى بَعْضِ هَذَا فَقَالَ: أُوْرَدَ عَلَيْكَ الْوَارِدُ،
لِتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ وَارِدًا. أُوْرَدَ عَلَيْكَ الْوَارِدُ، لِيَسْلَمَكَ مِنْ يَدِ الْأَغْيَارِ، وَيُخَرِّكَ مِنْ رِقِّ
الْآثَارِ. أُوْرَدَ عَلَيْكَ الْوَارِدُ لِيُخْرِجَكَ مِنْ سِجْنِ وَجُودِكَ إِلَى فِضَاءِ شَهُودِكَ هـ.
الْمُقَسَّرُ لَمْ أَنْبَهُمْ مِنْ هَيْئَاتِ الرِّجَالِ، وَمَا كُنْ فِي سَرَائِرِهِمْ، بِمَا كُنْ فِي السَّرَائِرِ.
ظَهَرَ فِي شَهَادَةِ الْخَوَاطِرِ تَنَوُّعَتْ أَجْنَاسُ الْأَعْمَالِ، لِتَنَوُّعِ وَارِدَاتِ الْأَحْوَالِ فَمَنْ
كَانَتْ أَحْوَالُهُ صَافِيَةً، مُوَافِقَةً لِلشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ. عَلِمْنَا أَنَّ بَاطِنَهُ صَافٍ لَا تَخْلِيطَ
فِيهِ. وَمَنْ كَانَتْ أَحْوَالُهُ ظَلْمَانِيَّةً، مُخَالَفَةً لِلشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ. عَلِمْنَا أَنَّ بَاطِنَهُ
ظَلْمَانِي، لَا صَفَاءَ فِيهِ. فَصَفَاءُ الظَّاهِرِ، مِنْ صَفَاءِ الْبَاطِنِ، وَتَخْلِيطُ الظَّاهِرِ، مِنْ
تَخْلِيطِ الْبَاطِنِ، لَا تَنْطِقُ الْأَوَانِي إِلَّا بِمَا سَكَنَ. وَالْأَحْوَالُ الصَّافِيَّةُ، تَظْهَرُ نَتَائِجُهَا
عَلَى صَاحِبِهَا. فَالْوَارِدُ الرَّبَّانِيُّ يُثْمِرُ أَحْوَالَ سَنِيَّةٍ، فَيَعْقِبُهُ الزُّهْدُ وَالْوَرَعُ، وَالخَشْيَةُ
وَالهَيْبَةُ، وَالرِّزَانَةُ وَالطَّمَانِينَةُ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ وَالتَّوَاضِعُ وَالسَّخَاءُ وَالكَرَمُ. وَغَيْرُ
ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَالسُّيَمِّ الزَّكِيَّةِ.

وَالْوَارِدُ النَّفْسَانِي وَالشَّيْطَانِي، تَعْقِبُهُ الْقَسَاوَةُ وَالْفِظَازَةُ. وَالتَّكْبِيرُ وَالصَّوْلَةُ عَلَى
النَّاسِ، وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالجَاهِ. وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ. وَفِي الْحِكْمِ لَا
تَرْكِيْنَ وَارِدًا لَا تَعْلَمُ ثَمَرَتَهُ؛ فَلَيْسَ الْمَرَادُ مِنَ السَّحَابَةِ الْأَمْطَارُ، وَإِنَّمَا الْمَرَادُ مِنْهَا
وَجُودُ الْأَثْمَارِ هـ؛ وَزَادَ فِي الْخِلَاصَةِ فِي أَوْصَافِ الْحَالِ النَّحْوِيَّةِ، الْإِنْتِقَالَ
وَالِاشْتِقَاقَ فَقَالَ:

وَكَوْنُهُ مُنْقَلَبًا مُشْتَقًا يَغْلِبُ لَكِنْ لَيْسَ مُسْتَحِقًّا

وقالت الصوفية: إنما سُمِّيَ الْحَالُ حَالاً لِتَحْوُلِهِ وَانْتِقَالِهِ، فَالْحَالُ لَا يَدُومُ لِصَاحِبِهِ، وَإِذَا هُوَ عَارِضٌ مُنْطَرِعٌ عَلَى الْقُلُوبِ، غَيْثُ الْمَعَارِفِ، وَعِلْمُ الْغُيُوبِ وَالْأَسْرَارِ، وَالْكَشُوفَاتِ، وَالْأَنْوَارِ. فَإِذَا أَوْدَعَ مَا فِيهِ أَقْلَعُ فَلَا تَطْمَعُنُ فِي دَوَامِهِ، بَلِ اسْتَعْنِ بِاللَّهِ عَنِ كُلِّ شَيْءٍ. فَلَيْسَ يُغْنِيكَ عَنْهُ شَيْءٌ. وَفِي الْحِكْمِ: لَا تَطْلُبْنِ بَقَاءَ الْوَارِدَاتِ، بَعْدَ أَنْ بَسَطْتَ أَنْوَارَهَا. وَأَوْدَعْتَ أَسْرَارَهَا، فَلَيْسَ فِي اللَّهِ غَيْثٌ عَنِ كُلِّ شَيْءٍ. وَلَيْسَ يُغْنِيكَ عَنْهُ شَيْءٌ هـ. فَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ بِلا عِلَّةٍ، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ الْحَالِ، فَالْفَانِي لَا يُغْنِي. وَمَعْنَى اسْتِقَافِهِ عِنْدَهُمْ: طَلْبُهُ وَاسْتِجْلَابُهُ بِسَبَبِ يُحْرِكُهُ كَمَا تَقَدَّمَ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ.

بَابُ التَّمْيِيزِ: هَذَا هُوَ السَّادِسُ مِنَ الْمَنْصُوبَاتِ. وَيُقَالُ فِيهِ التَّمْيِيزُ وَالْمُمَيِّزُ وَالتَّفْسِيرُ وَالْمُفَسِّرُ، وَالتَّبْيِينُ وَالمُبَيِّنُ، وَهُوَ فِي اللُّغَةِ: مَصْدَرٌ مَيَّزْتُ الشَّيْءَ إِذَا فَسَّرْتَهُ وَبَيَّنْتَهُ. وَفِي الْإِصْطِلَاحِ مَا قَالَهُ الْمُصَنِّفُ. (ص) التَّمْيِيزُ هُوَ الْإِسْمُ الْمَنْصُوبُ الْمُفَسَّرُ لِمَا أَتْبَهُمْ مِنَ الذُّوَاتِ. (ش) أَيْ أَوْ مِنَ النَّسَبِ، فَخَرَجَ الْحَالُ. قَالَ ابْنُ مَالِكٍ: التَّمْيِيزُ؛ كُلُّ نَكْرَةٍ فِيهَا مَعْنَى الْجِنْسِيَّةِ، وَأَفْعَلُهُ لِأَقْدَمِ عَنِ جُمْلَةٍ أَوْ مُفْرَدٍ تَامٍ، بِإِضَافَةٍ أَوْ تَنْوِينٍ ظَاهِراً أَوْ مُقَدَّراً، أَوْ نُونٍ تُسْقِطُ لِلِإِضَافَةِ هـ. ثُمَّ ذَكَرَ مِثَالَ تَمْيِيزِ النَّسَبِ؛ وَهُوَ الَّذِي يَفْعُ بَعْدَ الْجُمْلَةِ؛ وَهُوَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ، إِمَّا مَحْوُولٌ عَنِ الْفَاعِلِ. (ص) نَحْوُ قَوْلِكَ تَصَبَّبَ زَيْدٌ عَرَقاً. (ش) أَيْ انْحَدَرَ. وَالْأَصْلُ: تَصَبَّبَ عَرَقُ زَيْدٍ. (ص) وَتَفَقَّأَ بِكَرٍّ شَخْماً. (ش) أَيْ امْتَلَأَ. وَقِيلَ: تَشَقَّقَ. يُقَالُ: تَفَقَّأَتِ السَّمَاءُ عَنِ مَائِهَا، أَيْ تَشَقَّقَتْ، وَالْأَوَّلُ أَنْسَبُ. وَالْأَصْلُ: شَخِمَ بِكَرٍّ. (ص) وَطَابَ مُحَمَّدٌ نَفْساً. (ش) وَالْأَصْلُ: طَابَتِ نَفْسُ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَيْ صَارَتْ طَيِّبَةً. يُقَالُ طَابَ الشَّيْءُ يَطْيِبُ طَيِّباً وَطَيِّباً، وَإِنَّمَا عَدَلَ عَنِ الْأَضْلِ إِلَى التَّمْيِيزِ؛ لِأَنَّ الْبَيَانَ بَعْدَ الْإِجْمَالِ مِنْ مَقَاصِدِ الْعُقُلَاءِ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ إِذَا سَمِعَتْ شَيْئاً مُجْمَلاً تَشَوَّقَتْ إِلَى بَيَانِهِ. فَإِذَا فَسَّرَ مَوْقِعَ مِنْهَا، أَيْ مَوْضِعَ. فَإِذَا قَلَّتْ: تَصَبَّبَ زَيْدٌ، بَقِيَتِ النَّفْسُ مُسْتَشْرِفَةً، مَا الَّذِي تَصَبَّبَ مِنْهُ. فَإِذَا قَلَّتْ: عَرَقاً عَرَفْتَهُ. وَهَكَذَا الْبَاقِي، وَإِمَّا مَحْوُولٌ عَنِ الْمَفْعُولِ، نَحْوُ عَرَسْتَ الْأَرْضَ شَجْراً. وَمِنْهُ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾. وَالْأَصْلُ: عَرَسْتَ شَجَرَ الْأَرْضِ وَفَجَّرْنَا عُيُونَ الْأَرْضِ وَإِمَّا مَحْوُولٌ عَنِ الْمَبْتَدَأِ نَحْوُ: «أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً» وَالْأَصْلُ: مَالِي أَكْثَرُ. وَإِمَّا غَيْرُ مَحْوُولٌ مِنْ شَيْءٍ: نَحْوُ: زَيْدٌ أَكْرَمُ النَّاسِ رَجُلًا. وَرَدَّ بَعْضُهُمْ تَمْيِيزَ النَّسَبِ، إِلَى تَمْيِيزِ الذُّوَاتِ، وَهُوَ تَمْيِيزُ الْمَفْرَدِ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْمُصَنِّفِ، وَوَجْهُهُ: أَنَّ قَوْلَكَ طَابَ زَيْدٌ. يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ طَابَ مِنْهُ شَيْءٌ، ثُمَّ بَيَّنَّهُ بِقَوْلِهِ: نَفْساً. وَإِذَا قَلَّتْ: عَرَسْتَ الْأَرْضَ، يُفْهَمُ مِنْهُ، أَنَّ شَيْئاً عَرَسَ فِيهَا؛

وهو مُبَهَّمٌ. فَفَسَّرْتَهُ بِالتَّمْيِيزِ، وَكَذَلِكَ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ، يَفْهَمُ مِنْهُ، أَنَّ شَيْئاً كَثُرَ مِنْهُ، ثُمَّ بَيَّنَّهُ بِالْمَالِ، وَهَكَذَا. فَيَرْجِعُ التَّمْيِيزُ كُلَّهُ لِتَمْيِيزِ الدَّوَاتِ، كَمَا قَالَ المَصْنَفُ. انظُرْ شَرْحَ الشَّيْخِ عَلِيِّ بَرَكَةَ، ثُمَّ ذَكَرَ تَمْيِيزَ العُدَدِ، وَهُوَ مِنْ قَبِيلِ تَمْيِيزِ المُفْرَدِ اتِّفَاقاً فَقَالَ (ص) وَاشْتَرَيْتَ عَشْرِينَ غَلَاماً. وَمَلَكَتْ تَسْعِينَ نَعْجَةً. (ش) وَمِنْهُ أَحَدٌ عَشَرَ كَوْكَباً. وَيَلْحَقُ بِهِ تَمْيِيزُ المَسَاحَةِ. نَحْوُ مَلَكَتْ شَبْرًا أَرْضاً. وَجَرِيداً نُخْلاً. وَتَمْيِيزُ المَقَادِيرِ، كَرِطَلَيْنِ عَسَلًا. وَمَنُونِ تَمْرًا، وَأَرْدَبِ نَحًا. وَزَقِ زَيْتًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَثْقَالَ دَرَّةٍ خَيْرًا﴾. وَأَمَّا قَوْلُ المَصْنَفِ (ص) وَزَيْدٌ أَكْرَمُ مِنْكَ أَبًا. وَأَجْمَلُ مِنْكَ وَجْهًا. (ش) فَهُوَ مِنْ تَمْيِيزِ التَّسْبِيبِ المَحْوُولِ عَنِ القَاعِلِ. وَالأَصْلُ زَيْدٌ كَرَّمَ أَبُوهُ، وَجَمَلَ وَجْهَهُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الجَوَابُ عَنِ المَصْنَفِ، أَنَّ الجَمِيعَ لِتَمْيِيزِ المُفْرَدِ. ثُمَّ قَالَ: (ص) وَلَا يَكُونُ إِلَّا نَكَرَهُ (ش) يَعْنِي أَنَّ التَّمْيِيزَ لَا يَكُونُ إِلَّا نَكَرَةً؛ لِأَنَّ لَفْظَ التَّنْكِيرِ يُقَيِّدُ المَقْصُودَ، فَلَا يَتَكَلَّفُ التَّعْرِيفَ. وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

رَأَيْتُكَ لَمَّا أَنْ عَرَفْتُ وَجُوهَنَا صَدَدَتْ وَطَبَّتِ النَّفْسُ يَا قَبَسَ عَنِ عَمْرِ

فَأَنَّ فِيهِ زَائِدَةٌ لِلضَّرُورَةِ، وَلَيْسَتْ مَعْرِفَةٌ. وَقَالَ الكَوْفِيُّونَ: يَكُونُ التَّمْيِيزُ مَعْرِفَةً. مُحْتَجِّجِينَ بِقَوْلِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْعُبْ عَن مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أَي سَفِهَ نَفْسًا. وَأَجِيبُ بِأَنَّ نَفْسَهُ مَفْعُولٌ بِسَفِهَ، لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى جَهْلٍ، أَوْ أَهْلِكَ. أَوْ لِأَنَّ الضَّمِيرَ فِيهِ مَعْنَى الشُّيُوعِ الَّذِي فِيهِ مَنْ يَمُنُّ بِمَنْ يَكْسِبُ التَّعْرِيفَ، أَوْ عَلَى إِسْقَاطِ الجَارِ. وَإِصْصَالُ الفِعْلِ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ: ضَرَبَ فُلَانٌ الظَّهْرَ وَالبَطْنَ.

تَنْبِيْهُ: قَالَ فِي المَعْنَى: الحَالُ أَوْ التَّمْيِيزُ اجْتِمَاعًا فِي خَمْسَةِ أُمُورٍ، وَافْتِرَاقًا فِي سَبْعَةٍ. فَأَوَّجَهُ الاتِّفَاقُ أَنَّهَا اسْمَانِ نَكَرَتَانِ، فَضَلَّتَانِ، مَنْصُوبَتَانِ، رَافِعَتَانِ لِإِبْنِهِمَا. وَأَوَّجَهُ الِافْتِرَاقُ، أَنَّ الحَالَ تَكُونُ جُمْلَةً. وَالتَّمْيِيزُ لَا يَكُونُ إِلَّا مُفْرَدًا. وَإِنَّ الحَالَ تَتَعَدَّدُ. تَقُولُ: جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا، فَرِحًا مَسْرُورًا بِخِلَافِ التَّمْيِيزِ. وَإِنَّ الحَالَ تَتَقَدَّمُ عَلَى عَامِلِهَا، إِذَا كَانَ مُتَصَرِّفًا، نَحْوُ: حُشَّعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ بِخِلَافِ التَّمْيِيزِ عَلَى المَشْهُورِ. وَقَالَ فِي الأَلْفِيَةِ:

وَعَامِلِ التَّمْيِيزِ قَدَّمَ مُطْلَقًا وَالفِعْلُ ذُو التَّصْرِيفِ نَزْرًا سَبَقًا

وَمِنْ تَقْدِيمِهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَنْفَسًا تَطْيِيبَ بَنِيلِ المُنَا وَدَاعِي المَنُونِ يَنَادِي جَهَارًا

وَإِنَّ حَقَّ الحَالِ الِاشْتِقَاقُ، وَحَقُّ التَّمْيِيزِ الجُمُودُ، وَقَدْ يَتَعَاكَسَانِ، وَإِنَّ الحَالَ

مؤكّدة، نحو: «ولّى مُدْبِرًا فْتَبَسَّمَ ضَاحِكًا، وَلَا يَقَعُ التَّمْيِيزُ. كذلك هـ. وجزم في القطر، بأن التمييز قد يؤكد كقوله الشاعر:

تَزَوَّدَ مِثْلَ زَادِ أَبِيكَ فِينَا فَنِغَمَ الزَّادِ زَادِ أَبِيكَ زَادَا
قلت: وبقي عليه من المفروقات، أن التمييز قد يُجَرَّ بِمَنْ، بِخِلَافِ الْحَالِ.
قال في الألفية:

وَاجْرُزُ بِمَنْ إِنْ شِئْتَ غَيْرَ ذِي الْعَدَدِ، وَالْفَاعِلُ الْمَعْنَى كَطَبِ نَفْسًا تُفَدِّ، وَاللَّهُ
تَعَالَى أَعْلَمُ.

الإشارة: لا يكون العارِف عارفاً حتى يَخْصَلَ لَهُ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الضَّدَيْنِ اللَّذَيْنِ
وَقَعَ بِهِمَا التَّجَلِّي. فَيَمَيِّزُ بَيْنَ الرَّبَوِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ فِي مَظْهَرٍ وَاحِدٍ. وَبَيْنَ الرَّوْحَانِيَّةِ
وَالْبَشَرِيَّةِ، وَبَيْنَ الْحَسِّ وَالْمَعْنَى. وَبَيْنَ الْقُدْرَةِ وَالْحِكْمَةِ، وَبَيْنَ الْأَمْرِ وَالخَلْقِ. وَبَيْنَ
الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ، وَبَيْنَ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ. وَبَيْنَ السُّكْرِ وَالضُّخُو. وَهَكَذَا سَاطَرَ الضَّدَيْنِ
المَوْجُودَيْنِ فِي الْكَوْنِ الَّذِي وَقَعَ بِهِ التَّجَلِّي. أَمَّا التَّمْيِيزُ بَيْنَ الرَّبَوِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ.
فَالرَّبَوِيَّةُ مَحَلُّهَا الْبِوَاطِنُ. وَالْعُبُودِيَّةُ الظُّوَاهِرُ، فَهَذَا مِنْ عَجَائِبِ أَسْرَارِ الرَّبَوِيَّةِ؛ إِنْ
ظَهَرَتْ فِي قَوْلِ الْعُبُودِيَّةِ، وَلِذَلِكَ تَعَجَّبَ صَاحِبُ الْحِكْمِ الْعَطَّائِيَّةِ، حَيْثُ قَالَ:

سُبْحَانَ مَنْ سَتَرَ سِرَّ الْخُصُوصِيَّةِ بِظُهُورِ وَصْفِ الْبَشَرِيَّةِ وَظَهَرَ بِعِظَمَةِ الرَّبَوِيَّةِ،
فِي إِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ. وَقَالَ الْحَلَّاجُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ نَاسُوتَهُ سَرَّ سِنَا لِهَوْتِهِ الشَّاقِبِ
ثُمَّ بَدَأَ فِي خَلْقِهِ ظَاهِرًا فِي صُورَةِ الْأَكْمَلِ وَالشُّرْبِ
حَتَّى لَقَدْ عَايَنَهُ خَلْقَهُ كَلَحْظَةِ الْحَاجِبِ بِالْحَاجِبِ

وَلَعَدَمَ فَهَمَّ كَلَامِهِ؛ قَتَلَهُ أَهْلُ الظَّاهِرِ وَوَأَفْقَهُمْ أَهْلُ الْبَاطِنِ لِإِفْشَائِهِ السَّرِّ؛ وَهُوَ
وَلِيَ اللَّهِ حَقًّا. وَأَمَّا الرَّوْحَانِيَّةُ وَالْبَشَرِيَّةُ؛ فَالرَّوْحَانِيَّةُ قَائِمَةٌ بِالْبَشَرِيَّةِ قِيَامَ الْمَاءِ بِالْعُودِ
الْأَرْطَبِ، مَنْسُوبَةٌ إِلَى الرُّوحِ. فَالْبَشَرِيَّةُ مَحَلُّ التَّكْلِيفِ وَالرُّوْحَانِيَّةُ: مَحَلُّ التَّعْرِيفِ.
الْبَشَرِيَّةُ: مَحَلُّ الْعُبُودِيَّةِ، وَالرُّوْحَانِيَّةُ: مَحَلُّ شُهُودِ الرَّبَوِيَّةِ. فَإِذَا اسْتَوْلَتِ الرَّوْحَانِيَّةُ
عَلَى الْبَشَرِيَّةِ وَكَسَتْهَا اِكْتِسَاءُ النَّارِ لِلْفَحْمَةِ. صَارَ صَاحِبُهَا رُوحَانِيًّا سَمَآوِيًّا. وَعَلَامَتُهُ:
أَنَّهُ لَا تَجُولُ رُوحُهُ غَالِبًا إِلَّا فِي أَنْوَارِ التَّوْحِيدِ، وَأَسْرَارِ التَّفْرِيدِ. وَإِذَا اسْتَوْلَتِ
الْبَشَرِيَّةُ عَلَى الرُّوحَانِيَّةِ، صَارَ صَاحِبُهَا بَشَرِيًّا أَرْضِيًّا. وَعَلَامَتُهُ جَوْلَانُ رُوحِهِ غَالِبًا فِي
حَسِّ الْكَائِنَاتِ، وَكَلَامِهِ غَالِبًا فِي الْمُرُوقَاتِ. وَأَمَّا الْحَسُّ وَالْمَعْنَى. فَالْحَسُّ مَا ظَهَرَ

لِلْبَصْرِ مِنْ حَسَنِ الْأَوَانِي، وَالْمَعْنَى: مَا انْكَشَفَ لِلْبَصِيرَةِ مِنْ أَسْرَارِ الْمَعَانِي، فَمَنْ وَقَفَ عَلَى حَسَنِ الْأَوَانِي، كَانَ مُحْجُوباً عَنِ اللَّهِ. وَمَنْ نَقَدَّ إِلَى شُهُودِ الْمَعَانِي، كَانَ عَارِفاً بِاللَّهِ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشُّشْتَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَا تَنْظُرْ إِلَى الْأَوَانِي وَخُضْ بِحَرِّ الْمَعَانِي، لَعَلَّكَ تَرَانِي

وَقَالَ أَيْضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَطْقِي مِنْ خِلَافِ ذَلِكَ الْأَوَانِي وَأَنَا دَائِمٌ كُلِّ الْأَوَانِي أَوَانِي. وَكَمُونِ الْمَعَانِي فِي الْأَوَانِي كَكُمُومِ الْمَاءِ فِي الثَّلْجَةِ فَالْمَعَانِي قَدِيمَةٌ، وَظُهُورِ الْأَوَانِي حَدِيثَةٌ، فَإِذَا اسْتَوْلَتْ الْمَعَانِي عَلَى الْحَسِيَةِ، صَارَ الْكُلُّ قَدِيمًا. وَلِذَلِكَ قَالَ الْجَنِيدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلَّذِي قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَمْ يَزِدْ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ: كَمَلَهَا فَقَالَ لَهُ: أَيُّ قَدْرٍ لِلْعَالَمِينَ حَتَّى تُذَكِّرَ مَعَهُ. فَقَالَ لَهُ الْجَنِيدُ: كَمَلَهَا يَا أَخِي، فَإِنَّ الْحَادِثَ إِذَا قَرْنَ بِالْقَدِيمِ، تَلَاشَى الْحَادِثُ. وَبَقِيَ الْقَدِيمُ. وَأَمَّا الْقُدْرَةُ وَالْحِكْمَةُ، فَالْقُدْرَةُ مِنْ شَأْنِهَا الْإِبْرَازُ وَالْإِظْهَارُ. وَالْحِكْمَةُ: مِنْ شَأْنِهَا التَّغْطِيَةُ وَالْإِسْتَارُ. لِأَنَّ الْحِكْمَةَ هِيَ اقْتِرَانُ الْأَسْبَابِ وَالْعِلَلِ بِمَسَبِّبَاتِهَا، فَإِذَا بَرَزَتْ الْقُدْرَةُ مَا سَبَقَ بِهِ الْقَدْرَ، جَعَلَتْ الْحِكْمَةَ لِذَلِكَ أَسْبَاباً وَعِلَلاً لِيَبْقَى السِّرُّ مَضُونًا، وَالكَنْزُ مَدْفُونًا. فَالْحِكْمَةُ هِيَ الَّتِي تُسَمِّيهَا الْعُلَمَاءُ الْكَسْبَ وَالْاِكْتِسَابَ عِنْدَ أَهْلِ السَّنَةِ. فَالْجَبْرِيَّةُ وَقَفُوا مَعَ الْقُدْرَةِ؛ وَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى الْحِكْمَةِ؛ وَهُوَ جَهْلٌ وَجُمُودٌ. وَالْمُعْتَزَلَةُ وَقَفُوا مَعَ الْحِكْمَةِ؛ وَلَمْ يَنْفِذُوا إِلَى شُهُودِ الْقُدْرَةِ؛ وَهُوَ شِرْكٌ، أَوْ كُفْرٌ. وَأَهْلُ السَّنَةِ نَظَرُوا إِلَى تَصْرِفِ الْقُدْرَةِ، مُرْتَدِيَةً بِرِدَائِ الْحِكْمَةِ؛ وَهُوَ عَيْنُ الْكَمَالِ، إِلَّا أَهْلَ الشُّهُودِ وَالْعِيَانِ. وَأَمَّا الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، فَالْخَلْقُ عِبَارَةٌ عَنِ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ بِالتَّدرِجِ، حَسَبًا اقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ. وَالْأَمْرُ عِبَارَةٌ عَنِ إِبْرَازِهِ فِي لِحْظَةٍ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْقُدْرَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾. إِلَّا أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَنْفَكُ عَنِ الْخَلْقِ إِلَّا فِي الْمَعْجَزَةِ لِلنَّبِيِّ أَوْ الرَّامَةِ لِلْوَلِيِّ كَمَا لَا تَنْفَكُ الْقُدْرَةُ عَنِ الْحِكْمَةِ؛ لِأَنَّ عَالَمَ الْخَلْقِ مِنْ جُمْلَةِ الْحِكْمَةِ؛ الَّتِي وَقَعَ بِهَا الْاِسْتَارُ لِسِرِّ الْقُدْرَةِ. وَأَمَّا الشَّرِيعَةُ وَالْحَقِيقَةُ. فَالشَّرِيعَةُ أَدَبُ الظَّوَاهِرِ، وَالْحَقِيقَةُ مَعْرِفَةُ الْبَوَاطِنِ الشَّرِيعَةُ تَغْطِيَةُ لِلْحَقِيقَةِ كَالْحِكْمَةُ لِلْقُدْرَةِ بَلْ هِيَ مِنْ جُمْلَةِ الْحِكْمَةِ. وَأَمَّا الْفَنَاءُ؛ فَهُوَ الْغَيْبَةُ عَنِ حَسَنِ الْكَائِنَاتِ بِشُهُودِ الْمَعَانِي. وَالْبَقَاءُ: شُهُودُهُمَا مَعًا. فَيَغْطِي كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ. وَيُوفِي كُلَّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ وَالسُّكْرُ هُوَ الْفَنَاءُ. وَالصُّحُوعُ عَيْنُ الْبُقَاءِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. فَالْتَّمِيزُ هُوَ الْمُفَسِّرُ لِمَا انبَهَمَ مِنَ الذُّوَاتِ مَعَ الْمَعَانِي، فَيَمْتِزُ بَيْنَهُمَا، وَيَقُومُ بِحَقِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

بَابُ الِاسْتِثْنَاءِ: الاستثناء لغة: إخراج الشيء مما دَخَلَ فيه غيره، وإدخال الشيء فيما خرج منه غَيْرُهُ. وفي الاصطلاح: الإخراج بإلأ أو إحدى أَخَوَاتِهَا تحقيقاً أو تقديرأ من مذكور أو متروك. بشرط الإفادة. فقوله تعالى تحقيقاً: إشارة إلى الاستثناء المُنْتَصِل أو تقديرأ، إشارة إلى الاستثناء: المنقطع ماكان المستثنى من غير المستثنى منه. نحو: قام القوم إلا حمارأ. ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَدُونُكَ فِيهَا الْمَوْتُ﴾. إلا الموتة الأولى، وقوله: من مَثْرُوكٍ أو مذكور إشارة إلى التام والناقص، وسيأتي. وقوله: بشرط الفائدة. فخرج لنحو: ما ضربت إلا ضرب إذ لا فائدة فيه. ثم ذكرت الأدوات فقال: (ص) وحروف الاستثناء ثمانية؛ وهي إلا وغير، وكسوى وسوى وسواء وخلاً وعدأ وحاشأ. (ش) قلت: أطلق عليها حروفاً تغليبا، وإلا فمنها ما هي حروف باتفاق. وهي إلا. ومنها ما اسم باتفاق؛ وهو غير وسوى؛ كرضى. وسوى كهدى. وسواء، كسماء. ويقال: سواء كبناء. ومنها ما هي مترددة بين الفعلية والحرفية. وهي خلا وعدأ وحاشأ. فإن جرت فهي حروف. وإن نصبت فهي أفعال، ما لم تتصل خلا وعدأ بما. وإلا تعينت فعليتهما. ثم ذكر حكم المستثنى فقال. (ص) فالمستثنى بإلأ يُنْصَبُ (ش) أي وجوبأ، كان متصلاً أو منقطعاً (ص) إذا كان الكلام موجبا تاماً. (ش) فالموجب هو الذي يتقدمه نفي أو شبهة. والتام هو الذي يُذكر المستثنى معه قبل إلا. (ص) نحو قولك قام القوم إلا زيدا (ش) أي أو إلا حمارأ (ص) وخرج الناس إلا عمراً (س) أي أو إلا حمارأ. (ص) وإذا كان الكلام منفيأ (ش) أي بأن تقدمه نفي أو نهي أو استفهام إنكاري (ص) تاماً (ش) بأن ذكر فيه المستثنى منه. (ص) جاز فيه البدل والنصب (ش) أي إذا كان متصلاً (ص) نحو: ما قام أحد إلا زيد. (ش) بالرفع على البدل من أحد. ويجب في بدل النقص من الكل، اتصاله بضمير المبدل منه لفظاً أو تقديرأ؛ وهو هنا مُقدَّر، أي إلا زيد منهم. (ص) وإلا زيدا (ش) بالنصب على الاستثناء. وإذا كان الاستثناء منقطعاً، وجب النصب عند الحجازيين. نحو: ما قام أحد إلا حمارأ. وبلغتهم جاء القرآن. نحو قوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الْقُلُوبِ﴾. وترجم عند تميم، ويقرؤون إلا اتباع بالرفع اتباعاً للمحل. وفي الألفية:

وَأَنْصَبَ مَا انْقَطَعَ وَعَنْ تَمِيمٍ فِيهِ إِبْدَالٌ وَقَعَ

هذا إذا لم يتقدم المستثنى منه وإلا فالنصب عند الجميع. قال الشاعر:

مَالِي إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شَيْبَةَ وَمَالِي إِلَّا شَعْبَ الْحَقِّ مَشْعَبَ

والاتباع قليل ذكر يونس: مالي إلا أخوك ناصر. (ص) وإذا كان الكلام ناقصاً (ض) بأن لم يذكر فيه المستثنى منه، ويُسمى مفرغاً. (ص) كان على حسب العوامل (ش) أي كان إلا كالعدم. (ص) نحو ما قام إلا زيد، وما ضربت إلا زيدا، وما مرزت إلا بزيد. (ش) وإذا تعددت المستثنيات، يجعل واحد منها على ما تقدم، ونصب الباقي وجوباً، نحو ما قام أحد إلا زيدا إلا خالداً إلا بشراً. (ص) والمستثنى بغير وسوى وسواء مَجْرور لا غير (ش) أي بالإضافة، فلا يجوز فيما بعدها إلا الجز. وأما هي فتعرب إعراب الاسم الذي بعد إلا. فإن كان الكلام موجباً تاماً وجب نصبها على الحال، وإن كان منقياً تاماً جاز فيها البدل والنصب نحو ما قام أحد غير زيد وغير زيد. وإن كان ناقصاً كانت على حسب العوامل، نحو ما قام غير زيد. وما ضربت غير زيد. وما مرزت غير زيد. وكذلك سوى وسوى. ويُقدر فيها الإعراب (ص) والمستثنى بخلاً وعداً وحاشاً؛ يجوز نضبه وجره. (ش) وإن نصب فأفعال. وإن جرز فحروف. (ص) نحو ما قام القوم خلاً زيدا وزيد. وعداً عمراً وعمرو. وحاشاً زيدا وزيد. (ش) فخلاً فعل ماضٍ جامد. والفاعل مستتر يعود على البعض المدلول عليه بالكلية السابقة. وزيداً مفعول خلاً. وجُملة خلاً زيدا في موضع الحال مستأنفة فلا موضع لها. وإن جرزت ما بعدها فخلاً حرف جر، وزيد مجرور بها. وموضع خلاً ومجرورها نصب. إما من تمام الكلام أو بالفعل السابق. وعداً وحاشاً على وزن ما قبله جملة وتفصيلاً. وبقي على المصتف. المستثنى بليس. ولا يكون. والعذر له. إنه اكتفى عنهما بما تقدم في كان وأخواتها، لأن خبر ليس وكان تقول: قام القوم ليس زيدا. ولا يكون زيدا أي ليس بعضهم أو لا يكون بعضهم زيدا. والله تعالى أعلم.

الإشارة: المستثنى من الفرع الأكبر، هو من فضل الإيمان والطاعة، أو مقام الإحسان والمعرفة، وأسباب النجاة منه ثمانية: التقوى ظاهراً وباطناً. واتباع السنة قولاً وفعلاً. والصبر على الطاعة وعن المعصية، وفي النعمة والبلية، والرضى عن الله في الجلال والجمال. والتوكل عليه في المنع والعطاء، والورع عن المحرم والمكروه والزهد في الفضول من كل شيء، ومراقبة الله في السر والعلانية. فمن حصل هذه الأمور كان من الذين قال الله فيهم: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَنَلَقْنَهُمُ الْمَلَكَةَ هَذَا يَوْمَكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾. ويكون ممن استثنى الله بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ومن غلبه القدر فالتوبة معروضة. وبالله التوفيق.

بَابُ لَا: أي التي لنفي الجنس. وتسمى لا التبرية؛ لأنها تنفي الجنس، فكأنها تدل على البراءة من ذلك الجنس. والأصل فيها ألا تعمل لعدم اختصاصها بالأسماء. لكن إذا قصد بها نفي الجنس على سبيل الاستغراق، ونص العموم عملت بالحمل، على أن المؤكدة في الإثبات وهي مؤكدة في النفي، والشيء يُحمل على ضده. كما يُحمل على نده. ولما كان عملها بالحمل، جعلوا لها شروطاً ستة. أولها: أن تكون ثابتة لا زائدة. ثانيها: أن تكون لنفي الجنس، لا لنفي الوحدة. ثالثها: أن تكون نصاً في العموم. رابعها: أن يكون معمولها نكرة اسمها وخبرها. خامسها: أن تكون متصلة باسمها. سادسها: ألا يدخل عليها حرف جر. وقد نظمه بعضهم في بيت فقال:

لِنَفْيِ جِنْسٍ مَنكَرٍ نَصًّا وَصَلٍ بِإِلَّا وَلاَ جَرٍّ شَرْطاً لَأَعْمَلُ
 زاد بعضهم سابعاً؛ وهو أن لا يكون اسمها معمولاً لغيرها. كقوله تعالى: ﴿لَا مَرَجًا بَيْنَهُمْ﴾ فإنه معمول لمقدر. أي لا يقال لهم: لا مرحباً بهم. أي وجدتم مكاناً رخباً، فإن توفرت هذه الشروط، وجب عملها، تكررَت أم لا؛ وهو ظاهر كلام صاحب الألفية، حيث قال:

عَمَلٌ أَنْ اجْعَلَ لِإِلَافِي نَكْرَةً مُسْفِرَةً جَاءَتْكَ أَوْ مُكْسِرَةً
 خلاف ظاهر كلام المصنف حيث قال: (ص) اغلَمَ أَنْ لَا تَنْصِبُ النكرة بغير تثوين إذا باشرت النكرة ولم تتكرر لا. (ش) فظاھرہ، أَنْ عَدَمَ التكرار شرط. وليس كذلك. وإنما المدار على توفر الشروط. فإن توفرت وجب العمل؛ وهو البناء على الفتح في النكرة المفردة، والنصب في غيرها، وقوله: تنصب النكرة. ظاهرة أنه نصب إعراب؛ وهو مذهب الجرمي والزجاجي، والسيرافي. وحذف التنوين عندهم تخفيفاً. ومذهب البصريين أنه مبني معها. إن كان نكرة مفردة. وينصب إن كان مضافاً أو شبيهاً به. والمراد بالمفرد هنا ما ليس مضافاً ولا شبيهاً بالمضاف. فيصدق بالمفرد، نحو: لا يتبع فيه. وبالمثنى كقول الشاعر:

تَعَزَّ قَلَا الْفَيْنِ بِالْعَيْشِ مَتَعَا وَلَكِنْ يُورَادُ الْمَنُونِ تَتَابِعِ
 أي تصبر على فراق الأحاب. فلا حبيبين متعا بالعيش الدائم. ولكن لشراب كأس المنون، تتابع وتوارد، والمنون بفتح الميم: الموت. وبالجمع، نحو: لا رجال ولا مسلمين، فيبني على الفتح أو نائبة. وبالجمع المؤنث، كقول الشاعر:

إِنَّ الشَّبَابَ الَّذِي مَجَّدَ عَوَاقِبَهُ فِيهِ تَلْدٌ وَلَا لَذَاتٌ لِلشَّيْبِ
 إِلَّا أَنَّ جَمْعَ الْمُؤَنَّثِ، يَجُوزُ فِيهِ الْفَتْحُ وَالكَسْرُ، فَيُرَى لَا لَذَاتٌ بِالْفَتْحِ
 وَالكَسْرُ، وَاخْتَلَفَ فِي عِلَّةِ بِنَائِهِ. فَقِيلَ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى مِنَ الْاسْتِغْرَاقِيَّةِ، بِدَلِيلِ
 ظُهُورِهَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

فَقَامَ يَذُودُ النَّاسَ عَنْهَا بِسَيْفِهِ يَقُولُ إِلَّا لِمَنْ سَبِيلٌ إِلَى هِنْدِ
 وَقِيلَ لِتَرْكِيْبِ لَا مَعَ اسْمِهَا؛ تَرْكِيْبِ خُمْسَةَ عَشَرَ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِضَافًا، نَحْوُ
 لَا غَلَامَ سَفَرٍ حَاضِرٍ، أَوْ شَبِيهَا بِالْمِضَافِ؛ وَهُوَ الَّذِي يَطْلُبُ مَا بَعْدَهُ. نَحْوُ: لَا مَارًا
 بَزِيدٍ عِنْدَنَا، وَلَا طَالِعًا جَبَلًا حَاضِرًا. فَيَنْصَبُ اتِّفَاقًا ثُمَّ مِثْلُ فَقَالَ. (ص) نَحْوُ: لَا
 رَجُلٌ فِي الدَّارِ (ش) وَمِثْلُهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَلَا نَافِيَةَ لِلْجُنْسِ. وَإِلَهُ اسْمُهَا مَبْنِي
 عَلَى الْفَتْحِ. وَإِلَّا ابْتِطَالَ الثَّنِي. وَاللَّهُ بَدَلٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَتِرِ فِي الْخَبَرِ. أَيْ
 مَوْجُودًا. وَفِي الْاسْتِقْرَارِ فِي الْوُجُودِ، أَوْ مِنْ اسْمٍ لَا بِاعْتِبَارِ مَحَلِّهِ، قَبْلَ دُخُولِ لَا؛
 وَهُوَ الْابْتِدَاءُ؛ وَهُوَ ضَعِيفٌ. وَقِيلَ خَيْرٌ لَا. كَقَوْلِكَ: لَا عَالِمَ إِلَّا زَيْدٌ، وَقِيلَ مُبْتَدَأً،
 وَلَا إِلَهَ خَيْرُهُ. وَالْأَضَلُّ. اللَّهُ إِلَهُ، ثُمَّ قَدَّمَ الْخَبَرَ لِلْحَضَرِ، وَبُنِيَ مَعَ لَا. وَقِيلَ: نَائِبٌ
 عَنِ الْفَاعِلِ؛ لِأَنَّ إِلَهَ بِمَعْنَى مَا لَهُ. أَيْ مَعْبُودٍ، وَالْمَعْنَى. لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ. فَهُوَ
 نَظِيرُ قَوْلِكَ: لَا مَضْرُوبَ إِلَّا زَيْدًا. وَقِيلَ مَرْفُوعٌ عَلَى الصِّفَةِ، بِاعْتِبَارِ مَحَلِّهِ. وَإِلَّا
 بِمَعْنَى غَيْرٍ، وَلَمَّا كَانَتْ إِلَّا عَلَى صُورَةِ الْحَرْفِ. وَأَضْلَاهَا الْحَرْفِيَّةُ، انْتَقَلَ إِغْرَابُهَا
 إِلَى مَا بَعْدَهَا.

وَالْخَبَرُ حَيْثُ دُخِلَ مَحْذُوفٌ، أَيْ لَا إِلَهَ غَيْرَ اللَّهِ مَوْجُودًا. وَيَجُوزُ فِيهِ النَّصْبُ عَلَى
 حَذْفِ قَوْلِكَ: مَا قَامَ أَحَدٌ إِلَّا زَيْدًا عَلَى مَا تَقَدَّمَ. أَوْ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْإِلَهِ بِاعْتِبَارِ مَحَلِّهِ،
 بَعْدَ دُخُولِ لَا. وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ، أَيْ لَا إِلَهَ غَيْرَ اللَّهِ مَوْجُودٌ وَسِيَّاتِي الْكَلَامِ عَلَى
 مَعْنَاهَا فِي الْإِشَارَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ ذَكَرَ مَفْهُومَ الشَّرْطِ فَقَالَ (ص) فَإِنْ لَمْ تَبَاشِرْهَا
 (ش) أَوْ كَانَ مَدْخُولَهَا مَعْرِفَةٌ (ص) وَجَبَ الرَّفْعُ وَوَجِبَ تَكَرُّرُ لَا نَحْوُ: لَا فِي الدَّارِ
 رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ (ش) وَمِثْلُهُ «لَا فِيهَا عَوَّلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يَنْزِفُونَ». وَمِثَالُ الْمَعْرِفَةِ. لَا
 زَيْدٌ فِي الدَّارِ وَلَا امْرَأَةٌ. تَشْبِيهِ: قَدْ تَنَكَّرُ الْمَعْرِفَةُ، وَيُقْصَدُ شَيْعُهَا، فَتَدْخُلُ لَا
 عَلَيْهَا، وَتُبْنَى عَلَى الْفَتْحِ، كَقَوْلِهِمْ: لَا هَيْثُمْ اللَّيْلَةُ الْمَطْيِي. وَهَيْثُمْ عَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ
 كَانَ شَجَاعًا، أَيْ لَا مِثْلَ هَيْثُمْ، وَتَقُولُ: لَا حَاتِمَ عِنْدَنَا، قَالَ فِي التَّسْهِيلِ: وَقَدْ
 يُوْوَلُ غَيْرَ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بِنَكْرَةٍ، فَيُعَامَلُ مُعَامَلَتَهَا بَعْدَ نَزْعِ مَا فِيهِ، أَوْ مَا
 أُضِيفَ إِلَيْهِ مِنْ أَلْفٍ وَلَا مِ. وَلَا يُعَامَلُ بِهَذِهِ الْمُعَامَلَةَ ضَمِيرًا وَلَا اسْمًا إِشَارَةً، خِلَافًا

للفرأء هـ. ثم قال المصنف (ص) فإن نكرث لآ. جازَ إعمالها وإلغائها. نحو: لا رَجَلٌ في الدَّارِ وَلَا امْرَأَةٌ. (ش) أي بالإعمال. (ص) وإن شئت قلت: لا رَجُلٌ في الدَّارِ وَلَا امْرَأَةٌ. (ش) أي بالإهمال. وتقدّم البَحْثُ فيه. والتحقيق: إنه إن قَصَدَ النَّفْيَ على سبيل التنصيص، وجب البناء. تَكَرَّرَتْ أَمْ لآ. وإن قَصَدَ النَّفْيَ على سبيل الظهور، ولم يرد التنصيص، وَجِبَ إِهْمَالُهَا، أَوْ تَعْمَلُ عَمَلٌ لَيْسَ. قال الشيخ على بركة، رحمه الله. وقد يعتبر الجواز، بحسب إزادة المتكلم، وعدمه. بِمَعْنَى، أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ التَّنْصِيفَ، فَيَأْتِي بِهَا عَلَى مَقْتَضَى عَمَلِهَا فِي الْبَابِ. وَيَجُوزُ أَلَّا يُرِيدَهُ بَلْ يُبْقِي الْأَمْرَ عَلَى الظهور، فَيَأْتِي بِهَا عَلَى الْإِلْغَاءِ، أَوْ عَمَلِ لَيْسَ. قال: وَهَذَا وَاضِحٌ لِمَنْ أَنْصَفَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. تَمِيمٌ: يجوز في لآ حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ حَمْسَةَ أَوْجِهٍ: فَتَحُهُمَا، رَفَعُهُمَا، فَتَحَ الْأَوَّلَ، وَرَفَعَ الثَّانِي، وَنَصَبَهُ. رَفَعَ الْأَوَّلَ، وَنَصَبَ الثَّانِي. وَيُمْنَعُ رَفْعُ الْأَوَّلِ وَفَتْحُ الثَّانِي. فَرَعَ. يجوز حَذْفُ اسْمِ لآ، وَإِبْقَاءُ خَبَرِهَا كَقَوْلِهِمْ: لآ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ أَوْ لآ بِأَسْ أَوْ لآ شَيْءٌ عَلَيْكَ. وَأَمَّا حَذْفُ خَبَرِهَا فَكثِيرٌ، إِذَا دَلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾. ﴿قَالُوا لَا صَبْرَ﴾. وَيُلْزَمُ حَذْفُهُ التَّمِيمِيُّونَ وَالطَّائِيُّونَ. وَأَمَّا إِذَا جُهِلَ يَجِبُ ذِكْرُهُ. كَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ: «لَا أَحَدًا غَيْرَ اللَّهِ». وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

الإشارة: نفي الجنس، والبعد عن الحسن شرط في دخول حضرة القدس، ومحل الأتس فرغ قلبك من الأغيار، تملأه بالمعارف والأسرار كيف يشرق قلب، صور الأشياء منطبعة في ميزانته، أم كيف يزحل إلى الله، وهو مكبل بشهوته، أم كيف يدخل حضرة الله؛ وهو لم يتطهر من جنابة عقلايته؛ ولهذا شرعت كلمة التوحيد وهي: لا إله إلا الله؛ وهي تنفي الشرك الجلي والخفي. وتطهر القلب من الشواغل والعلائق. فالعامة تنفي الشرك الجلي. أو نار أو غير ذلك ممن اعتقدت العرب وأهل الضلالة، أنه يستحق أن يُعبد مع الله. فمغنى لا إله إلا الله لا مستحق للعبادة إلا الله؛ فهي تنفي استحقاق العبادة عن غير الله. وتبتهها لله جل وعلا. فقول الاستثنى هو الصواب. وأما نفيها للشرك الخفي، فإن من أحب شيئا فهو عبد له. ومن ركن إلى شيء فقد تأله. وكذلك من خاف من شيء فهو عبده، فإذا قال المؤمن: لا إله إلا الله. فقد أخرج من قلبه كل شيء. مال إليه قلبه، أو خاف منه: أو طمع فيه. فمغنى: لا إله إلا الله. لا حبيب لي، ولا معبود لي إلا الله. أو لا ركون لي إلى شيء، ولا خوف لي من شيء إلا الله. فكل واحد ينفي ما في قلبه من الأغيار. فأولها تخلية، وآخرها تحلية. ولذلك كان بغضهم إذا قال: لا إله إلا

اللَّهُ. أشار برأسه إلى ناحية قفاه، كَمَنْ يَزِيهِ شَيْئاً. وإذا قال: إِلَّا اللَّهُ. أشار برأسه إلى قلبه. لِيَتِمَّكَنَ اللهُ مِنْ قَلْبِهِ. هكذا يَسْتَمِرُّ، حتى لا يجد ما يَنْفِيهِ، فَيَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُوَحِّدُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ. ويخبرنا: أَنَّهُ لَا إِلَهَ سِوَاهُ. فحِينَئِذٍ يَقُولُ: اللَّهُ اللَّهُ، ثم هُوَ هُوَ، ثم يَغْرُقُ فِي بَحْرِ الْأَحْدِيَةِ. فَيَضُمُّ اللِّسَانَ وَيَثْبُتُ الشَّهَادَةَ وَالْعِيَانُ. وما ذلك على الله بعزيز.

بَابُ الْمُتَنَادِي: وهو اسم مَفْعُول، من تَادَيْتَهُ نِدَاءً بِكَسْرِ التَّوْنِ فِي الْأَشْهَرِ. ويجوز الضَّمُّ. وهَمْزَتُهُ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ. لِقَوْلِهِمْ: تَدَوَّتِ الْقَوْمُ نَدْوًا. أَي جَلَسْتَ مَعَهُمْ فِي التَّادِي؛ وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يُتَادَى فِيهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. قال تعالى في شأن قوم لوط: ﴿وَتَأْتُونَ فِي كَادِكُمْ التُّكْرُ﴾. أَي فِي مَجْلِسِكُمْ وَمَجْمَعِكُمْ. وفي اللُّغَةِ: الدَّعَاءُ لِعَاقِلٍ مَجِيبٍ. أَوْ لغيرِ الْعَاقِلِ عَلَى طَرِيقِ التَّذْكَرِ وَالتَّذْكَيرِ. كِنِدَاءِ الْأَطْلَالِ وَالدِّيَارِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: أَلَا يَا دَارَ مِيتَةَ الْعَلِيَاءِ فَالْسُّنْدُ هـ. وَحَيَّاكَ اللهُ يَا جَمَلٌ أَلَا يَا سَدَبَ الْقَطَا مَهْلٍ مِنْ يَعبِرُ جَنَاحَهُ الخ. وفي الاضْطِلاحِ: الدَّعَاءُ بِنَاءٍ أَوْ إِخْدَى أَخْوَاتِهَا. فَإِذَا قُلْتَ: أَدْعُوكَ أَوْ أَقْبِلْ عَلَيَّ. أَوْ إِخْضِرْ، وَقَصَّدْتَ بِذَلِكَ الْإِنشَادَ. كَانَ نِدَاءً لُغَةً لَا عُرْفًا. وَإِذَا قُلْتَ: يَا زَيْدُ، كَانَ نِدَاءً لُغَةً وَعُرْفًا. وَحُرُوفِ النِّدَاءِ ثَمَانِيَةٌ: الْهَمْزَةُ، وَأَيُّ مَقْصُورَتَانِ وَمَمْدُودَتَانِ، وَيَاءٌ وَأَيُّا، وَهِيَا، وَوَافِي التُّدْبِيَةِ. فَالْهَمْزَةُ الْمَقْصُورَةُ لِلْقَرِيبِ. إِلَّا إِذَا نُزِلَ مَنْزِلَةُ الْبَعِيدِ، لِنُومٍ أَوْ سَهْوٍ. فَيُنَادِي بِمَا لِلْبَعِيدِ؛ وَهُوَ مَا سِوَى الْهَمْزَةِ. وَقِيلَ: الْهَمْزَةُ الْمَقْصُورَةُ لِلْقَرِيبِ. وَالْمَمْدُودَةُ لِمَتَوَسُّطٍ. وَالبَاقِي لِلْبَعِيدِ. وَأَعْمَهَا دُخُولُ الْيَاءِ، وَتَتَعَيَّنُ فِي اسْمِ الْجَلَالَةِ، وَفِي الْاسْتِغَاثَةِ، نَحْوُ: يَا اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا قُلْتَ: اللهُ تَعَالَى أَقْرَبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَكَيْفَ يَنَادِي بِمَا لِلْبَعِيدِ، نَحْوُ: يَا رَحْمَنُ، بِاللَّهِ. فَالْجَوَابُ إِنْ الْمُتَنَادِي يَسْتَصْغِرُ نَفْسَهُ وَيَنْزِلُهَا مَنْزِلَةَ الْبَعِيدِ تَوَاضِعًا وَاحْتِقَارًا لِنَفْسِهِ. ثُمَّ ذَكَرَ أَحْكَامَ الْمُتَنَادِي فَقَالَ: (ص) الْمُتَنَادِي خُمْسَةُ أَنْوَاعٍ: الْمَفْرُودُ الْعَلَمُ، وَالتَّنْكِيرَةُ الْمَقْصُودَةُ. وَالنُّكْرَةُ غَيْرُ الْمَقْصُودَةُ. وَالمُضَافِ، وَالمُشَبَّهِ بِالمُضَافِ. (ش) قُلْتَ: المَرَادُ بِالمُفْرَدِ هُنَا: مَا لَيْسَ مُضَافًا وَلَا شَبِيهًا بِهِ. فَيَصْدُقُ بِالمُفْرَدِ وَالمُثَنَّى وَالجَمْعِ. نَحْوُ: يَا زَيْدُ، وَيَا زَيْدَانِ، وَيَا زَيْدُونَ. وَالمُرَادُ بِالنُّكْرَةِ الْمَقْصُودَةُ: مَا عَيَّنْتَهُ وَأَقْبَلْتَهُ عَلَيْهِ، سِوَا مَا كَانَتْ مُفْرَدَةً أَوْ مِثْلًا. أَوْ مَجْمُوعَةً، نَحْوُ: يَا رَجُلَ، يَا رَجُلَانِ. وَيَا رَجَالَ. وَيَا نِسَاءَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَالنُّكْرَةُ غَيْرُ الْمَقْصُودَةُ، هِيَ غَيْرُ الْمَعْيَنَةِ كَقَوْلِ الْأَعْمَى: يَا رَجُلًا خُذْ بِيَدِي، وَكَقَوْلِ الْوَاعِظِ: يَا غَافِلًا وَالمَوْتُ يَطْلُبُكَ. وَسِوَا مَا كَانَتْ أَيْضًا مُفْرَدَةً أَوْ مِثْلًا أَوْ مَجْمُوعَةً، نَحْوُ: يَا رَجُلَيْنِ وَيَا رَجَالَ. وَالمُرَادُ بِالمُضَافِ مَا أُضِيفَ إِلَى مَا بَعْدَهُ. نَحْوُ: يَا عَبْدَ

اللَّهُ. وَيَا صَاحِبِي السُّجُن. مفرداً كَانَ أَوْ مثنى أَوْ مَجْموعة، والمشبّه بالمضاف، ما عمل فيما بَعْدَهُ. مطلقاً. نحو: يَا طَالِعاً جَبَلًا. وَيَا رَجِيمًا بِالْعِبَادِ. وقد يُقَالُ: هو ما اتَّصَلَ به شَيْءٌ من تمام مَعْنَاهُ. فَيَدْخُلُ فِيهِ، يَا حَاصِرًا لَأَيِّغِبُ. وَيَا ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ، مَسْمَى بِهِ، ثم أشار إلى بَيَانِ حُكْمِهَا، فِي الْبِنَاءِ وَالْإِعْرَابِ فَقَالَ. (ص) فَأَمَّا الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ، وَالنَّكْرَةُ الْمَقْصُودَةُ فَيَبْنِيَانِ عَلَى الضَّمِّ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ مَا فِيهِمَا مِنَ الشَّبَهَةِ بِضَمِيرِ الْخَطَابِ، وَإِمَّا لِإِجْرَائِهِمَا مَجْرَى الْأَصْوَاتِ؛ وَنُسَبَ لِسَبِيئِيهِ. وَقَوْلُهُ عَلَى الضَّمِّ. الصَّوَابُ أَنْ يَقُولَ: فَيُبْنِيَانِ عَلَى مَا يُعْرَبَانِ بِهِ، لِيَشْمَلَ الْمَفْرَدَ وَالْمَثْنَى وَالْمَجْمُوعَ بِأَنْوَاعِهِ. (ص) نَحْوُ يَا زَيْدٌ وَيَا رَجُلٌ (ش) وَيَا زَيْدَانِ وَيَا زَيْدُونَ، وَيَا هُنَدَاتِ، وَيَا رَجَالَ وَيَا هُنُودِ، وَعِبَارَةُ الْخِلَاصَةِ أَكْمَلُ حَيْثُ قَالَ:

وَابْنُ الْمُعَرَّفِ الْمُتَادَى الْمُفْرَدَا عَلَى الَّذِي فِي رَفْعِهِ قَدْ عُوْهِدَا
وَكَأَنَّهُ لَمَا كَانَ الْأَصْلُ: الْبِنَاءُ عَلَى الضَّمِّ، وَمَا سِوَاهُ قَرَعُ: اقْتَضَى عَلَى الضَّمِّ. وَمَا كَانَ مَبْنِيًّا قَبْلَ النَّدَا نَوَى ضَمَّهُ، نَحْوُ: يَا هَوْلَاءِ، وَيَا سَبِيئِيهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَيُظْهِرُ أَثْرَ ذَلِكَ فِي التَّابِعِ. تَقُولُ: يَا سَبِيئِيهِ الْعَالِمُ بِالرَّفْعِ. مُرَاعَاةً لِلضَّمَّةِ الْمَنُوبَةِ. وَيُنْصَبُ مُرَاعَاةً لِلْمَحَلِّ؛ لِأَنَّ مَحَلَّهُ نَصْبٌ لِأَنَّ الْبَاءَ نَائِبَةٌ عَنِ ادْعَاوِ. وَيَجُوزُ أَيْضًا الضَّمُّ وَالْفَتْحُ فِي قَوْلِكَ، يَا زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو، وَيَا هُنْدُ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ عَطْفٍ. أَوْ عَطْفٍ بَيَانٍ. فَإِنْ كَانَ التَّابِعُ مِضَافًا دُونَ الِ، وَجَبَ نَصْبُهُ، نَحْوُ يَا زَيْدُ ذَا الْخَيْلِ، وَيَا تَمِيمَ كُلِّهِمْ، وَيَا عَلِيَّ بْنَ زَيْنِ الْعَابِدِينَ، اتِّبَاعًا لِلْمَحَلِّ. وَإِنْ كَانَ مَقْرُونًا بِأَلٍ أَوْ غَيْرِ مُضَافٍ. أَوْ مِضَافًا مَقْرُونًا بِأَلٍ. فَفِيهِ وَجْهَانِ: الرَّفْعُ مُرَاعَاةً لِلظَّاهِرِ، وَالنَّصْبُ مُرَاعَاةً لِلْمَحَلِّ، نَحْوُ يَا زَيْدُ الْعَالِمِ، وَيَا تَمِيمَ أَجْمَعِينَ. وَيَا زَيْدُ الْحَسَنِ الرَّجُلِ. وَإِنْ كَانَ التَّابِعُ بَدَلًا، أَوْ عَطْفًا نَسَقًا، جُعِلَ كَأَنَّهُ مُسْتَقِلٌّ بِالنَّدَاءِ؛ لِأَنَّ الْبَدَلَ وَعَطْفُ النَّسَقِ عَلَى نِيَّةِ تَكَرُّرِ الْعَامِلِ. تَقُولُ: يَا زَيْدُ بَشْرًا. وَيَا زَيْدُ كَرَزٍ بِالضَّمِّ فَقَطْ. وَتَقُولُ: يَا زَيْدُ أَحَانًا، وَيَا زَيْدًا أَحَانًا بِالنَّصْبِ فَقَطْ. إِلَّا أَنَّ النَّسَقَ مَقْرُونًا بِأَلٍ فَفِيهِ وَجْهَانِ، وَرَفْعٌ يَنْتَقِي، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَلَا يَا قَيْسَ وَالضَّحَّاكَ سِرًّا فَقَدْ جَاوَزْتَمَا حَدَّ الطَّرِيقِ

وَهَذَا فِي غَيْرِ تَابِعِ أَيْ. وَأَمَّا تَابِعُهَا فَوَاجِبُ الرَّفْعِ، نَحْوُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ «يَا أَيُّهَا الَّذِي تُرَلُّ عَلَيْهِ الذُّكْرُ»؛ لِأَنَّ هَذِهِ نَكْرَةٌ مَقْصُودَةٌ وَلَا تَسْتَعْمَلُ فِي النَّدَائِ إِلَّا كَذَلِكَ. وَهِيَ وَضَلَةٌ لِنَدَاءِ مَا فِيهِ أَلٍ إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ يَا، وَأَلٍ. إِلَّا مَعَ اللَّهِ. وَمَخْبِي الْجَمَلِ، نَحْوُ يَا اللَّهُ، يَا مُنْطَلِقُ زَيْدٍ مَسْمَى بِهِ. وَيَا لَخَلِيفَةِ هَيْبَةٍ. لِأَنَّهُ فِي

المَعْنَى . يا مثل الخليفة وَكَثُرَ فِي نِدَاءِ اسْمِ الْجَلَالَةِ حَذْفُ الْيَاءِ، وَتَعْوِضُ الْمِيمِ الْمَشْدُودَةِ عَنْهَا، نَحْوُ: اللَّهُمَّ، وَلَا يُجْمَعُ بَيْنَهُمَا إِلَّا فِي الضَّرُورَةِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: إِنِّي إِذَا حَدَّثْتُ أَلْمَأَ أَقُولُ يَا لِلَّهِمَّ يَا لِلَّهِمَّ .

تنبيه: يجوز نداء ضمير المتكلم أو المخاطب دُونَ الْغَيْبَةِ، إِذْ لَا يُمَكِّنُ نِدَاءَ الْغَائِبِ . وَقَوْلُ الصَّوْفِيَّةِ: يَا هُوَ، بَلْ يَبْقَى عِنْدَهُمْ غَائِبًا، بَلْ صَارَ قَرِيبًا مَتَعِينًا . إِذْ لَمْ يَبْقَ نَظَرُهُمْ إِلَّا هُوَ لِانْطِبَاقِ بَحْرِ الْأَحَدِيَةِ عَلَيْهِمْ . فَلَمْ يَرَوْا سِوَاهُ . وَقَالَ الْقَشِيرِيُّ: هُوَ عِنْدَهُمْ عَلِمٌ عَلَى الذَّاتِ، فَلَيْسَ هُوَ عِنْدَهُمْ ضَمِيرًا . وَإِنَّمَا هُوَ اسْمٌ لِلْهُوِيَّةِ الْحَقِيقَةِ الْفَرْدَانِيَّةِ . وَاعْتَرَضَ أَبِي حَيَّانَ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ مَقْصَدَهُمْ . «قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ» وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . ثُمَّ قَالَ الْمَصْنَفُ . (ص) وَالثَّلَاثَةُ الْبَاقِيَةُ مَنْصُوبَةٌ لِأَنَّهَا غَيْرُ . (ش) قُلْتُ: الثَّلَاثَةُ الْبَاقِيَةُ: هِيَ النِّكَرَةُ غَيْرُ الْمَقْصُودَةِ . وَالْمُضَافِ وَالْمُشَبَّهِ بِالْمُضَافِ، فَمِثَالُ غَيْرِ الْمَقْصُودَةِ قَوْلُ الْوَاعِظِ: يَا غَافِلًا، وَالْمَوْتُ بِطَلْبِهِ . وَقَوْلُ الْأَعْمَى، يَا رَجُلًا خَذَ بِيَدِي . وَمِثَالُ الْمُضَافِ . يَا عَبْدَ اللَّهِ . وَيَا أَبَانَا، وَمِثَالُ الْمُشَبَّهِ بِالْمُضَافِ، وَيُقَالُ لَهُ الْمَطْوَلُ، يَا طَالِعًا جَبَلًا، وَيَا رَفِيقًا بِالْعِبَادِ . وَيَا ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ، مَسْمُومٌ بِهِ . وَإِنْ نَادَيْتَ جَمَاعَةَ هَذِهِ عَدْتَهُمْ فَإِنْ لَمْ تَعَيَّنْهُمْ فَذَلِكَ . وَإِنْ عَيَّنْتَهُمْ قُلْتُ: يَا ثَلَاثَةَ وَالثَّلَاثُونَ، بِنَاءِ الْأَوَّلِ وَتَعْرِيفِ الثَّانِي . وَيَجُوزُ فِيهِ الرِّفْعُ وَالتَّنْضُبُ كَمَا تَقَدَّمَ . وَيَدْخُلُ فِي هَذَا . النِّكَرَةُ الْمَوْصُوفَةُ بِجُمْلَةٍ نَحْوِيًّا عَظِيمًا، يَرْجَى لِكُلِّ عَظِيمٍ، وَيَا حَاضِرًا لَا يَغِيبُ . فَيَتَعَيَّنُ نَضْبُهُ عَلَى الْمَشْهُورِ . وَقَوْلُ الْمُصَنَّفِ لَا غَيْرَ . لِأَنَّهُ نَافِيَةٌ، تَعْمَلُ عَمَلُ لَيْسَ . وَغَيْرُ اسْمِهَا مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ أَقْطَعَهُ عَلَى الْإِضَافَةِ، وَخَبَرَهَا مَحْذُوفٌ، أَي لَا غَيْرَ التَّنْضُبِ جَائِزًا، وَأَنْكَرَهُ فِي الْمَعْنَى، وَقَالَ: إِنَّهُ لِحَقُّ وَالْمَشْهُورُ جَوَازُهُ، بِدَلِيلِ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

لعمرك ما أسلفت لا غير تسئل . . . والله تعالى أعلم .

الإشارة: المُتَادِي فِي الْأَزْمَاتِ وَالْمَارِبِ خَمْسَةُ الْمَفْرَدِ الْعِلْمِ؛ وَهُوَ الْحَقُّ جَلُّ جَلَالِهِ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِالذَّاتِ، وَالْأَرْبَعَةُ وَسَائِلُ . وَقَدْ يُطْلَقُ الْمَفْرَدُ الْعِلْمُ عَلَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لِانْفِرَادِهِ بِالْكَمَالَاتِ، وَظُهُورِهِ بِالْمُعْجِزَاتِ، ظُهُورُ نَارِ الْقِرَى لَيْلًا عَلَى عِلْمِهِ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ صَاحِبُ الْبُرْدَةِ بِقَوْلِهِ: خَفَضَتْ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ . . . نُوْدِيَتْ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمَفْرَدِ الْعِلْمِ . وَلَا شَكَّ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَابِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، وَشَفِيعَةُ الْأَكْرَمِ بِهِ تَفَرَّجُ الْكُرْبِ، وَتُقْضَى الْمَارِبُ . وَاللَّهُ دَرُّ الْقَاتِلِ، سَيِّدِي مُحَمَّدُ الْبِكْرِيُّ الصِّدِّيقِي حَيْثُ قَالَ:

فَلذَّبِهِ فِي كُلِّ مَا تَرْتَجِي فَهُوَ شَفِيعٌ دَائِمًا يُقْبَلُ
وَعَذِّبِهِ فِي كُلِّ مَا تَخْتَشِي فَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمُؤَمَّلُ

والنكرة المقصودة؛ وهي سِرِّ الْوِلَايَةِ، فمن ظفر بها كان باباً من أبواب الله يفرع إليه في الشدائد وتُقضى بشفاعته الحوائج لأنه نائب عن الرسول الذي هو الحجاب الأعظم، وإنما فَسَّرْنَا النكرة المقصودة هنا، بِسِرِّ الْخِصْصِيَّةِ؛ لأنها تنكر أولاً، وتقصد ثانياً بعد التمكن منها، يظهر الله صاحبها بَعْدَ الْخِفَاءِ، لينتفع به العباد. وتحيا بِهِ الْبِلَاد. والنكرة غير المقصودة هي الْخِصْصِيَّةُ الَّتِي بَقِيَتْ عَلَى حَالِ الْخِفَاءِ، حتى مات صاحبها؛ فهو كَثْرٌ مِنْ كُنُوزِ الْحَقِّ. وَعَرُوسُ الْحَضْرَةِ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا أَمْثَالُهُ. ومن قرب منه، والمُضَافُ إِلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ؛ بالتربية والخدمَةِ. وهو مُلْحَقٌ بِهِمْ فِي الْمَالِ. والمشبه بالمُضَافِ؛ وهو مَنْ تَزَيَّ بِزِيَّتِهِمُ وَانْتَسَبَ إِلَيْهِمْ، ولم يكن له نَاهِضَةٌ لِلظفر بِسِرِّهِمْ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ تَلَحُّقُهُ بِرَكَاتِهِمْ، وَتَنْسِجُ إِلَيْهِ أَنْوَارِهِمْ. كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

لِي سَادَاتٍ مَنْ حَبَّبَهُمْ أَقْدَامُهُمْ فَوْقَ الْجَبَابِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ قَلْبِي فِي حُبِّهِمْ عَزَّ وَجَاهُ

فأما المفرد العلم، ويُرَادُ بِهِ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، والنكرة المقصودة، فَيَسَى أَمْرَهُمْ عَلَى الضَّمِّ عَلَى اللَّهِ، وَالْجَمِيعِ بِاللَّهِ مِنْ غَيْرِ ثَنِيَّةِ الْأَثَرِ بِشُهُودِ الْمُؤَثِّرِ. فَلَا يَفْتَرِقُونَ عَنْهُ سَاعَةً. وَالثلاثة الباقية منصوبة للمقادير. يجري عليهم ما كتب لهم مَعَ السُّكُونِ تَحْتَ مَجَارِيهِ. إِنْ قَرَّبَهُمْ فَبِفَضْلِهِ، وَإِنْ فَزَّقَهُمْ فَبِعَدْلِهِ. وَالسُّرُّ مِنْ أَجْلِهِ؛ يَجْلُو. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

بَابُ الْمَفْعُولِ مِنْ أَجْلِهِ: وَيُقَالُ لَهُ: الْمَفْعُولُ لَهُ، وَالْمَفْعُولُ لِأَجْلِهِ. وَحَدَّهُ فِي التَّسْهِيلِ بِقَوْلِهِ: هُوَ الْمَصْدَرُ الْمُعْلَلُّ، بِهِ حَدَّثَ مَشَارِكُهُ، ظَاهِرًا أَوْ مُقَدَّرًا. وَالْفَاعِلُ تَقْدِيرًا أَوْ تَحْقِيقًا هـ. وَقَالَ الْفَاكِهِيُّ: هُوَ الْمَصْدَرُ الْقَلْبِيُّ الْفُضْلَةُ، الْمَحْدَثُ لِحَدَثِ مَشَارِكِهِ. وَقَتًا، وَفَاعِلًا، وَعَرَّفَهُ الْمُصَنِّفُ بِقَوْلِهِ: (ص) وَهُوَ الْأِسْمُ الْمَنْصُوبُ الَّذِي يُذَكَّرُ بَيَانًا لِسَبَبِ وَقُوعِ الْفِعْلِ. (ش) فَخَرَجَ بِالْإِسْمِ: الْفِعْلُ وَالْحَرْفُ، وَبِالْمَنْصُوبِ الْمَجْرُورِ. وَبِالَّذِي يُذَكَّرُ الْخِ سَائِرِ الْمَنْصُوبَاتِ، مَا عَدَا الْمَفْعُولَ لَهُ. فَالْمَفْعُولُ لَهُ، هُوَ الَّذِي يُذَكَّرُ عِلَّةً وَبَاعِثًا لِلْفِعْلِ الْوَاقِعِ. فَإِذَا قُلْتَ: قَمْتُ، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ وَقَعَ مِنْكَ قِيَامٌ. وَلَا يَذَرِي مَا عَلَنَهُ، وَلَا الْبَاعِثَ عَلَيْهِ، فَإِذَا قُلْتَ: إِجْلَالًا وَمَحَبَّةً، فَقَدْ بَيَّنَّتْ

عِلَّةُ الْقِيَامِ. فالمراد، بِالْفِعْلِ اللُّغَوِيِّ فَيَصْدُقُ بِالْمَصْدَرِ وَالْفِعْلِ العُرْفِيِّ. نحو: كَانَ قِيَامِي إِجْلَالًا، وَسَوَاءٌ كَانَ بَاعِثًا وَعِلَّةً، أَوْ بَاعِثًا فَقَطْ كَقَعْدَتِكَ عَلَى الْحَرْبِ حِينًا. وَيَشْتَرِطُ فِي نَصْبِهِ خَمْسَةٌ شُرُوطٌ: الْأَوَّلُ: كَوْنُهُ مَصْدَرًا، فَلَا يَجُوزُ جِئْتِكَ السَّمَنُ وَالْعَسَلُ. الثَّانِي: كَوْنُهُ قَلْبِيًّا كَالرَّغْبَةِ وَالْإِجْلَالِ، فَلَا يَجُوزُ؛ جِئْتِكَ قِرَاءَةُ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ لِسَانِيَّةً، وَنَظَرِيَّةً. الثَّلَاثُ: كَوْنُهُ ظَاهِرًا، فَلَا يَجُوزُ جَاءُوكَ لَمَّا جِئْتَهُ. الرَّابِعُ: اتِّحَادُهُ بِالْمَعْلُولِ بِهِ وَقِتًا. فَلَا يَجُوزُ جِئْتِكَ أَمْسٍ طَمَعًا فِي مَعْرُوفِكَ الْآنَ. الْخَامِسُ: اتِّحَادُهُ بِالْمَعْلُولِ بِهِ فَاعِلًا. فَلَا يَجُوزُ جِئْتِكَ إِيَّايَ. وَقَدْ اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الشَّرُوطَ، مَا مِثْلُ بِهِ الْمَصْنُفِ مِنْ قَوْلِهِ: (ص) نَحْوُ: قَامَ زَيْدٌ إِجْلَالًا لِعَمْرُو. وَقَصْدَتِكَ ابْتِغَاءَ مَعْرُوفِكَ. (ش) فَالْإِجْلَالُ وَالْابْتِغَاءُ مَصْدَرَانِ قَلْبِيَّانِ وَفَاعِلُ الْقِيَامِ وَالْإِجْلَالِ وَاحِدٌ. وَمَتَى فُقِدَ شَرْطٌ. وَجِبَ جَرَّهُ بِحَرْفِ التَّعْلِيلِ. فَفَاقِدُ الْمَصْدَرِيَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ وَصَّعَهَا لِلْأَنْبَاءِ﴾. وَ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ﴾، أَي خَلَقَ مَا فِي الْأَرْضِ لِأَجْلِكُمْ. وَفَاقِدُ الْقَلْبِيَّةِ: جِئْتِكَ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ. وَفَاقِدُ الظُّهُورِ جَاءُوكَ لَمَّا جِئْتَهُ لَهُ. وَفَاقِدُ الْإِتِّحَادِ فِي الْوَقْتِ. قَوْلُ الشَّاعِرِ:

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضْتُ لِنَوْمِ ثِيَابِهَا لَدِي السَّشْرُ إِلَّا لُبْسَةَ الْمُتَجَمَّلِ
وَفَاقِدُ الْإِتِّحَادِ فِي الْفَاعِلِ، قَوْلُهُ:

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لَذِكْرِكَ هِزَّةً كَمَا انْتَفَضَ الْعُضْفُورُ بَلَّلَهُ الْقَطْرُ
لِأَنَّ الدُّكْرَ فَعْلَ الْمُتَكَلِّمِ، وَقَاعِلُ تَعْرُونِي الْهِزَّةُ. وَإِنَّمَا قُلْنَا يَجْرُ بِحَرْفِ التَّعْلِيلِ، لِيَدْخُلَ اللَّامُ. وَمَعَا يَقُومُ مَقَامَهَا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرٍ﴾ وَفِي كَقَوْلِهِ ﷺ: «دَخَلَتْ امْرَأَةُ النَّارِ فِي هِزَّةٍ» وَالْبَاءُ نَحْوُ: «فِيظَلُّمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا» وَالْكَافُ: «وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَايَكُمُ». وَعَلَى نَحْوِ: «وَلَتَكْبُرُوا اللَّهُ عَلَى مَا». وَلَا يَمْتَنِعُ جِزَةٌ بِهَذِهِ الْحُرُوفِ مَعَ تَوْفُرِ الشَّرُوطِ. نَحْوُ: قَنَعَ لَزُهْدِي. وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَفْعُولَ لَهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ مُجَرَّدًا مِنْ أَلٍ وَالْإِضَافَةِ. نَحْوُ: قَمْتُ إِجْلَالًا لَكَ. وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مَقْرُونًا بِأَلٍ نَحْوُ قَمْتُ الْإِجْلَالِ لَكَ. وَالثَّلَاثُ: أَنْ يَكُونَ مُضَافًا، نَحْوُ قَصَدْتُ ابْتِغَاءَ مَعْرُوفِكَ. وَقَدْ اجْتَمَعَ التَّفْرِيدُ وَالْإِضَافَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾. وَمِنَ الْمُعْرَفِ بِأَلٍ الرَّاجِزُ:

لَا أَقْعِدُ الْجُبْنَ عَنِ الْهَيْجَاءِ وَلَوْ تَوَالَّتْ زُمَرُ الْأَعْدَاءِ

أي لا أقعد عن الحزب؛ لأجل الجبن، وقد اجتمع الثلاثة في قول العجاج:

تركيب كل عاقر جمهور مخافة وزعل المحبور والهول من تهول الهبور،
والنصيب للمفعول له ما تقدم من فعل وشبهه. ويجوز تقديمه عليه، إذ لا مانع،
إذا كان منصرفاً، والله تعالى أعلم.

الإشارة: المفعول من أجله؛ هو المسمى عند الصوفية بعالم الحكمة. وهو
عالم الأسباب والعلة بخلاف عالم القدرة؛ فإنه عالم الإبراز والإظهار، فعالم
القدرة، هو عالم الأمر وعالم الحكمة هو عالم الخلق. «ألا له الخلق والأمر».
فالقدرة تبرز، والحكمة تستر، فلا تبرز القدرة شيئاً، إلا مرتدياً برداء الحكمة، إلا
في المعجزة للرسول والكرامة للولي فإن القدرة تبرز بلا تغطية، تصديقاً لذلك النبي
أو الولي، فعالم الدنيا القدرة فيه باطنة، والحكمة فيه ظاهرة؛ لأنه عالم التكليف.
ليظهر فيه مزية الإيمان بالغييب. بخلاف عالم الآخرة فإن القدرة تكون فيه ظاهرة،
والحكمة باطنة؛ لأنه عالم التعريف، قد انقطع فيه التكليف. وها أنا أذكر لك
أمثلة، تفهم منها القدرة والحكمة، فمثال ذلك. الأرزاق الحسية، والمعنوية؛ فإنها
بارزة في عين المنة بمحض القدرة. لكنها متغطية بالحكمة؛ وهي الأسباب والعلة
ليبقى سر القدرة مضموناً، وكنزها مدفوناً. وقد تظهر القدرة فيه بلا حكمة، فيأتي
من غير سبب، كرامة لأهل التوجه، وتفريقاً لهم. ليقبلوا عليه. وكل من تحقق
تقواه، ظهر رزقه بلا سبب. لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ
حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. ومثال للقدرة أيضاً مع الحكمة: جزي السفن على الماء، فهي
بمحض القدرة، لكن لا بد فيه من أسباب واضطلاح. إذا اختلت وقع الغرق.
وكذلك العرس والزرع، وكلما يستنبت، فلا بد من سقيه وصونه. ليجني ثمرته مع
أن الحق تعالى قادر على خلق الثمار فيها من غير علاج، لكن لا بد من وجود
الأسباب في هذا العالم الدنيوي. ليبقى السر مصوناً. ومنها تذكير الأشجار، وقد
أراد عليه السلام، أن يظهر القدرة بلا حكمة، فسقطت الثمار. فقال: أنتم أعلم
بديناكم؛ التي هي محل الأسباب والعلة. وكذلك القضاء والقدر، لا يبرز إلا مع
الحكمة. فإذا قدر الحق تعالى على عبء مصيبة من مريض أو حبس، أو غيره. أو
شفاء أو فرج، في وقت معلوم، فإذا وصل ذلك الوقت، حرّكه الحق تعالى ليسبب
ذلك. فينزل به ما قدر له مستتراً بتلك الحكمة، بالجاهل يقف مع الحكمة،
والعارف ينفذ إلى شهود القدرة. وقس على هذا، فالمفعول من أجله؛ وهو

الباعث: هو الاسم المنصوب لتغطية القدرة؛ الذي يذكر بياناً لسبب وقوع الفعل السابق في الأزلي. ومنه الإجلال والتعظيم الذي هو سبب الفتح الكبير، والطلب والابتغاء الذي هو سبب الوصول إلى معرفة الحق، وبالله التوفيق.

بَابُ الْمَفْعُولِ مَعَهُ: هُوَ الْخَامِسُ مِنَ الْمَفَاعِيلِ. وَعَرَّفَهُ ابْنُ هِشَامٍ بِقَوْلِهِ: اسْمٌ فَضْلَةٌ تَلِي الْوَاوَ، بِمَعْنَى مَعَ، تَالِيَةٌ لَجُمْلَةٍ ذَاتِ فِعْلِ أَوْ اسْمٍ فِيهِ مَعْنَاؤُهُ، وَحُرُوفُهُ هـ. فَخَرَجَ بِقَوْلِهِ اسْمٌ، نَحْوُ: لَا تَأْكُلِ السَّمَكَةَ وَتَشْرَبِ اللَّبْنَ، وَسِرْتِ وَالشَّمْسِ طَالِعَةً. وَبِقَوْلِهِ: فَضْلَةٌ، نَحْوُ اشْتَرَكِ زَيْدٌ وَعَمْرُوٌّ. وَبِقَوْلِهِ: تَلِي الْوَاوَ، نَحْوُ: جِئْتِكَ مَعَ عَمْرُوٍّ. وَبِقَوْلِهِ: بِمَعْنَى مَعَ، نَحْوُ زَيْدٍ وَالْخَبَرِ مَحذُوفٍ. أَيْ مَقْرُونَانِ. فَلِمَ تَتَقَدَّمُ عَلَى الْوَاوِ جُمْلَةٌ. وَبِقَوْلِهِ: فِيهِ مَعْنَى الْفِعْلِ دُونَ حُرُوفِهِ فَلَا يَغْمَلُ فِيهِ، خِلَافاً لِأَبِي عَلِيٍّ، وَلَا يَجُوزُ جَرُّهُ لِعَدَمِ إِعَادَةِ الْجَارِ. وَلَا رَفْعَهُ لِفَسَادِ الْمَعْنَى: فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ قَالُوا: مَا أَنْتَ وَزَيْدًا. وَكَيْفَ أَنْتَ وَقِضْعَةٌ مِنْ ثَرِيدٍ. بِالنُّضْبِ. قَالِ الْجَوَابُ أَنَّ مَنْ نَصَبَ قَدْرَ الْعَامِلِ أَيْ مَا تَكُونُ، وَكَيْفَ تَضَعُ، فَالْعَامِلُ فِي الْمَفْعُولِ مَعَهُ تَكُونُ. وَتَضَعُ الْمَقْدَرَةَ، وَلَمَّا حُذِفَ الْفِعْلُ، انْفَصَلَ الضَّمِيرُ، وَأَكْثَرُهُمْ يَزْعَمُونَ ذَلِكَ بِالْعَطْفِ. وَعَرَّفَهُ الْمَصْنِفُ بِقَوْلِهِ: (ص) هُوَ الْاسْمُ الْمَنْصُوبُ الَّذِي يُذَكَّرُ لِبَيَانِ مَنْ فَعَلَ مَعَهُ الْفِعْلَ (ش) يَعْنِي، أَنَّ الْمَفْعُولَ مَعَهُ هُوَ الْاسْمُ الْمَنْصُوبُ، وَنَاصِبُهُ مَا سَبَقَ عَلَيْهِ مِنَ الْفِعْلِ وَشِبْهِهِ، لَا الْوَاوَ، خِلَافاً لِلْجَرَّجَانِيِّ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْوَاوُ نَاصِبَهُ، لَصَحَّ اتِّصَالُ ضَمِيرِهِ بِهِ، كَمَا يَتَّصِلُ بِإِنِّ وَأَخَوَاتِهَا، وَحُرُوفِ الْجَزْرِ. وَقِيلَ مَنْصُوبٌ بِإِسْقَاطِ الْجَزْرِ. وَقِيلَ انْتَصَبَ انْتِصَابَ الْمَصْدَرِ الْمَلَاقِي. وَحَكَمْتَهُ أَنْ يَبَيِّنَ الشَّيْءَ الَّذِي وَقَعَ الْفِعْلُ مَعَهُ (ص) نَحْوُ جَاءَ الْأَمِيرُ وَالْجَيْشُ (ش) فَإِذَا قُلْتَ: جَاءَ الْأَمِيرُ لَا يَذَرِي هَلْ جَاءَ وَحْدَهُ أَوْ مَعَهُ غَيْرُهُ. فَإِذَا قُلْتَ وَالْجَيْشُ. فَقَدْ بَيَّنَّتْ مَنْ فَعَلَ مَعَهُ الْفِعْلَ. وَكَذَلِكَ (ص) اسْتَوَى الْمَاءُ وَالْخَشْبَةُ. (ش) أَيْ اسْتَوَى مَعَ الْخَشْبَةِ، وَأَتَى بِمِثَالَيْنِ: أَحَدُهُمَا يَصِحُّ فِيهِ الْعَطْفُ، وَهُوَ الْأَوَّلُ، وَالْآخَرُ لَا يَصِحُّ فِيهِ الْعَطْفُ وَهُوَ الثَّانِي، لِأَنَّ الْاسْتَوَاءَ إِنَّمَا يَتَّصِرُ مِنَ الْمَاءِ، وَأَمَّا الْخَشْبَةُ فَلَا فِعْلَ لَهَا. قَالَ الْفَاكَهِيُّ: الْمَاءُ اسْمٌ جِنْسٌ إِفْرَادِيٌّ، وَنَقَلَ ابْنُ وَتَادٍ: اسْمٌ جِنْسٌ جَمْعِيٌّ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَفْرَدِهِ سَقُوطُ التَّاءِ. تَقُولُ: مَاءَةٌ وَمَاءٌ، نَقَلَهُ الْقَلْشَانِيُّ فِي شَرْحِ ابْنِ الْحَاجِبِ.

تنبيه: الاسم بعد الواو خمس حالات، وجوب العطف نحو اشترك زيد وعمرو، ورجحانه نحو: جاء زيد وعمرو لأنه الأصل، وقد أمكن به ضعف وجوب المفعول معه لعدم صحة العطف إمّا من جهة الصناعة نحو مالك وزيداً وإما

من جهة المعنى نحو مات زيد وطلوع الشمس وسرت والنيل ورجحانه نحو قمت وزيداً، فالنصب أرجح لعدم الفاصل كقول الشاعر:

فكونوا أنتم وبني أبيكم مكان الكلّيتين من الطيحال

إذا المعنى: فكونوا مع بني أبيكم، والخامس امتناعهما معاً لقول القائل:

علفتها تيناً وماء بارداً حتى غدت همالة عيناها

وقال آخر:

إذا ما المغنيات برزت يوماً وكحلن الحواجب والعيون

أما امتناع العطف فلانتفاء المشاركة، وأما امتناع المفعول معه فلامتناع المعية في الأول وامتناع الإعلام بها في الثاني، ويجب في ذلك إضمار فعل ناصب للاسم على أنه مفعول به أبي وسقيتها ماء، وكحلن العيون. وقد يؤول الفعل المذكور بعامل يصح انصبابه عليها معاً، فيؤول علقتها بناولتها وكحلن بخسن. وقد يجب تقدير العامل في نحو قوله تعالى: ﴿فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ فيمن قطع الهمزة لأن أجمع لا يعمل إلا في المعنى كالأمر ونحوه، والتقدير: فاجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم بفتح الميم، والله تعالى أعلم.

الإشارة: المفعول معه هو الذي تفعل الأشياء كلها معه وبحضوره، وهو

«الله» القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على كل شيء، والحاضر مع كل شيء قال تعالى: «وهو معكم أينما كنتم» وقال ﷺ: «اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال والولد» فالمعية عند أهل الفرق بالعلم والإحاطة، وعند أهل الجمع بالذات والصفات، لأن الصفة لا تفارق الموصوف، فالعلم لا يفارق العالم. وقال تعالى: «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا وهو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا» قال العارف بالله الورتجبي رضي الله عنه: المعية بالعلم عموم وبالقرب خصوص، والقرب بالعلم عموم وبظهور التجلي خصوص وذلك دُنُوٌّ «دنا فتدلى»، فكان قاب قوسين أو أدنى» فإذا ارتفع الأين والبين، والمكان والجهات، واتحدت أنوار كشوف الذات والصفات، فالعارف بذلك حقيقة المعية، إذ هو سبحانه وتعالى منتزه عن الانفصال والاتصال والحدث، ولو ترى أهل النجوى الذين مجالستهم لله وفي الله لترى من وجوههم أنوار المعية، أين أنت من علم الظاهر الذي يدل على

الرسوم؟ ألم تر أن علمه تعالى أزلني؟ وبالعلم يتجلى للمعلومات. فالصفات شاملة على الأفعال، ظاهرة من مشاهد المعلومات. فإذا كانت الذات لا تخلو من قرب الصفات كيف تخلو عن قرب الذات الأرواح العالية، المقدسة العاشقة، المستغرقة في وجوده لا المراد منه.

وحاصل كلامه، أن المعية بالعلم تستلزم المعية بالذات لأن الصفة لا تفارق الموصوف، وهذا السر لا يفهمه إلا أهل الفناء في الذات، بصحبة مشايخ الشبهة، وإلا فشان من لم يبلغ أذواقهم التسليم.

إِنْ لَمْ تَرَ الْهَلَالَ فَسَلِّمْ لِأَنَّا مِنْ رَأْوَةٍ بِالْأَبْصَارِ
وبالله التوفيق.

ثم قال الشيخ رحمه الله: وأما خبر كان وأخواتها واسم إن وأخواتها فقد تقدم ذكرهما في المرفوعات. قلت: وكذلك مَفْعُولًا ظن وأخواتها. ثم قال وكذلك التوابع فقد تقدمت هنالك، لا فائدة في إعادتها لأن من المعادات معادة المعادات، ثم ذكر المخفوضات من الأسماء فقال:

باب مخفوضات الأسماء: أي الأسماء المخفوضات، فهي من إضافة الصفة إلى موصوفها ثم بينها فقال:

ص: المخفوضات ثلاثة، مخفوض بالعرف ومخفوض بالإضافة.

ش: الصحيح أن الخافض للمضاف إليه المضاف الأول، فالخافض لفظي فيهما، ثم قال

ص: وتابع للمخفوض

ش: أي مخفوض بالتبعية، وزاد بعضهم المخفوض بالجواز نحو: هنا حجر ضب ضرب وتقدم قول امرئ القيس: بجاد من مل، وزاد بعضهم، المخفوض بالتوهم كما تقدم في قول الشاعر:

ولا سابق شـيئاً إذا كان جائئياً

والصحيح حصر المخفوض في اثنين: مخفوض بالعرف وبالإضافة، فأما التابع فالصحيح أنه مجرور بما جر به المتبوع، إلا البدل فإنه على نية تكرار العامل، وأما المخفوض بالمجاورة وبالتوهم فالصحيح أنهما يرجعان إلى الجر بالمضاف وبالعرف، قاله ابن هشام، وبعضهم حصر المخفوض في

المضاف إليه فقط وهو كل اسم نسب إليه شيء بواسطة حرف الجر لفظاً أو تقديرًا.

الإشارة: المخفوضات عن مراتب الرجال ثلاثة: مخفوض بسبب الحرف، وهو من يعبد الله على الحرف أي طمع في عوض دنياوي أو أخراوي فهو كالعبد السؤ إن أعطي عمل وإلا لم يعمل فإن أصابه خير وهو العرض الذي طمع فيه، اطمأن به وسكن إليه، وإن أصابته فتنة وهو فقدان ذلك العرض، انقلب على وجهه ورجع عن عبودية سيده خسر الدنيا والآخرة أما الدنيا فلفقدان حظه منها، وأما الآخرة فلعدم التزود لها، ذلك هو الخسران المبين، ومخفوض بالإضافة إلى الأراذل وصبحتهم، وتقدم قول الشاعر:

وإياك أن ترضى بصحبة ساقط فتسقط قدراً من علاك وتحقرا

وكان سيدنا عيسى عليه السلام يقول: «لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم» قيل ومن الموتى يا روح الله؟ قال: «الراغبون في الدنيا المحبون لها» أو كما قال عليه السلام. وفي حديث نبينا ﷺ: الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ. وقال: «مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُسْرَ مَعَهُمْ». وَالْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ. وَلَا تَعْرِفُ مَرَاتِبَ الرِّجَالِ إِلَّا بِأَصْحَابِهَا، أَعْنِي مَشَايخَهَا. ومخفوض بالتبعية لنفسه، وهواؤه. فَمَنْ تَبِعَ هَوَاهُ أَهْوَى بِهِ إِلَى الْهَوَانِ. كما قال الشاعر:

لَا تَتَّبِعِ النَّفْسَ فِي هَوَاهَا
إِنْ اتَّبَعَ الْهَوَى هَوَانٌ
وقال آخر:

نورُ الهوى من الهوانِ مشرُوقه
ولأين دُرَيْدُ رَحْمَةُ اللَّهِ:
وأسير كل هوى أسير هوان

إِذَا طَلَبْتِكَ النَّفْسَ يَوْمًا بِشَهْوَةٍ
فَدَعَاهَا وَخَالَفَ مَا هُوِيَ فَبِأَنَّ مَا
وَكَانَ إِلَيْهَا لِلْخِلَافِ طَرِيقٌ
هَوَاكَ عَدُوٌّ وَالْخِلَافُ صَدِيقٌ
فَالعِزَّ كُلَّهُ فِي مَخَالَفَةِ الْهَوَى
وَالذَّلَّ كُلَّهُ فِي اتِّبَاعِهِ

ويكفيك قوله: «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ» الآية. ثم بيّن المصنف ما يخفض بالحرف فقال (ص) فأما ما يخفض بالحرف؛ هو ما يخفض بمن وعن وعلى، وفي، ورُبِّ، والكاف، واللأم. وبحروف القسم؛ وهي الواو والباء والتاء. (ش)

قلت: قد تقدم الكلام عليها عبارة وإشارة. وَزَادَ هُنَا (ص) وَبَوَّأَ رَبُّ (ش) نحو قول امرئ القيس:

وليل كَمْوَجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
وَوَظَّاهِرُ قَوْلِهِ: أَنَّ وَاوِ رَبُّ هِيَ الْخَافِضَةُ بِنَفْسِهَا؛ وَهُوَ مَذْهَبُ الْكُوفِيِّينَ
وَمَذْهَبُ الْبَصْرِيِّينَ: أَنَّ الْخَفِضَ بِرُبِّ مَحذُوفَةٌ بَعْدَ الْوَاوِ، كَمَا تُحذَفُ بَعْدَ الْفَاءِ،
كَقَوْلِكَ فَمِثْلُكَ حَبْلِي.

فَمِثْلُكَ حَبْلِي قَدْ طَرَقَتْ وَمَرْفَعًا فَأَلْفَيْتُهَا عَنِ ذِي تَمَائِمِ مَغْوَانِ
مَحْوُولٍ وَبَعْدَ بِلِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ: بِلِ بِلْدِ مَلَأَ الْعِجَاجَ قِيَمَتَهَا. . لا يَشْتَرِي كِتَابَةَ
وَجَهْرَهَا. وَقَدْ تُحذَفُ مِنْ غَيْرِ تَقْدِمِ شَيْءٍ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

رَسْمٌ دَارٌ وَقَفْتُ فِي طَلَالِهِ كُنْتُ أَقْضَى الْحَيَاءِ مِنْ جَلَلِهِ
أَي رَبِّ رَسْمِ دَارِ (ص) وَيُمْدُ وَمُنْدُ (ش) هُمَا بِمَعْنَى مَنْ إِنْ جَرًّا زَمَانًا مَاضِيًا.
نَحْوُ مَا رَأَيْتَهُ مُنْدُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ. أَي مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَبِمَعْنَى فِي إِنْ جَرًّا حَاضِرًا.
نَحْوُ: مَا رَأَيْتَهُ مُنْدُ يَوْمِنَا. وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ مُدٌ وَمُنْدٌ اسْمَيْنِ. إِذَا وَقَعَ بَعْدَهُمَا اسْمٌ أَوْ
فِعْلٌ مَاضٍ. قَالَ فِي الْخُلَاصَةِ: وَمُدٌ وَمُنْدٌ اسْمَيْنِ حَيْثُ رَفَعَا أَوْ أَوْلِيَا الْفِعْلِ كَجِئْتُ
مُدًّا دَعَاً. (ص) وَأَمَّا مَا يَخْفِضُ بِالْإِضَافَةِ، فَنَحْوُ قَوْلِكَ غَلَامٌ زَيْدٌ. (ش) قُلْتُ:
الْإِضَافَةُ فِي اللَّغَةِ هِيَ الْإِلْصَاقُ. تَقُولُ: أَضَفْتُ ظَهْرِي إِلَى الْحَائِطِ أَي أَلْصَقْتَهُ بِهِ.
قَالَ امْرؤُ الْقَيْسِ:

فَلَمَّا دَخَلْنَاهُ أَضَفْنَا ظَهْرَنَا إِلَى كُلِّ حَارِيٍّ جَدِيدٍ مَشْطَبِ

وَفِي الْإِصْطِلَاحِ: نِسْبَةُ تَقْيِيدِيَّةٍ بَيْنَ اسْمَيْنِ، تَوْجِبُ جَرَّ الثَّانِي مِنْهُمَا أَبَدًا.
(ص) وَهُوَ عَلَى قِسْمَيْنِ، مَا يَتَقَدَّرُ بِاللَّامِ. (ش) أَي الْإِسْتِحْقَاقِيَّةُ. (ص) وَمَا يَتَقَدَّرُ
بِیَمِّنْ (ش) أَي الْجِنْسِيَّةُ. وَزَادَ بَعْضُهُمْ مَا يَتَقَدَّرُ بِفِي الظَّرْفِيَّةِ. وَضَابِطُ الَّذِي يَتَقَدَّرُ
بِاللَّامِ، أَلَّا يَكُونَ الْمُضَافُ بَعْضَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَلَا يَصْلِحُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ أَنْ يُجْبَرَ بِهِ
عَنِ الْمُضَافِ. وَضَابِطُ الَّذِي يَتَقَدَّرُ بِمَنْ، أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ بَعْضَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ.
وَصَالِحًا لِلْإِخْبَارِ عَنْهُ. نَحْوُ: ثُوبٌ خَزٌّ. وَدَرَاهِمٌ فِضَّةٌ. أَلَّا تَرَى أَنَّ الْمُضَافَ الْأَوَّلَ
بَعْضَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ. وَيَصْلِحُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ أَنْ يُخْبَرَ عَنِ الْمُضَافِ. فَتَقُولُ: الثُّوبُ
خَزٌّ. وَالدَّرَاهِمُ فِضَّةٌ. بِخِلَافِ نَحْوِ غَلَامٌ زَيْدٌ وَنَحْوِهِ بِمَا يُقَدَّرُ بِمَنْ. وَضَابِطُ مَا يَتَقَدَّرُ
بِفِي، أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ ظَرْفًا لِلْمُضَافِ الْأَوَّلِ. نَحْوُ: «بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَصِيَامُ

ثلاثة أيام» «وتَرَبِّصْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ». «وَأَلَدُّ الْخِصَامِ»، فالخصام ظرف مجازي للذِّ.
 «وَيَا صَاحِبِي السُّجْنِ» وَمَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، ويا سَارِقَ اللَّيْلَةِ أَهْلَ الدَّارِ. وفي الحديث
 في شأن مالك رضي الله عنه: «فَلَا يُوجَدُ عَالِمٌ أَعْلَمُ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ». ونحو
 ذَلِكَ. والحق أنه قليل ثم مثل المصنّف للأمرين فقال. (ص) فَأَلْدِي يَتَقَدَّرُ بِاللَّامِ
 نحو غَلَامِ زَيْدٍ. (ش) وعبد الله وشبهه. (ص) وَالَّذِي يَتَقَدَّرُ بِمَنْ نَحْوِ ثَوْبِ حَزْرٍ.
 وبَابِ سَاجٍ، وخاتم حديد (ش) وتقدم ضابِطُهُ، وَسَكَتَ عَنِ الثَّالِثِ؛ لأنه قليل
 بالنسبة لأولين وفي الخاتم لُغَاتٌ فَتَحَ التَّاءَ وَكَسَّرَهَا، وَخَيْتَامٌ كَبَيْطَارٍ، وَخَاتَامٌ،
 كَسَابِاطٍ. فائدة لُغَوِيَّةٌ: لم يأتِ فاعل بفتح العين في الصفات فقط. أتى في الأسماء
 في ألفاظ محصورة، كالخاتم، والغالب، والطابع والتَّابِلِ؛ وهو الإبزار، والكاغِدُ؛
 وهو الوَرَقُ، بفتح الغين، وبالذال المهملة. وكتب العامة له بالطاء لَحْنٌ. وَقَدْ نَظَّمُ
 ابن مالك رحمه الله ما أتى على فاعل من الأسماءِ فَقَالَ:

وَإِخْصُصْ إِذَا أَطْلَقْتَ وَزْنَ فَاعِلٍ	بِبَادِقٍ وَخَاتَمٍ وَتَابِلٍ
وَدَانِقٍ وَرَصَصِقٍ وَرَمَكٍ	وَزَابِحٍ وَزَامِحٍ وَزَاخِلٍ
وَسَامِحٍ وَشَامِخٍ وَشَالِخٍ	وَطَابِعٍ وَطَابِقٍ وَخَاصِلٍ وَخَاطِلٍ
وَطَالِقٍ وَعَالِمٍ وَقَارِبٍ	وَقَالِبٍ وَكَاغِدٍ وَقَابِلٍ
وَكَامِخٍ وَهَارِنٍ وَيَارِجٍ	وَيَارِقٍ وَيَغْضَاهَا بِفَاعِلٍ

وبقي عليه ما لغة مدينة الأندلس فإنها بفتح اللام، ذكر هذه الفائدة: شيخ
 شيوخنا سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي رحمه الله في كتابه: شمس الأذموس،
 في اصطلاح القاموس وبالله التوفيق. وهو الهادي إلى سواء الطريق وصلى الله على
 سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وحبيب رب العالمين. هذا
 آخر ما قصدناه من الفتوحات القدوسية. في شرح المقدمة الأجرومية. نسأل الله
 تعالى أن ينفع به من كتبه، أو طالعته أو حصَّله، أو سعى في شيء منه. وأن يكسوه
 جلياب القبول وأن يُبَلِّغَنَا بِهِ الْقَصْدَ وَالْمَأْمُولَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أحمد بن محمد بنعجبية

شرح نونية الإمام الششتري لسيدى أحمد بنعجبية رضى الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، الْفَرْدِ الصَّمَدِ. الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
كُفُوًا أَحَدٌ. قَدْ تَنَزَّهَتْ أَحَدِيَّتُهُ عَنْ مُزَاحِمَةِ الشَّرْكَاءِ وَالنَّفَرَاءِ وَالْأَنْدَادِ. وَتَقَدَّسَتْ
عَظَمَةُ ذَاتِهِ عَنِ وَقْفِ الْحُلُولِ وَالْإِتْحَادِ. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى قَطْبِ دَائِرَةِ الْأَكْوَانِ
وَسَيِّدِ الْأَسْيَادِ. الَّذِي مِنْ نُورِ فِيضِهِ الْأَوَّلِ. ظَهَرَتْ نِعْمَةُ الْإِبْجَادِ وَالْإِمْدَادِ. سَيِّدَنَا
وَمَوْلَانَا مُحَمَّدَ الْمَبْعُوثِ بِالْعِزِّ الدَّائِمِ وَالشَّرَفِ الْفَاجِرِ رَحْمَةً لِلْعِبَادِ. وَبَعْدُ: فَهَذَا
شَرْحٌ عَجِيبٌ لِنُونَةِ الْإِمَامِ الْمُحَقِّ بِخَيْرِ زَمَانِهِ. وَفَرِيدٌ عَصْرُهُ وَأَوَانِهِ. إِمَامٌ أَهْلُ
الْأَذْوَاقِ وَالْوُجْدَانِ. وَقَطْبُ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْعِرْفَانِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الشَّشْتَرِيِّ. وَقَدْ سَبَقَ إِلَى شَرْحِهَا الْعَلَامَةُ الصُّوفِيَّةُ، سَيِّدِي أَحْمَدُ زُرُّوقٌ. رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ. اقْتَصَرَ فِيهِ عَلَى حَلِّ أَلْفَاطِهَا. وَبَيَّنَّ مَا انْتَلَقَ مِنْ بَعْضِ مَعَانِيهَا. غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ
يَخْضُ فِي تَيَّارِ بَحْرِ أَسْرَارِ التَّوْحِيدِ مِنْهَا؛ عَلَى عَوَامِضِ أَنْوَارِهَا. وَلَا فَضَّ خَاتَمِ
أَسْرَارِهَا. وَلَا دَاخَلَ بِعَرَائِسِ أَبْكَارِهَا. وَلَعَلَّهُ شَرَحَهَا قَبْلَ أَنْ يُفْتَحَ عَلَيْهِ فِي أَسْرَارِ
الْحَقِيقَةِ. فَقَدْ كَانَ شَيْخُ شَيْوَحْنَا سَيِّدِي عَلِيِّ الْعِمْرَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: مَا فَتَحَ
عَلَى الشَّيْخِ زُرُّوقِ إِلَّا فِي آخِرِ عُمُرِهِ. أَيَّ بَحِيثٍ لَمْ يُولَفْ شَيْئًا بَعْدَ الْفَتْحِ. وَاللَّهُ
أَعْلَمُ. وَكِتَابُهُ شَاهِدُهُ بِذَلِكَ. إِذِ الْكَلَامُ وَضْفُ الْمُتَكَلِّمِ. وَمَنْ تَكَلَّمَ عَرَفَ مِنْ
سَاعَتِهِ. فَهَوُوَ فِي عُلُومِ الطَّرِيقَةِ إِمَامٌ. وَأَمَّا فِي عُلُومِ الْحَقِيقَةِ وَأَسْرَارِ الْأَذْوَاقِ فَلَمْ يَنْتَلِ
فِيهَا شَيْئًا إِلَّا فِي آخِرِ عُمُرِهِ، وَكَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا صِفْرَ الْيَدَيْنِ. وَلِذَلِكَ كَثُرَ اغْتِرَاضُهُ
عَلَى أَهْلِ اللَّهِ. وَظَهَرَ فِي كَلَامِهِ التَّشْدِيدُ وَالتَّضْيِيقُ عَلَيْهِمْ. وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي نَوْمِ
كَالْيَقْظَةِ. فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ شَدَدْتَ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ. فِي عِدَّةِ مَرِيدِينَ فَقَالَ: وَمَا قُلْتُ
فِيهَا؟ فَقُلْتُ لَهُ: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا. وَذَكَرْتَ لَهُ بَعْضَ مَا انْتَقَدَ عَلَيْهِمْ. وَمَا شَدَّدَ فِيهَا.
فَقَالَ: ذَلِكَ الَّذِي يُتَّسَبَبُ مَذْهَبَ مَالِكٍ. فَقُلْتُ لَهُ: الصُّوفِيُّو الْحَقِيقِيُّو لَا يَقْلُدُ مَالِكًا

وَلَا غَيْرُهُ بَلْ يَأْخُذُ الشَّرِيعَةَ مِنْ أَصْلِهَا . وَالْحَقِيقَةَ مِنْ مَعْدِنِهَا . فَقَالَ مَنْ بَلَغَ هَذَا؟ أَوْ صَحِبَ مَنْ بَلَغَهُ وَلَا يَتَكَلَّمُ مَعَهُ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَقَدْ بَلَغْتَاهُ . وَصَحِبْنَا مَنْ بَلَغَهُ . فَغَابَ عَنِّي .

وَكَانَ بَغْضَ الْفُقَهَاءِ يَقُولُ: الشَّيْخُ زُرُوقٌ مُخْتَسِبُ الصُّوفِيَّةِ . قُلْتُ: إِنَّمَا يَكُونُ مُخْتَسِبَ صُوفِيَّةِ الظَّاهِرِ؛ أَهْلُ الْعِبَادَةِ الظَّاهِرَةِ . وَالتَّنَسُّكِ الظَّاهِرِ . وَأَمَّا أَهْلُ الْبَاطِنِ أَهْلُ التَّزْيِيَةِ . فَلَا اخْتِسَابَ لَهُ عَلَيْهِمْ . إِذْ لَمْ يُحِطْ عِلْمًا بِمَا عِنْدَهُمْ . وَلَقَدْ سَمِعْتُ شَيْخَ مَشَايخِ التَّزْيِيَةِ فِي زَمَانِنَا: مَوْلَايَ الْغَزْبِيَّ الدَّرَقَاوِيَّ الْحَسِينِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:

الشَّيْخُ زُرُوقٌ عِنْدَ أَهْلِ الظَّاهِرِ شَيْءٌ كَبِيرٌ . وَعِنْدَ أَهْلِ الْبَاطِنِ شَيْءٌ صَغِيرٌ . وَأَهْلُ مَكَّةَ أَعْرَفُ بِشِعَابِهَا .

لَا يَعْرِفُ الشُّوقُ إِلَّا مِنْ يُكَابِدُهُ . وَلَا الصَّبَابَةُ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا . وَمَرَاتِبُ الْأَوْلِيَاءِ، كَطَبَقَاتِ الْجَنَانِ . الْأَعْلَى يَعْرِفُ الْأَسْفَلَ . دُونَ الْعَكْسِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . قَالَ فِي أَوَّلِ شَرْحِهِ لِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي التَّعْرِيفِ بِالشَّيْخِ: وَأَمَّا الشَّيْخُ فَهُوَ الْأَسْتَاذُ الْفَقِيهِ، الْمُقْرَى الْمُحَدَّثُ . الصُّوفِي الْعَالِمُ، الْعَامِلُ الْكَامِلُ الْمُحَقِّقُ الْمَدْقُقُ . أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيرِي، ثُمَّ الشُّشْتَرِي بِمَعْجَمَتَيْنِ . أَوْلَاهُمَا مَضْمُومَةٌ . وَبَعْدَهَا تَاءٌ فَوْقِيَّةٌ . كَذَلِكَ نَسَبُهُ إِلَى شُشْتَرٍ . قَرْيَةٌ بِالْأَنْدَلُسِ . عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ لَوْشَةَ . وَبِالْعِرَاقِ أَيْضاً قَرْيَةٌ تَسْمَى بِذَلِكَ . قَالَ ابْنُ لَيْثُونَ: كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ، فَصَارَ مِنْ سَادَةِ الْفُقَهَاءِ . وَكَانَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ بِالزَّوَايَاتِ . وَكَانَ عَارِفاً بِالْأَصُولِ السُّنَّةِ . وَأَنْوَاعِ الزَّوَاةِ . وَقَالَ الطَّوَامُ: كَانَ مِنَ التُّجَّارِ السُّفَّارِ . ثُمَّ صَارَ مِنَ الشُّيُوخِ الْأَبْرَارِ . قَرَأَ الرَّأْيَ . أَيِ الْفَقْهِ . ثُمَّ تَصَوَّفَ وَالتَّزَمَ طَرِيقَهُ فَمَا تَشُوفُ . وَكَانَ ذَا عَزْمَةٍ وَهَمَّةٍ . مَعَ مِشَارَكَةٍ فِي عُلُومِ جَمَّةٍ .

نَزَلَ طَرَابِلِسَ، فَأَخَذَ عَنْ أَهْلِهَا عُلُوماً . ثُمَّ عَرَّضُوا عَلَيْهِ قَضَاءَهَا . فَلَمَّ يُوَافِقُ عَلَيْهِ، وَلَا مَقَامَ حَوْلَهُ . فَاسْتَحْمَقُوهُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ:

رَضِيَ الْمُتَيَّمُ فِي الْهَوَى بِجُنُونِهِ	خَلَّوهُ يُفْنِي عُمُرَهُ فِي فَنُونِهِ
لَا تَغْذِلُوهُ فَلَيْسَ يَنْفَعُ عَذْلَكُمْ	لَيْسَ السُّلُوعُ عَنِ الْهَوَى مِنْ دِينِهِ
قَسَمًا بِمَنْ ذُكِرَ الْعَقِيقُ مِنْ أَجْلِهِ	قَسَمَ الْمُحِبُّ بِحُبِّهِ وَيَمِينِهِ
مَالِي سِوَاكُمْ غَيْرَ أَنِّي تَائِبٌ	مِنْ قَثْرَةٍ فِي الْحَبِّ أَوْ تَلْوِينِهِ

مَالِي إِذَا هَتَفَ الْحَمَامُ بِأَيْلَةٍ أَبْدَأُ أَحِنَّ لِسَجْوِهِ وَشَجْوَنِهِ
 وَإِذَا الْبُكَاءُ بِعَيْرِ دَمْعِ دَابَّهِ فَالَصَّبُّ تَجْرِي دَمْعُهُ بِعُيُونِهِ
 وإنما أَنشَدَ القصيدة اغْتَرَاظًا عَنِ إِعْرَاضِهِ عَنِ الْقَضَاءِ . وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَمْ أَتْرَكْهُ
 زُهْدًا فِيهِ . وَلَا رَغْبَةً عَنِ الشَّرِيعَةِ . إِلَّا أَنَّهُ يُوجِبُ التَّشْتِيتَ وَالتَّلْوِينَ . هَذَا ظَاهِرُ
 كَلَامِهِ . قَالَ الطَّوَامُ . كَانَ يَجِيزُ فِي الْمُتَصَفَّى وَالمَجَلِّ ؛ وَلَهُ طَرِيقَةٌ حَسَنَةٌ فِي
 الْمَقَامَاتِ . وَلِكَلَامِهِ عُذُوبَةٌ . وَلَمْ تَزَلْ مَعَهُ مَصْحُوبَةٌ ، ثُمَّ قَالَ : وَكَانَ يُزْمَى بِمَذْهَبِ
 شَيْخِهِ الْإِمَامِ . الْوَلِيِّ الْكَامِلِ الْمُحَقِّقِ سَيِّدِي عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ سَبْعِينَ ثُمَّ حَمَلَ عَلَى
 الرَّجُوعِ عَنْهُ فِي حِكَايَةِ وَقَعَتْ لَهُ بِبَجَايَةِ . وَالَّذِي كَانَ يُزْمَى ابْنَ سَبْعِينَ . هَذَا الْقَوْلُ
 بِالْحُلُولِ وَالتَّوْحِيدِ وَالمِيلِ إِلَى الزَّيْنِغِ وَالإِلْحَادِ . مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ ؛
 وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ . وَالتَّمَسُّكِ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ . وَإِنْ كَانَتْ لَهُ ظَوَاهِرُ تَقْتَضِي
 ذَلِكَ . فَالْوَاجِبُ أَنْ يُوَكَّلَ عِلْمُهَا إِلَيْهِمْ . وَتَأَوَّلَ بِالْوَجْهِ الصَّحِيحِ عَلَيْهِمْ . وَالتَّسْلِيمِ
 أَنْجَبَى وَأَسْلَمَ . فَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمُقْرِي الْفَقِيهِ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّهُ . وَغَفَّرَ
 لَهُ : الْإِعْتِقَادُ وَالْيَأَةُ .

وَالتَّانِقَادُ جِنَايَةٌ . فَإِنْ عَرَفْتَ فَاتَّبِعْ . وَإِنْ جَهِلْتَ فَسَلِّمْ .

وَسُئِلَ الشَّيْخُ الْغُورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ . عَنِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ الْحَاتِمِيِّ فَقَالَ : أَعْرَفُ بِكُلِّ
 قَنْ . مِنْ أَهْلِ كُلِّ قَنْ . قِيلَ : مَا سَأَلْنَاكَ عَنْ هَذَا . فَقَالَ : اِخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ إِلَى
 الْقَطْبَانِيَّةِ قِيلَ لَهُ : مَاذَا تُرْجِعُ ؟ قَالَ : التَّسْلِيمَ . وَأَخَذَ يَسْتَدِلُّ لَهُ .

وَسُئِلَ التَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ الْحَاتِمِيِّ فَقَالَ : الْكَلَامُ كَلَامُ صُوفِي .
 وَ «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَّتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ . وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ . وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ» وَقَالَ الْقَرَّافِيُّ فِي أَجْوِبَتِهِ . بَعْدَ نَقْلِ كَلَامِ النَّاسِ فِيهِ : الْأَوْلَى أَنْ يُحْكَمَ عَلَى
 الْكَلَامِ فَيُقَالُ : هَذَا الْكَلَامُ يَقْضِي كَذَا . وَيَدُلُّ عَلَى كَذَا . وَيُنْتَكِرُ مِنْ كَذَا . وَلَا
 يَتَعَرَّضُ لِتَكْفِيرِ صَاحِبِهِ لِإِخْتِمَالِ رَجُوعِهِ عَنْهُ . لَا سِيَّمَا وَقَدْ كَانَ عَالِمًا بِالسُّنَنِ وَالْأَثَرِ
 وَفِي كَلَامِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى اقْتِدَاءِ كَثِيرٍ . هَذَا مَعْنَى كَلَامِهِ . وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ
 فُورِكَ رَحِمَهُ اللَّهُ : الْغَلَطُ فِي إِدْخَالِ أَلْفِ كَافِرٍ بِشُبُهَةِ . وَلَا الْغَلَطُ فِي إِخْرَاجِ مُسْلِمٍ
 وَاحِدٍ بِأَلْفِ شُبُهَةٍ كُفْرٍ . نَقَلَهُ عَنْهُ عِيَّاضُ فِي الشِّفَاءِ . انْتَهَى كَلَامُ زُرُوقِ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ .

قَلْتُ : وَسَبَبُ انْتِقَادِ أَهْلِ الظَّاهِرِ عَلَى أَهْلِ الْبَاطِنِ . أَنَّ أَهْلَ الْبَاطِنِ لَمَّا
 اسْتَشْرَفُوا عَلَى بَحَارِ زَوَاجِرِ مِنَ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ . رَاحَ بَعْضُهُمْ لِلتَّبَعِيرِ عَنْ تِلْكَ

الأسرار فضأقت عبارتهم عن ذلك . ففهموا منا غير ما أزدوه فرموا بالحلول والاتحاد . مع تنزههم عنه . وذلك كابن العربي . والششتري وابن الفارض وأضرهم . وهذه الأسرار لا تدرك بالعبارة . وإنما تنال بالصحة والسراية . ومنهم من عبّر عنها بإشارة رقيقة . وعبارة دقيقة . عطاها بنوع من التشريع . فقبل منه . وأقبر في محلّه . كابن عطاء الله . رضى الله عنه . وأشياخه : المرسي . والشاذلي . وابن مشيش . فسلموا من الانتقاد عليهم . وكلهم أولياء رضى الله عنهم أجمعين . هـ . ولترجع لما كُنا فيه من تعريف بالشيخ ؛ وذلك أن الششتري ألف كتاب : العزوة الوثقى . وكتاب المقاليد الوجودية . وكتاب الرسالة العلمية ؛ وهي التي اختصرها ابن ليون التجيبي في الإقالة . في الانتصار للطائفة الصوفية . وله مقطعات وأزجال في الخمرة الأزلية . قال ابن ليون : دُفن الششتري رضى الله عنه بالطينة . عن مقرية من دُمياط . وقد مات دونها بثمانية عشر ميلاً . فحمله الفقراء على أعناقهم حتى وصلوه إليها . وقد سُئل قرب ذلك : من الفقير ؟ فقال . الذي يمشي بعد موته ثمانية عشر ميلاً . فكان كما ذكر وذلك سنة ثمانية وستين وستمائة « 668 هـ » كما ذكره الطوام . قلت : فكان في عصر الشاذلي وتأخر موته عنه بنحو اثنتي عشرة سنة . قال الشيخ زروق رضى الله عنه : فأما هذه القصيدة فقد اختوت على مقاصد طريق العارفين . وتعريف أحوال الرجال . وقد جزأها ثلاثة أجزاء : الجزء الأول في تعيين المطلوب وما يطلب به ، وما يقوم فيه . ووجه المعاملة في ذلك نفيًا وإثباتًا . وهذا من أولها إلى قوله : أمامك هول فاستمع لوصيتي . الجزء الثاني من هنا إلى قوله : فكّم واقف أزدى . وقد ذكر فيه آيات العقل . وتطويره بالمحاسن والقباح . وما يعرف فيه . الجزء الثالث : في الأمور التي اكتسبها العقل لذويه من نقص أو كمال أو تضمن ذلك تعريف جماعة من الرجال وسيدكر كل في محلّه إن شاء الله :

وهذا أول القصيدة . قال رضى الله عنه :

أزى طالباً منّا الزيادة لألحسنى بفكر رمى سهماً فعدى به عدنا

يقول رضى الله عنه : أزى طالباً منّا معاشر الصوفية . بسيره ومجاهدته ، وإحسانه في معاملته . إنما هو الزيادة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْمُسْتَقِيمُونَ ﴾ . الزيادة التي هي الجته ؛ التي فسرت بها الحسنى . والزيادة المذكورة في الآية ، هي النظر في وجهه الكريم . ودوام شهوده . أو المعرفة . وزيادة الترقى فيها أبداً سزمدأ . وإنما كان مطلبهم ذلك لمسك همهم . ورفعها عن الأكوان

بَأْسْرِهَا. فَالْجَنَّةُ كَوْنٌ مِنَ الْأَكْوَانِ. فَمَنْ رَحَلَ بِقَلْبِهِ عَنِ الدُّنْيَا. وَطَلَبَ الْجَنَّةَ وَزَخَّارَ قَهَا. فَقَدْ رَحَلَ مِنْ كَوْنٍ إِلَى كَوْنٍ فَيَكُونُ كَحِمَارِ الرَّحَى مَا انْتَقَلَ عَنْهُ. هُوَ الَّذِي صَارَ إِلَيْهِ. وَالْمَطْلُوبُ إِنَّمَا هُوَ الرَّحِيلُ مِنَ الْكَوْنِ إِلَى الْمَكُونِ. ﴿وَأَنَّ إِلَيْكَ رَيْكَ الْمُنْتَهَى﴾. قَالَ أَبُو مَدِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«شَتَانٌ بَيْنَ مَنْ هَمَّتْهُ الْحُورُ وَالْقُصُورُ وَبَيْنَ مَنْ هَمَّتْهُ رَفْعُ السُّتُورِ، وَدَوَامُ الْحُضُورِ وَقَدْ مَدَحَ الْحَقُّ تَعَالَى أَهْلَ الصُّفَّةِ بِقَوْلِهِ: «يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» أَي ذَاتَهُ. فَكَانَتْ عِبَادَتُهُمْ لِإِرَادَةِ مَعْرِفَةِ ذَاتِهِ. وَكَذَلِكَ الصُّوفِيَّةُ بَرَفَعُ هَمَّتِيهِمْ. لَا يُرِيدُونَ إِلَّا مَعْرِفَةَ الذَّاتِ. وَكَشَفَ الْحِجَابِ عَنْهَا. وَإِنَّمَا طَلَبُوا الزِّيَادَةَ الْمَذْكُورَةَ بِفِكْرِ دَلَّهِمْ عَلَيْهَا؛ وَإِنَّمَا أَزْفَعُ الْمَطَالِبِ فَكَانَتْ بِمِثَابَةِ قَوْسٍ رَمَى سَهْمًا؛ وَهُوَ نَظَرُهُ السَّيِّدِ. وَأَمَلَهُ الْمَدِيدِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَجُولُ بِهِ حَتَّى انْتَهَى بِهِ لِأَرْفَعِ الْمَطَالِبِ وَأَسْنَى الْمَآرِبِ؛ وَهِيَ مَعْرِفَةُ الذَّاتِ وَشَهُودَهَا. فَعَدَى بِتَشْدِيدِ الدَّالِ. أَي جَاوَزَ بِذَلِكَ النَّظَرَ. عَدْنَا: أَي جَنَّةٌ عَدْنٍ؛ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا. وَلَا قَصَرَ نَظَرَهُ عَلَيْهَا. بَلْ جَاوَزَ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا. وَإِنَّمَا مَقْصُودُهُ شَهُودَ الْحَبِيبِ؛ الَّذِي هُوَ نَعِيمُ الْأَرْوَاحِ: لَا الْجَنَّةَ الَّتِي هِيَ نَعِيمُ الْأَشْبَاحِ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ الْفَارُضِ:

لَيْسَ سُوْلِي مِنَ الْجِنَانِ نَعِيمًا غَيْرَ أَنِّي أُرِيدُهَا لِأَرَاكَ
وَلَا يَلْزَمُ مِنَ الْمَسْكَ الْهَمَّةُ عَنِ الشَّيْءِ، اخْتِصَارًا مَا سَمَّتَ عَنْهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَظَّمَ شَأْنَ الْجَنَّةِ، وَأَعَدَّهَا لِأَوْلِيَائِهِ. وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّ مَعَامَلَتَهُمْ لَيْسَتْ فِي مُقَابَلَةِ ذَلِكَ. وَإِنَّمَا هِيَ عَبْدِيَّةٌ وَمَحَبَّةٌ. وَطَلَبٌ لِمَا هُوَ أَوْلَى وَأَعْظَمَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَلَمَّا كَانَ مَطْلَبُهُمْ رَفْعَ الْهَمَّةِ عَنِ الْكَوْنَيْنِ؛ وَهُمَا مِنْ جُمْلَةِ السُّوْيِ الْبَاطِلِ. كَمَا قَالَ لَبِيدُ:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ
تَحَقَّقُوا بِالْحَقِّ. وَصَارُوا مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ فَعَبَّرُوا بِهِ عَنِ ذَاتِ الْحَقِّ. فَجَرَى فِي مَخَاطَبَتِهِمْ اسْمُ الْحَقِّ. فَيَقُولُونَ: قَالَ الْحَقُّ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ فِي مُحَاوَرَتِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ كَوْنَ الْمَطْلُوبِ. هُوَ عَيْنُ الطَّالِبِ فِي الْحَقِيقَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْفَنَاءِ فَقَالَ:

طَالِبُنَا مَطْلُوبُنَا مِنْ وُجُودِنَا نَغِيبُ بِهِ عَنَّا لَدَى الطَّعْنِ إِذْ عَنَا
يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَطَالِبُنَا. أَي وَالطَّالِبُ مِمَّا تَلِكِ الزِّيَادَةَ الَّتِي هِيَ الْمَعْرِفَةُ. هُوَ عَيْنُ مَطْلُوبِنَا. إِذْ لَيْسَ الْأَمْرُ خَارِجًا عَنِ ذَاتِنَا عِنْدَ تَحْقِيقِ الْفَنَاءِ.

فالطالب هو المطلوب والمطلوب هو الطالب في الحقيقة. إذا لا إثنينية، ولا غيرية عند المحققين من أهل التوحيد الخاص. وهذا كقوله في بعض أوجاله:

لَقَدْ أَنَا شَيْءٌ عَجِيبٌ لِمَنْ رَأَى أَنَا الْمُجِيبُ وَالْحَبِيبُ مَا تَمَّ ثَانِي
يَا طَالِباً عَيْنَ الْحَبِزِ غَطَاهُ أَيْتُكَ الْحَمْرُ مِنْكَ وَالْحَبِزُ وَالسَّرُّ عِنْدَكَ
ازجغ بذاتك واغتبر ما تم غيرك

وقال آخر:

لَا تَظَنَّ الْأَمْرَ عَنكَ خَارِجاً هُوَ ذَوْقُ ثَمِّ شُرْبِ ثَمِّ رِي
وقال آخر:

أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنًا
وليس هنا حلول ولا اتحاد؛ لنفي العنصرية والإثنينية، حتى يتجدد بالآخر. كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان. فإنا عجباً كيف يظهر الوجود في العدم. أم كيف يثبت الحادث مع من له القدم. وقول الشاعر:

نحن رُوحان: أشار به إلى الروح التي هي المعنى القائمة بالأشياء. فهي قائمة بالروح. والروح قائمة بالجسم. والجسم من تجليات الحق تجلى به وبطن بعد تجليه: بما أظهر فيه من أوصاف العبودية؛ ليتحقق فيه اسمه الظاهر، واسمه الباطن. ففي الحقيقة لا وجود للعبد أصلاً. وإنما ثبت العبد في عالم الفرق حكمة. وتنفيه في عالم الجمع قذرة. فإذا استولى على العبد الجذب والقناء أصلاً. غاب عن مقام الفرق. فلا عبد أصلاً؛ وصار الطالب عين المطلوب. والمطلوب عين الطالب. والذاكر عين المذكور وهذا الذي لاحظ الشيخ بقوله: «وَالطَّالِبُ مَطْلُوبُنَا مِنْ وُجُودِنَا أَي هُوَ مِنْ عَيْنِ وُجُودِنَا لَا خَارِجاً عَنَّا نَغِيبُ بِهِ. أَي بِشُهُودِ مَطْلُوبِنَا عَنَّا عَنْ وُجُودِنَا عَنَّا لَدَى الطَّعْنِ. أَي عِنْدَ الطَّعْنِ؛ وَهُوَ زَوَالُ الْعَبْدِ وَقَنَائِهِ وَاضْمِحْلَالُهُ عِنْدَ سَطُوعِ أَنْوَارِ أَيْدَمِ عَلَى ضَحَضَاحِ الْبَشْرِيَّةِ. فَيَفْتَى مَا لَمْ يَكُنْ. وَيَبْقَى مَا لَمْ يَزَلْ وَقَوْلُهُ: «إِذْ عَنَّا» أَي حِينَ عَرَضَ هَذَا الطَّعْنِ. لَوْجُودِ الْعَبْدِ الْوَهْمِيِّ، نَغِيبُ عَنْ وُجُودِنَا. وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ.»

وفي الحكم: العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته له. لفنائته فيه ووجوده وانطوائه في شهوده. . وقال أيضاً: «كَيْفَ يَحْتَجِبُ الْحَقُّ بِشَيْءٍ وَالَّذِي يَحْتَجِبُ بِهِ هُوَ فِيهِ ظَاهِرٌ وَمَوْجُودٌ حَاضِرٌ» وقال في التنوير: أبى المحققون أن يشهدوا مع الله غيره.

لِمَا حَقَّقَهُمْ بِهِ مِنْ شَهُودِ الْقِيَوْمَةِ . وَإِحَاطَةِ الدَّيْمُومَةِ . وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدِ الْقَادِرِ
الْجِيلَانِي فِي عَيْنِيته :

هُوَ مُوجِدُ الْأَشْيَاءِ وَهُوَ وَجُودُهَا وَعَيْنُ ذَوَاتِ الْكُلِّ وَهُوَ جَوَامِعُ
لَا تَطْمَعُ أَنْ تَفْهَمَ هَذِهِ الْأَسْرَارَ . إِلَّا بِصُخْبَةِ الرُّجَالِ ، أَهْلِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ . وَإِلَّا
بَقِيَتْ مَعَ أَهْلِ التَّنْكِيرِ وَالْإِنْتِقَادِ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَلَى الدَّوَامِ . فَتَبُوءَ بِالْخِيْبَةِ
وَالْخُسْرَانِ . وَالْعِيَادِ بِاللَّهِ . ثُمَّ هَذَا الْمَطْلُوبُ إِنَّمَا يَنَالُ وَيُدْرِكُ بِالْحُظُوظِ وَاللُّحُوظِ .
كَمَا أَبَانَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :

تَرَكْنَا حُظُوظَنَا مِنْ حَضِيضِ لُحُوظِنَا مَعَ الْمَقْصِدِ الْأَفْصَى إِلَى الْمَطْلَبِ الْأَسْنَى
قُلْتُ : الْحُظُوظُ : مَا تَمِيلُ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَتَهْوَاهُ . وَاللُّحُوظُ : الْإِلْتِفَاتُ إِلَى الْحَادِثِ .
وَقَصْدُهُ بِالنَّظَرِ . وَالْحَضِيضُ : الْمَكَانُ الْمُنْحَفِضُ . يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : تَرَكْنَا حُظُوظًا
مِنْ حُظُوظِ أَنْفُسِنَا : الَّتِي تَهْوِي بِصَاحِبِهَا إِلَى الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ ؛ بِسَبَبِ لُحُوظِهِ لِغَيْرِ
اللَّهِ . وَالتَّفَاتِهِ إِلَيْهِ . فَعَبَّرَ عَنْ حُظُوظِ النَّفْسِ بِالْحَضِيضِ . وَهُوَ التَّسَاقُطُ إِلَى الْمَرْكَزِ
الْأَسْفَلِ ؛ لِأَنَّهَا سَبَبُهُ ؛ لِأَنَّ مَنْ انْهَمَكَ فِي اللَّحُوظِ قَطْعًا يَسْقُطُ إِلَى الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ .
وَأَضَافَهُ إِلَى اللَّحُوظِ ؛ لِأَنَّ الْإِسْتِغَالَ بِاللُّحُوظِ مَسْبَبٌ عَنْ لُحُوظِ الْغَيْرِ ، وَالْإِلْتِفَاتُ إِلَيْهِ .
وَأَمَّا لَوْ اسْتِغْتَلَ بِاللَّهِ لَنَسِيَ حُظُوظَهُ وَلُحُوظَهُ . وَحَاصِلُ مَعْنَى الْبَيِّنَاتِ : تَرَكْنَا حُظُوظًا مِنْ
حُظُوظِ النَّفْسِ الَّتِي تَهْوِي بِهَا إِلَى الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ بِسَبَبِ لُحُوظِنَا إِيَّاهَا وَالتَّفَاتِنَا إِلَيْهَا .
الَّتِي لَا يَرْضَى بِهَا ذُرْهُمَةٌ عَالِيَةٌ . وَلَا يَتِمَكَّنُ مَعَهَا فَتَوْحُ رِيَانِيَّةٌ . وَالْحُظُوظُ ثَلَاثَةٌ :
حُظُوظُ جِسْمَانِيَّةٌ . وَحُظُوظُ قَلْبِيَّةٌ . وَحُظُوظُ رُوحِيَّةٌ . وَكُلُّهَا تَحْجُبُ عَنِ اللَّهِ لِمَنْ وَقَفَ
مَعَهَا . . فَالْجِسْمَانِيَّةُ : كَتَمَتِ النَّفْسُ بِلَذَّةِ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ ، وَالْمَنَاحِجِ وَمَا يَرْجِعُ إِلَى
ذَلِكَ . مِمَّا تَمَتَّعَ بِهِ الْبَشَرِيَّةُ ، وَيَزِيدُ فِي حَسَبِهَا . إِذَا سَكَنَ شَيْءٌ مِنْهَا فِي الْقَلْبِ . لَمْ
يَرْحَلْ إِلَى اللَّهِ أَبَدًا مَا دَامَ سَاكِنًا فِيهَا .

وَالْقَلْبِيَّةُ : كَحُبِّ الْمَالِ وَالرِّيَاسَةِ ، وَالْجَاهِ وَالتَّقَدُّمِ وَحُبِّ الْمَذْحِ وَالتَّشْنَاءِ
وَالتَّعْظِيمِ ، وَإِقْبَالِ النَّاسِ وَكَاتِصَافِهِ بِالْكِبَرِ وَالْحَسَدِ وَغَيْرِهِمَا مِنْ مَصَائِبِ الْقَلْبِ .

وَهَذِهِ أَقْبَحُ مِنَ الْأُولَى ، وَأَصْعَبُ مِنْهَا عِلَاجًا .

وَاعْتَبِرْ بِقِصَّةِ آدَمَ مَعَ إِبْلِيسَ فَكَانَتْ شَهْوَةٌ آدَمَ فِي بَطْنِهِ ، فَتَدَارَكَهُ بِالتَّوْبَةِ .

وَكَانَتْ شَهْوَةٌ إِبْلِيسَ فِي قَلْبِهِ ، فَطُرِدَ وَأُبْعِدَ .

وَالْحُظُوظُ الرُّوحَانِيَّةُ ، كَطَلْبِ الْكِرَامَاتِ ، وَالْوُقُوفِ مَعَ الْمَقَامَاتِ وَخِلَاوَةِ

الطَّاعَاتِ .

وغير ذلك من الخوارق. فكلها تقدم في العبودية التي هي سبب في شهود الربوبية. ولذلك قال في الحكيم: الحق ليس بمخجوب عنك. وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه. ثم قال: متصلاً بهذه الحكمة: أخرج من أوصاف بشرتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك. لتكون لنداء الحق مجيباً. ومن حضرته قريباً. فكأنه قال: إنما حجبتك عن النظر إليه أوصاف بشرتك. أخرج عنها يحصل لك النظر إليه. وعلى هذا المسلك سلك الناظم حيث قال: وطالبنا هو مطلوبنا. أقرب إلينا من وجودنا. ثم قال: تركنا حظوظاً الخ. فكأنه يقول: مطلوبنا أقرب إلينا منا. وإنما حجبت الناس عنه، الاشتغال بحظوظهم ولحوظهم التي أهوت بهم إلى الحضيض، فقد تركنا ذلك، فوجدنا الطالب منا عين المطلوب. وقوله: لا مع المقصد الأقصى، أي مع ترك المقصد الأبعد: وهو نعيم الجنان من القصور والحدور التي هي الحسنى. فهو وإن كان ليس من العظ العاجل، فهو لحظ والتفات إلى الغير وسماه المقصد الأقصى؛ لأنه بعيد من حظوظ هذه الدار وعمامة الناس يقصدونه بمعاملتهم. وقوله: «إلى المطلب الأسمى»؛ وهو الزيادة؛ التي هي المشاهدة والترقي في أنوارها أبداً سزماً. جعلنا الله من هذا القبيل أمين. فتحصل أن العبد لا يدخل حضرة الشهود، حتى يترك الحظوظ كلها. ويبقى بقلب مفرد لله تعالى. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾. وقيل للجنيدي: كيف الوصول إلى الانقطاع إلى الله عز وجل؟ فقال: «بتوبة تزيل الإضرار، وخوف يقطع التسويف، ورجاء يبعث على مسالك العمل وإهانة النفس بقربها من الأجل وبُعدها من الأمل. قيل له: بماذا يصل العبد إلى هذا؟ قال: بقلب مفرد يزور. ثم ذكر نتيجة ترك الحظوظ واللحوظ؛ وهو كشف حجاب الكائنات فقال:

وَلَمْ نُلَقْ كُنْهَ الْكَوْنِ إِلَّا تَوْهُمًا وَلَيْسَ بِشَيْءٍ ثَابِتٍ هَكَذَا الْفَنَاءُ

يقول رضى الله عنه: ولم نلق بضم الثون، أي نجد كنه الكون، أي حقيقته، عند انكشاف ظلمة الحس إلا توهماً، أي عدماً مخضاً؛ توهم الناس أنه شيء ثابت مع الله، وليس شيئاً ثابتاً معه إنما هو كالهباء في الهواء، إن فشتته لم تجده شيئاً خارجاً عن أنوار الألوهمية، وإنما الوجود لله وحده. كان الله ولا شيء معه. وهو الآن على ما عليه كان. على هذا درج أهل الأدواق، من أهل التوحيد قاطبة. وبذلك عنوا في أشعارهم، كقول القائل:

مُذْ عَرَفْتُ الْإِلَهَ لَمْ أَرْ غَيْرَ وَكَذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعُ

مُذْتَجَمُّعَتْ مَا خَشِيَتْ افْتِرَاقاً فَأَنَا الْيَوْمَ وَاصِلٌ مَجْمُوعٌ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ لَمْ يَبْقَ كَائِنٌ فَمَا تَمَّ مَوْضُولٌ وَلَا تَمَّ بَائِنٌ
بِذَا جَاءَ بُرْهَانُ الْعِيَانِ فَمَا أَرَى بِعَيْنِي إِلَّا عَيْنَهُ إِذْ أَعَايُنُ

إلى غير ذلك من مَوَاجِيدِهِمْ، وَأَذْوَاقِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ فِي الْحِكْمِ: «مَا حَجَبَكَ عَنِ الْحَقِّ وَجُودٌ مَوْجُودٌ مَعَهُ إِذْ لَا شَيْءَ مَعَهُ. وَإِنَّمَا حَجَبَكَ تَوَهُمٌ مَوْجُودٌ مَعَهُ». وَقَالَ فِي التَّنْوِيرِ: «فَمَا سَوَى اللَّهِ تَعَالَى لَا يوصف بِفَقْدٍ وَلَا بِوَجُودٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ مَعَهُ غَيْرُهُ، لِثُبُوتِ أَحَدِيَّتِهِ. وَلَا يَفْقَدُ لغيره؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْقَدُ إِلَّا مَا كَانَ مَوْجُوداً. وَلَوْ انْهَتَكَ حِجَابُ التَّوَهُمِ، لَوَقَعَ الْعِيَانُ عَلَى فَقْدِ الْأَعْيَانِ. وَلَا شَرَقَتْ نُورَ الْإِيمَانِ، فَغَطَّى وَجُودَ الْأَكْوَانِ.

وقال في لطائف المئين: «وَأَشْبَهَ شَيْءٌ بِالْكَائِنَاتِ وَجُودَ الظَّلَالِ فَالظُّلُّ لَا موجود باعتبار مَرَاتِبِ الوجود، وَلَا معدوم باعتبار مَرَاتِبِ العَدَمِ». واعتبار العَدَمِ في الظاهر أقرب؛ لِأَنَّهُ حَيَالٌ لَا حَقِيقَةٌ لَهُ. وَتَشْبَهُ الْكَائِنَاتِ بِالظُّلِّ؛ لِأَنَّهُ يُنْسَخُ وَيُعَدَّمُ عِنْدَ وُضُوءِ الشَّمْسِ إِلَى مَحَلِّهِ، فَكَذَلِكَ حِسُّ الْأَوَانِي يُعَدَّمُ وَيُفْقَدُ، عِنْدَ طُلُوعِ شَمْسِ الْعِرْفَانِ عَلَيْهِ. فَإِذَا أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْمَعَانِي، ارْتَفَعَ حِسُّ الْأَوَانِي. وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى عَلَى طَرِيقِ أَهْلِ الْإِشَارَةِ: «أَلَمْ تَرَ إِيَّكَ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ». أَيِ ظِلِّ الْكَائِنَاتِ: «وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا». أَيِ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَ ذَلِكَ الظِّلَّ سَاكِنًا. مَا ارْتَفَعَتْ ظِلْمَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ. «ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ»، أَيِ شَمْسِ الْعِرْفَانِ «عَلَيْهِ» أَيِ عَلَى ذَلِكَ الظِّلِّ «دَلِيلًا» حَتَّى صَارَ ذَلِكَ الْعَارِفُ يَسْتَدِلُّ بِاللَّهِ عَلَى غَيْرِهِ «ثُمَّ قَبَضْنَاهُ» عَلَى قُلُوبِ الْمُتَوَجِّهِينَ «قَبْضًا يَسِيرًا»: شَيْئًا فَشَيْئًا. عَلَى حَسَبِ التَّصْفِيَةِ وَالتَّرْقِيَةِ حَتَّى يَنْقَطِعَ بِالْكَلِيَةِ. وَقَدْ أَشَارَ النَّاطِمُ فِي بَعْضِ أَزْجَالِهِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ:

تَجَلَّتِ الْمَعَانِي وَغَابَتِ الظَّلَالُ كُحِّسَتْ الْأَوَانِي وَمُزَّقَ الْمِثَالُ
وقال ابن عطاء في الحكيم: «الْأَكْوَانُ نَائِبَةٌ بِإِنْبَاتِهِ، مَمْحُوءَةٌ بِأَحْدِيَةِ ذَاتِهِ. لَا يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِهَا اسْتِقْلَالًا. وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّهُ أَظْهَرَ جِسْمَهَا لِيُعْرَفَ بِهَا ثُمَّ مَحَاهَا بِأَحْدِيَةِ أَسْرَارِ ذَاتِهِ؛ وَهِيَ الْمَعَانِي الْقَائِمَةُ بِهَا قِيَامَ الثَّلْجَةِ بِالْمَاءِ، فَإِذَا ظَهَرَ الْمَاءُ بَدُونَ الثَّلْجَةِ، فَلَا ثَلْجَةَ كَمَا قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِيَّةِ:

وَمَا الْكَوْنُ فِي التَّمْثَالِ إِلَّا كَثَلْجَةٍ وَأَنْتَ بِهَا الْمَاءُ الَّذِي هُوَ تَابِعٌ

وَمَا الشُّلُجُ فِي تَحْقِيقِنَا غَيْرُ مَاثِهِ وَعَظِيمٌ أَنِّي فِي حُكْمِ دَعَاةِ الشَّرَائِعِ
 وَقَوْلُهُ: هَكَذَا الفَنَاءُ: أَي هَكَذَا حَقِيقَةُ الفَنَاءِ: مَخَوِ الأَشْيَاءِ وَاضْمِحْلَالِهَا كَمَا
 قَالَ الشَّيْخُ أَبُو المَوَاهِبِ: حَقِيقَةُ الفَنَاءِ مَخَوٌ وَاضْمِحْلَالٌ. وَذَهَابُ عَنكَ وَرَوَالٌ وَمِنْ
 الأَشْيَاءِ وَجُودِ النَّفْسِ، فَلَا يَحِقُّ العَبْدُ الفَنَاءَ حَتَّى يَغِيبَ عَنِ وُجُودِهِ، وَوَجُودِ الكَوْنِ
 بِأَسْرِهِ فِي شَهُودِ وَجُودِ مَحْبُوبِهِ. وَفِي نَسْخَةِ الشَّيْخِ زُرُوقٍ: «وَلَيْسَ بِشَيْءٍ ثَابِتٍ هَكَذَا
 الفَنَاءُ». قَالَ يَعْني هَكَذَا وَجَدْنَا إِشَارَةَ إِلَى أَنَّ مَعْرِفَتَهُمْ مِنْ طَرِيقِ الذُّوقِ وَالمُنَازَلَةِ لِأَنَّ
 مِنْ طَرِيقِ العِلْمِ وَالمُحَاوَلَةِ. قُلْتُ: وَهُوَ غَيْرُ جَيِّدٍ؛ لِأَنَّهُ يُؤَدِي إِلَى تَوَعُّدِ تَكَرُّارِ مَعَ
 أَوَّلِ البَيْتِ لِأَنَّ قَوْلَهُ: وَلَمْ نَلْقَ، أَي نَجِدُ صَرِيحاً فِي الذُّوقِ وَالمُوجِدَانِ، فَلَا مَعْنَى
 لِإِعَادَتِهِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ ذَكَرَ مَا أُنتَجَ هَذَا الوجودُ فَقَالَ:

فَرَفُضَ السُّوَى فَرَضاً لِأَنَّنا بِمِلَّةِ مَخَوِ الشُّرْكِ وَالشُّكِّ قَدْ دِنْنَا
 يَقُولُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فَرَفُضَ السُّوَى، أَي طَرَحَهُ وَالعَظِيمَةَ عَنْهُ فَرَضٌ وَاجِبٌ
 عَلَيْنَا مَعِشَرَ المُوَحِّدِينَ. وَهَذَا البَيْتُ مُرْتَبٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ؛ لِأَنَّ مَنْ وَجَدَ الكَوْنَ تَوْهُمًا
 لِأَحْقِيقَةِ لِيُوجُودِهِ - وَالكَوْنَ كُلُّ مَا سِوَى اللهِ - تَعَيَّنَ عَلَيْهِ رَفُضُهُ، وَعَدَمَ اغْتِبَارِهِ،
 نَظَرًا وَاعْتِبَارًا. وَمَحَبَّةً وَاسْتِنَادًا. فَلَا يُرَى فِي الوجودِ إِلَّا اللهُ. وَلَا يَغْتَمَدُ فِي أُمُورِهِ
 إِلَّا عَلَيْهِ. كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

حَرَامٌ عَلَى مَنْ وَحَدَّ اللهُ رَبَّهُ وَأَفْرَدَهُ أَنْ يَخْتَدِي أَحَدًا رِفْدًا
 فَيَا صَاحِبِي قِفْ بِي عَلَى الحَقِّ وَفَقِّهْ أُمُوتَ بِهَا وَجَدًا وَأَحْيَا بِهَا وَجَدًا
 وَقُلْ لِمَلُوكِ الأَرْضِ تَجْهَدُ جُهْدَهَا قَدْ أَلْمَلِكُ مَلِكٌ لَا يُبَاعُ وَلَا يُهْدَى

وَكَذَلِكَ لَا يَمِيلُ لِمَحَبَّتِهِ شَيْءٌ مِنْ حُسْنِ الكَائِنَاتِ، وَإِنَّمَا يَتَعَشَّقُ إِلَى أَسْرَارِ
 المَعَانِي؛ الَّتِي هِيَ وَجْهَ الرَّحْمَنِ. فَافْهَمْ؛ لِأَنَّ مَنْ سَابَقَتْهُ المَعَانِي، لَا يَلْتَفِتُ إِلَى
 جَمَالِ صُورِ الأَوَانِي. وَغَابَ عَنْهَا فِي جَمَالِ المَتَجَلِّي بِهَا فَيَغِيبُ بِحَلَاوَةِ لَذَّةِ
 الشُّهُودِ، عَنْ جَمَالِ كُلِّ مَشْهُودٍ. ثُمَّ عَلَّلَ رَفُضَهُمُ السُّوَى بِقَوْلِهِ: لِأَنَّنا بِمِلَّةِ مَخَوِ
 الشُّرْكِ وَالشُّكِّ قَدْ دِنْنَا؛ أَي لِأَنَّنا تَمَسَّكْنَا بِمِلَّةِ الحَنَفِيَّةِ الإِبْرَاهِيمِيَّةِ؛ الَّتِي جَاءَ بِهَا
 رَسُولُنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ وَهِيَ مُؤَسَّسَةٌ عَلَى مَخَوِ الشُّرْكِ وَرُؤْيَا العَيْرِ عَنِ عَيْنِ
 القَلْبِ؛ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حِينَ رُجِّحَ بِهِ فِي المَنْجَنِيْقِ. وَرَمِيَ بِهِ فِي
 النَّارِ، تَعَرَّضَ لَهُ جَبْرِيْلُ فِي الهَوَاءِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ: أَمَا إِلَيْكَ فَلَا.
 وَأَمَا إِلَى اللهِ قَبْلِي. فَقَالَ جَبْرِيْلُ: سَلِّهُ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «عِلْمُهُ بِحَالِي يُغْنِي عَنِ

سُؤَالِي». فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى الْوَاسِطَةِ قَطْعًا. وَلَمْ يَشْرِكْ فِي تَمَلُّقِهِ أَحَدًا، سِوَى مَوْلَاهُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ. وَكَذَلِكَ مَخَوِ الشُّكِّ وَالرَّيْبَةِ، فَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، طَلَبَ الْإِنْتِقَالَ مِنْ عِلْمِ الْيَقِينِ، الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يُزَاجِمَهُ خَاطِرُ تُهْمَةٍ، إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ؛ الَّذِي لَا يَبْقَى مَعَهُ وَهْمٌ، وَلَا رَيْبَةٌ أَضْلًا. إِذْ لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْعِيَانِ. وَذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُعْجِبُ الْمَوْتُ﴾ الْآيَةَ. فَأَسْعَفَهُ الْحَقُّ تَعَالَى فِي ذَلِكَ، حَتَّى انْتَقَلَ مِنْ عِلْمِ الْيَقِينِ. إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: لِأَنَّنا بِجَمَلَةِ مَخَوِ الشُّرْكِ وَالشُّكِّ قَدْ دَنَا. أَيْ اتَّخَذْنَاهُ دِينًا، نَتَمَسَّكُ بِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. وَعَلَى هَذَا يَدُورُ فَلَكَ قُطْبُ التَّصَوُّفِ، بِحَيْثُ لَا يَبْقَى فِي الْقَلْبِ رَيْبَةٌ، وَلَا تُهْمَةٌ فِي ظُهُورِ الْحَقِّ وَانْفِرَادِهِ بِالْوُجُودِ؛ لِأَنَّهُمْ بَلَّغُوا رُتْبَةَ الْعِيَانِ وَارْتَفَعُوا عَنْ مَقَامِ غَيْبِ الْإِيمَانِ. وَكَذَلِكَ الْأُمُورُ الْمَوْعُودُ بِهَا. صَارَتْ عِنْدَهُمْ كَأَنَّهَا حَاضِرَةٌ لَدَيْهِمْ حَتَّى صَارُوا بِحَيْثُ لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ عَنْهَا وَظَهَرَتْ، مَا أَزْدَادُوا يَقِينًا كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وَكَمَا قَالَ حَارِثَةُ فِي قَضِيَّتِهِ الْمَشْهُورَةِ حِينَ سُئِلَ عَنْ حَقِيقَةِ إِيْمَانِهِ. وَكَذَلِكَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى مَا قَدَّمَاهُ مِنْ مُشَاهَدَةِ نَفْسِ الْمُكُونِ مَعَ وُجُودِ رَفْضِهِ. وَرَأَى ذَلِكَ كَالْتِنَاقُضِ فَقَالَ:

وَلَكِنَّهُ كَيْفَ السَّبِيلُ لِرَفْضِهِ وَرَافِضُهُ الْمَرْفُوضُ نَحْنُ وَمَا كُنَّا

قلت: رَافِضُهُ مُبْتَدَأٌ. وَالْمَرْفُوضُ خَبْرٌ، وَنَحْنُ خَبْرٌ، وَنَحْنُ خَبْرٌ عَنْ مُضْمَرٍ يَعُودُ عَلَى الرَّافِضِ. وَهُوَ وَنَحْنُ وَمَا كُنَّا حَالٌ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ رَفْضَ السُّوَى فَرْضٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّهُ إِشْكَالٌ؛ وَهُوَ أَنَّ نَقُولَ: كَيْفَ الطَّرِيقَ إِلَى رَفْضِهِ. وَالرَّافِضُ هُوَ الْمَرْفُوضُ. وَالْمَرْفُوضُ عَيْنُ الرَّافِضِ؛ لِأَنَّ الْجَمِيعَ سِوَى، وَهُوَ مُصَدَّرٌ مُحَضٌّ فَالرَّافِضُ هُوَ نَحْنُ. وَمَا كُنَّا شَيْئًا، بَلْ عَدَمًا مُحَضًّا لَا كُنَّا مِنْ جَمَلَةِ السُّوَى فَتَحْصُلُ: أَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى، هُوَ الَّذِي فَعَلَ جَمِيعَ ذَلِكَ، حَتَّى عَرَفَ نَفْسَهُ وَأَزَالَ الْمَوَانِعَ عَنْ دَاتِهِ بِدَاتِهِ وَيُجَابَ بِأَنَّ الْحَقَّ جَلَّ جَلَالُهُ، لَمَّا تَجَلَّى بِاسْمِهِ الظَّاهِرِ، مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ إِلَى عَالَمِ الشَّهَادَةِ تَجَلَّى أَيْضًا بِاسْمِهِ الْبَاطِنِ، فَبَطَنَ فِي ظُهُورِهِ، وَاخْتَفَى فِي حَالِ تَجَلِّيهِ؛ وَذَلِكَ بِمَا أَسَدَّلَ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ رِدَاءٍ كِبْرِيَاءِيٍّ؛ وَهِيَ رِدَاءُ الْحُسْنِ، وَيَسْمَى هَذَا الرِّدَاءَ، عَالَمَ الْحِكْمَةِ، وَعَالَمَ الْأَشْبَاحِ، وَعَالَمَ الْفَرْقِ وَإِنَّمَا تَرَدَّى بِذَلِكَ؛ لِيبْقَى الْكَثْرُ مَدْفُونًا وَالسُّرُّ مَصُونًا. فَسُبْحَانَ الْمُدَبِّرِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ. فَلَمَّا بَرَزَتْ الرُّوحُ مِنْ عَالَمِ اللَّطَافَةِ وَالصَّفَاءِ، إِلَى الْعَالَمِ الْحَسِّيِّ، انْسَدَّلَ عَلَيْهَا الْحِجَابُ، مِنْ جُمْلَةٍ مِنْ انْسَدَلِ عَلَيْهِمْ. فَمَا فَتَحَتْ عَيْنَهَا إِلَّا فِي هَذَا الْعَالَمِ الْحَسِّيِّ

فَعَشِقْتَهُ وَمَالَتْ إِلَيْهِ وَتَاهَتْ فِي فُرُوقِهِ وَتَسَيَّتْ أَضْلَاهَا . وَجَهَلَتْ رَبَّهَا ، فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يُعَالِجُهَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَخُلَفَائِهِمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الْفُحُولِ فَأَمَرُوهَا بِالْأَدَبِ مَعَ الرَّبُّوبِيَّةِ فِي الظَّاهِرِ فَعَلَّمُوهَا ثُمَّ أَمَرُوهَا بِالْأَدَبِ فِي الْبَاطِنِ مَعَهُ ؛ وَهُوَ تَرْكُ الْحِظُوظِ وَاللَّحُوظِ ، وَرَفْضُ كُلِّ مَا يَشْغَلُ عَنِ اللَّهِ ؛ وَهُوَ الْمُعَبَّرُ عَنْهُ بِالسُّوَى ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ ، رَجَعْتَ إِلَى أَضْلَاهَا ، وَشَاهَدْتَ أَسْرَارَ رَبِّهَا . وَتَنَزَّهْتَ فِي جَمَالِ ذَاتِهِ . حِينَ ارْتَفَعَ عَنْهَا رِداءُ الْحِسِّ . فَظَهَرَ حِينْتِئِذٍ بِهَذَا الْاِعْتِبَارِ الرَّافِضِ وَالْمَرْفُوضِ وَانْحِلَّ الْأَشْكَالُ الَّذِي تَوَهَّمُوهُ . وَأَمَّا لَوْ تَرَكْنَا هَذَا الْاِعْتِبَارَ لِبَطَلَةِ الْأَحْكَامِ وَالْحِكْمَةِ ؛ وَهَذَا كُفْرٌ وَزِنْدَقَةٌ . فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَارِفِ أَنْ تَكُونَ لَهُ عَيْنَانِ : عَيْنٌ تَنْظُرُ لِعَالَمِ الْجَمْعِ ؛ وَهُوَ أَمَامَ الْفَنَاءِ فَلَا يَرَى إِلَّا الْحَقَّ مُتَجَلِّياً بِاسْمِهِ الظَّاهِرِ ؛ وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ فِي عَيْنِ الْحَقِيقَةِ . فَيُنْبِئُ الْحِكْمَةَ وَالْأَحْكَامَ وَيُسَمَّى هَذَا الْمَقَامَ مَقَامَ الْبَقَاءِ ، فَيَكُونُ كَامِلاً مَجْمُوعاً فِي فَرْقِهِ . مَفْرُوقاً فِي جَمْعِهِ . يُعْطِي كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ . وَيُؤْفِي كُلَّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ . وَبِهَذَا الْاِعْتِبَارِ عَنَى الشَّاعِرُ شَاكِياً ، لِمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ :

الْعَبْدُ حَقٌّ وَالرَّبُّ حَقٌّ يَا لَيْتَ شِغْرِي مَنِ الْمُكَلَّفُ
إِنْ قِيلَ عَبْدٌ فَالْعَبْدُ مَيِّتٌ أَوْ قِيلَ رَبٌّ أَنْسَى يُكَلَّفُ

فأجاب شيخُ شيوخنا سيدي عبد الرحمن الفاسي فقال :

نَعَمْ بِحَقِّ إِنْشَاءِ عَبْدٍ بِنَعْتِ فَرْقٍ بِهِ يُكَلَّفُ
وَالْعَبْدُ مَيِّتٌ بِكُلِّ حَالٍ لِسِرِّ عَوْنٍ بِهِ مُكَلَّفُ

فَالْعَبْدُ فِي الْحَقِيقَةِ لَا وَجُودَ لَهُ مِنْ ذَاتِهِ أَضْلاً . لَكِنْ لَمَّا تَجَلَّى سُبْحَانَهُ بِمَظْهَرِ الرَّبُّوبِيَّةِ ، فِي قَوَالِبِ الْعُبُودِيَّةِ ، سُمِّيَ ذَلِكَ الْمَظْهَرُ بِاِعْتِبَارِ الْقَالِبِ عَبْدًا ؛ وَهُوَ مَحْذُوفٌ بِاِعْتِبَارِ الْمَظْهَرِ . فَإِنَّ نَظَرْتَ إِلَى مُطْلَقِ التَّجَلِّيِّ ، رَأَيْتَ عَظِيمَةَ قَدِيمَةَ أَزَلِيَّةَ وَلَا عَبْدَ . وَإِنَّ نَظَرْتَ إِلَى تَطْوِيرِ ذَلِكَ التَّجَلِّيِّ بِشَكْلِ الْعَبْدِ وَصُورَتِهِ . رَأَيْتَ عَبْدًا فَقِيراً وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ فِي الْحِكْمِ بِقَوْلِهِ :

سُبْحَانَ مَنْ سَتَرَ سِرَّ الْخُصُوصِيَّةِ . فِي وَصْفِ الْبَشَرِيَّةِ . وَظَهَرَ بِعَظَمَةِ الرَّبُّوبِيَّةِ فِي إِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ . وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ :

أَرْبٌ وَعَبْدٌ وَنَفْسِي ضَيْدٌ قُلْتُ لَهُ لَيْسَ ذَلِكَ عِنْسِي
فَقَالَ مَا عِنْدَكُمْ فَمُلْنَا وَجُودٌ فَفَمَدٌ وَفَقْدٌ وَجَدٌ

توحيدُ حَقِّ بِشْرِكَ حَقُّ وَلَيْسَ مِنْ سِوَايَ وَخِدي
 فَإِنَّمَا أَنْكَرَ وجودَ العَبْدِ مُستَقِلاً مفروقاً كما هو اعتقادُ عامَّةِ أهلِ الدَّلِيلِ
 والبُرْهَانِ مِنَ أَصْحَابِ اليمينِ . وَهُوَ مُحَالٌ مُنْكَرٌ عِنْدَ العَارِفِينَ المُقَرَّبِينَ وَإِنَّمَا أَطْلَقْتُ
 الكَلَامَ هُنَا؛ لِأَنَّ هَذِهِ المَسْأَلَةَ خَفِيَّتْ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ لِلوُجْدَانِ والعِرْفَانِ فَضْلاً
 عَنْ غَيْرِهِمْ وبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ . ثُمَّ نَهَى المَرِيدَ عَنْ نِسْبَةِ الفِعْلِ إِلَى نَفْسِهِ مَعَ كَوْنِهِ لِأَنَّ
 وجودَ له مَعَ رَبِّهِ بِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ لَهُ . فَقَالَ :

فَيَا قَائِلاً بِالْوَضَلِ وَالْوَقْفَةِ الَّتِي حُجِبَتْ بِهَا اِرْجِعْ وَارْجِعِي مِثْلَ مَا أَبْنَا
 قُلْتُ : اِرْجِعْ أَمْرٌ مِنَ ارْجِعِي ، بِمَعْنَى انْزَجِرْ . وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

أَلَا اِرْجِعْ لِمَنْ وَلَّتْ شَيْبُهُ وَأَذِنْتُ بِمَشْيِبِ بَعْدَهُ هَرَمٌ
 وَإِنِّي بَاتَ اليَاءِ فِي الأَمْرِ لِلوُزْنِ . وَمِثْلُ صِفَةِ لِمُضَدِّرٍ مَحْدُوفٍ . وَمَا مَضَدَّرِيَّةٌ ،
 وَأَبْنَا بِضَمِّ الهَمْزِ مِنْ أَبٍ ، أَي رَجَعُ كَقَلْنَا مِنْ قَالَ . أَي انْزَجِرْ وَارْجِعْ عَنْ ذَلِكَ ،
 رَجُوعاً مِثْلَ رُجُوعِنَا . يَقُولُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، مُنْكَراً عَلَى مَنْ يَدَّعِي الوُصُولَ إِلَى اللهِ
 بِنَفْسِهِ ، أَي بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ أَوْ بِمُجَاهَدَتِهِ وَرِيَاضَتِهِ . وَعَلَى مَنْ يَشْتَكِي الوُقُوفَةَ مِنْ نَفْسِهِ
 إِذْ كِلَاهُمَا عِلَّةٌ فِي الطَّرِيقِ وَشِرْكٌ كَأَنَّ يَكُونُ جَلِيلاً عِنْدَ أَهْلِ التَّحْقِيقِ . فَقَالَ : يَا
 قَائِلاً بِالوُصُولِ إِلَى اللهِ بِنَفْسٍ وَمُجَاهَدَتِهِ . وَيَا قَائِلاً بِالوُقُوفَةِ ، وَالْفَتْرَةَ عَنِ السَّيْرِ الَّتِي
 حُجِبَتْ بِهَا عَنِ الوُصُولِ اسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ فِي نَصِيحَتِي ، وَارْجِعِي . أَي انْزَجِرْ عَنِ
 هَذِهِ المَقَالَةِ . وَارْجِعْ إِلَى اللهِ بِالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ رَجُوعاً مِثْلَ رُجُوعِنَا . فَقَدْ كُنَّا فِي
 هَذَا المَحَلِّ ثُمَّ ثَبَّنَا ، وَرَجَعْنَا إِلَى اللهِ عَنْهُ . فَإِنَّ ادَّعَاءَ الوُصُولِ إِلَى اللهِ ، مَعَ وَجُودِ
 النَّفْسِ ، دَعْوَى وَكُذْبٍ . وَاعْتِقَادَ الوُصُولِ بِالعَمَلِ عِلَّةٌ وَشِرْكٌ . فَيَجِبُ عَلَى العَبْدِ
 التَّوْبَةُ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ . فَالوَاجِبُ حِينَئِذٍ الدَّخُولُ عَلَى اللهِ مِنْ بَابِ الكَرَمِ لِأَنَّ بَابَ
 العَمَلِ فَمَنْ دَخَلَ مِنْ بَابِ الكَرَمِ وَجَدَ البَابَ مَفْتُوحاً . وَمَنْ دَخَلَ مِنْ بَابِ العَمَلِ
 وَجَدَ البَابَ مَغْلُوقاً . وَفِي الحِكْمِ : «لَوْ كُنْتُ لَا تَصِلُ إِلَى اللهِ إِلَّا بَعْدَ فَنَاءٍ مَسَاوِيكَ
 لَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ أَبَداً . وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَصِّلَكَ إِلَيْهِ . عَطَى وَضَفَكَ بِوَضْفِهِ وَنَعْتَكَ
 بِنَعْتِهِ . فَوَصِّلَكَ إِلَيْهِ بِمَا مِنْهُ إِلَيْكَ . لَا بِمَا مِنْكَ إِلَيْهِ» .

وكذلك القائل بالوقفة؛ وهي الفترة التي تغتري المرید في السير، بحيث تبرد
 قريحته وتنهك عزيمته. ولا ينبغي أن يظهرها إلا لشيخه، ولا يشتكي بها لغيره. إذ
 كل ذلك من الله امتحاناً لعبده. فليثبت في الطريق، ولا يلازم ضحبة أهل القوة

والتحقيق. وَقَالَ بَعْضُهُمْ، الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَقْفَةِ وَالْفِتْرَةِ. أَنَّ الْوَقْفَةَ تَرَدَّدُ. بَلْ حَتَّى يَمُنَّ الْكَرِيمُ الْوَهَّابُ عَلَيْهِ بِالْقُوَّةِ. فَلِيَتَحَقَّقَ بَيْنَ الْأَقْبِيَاءِ مِنْ دَوِيِّ التَّحْقِيقِ.

وقال بَعْضُهُمْ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَقْفَةِ وَالْفِتْرَةِ. أَنَّ الْوَقْفَةَ تَرَدَّدُ فِي صِحَّةِ الطَّرِيقِ.

والفِتْرَةُ: ضَعْفُ الْقَرِيحَةِ؛ وَالْعَزْمُ مَعَ الْجَزْمِ بِصِحَّةِ الطَّرِيقِ فَالْوَقْفَةُ أَقْبَحُ مِنَ الْفِتْرَةِ. فَإِذَا جَزَمَ بِعَدَمِ صِحَّةِ الطَّرِيقِ؛ فَهُوَ رُجُوعٌ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ.

وحاصل كلام الناظم: تحقق الفناء عن النفس، والغيبية عنها بالكلية. فَلَا يُنْسَبُ إِلَيْهَا، وَضَلًّا وَلَا وَقْفًا. وَلَا قُوَّةَ وَلَا ضَعْفًا. إِذِ الْكُلُّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِلذَلِكَ قَالَ مَحْيِي الدِّينِ بْنِ الْعَرَبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«مَنْ شَهِدَ أَنَّ الْخَلْقَ لَا فِعْلَ لَهُمْ فَقَدْ حَازَ، وَمَنْ شَهِدَهُمْ لَا حَيَاةَ لَهُمْ فَقَدْ فَازَ. وَمَنْ شَهِدَهُمْ بِعَيْنِ الْعَدَمِ فَقَدْ وَصَلَ». وَأَنْشَدُوا فِي ذَلِكَ:

مَنْ أَبْصَرَ الْخَلْقَ كَالسَّرَابِ فَقَدْ تَرَقَّى عَنِ الْحِجَابِ
إِلَى وُجُودِ يَرَاهُ رَتْقًا بِأَلَا ائْتِعَادٍ وَلَا أَفْتِرَابِ
وَلَمْ يُشَاهِدْ بِهِ سِوَاهُ هُنَاكَ يُهْدَى إِلَى الصُّوَابِ
فَلَا خِطَابَ مِنْهُ إِلَيْهِ وَلَا مُشِيرٌ إِلَى الْخِطَابِ

فَقَوْلُهُ: فَلَا خِطَابَ مِنْهُ إِلَيْهِ: يَشِيرُ إِلَى قَوْلِهِمْ: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ كَلَّ لِسَانَهُ، فَالضَّمِيرُ فِي مِنْهُ يَعُودُ عَلَى مَنْ أَبْصَرَ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ بَيَّنَّ أَصْلَ الْعِلَلِ فَقَالَ:

تَقَيَّدَتْ بِالْأَوْهَامِ لَمَّا تَدَاخَلَتْ عَلَيْكَ وَتَوَرَّ الْعَقْلُ أَوْرَثَكَ السُّجُنَا

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِمَنْ وَقَفَ مَعَ الْإِسْتِذْلَالِ، وَقَفَّعَ بِمَقَامِ الْإِيمَانِ: لَمَّا تَدَاخَلَتْ عَلَيْكَ الْأَوْهَامُ وَالشُّكُوكُ وَالخَوَاطِرُ. تَقَيَّدَتْ بِهَا، وَحُجِبَتْ عَنِ مَقَامِ الْإِيمَانِ. وَالْمُرَادُ بِالْأَوْهَامِ وَهْمٌ وَجُودُ الْكَوْنِ وَاسْتِقْلَالُهُ وَمَشَاهِدَةُ الْأَثَرِ فَوْقَ مَعْ ظِلْمَةِ جِسْمِهِ وَلَمْ يَشْهَدْ الْحَقُّ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ فَأَعْوَزَهُ وَجُودُ الْأَنْوَارِ وَحُجِبَتْ عَنْهُ شَمُوسُ الْمَعَارِفِ بِسُحْبِ الْأَثَارِ وَوَهْمٌ تَخَلَّفَ ضَمَانُ الرُّزْقِ، فَاسْتَعَلَّ بِتَحْصِيلِ أَسْبَابِهِ، وَاجْتِهَادِهِ فِي جَمْعِهِ وَاجْتِكَارِهِ فَأَعْوَزَهُ أَنْوَارُ التَّوَكُّلِ، وَتَظَلَّمَ بَاطِنُهُ بِهِمْ الرُّزْقِ، وَخَوْفِ الْفَقْرِ وَوَهْمِ صَرَرِ الْخَلْقِ، وَنَفْعِهِمْ، فَاسْتَعَلَّ بَاطِنُهُ بِتَحْصِيلِ أَعْرَاضِهِمْ، وَتَظَلَّمَ بِالْخَوْفِ مِنْهُمْ.

فهذه هي الأوهام التي تداخلت قلوب أهل الحجاب. فبقوا من وراء الباب. وتداخل الأوهام هو ترددها وترادفها على القلب حتى انحصرت فكرته فيها. وتقيّد

قَلْبُهُ مَعَهَا. وَالْوُقُوفُ أَيْضاً مَعَ نَوْرِ الْعَقْلِ يُورِثُ السُّجْنَ؛ وَهُوَ الْبَقَاءُ مَعَ دَائِرَةِ الْأَكْوَانِ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ غَايَةَ مَدْرِكِهِ، يَذْرِكُ: أَنْ الصُّنْعَةَ تَحْتَاجُ إِلَى صَانِعٍ، وَلَا يَنْفُذُ نُورُهُ إِلَى تَرْقٍ مِنَ الْكَائِنَاتِ، حَتَّى يُفْضِيَ إِلَى أَسْرَارِ الْمَعَانِي؛ وَشُهُودِ الْمُكُونِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَدَارِكِ الرُّوحِ وَالسِّرِّ. فَإِذَا رَجَعَتِ الرُّوحُ، وَغَابَ عَلَيْهَا ذِكْرُ اللَّهِ. فَتُحْتِثُ لَهَا مَيَادِينُ الْغُيُوبِ وَخَرَجَتْ فِكْرَتُهَا عَنِ دَائِرَةِ الْأَكْوَانِ إِلَى فُضَاءِ شُهُودِ الْمُكُونِ. وَإِلَى مَا ذَكَرَهُ النَّاطِمُ، أَشَارَ فِي الْحِكْمِ بِقَوْلِهِ: «الْكَاثِنُ فِي الْكَوْنِ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ مَيَادِينُ الْغُيُوبِ، مَسْجُونٌ بِمُحِيطَاتِهِ. مَخْصُورٌ فِي هَيْكَلِ ذَاتِهِ. وَهَذَا الْأَمْرُ لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا أَهْلُ الْأَذْوَاقِ وَإِلَّا فَحَسْبُهُ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَالتَّضْيِيقُ بِوُجُودِهِ عِنْدَ أَرْبَابِهِ. وَقَدْ تُحْجَبُ الْقُلُوبُ بِالْأَنْوَارِ، كَمَا تَحْجَبُ بِالْأَغْيَارِ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ بِقَوْلِهِ:

وَهَمَّتْ بِأَنْوَارٍ فَهَمْنَا أَصُولَهَا وَمَنْبَعَهَا مِنْ أَيْنَ كَانَ فَمَا هِمْنَا
وَقَدْ تُحْجَبُ الْأَنْوَارُ لِلْعَبْدِ مِثْلَ مَا تَقْبِدُ مِنْ إِظْلَامِ نَفْسٍ حَوَتْ ضِعْمًا

يقول رضى الله عنه: وَهَمَّتْ أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمَخْجُوبُ عَنِ اللَّهِ، أَي تَهَتَّ وَتَلَفَّتْ عَنِ السَّيْرِ إِلَى حَضْرَةِ الْحَقِّ وَشُهُودِهِ، بِأَنْوَارٍ قَدْ فَهَمْنَا نَحْنُ أَصُولَهَا. وَمِنْ أَيْنَ تَفَرَّعَتْ وَمَنْبَعَهَا، وَمِنْ أَيْنَ تَبَعَتْ وَظَهَرَتْ. وَمِنْ أَيْنَ كَانَتْ. فَمَا هِمْنَا أَيْ فَمَا تَهْنَا عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ؛ بِالْوُقُوفِ مَعَهَا، وَالرُّكُوعِ إِلَيْهَا. وَذَلِكَ كَأَنْوَارٍ خَلَاوَةِ الطَّاعَاتِ، وَلَذَّةِ الْمُنَاجَاةِ. وَظُهُورِ الْكِرَامَاتِ، وَالتَّنَزُّهِ فِي الْمَقَامَاتِ لِلْعِبَادِ وَالزُّهَادِ وَالصَّالِحِينَ. فَقَدْ وَقَفُوا مَعَهَا وَاعْتَمَدُوا عَلَيْهَا وَرَأَوْا غَايَةَ الْوُصُولِ؛ وَهَمَّ أَشَدَّ حِجَاباً عَنِ اللَّهِ. لَا يَخْرُجُهُمْ مِنْ ذَلِكَ. إِلَّا صُحْبَةَ شَيْخٍ كَامِلٍ، بِنُورٍ مُحَرَّقٍ، وَكِتْحَاقِ الْمَسَائِلِ، وَتَحْرِيرِ النَّوَازِلِ. وَالتَّفَقُّنِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَهَذَا حِجَابٌ كَبِيرٌ لِلْعُلَمَاءِ يَرَوْنَ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ حَازُوا قَصَبَ السَّبْقِ فِي الْكِمَالَاتِ؛ وَهَمَّ بِاعْتِبَارِ الرِّجَالِ فِي بَدَايَةِ الْبَدَايَاتِ. وَلَا يَخْرُجُهُمْ مِنْ ذَلِكَ. إِلَّا حَطُّ رُؤُوسِهِمْ لِلْعَارِفِينَ مِنْ مَشَايخِ التَّرْبِيَةِ، وَكِتْحَاقِ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالتَّقْلِيَّةِ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ مِنْ طَرِيقِ الْاسْتِدْلَالِ؛ وَهُوَ مِنْ أَقْبَحِ الْحِجَابِ لِلْعُلَمَاءِ الْكَلَامِ وَقِسْ عَلَى هَذَا سَائِرِ الْعُلُومِ وَالْأَحْوَالِ وَالْوَارِدَاتِ فَمَنْ وَقَفَ مَعَ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَارِ لَمْ تَنْقُذْ بِصِيرَتِهِ إِلَى شُهُودِ ذَاتِ الْحَقِّ؛ فَهُوَ مُحْجُوبٌ عَنِ رُؤْيَةِ النُّورِ الْأَصْلِيِّ. فَقَدْ فَهَمْنَا هَذِهِ الْأَنْوَارِ، وَعَلِمْنَا أَضْلَامَهَا وَمَنْبَعَهَا فَرَحَلْنَا عَنْهَا، وَمَا هِمْنَا بِالْوُقُوفِ مَعَهَا.

وفي بعض الإشارات عن الله تعالى يقول: «يَا عَبْدِي لَا تَرْكَنْتَنِي إِلَى شَيْءٍ دُونَنَا فَإِنَّكَ إِنْ رَكَنْتَ إِلَى الْعِلْمِ جَهَلْتَنَا فِيهِ. وَإِنْ رَكَنْتَ إِلَى الْعَمَلِ رَدَدْنَاكَ عَلَيْكَ. وَإِنْ

رَكَنتُ إِلَى حَالٍ وَقَفْنَاكَ مَعَهُ. وَإِنْ رَكَنتَ إِلَى مَعْرِفَةِ نَكْرَتَاهَا عَلَيْكَ فَأَيَّ حِيلَةٍ لَكَ؟ فَكُنْ لَنَا عَبْدًا حَتَّى نَكُونَ لَكَ رَبًّا». أَوْ كَمَا قَالَ تَعَالَى.

وقال في الحِكم: «لَا تَطْلُبْ بَقَاءَ الْوَارِدَاتِ بَعْدَ أَنْ بَسَطْتَ عَلَيْكَ أَنْوَارَهَا. وَأَوْذَعْتَ عَلَيْكَ أَسْرَارَهَا فَلَمْ يَكُنْ فِي اللَّهِ غِنَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَلَيْسَ يُغْنِيكَ عَنْهُ شَيْءٌ».

ومن هذا أيضاً، قَوْلُ الشَّيْخِ مُؤَلَّانَا عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مَشِيشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَأْنِ مَقَامِ الرِّضَى وَالتَّسْلِيمِ: «أَخَافُ أَنْ تَشْغَلَنِي خِلَاوَتُهُمَا عَنِ اللَّهِ وَبَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَمَنْ لَمْ يَتَّصِلْ بِشَيْخِ التَّزْيِينِ لَا يَطْمَعُ فِي الرَّجِيلِ عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ أَبَدًا. وَلَوْ عَمِلَ مَا عَمِلَ».

وقوله: «وَقَدْ تُحَجَّبُ الْأَنْوَارُ لِلْعَبْدِ» الخ. هو تَقْرِيرٌ لِمَا قَبْلَهُ. وَالْمُرَادُ بِالْأَنْوَارِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ خِلَاوَةِ الطَّاعَاتِ، وَتَحْقِيقِ الْمَقَامَاتِ، وَتَتَابِعِ الْأَحْوَالِ وَالسُّكْرَاتِ وَفِيضِ الْعُلُومِ الرَّسْمِيَّاتِ. فَقَدْ تُحَجَّبُ هَذِهِ الْأَنْوَارُ لِلْعَبْدِ إِذَا اسْتَحْلَاهَا، وَوَقَفَ مَعَهَا وَتُسَمَّى أَنْوَارَ التَّوَجُّهِ. قَالَ فِي الْحِكْمِ: «اهْتَدَى الرَّاحِلُونَ إِلَيْهِ بِأَنْوَارِ التَّوَجُّهِ. وَالْوَاصِلُونَ لَهُمْ أَنْوَارُ الْمُؤَاجَهَةِ. فَالْأَوَّلُ لِلْأَنْوَارِ. وَهَؤُلَاءِ الْأَنْوَارِ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَهُ. لَا لِشَيْءٍ دُونِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ تَمَّ ذَرَهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾».

وَأَنْوَارِ الْمُؤَاجَهَةِ؛ هِيَ أَنْوَارُ الشَّهَادَةِ؛ لِأَنَّهَا تُوَاجِهُ الْعَبْدَ، فَيَغْرَقُ فِيهَا وَيَغِيبُ عَنْ رُؤْيَةِ الْأَعْيَارِ؛ وَهُوَ مَا سِوَى اللَّهِ. وَقَوْلُهُ: «مِثْلُ مَا تَقَيَّدَ مِنْ إِظْلَامِ نَفْسِ حَوْتِ ضِيغْنَا». أَيْ تَحَجُّبِ الْأَنْوَارِ، وَتَقْيِيدِهِ عَنِ النَّهْوِضِ إِلَى اللَّهِ. مِثْلُ تَقْيِيدِهِ مِنْ أَجْلِ ظَلَمِ نَفْسِ، حَيْثُ غَيَّبَتِ الْقَلْبَ بِظُلْمَاتِ الْهَوَى، وَالْحِظْوِظِ حِينَ حَوْتِ ضِيغْنَا، أَيْ خَبْنًا فِي الْبَاطِنِ؛ وَهِيَ سَائِرُ الْأَمْرَاضِ مِنَ الْحَسَدِ وَالْكَبْرِ، وَالْحَقْدِ وَغَيْرِهَا مِمَّا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي مَحَلِّهِ. وَحَوَى الشَّيْءُ: ضَمَّهُ وَصَارَ فِي حَوْزِهِ ثُمَّ نَهَى عَنْ دَعْوَى الْوِصَالِ وَالْأَمْنِ مِنَ السَّلْبِ وَالرُّجُوعِ فَقَالَ:

وَأَيُّ وَصَالٍ فِي الْحَقِيقَةِ يُدْعَى وَأَكْمَلُ مَنْ فِي النَّاسِ لَمْ يَدْعِ الْأَمْنَا

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي قَضِيَةِ الْوِصَالِ وَالْإِتِّصَالِ؛ وَادَّعَى كُلُّ وَاحِدٍ أَنَّهُ بَلَغَ فِي ذَلِكَ الْعَايَةَ وَالنَّهَائَةَ؛ وَهُوَ فِي ذَلِكَ تَالِفٌ وَمُخْطِئٌ. وَكَيْفَ يَدْعِي النَّهَائَةَ فِي الْعِلْمِ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِسَيِّدِ الْعَارِفِينَ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. فَلَوْ عَاشَ الْعَبْدُ عُمُرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. يَتَرَفَّى فِي الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ مَا بَلَغَ مَعِشَارَ عَشْرِهَا. وَبَعْضُهُمْ ادَّعَى التَّمَكِينَ فِي الْوِصُولِ إِلَى الْحَقِّ. وَالْأَمْنِ الرَّجُوعِ. وَكَيْفَ يَدْعِي فِي الْمَسْأَلَةِ الْأَمْنِ مِنَ السَّلْبِ. وَأَكْمَلُ مَا فِي النَّاسِ وَهُوَ سَيِّدُ الْوُجُودِ لَمْ يَدْعِ الْأَمْنَ، حَتَّى قَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَى مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ﴾. وَهَذَا مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ اتِّسَاعِ فِي

العلم والمعرفة؛ لأن صاحب الاتساع لا يقف مع وعْدٍ ولا وعيدٍ. إنما ينظر ما يبرز من عنْصُر القدرة لخطئة، لغَيْب المشيئة. ولذلك كان العارف لا يزول اضطرابه. ولا يكون مع غير الله قراره. واعتبر بحال الأنبياء عليهم السلام. كقول الخليل عليه السلام: ﴿وَلَا أَحَافَ مَا تَشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾. فاستثنى مع جزمه بعدم خوفه من أضنامهم. ثم بين وجه الاستثناء فقال: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾. وكذلك سيدنا شعيب عليه السلام حين قال: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾. وكذلك قضية نبينا ﷺ مع الصديق مع بذر، حيث بات يتضرع، ويدعو مع وعْد الله له بالنصر حتى قال له الصديق: «أمسك يا رسول الله ﷺ». فإن الله منجز لك ما وعدك. فوقف الصديق مع ظاهر الوعد، وأخذ عليه السلام إلى غيب المشيئة لاتساع علمه بالله.

والحاصل أنه عليه السلام مأمون في الدنيا والآخرة. بوعد الله له بذلك حيث قال: ﴿وَصَرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾. وهذا باختيار الدنيا. وقال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾. باختيار الآخرة إلى غير ذلك من الآيات. لكنه عليه السلام، أظهر العبودية ولم يقف مع شيء ﷺ. وكذلك خلفاؤه من الأولياء لا يفنون مع وعْدٍ ولا وعيدٍ لغيب المشيئة. وفي بعض الأخبار، يقول الله تعالى:

«يَا عَبْدِي لَا تَأْمَنَ مَكْرِي وَإِنْ أَمْنَتْكَ فَإِنَّ عِلْمِي لَا يَحِيطُ بِهِ مُحِيطٌ». وقد يبلغون من التمكين مع الحق، مقاماً يترجح معه الأمن. بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾. فمن تحقق مقام الإيمان، حتى بلغ منه مقام العيان. وانتفى عنه الشرك الجلي والخفي. فقد حصل له الأمن بنص الآية. قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه:

«يَبْلُغُ الْوَلِيِّ مَقَامًا يُقَالُ لَهُ: أَفْعَلُ مَا شِئْتُ، قَدْ أَصْحَبْنَاكَ السَّلَامَةَ، وَأَسْقَطْنَا عَنْكَ الْمَلَامَةَ». وقال في شأن تلميذه المرسي: «قَدْ تَمَكَّنَ الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ مَعَ اللَّهِ تَمَكُّنًا. لَوْ طَلَبَ الْحِجَابَ لَمْ يَجِدْهُ. وَيُسَمَّى مَقَامَ الْمُحِبُّوبَةِ». ويعضده قوله تعالى في حق سليمان عليه السلام: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِحِسَابٍ﴾.

هذا؛ وإن كان في مقام النبوة، فللولوية قسط بحسب الوراثية. وبعد هذا كله لا يزول عنهم خوفهم. فلا يزول اضطرابهم، ولا يكون مع غير الله قرارهم لاتساع دائرة علمهم. وقد حققنا هذه المسألة في التفسير في سورة الأنعام والأحقاف فانظره إن شئت. وبالله التوفيق.

وقد تكلّم النَّاسُ فِي حَقِيقَةِ الْوُصُولِ. قَالَ فِي الْحِكْمِ: «وُصُولُكَ إِلَيْهِ، وَوُصُولُكَ إِلَى الْعِلْمِ بِهِ. وَإِلَّا فَجَلَّ رَبُّنَا أَنْ يَتَّصَلَ بِشَيْءٍ، أَوْ يَتَّصَلَ بِهِ شَيْءٌ». وَأَحْسَنُ مَا يُقَالُ فِي حَقِيقَةِ الْوُصُولِ؛ أَنَّهُ فَنَاءُ الرَّسُولِ وَالْأَشْكَالِ بِظُهُورِ الْكَبِيرِ الْمَتَعَالِ فَيَفْتَى مَا لَمْ يَكُنْ؛ وَهُوَ الْوَهْمُ وَالْجَهْلُ. وَيَبْقَى مِنْ لَمْ يَزُلْ؛ وَهُوَ الْحَقُّ وَخَدَهُ. فَقَدْ كَانَ وَخَدَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ. وَقَدْ بَقِيَ مَا كَانَ عَلَيْهِ. فَالْوُصُولُ إِلَى اللَّهِ. عِبَارَةٌ عَنْ تَحْقِيقِ الْعِلْمِ بِوَحْدِيَّةِهِ. وَعَيْبَةِ الْعَبْدِ عَنْ وَجُودِهِ فِي وَجُودِ مَعْبُودِهِ حَتَّى لَا يُشَاهِدَ إِلَّا عَظَمَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. مُرْتَدِيًا بِرِدَاءِ الْكِبْرِيَاءِ لِيَبْقَى السِّرُّ مَصُونًا. وَالْكَثْرُ مَذْفُونًا. ثُمَّ بَرَّهَنَ عَنْ كَوْنِ الْوُصُولِ لَا يَكُونُ بِمُجَرَّدِ الدَّعْوَى فَقَالَ:

وَلَوْ كَانَ سِرُّ اللَّهِ يُذْرِكُ هَكَذَا لَقَالَ لَنَا الْجُمْهُورُ مَا نَحْنُ مَا خَبْنَا

يقول رضى الله عنه: لو كان سرُّ الله؛ وهو الوِلايَة والمعرفة على سبيل العيان؛ وهو معنى الوصول إلى الله، يُذرك هكذا، أي بِمُجَرَّدِ الدَّعْوَى مَعَ وَجُودِ النَّفْسِ، وَرَاحَةِ الْجَسْمِ، وَرُقُودِهِ تَحْتَ ظِلِّ الْجَدِي لَقَالَ جَمُورُ النَّاسِ أَي عَامَّتُهُمْ: مَا نَحْنُ مَا خَبْنَا الْمَعْرِفَةَ، بَلْ نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا سَوَاءٌ. أَي لَوْ كَانَتْ تُنَالُ بِلَا مُجَاهَدَةٍ وَلَا تَرْبِيَّةٍ. لِأَدْعَاهَا كُلُّ النَّاسِ لَكُنْهَا لَا تُنَالُ إِلَّا بِذَبْحِ النَّفْسِ وَحَطِّ الرَّؤْسِ لِأَرْبَابِهَا. وَيَذَلُّ الْفُلُوسُ زُهْدًا فِيهَا. وَارْتِكَابِ الشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ وَتَتَابِعِ الْوَارِدَاتِ وَالْأَحْوَالِ، وَمُفَارَقَةِ الْأَوْطَانِ وَالْأَحْبَابِ، وَالغَيْبَةِ عَنِ الْعَشَائِرِ وَالْأَصْحَابِ.

قَالَ فِي الْحِكْمِ: «لَوْلَا مَيَادِينُ النَّفُوسِ، مَا تَحَقَّقَ سَيْرُ السَّائِرِينَ». وَقَالَ أَيْضًا: «كَيْفَ تُخْرِقُ لَكَ الْعَوَائِدُ، وَأَنْتَ لَمْ تَخْرِقْ مِنْ نَفْسِكَ الْعَوَائِدَ». وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ الشَّيْخُ بِقَوْلِهِ:

فَكَمْ دُونَهُ مِنْ فِتْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ وَكَمْ مَهْمَةٍ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ قَدْ جُنِبْنَا

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَكَمْ دُونَ الْوُصُولِ مِنْ فِتْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ أَي مِنْ امْتِحَانٍ وَاخْتِبَارٍ لِلْمُرِيدِ؛ هَلْ هُوَ صَادِقٌ فِي الطَّلَبِ أَوْ هُوَ كَاذِبٌ. فَإِنْ ثَبِتَ وَصَبَرَ وَصَلَّ وَإِلَّا رَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ. فَأَوَّلُ ذَلِكَ تَسْلِيطُ النَّاسِ عَلَيْهِ بِالْإِذَايَةِ وَالْإِهَانَةِ، وَالتَّضْغِيرِ وَالهِجْرَانِ. وَرُبَّمَا وَصَلُوا إِلَى ضَرْبِهِ وَسَجْنِهِ. وَتَطْوِيفِهِ وَقَتْلِهِ فَإِنْ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ، تَعَرَّضَ لَهُ إِبْلِيسُ بِالتَّخْوِيفِ وَالتَّسْوِيفِ وَتَبْعِيدِ الْفَتْحِ وَتَبْطِي السَّيْرِ فَإِنْ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ تَعَرَّضَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِتَرْبِيئِ زَخَارِفِهَا وَحُظُوظِهَا وَزَهْرَتَيْهَا، فَإِنْ أَعْرَضَ عَنْهَا، تَعَرَّضَتْ لَهُ الْآخِرَةُ بِحُورِهَا وَقُصُورِهَا، وَسَائِرِ نَعِيمِهَا فَإِنْ أَعْرَضَ عَنْهَا، تَعَرَّضَتْ لَهُ الْكَرَامَاتُ، وَوُصُولُ الْأَحْوَالِ وَحَلَاوَةِ الْمَقَامَاتِ. فَإِنْ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا كُلِّهِ. قَالَ لَهُ

الحق جَلَّ جَلَالُهُ: «مَرْحَبًا وَأَهْلًا هَذِهِ حَضْرَةُ قُدْسِي. تَتَعَمَّ فِيهَا بِمَا شِئْتَ وَتَنْزَرُهُ بِفِكْرَتِكَ حَيْثُ شِئْتَ». وَيُقَالُ لَهُ حَيْثُ:

لَكَ الدَّهْرُ طَوْعًا وَالْأَتَامُ عَيْدُ فَعِشْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكَ عَيْدُ

وَإِنْ وَقَفَ مَعَ شَيْءٍ مِنْ هَذَا، رَجَعَ مِنَ الطَّرِيقِ. وَأَمَّا مَنْ وَصَلَ فَلَا رُجُوعَ عَلَيْهِ لَهُ: أَيُّ بِفَضْلِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ. وَالنُّوْضُولُ هُوَ تَحْقِيقُ الْفِتَاءِ، وَالتَّمَكُّنُ مِنَ الْبَقَاءِ. وَقَوْلُهُ: «وَكَمْ مَهْمَةٌ الْخِ». هِيَ الْمَفَازَةُ الْبَعِيدَةُ. وَيُجْمَعُ عَلَى مَهَامِيهِ. وَمَعْنَى جُبْنَا: قَطَعْنَا. وَالْجُوبُ: هُوَ الْقَطْعُ. أَيُّ كَمْ مِنْ مَفَازَةِ النَّفْسِ قَدْ قَطَعْنَاهَا بِالْمُجَاهِدَةِ وَالْمُكَابَدَةِ وَالرِّيَاضَةِ. كَمَشَاقِ الْأَسْفَارِ إِلَى زِيَارَةِ الْمَشَايخِ وَالْإِخْوَانِ وَكَقَطْعِ عَوَائِدِ النَّفْسِ. وَمَا رَكَنْتُ إِلَيْهِ مِنَ الْجَاوِ، وَالرَّاحَةِ، وَإِقْبَالِ الْخَلْقِ بِتَحْمُلِ أَضْدَادِهَا مِنَ الذَّلِّ وَالنَّعْبِ. وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْخَلْقِ بِالْعَزَلَةِ وَالْإِنْفِرَادِ، وَهَذَا هُوَ خَرْقُ عَوَائِدِهَا؛ وَهُوَ شَرْطُ فِي عِمَارَةِ الْبَاطِنِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: مَا يَنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِتَضْيِيقِ الْجُلُودِ، وَضَيْقِ الْكِبُودِ. وَقَالَ الشَّيْخُ زُرُوقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْمُرِيدَ لَا يَصِلُ لَعَيْنِ الْحَقِيقَةِ، حَتَّى يَرَى مِنَ الْمَحْنِ وَالْفِتَنِ وَالْبَلَايَا مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ. وَيَجُوبُ مَعَ ذَلِكَ مَهَامِيهِ، وَتَقْصُرُ فِيهَا الْخَطِيئَةُ، فَمَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ نَفَذَ. وَمَنْ أَهَانَهُ رَجَعَ. فَإِنْ جَدَّ تَقَابُلُهُ الدُّنْيَا وَالْخَلْقَ بِالْإِدْبَارِ، وَالنَّفْسَ بِالتَّعَصُّبِ، وَإِبْلِيسَ بِالتَّسَلُّطِ. فَإِنْ صَبَرَ وَجَاهَدَ وَجَدَّ وَالتَّزَمَ، فَازَ وَوَصَلَ، وَإِلَّا هَلَكَ فِي بَعْضِ أَوْدِيَتِهِ. ثُمَّ يُقَابَلُهُ كَذَلِكَ بِالْإِقْبَالِ. وَالتَّخِيرِ، كَذَا فَإِنْ سَكَنَ كَذَا وَحَذَرَ نَجَى، وَإِلَّا دَهَبَ فِي الْإِغْتِرَارِ وَالْإِسْتِرْسَالِ وَتَحْوَاهَا، ثُمَّ يُقَابَلُهُ الْجَمِيعَ بِالتَّمْيِكِينِ. فَإِنْ ثَبَتَ وَإِلَّا انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى رَدًا وَقَبُولًا.

وقال الشيخ عبد القادر في عينيته في هذه المعنى:

وَإِيَّاكَ فَاضْبِرْ لَا تَمُلْ فَإِنَّهَا بِصَبْرِ النَّفْسِ جَاءَتْ إِلَيْهِ الْمَطَامِعُ

وَهَوْنٌ عَلَى النَّفْسِ ازْتِكَابًا لِهَوْلِهَا فَغَيْرُ مُجِبٍّ مَنْ دَهَنَهُ الْفَجَائِعُ

قلت: مَنْ اتَّصَلَ بِشَيْخِ التَّزْيِيَةِ، سَهَلَ عَلَيْهِ ذَلِكَ كُلُّهُ إِنْ التَّزَمَ وَتَأَدَّبَ. وَإِنْ لَمْ

يَتَّصَلَ بِشَيْخِ التَّزْيِيَةِ، اتَّعَبَ نَفْسَهُ بِأَطَائِلِ كَمَا جَرَيْنَا ذَلِكَ وَذَقْنَاهُ وَجَرَّبْتُ فِيهِ

التَّجْرِبِ عِلْمَ الْحَقَائِقِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ. وَتَمَامُ ذَلِكَ كُلُّهُ إِدَامَةُ السَّيْرِ، وَعَدَمُ

الِاتِّفَاتِ إِلَى الْغَيْرِ كَمَا أَبَانَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:

فَلَا تَلْتَفِتْ بِالسَّيْرِ غَيْرًا وَكُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ غَيْرٌ فَاتَّخِذْ ذِكْرَهُ حِصْنًا

وَكُلُّ مَقَامٍ لَا تَقُومُ فِيهِ أَنَّهُ حِجَابٌ فَجُدَّ السَّيْرُ وَاسْتَنْجِدَ الْعَوْنُ
يقول رضى الله عنه: فلا تلتفت في حال السير إلى غير الله تعالى أياً ما كان
سواء كان علوماً أو أخوالاً. أو مقامات، أو طاعات، أو كرامات. أو إقبال الخلق،
أو إدبارهم، أو عزاً، أو غير ذلك. فكل ما سوى الله غير، وحجاب عظيم لمن
وقف معه. فالمقصود والمطلوب، هو الوصال إلى شهود عظمة ذات الحق عياناً.
ومعرفته دواماً واتصالاً. افتخذ ذكراً بقلب حصناً من ذلك القواطع. و ﴿قُلْ اللَّهُ تَعَالَى
دَرَهُمْ فِي حَوَظِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾. ولا شك أن ذكر الله حصن مانع من الشيطان، وسائر
القواطع. يكون أولاً باللسان. ثم بالقلب، ثم بالروح، ثم بالسر. وهو مقام
التمكين من المعرفة. فحيث يحصل الأمان من الخلق والشيطان، ومن سائر
القواطع في الغالب. ومن جملة القواطع، الوقوف مع المقامات؛ فلذلك قال:
«وكل مقام لا تقم فيه أنه حجاب». ولا مفهوم للمقامات، وكذلك الأخوال
والواردات، لا ينبغي استحلاؤها، ولا التطلع إليها. قال في الحكم:

«لَا تَطْلُبْنِ بَقَاءَ الْوَارِدَاتِ بَعْدَ أَنْ بَسِطْتَ أَنْوَارَهَا. وَأُودِعْتَ أَسْرَارَهَا. فَلَكَ فِي
اللَّهِ غِنَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَلَيْسَ يُغْنِيكَ عَنْهُ شَيْءٌ. تَطَّلَعُكَ إِلَى بَقَاءِ غَيْرِكَ، دَلِيلٌ عَلَى
عَدَمِ وَجْدَانِكَ. وَاسْتِحَاشِكَ بِفُقْدَانِ مَا سِوَاهُ، دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ وَصْلَتِكَ بِهِ، وَقَالَ
الشيخ أبو هادي في صباح يوم لأصحابه: بِمَ يَرْتَفِعُ الْعَبْدُ مِنْ حَالَةٍ لَمَّا هُوَ أَرْفَعُ
مِنْهَا؟ قَالُوا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، قَالَ: إِنَّمَا سَأَلْتُكُمْ عَنِ السَّبَبِ الْخَاصِّ بِهَذَا الْأَمْرِ،
قَالُوا: مِنْ عِنْدِ الشَّيْخِ. قَالَ: يَخْلُقُ اللَّهُ لَهُ هِمَّةً أَعْلَى مِنْ هِمَّتِهِ. فِيرْفَعُهُ بِهَا إِلَى رُتْبَةٍ
أَعْلَى مِنْ رُتْبَتِهِ. قُلْتُ: وَأَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي الْأَرْتِفَاعِ، الْانْكَسَارُ وَالْإِتِّضَاعُ. فَإِذَا
انْكَسَرَ الْمُرِيدُ انْضَعَّ لِسَيِّدِهِ، بِسَبَبٍ أَوْ بِغَيْرِ سَبَبٍ. حَصَلَ لَهُ التَّرْقِيُّ إِلَى مَقَامٍ لَمْ يَكُنْ
يَعْرِفُهُ. ثُمَّ أَمَرَ الشَّيْخُ بِالْجِدِّ فِي السَّيْرِ وَالنَّهْوِ فَقَالَ: «فَجُدَّ السَّيْرُ» أَي فَجُدَّ الْعَزْمُ
وَدُمَّ عَلَى جِهَادِ نَفْسِكَ، وَمَخَالَفَتِهَا. فَلَوْلَا مَيَادِينِ الثُّمُوسِ، مَا تَحَقَّقَ سَيْرُ السَّائِرِينَ.
وَالزَّمْ صُحْبَةَ الرِّجَالِ وَالْمَشَايِخِ، فَلَا عَوْنَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. وَتَأَمَّلْ مَا قَالَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ
الْقَادِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي عَيْنِيته:

بِمَشْمُزٍ وَلَذٍ بِالْأَوْلِيَاءِ فَإِنَّهُمْ
لَهُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ تِلْكَ الْوَقَائِعُ
وَمِنْهُمْ يَنَالُ الصَّبَّ مَنْ هُوَ طَامِعُ
وَمِنْهُمْ يَهْتَدِي لِلْعَيْنِ مَنْ ضَلَّ فِي الْعَمَا
وَمِنْهُمْ يَنْزِلُ لِلرَّجَا
بِهِمْ يُجْذِبُ الْعِشَاقُ وَالرُّنْعُ شَاسِعُ

واستنجد العَوْن، أي أطلبه من الله، بعد تحصيل ما تقدم، فإنه يُعينك على ما تريد. والاستنجد: الإلحاح في الطلب. قاله في القاموس ثم ذكر وجه العمل في الفرار من الوقوف مع الغير فقال:

وَمَهْمَا تَرَى كُلَّ الْمَرَاتِبِ تُجْتَلَى عَلَيْكَ فَحُلْ عَنْهَا فَعَنْ مِثْلِهَا حُلْنَا
وَقُلْ لَيْسَ فِي غَيْرِ ذَاتِكَ مَطْلَبٌ فَلَا صُورَةَ تُجَلَى وَلَا طُرْفَةَ تُجْتَى

يَقُولُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَمَهْمَا تَرَى كُلَّ الْمَرَاتِبِ مِنْ مَرَاتِبِ أَهْلِ التَّخْصِصِ وَالتَّقْرِيبِ تُجْتَلَى؛ أي تظهر عليك كظهور الكرامات، والكشف عن أسرار المقامات، وحلاوة الطاعات وإقبال الوری وأبناء الجنس، فحل عنها؛ أي تحوّل بهمتك عن الالتفات إليها، وعن الوقوف معها، فإن الوقوف مع شيء من ذلك، حجاب عن شهود الحق. قال في الحكم: «ما أَرَادَتْ هِمَّةُ سَالِكٍ أَنْ تَقِفَ عِنْدَ مَا كُشِفَ لَهَا إِلَّا وَنَادَتْهُ هَوَاتِفُ الْحَقِيقَةِ؛ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ وَلَا تَبْرَحُ ظَوَاهِرَ الْمَكُونَاتِ، إِلَّا وَنَادَتْهُ حَقَائِقُهَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ». والمراتب التي تجتلى للسائر في سيره ثلاث: فناء في الأفعال وفناء في الصفات، وفناء في الذات. فإذا كشف للسائر عن توحيد الأفعال وذائق حلاوته. وأرادت هيمته أن تقف مع ذلك المقام، نادته هواتف الفناء في الصفات؛ الذي تطلبه أمامك. وإذا ترقى إلى الفناء في الصفات، وكشف له عن سر توحيد الصفات. فاستشرف على الفناء في الذات، وأرادت هيمته أن تقف مع ذلك المقام نادته هواتف الفناء في الذات؛ الذي تطلب أمامك وإذا ترقى إلى الفناء في الذات، وكشف له عن سر توحيد الذات. وأرادت هيمته أن تقف مع ذلك. نادته هواتف حقيقة البقاء وبقاء البقاء. وهكذا إلى ما لا نهاية له من الترقى. وإذا تبرجت، أي ظهرت بزيتها وزخارفها ظواهر المكونات بخرق عواندها. وانقيادها له. وتصرفه فيها بهيمته. كالمشي على الماء، والطيران في الهواء. وطى المسافة البعيدة في لحظة. وغير ذلك من الكرامات الحسية. وأرادت همة السالك أن تقف معها، نادته هواتف الحقيقة؛ وهي أسرار المعاني الباطنية. إنما نحن فتننة لك، نختبرك هل تقف مع ظاهرها فتحجب بها، أو تنفذ إلى باطنها. فتعرف ما ليكها والمتجلي بها.

قال الشيخ أبو عثمان بن عاشوراء رضي الله عنه: «خرجت من بغداد أريد الموصّل. فأنا أسير، فإذا بالدنيا عرضت علي بعزها وجأها، ورفعيتها، ومراكبها وملايسها. ومزيناتها وثمارها ومشتهياتها. فأعرضت عنها. فعرضت علي الجنة

بِحُورِهَا وَقُصُورِهَا، وَأَنْهَارِهَا وَثَمَارِهَا فَلَمْ أَشْتَغِلْ بِهَا. فَقِيلَ لِي يَا عُمَانُ، لَوْ وَقَفْتَ
مَعَ الْأُولَى لَحَجَبْنَاكَ عَنِ الثَّانِيَةِ. وَلَوْ وَقَفْتَ مَعَ الثَّانِيَةِ لَحَجَبْنَاكَ عَنَّا. فَهَا نَحْنُ
وَقَسَطُكَ مِنَ الدَّارَيْنِ يَا تَيْكَ». وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَنْ سَمَتَ هِمَّتَهُ عَنِ الْأَكْوَانِ. وَصَلَّ
إِلَى مُكُوبِهَا. وَمَنْ وَقَفَ بِهِمَّتِهِ مَعَ شَيْءٍ دُونَ الْحَقِّ فَاتَهُ؛ وَهُوَ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يَرْضَى
مَعَهُ بِشَيْءٍ. وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الشَّيْخُ بِقَوْلِهِ: فَلَا يَشْغَلُكَ عَنْهُ أَيُّهَا الْمُرِيدُ صُورَةَ
تُجَلَّى، أَيْ تَطْهَرُ لَكَ مِنْ نَوْعِ الْكِرَامَاتِ. وَلَا طَرَفَةَ تَجَنَّى، كَوْجُودِ الثَّمَارِ مِنْ غَيْرِ
إِبَانِهَا. وَحَلَاوَةِ الطَّاعَاتِ. فَإِنَّهَا سُمُومٌ قَاتِلَةٌ.

قال الشيخ أبو يزيد رضى الله عنه: «أَوْقَفَنِي الْحَقُّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ تَرِيدُ الطَّرْفَ
فَقُلْتُ لَا. فَقَالَ: تَرِيدُ الْعُرْفَ. فَقُلْتُ لَا: فَقَالَ: تَرِيدُ التَّحَقُّقَ قُلْتُ لَا. قَالَ: فَمَا
تَرِيدُ؟ قُلْتُ: أُرِيدُ أَنْ لَا أُرِيدَ؛ لِأَنِّي أَنَا الْمُرَادُ وَأَنْتَ الْمُرِيدُ». وَحَكَى أَنَّهُ قَالَ: كَانَ
الْحَقُّ تَعَالَى يَرِينِي الْكِرَامَاتِ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنِّي جَعَلَ لِي إِلَى
مَعْرِفَتِهِ سَبِيلًا. قَالَ بَعْضُهُمْ: كُشِفَ لِي عَنْ أَرْبَعِينَ حَوْرَاءَ، فَرَأَيْتُهُنَّ يَتَسَخَّرْنَ مِنِّي
فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِنَّ. فَحَجَبْتُ عَنْ مَقَامِي مَدَّةً. ثُمَّ كَشَفَ لِي عَنْ ثَمَانِينَ، فَسَجَدْتُ وَأَنَا
أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِمَّا سِوَاكَ.

وقال شيخ شيوخنا سيدي علي العمراني رضى الله عنه: «اشْتَقْتُ يَوْمًا إِلَى
الْجَنَّةِ، فَإِذَا أَنَا أَكَلُ مِنْ ثَمَارِهَا، وَأَقْطِفُ مِنْ أَزْهَارِهَا، وَأَشْرَبُ مِنْ أَنْهَارِهَا.
فَاشْتَغَلْتُ بِذَلِكَ عَنْ حَلَاوَةِ الشُّهُودِ فَتَبْتُ إِلَى اللَّهِ فَأَخْرَجَنِي مِنْ سَجْنِهَا». وَقَالَ
الْجُنَيْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْأَطْفُ مَا يُخَادِعُ بِهِ الْأَوْلِيَاءَ، الْكِرَامَاتُ وَالْمَعُونَاتُ». وَحَكَى
أَنْ بَشَّرَ الْحَافِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَأَى عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي النَّوْمِ. فَقَالَ
لَهُ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَحْسَنَ عَطْفِ الْأَغْنِيَاءِ عَلَى الْفُقَرَاءِ رَجَاءَ الثَّوَابِ. فَقَالَ لَهُ
عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: وَأَحْسَنَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ، ثَنِيهِ الْفُقَرَاءُ ثِقَةً بِاللَّهِ».

قَالَ بَعْضُ الْمَشَائِخِ: وَأَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، هِمَّةُ الْعَارِفِينَ، تَشَاكَيْ لِه فِيهَا جَمِيعِ
الْمَقْدُورَاتِ، فَضلاً عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَلَمَّا قَدِمَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْقَطْبِ ابْنِ مَشِيشٍ، وَجَدَهُ فِي
مَغَارَتِهِ يَدْعُو. فَكَّرَهُ الدَّخُولَ عَلَيْهِ لَيْلًا، وَكَانَ فِي مَقْصَدِ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ نَفْعُ
النَّاسِ، وَجَلْبُهُمْ إِلَيْهِ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ. وَكَانَ يَتَرَدَّدُ فِي خَاطِرِهِ، هَلْ يَدْخُلُ لِلْمُدْنِ
أَوْ يَنْقَطِعُ فِي الْجِبَالِ وَالْقَفَارِ، لِلْعِبَادَةِ، فَسَمِعَ الشَّيْخَ مِنْ دَاخِلِ الْمَغَارَةِ يَقُولُ اللَّهُمَّ
إِنَّ قَوْمًا قَدْ طَلَبُوا مِنْكَ ابْنَ تَسْحَرٍ لَهُمْ خَلْقُكَ. فَسَخَّرْتَهُمْ لَهُمْ. فَارْتَضُوا بِذَلِكَ. وَأَنَا
أَسْأَلُكَ اعْوَجَاجَهُمْ عَلَيَّ، حَتَّى لَا يَكُونَ مَلْجَأِي إِلَّا إِلَيْكَ.

فقال الشيخ أبو الحسن: يا نفسي من أي بحر يغترف هذا الرجل. فلما دخل
 وسَلَّم عليه. قال له: كيف أنت يا سيدي. قال: أشكو من برد الرضى والتسليم،
 كما تشكو أنت من حرّ التدبير والاختيار. فقال: يا سيدي أما شكواتي من حرّ
 التدبير والاختيار، فقد دُفئت وأنا فيه. وأما شكواك أنت من برد الرضا والتسليم.
 فلماذا؟ قال: أخاف أن تشغلني خلاوتهما عن الله. ثم قال يا سيدي: سمعتك
 تقول: اللهم إني أسألك اغوجاج الخلق عليّ. قال ابن مشيش: يا أبا الحسن:
 عوَضَ أن تقول: اللهم يا رب سخر لي خلقك قل يا رب كن لي. أفترى إن كان
 لك، أيفوتك شيء؟ فما هذه الجبانة. انتهى بمعناه. فهذه المقامات والكرامات
 كلها تصرف المرید إلى التعلق بالله. وعدم الالتفات إلى ما سواه كأنما ما كان.
 ولما حرّض على الفناء والفرار إلى الله. أمر بالتمسك بالشریعة، وهو مقام البقاء،
 وكمال الكمال فقال:

وَسِرْ نَحْوَ أَعْلَامِ الْيَمِينِ فَإِنَّهَا سَبِيلٌ بِهَا يُمْنٌ فَلَا تَتْرُكِ الْيُمْنَا

يقول رضي الله عنه: إذا أفردت قلبك لله، ولاحت عليك أنوار الفناء.
 فتمسك بالشریعة المحمّدية. وسِرْ نَحْوَ أَعْلَامِ الْيَمِينِ، واستظل معهم تحت ظلّ لواء
 الشریعة؛ وأعلامها، فإنها طريق بها يُمْنٌ وبركة ونجدة وغنيمة، فلا تترك اليمن
 والبركة فتقع في الخسران والتدامة. ولذلك قيل:

مَنْ تَصَوَّفَ وَلَمْ يَتَّقَهُ فَقَدْ تَزَنَّدَقَ. وَمَنْ تَفَقَّهَ وَلَمْ يَتَّصِفْ فَقَدْ تَفَسَّقَ. وَمَنْ
 جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَدْ تَحَقَّقَ.

قال الشيخ زروق رضي الله عنه:

تَزَنَّدَقَ الْأَوَّلُ لِإِهْمَالِهِ الشَّرِيعَةَ. وَقَدْ جَاءَ بِهَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ؛ فِيهِ بَابُ
 الدُّخُولِ إِلَى اللَّهِ. وَتَفَسَّقَ الثَّانِي لِإِهْمَالِهِ الْحَقِيقَةَ، وَتَحَقَّقَ الثَّلَاثُ، لِحُجْمِهِ بَيْنَهُمَا.
 قال: وكان شيخنا أبو العباس بن عقبة الحضرمي كثيراً ما يُنشد هذين البيتين:

انْبَغِ رِيَّاحَ الصَّبَا وَدُزْ حَيْثُ دَارَتْ وَسَلِّمْ لِسَلْمَى وَسِرْ حَيْثُ سَارَتْ

ومُرَّادُه سَلِّمْ فِيمَا أَظْنَتْهُ: الشَّرِيعَةَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قُلْتُ: بَلِ الظَّاهِرُ، أَنَّهَا
 الْحَقِيقَةُ. إِذَا هِيَ الَّتِي يَكْنِي عَنْهَا أَهْلُ الْفَنِّ سَلْمَى. وَعِزَّةٌ وَلَيْلَى وَأَيْضاً: هِيَ
 الْمُتَصَرِّفَةُ فِي الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا فَيَجِبُ الْمِيلُ مَعَهَا أَيْنَ مَا ظَهَرَتْ. وَالسَّيْرُ بِسَيْرِهَا حَيْثُ
 سَارَتْ. وَأَمَّا الشَّرِيعَةُ فَإِنَّهَا رِذَاءٌ لَهَا وَسِرٌّ لِأَسْرَارِهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَالْتَمَسْتُ بِرُسُومِ الشَّرِيعَةِ لِأَهْلِ الْحَقِيقَةِ فَرَضَ لِأَرْبَعٍ. وَمَنْ أَحَلَّ بِهِ، رَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ. وَلَا يُزَجَّى فَلَاحُهُ. وَقَالَ السَّاحِلِيُّ فِي بَغِيَّتِهِ لَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى آدَابِ مَقَامِ الْإِحْسَانِ بَعْدَ كَلَامِ الثَّلَاثِ: إِقَامَةُ رُسُومِ الشَّرِيعَةِ، أَحْسَنُ إِقَامَةٍ؛ فَهِيَ شِعَارُ الْعُبُودِيَّةِ، وَهِيَ الْوَسَائِلُ إِلَى ذَلِكَ الْحَقَائِقِ الْإِلَهِيَّةِ. وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ مُسْتَعْنَى عَنْهُ عِنْدَ مَوَارِدِ التَّحْقِيقِ؛ فَهُوَ مُعْبُوتٌ فِي حَقِيقَتِهِ. مَفْتُونٌ فِي وَجْهَتِهِ. رَاضٍ بِالْحِزْمَانِ وَالْهَوَانِ. وَمِنْ عِلَامَاتِ صِدْقِ أَهْلِ الْإِحْتِصَاصَاتِ عَدَمُ حَلِّ الْيَدِ مِنْ عُرْوَةِ الشَّرِيعَةِ، بَلْ فِي اسْتِغْرَاقِهِمُ الْحِفْظَ عَلَيْهَا، فِي إِقَامَةِ الرُّسُومِ الشَّرِيعَةِ، كَمَا أَنَّ مِنْ عِلَامَةِ الْجِدْلَانِ، حَلَّ الْيَدِ مِنْ عُرْوَةِ الشَّرِيعَةِ، عِنْدَ وُرُودِ الْحَقَائِقِ، رِزْقًا اللَّهُ مِنْ حِفْظِهِ وَكَلَاءَتِهِ، مَا يَحْمِلُنَا عَلَى مَنَاجِحِ الْعَارِفِينَ. قُلْتُ: وَرُسُومُ الشَّرِيعَةِ: هُوَ فِعْلُ الْمَأْمُورَاتِ، وَتَرْكُ الْمَنْهِيَّاتِ. نَهْيٌ تَحْرِيمٌ، أَوْ نَهْيٌ كَرَاهِيَةٌ. وَقَالَ أَيْضًا: فِي شُرُوطِ الْمَعْرِفَةِ: الثَّلَاثُ: الْمَحَافِظَةُ عَلَى الرُّسُومِ الشَّرِيعَةِ وَإِقَامَةُ الْوُظَائِفِ الرِّبَانِيَّةِ. اقْتِدَاءُ بِإِمَامِ الْعَارِفِينَ، وَسَيِّدِ الْمُقَرَّبِينَ الَّذِي تَفَطَّرَتْ قَدَمَاهُ مِنْ طَوْلِ الْقِيَامِ فِي الصَّلَاةِ لِتَمَكِّنَ مَعْرِفَتِهِ، وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ، وَزَلَّتْ أَقْدَامُهُمْ حِينَ ادَّعَوْا الْمَعْرِفَةَ. وَقَالُوا بِتَرْكِ الشَّرِيعَةِ، وَرَأَوْا ذَلِكَ مِنَ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى. وَلَمْ يَشْعُرُوا بِأَنَّ ذَلِكَ تَعْطِيلٌ وَكُفْرٌ وَحَاشَا الْمَعْرِفَةَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ إِمَامُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ، وَسَيِّدُ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ أَبُو الْقَاسِمِ الْجُنَيْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْقَوْلُ بِإِسْقَاطِ الْأَعْمَالِ عِنْدِي عَظِيمٌ وَالَّذِي يَسْرِقُ وَيَزْنِي، أَحْسَنُ حَالًا عِنْدِي مِنَ الَّذِي يَقُولُ بِإِسْقَاطِ الْأَعْمَالِ؛ أَيِ الشَّرِيعَةِ». قَالَ النَّقِشْبَنْدِيُّ: وَقَدْ صَدَّقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَإِنَّ السَّارِقَ وَالزَّانِيَ عَاصِرِ بَسْرَقَتِهِ وَزِنَاةِ. وَلَا يَصِلُ إِلَى حَدِّ الْكُفْرِ. وَأَمَّا الْقَاتِلُ بِسُقُوطِ الْفَرَائِضِ. وَتَحْلِيلِ الْمَحْرَمَاتِ الْمُعْتَقَدُ لِذَلِكَ فَقَدْ انْسَلَّ الْإِيمَانُ مِنْهُ إِسْلَالُ الشَّعْرَةِ مِنَ الْعَجِينِ. ثُمَّ قَالَ الْجُنَيْدُ: «فَإِنَّ الْعَارِفِينَ أَخَذُوا الْأَعْمَالَ مِنَ اللَّهِ». ثُمَّ قَالَ: وَلَوْ بَقِيََتْ أَلْفُ عَامٍ لَمْ أَنْقُصْ مِنَ الشَّرِيعَةِ ذَرَّةً. ثُمَّ قَالَ السَّاحِلِيُّ فِي آدَابِ الْمَعْرِفَةِ: الثَّلَاثُ: مَلَازِمَتُهُ الْهَيْبَةُ، وَالصُّعُودُ إِلَى غَايَتِهَا. فَإِنَّ الْهَيْبَةَ مِنْ أَمَارَاتِ الْمَعْرِفَةِ، كُلَّمَا ازْدَادَتْ مَعْرِفَتُهُ ازْدَادَتْ هَيْبَتُهُ. وَقَدْ يُعَبَّرُ عَنِ الْهَيْبَةِ بِالْخَشْيَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. وَقَالَ ﷺ: «أَنَا أَعْرِفُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ خَشْيَتَهُ». فَإِنَّ قَوْلَ: كَلَامَكَ يَشِيرُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ: مَحْوٌ مُطْلَقٌ. وَالْمَحْوُ الْمَطْلُوقُ: فَنَاءٌ عَنِ الرُّسُومِ وَالصِّفَاتِ، وَالْهَيْبَةُ مِنَ الرُّسُومِ وَالصِّفَاتِ. فَالْجَوَابُ أَنَّ الْمَعَارِفَ، وَإِنَّ كَانَ يَهْدِيهِ الْمَثَابَةَ مِنَ الْاسْتِغْرَاقِ فِي مَعْرِفَتِهِ. وَالِاسْتِهْلَاكُ فِي مَوْجُودِهِ لِشُهُودِهِ. فَمِنْ عِلَامَاتِ قُرْبِهِ، وَإِنْ اخْتَلَطَ عَنْ إِحْسَاسِهِ، أَنَّ تَبَقَّى رُسُومَ الْأَدَبِ مَحْفُوظَةً عَلَيْهِ، بِحِفْظِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهَا عَلَيْهِ. وَإِقَامَتُهُ فِيهَا مَقَامَ الْحَمْدِ، فَيَكُونُ

سِرّه مستغرقاً في شهودِهِ وَرَسْمِهِ . قائماً بوظائف معبودِهِ مِنَ البُغْيَةِ . وَلِلَّهِ دَرُّ سِيدِي
عَبْدِ اللهِ الهَبْطِي حَيْثُ قَالَ فِي مَنْظُومَتِهِ ؛ الَّتِي سَمَّاهَا شَمْسُ الضُّحَى :

وئالِكَ الفُضُولِ فِي الشَّرِيعَةِ لِأَنَّهَا إِلَى الهُدَى ذَرِيعَةٌ
فَكُلُّ بَابٍ دُونَهَا مَسْدُودٌ وَمَنْ أَتَى مِنْ غَيْرِهَا مَزْدُودٌ
قَدْ اضْطَرَّ قَاهَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ بِفَضْلِهِ وَجُودِهِ عَلَى المِلَلِ
طَرِيقَةُ الرَّخْمَنِ لِلْعَدَنَانِ مَخْفُوفَةٌ بِالثُّورِ وَالرُّضْوَانِ
طُوبَى لِمَنْ أَتَى بِهَا لِلعَرَضِ وَالْوَيْلُ لِلَّذِي بِهَا لَمْ يَفْضِ

وَإِنَّمَا أَطَلْتُ الكَلَامَ هُنَا ؛ لِأَنِّي رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنَ الفُقَرَاءِ خَلُّوا يَدَهُمْ مِنَ
الشَّرِيعَةِ . وَظَهَرَ عَلَيْهِمُ المَسْحُ وَالبُعْدُ وَالعِيَادُ بِاللهِ مِنَ السُّلْبِ بَعْدَ العَطَاءِ . ثُمَّ حَدَرَ
الشيخ من الوقوف مع مُجَرِّدِ العَقْلِ ؛ لِأَنَّهُ مَعْقُولٌ عَنِ شُهُودِ الأَسْرَارِ فَقَالَ :

أَمَامَكَ هَوْلٌ فَاسْتَمِعْ لِوَصِيَّتِي عِقَالٌ مِنَ العَقْلِ الَّذِي مِنْهُ قَدْ تُبِنَا
قُلْتُ : عِقَالٌ بَدَلٌ مِنْ هَوْلٍ . يَقُولُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قُدَامَكَ أَيُّهَا السَّائِرُ هَوْلٌ
عَظِيمٌ ؛ وَهُوَ عِقَالٌ فِكْرَتِكَ عَنِ التُّفُودِ إِلَى مَيَادِينِ الغُيُوبِ ، وَفَضَاءِ الشُّهُودِ . وَهَذَا العِقَالُ
هُوَ عَقْلُكَ ، حَيْثُ وَقَفْتَ مَعَهُ . وَلَمْ تُذَرِكْ إِلَّا مَا أَدْرَكَهُ مِنْ صِنْعَةِ الكَوْنِ . وَافْتِقَارَهُ إِلَى
صَانِعِهِ ، وَلَمْ تَتَفُذْ إِلَى مَا وَرَاءَهُ مِنْ شُهُودِ المُكُونِ فِي مَظَاهِرِ مُكُونَاتِهِ . فَإِنَّ أَسْرَارَ
المَعَانِي خَارِجَةٌ عَنِ دَائِرَةِ العُقُولِ وَإِحَاطَةُ التُّقُولِ كَمَا قَالَ ابْنُ الفَارُضِ فِي تَائِيَّتِهِ :

وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ طَيَّشَتْهُ طُرُوسُهُ بِحَيْثُ اسْتَحَفَّتْ عَقْدَهُ وَاسْتَفْرَّتْ
فَنِمَّ وَرَاءَ الثَّقَلِ عِلْمٌ يَدِقُّ عَنِ مَدَارِكِ غَايَاتِ العُقُولِ السَّلِيمَةِ
تَلَقَّيْتَهُ عَنِّي وَمَنِّي أَخَذْتَهُ وَنَفْسِي كَانَتْ مِنْ عَطَاءِ مَمْدَتِي

فَاسْتَمِعْ لِوَصِيَّتِي ؛ وَهِيَ لَا تَقِفُ مَعَ تَوَهُّمَاتِ العَقْلِ . وَتَخِيلَاتِهِ الَّتِي تُبْنَى
مِنْهَا . وَرَجَعْنَا إِلَى رَبِّنَا ، فَاسْتَغَلْنَا بِذِكْرِهِ ، ذِكْرًا مُتَّصِلًا . وَتَرَكْنَا حُطُوظَنَا وَلُحُوظَنَا
فَأَشْرَقَتْ عَلَيْنَا الأَنْوَارُ ، وَلَا حَتَّ عَلَيْنَا الأَسْرَارُ ، فَخَرَجْنَا عَنِ دَائِرَةِ الأَكْوَانِ . وَأَفْضَيْنَا
إِلَى قَضَاءِ الشُّهُودِ وَالعِيَانِ بَعْدَ صَحْبَةِ المَشَايخِ وَخِدْمَتِهِمْ وَامْتِثَالِ أَمْرِهِمْ ، وَلَوْ أَفْضَى
إِلَى العَطَبِ وَتَضَدِيقِ قَوْلِهِمْ . وَلَوْ كَانَ مُحَالًا ، كَمَا قَالَ الشاذلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :
«إِذَا جَالَسْتَ إِلَى الكُبْرَاءِ ، فَدَعْ مَا تَعْرِفُ لِمَا لَا تَعْرِفُ ؛ لِتَفُوزَ بِالسِّرِّ المُكْنُونِ» . ثُمَّ
ذَكَرَ وَبَالَ مَنْ وَقَفَ مَعَ عَقْلِهِ فَقَالَ :

أَبَادَ النَّورَى بِالْمُشْكِلَاتِ وَقَبَلَهُمْ بِأَوْهَامِهِ قَدْ أَهْلَكَ الْجِنَّ وَالْبَيْتَا
 الْجِنُّ وَالْبَيْنُ: قَبِيلَتَانِ مِنَ الْجِنِّ، عَمَّرَتَا الْأَرْضَ قَبْلَ آدَمَ. هَكَذَا وَجَدَ بِحَظِّ
 النَّوَوِيِّ مِنْهُمْ أَسْوَدَ الْبُهْمِ، أَوْ سَفَلَةَ الْجِنِّ وَضَعَفَاؤُهَا، فَقَدْ ذَكَرَهُ فِي الْقَامُوسِ
 وَنُصَّهُ: وَالْجِنُّ بِالْكَسْرِ: حَيٌّ مِنَ الْجِنِّ مِنْهُمْ الْكَلَابُ السُّودُ الْبُهْمُ أَوْ سَفَلَةُ الْجِنِّ
 وَضَعَفَاؤُهُمْ أَوْ كِلَابُهُمْ أَوْ خَلَقَ بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ. وَأَمَّا الْبَيْنُ: فَقَالَ فِي الْقَامُوسِ
 أَيْضًا: الْبَيْتَةُ: الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ. ثُمَّ قَالَ: وَمَوْضِعٌ بِكَائِلٍ، وَبَلَدَةٌ بِبَغْدَادَ. وَحِصْنٌ
 بِالْأَنْدَلُسِ. فَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ مِنْ قَبَائِلِ الْجِنِّ. لَكِنْ مَنْ أَثْبَتَ حِجَّةً، وَلَمْ يَذْكُرْهُ فِي مَادَّةِ
 الْمُقْصُورِ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي دَمِّ الْعَقْلِ لِمَنْ وَقَفَ مَعَهُ، وَحَكَمَهُ فِي أُمُورِ
 عِقَابَتِهِ: أَبَادَ النَّورَى: أَي أَهْلَكَهُمْ وَأَتَلَفَهُمْ بِالْمُشْكِلَاتِ النَّظَرِيَّةِ. رَدًّا وَقَبُولًا إِذِ الْعَقْلُ
 إِذَا لَمْ يَتَأَيَّدْ بِأَنْوَارِ الشَّرِيعَةِ، وَلَمْ يَقِفْ مَعَ الْحِجَابِ الْأَعْظَمِ؛ وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ ضَلَّ
 وَأَضَلَّ. وَهَذَا سَبَبُ هَلَاكِ الْمُعْتَرِلَةِ، وَالْقَدْرِيَّةِ، وَالْحَمَامِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الطَّوَائِفِ
 الضَّالَّةِ: الْإِثْنِينَ وَالسَّبْعِينَ الْمُفْتَرِقَةَ فِي هَذِهِ الْمِلَّةِ. وَمَنْ قَبَلَهُمْ مِنَ الْفَلَسَافَةِ،
 وَالطَّبَائِعِيِّينَ وَأَضْرَابِهِمْ حَيْثُ لَمْ يَتَّقِدُوا بِالْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ. بَلِ اسْتَضَعَرُوهُ كَمَا قَالَ
 تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾، أَي وَتَهَانُوا بِغَيْرِهِ
 بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾. قِيلَ إِنَّهُ صَادِقٌ بِالْفَلَسَافَةِ. وَإِنَّهُمْ
 اعْتَقَدُوا أَنَّ عِنْدَهُمْ مَا يَسْتَغْنُونَ بِهِ عَنِ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وَلَمَّا سَمِعَ بُقْرَاطُ
 الْحَكِيمُ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. قِيلَ لَهُ: لَوْ هَاجَزْتَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «نَحْنُ قَوْمٌ مُؤَدَّبُونَ فَلَا
 حَاجَةَ إِلَيَّ مِنْ يَهْدِينَا». وَرَأَى بَعْضُ الصَّالِحِينَ النَّبِيَّ ﷺ. فَسَأَلَهُ عَنِ ابْنِ سَيْنَاءَ.
 فَقَالَ ﷺ: «إِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَصِلَ إِلَى اللَّهِ بِدُونَ وَسِطَةٍ، فَانْقَطَعَ عَنِ اللَّهِ». وَعَلَى فَرَضِ
 وَقُوفِهِمْ بَعْدَ رِيَاضَةِ النَّفْسِ، وَتَهْدِيبِهَا، عَلَى التَّجَرُّدِ وَانْكَشَافِ قُدْسِ حَضْرَةِ الْحَقِّ.
 فَلَا يَظْفَرُونَ بِالْعُبُودِيَّةِ، وَلَا بِالْفَنَاءِ فِي تَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ، وَالتَّخْلِيسِ مِنْ لَوْثِ
 وَجُودِهِمْ. وَالشَّأْنُ أَنْ تَكُونَ عَيْنُ الْأَسْمِ. لَا أَنْ تَعْرِفَ الْأَسْمَ وَالْعَيْنَ وَإِنَّمَا تُفْتَبَسُ
 مِنْ مَشْكَاتِ مَهَيْطِ الْوَحْيِ. وَانْصِبَابِ أَنْوَارِ الْغَيْبِ. إِنَّمَا تَفِيضُ بِوَسِطَةِ دَرَّةِ الْوُجُودِ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَتَظْهَرُ سِرُّ الْعِيَانِ الْأَحَدِيِّ الْأَحْمَدِيِّ. فَافْهَمْ. قَالَ شَيْخُ شَيْوَحْنَا
 سَيْدِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَاسِي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَرَضِيَ بِهِ عَنَّا.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ مَجْرَدَ الْعَقْلِ لَا يَنْجِي صَاحِبَهُ. بَلِ يَضُرُّهُ إِنْ وَقَفَ مَعَهُ. وَلَا
 يَصِلُ السَّالِكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِالْغَيْبَةِ عَنْهُ فَيَتَلَقَّى فِي بَدَائِئِهِ مَا يَرِدُ مِنْ قِبَلِ شَيْخِهِ
 بِالْقَبُولِ وَلَوْ كَانَ مُحَالًا فِي نَظَرِهِ. فَإِذَا دَخَلَهُ الْحَضْرَةُ، تَلَقَّى مَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ.
 وَتَرَكَ عَقْلَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ؛ لِأَنَّ نُورَ الْعَقْلِ كَالْقَمَرِ، وَنُورَ الْمَعْرِفَةِ كَالشَّمْسِ وَلَا وَجُودَ

لنور القمر عند طلوع الشمس؛ وهذا قبل كمال تصفيته كما يأتي. وقوله: وقبلهم قد أهلك بأوهامه الجن والبنا. يعني أن العقل قبل الورا؛ أي الإنسان أهلك بأوهامه وتزيينه؛ قبيلتين من الجن. زين لهم الكفر والفساد حتى حازبتهم الملائكة وأسارت أباهم إبليس فأسلم وعبد في السماوات. فلما أمر بالسجود له. فهمه التكبر. فطرد وأبعد ولو خرج عن رأي عقله. ما استعمل القياس الفاسد في تفضيل النار على الطين. وبالله التوفيق. وإذا كان العقل مهلكة. فعزله واجب. وعليه السلوك. كما أبان ذلك بقوله:

يقول رضى الله عنه: محجبتنا أي طريقنا التي نسلكها إلى ربنا هي قطع الحجب. أي العقل والغيب عنه بالاشتغال بذكر الله. والفناء فيه. حتى تفيض علينا أنوار المواجهة والشهود فتغيب عن الشاهد في المشهود. فليست طريقتنا طريقة الاستدلال: لفهم الطريق. حتى نحتاج إلى العقل إنما هي طريقة أدواق ووجدان، يغيب الدليل في المدلول. والذاكر في المذكور، والواصل في الموصول فنستدل بالله على غيره فلا نجد؛ وهذا هو حجنا. وغاية بغيتنا. وعرفة وقوفنا. من وصل إليه تم نسكه وحجه. ومن تعوق عنه خاب سعيه. وضاع تعب. وهذا أيضاً حجتنا. وبزهان معرفتنا. فما دام السالك يفتقر إلى الاستدلال فهو في الطريق. فإذا استغنى عن الدليل بشهود المدلول عليه ورؤيته فقد تحقق وصوله. وفي الحكم: «إلهي كيف يستدل عليك بمن هو في وجوده مفتقر إليك. أكون لغيرك من الظهور ما ليس لك. حتى متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ وقول الحكم: بمن هو في وجوده مفتقر إليك. يشير إلى جس الكائنات. مع أنها لا وجود لها أصلاً. إذ المعرفة استهلاك الجس في المعنى. وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه: «كيف يعرف بالمعارف. من به عرفت المعارف». وأنشدوا:

عجبت لمن يبغى عليك شهادة وأنت الذي أشهدته كل شاهد
وفكرة الاعتبار التي فيها شيء من العقل تغمش عين البصيرة التي هي مبنى
فكرة الاستبصار. فلا تخلف فكرة الاستبصار إلا بقطع مواد العقل والاستدلال.
وقوله: تتلوه باء. أي وتتلوه ما ذكر من حجنا وحجيتنا بآء الوخدة. فقد تهنا بها.
وغبتنا في بحرها عن وجودنا ورسمنا وعقلنا وفهمنا. ولله در سيدي عبد الرحمن
المجدوب حيث قال:

يا قارئين علم التوحيد هنا البحور اللى تغيب

هَذَا مَقَامَ أَهْلِ التَّجْرِيدِ الْوَاقِفِينَ مَعَ رَبِّي
 وَبَاءَ الْوَحْدَةِ تَشِيرَ إِلَى بِي كَانٍ، وَمَا يَكُونُ، فِي تَوْحِيدِ الْأَفْعَالِ، وَبِي قَامَتِ
 الْأَشْيَاءُ فِي تَوْحِيدِ الذَّاتِ. فَإِذَا غَرِقَ الْعَبْدُ فِي تَيَّارِ بَحْرِ الذَّاتِ. غَابَ عَنِ حُكْمِ
 عَقْلِهِ. وَاسْتَعْتَى بِشُهُودِ رَبِّهِ، عَنِ الْإِسْتِدْلَالِ بِعَقْلِهِ. إِذْ لَيْسَ الْخَبْرُ كَالْعِيَانِ. وَنُقْطَةُ
 الْبَاءِ يُشِيرُونَ بِهَا إِلَى نُقْطَةِ الْكَوْنِ. فَإِنَّهُ مَظْهَرُ تَجَلِّيِ الذَّاتِ. وَمُعْرَفَ لَهَا. كَمَا
 عُرِفَتِ الْبَاءُ بِتَقْطِيعِهَا. وَقَدْ سَأَلَ الْجُنَيْدُ الشُّبْلِيَّ مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا نُقْطَةُ الْبَاءِ. فَأَجَابَهُ
 الْجُنَيْدُ بِتَحْقِيقِ ذَلِكَ. إِذْ قَالَ:

«أَنْتَ لَشَاهِدِهِ مَا لَمْ تَجْعَلْ لِنَفْسِكَ قَدْرًا». أَنْتَ مُحَقِّقٌ لِمَعْرِفَتِي لِأَنَّهُ شَيْخُهُ.
 مَا لَمْ تُثَبِّتْ لِنَفْسِكَ وَجُودًا مَعَ الْحَقِّ لِأَنَّ النُّقْطَةَ لَهَا انْفِصَالٌ عَنِ الْبَاءِ. وَلَا انْفِصَالٌ
 لِلْعَارِفِ عَنِ مُوجِدِهِ. وَلَا لِلْكَوْنِ بِأَسْرِهِ عَنِ التَّجَلِّيِّ بِهِ. وَقَدْ أَشَارَ النَّازِمُ إِلَى هَذَا
 الْمَعْنَى، فِي قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ. حَيْثُ قَالَ فِيهَا:

نُقْطَةُ الْبَاءِ كُنْ إِذَا شِئْتَ تَسْمُو أَوْ قَدَعْ ذَكَرَ قُرْبَانًا يَا مَوْلَهُ
 وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُشِيرَ بِنُقْطَةِ الْبَاءِ هُنَا إِلَى الْعِبُودِيَّةِ؛ وَهِيَ التَّجَلِّيُّ بِالسُّفْلِيَّاتِ، دُونَ
 الْعُلُوبِيَّاتِ. فَإِنَّهَا سَبَبُ الْعِزِّ وَالْإِزْتِفَاعِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.
 وَمَنْ وَيَالِ الْوُقُوفِ مَعَ الْعَقْلِ أَنَّهُ يُبْطِئُ السَّيْرَ لِمَا قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُبْطِئُنَا عَنِ
 الصُّعُودِ لِأَنَّهُ، يَوْذُ لَوْ أَنَّ لِلصَّعِيدِ قَدْ أَخْلَدْنَا.

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَأْنِ الْعَقْلِ، أَنَّهُ يُبْطِئُنَا؛ أَي يَعْوِفُنَا عَنِ الصُّعُودِ عَنْهُ
 إِلَى أَسْرَارِ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ. بِالْوُقُوفِ مَعَ دَلَائِلِهِ وَحُجَجِهِ؛ لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّ مَا أَدْرَكَهُ لَا
 غَايَةَ فَوْقَهُ. وَأَسْرَارُ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ خَارِجَةٌ عَنِ مَدَارِكِ الْعُقُولِ وَإِنَّمَا كَانَ يُبْطِئُنَا عَنِ
 الصُّعُودِ مِنْهُ إِلَى التَّرْقِيِّ فِي مَدَارِجِ الْأَسْرَارِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُحِبُّ أَنْ تُفَارِقَهُ. بَلْ يُحِبُّ
 بَقَاءَنَا فِي عَقَالِهِ أَبَدًا.

وَكَذَلِكَ الْعَوَائِدُ الَّتِي تَعْوِذُنَا بِهَا، لَا نَحِبُّ أَنْ نُفَارِقَهَا. وَحُظُوظُ النَّفْسِ لَا
 تُحِبُّ أَنْ تَخْرُجَ عَنْهَا. بَلْ جَمِيعُ ذَلِكَ يُحِبُّ أَنْ نَخْلُدَ لِلصَّعِيدِ؛ أَي نَقِيمَ فِي عَالَمِ
 الْأَشْبَاحِ، وَهُوَ عَالَمُ الصَّلْصَالِ حَتَّى نَبْقَى فِي قِيَادِهِ مَرْهُونًا مَعَهُ. فَيَشْغَلُنَا الْعَقْلُ
 بِعِلْمِيَّةِ وَفَهْمِيَّةِ وَأَوْهَامِهِ وَأَحْكَامِهِ. وَتَشْغَلُنَا الْعَوَائِدُ بِالْوُقُوفِ مَعَهَا. وَالنَّفُوسُ
 بِالْعُكُوفِ عَلَى حُظُوظِهَا. وَكُلُّ هَذَا مَانِعٌ مِنْ إِشْرَاقِ أَنْوَارِ التَّوْحِيدِ. وَالْعُرُوجِ إِلَى
 أَسْرَارِ التَّغْرِيدِ. فَلَا بُدَّ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ الْعَقْلِ وَخَرْقِ الْعَوَائِدِ، وَمُخَالَفَةِ النَّفُوسِ،

والأبقينا في عالم الأشباح محجوبين عن عالم الأزواج، مسجونين في ظلمة الأكوان. عن شهود المكون.

تبيه: ما ذكره الشيخ من ذم العقل، إنما هو لمريد سلوك طريق الأذواق. فلا بد أن يتعزل أولاً عن عقله وعلمه، وفهمه، وينظر ما يشير عليه شيخه. فإذا رُجَّ به في نور الحضرة، استغنى بذوقه عن عقله، وأما من قنع بمقام الإيمان، وبقي في محل الاستدلال والبُزْهَانِ. فلا بد من استغماله والاستغناء بشأنه في استخراج البراهين العقلية، والثقلية. فما عرف الإله إلا به. ولا عبد إلا به. وفي الحديث: «قوام المرء عقله. ولا دين لمن لا عقل له».

وقال عليه الصلاة والسلام: «المغبون من أخطأ خطه من العقل. ولا توصل الناس بشيء أفضل منه في الدنيا والآخرة». وقال أيضاً: «أساس الدين العقل، وسيد الناس: أعقلهم». وقال: «سيد أهل الجنة بعد المرسلين: أفضلهم عقلاً. وأفضل الناس: أعقل الناس». وقال: «موت ألف عابد صائم النهار قائم الليل. أهون من موت عاقل عقل عن الله أمره ونهيه وما أحل له، وما حرم عليه. وانتفع بعلمه ونفع به وإن كان لا يزيد عن الفرائض التي فرض عليه كبير زيادة».

وقال ﷺ: «قسم الله العقل على ثلاثة أقسام، فمن كن فيه كمل عقله. ومن لم يكن فيه فلا عقل له: حسن المعرفة بالله. وحسن الطاعة. وحسن الصبر على أمره». والعقل على قسمين: عقل موهوب، وعقل مكسوب. فالموهوب هو الذي يستعمله صاحبه فيما يفرضه إلى الله. ويعرفه به. والمكسوب: الذي يكسبه العبد بالتجارب والمحن. ويستعمله صاحبه في أمور دنياه. والله تعالى أعلم. ثم أخذ في ذكر تطوراتيه وتحولاتيه فقال:

تلوح لنا الأطوار منه ثلاثة كراء ومرزئي ورؤية ما قلنا

يقول رضى الله عنه: إن العقل يتطور باختيار كماله ونقصانه به، على ثلاثة أطوار: فتارة يُنظر فيه باختيار الرائي، أي الناظر به، فيتطور بوضفه، فإن كان الناظر به كاملاً، اتصف عقله بالكمال، وإن كان ناقصاً، اتصف بالنقصان في الرائي. باعتبار عرفانه وإتقانه. وزهده ورزعه. وصلاحه وكمال طاعته، وقربه من ربه، أو باختيار جهله وضعف يقينه، وحرصه وطمعه. وفزعه وفسقه، وبُعدِهِ من ربه.

فالعقل يزداد نوره بالطاعة، والنزاهة والعفة. والتفرغ من الشواغل وينقص بالمعصية والحرص، وحب الدنيا، والحظوظ واتباع الهوى. كما قال الشاعر:

إِنَارَةَ الْعَقْلِ مَكْسُوفٍ بِطُوعِ الْهَوَى وَعَقْلٌ عَاصِي الْهَوَى يَزْدَادُ تَشْوِيرًا
وتارة يُنظر فيها بِإِعتبارِ الْمَرْئِي أَي الْمُنظُورِ فِيهِ . فَيَتطَوَّرُ بِنَعْيِهِ ، فَإِنْ كَانَ عِلْمًا
نافعة ، أَوْ أَحْوَالًا سَيِّئَةً ، يُرِيدُ التَّجَلِّيَ بِهَا . فَيَنْظُرُ فِي سَبَبِهَا . أَوْ مَقَامَاتٍ عَالِيَةٍ يَرِيدُ الرُّقْيَ
إِلَيْهَا . لِكَمَالِ ، أَوْ مَعْرِفَةِ كَامِلَةٍ يَرِيدُ الصُّعُودَ إِلَيْهَا . فَيَتَفَكَّرُ بِعَقْلِهِ فِي مَعَارِجِهَا . فَهَذَا
العقل كَامِلٌ لِكَمَالِ الْمُنظُورِ فِيهِ . وَهُوَ الْمُرَادُ بِالْمَرْئِي . وَإِنْ كَانَ الْمَرْئِي أَي الْمُنظُورُ فِيهِ
ناقصاً . كَعُلُومٍ حَدِيثِيَّةٍ . أَوْ فِلْسُفِيَّةٍ . أَوْ أَقْوَالٍ فَاسِدَةٍ . تُسَوِّسُ بِنُذْرَةِ الْإِيمَانِ ، أَوْ أَنْظَارًا
تَخِيلِيَّةٍ أَوْ وَهْمِيَّةٍ لِأَحْقِيقِيَّةٍ . وَنَقَسَ عَلَى هَذَا . فَهَذَا الْعَقْلُ نَاقِصٌ بِإِعتبارِ الْمُنظُورِ فِيهِ .
وتارة النَّظْرُ بِإِعتبارِ مَا قُلْنَا فِيهَا سَلْفٌ ، فَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ مُرِيدًا طَرِيقَ الْأَذْوَاقِ وَالْوُجْدَانِ .
فَالنَّظْرُ بِهِ نَقْصَانٌ ، وَالْوُقُوفُ مَعَهُ خِذْلَانٌ . وَإِنْ كَانَ قَاصِدًا تَصْحِيحِ مَقَامِ الْإِيمَانِ . عَلَى
طَرِيقِ الْإِسْتِدْلَالِ وَالْبُرْهَانِ . فَالنَّظْرُ بِهِ كَمَالٌ . وَإِعتبارُهُ وَاجِبٌ فِي الْبَرَاهِنِ الَّتِي لَا تَدْرِكُ
إِلَّا بِهِ فِي بَابِهِ . وَإِنْ أَيْدَهُ بِأَنْوَارِ الشَّرِيعَةِ . مِنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ . فَهُوَ كَمَالُ الْكَمَالِ ؛ وَهَذَا
مَعْنَى قَوْلِهِ : تَلَوُّحٌ : أَي تَظْهَرُ لَنَا الْأَطْوَارُ مِنْهُ ثَلَاثَةٌ . تَارَةً يَتَطَوَّرُ كِرَاءً بِهِ . وَتَارَةً كَمَرْئِي
فِيهِ . وَتَارَةً كَرُويَّةٍ مَاءٍ . كَمَا قُلْنَا فِيهَا تَقَدُّمٌ مِنَ التَّفْصِيلِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . ثُمَّ ذَكَرَهُ النَّاطِمُ
أَطْوَارًا . بِإِعتبارِ الرَّأْيِ فَقَالَ :

وَيَبْصُرُ عَبْدًا عِنْدَ طَوْرِ بَقَائِهِ وَيَرْجِعُ مَوْلَى بِالْفَنَاءِ وَهُوَ لَا يَفْنَى

يعني أَنَّ الْعَقْلَ يَتَطَوَّرُ أَيْضًا بِإِعتبارِ الرَّأْيِ فِي مَقَامِ الْبَقَاءِ وَالْفَنَاءِ ، وَالسَّلُوكِ
وَالجَذْبِ ، فَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ فِي مَقَامِ الْبَقَاءِ الْأَوَّلِ . وَهُوَ مَقَامُ الْحِجَابِ ، أَبْصَرَ الْعَقْلُ .
وَرَأَى عَبْدًا ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ عَبْدٌ . مَا بَرِحَ عَنِ مَقَامِ الْعِبُودِيَّةِ ؛ وَهُوَ السَّلُوكُ الْأَوَّلُ عِنْدَ
غَيْبُوبَتِهِ . وَيُسَمَّى مَقَامَ الْجَذْبِ . وَهُوَ اخْتِطَافُ الْعَقْلِ . مِنْ شَهُودِ الْكَوْنِ إِلَى شَهُودِ
الْمُكُونِ . أَوْ مِنْ شَهُودِ الْخَلْقِ إِلَى شَهُودِ الْحَقِّ . فَالْعَقْلُ لَا يَفْنَى بِفَنَاءِ صَاحِبِهِ . وَإِنَّمَا
يَتَغَطَّى نُورُهُ بِنُورِ شَمْسِ الْعِرْفَانِ . كَنُورِ الْقَمَرِ مَعَ الشَّمْسِ وَكَمَا أَنَّهُ يَتَغَطَّى نُورُهُ بِالْخَمْرَةِ
الْحَسِيَّةِ . كَذَلِكَ يَتَغَطَّى بِالْخَمْرَةِ الْمَعْنُويَّةِ الْأَرْثِيَّةِ . فَإِذَا صَحَّ الْمُرِيدُ مِنْ سَكْرَتِهِ ، وَخَرَجَ
مِنَ الْفَنَاءِ إِلَى الْبَقَاءِ . رَجَعَ نُورُ الْعَقْلِ إِلَيْهِ . فَيَمِيزُ بِهِ بَيْنَ الْحَسِّ وَالْمَعْنَى . وَبَيْنَ الْحِكْمَةِ
وَالْقُدْرَةِ . وَبَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ . فَيُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ . وَكُلَّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ .
فَالْبَقَاءُ بَقَاءً أَوَّلًا : وَهُوَ بَقَاءُ النَّفْسِ . وَحَقِيقَتُهُ : شَهُودُ الْخَلْقِ بِلَا حَقِّ . وَبَقَاءً ثَانٍ
بِقَاءِ بِاللَّهِ : وَهُوَ شَهُودُ خَلْقِ بِحَقِّ . فَمُرَادُ النَّاطِمِ : الْأَوَّلُ ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ عَبْدٌ مُحْضٌ . وَأَمَّا
الْبَقَاءُ الثَّانِي ، فَصَاحِبُهُ مَخْيِرٌ . إِنْ رَأَى إِلَى نَفْسِهِ رَأَى نَفْسَهُ عَبْدًا . وَإِنْ نَظَرَ إِلَى مَعْنَاهُ :
رَأَى مَرًّا . فَهُوَ يَتَطَوَّرُ كَيْفَ يَشَاءُ : الْعِبُودِيَّةَ طَوْعًا يَدِهِ . وَالْحَرِيَّةَ طَوْعًا يَدِهِ . وَهَذَا هُوَ
الْعَارِفُ الْكَامِلُ يَطُورُ الْعَقْلَ لَوْحًا وَقَلَمًا . كَمَا أَبَانَ ذَلِكَ النَّاطِمُ بِقَوْلِهِ :

وَلَوْحًا إِذَا لَاحَتْ سَطُورُ كَيَانِنَا لَهُ فِيهِ وَهُوَ اللَّوْحُ وَالْقَلَمُ الْأَدْنَى
يقول رضى الله عنه: ويبصر العقل أيضاً لوحاً. أي كاللوح المحفوظ إذا
لاحت سَطُورُ الكَائِنَاتِ إِذَا صَفَا وَتَطَهَّرَ نوره حتى اتصل بالعقل الأكبر؛ وهو أَوْلُ
نور فَيَبْصُرُ من بَحْرِ الجبروت. وفي الحديث: «أَوْلُ ما خلق الله العقل. فقال له:
أقبل، فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر. ثم قال: فوعزتي وجلالي لا أعطيك إلا لمن
أخبت من عبدي. وهو حديث متكلم فيه بالوضع والضعف. ويسمى أيضاً هذا
العقل: الرُّوحُ الأعظم، فَإِذَا تَطَهَّرَتِ الرُّوحُ، وَكَمَّلَ صَفَاوَهَا، استولى نورها على
الكائِنَاتِ بِأَسْرِهَا. فالعقل والرُّوحُ إِذَا كَمِلَ تطهيرهما انطوى فيهما جميع الكائنات
وصار كاللوح المحفوظ، وإلى ذلك أشار في المباحث الأصلية بقوله:

أَعْقِلْ فَأَنْتَ نَسْخَةُ الوجودِ لَهُ مَا أَغْلَاكَ مِنْ موجودِ
أَلَيْسَ فِيكَ العرشُ وَالْكُرْسِيُّ وَالْعَالَمُ العُلُوي وَالسَّنْفَلِي
مَا الكونُ إِلَّا رَجُلٌ كَبِيرٌ وَأَنْتَ كَوْنٌ مِثْلُهُ صَغِيرٌ
وقال النظام في بعض أَرْجَالِهِ:

وَأَنْتَ مَرَأَى لِلنظرِ قَطْبَ الزمانِ وفِيكَ يطوى ما انتشر مِنَ الأواني.

وقوله هنا: سَطُورُ كَيَانِنَا، أضله كواننا، فيجمع على أكوانٍ وَكَوَانٍ. أي يصير
لوحاً، إِذَا لَاحَتْ سَطُورُ أَكْوَانِنَا لصاحبه فيه: أي فِي عَقْلِهِ؛ وهو حينئذ اللَّوْحُ
المحفوظ الأَدْنَى والقلم الأَدْنَى: أي الأصغر، إِذِ الأكبر هو اللَّوْحُ المحفوظ؛
والقلم الذي يكتب فيه. وَمِنْ تَصَرُّفِهِ بالقلمية فِي لوحه ما ذكر الناظم بقوله:

يَمُدُّ خُطُوطَ الدَّهْرِ عِنْدَ التَّفَاتِهِ إِحْاطَتُهُ القُضُوى الَّتِي فِيهَا أَظْهَرْنَا

يقول رضى الله عنه: لَمَّا شَبَّهَ العقل بِالْقَلَمِ إِذِ اتَّصَلَ نوره بِالْعقلِ الأكبرِ يمدُّ
هذا العقل خطوط الدهر، فَيُجَلِّي فِيهِ المَاضِي والآتي والحال. فَكَأَنَّ الأَزْمَنَةَ قد
كَتَبَتْ وسطرت فِي مرآته، من مدد نوره عند التَّفَاتِهِ إِلَيْهَا فيرى الأول عين الآخر.
والماضي عين الحال. إِذِ المتجلي فِي الأزمنة واحد، وهذه إِحاطته القُضُوى،
وغاية إدراكه. وأما تفاصيل كَيْفِيَّتِهَا وما يقع فِيهَا مِنَ المقدورات. فمن شأن
الرَّبُوبِيَّةِ؛ لأنَّنا فِي هذه الأزمنة ظَهَرْنَا، وَظَهَرَ وجودنا. فلا نعرف وراءه تَفْصِيلاً.
وهي سِدْرَةٌ منتهى العقل، كما أَبَانَ ذَلِكَ النَّاظِمُ بقوله:

أَقْسامُ دُوَيْسَنِ الدَّهْرِ سِدْرَةٌ ذَاتِهِ وَنَحْنُ وَوَصْفُ الكُلِّ فِي وَصْفِهِ صِرْنَا

قلتُ: دُوْنَيْنِ: تَصْغِيرِ دُونٍ؛ وهو ظرف لَأَقَامٍ، والدَّهْرُ عبارة عن مرور الفلكِ، وسِدْرَةٌ مفعول أقامَ. ونحن مبتدأ، وصِرْنَا حَبْرٌ. وفي وصفه متعلق به. يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي شَأْنِ الْعَقْلِ الْأَضْعَفِ، أَنَّهُ أَقَامَ سِدْرَةَ ذَاتِهِ، وَمُنْتَهَى عِلْمِهِ، دُونَ إِحَاطَةِ الدَّهْرِ. وَمُرُورِ أَفْلَاجِهِ. فَلَا يَعْرِفُ مَا وِرَاءَهَا مِنَ الْأَسْرَارِ اللطيفة؛ التي لَا نِهَايَةَ لَهَا وَلَا حَدَّ فَوْقًا وَلَا تَحْتًا، وَلَا طَوِيلًا وَلَا عَرَضًا، وَرَوِي أَنَّ مَلِكًا اسْتَأْذَنَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَصْعَدَ فِي هَذِهِ الْأَسْرَارِ، الخارِجَةِ عَنِ الْعَرْشِ. فَأُذِنَ لَهُ؛ فَطَارَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. فَقَالَ أَيَّنَ أَنْتَ يَا رَبِّ. فَقَالَ: «أَنَا مَعَكَ»، فَتَابَ وَطَلَبَ الرَّجُوعَ ثُمَّ طَارَ ثَلَاثِينَ أُخْرَى، فَقَالَ: أَيَّنَ أَنْتَ يَا رَبِّ. فَقَالَ: «أَنَا مَعَكَ» فَتَابَ وَطَلَبَ الرَّجُوعَ إِلَى عِشِهِ فَالْعِظْمَةُ المَحِيظَةُ بِكُورَةِ الكَوْنِ لَا نِهَايَةَ لَهَا.

فالعقل المعقول، مسجون بمحيطاته محصور في هيكل ذات صاحبه. فلا يرى إلا جس الكائنات المحيطة به ولو تكمل نوره واتصل بنور العقل الأكبر لخرجت فكرته عن دائرة الأكوان إلى شهود المكون في دائرة مكوناته. وفيما خرج عنها من الأسرار التي أحاطت بأفلاك الأنوار. مع كون العقل عاجزاً عن التفتؤ إلى ما وراء أفلاك الدهر فقد حار الناس في أفلاكه، بل وصفه عموماً وخُصُوصاً فلم يفتؤوا على كنه حقيقته. ولا أين محله؛ وهذا معنى قوله: ونحن ووصف الكل في وصفه جزئاً. وأقرب ما قيل فيه: إنه نور لطيف يدرك به العلوم الضرورية والنظرية. قيل: محله الدماغ؛ وهو مذهب الفلاسفة. وقيل محله القلب. لقوله تعالى: ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾. وجمع بعضهم بين القولين، بأن قال: محله القلب. ويتصل شعاعه بالدماغ بدليل أن الإنسان إذا ضرب في دماغه، اختل عقله. والله أعلم ثم ذكر الناظم تطويراً آخر فقال:

يقيّد بالأزمان للدَّهْرِ مِثْلَ مَا يَكْتِفِ لِالْجَسَامِ مِنْ ذَاتِهِ الْأَيْتَانِ

يقول رضي الله عنه في شأن العقل أن يقيّد الدهر بالأزمنة: بالماضي والمستقبل والحال. فالحركة التي انقضت من الفلك زمانها ماضٍ. والآتية زمانها مستقبل، والحاضرة زمانها حال ولولا العقل لاستوت الأزمنة. ألا ترى أن غير العاقل لا شعور له بهذه الأزمنة. فإذا صفاً نور العقل، وتوجه لمؤلاه، غاب عن الماضي والمستقبل، واشتغل بعمارة الأرض الوقت الذي هو فيه.

وأما العقل الأكبر، فما عنده زمان واحد، لرؤيته للمتجلي به؛ وهو واحد. فصاحب الشهود غائب عن الماضي والمستقبل. والدنيا والآخرة؛ لاستغراقه في شهود

الحقُّ الَّذِي لَا يَتَقَيَّدُ بِزَمَانٍ، وَلَا مَكَانٍ بَلْ هُوَ عَيْنُ الْكُلِّ موجود في الكُلِّ، فافهم.
ومن كَلَامِ شيخ شينخنا رضى الله عنه في بعض رسائله لنا: إِذَا حَصَلَتِ
الرؤية، غَابَ الرَّائِي، وَالذَّنْيَا وَالْآخِرَةُ. وغاب كل شيء، إلى آخر كلامه رضي الله
عنه. ومن شأن ذات العقل أيضاً، أن يَكَيَّفَ للأجسام الأماكن والهيآت. ويميز بين
الأشخاص والذوات، ويعرف ما كان مجموعاً في عَالَمِ الْغَيْبِ. وما هو باق في
جَمْعِيَّتِهِ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ. إذ الوجود كله ذات واحدة وبحر متصل في الحقيقة
بالعقل الأضعف الذي هو فزق ما كان مجموعاً؛ لأنه معقول ومحصور في عالم
الحكمة فلا يدرك ما غاب عنه في عالم القدرة. وأما العقل الأكبر، ويسمى أيضاً:
الروح الأعظم، فإنه يَرَى الوجود كُله ذاتاً واحدة، وهذه الأشكال والرُسُوم،
تلوينات وتطويرات، للخمرة الأزلية الكلية المتصلة بعضها ببعض وهذا الذي قصده
الشاعر في الشعر المتقدم بقوله:

إلى وجود تراني رتقاً بلا ابتعاد ولا اقتراب
وإلى هذا التكييف والتمييز أشار الناظم بقوله: مثل ما يقيد للأجسام أي يقيد
الدَّهر بالأزمان تقييداً شبيهاً بتكييف الأجسام بالآين، والوصف، وقوله: من ذاته،
أي من ذات العقل وحقيقته الضعيفة كيف الأجسام والآين والجهات؟ ولو قوي
نوره، لَاتَّصَلَ نَظْرُهُ بِكُلِّ الْجِهَاتِ. وأراد بالآين هنا ما يعُمُّ الذوات، والأماكن،
والصفات، وسائر العوارض الجسمانية. والله تعالى أعلم. ومما يُدركه العقل أيضاً
على سبيل الإجمال، بعض العوالم العلوية، كما قال الناظم:

وَعَرْشاً وَكُرْسِيّاً وَبُرْجاً وَكَوْكَباً وَحَشَوّاً لِجِسْمِ الْكُلِّ فِي بَحْرِهِ عُمْنَا
يقول رضي الله عنه: ومما يُدركه العقل أيضاً: من العوالم العلوية. العرش
والكرسي أي شخصه. ويميزه على ما أدركه من طريق السَّمْعِ وإلا فلا مُدْرِكَ لَهُ
لهذه العوالم الغيبية، بمجردوه. ويدرك أيضاً البُرْجَ والكواكب والمنازل؛ وهذا أمر
مشاهد بالبصر. وإنما شأن العقل فيه التفصيل، وتدقيق ما فيها من عجائب القدرة،
وأسرار الحكمة. ويدرك أيضاً الحشو الذي بينهما؛ وهو الفضاء الذي بين العرش
والكرسي. وبين كل سماء وسماء، وبين السماء والأرض؛ وهو الهواء الذي نحن
فيه، وهذا معنى قوله؛ وحشواً لجسم الكل. أي ويدرك حشواً، المنسوب لكل
جسم؛ وهو الهواء الذي بين الأجسام العلوية، وبين العلوية والسفلية. ثم ذكر
الشيخ أن الخلق كلهم دائمون، وسابحون في بحر أسرار الذات. بقوله: في بخره

عَمْنَا. أَي فِي بَحْرِ الْكُلِّ عُمْنَا؛ وَهُوَ بَحْرُ الْوَحْدَةِ؛ لِأَنَّ بَحْرَهَا مُتَّصِلٌ وَالْخَلْقُ فِيهِ كَالْحُوتِ فِي الْمَاءِ. وَإِنْ كَانُوا لَا شعور لَهُمْ بِذَلِكَ فَمَنْ شَعَرَ بِذَلِكَ وَاتَّسَعَتْ معرفته حَتَّى خَرَجَتْ فِكْرَتُهُ عَنِ دَائِرَةِ الْأَكْوَانِ، وَاتَّسَعَتْ نَظْرَتُهُ، وَجَدَ الْأَفْلَاقَ تَدَوَّرَ فِي السَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَيَشْرِقَانِ فِي فِضَاءِ قَلْبِهِ. كَمَا قَالَ النَّاطِمُ فِي بَعْضِ أَرْجَالِهِ: الْفُلُكُ فِيكَ يَدُوزُ. وَيَطْلُعُ وَيَلْمَعُ وَالشَّمْسُ وَالْبُدُوزُ فِيكَ تَغِيبُ وَتَطْلُعُ. وَقَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا كُنْتُ كُزْسِيًّا وَعَرْشًا وَجِئْتُ وَتَارًا وَأَفْلَاكَ تَدُورُ وَأَمْلَاكَ
وَكُنْتُ مِنَ السَّرِّ الْمَصُونِ حَقِيقَةً وَأَذْرَكْتَ هَذَا بِالْحَقِيقَةِ إِذْرَاكَ
فَفِيمَا الثَّانِي فِي الْحَضِيضِ تَبْطَأُ مُقِيمًا مَعَ الْأَسْرَى أَمَا أَنْ إِسْرَاكَ
أَي إِذَا كُنْتُ أَيُّهَا الْأَدْمِي جَامِعًا لِهَذِهِ الْعَوَالِمِ، وَكُنْتُ مِنْ عَيْنِ السَّرِّ الْمَصُونِ. وَعَيْنِ الْكَنْزِ الْمَدْفُونِ، وَعَرَفْتُ أَنَّ هَذَا كَامِنٌ فِيكَ، فَفِي أَيِّ شَيْءٍ هَذَا التَّأخِيرِ وَالتَّوَانِي، عَنِ التَّهَوُّضِ إِلَى اللَّهِ، بِحَذْفِ عَوَائِدِكَ. وَجِهَادِ نَفْسِكَ، حَتَّى تَعْرِفَ هَذَا دَوْقًا وَكَشْفًا. وَإِلَى كَمْ تَبْقَى فِي الْحَضِيضِ مِنْ عَالَمِ الْأَشْبَاحِ تَبْطَأُ عَنِ الْعُرُوجِ إِلَى سَمَاءِ الْأَرْوَاحِ مُقِيمًا مَعَ الْأَسْرَى، فِي أَيْدِي نُفُوسِهِمْ تَلْعَبُ بِهِمْ كَيْفَ شَاءَتْ فَمَا هَذَا إِلَّا الْخُسْرَانُ الْمَبِينُ، أَمَا أَنْ إِطْلَاقَكَ مِنْ يَدِ نَفْسِكَ. وَعُرُوجَكَ إِلَى فِضَاءِ شَهُودِ رَبِّكَ. وَفِي الْحِكْمِ: وَسِعَكَ الْكُونُ مِنْ حَيْثُ جِثْمَانِيَّتِكَ، وَلَمْ يَسْغَكَ مِنْ حَيْثُ ثُبُوتِ رُوحَانِيَّتِكَ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، ثُمَّ ذَكَرَ النَّاطِمُ فِي تَطْوِيرِ الْعَقْلِ أَيْضًا:

وَفَتَّقْ لِأَفْلَاكِ جَوَاهِرَهُ الَّذِي يُشْكَلُهُ سِرُّ الْحُرُوفِ بِحَرْفَيْنَا

قلت: فَتَّقْ: مُبْتَدَأٌ، وَخَبْرُهُ مَحذُوفٌ، أَي مِنْ شَأْنِهِ فَتَّقْ. وَالْمَسْوُوعُ: الْعَمَلُ وَجَوَاهِرُهُ مَفْعُولٌ بِهِ. وَالضَّمِيرُ لِلْأَفْلَاكِ. وَالْمُرَادُ بِهَا الْجِنْسُ. وَلَوْ قَالَ جَوَاهِرَهَا الَّتِي يُشْكَلُهَا لَكَانَ أَحْسَنَ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَمِنْ شَأْنِ هَذَا الْعَقْلِ: أَنْ فَلَئِنَّ الْأَفْلَاكَ الدَّائِرَةُ بِكَرَةِ الْأَرْضِ. جَوَاهِرَهَا. بِأَنَّ أَدْرَكَ مُحَاسِنَهَا، وَخَوَاصَهَا مِنْ مَنَافِعِهَا وَمَضَارِهَا. بِقُدْرَةِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ لَا عَلَى مَا يَزْعَمُهُ أَهْلُ التَّنْجِيمِ. فَقَدْ جَعَلَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ لِكُلِّ فَلَكَ خَاصِيَةٌ يَقَعُ بِهَا التَّصَرُّفُ فِي هَذَا الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ. وَفِي الْحَقِيقَةِ. إِئِمَّا التَّصَرُّفِ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ. وَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهَا أَمَارَاتٌ وَعَلَامَاتٌ، كَمَا جَعَلَ فِي الْعُشْبِ، وَجَعَلَ لِنَزُولِ الْمَطَرِ أَمَارَةً، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي عِلْمِ الْحِكْمَةِ، فَإِنَّ عَالَمَ الْحِكْمَةِ مَبْنِيٌّ عَلَى الْأَسْبَابِ، وَالْعِلَلِ، وَالْحُكْمِ. وَعَالَمُ الْقُدْرَةِ فِي لِحْظَةٍ بَغِيرِ عِلَّةٍ، وَلَا سَبَبٍ لَكِنْ لِكُلِّ قُدْرَةٍ حِكْمَةٌ؛ وَهِيَ رِدَاؤُهَا وَصَوَانُهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ؛ الَّتِي هِيَ مَحَلُّ التَّكْلِيفِ. وَيُسَمَّى فِي الْإِصْطِلَاحِ عَالَمَ الْحِكْمَةِ عَالَمُ

الخلق، وعالم القدرة: عالم الأمر. كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾. فعالم الخلق بالترج والأسباب. وعالم الأمر كُن فيكون. لا يبرز شيء من عالم الأمر إلا برذاء عالم الخلق إلا ما كان من الخوارق، كالمعجزات والكرامات في هذه الدار. الحكمة ظاهرة والقدرة باطنة. وفي دار الآخرة بالعكس، القدرة ظاهرة والحكمة باطنة، لا تصرف لها. فلذلك تظهر الخوارق للعام والخاص؛ لأنها دار التصريف. وهذه دار التكليف. لتظهر مزية الإيمان بالغيب هنا. وهذه الجواهر أي الخواص التي فتقها العقل بالأفلاك إما يشكلها في الأفلاك. ويبرز منها ما يبرز. فيسر الحروف الهجائية وكذلك الدراري السبعة لها خواص وطباع، على ما زعمه أهل التنجيم؛ ولها حروف من حروف العجم، تتصرف في باب الحكمة، التي محلها الظواهر. وأما في الباطن، فما ثم إلا الله.

وقول الناظم بحرفيننا. لعلّه يشير إلى حرف الألف والباء. فإن جُلّ أسرار الحروف راجعة في المعنى إليهما؛ لأنّ الألف يشير إلى وحدة الذات والباء تشير إلى وحدة الصفات والأفعال: إني أنا الواحد الأحد ببي كان وببي يكون إلى الأبد. وقول الشيخ زروق، يشير إلى اسمه الظاهر والباطن لا مناسبة له في هذا المقام، فهو بعيد. والله تعالى أعلم. ثم ذكر الناظم حكماً آخر للعقل فقال:

يُفَرِّقُ مَجْمُوعَ الْقَضِيَةِ ظَاهِراً وَتُجْمَعُ فَرْقاً مِنْ تَدَاخُلِهِ فُرْزَنَا
يقول رضى الله عنه: ومن شأن العقل أيضاً أنه يُفَرِّقُ مجموع القضية، أي يُفَرِّقُ ما أضله مجموع في قضية الخمرة الأزلية. ففي الحقيقة، الوجود كله مجموع، ذات واحدة، وبخز واحد متصل أوله بأخره وظاهره بباطنه وإنما جاء تفريقه في الظاهر من ناحية العقل، لقصر إدراكه. فإنما أدرك الفروقات الكونية الحسية. وفاته المعاني المتصلة القديمة الأزلية. وهي المراد بمجموع القضية. ففرقها ظاهره. وهي مجموعة في فرقها.

وهذا معنى قوله: «وتجمع فرقاً» فالجملة حالية، وفرقاً حال من ضمير تجمع: أي يُفَرِّقُ مجموع الخمرة الأزلية ظاهراً، والحال أنها تجمع في حال فرقها، فهي مفروقة ظاهرة مجموعة باطناً. ومن أجل تداخل فرقها في جمعها وجمعها في فرقها فُرْزَنَا بالمعرفة الكاملة، حيث ميزنا بينهما، فأنزّلنا الفرق في محلّه، وهو عالم الحكمة والجمع في محلّه. وهو عالم القدرة وعالم الذات. وكثير من الناس التبس الأمر عليهم. فوقفوا مع الفرق المنحصر. وحجّبوا به عن الجمع. وبعضهم عرّفوا

فِي بَحْرِ الْجَمْعِ، وَحَجُّوْا عَنِ الْفَرْقِ. وَهُوَ نَقْصَانٌ بِمَخْضٍ جَذْبِهِ، أَوْ زَنْدَقْتِهِ إِنْ كَانَ لَهُ سَلُوكٌ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. ثُمَّ قَالَ النَّاطِمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَعَدَّدَ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ غَيْرَ وَاحِدٍ بِأَلْفَاظِ أَسْمَاءٍ بِهَا شَتَّتَ الْمَعْنَى
قلت: هذا تقرير لما قبله، وتتميم له. يقول رضي الله عنه: ومن شأن العقل المعقول. أنه عدَّدَ شيئاً؛ وهو الوجود الحقيقي، وكَثُرَ فُرُوعُهُ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا شَيْئاً وَاحِداً، أَوْ ذَاتاً وَاحِدةً. قَالَ الشَّاعِرُ:

هَذَا الوجود وإن تعدد ظاهراً وحياتكم ما فيه إلا أنتم
ومعنى قوله: وعدَّدَ: أي اعتقد تعديده وكثرته. مع كونه واحداً في الأزل. كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ. وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ. وَإِنَّمَا تَعَدَّدَ هَذَا الشَّيْءَ الْوَاحِدَ عِنْدَ الْعَقْلِ بِسَبَبِ ظُهُورِ أَلْفَاظِ الْأَسْمَاءِ لِمَسْمِيَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ. كَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ، وَأَسْمَاءِ أَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ، وَالْجَمَادَاتِ، فَلِكُلِّ شَخْصٍ جِزْئِيٍّ مِنْ هَذَا الوجودِ اسْمٌ يَخْصُهُ، لِيَتَمَيَّزَ بِهِ وَفِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هِيَ تَجْلِيَّاتٌ، وَمُظَاهِرٌ، لِلوَاحِدِ الْأَحَدِ، وَفُرُوعٌ وَتَلْوِينَاتٌ لِلخُمْرَةِ الْأَزْلِيَّةِ.

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَفَعَنَا بِبَرَكَاتِهِ:

تَجَلَّى حَبِيبِي فِي مَرَائِي جَمَالِهِ فَفِي كُلِّ مَرَأَى لِلْحَبِيبِ طَلَائِعُ
فَلَمَّا تَبَدَّى حُسْنُهُ مُتَنَوِّعاً تَسْمَى بِأَسْمَاءٍ فَهِنَّ مَطَالِعُ

وقوله: بما شَتَّتَ الْمَعْنَى أَي بِسَبَبِ تَعَدُّدِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، مَعَ أَنَّ الْمَسْمَى وَاحِدٌ. فَرَّقَ الْعَقْلُ الْمَعْنَى أَي اعْتَقَدَ تَفْرِيقَهَا ظَاهِراً؛ وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ مُتَّصِلَةٌ بِإِطْنًا. فَبِحَرِّ الْمَعْنَى مُتَّصِلٌ، وَأَمْوَاجُهُ مُتَفَرِّقَةٌ؛ وَهِيَ مِنْهُ، بَلْ عَيْنُهُ. وَالْمُرَادُ بِالْمَعْنَى: السَّرُّ الْأَزْلِيُّ اللَّطِيفُ. الْقَائِمُ بِالْأَشْيَاءِ الْحَسِيَّةِ. السَّارِي فِيهَا. وَالْأَشْيَاءُ الْحَسِيَّةُ. إِنَّمَا هِيَ تَكْلِفُ لِلْمَعْنَى اللَّطِيفِ، الَّذِي هُوَ الْخُمْرَةُ الْأَزْلِيُّ، فَلَوْلَا الْحَسَنُ، مَا ظَهَرَتْ الْمَعْنَى. وَلَوْلَا الْمَعْنَى، مَا قَامَ لِلْأَشْيَاءِ وَجُودٌ فَالْأَشْيَاءُ الْحَسِيَّةُ، حَامِلَةٌ لِلْمَعْنَى، وَلِهَذَا قَالَ النَّاطِمُ فِي بَعْضِ أَرْجَائِهِ:

لَا تَنْظُرْ لِلْأَوَانِي، وَخُضُّ بَحْرِ الْمَعْنَى، لَعَلَّكَ تَرَانِي. وَقَالَ ابْنُ الْفَارُضِ فِي خُمْرِيَّتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَلِطْفِ الْأَوَانِي فِي الْحَقِيقَةِ تَابِعٌ لِلطَّفِ الْمَعْنَى وَالْمَعْنَى بِهَا تَسْمُو

والمعاني تَسْمُو أي تظهر وتزفع بالأواني فلا ظهور لها منها فافهم واضحِب
الرجالَ . حتى يُدْخِلوك بِلَادَ المَعْنَى ، فتَفُوزَ بالحسِّ والمعنى . وللشيخ زروق هنا
خطب يدل على أنه لم يدخل بلادَ المعاني وما فتح عليه فيها إلا في آخرِ عمره كما
تقدّم . وبالله التوفيق . ثم قال الناظم :

وَيَسْرُجُ بِالجِرَاحِ مِنْهُ لِذَاتِهِ لَطَوِيرُهُ العُلُوي بِالوهمِ أَسْرَيْنَا
يقول رضي الله عنه : ومن شأنِ العقل أيضاً ، إذا اتَّصَلَ بالطبيبِ الماهرِ أن
يَعْرُجَ ، ويُرفَع عن عَالَمِ الحسِّ إلى عَالَمِ المَعْنَى . ومن عَالَمِ الأشباح ، إلى عَالَمِ
الأزْوَاجِ . ومن شهودِ المُلْكِ إلى شهودِ الملكوتِ والجَبْرُوتِ . وذلك بسببِ عروجه
عن رُؤيةِ حسِّه ، إلى شهودِ مَعْنَاهُ . فالعروجُ والارتقاءُ إنما هو منه إِلَيْهِ . وهذا معنى
قَوْلِهِ : منه لذاتِهِ أي من شهودِ حسِّه الظاهر ، لِرُؤيةِ ذاتِهِ الحقيقية المعنوية . فليس
الأمرُ عنك خارجاً كما قال الناظم في بَعْضِ أَرْجَالِهِ :

وَإِلَيْكَ وَأَنْتَ مَعْنَى الحَبْرِ وَمادونك غَيْرياً محلّ الفقر
أي الذاتُ . وإنما جاءَ هذا الرفعُ والعروجُ المذكورُ لتطويره بالمقام العلوي ،
وهو محلّ الشهودِ والعيانِ الذي هو مقام الإحسان . وإذا حققت الأمر لا تجد
ارتفاعاً ولا عروجاً ؛ لأن الحق كان وحده ؛ وهو باقي وحده . لكنَّ الوهمَ أثبت
الغيبيةَ والأثنيةَ فإذا ارتفعَ الوهمُ ، والجَهْلُ ، لم تجد إلا الواحدَ الأحدَ في الأزلِ .
وفيما لا يزال . ما تجلَّى به في الأزلِ ، هو ما تجلَّى في الأبدِ ، من غيرِ زيادةٍ ولا
نقصانٍ . إذا وَقَعَتِ الغَيْبَةُ عَنِ الأشكالِ والرَّسومِ التي هي وَرَاءَ الكِبْرِيَاءِ . وهذا معنى
قَوْلِهِ : بِالوهمِ أَسْرَيْنَا أي إنما أَسْرَيْنَا وارتَقَيْنَا ، وثبت لنا ذلك بسببِ الوهمِ . وأمَّا لو
ارتفعَ الوهمُ وثبت الحقُّ ، لم يَنْبِ لأحدٍ ارتقاءٌ ولا عُرُوجٌ ، وهذا الوهمُ وإن كَانَ
عَدَمِيّاً فهو حاصل في عَالَمِ الحكمةِ ، وثبوته حق به وَقَعَ الحجاب لجلِّ النَّاسِ . فهو
نوع من قَهْريةِ الحقِّ . الذي قَهَرَ بِهَا عبادهُ كما قال في الحِكْمِ : «مِمَّا يَدُلُّك على
وجودِ قَهْرِهِ . أَنْ حَجَبَكَ بِمَا لَيْسَ بِمَوْجُودٍ مَعَهُ» . وبِاللَّهِ التوفيقُ ، ثم ذَكَرَ الناظم
نُزُولَهُ لِلْعُبُودِيَّةِ ، بالقيام بوظائف الربوبية فَقَالَ :

وَيَجْعَلُ سُفْلِيّاً وَيُوهِمُ أَنَّهُ لِسُفْلِيَّةِ المَجْعُولِ بِالذاتِ أَهْبِطْنَا
يعني أَنَّ العقل تارة يَرْتَقِي علوياً بعروجه ، مِنْ أَرْضِ الأشباح ، إلى عالمِ
الأرواحِ ، في مقامِ الفناءِ ، وتارة يُجْعَلُ سُفْلِيّاً بنزوله من سَمَاءِ الحقوقِ إلى أَرْضِ
الخطوطِ . للقيام بِآدابِ العبوديةِ ، في مقامِ البقاءِ وَيُوهِمُ إِذَا نَزَلَ إلى السفليات أنه

المَجْعُولِ سُفْلِيًّا بِالذَّاتِ حَقِيقَةً. وَلَيْسَ كَذَلِكَ. وَإِنَّمَا هُوَ تَنْزِيلٌ وَإِظْهَارٌ لِلْمَعْبُودِيَّةِ مَعَ كَوْنِهِ عَلَوِيًّا حَقِيقَةً ذَاتِيَّةً. لِأَنَّ هَذَا إِنَّمَا هُوَ تَلْوِينٌ لِلخَمْرَةِ الْأَزْلِيَّةِ تَظْهَرُ التَّنْزِيلُ مِنْهَا إِهْيَاءً، فَهِيَ عَلَوِيَّةٌ فِي سُفْلِيَّيْهَا رَفِيعَةٌ فِي وَضْعِهَا. قَالَ شَيْخُ شَيْوْخِنَا سَيْدِي عَلِيُّ الْجَمَلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «انظُرْ يَا أُخِي وَتَأَمَّلْ هَذِهِ الخَمْرَةَ كَيْفَ كَمَلَتْ فِيهَا الْأَوْصَافُ، وَتَوَفَّرَتْ فِيهَا الشَّرُوطُ، وَكَيْفَ كَمُلَ نُقْصَانُهَا، كَمَا كَمُلَ كَمَالُهَا. سَبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَهَا بِالْكَمَالِ فِي النُّقْصِ وَالْكَمَالِ حَتَّى صَارَ الْكُلُّ كَمَالًا وَلَا نُقْصَ». وَكَذَلِكَ «انظُرْ يَا أُخِي مَا أَقْرَبَهَا فِي بُعْدِهَا. وَمَا أَبْعَدَهَا فِي قُرْبِهَا، وَمَا أَرْفَعَهَا فِي سُفْلِيَّيْهَا. وَمَا أَوْضَعَهَا فِي عَلَوِيَّيْهَا. وَمَا أَكْبَرَهَا فِي صِغَرِهَا. وَمَا أَصْغَرَهَا فِي كِبَرِهَا. وَمَا أَقْوَاهَا فِي ضَعْفِهَا. وَمَا أَضْعَفَهَا فِي قُوَّتِهَا. وَمَا أَغْنَاهَا فِي فَقْرِهَا. وَمَا أَفْقَرَهَا فِي غِنَاهَا. وَمَا أَعَزَّهَا عَلَى نَفْسِهَا، وَمَا أَذَلَّهَا لِنَفْسِهَا وَمَا أَعْظَمَ قَدْرَتَهَا عَلَى نَفْسِهَا، وَمَا أَضْعَفَ عَجْزَهَا عَنْ نَفْسِهَا» إِلَى آخِرِ كَلَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَالْمُرَادُ إِنَّهَا تُسْتَرٌّ فِي حَالِ تَجَلِّيَّهَا فَتُظْهَرُ مِنْ نَفْسِهَا النُّقْصَ؛ وَهِيَ فِي غَايَةِ الْكَمَالِ لِيَبْقَى السُّرُّ مَصُونًا. وَالكَثْرُ مَدْفُونًا. وَقَوْلُهُ أَهْبَطْنَا لَعَلَّهُ حَذَفَ قُلُّ أَيُّ يَوْمِهِمْ أَنَّهُ الْمَجْعُولُ بِالذَّاتِ سُفْلِيًّا، وَيَوْمِهِمْ أَنَّهُ قَدْ أَهْبَطْنَا مِنْ عَشْرِ الْحَضْرَةِ الْعُلْيَةِ إِلَى أَرْضِ الْحِظْوِظِ السُّفْلِيَّةِ. مَعَ أَنَّ لَمْ يَفْعَ لَنَا هُبُوطًا. إِنَّمَا هُوَ شَرَفٌ، وَزِيَادَةٌ فِي الْارْتِقَاءِ؛ كَأَنَّ الْمُرِيدَ كُلَّمَا نَزَلَ لِأَدَاءِ الْحَقُوقِ، اذْتَفَعَ وَارْتَفَعَ إِلَى دَوَامِ الشُّهُودِ، لِأَنَّهُ يَنْزِلُ بِالِإِذْنِ وَالتَّمَكُّينِ، وَالرَّسُوحِ فِي الْيَقِينِ. لَا فِي الْمُتَعَتَّةِ وَالشُّهُوةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِ الشَّيْخِ بِقَوْلِهِ: أَهْبَطْنَا، وَأُظْهِرَ تَضْحِيْفًا. إِذْ لَيْسَ فِي يَدِنَا إِلَّا نَسْخَةٌ مَصْحُفَةٌ وَمَنْ ظَهَرَ لَهُ غَيْرُ مَا قَلْنَا فَلْيُحَقِّقْهُ بِالطَّرَةِ، وَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ.

ثم قال الناظم:

يُقَدَّرُ وَضَلًا بَعْدَ فَضْلِ لِذَاتِهِ وَقَرَضَ مَسَافَةً يُخْدَلُهَا الدَّهْنُ

قلت: وفرض عطف على وضلاً. ويحذف بالذال المعجمة يقطع، والدّهناء بالفتح والمد ويقصر: الفلاة كما في القاموس. يقول رضى الله عنه: ومن شأن العقل أنه يقدر الوصول إلى حضرة الحق بعد انفصال، كان بينه وبينها. وهذا من جملة وهميه. إذ لا انفصال ولا بينونة بين العبد وربّه، وإنما جهله هو الذي بعده في حال قربه، وفصله في حال وصله. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾. وفي الحكيم: «لَا مَسَافَةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ حَتَّى تَطْوِيَهَا رِحْلَتَكَ. وَلَا قَطِيعَةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ حَتَّى تَمْحُوهَا وَضَلَّتْكَ». وقال أيضاً: الحق ليس بمحجوب عنك. إنما المحجوب أنت عن النظر إليه. إذ لو حجبه شيء

لَسْتَرَهُ مَا حَجَبَهُ. وَلَوْ كَانَ لَهُ سَاتِرٌ، لَكَانَ لَوْجُودِهِ حَاصِرٌ. وَكُلُّ حَاصِرٍ لَشَيْءٍ فَهُوَ لَهُ قَاهِرٌ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾. وَقَالَ أَيْضاً: «كَيْفَ يَحْتَجِبُ الْحَقُّ تَعَالَى بِشَيْءٍ. وَالَّذِي اخْتَجَبَ بِهِ هُوَ فِيهِ ظَاهِرٌ، وَمَوْجُودٌ حَاصِرٌ. فَتَحْصُلُ أَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى لَا حَائِلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ. وَلَا فَضْلَ وَلَا بَيْنُونَ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّهُ لَمْ يَبْقَ كَائِنٌ فَمَا نَسَمَ مَوْضُوعٌ وَلَا نَسَمَ بَائِنٌ
فَالْعَقْلُ لضعفه هو الَّذِي يُقَدَّرُ الوصلُ، بعد الفُضْلُ لذاتِهِ عن حَضْرَةِ الْحَقِّ.
وَيُقَدَّرُ أَيْضاً: فرض مسافات وَمَهَامِيهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الوصولِ إِلَى الْحَقِّ، يقطع لأجلها
الفلوات والمفاوز من الأَرْضِ. وهذا كُله استعارة وكناية عن قطع مألوفات النَّفْسِ
وَعَوَائِدِهَا. والخروج عن الطبع البشري الذي يحجب عن شهودِ الْحَقِّ، والنفوذ من
شهود حسِّ الكائنات إلى مسافة المعاني. قال الشطبي رضى الله عنه في شرح
الحكم: واعلم أن طريق الله تعالى، ليس فيه مفازة، ولا متاهة، بل هي منازل
وأحوال، قد جعل الله لجميعها أعواناً وأنصاراً؛ وهو سبحانه يصدق وعده، وينصُر
عنده. ويهزم الأحزاب وخذهُ. وإنما المفاوز والمسافات في الزكون إلى المألوفات
واتباع العادات. وفي مسامحة النَّفْسِ في الوقوف مع الحسِّ والحدس. وعن كشف
الغطاء يتبين ذلك. وعن قطع هذه المألوفات ورياضة النَّفْسِ عبروا بالسير والمنازل
والمناهل، كما قال في المباحث:

وَإِنَّمَا الْقَوْمُ مُسَافِرُونَ لِحَضْرَةِ الْحَقِّ وَظَاعِنُونَ
فَأَفْتَقَرُوا فِيهِ إِلَى ذَلِيلٍ ذِي بَصَرٍ بِالسَّيْرِ وَالْمَقِيلِ
قَدْ سَلَكَ الطَّرِيقَ ثُمَّ عَادَا لِيُخْبِرَ الْقَوْمَ بِمَا اسْتَفَادَا
ومن شأن العقل أيضاً، إثبات المعية، والائتينية، بمشغية الآثار. كما قال
الناظم رضى الله عنه:

يُجَلِّي لَنَا طُورَ الْمَعِيَةِ شَكُّهُ وَإِنْ لَمَعَتْ مِنْهُ فَتُلْحِقُهُ الْمِينَا
وَيُلْحِقُهَا بِالسُّرُكِ مِنْ مَثْوِيَةٍ يَلُوحُ بِهَا وَهُوَ الْمُلُوحُ وَالْمُثْنَا
قُلْتُ: شَكُّهُ: فاعل يُجَلِّي. وَأَطْلَقَ الشُّكَّ هُنَا عَلَى مُجَرِّدِ الْوَهْمِ، وَقَاعِلُ
لَمَعَتْ مَحذُوفٌ. أَي أَنْوَارِ الْخِلَاقِ. وَالْمِينُ: الْكُذْبُ الْمُلُوحُ. اسْمُ فَاعِلٍ، وَالْمُثْنَى
بِضْمِ الْمِيمِ اسْمُ مَفْعُولٍ. وَالْجُمْلَةُ حَالٌ. يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يُجَلِّي أَي يُظْهِرُ نُورَ
العقل لنا طور المعية. أَي وُجُودَهَا وَثُبُوتَهَا وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَثْبَتَ الْأَثَرَ، وَأَثْبَتَ نَفْسَهُ

مَعَ اللَّهِ لَزْمُهُ وَجُودُ الْمَعِيَةِ، وَالْإِثْنِيَّةِ. وَهِيَ حَالٌ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ الْخَاصِّ. قَالَ فِي الْحِكْمِ: مَا حَجَبَكَ عَنِ اللَّهِ وَجُودٌ مُوجُودٌ مَعَهُ. إِذْ لَا شَيْءَ مَعَهُ. وَإِنَّمَا حَجَبَكَ تَوْهُمٌ مُوجُودٌ مَعَهُ. وَقَالَ أَيْضاً: الْأَكْوَانُ ثَابِتَةٌ بِإِثْبَاتِهِ. مَمْحُودَةٌ بِأَحَدِيَّةِ ذَاتِهِ. وَإِنْ لَمَعَتْ مِنَ الْعَقْلِ أَنْوَارُ تِلْكَ الْحَقَائِقِ، مَحَتْ تِلْكَ الْمَعِيَةَ، وَأُثْبِتَتْ الْوُجُودَ لِلْوَاحِدِ الْأَحَدِ. فَتَلَحَّحَهُ الْمَيِّنُ وَالْكَذِبَ فِي اعْتِقَادِ الْمَعِيَةِ وَالْإِثْنِيَّةِ. وَتَثَبَتِ الْوُتْرِيَّةُ لِلْوُتْرِ الْفَرْدِ. قَالَ النَّاطِمُ فِي بَعْضِ أَرْجَالِهِ.

وَبِرُوحٍ وَرَاحٍ عَادَ شَفْعِي وَتُرِي. أَي وَبِرُوحِ الْوَصَالِ، وَشُرْبِ خَمْرَةِ الْأَزْلِ؛ صَارَ شَفْعِي؛ وَهُوَ اعْتِقَادُ وَجُودِي مَعَ الْحَقِّ وَتُرِي، حَتَّى امْتَحَى وَجُودِي فِي وَجُودِهِ. فَثَبَّتَتْ الْوُتْرِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ وَلَمْ تَزَلْ وَإِنَّمَا وَهَمُّ الْعَقْلِ أُثْبِتَ ضِدَّهَا. فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾. بِصَحْبَةِ الْمَعِيَةِ، سِوَاءَ قُلْنَا بِالذَّاتِ أَوْ بِالْعِلْمِ قُلْنَا: الْخَطَابُ وَارِدٌ فِي عَالَمِ الْقُدْرَةِ، إِلَى عَالَمِ الْحِكْمَةِ وَهُوَ مَحَلُّ الشَّرِيحِ. وَعَالَمِ الْحِكْمَةِ هُوَ عَالَمُ الْأَشْبَاحِ وَيُسَمَّى عَالَمَ الْفَرْقِ، وَعَالَمِ الْأَثَرِ، وَعَالَمِ الْحَسِّ، وَعَالَمِ الْمُلْكِ. أُثْبِتَهُ تَعَالَى بِحِكْمَتِهِ لِتَظْهَرُ فِيهِ آثَارُ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَتَظْهَرُ فِيهِ آدَابُ الْعِبُودِيَّةِ لِلرُّبُوبِيَّةِ إِذِ الْمَلِكُ بِلَا رَعِيَّةٍ نَاقِضٌ. فَأُثْبِتَهَا فَرْقاً، وَمَحَاهَا بِأَحَدِيَّةِ ذَاتِهِ جَمْعاً. فَأَهْلُ الْحَقَائِقِ يَنْظُرُونَ لِعَالَمِ الْقُدْرَةِ. وَيُسَمَّى عَالَمِ الْمَعَانِي، وَعَالَمِ الْمَلَكُوتِ. فَلَا يَرَوْنَ إِلَّا اللَّهَ.

وَأَهْلُ الشَّرَائِعِ يَنْظُرُونَ لِعَالَمِ الْحِكْمَةِ، فَيُثْبِتُونَ الْأَثَرَ وَالْمُؤَثِّرَ. وَعَلَيْهِ وَرَدَ الْخَطَابُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾. قَالَ الْعَارِفُ الرَّبَّانِيُّ، الْإِمَامُ الْوَرْتَجَبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا نَصَّهُ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَقَامَانِ: مَقَامُ الْجَمْعِ، وَمَقَامُ إِفْرَادِ الْقِدَمِ عَنِ الْحُدُوثِ. فَمَنْ حَيْثُ الْوَحْدَةُ وَالْقِدَمُ، تَتَصَاغَرُ الْأَكْوَانُ، فِي عِزَّةِ الرَّحْمَنِ. مِنْ سَطَوَاتِ عَظَمَتِهِ، حَتَّى لَا يَبْقَى أَثَرُهَا، ثُمَّ قَالَ: وَمَنْ حَيْثُ الْجَمْعُ، يَأْتِرُ نُورُ الصِّفَةِ، نُورُ الْعَقْلِ، وَنُورُ الصِّفَةِ قَائِمٌ بِالذَّاتِ. فَتَجَلَّى بِنُورِهِ لِفِعْلِهِ مِنْ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ. ثُمَّ يَتَجَلَّى مِنَ الْفِعْلِ، فَتَرَى جَمِيعَ الْوُجُودِ مِرَاةً وَجُودِهِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، لِلْعُمُومِ بِالْفِعْلِ، وَلِلْخُصُوصِ بِالِاسْمِ وَاللُّغَةِ، وَلِلْخُصُوصِ الْخُصُوصِ بِالصِّفَاتِ. وَلِلْقَائِمِينَ بِمُشَاهَدَةِ ذَاتِهِ بِالذَّاتِ. وَهُوَ تَعَالَى مُتَزَعَةً عَنِ الْبَيِّنُونِيَّةِ، وَالْحُلُولِ، وَالْإِفْرَاقِ، وَالْإِجْتِمَاعِ، وَإِنَّمَا هُوَ ذَوْقُ الْعَشْقِ، وَلَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ.

وَحَاصِلُ كَلَامِهِ أَنَّ الْمَعِيَةَ بِذَاتِهِ لِدَاتِهِ مِنْ ذَاتِهِ. وَلَا يَفْهَمُهَا إِلَّا الْعَاشِقُونَ، أَهْلُ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ. وَقَوْلُهُ: وَيَلْحَقُهَا بِالشَّرِكِ؛ أَي يَلْحَقُ الْعَقْلَ الْمَعِيَةَ الَّتِي أُثْبِتَهَا

بِوَهْمِهِ بِالشَّرِكِ الجَلِيِّ عِنْدَ أَهْلِ الفَنَاءِ مِنْ أَهْلِ البَاطِنِ . وَبِالشَّرِكِ الحَفيِّ ، عِنْدَ أَهْلِ الظَّاهِرِ مِنْ مَثْنِيَّةٍ ، أَيْ مِنْ أَجْلِ مَثْنِيَّةِ الأَثَرِ؛ الَّذِي أَثْبَتَهُ مَعَ الحَقِّ . يُلَوِّحُ أَيْ يُظْهِرُ بِهَا وَيَعْتَقِدُهَا وَهَمًّا وَجَهْلًا . وَهَذَا فِي عَالَمِ الحِكْمَةِ ، وَهُوَ عَالَمُ القَرْقِ ، وَعَالَمُ التَّشْرِيعِ . وَأَمَّا فِي الحَقِيقَةِ؛ فَهُوَ المُلَوِّحُ أَيْ المُظْهِرُ لِلإِثْنِيَّةِ سِرِّ الأَسْرَارِ رُبُوبِيَّتِهِ . أَنْ تُتَبَذَّلَ بِالإِظْهَارِ . وَيُنَادَى عَلَيْهَا بِلسَانِ الاِشْتِهَارِ؛ وَهُوَ أَيْضًا المُثْنِي ، الَّذِي صَارَ شَفْعًا بِاعْتِبَارِ الأَثَرِ؛ فَهُوَ الظَّاهِرُ فِي بَطُونِهِ ، وَالبَاطِنُ فِي ظَهْرِهِ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ . ثُمَّ ذَكَرَ النَّاطِمُ حِجَابَ العَقْلِ وَالرُّوحِ عَنِ سِرِّ الوَحْدَةِ . بَعْدَ أَنْ كَانَتْ عَارِفَةً بِهَا فَقَالَ :

فَنَحْنُ كَدُودُ القَرْزِ يَحْضُرُنَا الَّذِي صَنَعْنَا لِدَفْعِ الحَضَرِ سَدَنًا لَنَا مِنَّا

يَقُولُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: فَنَحْنُ كَدُودُ القَرْزِ أَيْ دُودُ الحَرِيرِ؛ لِأَنَّهَا تَبْدُو أَوَّلًا ظَاهِرَةً مُطْلَقَةً لِأَنَّ حِجَابَ عَلَيْهَا، ثُمَّ تَنْسِجُ عَلَى نَفْسِهَا مِنْ حَرِيرِهَا. كَذَلِكَ الأَزْوَاجِ الإِنْسَانِيَّةِ، تَبْرُزُ لِهَذَا العَالَمِ عَلَى الفِطْرَةِ الأَضْلِيَّةِ لِأَنَّ حِجَابَ عَلَيْهَا. وَلِذَلِكَ نَرَى الصَّبِيَّانَ يَنْطَقُونَ بِالمَغِيْبَاتِ، وَبِالجَمِّ البَاهِرَةِ، فَإِذَا بَلَغَتِ الرُّوحُ. وَكَمَلَتْ عَقْلُهَا نَظَرَتْ إِلَى هَذَا العَالَمِ السَّفَلِيِّ. وَعَشَقَتْ فُرُوقَهُ. وَتَاهَتْ فِي حُظُوظِهَا وَشَهْوَاتِهَا، فَكَلِمًا زَادَتْ فِي تِيَاهِهَا. تَرَكَمُ حِجَابِهَا. فَمِنْهَا مَنْ يَتْرَاكُمُ عَلَيْهَا حِجَابَ الظُّلْمَةِ. كَظُّلْمَةِ المَعَاصِي وَالمَسَاوِيءِ؛ وَهِيَ العَوَامُّ. وَمِنْهَا مَنْ يَتْرَاكُمُ عَلَيْهَا حِجَابَ الأنْوَارِ. كَالِإِشْتِغَالِ بِالعُلُومِ الثَّقَلِيَّةِ وَالرَّسْمِيَّةِ، وَالعَقْلِيَّةِ. فَتَتَعَلَّغُ فِي تِلْكَ العَوْلَمِ وَتَرْسُخُ فِيهَا فَيَعْسُرُ انْتِقَالَهَا عَنْهَا؛ وَهُوَ أَشَدُّ الحِجَابِ. وَكَالْوُقُوفِ مَعَ حَلَاوَةِ الطَّاعَاتِ، وَظُهُورِ الكَرَامَاتِ، وَتَحْقِيقِ المَقَامَاتِ. كَمَا هُوَ شَأْنُ العُبَادِ وَالرُّهَادِ، وَالمُسْتَشْرِفِينَ عَلَى عِلْمِ الحَقِيقَةِ، وَهَذَا أَيْضًا حِجَابَ عَظِيمٍ؛ وَلِذَا قِيلَ:

أَشَدُّ النَّاسِ حِجَابًا عَنِ اللّهِ العُلَمَاءُ ثُمَّ العِبَادُ، ثُمَّ الرُّهَادُ، فَهَمُّ يَعْملُونَ فِي خِلاصِ أَنْفُسِهِمْ مِمَّا يَظُنُّونَ؛ وَهَمُّ فِي الحَقِيقَةِ يَزِيدُونَ فِي حِجَابِهَا، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: يَحْضُرُنَا الَّذِي صَنَعْنَا، لِدَفْعِ الحَضَرِ. أَيْ يَحْضُرُنَا عَنِ مَيَادِينِ الغُيُوبِ وَفِضَاءِ الشُّهُودِ الَّذِي صَنَعْنَاهُ مِنَ الطَّاعَاتِ لِدَفْعِ ذَلِكَ الحَضَرِ. فَهُوَ أَيْ مَا صَنَعْنَا سَدَنًا، أَيْ حِجَابًا لَنَا مِنَّا لِأَنْفُسِنَا وَالخِلاصُ مِنْ هَذَا الحِجَابِ، التَّضَرُّعُ إِلَى اللّهِ فِي العُثُورِ عَلَى الطَّبِيبِ؛ وَهُوَ شَيْخُ التَّرْبِيَةِ النُّبُوِيَّةِ فَيُلْقِي إِلَيْهِ زِمَامَ نَفْسِهِ، وَيَلْتَزِمُ خِدْمَتَهُ وَصَحْبَتَهُ. حَتَّى يَقُولَ لَهُ: هَا أَنْتَ وَرَبِّكَ. فَيُخْرِجُهُ مِنْ حَضَرِ الأَكْوَانِ إِلَى فِضَاءِ العِيَانِ فَتُخْرِجُ فِكْرَتَهُ عَنِ دَائِرَةِ الأَكْوَانِ، وَيَسْقُطُ عَنْهُ الحِجَابُ بِالكَلِيَّةِ. فَلَا يَزَالُ فِي التَّرْقِيِ أَيْدًا عَلَى مُرُورِ السَّاعَةِ وَالأَيَّامِ. وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَسْقُطْ عَلَى صَاحِبِ التَّرْبِيَةِ، فَلَا

يزيد في مُرور أيامه وأَنْفاسِهِ إِلَّا حجاباً، وغطاء عن أسرار غوامض التوحيد. وكُلُّ ما يفعلُهُ في علاج نفسه، عَبَثٌ وضرَب في حديد بارِدٍ. وتأمل بعض ما قاله بَعْضُ الفقراء، وأظنه الشيخ زروق بنفسه. كما نقله عنه في كفاية المحتاج، في تَرْجمته، قال: طُفِت المِشْراق والمِغْارب في طلبِ الحقِّ، واستعملت جميع الأسباب المذكورة في معالجة النفس، وتخيَّلْتُ بِقَدْرِ الإمكان في مرضاة الحقِّ. فما طَلَبْتُ قَرَبَ الحقِّ بشيءٍ، إِلَّا كَانَ مُبْعِدِي عَنْهُ، لرؤيةِ نَفْسِي، وَلَا عَمَلْتُ في معالجة النَّفسِ بشيءٍ إِلَّا كَانَ مَعِيناً لَهَا عَلَيَّ. وَلَا تَوَجَّهْتُ لِإِرضاءِ الخَلْقِ بشيءٍ، إِلَّا كَانَ سَبَبَ عَدَاوَتِهِمْ لِي. فعدتُ إِلَى الإِسْتِسْلام، فَخَرَجَ لِي مِنْهُ رُؤيةٌ وجودي؛ وهو رَأْسُ العِلَلِ فطرخت نَفْسِي بَيْنَ يَدَيِ الحقِّ طرْحاً لَا يَضْحَبُهُ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ فَصَحَّ عِنْدِي أَنَّ السَّلَامَةَ في كلِّ شيءٍ. وَالتَّبَرِّي مِنْ كلِّ شيءٍ، وَإِنما الغنِمةُ مع كلِّ شيءٍ بِالرَّجوعِ إِلَى اللَّهِ بِكلِّ شيءٍ. اعتباراً بِالقدرةِ وإثباتاً لِلحكمةِ، وقياماً مع الطَّباعِ، بِشواهِدِ الانطباعِ إِلَى تمامِ كَلَامِهِ. نقله هنا الشيخ زروق عن بَعْضِ الفقراء، وَأظنُّهُ عَنَى نَفْسَهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. كما نقله الشيخ أحمد بابا السُّوداني في تَرْجمته. وَإِنما تَعَطَّلَ الفتحُ عَلَى الشَّيخِ زروق، لقلَّةِ صُحْبَتِهِ لِشَيْخِهِ الحَضْرَمِي. فقد قال عن نَفْسِهِ إِنما صحبته أَوْلًا سَبْعَةَ أَشْهُرٍ، أَوْ نَحْوَهَا، ثُمَّ انْفَصَلَ عَنْهُ، ثُمَّ رَجَعَ لِزِيَارَتِهِ. فبَقِيَ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ. فَكَانَ المَجْموعُ مِنْ صَحْبَتِهِ خَمْسَةَ عَشَرَ شَهْراً أَوْ نَحْوَهَا. قال: وَانْتَفَعْتُ بِهِ انْتِفاعاً لَا يَخْفَى. قُلْتُ: هذه المدة لا تسلخ المريد من كُلِّ طَبِيعِهِ. وَلَا تَخْرُجُهُ عَنِ عِلْمِهِ وَعَوَالِمِهِ. لَا سِيَّما وَقَدْ كَانَ مُتَغَلِّغاً فِي العُلُومِ الثَّقَلِيَّةِ وَالعَقْلِيَّةِ. فلا يسلخه مِنْهَا إِلَّا طُولُ الصَّحْبَةِ بِالصَّدْقِ وَالخِدْمَةِ، وَالتَّجْرِيدِ. كما هو مَجْرُبٌ فِي شَأْنِ أَمْثالِهِ. وَقَدْ كَانَ شَيْخُهُ يَكاتِبُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الحَقائِقِ؛ فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّهَا لَا تُؤخَذُ بِمَجْرَدِ العِلْمِ، وَإِنما تُؤخَذُ بِالسَّرايَةِ مَعَ تحقُّقِ الصَّدقِ وَالتَّحْقِيقِ.

وَاعْلَمَ أَنَّ كَثيراً مِنَ العُلَماءِ صَحَبُوا المَشايخِ العارِفِينَ، وَلَمْ يَنالُوا مِنْ حَقائِقِهِمْ شَيْئاً؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَصْحَبُونَهُمْ عَلَى نَظَرِ نَفوسِهِمْ لَا عَلَى نَظَرِ المَشايخِ. فَإِذا أَمروهم بِشَيْءٍ، أَوْ نَهَوْهُمْ عَنْ شَيْءٍ وَرَنَوْهُ بِمِيزانِ شَرِيعَتِهِمْ. فما وافق نَظَرَهُمْ قَبِلُوهُ. وما خَالَفَ رَدُّوهُ. فلم يَغرقوا فِي بَحرِ أسرارِهِمْ. وَاللهُ تَعالَى أَعْلَمُ. ثُمَّ ذَكَرَ النَّاظِمُ ما يَفِيدهُ العَقْلُ مِنْ نَقْصِ وَكَمالِ، باعْتِبارِ صاحِبِهِ فقال:

فَكَمْ وَاقِفٍ أزدَى وَكَمْ سائِرٍ هَدَى وَكَمْ حِكْمَةٍ أَبَدَى وَكَمْ مِنْ مُمْلِقٍ أَعْنَى

يقول رضي الله عنه في شأن العَقْلِ أَنَّهُ ظَهَرَ أَنَّ العَلْقَةَ مِنْهُ آثارٌ مُختلفة،

فَمِنْهَا مَا هُوَ خَسْرَانٌ وَمِنْهَا مَا هُوَ رِبْحٌ، فكم واقف معه، ولم ينفذ إلى ما ورآه من الأسرار الخارجة عن مدارك العقول. أزداه: أي أهلكه وأوقعه في الردى: وهو بقاءه مع الحجاب، أو أوقعه في انجلال حيث وقف معه وحكمه على نفسه، ولم يقبل من العقائد والأحكام، إلا ما أذركه عقله، كما فعلت المعتزلة، وضلوا. فقدموا العقل على صحيح النقل من الكتاب والسنة. فردوا الأحاديث الصحيحة، لما خالفت قواعد عقولهم وأولوا الآيات الصريحة، لتطابق ما أدركته عقولهم. وهو زنيح وإلحاد. وكم سالك هداة الله إلى طريق الوصول حيث ميز به ما يضره وما ينفعه فترك ما يضره، وهو كل ما يشغل عن ربه واشتغل بما ينفعه. وهو كل ما يقرئه من ربه. وإذا لاح شيء منه، ورزته بالكتاب والسنة. فطبقت بين المعقول والمنقول وإذا تعدد الوفاق بينهما. قدم ما ورد في الكتاب والسنة، وحكم على العقل بالضعف، وكم حكمة أبدي لصاحبه، حيث نوره بطاعة ربه، ومخالفة هواه فإن العقل إنما عقل صاحبه عن الهوى، ونطق بينابيع الحكمة.

وفي الحديث: «من زهد في الدنيا أرتعين يوماً نطق بالحكمة». وقال أيضاً عليه السلام: «من أعطي زهداً وصمتاً حسناً فاقربوا منه، فإنه يلقي الحكمة». أو كما قال عليه السلام. والحكمة الإصابة في الشيء. وقيل: اتقان الشيء وإبداعه ومحلها القلب وتظهر آثارها على الجوارح. ففي العبد مثلاً بالصنائع العجيبة، وفي اللسان بالمعاني الغربية، ولذلك يقال: نزلت الحكمة على ثلاثة أعضاء في الجسد: على قلوب اليونان، وعلى ألسنة العرب، وعلى أيدي أهل الصين فإن اليونان قد أعطوا الأنظار في العقليات واستخراج البراهين المنطقيات.

والعرب قد أعطوا الحكمة في أشعارها وخطبها، وأهل الصين قد أعطوا الصنائع البديعة في البنيان والنقش والأواني الرفيعة. وكم من مُملقٍ أي فقير أغنى أي صيره غنياً؛ وذلك حيث دله على صحبة العارفين. ووصله الله إليهم، فإنهم يغنونه بالنظر. وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: الخلوة معنا نفيسة توجب غنى الدارين». وقال أيضاً: «طريقنا طريق الغنى الأكبر». وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه: «ما بيني وبين الرجل إلا أن أنظر إليه وقد أعينته». وكل زمان له رجال يغنون. فالعقل الذي جرز صاحبه للدخول مع الأغنياء بالله هو العقل المغني.

وقال بعض الحكماء: «خير ما أعطي المرء عقل يزجره، فإن لم يكن، فمال يستره، فإن لم يكن فحياء يمنعه، فإن لم يكن فصاعقة تحرقه ليسترى منه البلاد

والعباد». ولأجل ما ظهر عليه من المنافع، اغتنى بشأنه كبار الفلاسفة وغيرهم، كما قال الناظم:

وَتَيَّم أَلْبَابَ الْهَرَامِسِ كُلَّهُمْ وَحَسْبُكَ مِنْ بُقْرَاطٍ أَسْكَنَهُ الدُّنَا
وَجَرَّةَ أَمْثَالِ الْعَوَالِمِ كُلِّهَا وَأَبْرَأَ أَفْلَاطُونَ فِي أَمْثَلِ الْحُسْنَى
وَهَامَ رَسْطُو حَتَّى مَشَى مِنْ هِيَامِهِ وَبَثَّ الَّذِي أَلْقَى إِلَيْهِ وَمَا ظَنَّا
وَكَانَ لِذِي الْقَرْنَيْنِ عَوْنًا عَلَى الَّذِي تَبَدَّى لَهُ وَهُمْ الَّذِي طَلَبَ الْعَيْنَا

يقول رضى الله عنه: وتيَّم العقل ألباب الهراميس؛ أي أخذ قلوبهم، حيث صرفوا عتآن عنايتهم لشأنيه. والهراميس: الفلاسفة والكفار منهم، وجلهم كانوا من اليونان. وفي القاموس، الهراميس بالكسرية: الأسد الشديد العادي على الناس كالهرمس والهراميس. ولعل تسمية الفلاسفة بذلك لشدة عقولهم أو لغذوانهم، إذ جلهم كفار. وحسبك من بقراط أنه أسكنه الدنيا أي ويكفيك في العقل أنه أسكن بقراط الحكيم الدنيا أي الجرّة: وهي الآنية الكبيرة التي تفرس في الأرض أسفلها ضيق وأغلاها واسع ويقال لها: الراقود، وفي القاموس: الدن: الراقود العظيم. ثم قال: لا يقصد إلا أن يخضر له. وظاهر إطلاقه، أنه بفتح الدال كما هو اصطلاحه؛ وذلك أن بقراط دخل جرّة وجلس فيها ليخضر فكره لثلا يشوش عقله. وتقدم أنه كان في زمن موسى عليه السلام، فقيل له: لو ذهبت إليه لتأخذ منه الشريعة. فقال: نحن قوم مهذبون لا نحتاج إلى أخذ. فأزده عقله حيث صرفه عن التمسك بأنوار الشريعة فكان من الضالين.

وقوله: وجرّ أمثال العوالم، يحتمل أن يعود الضمير على العقل، ومن شأن العقل، أنه جرّد العوالم العلوية والسفلية، وميَّز بعضها من بعض. ويحتمل أن يزرع لأفلاطون، فإنه تكلم عن العوالم الحسية بعقله وحذيه. فإن علم التجوم والأفلاك جله مأخوذ عن الفلاسفة القدماء. يقال: إنه كان بعد الطوفان بقريب. ولعله تمسك بشريعة نوح عليه السلام أو غيره من الأنبياء، فلذلك قال الناظم في حقه، وأبرأ أي أنشأ العقل أفلاطون في أمثل الحسنى، أي في أفضل الحسنى أي جعله ناشئاً فيها وملازماً لها إذا كان موافقاً للحق باعتقاده على ما ذكره بعض من عرف به. قاله زروق وذكر ابن خلدون في شفاء المسائل، أن أفلاطون شيخ الصوفية، قاله الشيخ زروق، وفيه نظر؛ لأنه لم يذكره في هذه الآيات إلا فلاسفة الأقدمين. قلت: ثم رأيت في الإنالة للتجيبى، أنه شيخ أرسطو. ونصّه: وأفلاطون

قال يُحْدُوثِ الْعَالَمِ . وَتَلْمِيزُهُ أَرَسْطُو بِقَدَمِهِ . وَأَرَسْطُو مِنْ كِبَارِ الْفَلَسَفَةِ ، وَيُقَالُ لَهُ :
 أَرَسْطُو طَالِيْس . وَهُوَ أَحَدُ الْمَشَائِيْنِ الَّذِيْنَ كَانَ مَشِيْهُمُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَطَلَبِ
 الزِّيَادَةِ فِيمَا بَدَأَ لَهُ . فَكَانَ مَشِيْهُ وَهِيَامِهِ طَرِباً مِمَّا حَصَلَ وَطَالِباً مَا لَمْ يَحْضُرْ وَهُوَ
 مَعْنَى قَوْلِهِ . وَهَامَ رَسْطُو حَتَّى مَشَى مِنْ هِيَامِهِ . وَيَقْرَأُهَا أَرَسْطُو بِحَذْفِ الْهَمْزَةِ
 لِلْوَزْنِ ، وَالْهِيَامُ نَوْعٌ مِنَ الْقَلْقِ فِي طَرِبٍ . وَقَالَ فِي الْقَامُوسِ : الْهِيَامُ كَالْمَجْنُونِ مِنَ
 الْعَشَقِ . وَقَوْلُهُ : وَبَثَّ الْخ . . أَي أَنَّ أَرَسْطُو بَثَّ مَا أَلْقَى إِلَيْهِ عَقْلَهُ مِنَ الْعُلُومِ
 وَالْحِكْمَةِ . وَكَانَ وَزِيْراً لَّذِي الْقَرْنَيْنِ فَكَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ يَسْتَعِينُ بِهِ فِي أُمُورِ الْحِكْمَةِ ،
 وَتَدْبِيرِ الْمَمْلَكَةِ . وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ : وَكَانَ لَّذِي الْقَرْنَيْنِ عَوْناً عَلَى الَّذِي تَبَدَّى لَهُ . أَي
 كَانَ عَوْناً لَهُ عَلَى مَا ظَهَرَ لَهُ مِنَ الْمُلْكِ . وَمَا حَصَّه اللَّهُ بِهِ مِنْ تَيْسِيرِ الْأَسْبَابِ
 الْمَبْلُغَةِ لِمَا قَصَدَهُ مِنَ الْأَوَابِي جَمْعُ أَوْبَةٍ . فَكَانَ يَسْتَعِينُ بِهِ فِي عَالَمِ الْحِكْمَةِ ، وَإِنْ
 كَانَ عَلَى غَيْرِ دِينِهِ ؛ لِأَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ الْأَكْبَرَ . قِيلَ كَانَ نَبِيّاً . أَوْ رَجُلًا صَالِحًا . وَذَكَرَ
 أَهْلُ التَّفْسِيرِ ، أَنَّهُ حَجَّ الْبَيْتِ ، فَلَقِيَ سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ ، وَأَخَذَ عَنْهُ الشَّرِيعَةَ
 الْحَنِيفِيَّةَ . وَقَوْلُهُ : «هُوَ الَّذِي طَلَبَ الْعَيْنَ» . يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَسْطُو هُوَ الَّذِي
 طَلَبَ عَيْنَ الْحَيَاةِ ؛ وَهِيَ الَّتِي مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَمِتْ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ
 يَكُونَ ذَا الْقَرْنَيْنِ وَهُوَ الْمَشْهُورُ . فَقَدْ كَانَ يَطْلُبُ عَيْنَ الْحَيَاةِ هُوَ وَالْحَضِرُ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ ، فَعَثَرَ عَلَيْهَا الْحَضِرُ وَحَرَمَهَا ذُو الْقَرْنَيْنِ ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ . أَي رَدَّ
 بَحْثَهُ عَنْهَا غَيْباً . بَلْ وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَبْحَثُ عَنْ أَسْبَابِ مَا قَدْ سَمِعْتُمْ فِي الْقُرْآنِ مِنْ
 جَوْلَانِهِ فِي الْأَرْضِ ، شَرْقاً وَغَرْباً ، وَجَوْفاً وَقَبْلَةً . وَيَبْحَثُ أَيْضاً عَنْ عَيْنِ الْحَيَاةِ ،
 وَيَبْحَثُ عَنْهَا ، وَحِرْصِهِ عَلَيْهَا حَرَمَهَا ، وَتَغَطَّتْ عَنْهُ . وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ : وَبِالْبَحْثِ
 عَطَى الْعَيْنِ إِذْ رَدَّهُ غَيْباً . أَي رَدَّ بَحْثَهُ عَنْهَا غَيْباً . أَي غَطَّاءَ وَسِثْرًا عَنْهَا . وَقَالَ
 الشَّيْخُ زُرُوقٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَبِالْبَحْثِ عَطَى ذُو الْقَرْنَيْنِ الْعَيْنَ ، أَي الْكَشْفِ الَّذِي
 حَصَلَ لَهُ . فَرَدَّهُ غَيْباً . أَي غِطَّاءَ وَغِشَاءً . أَي بَحِثْ ظَنَ الْجَاهِلِ أَنَّ مَلَكَهُ كَانَ مَقِيداً
 بِالْأَسْبَابِ ، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ بَلْ مُؤَيِّداً بِالْوَحْيِ إِنْ كَانَ نَبِيّاً . وَبِالْإِهْلَامِ إِنْ كَانَ وَلِيّاً .
 ثُمَّ قَالَ : تَنْبِيهِ : ذَكَرَ رِجَالاً مُرْتَبِينَ عَلَى الْمَوَاقِفِ الْأَرْبَعَةِ . فَبِقِرَاطٍ مِنَ الْوَاقِفِينَ مَعَ
 الْعَقْلِ ، وَأَفْلَاطُونَ مِنَ السَّائِرِينَ بِهِ ، وَأَرَسْطُو مِنَ أَهْلِ الْحِكْمَةِ وَذُو الْقَرْنَيْنِ مِنَ أَهْلِ
 الْغِنَى الْأَكْبَرِ سِوَا قَلْنَا إِنَّهُ نَبِيٌّ أَوْوَلِيٌّ . فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ . ثُمَّ ذَكَرَ النَّاطِمُ رِجَالاً أَهْتَدَوْا
 بِعُقُولِهِمْ إِلَى الْحَقِّ ، مِنَ الْمِلَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فَقَالَ :

وَذَوَّقَ لِلْحَلَاجِ طُعْمَ اتِّحَادِهِ فَقَالَ أَنَا مَنْ لَا يُحِيطُ بِهِ مَعْنَا
 فَقِيلَ لَهُ أَزْجَعُ عَنْ مَقَالِكَ قَالَ لَا شَرِبْتُ مُذَاماً كُلَّ مَنْ دَاقَهَا عَنَا

وَأَنْطَقَ لِلشُّبْلِيِّ بِالْوَحْدَةِ الَّتِي
وَكَانَ لِذَاتِ التُّوقِرِيِّ مُوَلَّهًا
وَكَانَ خَطِيبًا بَيْنَ ذَاتَيْنِ مَنْ يَكُنْ
وَأَضْمَتَ لِلجِنْسِيِّ تَجْرِيدَ خَلْقِهِ
أَشَارَ بِهَا لَمَّا مَحَا عِنْدَهُ الْكُونََا
يُحَاطَبُ بِالتَّوْحِيدِ صَيْرُهُ خِذْنَا
فَقِيرًا يَرَى الْبَحْرَ الَّذِي فِيهِ قَدْ خُفْنَا
مَعَ الْأَمْرِ إِذْ صَارَتْ فَصَاحْتُهُ أَكُنَّا

يَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَذَوَّقَ الْعَقْلَ حِينَ تَنَوَّرَ، وَاتَّصَلَ نُورَهُ بِالْعَقْلِ الْأَكْبَرِ
لِلْحَلَّاجِ وَهُوَ أَبُو مَغِيثِ الْحُسَيْنِ بْنِ مَنْصُورٍ، صَحَبَ الْجُنَيْدَ وَالتُّورِيَّ وَغَيْرَهُمَا؛
وَهُوَ مِنْ أَكْبَابِ الْأَوْلِيَاءِ الْمُحَقِّقِينَ، غَبِرَ أَنَّهُ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجْدُ، فَعَزَبَدَ فِي الْحَقِيقَةِ،
حَتَّى مَاتَ عَلَيْهَا. فَقَدْ ذَوَّقَ لَهُ عَقْلُهُ طَعْمَ اتِّحَادِهِ، أَي طَعْمَ فَنَائِهِ، فَالَاتِّحَادُ يَطْلُقُ
عَلَى مَعْنَتَيْنِ، أَحَدُهُمَا اخْتِلَاطُ ذَاتَيْنِ، حَتَّى تَصِيرَ ذَاتًا وَاحِدَةً؛ وَهَذَا مُحَالٌ فِي حَقِّهِ
تَعَالَى. وَمَنْ اعْتَقَدَهُ كَفَرَ، وَالثَّانِي يَطْلُقُ عَلَى الْوَحْدَةِ الْحَقِيقِيَّةِ. يُقَالُ: اتَّحَدَ الشَّيْءُ
إِذَا صَارَ وَاحِدًا؛ وَهُوَ الَّذِي يَعْبَرُ عَنْهُ الصُّوفِيَّةُ، وَيَذَكُرُونَهُ فِي أَشْعَارِهِمْ. فَهُوَ كِنَايَةٌ
عَنْ سَقُوطِ الْعَبْرِيَّةِ وَالْإِسْتِثْنِيَّةِ، فَيَفْتَى مَا لَمْ يَكُنْ، وَيَبْقَى مَنْ لَمْ يَزَلْ. فَقَالَ الْحَلَّاجُ
حِينَ غَابَ عَنْ وُجُودِهِ فِي شُهُودِ مُحِبِّهِ، أَنَا مَنْ لَا يُحِيطُ بِهِ مَعْنَى. أَي أَنَا اللَّهُ
الَّذِي لَا تَحْصُرُهُ مَعْنَى، وَلَا يُحِيطُ بِهِ وَهْمٌ وَلَا فِكْرٌ. وَقَالَ أَيْضًا: مِنْ جُمْلَةِ الْكَلَامِ
وَالَّذِي قُتِلَ بِهِ: أَنَا أَنْتَ بِلَا شَكٍّ. سُبْحَانَكَ سُبْحَانِي. وَتَوْحِيدِكَ تَوْحِيدِي،
وَعِصْيَانِكَ عِصْيَانِي، وَقَالَ أَيْضًا: مَا فِي الْجُبَّةِ إِلَّا اللَّهُ، وَالَّذِي تَعْبُدُونَ تَحْتَ
قَدَمِي. فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنِ مَقَالِكَ، وَإِلَّا قَتَلْتُكَ سَيْفَ الشَّرِيعَةِ. فَقَالَ: لَا لِأَنِّي
شَرِبْتُ مُدَامًا، أَي خَمْرًا قَوِيَّةً. كُلُّ مَنْ ذَاقَهَا عَنَى. لَا سِيمَا إِذَا شَرِبَ وَسَكَرَ، وَفِي
هَذَا مَنْ عَبَّرَ عَنْ حَالِهِ:

سَقُونِي وَقَالُوا لَا تُغْنِي وَلَوْ سَقَوْنَا جِبَالَ حُنَيْنٍ مَا سَقُونِي لَعَنَتْ

وَالنُّطْقُ بِالْأَثَانِيَّةِ صَارَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، فِي حَالِ فَنَائِهِمْ. قَالَ بَعْضُهُمْ:
لَقَدْ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فِي مَقَامِ الْفَنَاءِ، أَنَا. وَقَالَ آخَرٌ فِي مَقَامِ الْبَقَاءِ: هُوَ. فَيُقَالُ
لِلْأَوَّلِ صَدَقْتُ وَمَا كَذَبْتُ. وَيُقَالُ لِلثَّانِي: أَحْسَنْتُ وَتَأَدَّبْتُ. وَلَمَّا حَبَسَ لِلْقَتْلِ، قَالَ
لَهُ الشُّبْلِيُّ، يَا أَبَا الْمُغِيثِ: مَا مَعْنَى التَّفَرُّدِ؟ فَقَالَ لَهُ: «هُوَ أَنْ يَنْفَرِدَ الْعَبْدُ بِالْوَاحِدِ
الْأَحَدِ الْفَرْدِ. فَإِذَا رَأَى الْحَقَّ انْفَرَدَ عَنِ الْخَلْقِ، أَمَّنَهُ مِنْ عَذَابِ الطَّرْدِ، فَيَصِيرُ لِلْحَقِّ
مُشَاهِدًا. وَالْحَقُّ عَلَى لِسَانِهِ شَاهِدًا. فَحِينَئِذٍ يَتَخَلَّصُ لِمَقَامِ الْمَعْرِفَةِ. وَيُوصَى إِلَى
خَاطِرِهِ. وَيَحْرَسُ سِرَّهُ عَمَّا سِوَاهُ. فَلَا يَرْشَحُ مِنْهُ غَيْرَ الْحَقِّ، مِنْ حَضْرَةِ الْحَقِّ
بِالْحَقِّ». قَالَ الشُّبْلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْحَلَّاجِ: مَا الْمَعْرِفَةُ؟ فَقَالَ الْحَلَّاجُ:

«استهلاك الحِسِّ في المعنى». فقلت له: ما الوُجْد؟ فقال: لهيبٌ ينشأ عن الشوق في الأَسْرَارِ. وتطرب به الجوارحُ، ثم يزولُ لأنه مقرونٌ بالزوالِ. ويبقى نتيجه العِرْفانية. لا تحول ولا تزول. ثم قال يا شبلي مَنْ رَأَى اللَّهَ عِنْدَ خُطَوَاتِ قَلْبِهِ. عَصَمَهُ عِنْدَ حَرَكَاتِ جَوَارِحِهِ. ثم قال يا شبلي: السنتُ تحفظ كتاب الله. فقال الشبلي بلى. فقال: قد قال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكَرِهْتَ اللَّهُ رَحْمَةً﴾. يا شبلي: إِذَا رَمَى اللَّهُ قَلْبَ عَبْدِهِ بِحَبَّةٍ مِنْ حُبِّهِ. نادى عليه مَدَى الْأَرْزَامِ بِلِسَانِ الْعِتَابِ. فقلت له: ما المحبَّة؟ فقال الحلاج: الغيبة عمَّا سِوَى المَحْبُوبِ. فقلت له: مَا الْأَنْسُ؟ فقال: وجود الهيبة، مع ارتفاع الخشية. وغلبة الرجاء على الخوف. ثم قتل شهيداً رضي الله عنه ببغداد، يوم الثلاثاء، لست بقين من ذي الحجة سنة 306 هجرية. وتأخرت وفاته عن الجُنَيْدِ بتسع سنين. أما ما ذكر بعضهم أَنَّ الحلاج تصور به بينته، حتى ملى البيت فلم يقدر أحد على إخراجِهِ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلْجُنَيْدِ، فَأَتَى إِلَيْهِ، وَقَالَ: يَا حَسْبُنُ، فَتَحَتَّ ثَغْرًا لَا يَسُدُّهَا إِلَّا رُؤْيُتِكَ. فأخرج وسلم. فَأَنْفَسَ بَدَنُهُ، وَخَرَجَ مُسْلِمًا، مَشْكُوكَ فِيهِ. لِأَنَّ الْجُنَيْدَ مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَتِينَ (297 هـ). في قول الأكثر ممن عَرَفَ بِهِ. فكيف يخضر قَتْلُهُ؟ وكذلك قول من قال في مخنة الصوفية إنه الأمر. قال للعلماء: قتلتم الحلاج، وهو وليُّ الله. وأنتم تريدون قتل الجنيد فلا يصحُّ أيضاً. إلا أن يكون وَقَعَ الغلطُ في مَوْتِ الحلاج للشعراني في طبقاته فإني نقلته منه. ثم رأيت الشيخ ابن زكري وافق ما للعشراني نعم. ذكر الفقيه المسنوي في نصرته خلافاً ضعيفاً في وفاة الجنيد. فالله تعالى أعلم. وقوله: أَنْطَقَ للشبلي. أي صيَّرَ العقل الشبلي ناطقاً بالوحدة التي أشار في قوله: أَنَا النَّقْطَةُ التي تحت الباء كما مرَّ قريباً. لما مضى عن رؤية الكون. والإشارة بالباء إلى بحر الجبروت التي تدفقت منه نقطة الكون. وفي معنى ذلك قيل:

بَيْنَ التَّذَلُّلِ وَالتَّذَلُّلِ نَقْطَةٌ فِي فَهْمِهَا يَتَحَيَّرُ التَّخْرِيرُ
هِيَ نُقْطَةُ الْأَكْوَانِ إِنْ جَاوَزَتْهَا كُنْتَ الْمُرَادَ وَعِنْدَكَ الْإِكْسِيرُ

والإمام الشبلي: هُوَ أَبُو بَكْرٍ، قِيلَ اسْمُهُ جَعْفَرُ بْنُ يُونُسَ؛ وَهُوَ شَيْخُ الصُّوفِيَّةِ. وَإِمَامُ أَهْلِ الْبَاطِنِ. كَانَ صَالِحاً فقيهاً، عَلِيّاً مَذْهَبِ مَالِكِ ذُو الْأَنْبَاءِ الْبَدِيعَةِ، وَالْأَخْبَارِ الْغَرِيبَةِ. وَأَخَذَ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ. أَصْلُهُ مِنْ خِرَاسَانَ، مِنْ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا شَبْلَةٌ. وَنَشَأَ بِبَغْدَادَ. فَكُتِبَ الْحَدِيثُ، وَصَحِبَ الْجُنَيْدَ. وَمَنْ فِي وَقْتِهِ مِنَ الْمَشَائِخِ. وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ، كَالْأَزْهَرِيِّ وَالرَّازِي وَغَيْرِهِمَا. قَالَ

الرَّازِي: لَمْ أَر فِي الصُّوفِيَةِ أَعْلَمَ مِنَ الشُّبْلِيِّ. وَقَالَ الْجَنَيْدُ: هُوَ عَيْنُ الْعَيْنِ. خَلَّفَ أَبُوهُ سِتِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، سِوَى الضِّيَاعِ وَالْعَقَارِ. قَالَ: فَأَنْفَقْتُهَا كُلَّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْفُقَرَاءِ لَا أَرْجِعُ وَلَا دَارِي وَلَا أَسْتَظْهَرُ بِمَعْلُومٍ. وَكَانَ جَسِيمًا بَدِينًا. فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ الْمَحَبَّةَ تَقْضِي، فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَحَبُّ قَلْبِي وَمَا دَرَى بَدِينِي وَلَوْ دَرَى مَا أَقَامَ فِي السُّمَنِ
وَرَيْيَ خَارِجًا مِنَ الْمَسْجِدِ يَوْمَ عِيدٍ وَهُوَ يَقُولُ:

إِذَا كُنْتُ لِي عِيدًا فَمَا أَضْمَعُ بِالْعِيدِ
جَرَى حُبِّكَ فِي قَلْبِي جَزَى الْمَاءِ فِي الْعُودِ

وَسُئِلَ الشُّبْلِيُّ عَنِ الرَّهْدِ فَقَالَ: تَحْوِيلُ قَلْبِكَ عَنِ الْأَشْيَاءِ. وَقَالَ فِي التَّصَوُّفِ: ضَبَطَ حَوَاسِكَ، وَمُرَاعَاةَ أَنْفَاسِكَ. أَيِ أَوْقَاتِكَ. تُوْفِيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَنَةَ 334 هـ (أَرْبَعَةٌ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةً). وَقَوْلُهُ: وَكَانَ لِدَاتِ النَّوْفَرِيِّ مُوْلَهَا. أَيِ وَكَانَ الْعَقْلُ لِدَاتِ النَّوْفَرِيِّ مُوْلَهَا. أَيِ مُعَيَّنًا عَمَّا سِوَى الْحَقِّ. قَالَ الشَّيْخُ زُرُوقٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: النَّوْفَرِيُّ لَا أَعْرِفُ اسْمَهُ، وَلَا أُدْرِي حَقِيقَةَ مَا كَانَ عَلَيْهِ تَعْرِيفًا لَكِنْ مَا قَالَ هُنَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مُسْتَعْرِقًا فِي التَّوْحِيدِ، حَتَّى تَوَلَّاهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، حَتَّى لَا يَخَاطِبُ وَلَا يَخَاطَبُ إِلَّا بِهِ. فَصَارَ لَهُ كَالْحَلِيلِ الْمَلَاذِمِ؛ وَهُوَ الْخَذَنُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَكَانَ النَّوْفَرِيُّ أَيْضًا خَطِيبًا بَيْنَ ذَاتَيْنِ، أَيِ بَيْنَ عَالَمِ الْأَزْوَاجِ، وَعَالَمِ الْأَشْبَاحِ. وَهَذَا مِنْ تَمَكُّنِهِ فِي مَقَامِ الْبَقَاءِ. وَقَوْلُهُ: مَنْ لَمْ يَكُنْ فَقِيرًا خ. كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ، بَيَّنَّ فِيهِ أَنَّهُ لَا يَفْهَمُ كَلَامَهُ، وَلَا يَتَذَوِّقُهُ إِلَّا مَنْ دَخَلَ الْبَحْرَ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ. أَيِ مَنْ يَكُونُ فَقِيرًا حَقِيقًا يَرَى الْبَحْرَ الَّذِي غُضَّنَاهُ، وَيَفْهَمُ الْأَسْرَارَ الَّتِي أُشْرْنَا إِلَيْهَا فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ غَيْرَهَا. وَهَذَا كَقَوْلِهِ فِي بَعْضِ أَرْجَالِهِ:

سِرِّي لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ مِثْلِي. قَوْلُهُ: وَاضْمَتَ لِلْجَنِيِّ: قَالَ الشَّيْخُ زُرُوقٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَظُنُّ أَنَّهُ يَعْني ابْنَ جِنِّي النَّحْوِيِّ. فَإِنَّهُ أَلْفٌ كِتَابًا سَمَاهُ: تَجْرِيدُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ. فَذَكَرَ فِيهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْفَصَاحَةِ، وَالْعَقْلِ. أَيِ وَأَضْمَتَ الْعَقْلَ لِابْنِ جِنِّي، كِتَابُهُ الَّذِي سَمَاهُ: تَجْرِيدُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ. وَإِنَّمَا أَضْمَتَهُ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ يَقْتَضِي أَوْسَعَ مِمَّا ذَكَرَ فِيهِ. فَلَمَّا قَصَّ فِيهِ أَضْمَتَهُ عَقْلَهُ. وَقَوْلُهُ: مَعَ الْأَمِيرِ، أَيِ مَعَ اقْتِضَاءِ الْأَمْرِ أَوْسَعَ مِنْ ذَلِكَ لِاخْتِلَافِ اللَّغَاتِ وَمَوَادِّهَا. وَاخْتِلَافِ أَسْبَابِ الْفَصَاحَةِ، وَالْبَلَاغَةِ وَالْيَبَانَ. فَصَارَتْ فَصَاحَةُ ابْنِ جِنِّي أَكْنَأَ أَيِ خَرَسَا. أَوْ فَصَارَتْ فَصَاحَةُ الْكَلَامِ أَكْنَأَ، أَيِ

عجمة. وفي القاموس: لكن كفرح، لكناً محرّكاً، ولكنة ولكوثة فهو لكن، لا يفهم العربية لعجمة لسانه. وحاصل الكلام أن كتابه الذي ألّفه في الفصاحة والعقل، لم يبلغ منه المرام. فأضمته عقله. وقال له: ليتك سكّت. وابن جني: هو أبو الفتح، عثمان بن جني، الموصليّ النحوي، كان إماماً في العربية. قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الفارسي، وقعد للإقراء. فرآه شيخه أبو عليّ في حلقة، والناس حوله يأخذون عنه. فقال له: أتزيت وأنت حصرم. فترك حلقة، ولازمه حتى تمهّر. وكان أبوه جنيّاً رومياً، مملوكاً لسليمان الأزدي. توفي ابن جنيّ سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة (392 هـ). ثم ذكر الناظم جماعة أخرى فقال رضي الله عنه:

تَثْنَى قَضِيبُ الْبَانِ مِنْ شُرْبِ خَمْرَةٍ	فَكَانَ كَمِثْلِ الْغَيْرِ لِكَيْتُهُ تَثْنَى
وَقَدْ شَدَّ بِالشُّوْذِيِّ عَنِ نَوْعِهِ فَلَمْ	يَمِلْ نَحْوَ أَخْدَانٍ وَلَا سَاكِنِ الْمُدْنَا
وَأَضْبَحَ فِيهِ السَّهْرُورِيُّ خَائِفاً	يَصِيحُ فَمَا يُلْقِي الْوُجُودَ لَهُ أَدْنَا
وَلَا يَنْفِيسِي خَلْعَ نَعْلٍ وَجُودِهِ	وَلُبْسُ إِحْاطَةٍ مِنَ الْجَنْجِرِ قَدْ ثَبْنَا
أَقَامَ عَلَى شَأْنِ الْمَسْرَةِ نَجْلَهَا	لَمَّا رَمَزَ الْأَسْرَارَ وَاسْتَمَطَرَ الْمُزْنَا
وَلَاخَ سَنًا بَرَقَ مِنَ الْقُرْبِ لِلنُّهَى	لِنَجْلِ ابْنِ سِيئَاءِ الَّذِي ظَنَّ مَا ظَنََّا

يقول رضي الله عنه: تثنى قضيب البان: وهو رجل من أهل الشام، من أرباب الأحوال، كانت تظهر عليه عجائب وغرائب. وهو ممن اختلف فيه بالقبول والرد. وكان حرب ظاهراً. فكان يجلس بالمزابيل، وربما تجرد من الثياب، فبقي عزباناً. وكان يتصور في صور متعددة. وهذا معنى قوله: تثنى: أي صير من ذاته اثنين، من شرب خمر، فتجوهر عقله، وخرج عن طور الفضلاء في الظاهر، فكان إذا تطور، يرى كمثل الغير وهو بعينه. لكَيْتُهُ تثنى، أي رجع اثنين. والله أعلم.

والشوذى هو العفيف التلمساني المعروف بالحلوي، قاله زروق. ولم أوف على تعريفه. ومعنى شد، أي خرج العقل بالشوذى عن نوعه وجنسه من الناس. فكان مفرداً وخذائياً، فأزاً من المدن والقرى، لما صقلت مرآة عقله تأنس بالله، وفرّ مما سواه. فلم يميل لأصحاب وعشائر. ولا ساكن المدن وكبار المداشر؛ لأن الخلطة تشوش الفكر. سيما هرج المدن فلا يقوى عليها إلا من قوي نور معرفته، وبالله التوفيق. والسهروري: قال الشيخ زروق: المراد به المقتول، صاحب خواص الأربعين الإدرسية وغيرها، أي صاحب العوارف، أي وأصبح السهروري

خَائِفًا مِنْ جِهَةِ عَقْلِهِ، فَلَمْ يَطُقْ مَا تَجَلَّى لَهُ مِنْ أَسْرَارِ خَوَاصِّ الْأَسْمَاءِ. فَكَانَ يَصِيحُ فِي الْعَالَمِ بِمَا عِنْدَهُ، فَلَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ نِدَاءَهُ. وَلَا أَلْقَى إِلَيْهِ أَدْنًا. وَفِي بَعْضِ النُّسخِ: يَصِيحُ بِالخَاءِ الْمَعْجَمَةِ. يُقَالُ: أَصَاحَ لِلأَمْرِ: اسْتَمَعَ لَهُ. وَهَذَا بَعِيدُ الْمُنَاسَبَةِ:

وَابْنُ قَسِيٍّ: هُوَ صَاحِبُ خَلْعِ الثُّغَلَيْنِ، وَاقْتَبَسَ الثُّورَيْنِ مِنْ مَوْضِعِ الْقَدَمَيْنِ، قَالَهُ زُرُوقٌ. وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ تَعْرِيفًا. غَيْرَ أَنَّهُ اعْتَرَضَ عَلَى النَّاطِمِ تَشْرِيعَهُ بِذَلِكَ، لِأَنَّ أَهْلَ الطَّرِيقِ قَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ، أَيْ وَلايْنِ قَسِيٍّ خَلْعَ نَعْلٍ وَجُودِهِ، وَغَابَ عَنْهُ لَمَّا تَحَقَّقَتْ مَعْرِفَتُهُ بِاللَّهِ. وَلَعَلَّ كَلَامَ أَهْلِ الطَّرِيقِ، حَيْثُ لَمْ يَفْهَمُوا مُرَادَهُ. كَمَا تَكَلَّمُوا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ.

وقوله: ولبس إحاطة. أشار لكتاب سماء بذلك، أي وله لبس إحاطة. وقوله: من الحجرِ قد ثبنا: أي ثبنا من ثبوت الحجرِ لثبوت الحرورية لنا، والترشيد من أشيائنا. ولعل ذلك الكتاب المسمى بلبس الإحاطة، تكلم فيه على التحجير، من جهة الشريعة، أو من جهة حصر الكائنات. فقال الناظم: قد ثبنا من ذلك، وخرجنا منه والله أعلم. وقوله: أقام على شأن المسرة. قال الشيخ زروق: ابن المسرة هو ابن سرور؛ وهو فقيه، صاحب يد في العلوم القديمة، أي أقام ابن مسرة على متن السرور حيث ظهر بما خفي على الناس من مكنون أسرار الزموز؛ لأنه ممن اغتنى بحلها وفكها، كما فعل المقدسي وإليه أشار بقوله: لما رمز الأسرار، واستمطر المُرْنَا أي دامت مسرته، لما كشف الأسرار، واستمطر: أي استنزَل أمطار المعاني من سحاب الألفاظ، أو من سحب الآثار؛ وهي الأواني. وقوله: ولأخ سنا بزق الخ. أي ظهر ضوء بزق لابن سينا، من حقيقة عقله المقربة للعقول ما كان بعيداً عنها، فإنه شرح من أمر العقل ما لم يشرحه غيره.

وإبن سينا هذا، هو المتأخر، وهو أحد فلاسفة الإسلام، وقد تكلم الناس فيه، واتهموه بالكفر. قال الشيخ السنوسي في شرح الكبرى، ولقد ضل ابن سينا، وتستر بالإسلام، حيث قال في الطبائع الأربعة.

وقول بقراط هو الصحيح ماء ونار وهوى وريح.

قلت: أمّا مجرد هذا القول، فلا يدل على كُفْرِهِ؛ لأنَّ عَالَمَ الْحِكْمَةِ مَبْنِيٌّ عَلَى الْأَسْبَابِ، وَالْعِلَلِ فِي الظَّاهِرِ. وَالبَاطِنُ هُوَ اللَّهُ. فَقَدْ يَكُونُ تَكَلُّمٌ عَلَى مَا هُوَ مَقْرَرٌ فِي عَالَمِ الْحِكْمَةِ مِنْ تَرْتِيبِ الطَّبَائِعِ وَالْأَسْبَابِ. نَعَمْ قَدْ قِيلَ عَنْهُ إِنَّهُ كَانَ يَرَى أَنَّ الشَّرِيعَةَ لِلْعَقْلِ تَابِعَةٌ، فَتَدُورُ مَعَهُ فِي عِلَلِ الْأَحْكَامِ. قَالَ الشَّيْخُ زُرُوقُ؛ وَهُوَ

مذهب فاسدٌ وإليه أشار الناظم بقوله: الَّذِي ظَنَّ مَا ظَنَّا. أَي ظَنَّ الشريعةَ تَابِعَةً لِلْعَقْلِ وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَقْلَ تَابِعٌ لِلشَّرْعِ فِي عِلَلِ الْأَحْكَامِ وَأَسْرَارِهَا. فَإِنَّ أَدْرَكَ لَهَا عِلَّةً وَحِكْمَةً كَانَ عَيْنَ الْكَمَالِ، وَإِنْ لَمْ يُدْرِكْ لَهَا حَكْمٌ بِتَقْصِيرِهِ وَتَعَبُّدٍ بِأَمْرِ سَيِّدِهِ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ، ثُمَّ ذَكَرَ النَّاطِمُ جَمَاعَةً أُخْرَى فَقَالَ:

وَقَدْ قَلَّدَ الطُّوسِيُّ مَا قَدْ ذَكَرْتُهُ وَلَكِنَّهُ نَحْوُ التَّصَوُّفِ قَدْ حَنَّأَ
وَلَا يَنْ طُفَيْلٍ وَإِنْ رُشِدٌ تَيَقُّظُ رِسَالَةٌ يَفْظَانُ افْتَضَى فَشَحَهُ الْحَيْنَ
كَسَى لِشَعْنِبِ ثُوبٍ جَمَعَ لِدَاتِهِ يَجْرُ عَلَى حُسَايِهِ الدَّيْلَ وَالرُّدْنَا

يقول رضى الله عنه: وَقَدْ قَلَّدَ الطُّوسِيُّ؛ وَهُوَ الْغَزَّالِيُّ، أَيْ قَدْ تَقَلَّدَ مَا قَدْ ذَكَرْتُهُ مِنْ تَحْكِيمَاتِ الْعَقْلِ، وَاسْتِحْسَانَاتِهِ بِذَلِكَ، مِنْ عَجَائِبِ الْقَلْبِ، وَشَرَحَ أَسْرَرَهُ مَا يَقْضَى مِنْهُ الْعَجَبُ. وَكَذَلِكَ أَسْرَارِ الْعِبَادَاتِ، وَالْعَادَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَذْكُورٌ فِي كُتُبِهِ، لَكِنَّهُ نَجَا مِنْ وَبَالِ الْعَقْلِ؛ حَيْثُ حَنَّ إِلَى التَّصَوُّفِ، فَصَرَفَ عَقْلَهُ فِي اسْتِخْرَاجِ أَسْرَارِ سِرِّ الشَّرِيعَةِ، وَحَكْمِ الْأَحْكَامِ.

وَالْغَزَّالِيُّ: هُوَ حُجَّةُ الْإِسْلَامِ، مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْغَزَّالِيِّ الطُّوسِيِّ. وَيُكْنَى أَبُو حَامِدٍ حَبْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَرَاهِبِهَا. اشْتَغَلَ أَوَّلًا بِالْعُلُومِ وَتَدْرِيسِهَا بِبَغْدَادَ. ثُمَّ تَرَكَ جَمِيعَ ذَلِكَ، وَسَلَكَ طَرِيقَ التَّجْرِيدِ وَالْإِنْقِطَاعِ، وَخَدَّمَ الصُّوفِيَةَ بِنَفْسِهِ سَنِينَ ثَمَّ قَصَدَ الْحَجَّ. فَلَمَّا رَجَعَ قَدِمَ إِلَى الشَّامِ، وَأَقَامَ بَيْنَتِ الْمَقْدِسِ مَجَاوِرًا، وَاجْتَهَدَ فِي الْعِبَادَةِ وَزِيَارَةِ الْمَشَاهِدِ وَالْمَوَاضِعِ الْمَعْظَمَةِ. ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ. وَاعْتَكَفَ فِي زَاوِيَةِ مِنْ مَنَارِ الْجَامِعِ، وَأَخَذَ فِي التَّصْنِيفِ، لِإِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ؛ وَهُوَ مِنْ أَنْفَسِ الْكُتُبِ، لَا يَسْتَعْنِي عَنْهَا طَالِبُ الْآخِرَةِ. وَكَانَ يُرَوِّضُ نَفْسَهُ فِي الْمَجَاهِدَاتِ، وَيُكَلِّفُهَا مَشَاقِ الطَّاعَاتِ. ثُمَّ قَصَدَ مِصْرَ، وَأَقَامَ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ مَدَّةً، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ، وَعَقَدَ بِهَا مَجَالِسَ الْوُعُظِ، وَتَكَلَّمَ عَلَى لِسَانِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ. ثُمَّ عَادَ إِلَى وَطَنِهِ بَطُوسَ. وَوَزَعَ أَوْقَاتِهِ عَلَى وَطَائِفِ الْخَيْرِ، مِنْ حَتْمِ الْقُرْآنِ، وَمَجَالَسَةِ أَهْلِ الْقُبُولِ. وَإِدَامَةِ الْعِبَادَةِ إِلَى أَنْ نَقَلَ الْحَقُّ إِلَى دَارِ الْكِرَامَةِ، فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ، رَابِعَ جَمَادَى الثَّانِيَةِ، سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِمِائَةٍ. (505هـ). بَطُوسَ وَبِهَا دُفِنَ. وَقَبْرُهُ بِهَا مَشْهُورٌ. وَذَكَرَ النَّالِدِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمَعْرَى: أَنَّ سَبَبَ تَجْرِيدِ الْغَزَّالِيِّ وَانْقِطَاعِهِ، هُوَ أَخُوهُ. وَكَانَ مِنْ مُحَقِّقِي الصُّوفِيَةِ. وَقَفَّ عَلَيْهِ فِي مَجْلِسِ عِلْمِهِ فَقَالَ لَهُ: إِلَى أَيْنَ تَحْتَبِسُ فِي هَذِهِ الْمَعَاقِلِ، وَأَنْشُدَهُ شِعْرًا أَنْهَضَهُ إِلَى رَبِّهِ، وَذَكَرَ غَيْرَهُ، أَنَّهُ وَصَلَهُ بِشَيْخِهِ، وَكَانَ خِرَازِمًا، فَجَذَبَهُ إِلَى رَبِّهِ، وَأَمَرَهُ بِتَخْرِيبِ ظَاهِرِهِ وَبِالتَّجْرِيدِ. فَحِينْتِذِ ذَاقَ مَا ذَاقَتْ الرِّجَالُ. وَالْغَزَّالِيُّ

بتشديد الزّاي نسبة إلى الغزالي . على عادة أهل خوارزم وجرجان ، فإنهم ينسبون إلى القصار ، القصاري ، وإلى العطار العطارى . وقيل : إن الزّاي مخففة نسبة إلى غزالة . وهي قرية من قرى طوس ؛ وهو خلاف المشهور وطوس بضم الطاء ، وسكون الواو : قرية من قرى بخارى . وما يقال إنه مدفون بترعة ، غلط فاجش . قال الدّميري في حياة الحيوان . روينا بالسند الصحيح عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضى الله عنه . أنه قال : رأيت النبي ﷺ في النوم . وقد باهى موسى وعيسى بالغزالي ، فقال لهما : في أمتكما هذا الخبر؟ وأشار إلى الغزالي . فقالا : لا . قال الشيخ أبو العباس الميرسي : «إنا لنشهد له بالعوثية العظمى» . وقيل القائل : هو الشاذلي رضى الله عنهم أجمعين . ثم قال الناظم : ولابن طفيل وابن رشد تيقظ . أمّا ابن طفيل فهو من فلاسفة الإسلام . له عقل وبيقظ في الأمور العقلية . ولم أقف على تعريفه . وأمّا ابن رشد ، فالمراد به الحفيد ؛ وهو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، الإمام المشهور . ولد سنة عشرين وخمسائة (520هـ) قبل وفاة جده أبي الوليد شهر واشتهر بالحفيد ، وهو من أهل قرطبة . وقاضي الجماعة بها . أخذ الفقه عن المازري وغيره . وأخذ الطب عن أبي مزوان بن جريون . وكانت الدراية ، أغلب عليه من الرواية خلاف جده . ولم ينشأ في الأندلس مثله . حتى قيل فيه : كان أفقه من جده . وصنّف وقيد مذهب ومال إلى علوم الأوائل . وكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره . وكان يفرغ إلى فتياه في الطب ، كما يفرغ إلى فتياه في الفقه . له تأليف جلية . منها : كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد . وذكر فيها أسباب خلاف المذاهب وعللها . وأفاد وأفنع فيه . ولا يعلم في وقته أنفع منه . وله كتب أخرى ذكرها في الديباج . توفي رحمه الله سنة خمس وتسعين وخمسائة (595هـ) بمراكش . كان قديماً على السلطان فمات ، ثم دفن بها ، ثم نقل إلى قبرسلة بقرطبة . وفي قبره دفن الولي الشهير أبو العباس السبتي . وقيل في الحفيد ، إنه أتهم بالاعتزال وبالميل لمذاهب الفلاسفة ، كما رمي بذلك ابن طفيل ، ولذلك قرن معه . ولم يتسبب لهما الناظم إلا التيقظ في أمور العقل فقط . قال الشيخ زروق : وأمّا ابن طفيل وابن رشد الحفيد فمن متفلسفة الإسلام . وقد رُموا بأكبر الكفر والله أعلم . قلت : كتب الحديث موشحة بالأحاديث النبوية ، ليس فيها شيء مما رُمي به . وقد عرف به صاحب الديباج وغيره ، فلم ينسبوا له شيئاً مما يُنقضه . وعند الله تجتمع الخصوم . ويقظان هو ابن يقظان ، وله رسالة في العقلية . قال الشيخ زروق ، وقد وقفت عليها وهي مبنية على القول بالطبيعة ، وهو نوع من الكفر ، ولذلك قال

الناظم: اقْتَضَى فتحه الحَيْنُ؛ أي اقتضى فتح العَقْلِ لَهُ الحَيْنُ؛ وهو الهَلَاكُ.

كَسَى لشَعِيبٍ: المراد أبو مَدِين الغوث الشهير بالولاية شرقاً وغرباً. كَانَ رضى اللّهُ عَنْهُ، من أعيان مشايخ المغرب، وصدور المُقَرَّبِينَ، واسمُه شعيب، وولده مَدِين مدفون بِمِصْر، ببركة القرع، وقبره مشهور يُرَاو. وأما أبو مَدِين، فهو مدفون بمدينة تَلَمْسَانَ، في تربة العباد. مات وقد جاوز الثمانين سَنَةً. كَانَ مقيماً بجاية. ثم إِنَّ سُلْطَانَ تَلَمْسَانَ بلغه خَبْرُهُ. وما كَانَ فِيهِ الشُّهْرَةُ. فَأَمَرَ بإحضاره من بجاية ليتبرك بِهِ، لتعذُر وصول السلطان إلى زيارته، خوفاً مِن اختلال رعيته.

فَأَجَابَ بالسَّمْعِ والطاعة. ثم قال بخفض صَوْتِهِ: ما لنا وللسُلْطَانَ. الليلة نزور الإخوان، ثم نزور تَلَمْسَانَ، واستقبل القبلة ليلة دُخُولِهِ، وتشهد ثم قال: هَا قَدْ جِئْتُ وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لَتَرْضَى. ثم قال: اللّهُ الحَيُّ. وفاضت روحه. قال الشيخ عبد الرزّاق: اجتمعت بِالخضر عليه السلام، فسألته عن شيخنا أبي مَدِين. فقال: هو إمامُ الصّديقين في هَذَا الوَقْتِ. وقد أعطاه اللّهُ مفتاحاً من السّرِّ المصُونِ. فما في هذه السّاعة أَجْمَعُ لَأَسْرَارِ المرسلين مِنْهُ. وقد أَجْمَعَتِ المشايخ على تَعْظِيمِهِ وإِجْلَالِهِ. وَكَانَ جميلاً ظريفاً، متواضعاً زاهداً، وَرِعاً محققاً. قَدْ اشْتَمَلَ على كَرَمِ الأخلاقِ. وَكَانَ يقول لِنِسِّ للقلْبِ إلَى جِهَةِ واحدة متى تَوَجَّهَ إِلَيْهَا، غَابَ عَنْ غَيْرِهَا. وَقَالَ أيضاً: الْفَقْرُ نُورٌ مَا دُمْتَ تَسْتَرُهُ. فَإِذَا أَفْشَيْتَهُ ذَهَبَ نُورُهُ. وقال أيضاً: كل فقير كان الأخذ أحبَّ إليه من العطاء فهو كذّابٌ، لم يشمِّ لِلْفَقْرِ رائحةً. وقال أيضاً: مَنْ لَمْ يَصْلُحْ لِخِدْمَتِهِ، شَغَلَهُ بالدُّنْيَا. وَمَنْ لَمْ يَصْلُحْ لِمَعْرِفَتِهِ، شَغَلَهُ بِالآخِرَةِ. وقال أيضاً: مَنْ لَمْ يَخْلُصْ له العُدَار، لم تُزْفَعْ له الأَسْتَار. ومكث في بَيْتِهِ سَنَةً، لَمْ يَخْرُجْ إلَى الجُمُعَةِ فاجتمع النَّاسُ على باب دَارِهِ، وطلبوا منه أَنْ يتكَلَّمَ عَلَيْهِمْ، فلَمَّا أَلْزَمُوهُ خَرَجَ. فَرَأَتْهُ العصافير التي على سور في الدّار، فَفَرَّتْ مِنْهُ، فرجع، وقال: لو صلحْتُ للحديثِ عليكم لَمْ تَفِرُّ مِنِّي الطُّيُورُ. فَجَلَسَ في البيت سنة أخرى، ثم جَاءُوا إِلَيْهِ، فَلَمْ تَفِرُّ مِنْهُ الطُّيُورُ، فتكَلَّمَ على النَّاسِ. وَنَزَلَتِ الطُّيُورُ تَضْرِبُ بِأَجْنِحَتَيْهَا، حتى مَاتَ مِنْهَا طائفة، وماتَ رجل من الحَاضِرِينَ. وَكَانَ الحقُّ تعالى قد أدلَّ له الوحوشُ. فَإِذَا رَأَى الوحشُ اِرْتِعَادَ مِنْ هَيْبَتِهِ. وَمَرَّ يَوْمًا على حمارٍ، والسُّبُعُ قد أَكَلَ نِصْفَهُ، وصاحب الحِمَارِ ينظر إليه من بَعِيدٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْرُبَ مِنْهُ. فقال لصاحب الحمار: تَعَالَ. وذهب بِهِ إلى الأَسَدِ. وقال: أُمْسِكْ بِأُذُنِهِ. واستعمله مَكَانَ حِمَارِكَ حتى يَمُوتَ. فأخذ بِأُذُنِهِ وَرَكِبَ. وَصَارَ يَسْتَعْمَلُهُ مَكَانَ حِمَارِهِ حتى مَاتَ الأَسَدُ.

توفي رضى الله عنه: سنة ثلاث وتسعين وخمسائة (593هـ) عن خمس
وثمانين. وخرج من دائرته ثلاثمائة قطب دون الصالحين. وأخذ الطريق عن أبي
يعزى والشيخ عبد القادر وسيدى علي بن حرزم رضى الله عنهم أجمعين. قال
الناظم في مدحه. كسى لشعيب ثوب جمع لذات. أي كساه عقلة ثوباً جامعاً لذاته
على ربه. فكان دائماً مجموعاً على الله، في بساط الحضرة. وكان كثيراً ما يُنشد:
اللَّهُ قُلُّ وَدَرِ الْوُجُودِ وَمَا حَوَى. إِنْ كُنْتُ مُرْتَاضاً بُلُوعَ كَمَالٍ. يَجْرُ الذَّلِيلُ أَي طَرَفَ
الإزار. والرُّدْنُ بِضَمِّ الرَّاءِ. أَضْلُ الكَمِّ. أَي يَجْرُ ذَيْلُهُ وَكَمَهُ اِفتخاراً لِمَوْلَاهُ. وشكراً
لِمَا بِهِ أَوْلَاهُ. قال الشيخ زروق: تخرج على يده ألف ولي، ولم يذكر عن أحد من
أئمة طعن فيه، رضى الله عنه وأرضاه. ونفعنا به؛ وهو أندلسي، ثم ذكر الناظم
جماعة أخرى فقال:

وَعَنهُ طَوَى الطَّائِي بِسَطِّ كِيَانِهِ بِدَسْكَرَةِ الخُلَاعِ إِذْ ذَهَبَ الْوَهْنَا
تُسَمَّى بِرُوحِ الرُّوحِ جَمْرًا فَلَمْ يُبَلِّلْ وَلَمْ يَرِنْدَا فِي الْمَقَامِ وَلَا خِدْنَا
بِهِ عُمَرُ بْنُ الْفَارِضِ النَّاطِمِ الَّذِي تَجَرَّدَ لِلْأَسْفَارِ قَدْ سَهَّلَ الْحَزْنَا
وَبَاحَ بِهَا نَجْلَ الْحَرَالِي عِنْدَمَا رَأَى كَثْمَهُ ضُغْفًا وَتَلْوِبَعَهُ غَيْنَا
وِلِلْأَمَوِيِّ النَّظْمِ وَالنُّشْرِ فِي الَّذِي ذَكَرْنَا وَإِعْرَابَ عَمَّا نَحْنُ أَعْرَبْنَا

المُرَاد بالطائي: ابن العَرَبِيِّ؛ لأنه من ذرية حاتم الطائي، وكان في زمانه،
يعرف بابن سُرَاقَة. وعند المتأخرين من الصوفية: محيي الدين. وهو الإمام
المحقق، رأس العارفين، وإمام المُقَرَّبِينَ. ذو النِّفحات القدسية. والأنفاس
الزَّوْحَانِيَّة. والمعارف البَاهِرَة. والحقائق الزَّاهِرَة. له المحلُّ الأرفع في مراتب
القرب، وَمَتَازِل الأُنْس؛ وهو أَحَد أَرْكَانِ هذه الطريق. وَأَجَلْ أئمة أهل التحقيق.
بحرُ زمانه وفريد أوانه. لُقِّبَ الشَّيْخ أَبُو مَدِينِ بِسُلْطَانِ العارفين. وكَلَامَ الرجل دليل
على مَقَامِهِ. وكُتِبَ مشهورة بِأَيْدِي النَّاسِ. إِلَّا أَنَّهُ مال فيها لإظهار الحقائق، وكشف
غَطَائِهَا. فَرُمِيَ بما رُمِيَ بِهِ غَيْرُهُ مِمَّنْ أَظْهَرَ. وَمِن كَشُوفَاتِهِ رضى الله عنه: أَنَّهُ ذَكَرَ
فِي بَعْضِ كُتُبِهِ صِفَةَ السُّلْطَانِ بنِ سُلَيْمَانَ الأَوَّلِ، وَفَتَحَهُ القُسْطَنْطِينِيَّةَ فِي الوَقْتِ
الفَلَانِي. فَجَاءَ الأَمْرُ كَمَا قَالَهُ. وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ نَحْو مائتي سَنَةٍ. فَبَنَى عَلَيْهِ قُبَّةً
عَظِيمَةً بِالشَّامِ، وَرَتَّبَ فِيهَا طَعَامًا وَخَيْرَات. بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَبُولُونَ عَلَى قَبْرِهِ. وَحكى
الشَّيْخ الصَّالِح سَيِّدِي أَحْمَدَ الحَلْبِي، أَنَّهُ كَانَ لَهُ بَيْتٌ مشرف على ضريح الشَّيْخ
محيي الدين، فَجَاءَ شَخْصٌ مِنَ المُنْكَرِينَ، بَعْدَ صَلَاةِ العِشَاءِ بِنَارٍ يريد أن يحرق

تأبوت الشيخ، فحُصِفَ بِهِ دُونَ الْقَبْرِ بِتِسْعَةِ أذْرَعٍ، فَعَابَ فِي الْأَرْضِ وَأَنَا أَنْظُرُ فَفَقَدَهُ
أَهْلُهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَأَخْبَرْتَهُمْ بِالْقِصَّةِ فَجَاءُوا وَحَفَرُوا رَأْسَهُ. فَكَلَّمَا حَفَرُوا نَزَلَ
غَائِرًا فِي الْأَرْضِ إِلَى أَنْ عَجَزُوا. وَرَدُّوا التُّرَابَ عَلَيْهِ.

وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوْلَىٰ يَكْتُبُ الْإِنشَاءَ لِبَعْضِ مَلُوكِ الْمَغْرِبِ، ثُمَّ تَزَهَّدَ
وَتَعَبَّدَ. وَسَاحَ وَدَخَلَ مِصْرَ وَالشَّامَ وَالْحِجَازَ وَالرُّومَ. وَلَهُ فِي كُلِّ بَلَدٍ دَخَلَهَا
مُؤَلَّفَاتٌ. وَكَانَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ يَحْطُّ مِنْ قَدْرِهِ كَثِيرًا. فَلَمَّا صَحِبَ
الشَّيْخُ أَبَا الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَعَرَفَ أَحْوَالَ الرِّجَالِ. صَارَ يَتْرَجِمُهُ بِالْوِلَايَةِ
وَالعِرْفَانِيَةِ. مَاتَ شَهِيدًا سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتْمِائَةَ (638هـ). وَلَهُ مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ
نِيفٌ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، مِنْهَا التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ الَّذِي بَلَغَ فِيهِ إِلَى سُورَةِ الْكَهْفِ عِنْدَ قَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾. ثُمَّ تُوْفِيَ وَلَمْ يَكْمَلْ. وَهَذَا التَّفْسِيرُ، كِتَابٌ عَظِيمٌ
بَلَغَ ثَلَاثِينَ سِفْرًا. كُلُّ سَفَرٍ بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ. فَقَالَ النَّاطِمُ فِي تَرْجُمَتِهِ: وَعَنْهُ طَوَى
الطَّائِبِي بَسْطَ كِيَانِهِ، أُنِي وَعَنْ عَقْلِهِ طَوَى الْحَاتِمِي الطَّائِبِي بَسْطَ وَجُودِهِ، فَعَابَ عَقْلَهُ
عَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِ بِخُرُوجِ مَا أُذْرِكُ عَنْ دَائِرَةِ الْعُقُولِ. فَالْكِيَانُ بِمَعْنَى الْكُونِ، أُنِي
طَوَى عَنْ عَقْلِهِ بَسْطَ كَوْنِهِ. وَكَانَ ابْتِدَاءَ ذَلِكَ الطِّي بِدَشْكْرَةِ الْخُلَاعِ، أُنِي بِحَضْرَةِ
اجْتِمَاعِ أَهْلِ الْخَمْرَةِ؛ وَهُمْ الَّذِينَ يَخْلَعُونَ عُدَارَهُمْ فِي رِضَى مَحْبُوبِهِمْ، فَيَحْرُبُونَ
طَوَاهِرَهُمْ، وَيَهْتَكُونَ أَعْرَاضَهُمْ، وَلَا يَبَالُونَ بِمَنْ لَامَهُمْ وَعَابَ عَلَيْهِمْ.

وَفِي الْقَامُوسِ الدُّسْكْرَةُ: الْقَرْيَةُ وَالصُّومُعَةُ، وَبُيُوتُ الْأَعَاجِمِ، يَكُونُ فِيهَا
الْخَمْرُ وَالْمَلَاهِي، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا؛ لِأَنَّ الْخَمْرَ مَعْنَوِي، وَالْمَلَاهِي، كِتَابِيَةٌ عَنِ
التَّغْرِزِ بِالمَحْبُوبِ. وَتُعَبَّرُ عَنْهُ الصُّوفِيَّةُ بِالْخَانِ، أُنِي كَانَ ذَا الْفَتْحِ بِمُخَضَّرِ أَهْلِ
الْأَذْوَاقِ الَّذِينَ خَلَعُوا عُدَارَهُمْ، إِذْ ذَهَبَ الْوَهْنُ: أُنِي حِينَ ذَهَبَ عَنْهُ ضَعْفُهُ وَكَسَلُهُ،
وَفَزَقَهُ بِخَلْعِ عُدَارِهِ، وَافْتِضَاحِ نَفْسِهِ؛ وَهُوَ الَّذِي تَسْمَى بِرُوحِ الرُّوحِ فِي شِعْرِهِ
المَعْلُومِ الَّذِي قَالَ فِيهِ:

وَرُوحِ الرُّوحِ لِأَرْوَحِ الْأَوَانِي
تُنَاجِيهِ وَعِنْدَكُمْ لِسَانِي
وَعُدَّ عَنِ التَّنْعُمِ بِالْأَوَانِي
مُسْتَرَّةً بِأَنْوَاعِ الْمَعَانِي
وَالْأَسْوَفَ يُقْتَلُ بِالسِّنَانِ
لَهُ شَمْسُ الْمَحَبَّةِ بِالسَّنَانِي

أَنَا الْقُرْآنُ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي
فُوَادِي عِنْدَ مَعْلُومِهِ مُقِيمٌ
فَلَا تَنْظُرُ بِطَرْفِكَ نَحْوَ جِسْمِي
فَأَسْرَارُ تَرَائِثِ مُنْبَهَمَاتِ
وَمَنْ فِيهِمُ الْإِشَارَةُ فَلْيَضُنَّهَا
كَحَلَاجِ الْمَحَبَّةِ إِذْ تَبَدَّتْ

فَقَالَ: أُنَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يُغَيَّرُ ذَاتُهُ مِنَ الزَّمَانِ
وتأويله: أَنَّهُ غَابَ عَنِ وجودِهِ عِنْدَ مَحْسُوسِيهِ، فَشَاهَدَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ. فَصَارَ
عَيْنَ الْعَيْنِ فَقَالَ: أَنَا مُتْرَلُ الْقُرْآنِ، وَأَنَا رُوحُ الرُّوحِ وَالَّذِي هُوَ السَّرُّ الْمَكْنُونُ؛ الَّذِي
قَامَ بِالْأَرْوَاحِ وَالْأَشْبَاحِ. وَمِنْ كَلَامِهِ أَيْضاً: تَطَهَّرُ بِمَاءِ الْعَيْبِ إِنْ كُنْتَ ذَا سِرٍّ إِلَى
آخِرِ الْآيَاتِ الْمَشْهُورَةِ عَلَى مَا نَسَبَهُ أَبُو الْمَوَاهِبِ التُّونِسِيُّ حَسْبَمَا ذَكَرَهُ الشُّعْرَانِيُّ.
وَنَسَبَهَا غَيْرُهُ لِلجَنِيدِ؛ وَهُوَ الْمَشْهُورُ. وَقَوْلُهُ لَمْ يُبَالِ. هَكَذَا فِي نَسَخَتْنَا أَي لَمْ يُبَالِ
بِمَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ مَقَالَتَهُ. وَلَمْ يَرَّ لَهُ نَدَاءٌ، أَي شَبِيهَاً، وَلَا مَعَانِدًا فِي زَمَانِهِ فِي مَقَامِ
الْعِلْمِ وَالذِّيَانَةِ.

وَقَوْلُهُ: وَلَا خِذْنَا، أَي وَلَاضْحَاحِيهِ يَقْرَبُ مِنْ خَالِيهِ، بَلْ رَأَى نَفْسَهُ مَفْرَدًا بِمَا
حَصَلَ وَأَضَلَّ. وَلَا يَسْتَعْرَبُ مِنْ هَذَا فَإِنَّ الْبَاطِنَ يَقْلُ فِي كُلِّ زَمَانٍ. ثُمَّ ذَكَرَ ابْنَ
الْفَارِضِ فَقَالَ بِهِ: عُمَرُ بْنُ الْفَارِضِ. أَي بِالْعَقْلِ تَجَرَّدَ عُمَرُ بْنُ الْفَارِضِ الَّذِي اشْتَهَرَ
بِالنِّظْمِ لِلْأَشْعَارِ. فَسَهَّلَ عَلَيْهِ الْحَزْنَ، أَي الصُّغْبُ مِنْهُ، وَتَحَمَّلَ مَشَاقِقَهُ لِلْمَحَبَّةِ الَّتِي
اشْتَعَلَتْ فِي قَلْبِهِ الَّتِي هَدَاهُ إِلَيْهَا عَقْلُهُ مَعَ تَقَدُّمِ الْقُدْرَةِ وَالْإِقْتِدَارِ. وَفِي الْقَامُوسِ:
الْحَزْنُ: مَا غَلَطَ مِنَ الْأَرْضِ، فَإِذَا سَهَّلَ مَا غَلَطَ مِنْهَا فَأَوْلَى مَا كَانَ بَسِيطًا.

وَابْنَ الْفَارِضِ: هُوَ الْوَلِيُّ الْكَبِيرُ وَالْمَحَبُّ الشَّهِيرُ إِمَامُ الْعُشَاقِ أَبُو حَفْصِ
عَمْرِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْمَرْسُفِ الْحَمِيرِيِّ الْأَصْلُ الْمِصْرِيُّ الدَّارِ وَالْمَوْلِدُ
وَالْوَفَاةُ. لَهُ دِيْوَانٌ فِي الشُّعْرِ رَاقٍ. وَفِي أُسْلُوبٍ غَرِيبٍ فَائِقٍ. وَهُوَ قَصِيدَةٌ مُشْتَمَلَةٌ
عَلَى سِتْمَائَةِ بَيْتٍ عَلَى اصْطِلَاحَاتِهِمْ وَمَنَاجِهِمْ. وَهُوَ قَصِيدَتَانِ تَائِيَتَانِ. فِيهِمَا كَلَامٌ
عَامِضٌ شَرَحَ إِحْدَاهُمَا أَبُو سَعِيدِ الْفَرْعَانِيُّ شَرْحًا جَيِّدًا. وَوُلِدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ سِتِّ
وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ (576هـ)، وَتَوَفَّى سَنَةَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسِتْمِائَةٍ (632هـ). فَعَمَّرَهُ
سِتِّ وَخَمْسُونَ. وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي شَرْحِي لِحَمْرِيَتِهِ، مَنَاقِبَهُ وَمَآثِرَهُ وَمُلَاقَاتَهُ بِالشَّيْخِ
الْبِقَالِ وَسِيَاحَتِهِ فِي نَوَاجِي مَكَّةَ. وَرُجُوعَهُ لَصَلَاتِهِ عَلَى شَيْخِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، وَاسْتِقْرَارَهُ
فِي مَضْرٍ فَرَاغَهُ إِنْ شِئْتَ.

وَالْحُرَّالِي: قَالَ الشَّيْخُ زُرُوقُ: هُوَ أَبُو الْحَسَنِ، عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ التَّجِيبِيِّ
الْحُرَّالِيِّ بِجَائِي الدَّارِ. تَرَجَمَهُ صَاحِبُ عُنْوَانِ الدَّرَايَةِ: بِالْعَالَمِ الْمَطْلُوقِ. وَقَالَ: مَا
مِنْ قَنْ إِلَّا وَأَلَّفَ فِيهِ.

ثُمَّ قَوْلُهُ: وَبَاحَ بِهَا: يَحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ الْحِكْمَةَ بَلِ الْمَعْقُولِيَّةَ أَوْ فَوَائِدَهَا
الْمَقْصُودَةَ، أَوْ الْمَوْجُودَةَ، أَوْ الْمَشْهُورَةَ أَي وَبَاحَ بِالْحِكْمَةِ أَوْ بِفَوَائِدِ الْعَقْلِ ابْنَ

الحِرَالِي، ولم يقدز على كتمها إذ رأى كتمه لها ضعفاً في الإيمان؛ إن كتمها على أهلها، لقوله عليه السلام: «لَا تُؤْتُوا الْحِكْمَةَ غَيْرَ أَهْلِهَا فَتَظْلِمُوهَا، وَلَا تَمْنَعُوهَا عَنْ أَهْلِهَا فَتَظْلِمُوهُمْ». وَرَأَى أَيْضاً تَلْوِيحَهُ بِهَا، وَإِشَارَتَهُ بِهَا غَيْناً أَيْ غِطَاءً وَسِتْراً فَمَا أَمَكَّنَهُ إِلَّا التَّصْرِیحُ نَفْعاً لِلْعِبَادِ.

والأموي: قال الشيخ زروق رضي الله عنه: كنت أعرفه ثم غاب عن ذهني، وللأموي النظم والنثر في شأن العقل الذي ذكرنا وإعراباً: أي بيانا كما نحنُ أعرنا أي بيئنا. والله تعالى أعلم. ثم ذكر شأن شيخه وشأن نفسه، وبهما وقع الختام. فقال:

وَأَظْهَرَ ابْنَ سَبْعِينَ لِي مِنْهُ مَا خَفَى وَكَشَفَ عَنْ أَطْوَارِهِ الْعَيْمَ وَالذُّجْنَ
وَبَيَّنَ أَسْرَارَ الْعُبُودِيَةِ الَّتِي عَنْ إِعْرَابِهَا لَمْ يَزْفَعُوا اللَّبْسَ وَاللُّحْنَ

ابن سبعين، هو الإمام العارف الرباني، المحقق القطب الصمداني، عبد الحي بن إبراهيم بن محمد بن سبعين. قال الغبريني: فقيه جليل، عارف نبيل فصيح. له حكمة ومعرفة، وبراعة وبلاغة. مشارك في المعقول والمنقول. أخذ مشاهير الفضلاء، وله أتباع كثيرة، وموضوعات كثيرة في يد أصحابه. فيها ألغاز وإشارات، وله موشحات وأشعار في طريق القوم.

توفي رضي الله عنه سنة تسع وستين وستمائة (669هـ)؛ وهو ممن اختلف فيه أهل الظاهر رداً وقبولاً. وأما أهل الباطن، فأجمعوا على تحقيق ولايته ومعرفة.

وفي طبقات الشعرائي: كان ابن سبعين من المشايخ الأكابر، مات بمكة، عن خمس وخمسين سنة (55 سنة). وقال في المقدمة: أخرجوه من بلاد المغرب، وكتبوا فيه كتاباً. وقالوا فيه: إنه يقول: أنا هو، وهو أنا. ولما قدم مكة وجد السلطان الذي فيها مريضاً قد ظهر مخه؛ فصنع له رأساً من القرع، وعم به مخه فشفاه الله فقربه وأكرمه وعظمه. فما زال معظماً، حتى مات بها رضي الله عنه. فقال الناظم في ترجمته. وأظهر ابن سبعين منه، أي من أمور العقل فأخفى عن الناس، وأضافه إلى نفسه؛ لأنه شيخه. قال الشيخ زروق: وكونه أظهر من حقائق العقل وفوائدها ما خفى ظاهر من كتبه، لا سيما عند البدو وما جرى مجراه. وإن كانت عبارته تحتاج إلى مسامحة في محلها. فهي وإن كانت عين التحقيق، فليحزن نسبة في التعبير. وقوله: وبين أسرار العبودية، يعني في كتابه البدو، الذي تكلم

فيه بِلِسَانِ المتكلم والفَيْلَسُوفِي، والفقيه والحكيم والمحقق. وأعطى كل مسألة حَقَّهَا من كَلَامِهِمْ. وكشَّفَ بِشَدِّ الشين للمبالغة أي كَشَّفَ عن أطوارِ العَقْلِ وَمَرَاتِبِهِ الغيم، أي السحاب الرقيق الَّذِي يَغْطِي الشَّمْسِ والدَّجْنَ: أي الظَّلَامَ. ويَبَيِّنَ أَيْضاً أسرار العبودية إذ هي شَرَفُ الإنسان، التي لم يرفَعُوا: أي النَّاسَ والحكماء، عن إعرابِهَا: أي عن بَيَانِهَا، اللَّبْسُ أي الاختلاط والاشتباه. وفي القاموس اللَّبْسُ بالفتح وَيَبْضِمُ: الشُّبْهَةُ. واللُّخْنُ بِسُكُونِ الحاءِ. ثم ذَكَرَ شَأْنَ نَفْسِهِ فقال:

كَمَشَفْنَا غِطَاءَ مِنْ تَدَاخُلِ سِرِّهَا فَأَضْبَحَ ظَهْرًا مَا رَأَيْتُمْ لَهُ بَطْنًا
هَدَانَا لِقَوْلِ الْحَقِّ مَا قَدْ تَوَلَّهَتْ لِعِزَّتِهِ أَلْبَابُنَا وَلَهُ هُدْنَا
فَمَنْ كَانَ يَبْغِي السَّيْرَ لِلْجَانِبِ الَّذِي تَقَدَّسَ فَلْيَأْتِ لِيَأْخُذَهُ عَنَّا

يقول رضى الله عنه، قد كشفنا عن العبودية غطاءً كان حاصلاً من تداخل سيرها مع الحقيقة فبيئنا محل العبودية، من محل الحقيقة. فمحل العبودية الظواهر، ومحل الحقيقة؛ وهو شهود الربوبية البواطن. وذلك أن الحق تعالى تجلَّى بين الضدين، فتلجى بمظهر الربوبية، في قوالب العبودية، ليتحقق اسمه الظاهر، واسمه الباطن.

قال في الحكم: سُبْحَانَ من سَتَرَ سِرَّ الخصوصية بظهور وضمف البشرية. وظهر بعظمة الربوبية، في إظهار العبودية. فَمَنْ نظر لمطلق التجلى، رأى رُبُوبية ظاهرة أزلية، وَمَنْ نَظَرَ للقوالب رأى قوالب العبودية، فالعبد مأمور بالقيام بحق القوالب؛ وهي آداب العبودية. وبحق الظواهر، وهي شهود عظمة الربوبية. فظهر التمييز بين العبودية والرُّبُوبية. فأصبح ظاهراً ما كان باطناً خفياً. وهذا معنى قوله: فَأَضْبَحَ ظَهْرًا مَا رَأَيْتُمْ لَهُ بَطْنًا. فظهر خبر أضبح. وما اسمها. وبطناً مفعول ثانٍ لَرَأَيْتُمْ؛ أي فأصبح ما كنتم رأيتموه من العبودية بطناً ظهراً. هَذَا وَلَمْ تَرَ لِلنَّاطِمِ كَلَامًا مُسْتَوْفَى فِي العبودية. بل جلَّ كلامه في نظامه في أسرار الحقيقة. فَلَتَنكَلِمُ على شيءٍ مِنْهَا؛ فنقول، وبالله التوفيق: العبودية هي شَرَفُ الإنسان وعزّه، وسبب ترقيه إلى كَمَالِ الكَمَالِ؛ وهي مِفْتَاحُ الفتوحاتِ كُلِّهَا. فبقدر ما يتحقق الظاهر بالعبودية يُشْرِقُ على الباطن أنوار الحقيقة. وتعرية الرأس، والجلوس على التراب، وغير ذلك مما يثقل على النَّفْسِ، ويجمع ذلك كله السُّؤَالِ فِي الأسواق؛ فهو يجهز عن النفس مرّة واحدة إن كَانَ بِأَذْنِ، ولَعَبْرَ طَمَعِ، ويلحق بذلك التخلُّق بالأخلاقِ الحَسَنَةِ، كالتواضع، والسَّخَاءِ، والكَرَمِ، وَسَعَةِ الصِّدْرِ، وتَرْكِ الغضبِ لِلنَّفْسِ،

وغير ذلك. وإن أردت أن تعرف العبودية، فانظر إن اشتريت عبداً من مالك، كيف تحب أن يكون معك فكن أنت مع سيدك كما تحب أن يكون عبدك معك.

فالعبد لا يكون بين يدي سيده حتى يحزره سيده إلا فقيراً ذليلاً، ولا يلبس إلا لباس الذل؛ وهي ثياب الخدمة والمهنة. فالعبد المتأدب لا يتحلّى بحلية سيده حتى يحزره سيده. والعبد أيضاً لا يدبر أمر نفسه؛ وهو في مملكة سيده. إذ لا ينفعه ذلك أيضاً.

وإذا أراد العبد أيضاً أن يخطفى عند سيده، يكون عند أمره ونهيه، سميعاً مطيعاً بالفهم عن سيده فيفعل ما يشتهي سيده قبل أن يأمره به.

وأيضاً: العبد المحب لسيده، لا يخدمه عن غرض، إذ لا يستحق على سيده شيئاً بل يخدمه عبودية ومحبة. وفي الحديث: «لا يكن أحدكم كالأجير السوء، إذا أعطي عمل وإلا لم يعمل». أو كما قال عليه السلام. ثم قال الناطم: هَدَانَا اللَّهُ تَعَالَى أَوْ الْعَقْلُ بِإِذْنِ اللَّهِ لِقَوْلِ الْحَقِّ. فقلنا فيما نظمنا؛ وَهُوَ شَرُّ مَا تَوَلَّهْتَ، أَيْ تَحَيَّرْتَ لِعِزَّتِهِ، أَيْ لِأَجْلِ ضَعْفِيَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ أَلْبَابِنَا؛ أَيْ عُقُولِنَا. وَلِهَذَا؛ أَيْ رَجَعْنَا، بَعْدَ نُفُورِنَا عَنْهُ لُضْعُوبِيَّتِهِ، أَيْ وَلَهُ تَبْنَا وَرَجَعْنَا إِنْ لَمْ نُصَادِفِ الصَّوَابَ. ثُمَّ قَالَ: فَمَنْ كَانَ يَبْغِي السَّيْرَ وَالثُّهُوضَ إِلَى الْجَانِبِ الْأَقْدَسِ؛ وَهُوَ حَضْرَةُ الْقُدْسِ، وَمَحَلُّ الْأَنْسِ قَلِيَاتٍ إِلَيْنَا لِيَأْخُذَهُ عَنَّا. فَإِنَّ طَرِيقَ السَّيْرِ لَا تَوْخَذُ إِلَّا عَنِ أَرْبَابِهَا؛ وَهُمْ الَّذِينَ سَارُوا مَعَهَا. وَعَرَفُوا وَعَرَّهَا وَسَهَّلَهَا. وَالْمُرَادُ: تَرْبِيَةَ النُّفُوسِ وَتَهْدِيَّتَهَا. فَلَا تَوْخَذُ إِلَّا مِنْ أَحَدِهَا عَنْ غَيْرِهِ. وَسَلَكَهَا بِنَفْسِهِ. وَخَاصُّ مَقَامِ الْجَذْبِ، وَالسُّلُوكِ، وَحَازَ مَقَامَ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ. وَمَنْ لَمْ يَسْلُكْ ذَلِكَ فَلَا يَقْتَدِي بِهِ فِي سُلُوكِهَا. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. وَهُوَ الْهَادِي إِلَى سِوَاءِ الطَّرِيقِ. هَذَا آخِرُ مَا قَصَدْنَاهُ مِنْ شَرْحِ النُّونَةِ الشُّشْتَرِيَّةِ، عَلَى تَصْحِيفِ فِي مَتْنِهَا. فَمَنْ وَقَفَ عَلَى خَلَلٍ فَلْيَصْلُحْ مِنْهَا وَمَنْ شَرَّحَهَا، إِذْ قُلَّ مَا يَخْلُصُ مُصَنَّفٍ مِنَ الْهَفَوَاتِ. أَوْ يَنْجُو مُؤَلَّفٍ مِنَ الْعَثَرَاتِ. كَمَا قَالَ الشَّيْخُ خَلِيلُ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَكَانَ الْفِرَاعُ مِنْ تَبْيِيضِهِ، ضُحُوَّةُ يَوْمِ الْخَمِيسِ، فَاتِحُ رَجَبِ سَنَةِ عِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفِ هِجْرِيَّةِ (1220هـ) عَلَى يَدِ جَامِعِهِ. الْعَبْدُ الْفَقِيرُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِنَعْجِيَّةِ الْحُسَيْنِيِّ.

فهرس المحتويات

- تَعْرِيفُ سَيِّدِي أَحْمَدَ بِنَعَجِيَّةٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ 5
- المقدمة 7
- تعريف سيدي أحمد بنعجبية 7
- تَعْرِيفُ بِالْقُطْبِ الْكَامِلِ الْأَنْوَارِ، فِي الْعُلُومِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْأَسْرَارِ،
أَبِي الْعَبَّاسِ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بِنَعَجِيَّةِ الْحَسَنِيِّ الْأَعْرَجِ 7
- شرح صلاة القطب ابن مشيش رضي الله عنه 10
- شرح صلاة ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه 41
- سلك الدرر في ذكر القضاء والقدر رضي الله عنه 48
- البَابُ الْأَوَّلُ: فِي تَفْسِيرِ الْقَدْرِ وَالْقَضَاءِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ 49
- البَابُ الثَّانِي: فِي الْإِسْتِذْلَالِ عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَكَلَامِ السَّلَفِ الصَّالِحِ. ... 50
- البَابُ الثَّلَاثُ: فِي بَيَانِ الْحِكْمَةِ وَالْقُدْرَةِ 55
- البَابُ الرَّابِعُ: فِي إِطْطَالِ الْعُدْوَى وَالطَّيْرَةِ 57
- البَابُ الْخَامِسُ: فِي اكْتِسَابِ الْيَقِينِ، وَذِكْرِ مَوَادِّهِ وَمَوَاطِنِهِ 63
- معراج التشوف إلى حقائق التصوف للعارف بالله أبي العباس
سيدي أحمد بنعجبية 68
- شرح خمرية ابن الفارض رضي الله عنه 104
- شرح قصيدة يَا مَنْ تَعَاظَمَ... للإمام الرفاعي 149
- شرح بعض مقتطفات الششتري للعارف بالله، سيدي أحمد بنعجبية،
رضي الله عنه 173
- شرح الأبيات الثلاثة لأبي القاسم الجُنَيْدِ 192
- شرح الفتوحات القدسية في شرح المقدمة الأجزومية 198
- شرح نونية الإمام الششتري لسيدي أحمد بنعجبية رضي الله عنه 356